مرکز القائمیة اصبهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

نصوص في علوم القرآن

بسم الله الرحمن الرحیم

نصوص فی علوم القرآن

کاتب:

جمعی از نویسندگان

نشرت فی الطباعة:

مجمع البحوث الاسلامیه

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
نصوص فی علوم القرآن ----- ۳۲
اشارة ----- ۳۲
الفهرس العام ----- ۳۲
تصدیر ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
علوم القرآن ----- ۳۵
اشارة ----- ۳۵
۱- علوم للقرآن ----- ۳۶
۲- علوم فی القرآن ----- ۳۹
۳- علوم حول القرآن ----- ۳۹
و أمّا البحث حول هذا الکتاب فکما یلی ----- ۴۰
المدخل فی «أقسام الکتاب» ----- ۴۲
اشارة ----- ۴۲
طریقة العمل ----- ۴۴
رعایة الأمانة العلمیّة ----- ۴۴
الزّوائد و الإضافات فی النّصّ ----- ۴۴
الهدف إلی تألیف هذه الموسوعة ----- ۴۴
حوز قصب السّبق ----- ۴۵
شکر و تقدیر ----- ۴۵
القسم الأوّل فی نزول القرآن و فیه أربعة أبواب: ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
الباب الأوّل فی کیفیّة نزول القرآن و فیه فصول ----- ۴۶

اشارة ----- ۴۶
الفصل الأوّل نصّ البخاریّ (م: ۲۵۶ ه) فی «الجامع الصّحیح» ----- ۴۶
[کیفیّة نزول القرآن] ----- ۴۶
باب کان جبریل یعرض القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم ----- ۴۷
الفصل الثّانی نصّ الطّبریّ (م: ۳۱۰ ه) فی «جامع البیان» «۱» ----- ۴۷
اشارة ----- ۴۷
وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا ... الإسراء/ ۱۰۶ ----- ۴۹
وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبلِ أنْ یُقْضی إِلَیکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴. ----- ۵۰
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ ... الفرقان/ ۳۲. ----- ۵۱
إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳ ----- ۵۲
فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵. ----- ۵۲
لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ القیامة/ ۱۶- ۱۷. ----- ۵۳
إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۵۷
الفصل الثّالث نصّ ثقة الإسلام الکلینیّ (م: ۳۲۹ ه) فی «الأصول من الکافیّ» ----- ۵۷
اشارة ----- ۵۷
و نصّه أیضا فی «الفروع من الکافی» باب «فضل شهر رمضان» ----- ۵۸
باب فی «لیلة القدر» ----- ۵۹
الفصل الرّابع نصّ الشّیخ الصّدوق (م: ۳۸۱ ه) و الشّیخ المفید (م: ۴۱۳ ه) ----- ۵۹
نزول القرآن فی لیلة القدر ----- ۵۹
الفصل الخامس نصّ الشّریف المرتضی (م: ۴۳۶ ه) فی «الأمالی» ----- ۶۱
تأویل آیة ----- ۶۱
تأویل آیة ----- ۶۲
و نصّه أیضا فی «رسائله» ----- ۶۴
کیفیّة نزول القرآن ----- ۶۴

الفصل السّادس نصّ البیهقیّ (م: ۴۵۸ ه) فی «الأسماء و الصّفات». ۶۶
لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ الروم/ ۴ ۶۶
الفصل السّابع نصّ الشّیخ الطّوسیّ (م: ۴۶۰ ه) فی تفسیره: «التّبیان» ۷۰
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵. ۷۰
وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ علی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا الإسراء/ ۱۰۵ ۷۱
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ۷۱
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ۷۲
لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹ ۷۲
الفصل الثّامن نصّ الواحدیّ (م: ۴۶۸ ه) فی «أسباب النّزول» ۷۳
وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۵ ۷۳
الفصل التّاسع نصّ المیبدیّ (م: ۵۳۰ ه) فی «کشف الأسرار» «۱» ۷۳
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ۷۳
وَ ما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ الأنفال/ ۴۱ ۷۴
وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً طه/ ۱۱۴ ۷۴
وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ ... الشّعراء/ ۱۹۲ ۷۵
حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۱- ۳ ۷۶
فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ* بِأَیْدِی سَفَرَةٍ ... عبس/ ۱۳- ۱۵ ۷۶
سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلی/ ۶ ۷۶
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱ ۷۷
الفصل العاشر نصّ الشّیخ أبی الفتوح الرّازیّ (م: ۵۳۵ ه) فی تفسیره: «روض الجنان» «۱» ۷۸
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵ ۷۸
وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ ... طه/ ۱۱۴ ۷۸
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ۷۸
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ۷۹

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامهٔ/ ۱۶- ۱۹ ----- ۷۹

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلًا الإنسان: ۲۳ ----- ۸۰

الفصل الحادی عشر نصّ الزّمخشریّ (م: ۵۳۸ ه) فی «الکشّاف» و نصّ السیّد الشّریف (م: ۸۱۶) فی «حاشیته علی الکشّاف» ----- ۸۰

اشارهٔ ----- ۸۰

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ... البقرهٔ/ ۲۳ ----- ۸۱

وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما یُنَزِّلُ ... النّحل/ ۱۰۱ ----- ۸۲

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ ... الفرقان/ ۳۱ ----- ۸۲

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ----- ۸۳

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلی/ ۶ ----- ۸۳

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ... القیامهٔ/ ۱۶- ۲۰ ----- ۸۴

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر: ۱ ----- ۸۴

الفصل الثّانی عشر نصّ الطّبرسیّ (م: ۵۴۸ ه) فی تفسیره «مجمع البیان» ----- ۸۴

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرهٔ/ ۱۸۵ ----- ۸۴

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۶ ----- ۸۵

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ ... طه/ ۱۱۴ ----- ۸۵

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان: ۳۲ ----- ۸۵

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳ ----- ۸۶

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامهٔ/ ۱۶- ۱۹ ----- ۸۶

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعهٔ/ ۷۵- ۷۸ ----- ۸۷

فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ* بِأَیْدِی سَفَرَةٍ ... عبس/ ۱۳- ۱۷ ----- ۸۸

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلی/ ۶- ۷ ----- ۸۸

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۸۹

و نصّه أیضا فی «تفسیر جوامع الجامع» ----- ۸۹

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴ ----- ۸۹

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ---- ۸۹

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ الشّعراء/ ۱۹۱- ۱۹۵ ---- ۸۹

الفصل الثّالث عشر نصّ ابن الجوزیّ (م: ۵۹۷ ه) فی کتابه: «زاد المسير فی علم التّفسير» ---- ۹۰

مدّة نزول القرآن ---- ۹۰

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ---- ۹۰

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ ... طه/ ۱۱۴ ---- ۹۰

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳ ---- ۹۱

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ الواقعة/ ۷۵ ---- ۹۱

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹ ---- ۹۱

الفصل الرّابع عشر نصّ الفخر الرّازیّ (م: ۶۰۶ ه) فی «التّفسير الکبير» ---- ۹۲

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِی رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ البقرة/ ۲۳ ---- ۹۲

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵ ---- ۹۲

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُکْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۵ ---- ۹۴

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ ... طه/ ۱۱۴ ---- ۹۴

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۱ ---- ۹۵

حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۱- ۶ ---- ۹۶

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۲۰. ---- ۹۸

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ القيامة/ ۱۷ ---- ۱۰۰

فَمَنْ شاءَ ذَکَرَهُ فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ ... عبس/ ۱۲- ۱۳ ---- ۱۰۲

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلى/ ۶ ---- ۱۰۲

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱ ---- ۱۰۵

الفصل الخامس عشر نصّ أبی شامة (م: ۶۶۵ ه) فی تفسيره: «المرشد الوجيز» ---- ۱۰۸

فی البيان عن کيفيّة نزول القرآن ... ---- ۱۰۸

الفصل السّادس عشر نصّ القرطبیّ (م: ۶۷۱ ه) فی تفسيره: «الجامع لأحکام القرآن» ---- ۱۱۶

شَهْرُ رَمَضانَ الّذِی أنزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۱۱۶

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّاسِ عَلی مُکْثٍ الإسراء/ ۱۰۵ ----- ۱۱۷

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبلِ أنْ یُقْضی إلَیکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴ ----- ۱۱۷

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲- ۳۳ ----- ۱۱۷

إنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ----- ۱۱۸

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵- ۷۷ ----- ۱۱۹

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹ ----- ۱۱۹

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی* إلّا ما شاءَ اللّهُ إنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی الأعلی/ ۶- ۷ ----- ۱۲۰

إنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۱۲۱

الفصل السّابع عشر نصّ البیضاویّ (م: ۶۸۵ ه) فی تفسیره: «أنوار التّنزیل» ----- ۱۲۱

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۱۲۱

وَ ما نَتَنَزَّلُ إلّا بِأَمْرِ رَبِّکَ ... مریم/ ۶۴ ----- ۱۲۲

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ----- ۱۲۲

وَ إنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ الشّعراء/ ۱۹۲ ----- ۱۲۲

إنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ----- ۱۲۳

إنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۱۲۳

الفصل الثّامن عشر نصّ النّیسابوریّ (م: ۷۲۸ ه) فی تفسیره: «غرائب القرآن» ----- ۱۲۳

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵ ----- ۱۲۳

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّاسِ عَلی مُکْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۵ ----- ۱۲۴

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ----- ۱۲۴

إنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳ ----- ۱۲۵

إنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۱۲۵

الفصل التّاسع عشر نصّ ابن جزیّ الکلبیّ (م: ۷۴۱ ه) فی تفسیره «التّسهیل لعلوم التّنزیل» ----- ۱۲۶

[مدّة نزول القرآن] ----- ۱۲۶

وَ قالَ الّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ---------- ۱۲۶

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳ ---------- ۱۲۶

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹ ---------- ۱۲۶

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلى/ ۷. ---------- ۱۲۷

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱ ---------- ۱۲۸

الفصل العشرون نصّ أبی حیّان (م: ۷۴۵ ه) فی تفسیره: «البحر المحيط» ---------- ۱۲۸

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ---------- ۱۲۸

وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ ... آل عمران/ ۳- ۴ ---------- ۱۲۹

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ الإسراء/ ۱۰۵ ---------- ۱۲۹

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ---------- ۱۳۰

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ الشّعراء/ ۱۹۱- ۱۹۲ ---------- ۱۳۱

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ... الدّخان/ ۳ ---------- ۱۳۱

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶ ---------- ۱۳۱

فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ... عبس/ ۱۳- ۱۴. ---------- ۱۳۲

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱. ---------- ۱۳۳

الفصل الحادی و العشرون نصّ ابن کثیر (م: ۷۷۴ ه) فی «تفسیره» ---------- ۱۳۳

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵. ---------- ۱۳۳

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲. ---------- ۱۳۴

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵. ---------- ۱۳۴

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۷ ---------- ۱۳۴

«و نصّه أیضا فی «البدایة و النّهایة» ---------- ۱۳۵

عمره صلّی اللّه علیه و سلم وقت بعثته و تأریخها: ---------- ۱۳۵

الفصل الثّانی و العشرون نصّ الزّرکشیّ (م: ۷۹۴ ه) فی کتابه: «البرهان فی علوم القرآن» ---------- ۱۳۷

فی کیفیّة إنزاله ---------- ۱۳۷

الفصل الثّالث و العشرون نصّ ابن حجر العسقلانیّ (م: ۸۵۲ ه) فی «فتح الباریّ بشرح صحیح البخاریّ» ----- ۱۳۹
قوله: (باب کیف نزل الوحی؟ و أوّل ما نزل؟) ----- ۱۳۹
لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹. ----- ۱۴۱
الفصل الرّابع و العشرون نصّ السّیوطیّ (م: ۹۱۱ ه) فی تفسیره: «الدّرّ المنثور» ----- ۱۴۳
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵. ----- ۱۴۳
وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ الإسراء/ ۱۰۵ ----- ۱۴۴
وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴. ----- ۱۴۴
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲- ۳۳ ----- ۱۴۵
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ----- ۱۴۶
فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ الواقعة/ ۷۵. ----- ۱۴۶
لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹ ----- ۱۴۷
سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلی/ ۶- ۷ ----- ۱۴۷
و نصّه أیضا فی کتابه: «الإتقان فی علوم القرآن» فی کیفیّة إنزاله فیه مسائل؛ ----- ۱۴۷
الفصل الخامس و العشرون نصّ القسطلانیّ (م: ۹۲۳ ه) فی «لطائف الإشارات لفنون القراءات» ----- ۱۵۳
الفصل السّادس و العشرون نصّ شیخ زاده (م: ۹۵۰ ه) فی «حاشیته علی تفسیر البیضاویّ» ----- ۱۵۴
نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً الفرقان/ ۱. ----- ۱۵۴
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵. ----- ۱۵۶
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳. ----- ۱۵۶
سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی الأعلی/ ۶- ۷ ----- ۱۵۶
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱. ----- ۱۵۸
الفصل السّابع و العشرون نصّ الخطیب الشّربینیّ (م: ۹۷۷ ه) فی «السّراج المنیر» ----- ۱۵۸
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵. ----- ۱۵۸
وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا الإسراء/ ۱۰۵. ----- ۱۵۹
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۱ ----- ۱۵۹

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا الإنسان/ ۲۳ ----- ۱۵۹

الفصل الثّامن و العشرون نصّ ملّا فتح اللّه الکاشانیّ (م: ۹۸۸ ه) فی تفسیره: «منهج الصّادقین» «۱» ----- ۱۶۰

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ... البقرة/ ۲۳ ----- ۱۶۰

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبلِ أَنْ یُقْضی إِلَیکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴ ----- ۱۶۰

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ ... الشّعراء/ ۱۹۲ ----- ۱۶۰

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللّهُ الأعلی/ ۶- ۷ ----- ۱۶۱

الفصل التّاسع و العشرون نصّ الشّیخ علی ددة (م: ۱۰۰۷ ه) فی «حلّ الرّموز و کشف الکنوز» «۱» ----- ۱۶۱

السّؤال الحادی و الأربعون من خواتم الحکم ----- ۱۶۱

السّؤال الثّانی و الأربعون من خواتم الحکم: ----- ۱۶۲

السّؤال الثّالث و الأربعون من خواتم الحکم ----- ۱۶۲

السّؤال الخامس و الأربعون من خواتم الحکم ----- ۱۶۳

السّؤال السّادس و الأربعون من خواتم الحکم ----- ۱۶۳

السّؤال الثّالث عشر بعد المائة من خواتم الحکم ----- ۱۶۴

السّؤال الرّابع عشر بعد المائة من خواتم الحکم ----- ۱۶۵

السّؤال الخامس عشر بعد المائة من خواتم الحکم ----- ۱۶۵

الفصل الثّلاثون نصّ صدر المتألّهین (م: ۱۰۵۰ ه) فی «تفسیره» ----- ۱۶۶

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ... البقرة/ ۲۳ ----- ۱۶۶

مکاشفات سرّیّة و نفثات روعیّة ----- ۱۶۶

و نصّه أیضا فی «تفسیر سورة الواقعة» ----- ۱۶۸

لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ الواقعة/ ۷۹ ----- ۱۶۸

تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ الواقعة/ ۸۰ ----- ۱۷۰

و نصّه أیضا، فی «أسرار الآیات» [التّنازل علی الأنبیاء هو الکتاب دون کلام اللّه] ----- ۱۷۳

و نصّه أیضا فی «شرح أصول الکافی» [حقیقة إنزال القرآن] ----- ۱۷۶

الفصل الحادی و الثّلاثون نصّ ملّا صالح المازندرانیّ (م: ۱۰۸۱ ه) فی «شرح جامع الکافیّ، الأصول و الرّوضة» ----- ۱۷۸

حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۱- ۳ ----- ۱۷۸

الفصل الثّانی و الثّلاثون نصّ الطّریحیّ (م: ۱۰۸۵ ه) فی «مجمع البحرین» ----- ۱۷۹

وَ النَّجْمِ إِذا هَوى ... النّجم/ ۱ ----- ۱۷۹

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۱۷۹

الفصل الثّالث و الثّلاثون نصّ الفيض الكاشانیّ (م: ۱۰۹۱ ه) فی «تفسیره الصّافیّ» ----- ۱۸۰

نبذ ممّا جاء فی زمان نزول القرآن و تحقیق ذلك ----- ۱۸۰

الفصل الرّابع و الثّلاثون نصّ البحرانیّ (م: ۱۱۰۷ ه) فی تفسیره: «البرهان فی تفسیر القرآن» ----- ۱۸۱

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۱۸۱

تَبارَكَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً الفرقان/ ۱ ----- ۱۸۲

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلى/ ۶ ----- ۱۸۲

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۱۸۳

الفصل الخامس و الثّلاثون نصّ العلّامة المجلسیّ (م: ۱۱۱۱ ه) «۱» فی «بحار الأنوار» ----- ۱۸۳

البعثة و تاریخه ----- ۱۸۳

[الرّدّ علی ما اعترضه المفید علی قول الصّدوق] ----- ۱۸۵

و نصّه أيضا فی «الفرائد الطّريفة» ----- ۱۸۶

الفصل السّادس و الثّلاثون نصّ البروسوی (م: ۱۱۳۷ ه) فی تفسیره: «روح البیان» ----- ۱۸۶

ما الحكمة فی تعدّد مواطن نزول القرآن؟ ----- ۱۸۶

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ ... آل عمران/ ۳ ----- ۱۸۷

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۱ ----- ۱۸۷

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ الشّعراء/ ۱۹۲ ----- ۱۸۷

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳ ----- ۱۸۸

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹ ----- ۱۸۸

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۱۹۰

الفصل السّابع و الثّلاثون نصّ شبّر (م: ۱۲۴۲ ه) فی تفسیره: «الجوهر الثّمین» ----- ۱۹۱

شَهْرُ رَمَضانَ الّذِی أنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۱۹۱

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ یُقْضی إلَیکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴ ----- ۱۹۲

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ----- ۱۹۲

إنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳ ----- ۱۹۲

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلی/ ۶- ۷ ----- ۱۹۲

الفصل الثّامن و الثّلاثون نصّ الآلوسیّ (م: ۱۲۷۰ ه) فی تفسیره: «روح المعانی» ----- ۱۹۳

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ الإسراء/ ۱۰۵ ----- ۱۹۳

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ----- ۱۹۴

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ ... الشّعراء/ ۱۹۲ ----- ۱۹۵

إنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳ ----- ۱۹۸

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵- ۷۷ ----- ۱۹۹

فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ عبس/ ۱۳- ۱۴ ----- ۱۹۹

إنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱- ۳ ----- ۲۰۰

الفصل التّاسع و الثّلاثون نصّ البروجردیّ (م: ۱۲۷۷ ه) فی تفسیره: «الصّراط المستقیم» ----- ۲۰۲

الإنزال و التّنزیل و الفرق بینهما ----- ۲۰۲

الفصل الأربعون نصّ الأصفهانیّ (م: ۱۳۰۸ ه) فی کتابه: «مجد البیان فی تفسیر القرآن» ----- ۲۰۳

زمان نزول القرآن و ما یتعلّق بذلک ----- ۲۰۳

مراتب نزول القرآن ----- ۲۰۴

کیفیّة نزول القرآن فی لیلة القدر و تفصیله ----- ۲۰۵

مراتب وجود القرآن فی النّزول و الصّعود ----- ۲۰۵

الفصل الحادی و الأربعون نصّ السّیّد رشید رضا (م: ۱۳۵۴ ه) فی تفسیره: «المنار» ----- ۲۰۶

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۲۰۶

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ ... آل عمران/ ۳ ----- ۲۰۷

الفصل الثّانی و الأربعون نصّ ابن بادیس (م: ۱۳۵۹ ه) فی «تفسیره» ----- ۲۰۷

تثبیت القلوب بالقرآن العظیم ---------- ۲۰۷

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ---------- ۲۰۷

الفصل الثّالث و الأربعون نصّ الزّنجانیّ (م: ۱۳۶۰ ه) فی «تاریخ القرآن» ---------- ۲۱۰

ابتداء نزول الوحی ---------- ۲۱۰

الفصل الرّابع و الأربعون نصّ التّهاوندیّ (م: ۱۳۶۹ ه) فی «خزینة الجواهر» «۱» ---------- ۲۱۱

المنازل الأربعة عشر القرآن الکریم ---------- ۲۱۱

الفصل الخامس و الأربعون نصّ التّهاوندیّ (م: ۱۳۷۱ ه) فی تفسیره: «نفحات الرّحمن» ---------- ۲۱۲

فی بیان سرّ نزول القرآن جملة إلی البیت المعمور فی لیلة القدر ---------- ۲۱۲

فی بیان أسرار نزول القرآن العظیم نجوما علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله ---------- ۲۱۴

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵ ---------- ۲۱۵

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ ... آل عمران/ ۳- ۴ ---------- ۲۱۵

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ ... طه/ ۱۱۴ ---------- ۲۱۶

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ---------- ۲۱۶

الفصل السّادس و الأربعون نصّ المراغی فی «تفسیره» ---------- ۲۱۶

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲ ---------- ۲۱۶

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱ ---------- ۲۱۷

الفصل السّابع و الأربعون نصّ سیّد قطب (م: ۱۳۸۵ ه) فی تفسیره: «فی ظلال القرآن» ---------- ۲۱۸

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳ ---------- ۲۱۸

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹ ---------- ۲۱۸

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی الأعلی/ ۶- ۷ ---------- ۲۱۹

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱- ۵ ---------- ۲۲۰

الفصل الثّامن و الأربعون نصّ الزّرقانیّ فی «مناهل العرفان» ---------- ۲۲۰

التّنزول: ---------- ۲۲۰

اشارة ---------- ۲۲۱

۱- معنی نزول القرآن: ---------- ۲۲۱
۲- تنزّلات القرآن: ---------- ۲۲۲
کیفیّة أخذ جبریل للقرآن و عمّن أخذ ---------- ۲۲۴
ما الّذی نزل به جبریل؟ ---------- ۲۲۴
اشارة ---------- ۲۲۴
مدّة هذا التّنزول ---------- ۲۲۶
دلیل تنجیم هذا التّنزول ---------- ۲۲۷
الحکم و الأسرار فی تنجیم القرآن ---------- ۲۲۷
اشارة ---------- ۲۲۷
الحکمة الأولی ---------- ۲۲۷
الحکمة الثّانیة: ---------- ۲۲۹
الحکمة الثّالثة: ---------- ۲۳۰
الحکمة الرّابعة: ---------- ۲۳۲
الفصل التّاسع و الأربعون نصّ عزّة دروزة (۱۳۰۵- ..) فی «التّفسیر الحدیث» ---------- ۲۳۳
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ---------- ۲۳۳
تعلیق علی روایات نزول القرآن جملة واحدة ---------- ۲۳۳
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ---------- ۲۳۴
شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ---------- ۲۳۵
و نصّه أیضا، فی کتابه: [تاریخ] القرآن المجید روایات نزول القرآن جملة واحدة و أثرها ---------- ۲۳۵
روایات نزول القرآن بالمعنی و أثرها ---------- ۲۳۸
الفصل الخمسون نصّ الشّعرانیّ (م: ۱۳۹۳) فی «نثر طوبی» ---------- ۲۴۰
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۶۲ ---------- ۲۴۱
لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶ ---------- ۲۴۱
و نصّه أیضا فی «هامش تفسیر أبی الفتوح الرّازیّ» ---------- ۲۴۱

الّذِی أنْزلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵. ----- ۲۴۱

سورة البراءة ----- ۲۴۲

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْکٌ افْتَراهُ ... الفرقان/ ۴. ----- ۲۴۲

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲. ----- ۲۴۲

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ ... القیامة/ ۱۶. ----- ۲۴۳

و نصّه أیضا فی «هامش شرح جامع الکافی الأصول و الرّوضة» ----- ۲۴۳

الفصل الحادی و الخمسون نصّ مالک بن نبیّ (۱۳۲۳- ۱۳۹۳) فی کتابه: «الظّاهرة القرآنیّة» ----- ۲۴۳

الخصائص الظّاهریّة للوحی ----- ۲۴۳

التّنجیم ----- ۲۴۴

الفصل الثّانی و الخمسون نصّ الشّیخ أبی زهرة فی «المعجزة الکبری» ----- ۲۴۶

نزول القرآن ----- ۲۴۶

حکمة نزوله منجّما ----- ۲۴۷

الفصل الثّالث و الخمسون نصّ العلّامة الطّباطبائیّ (م: ۱۴۰۲) فی «تفسیر المیزان» ----- ۲۴۸

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۲۴۸

الر کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ هود/ ۱. ----- ۲۵۴

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ ... آل عمران/ ۳ ----- ۲۵۶

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً الإسراء/ ۱۰۵ ----- ۲۵۷

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴ ----- ۲۵۸

لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً .. الفرقان/ ۳۲ ----- ۲۵۹

[الفرق بین الإنزال و التّنزیل] ----- ۲۶۲

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹ ----- ۲۶۵

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۲۶۶

الفصل الرّابع و الخمسون نصّ الشّهید مطهّریّ (م: ۱۳۹۹) فی «دروس من القرآن» ----- ۲۶۷

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵ ----- ۲۶۷

و نصّه أیضا فی «تفسیر سورة الفجر و القیامة» «۲» ---- ۲۶۸
لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹ ---- ۲۶۹
[ما هی تلک العجلة فی أثناء الوحی؟] ---- ۲۶۹
الفصل الخامس و الخمسون نصّ التّبکی فی «ریاض القرآن» ---- ۲۷۰
تنزیله ---- ۲۷۰
حکمة التّکرار للأمر و الاعتذار ---- ۲۷۱
إنزال القرآن و تنزیله ---- ۲۷۲
اشارة ---- ۲۷۲
شبهة أولی ---- ۲۷۳
شبهة ثانیة ---- ۲۷۴
شبهة ثالثة ---- ۲۷۵
شبهة رابعة ---- ۲۷۸
تهافت النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم علی نزول القرآن و علی تلقیه حین الوحی ---- ۲۷۹
الفصل السّادس و الخمسون نصّ الأشیقر فی «لمحات من تاریخ القرآن» ---- ۲۸۰
نزول القرآن ---- ۲۸۰
الفصل السّابع و الخمسون نصّ الشّیخ خلیل یاسین (م: ۱۴۰۵ ه) فی «أضواء علی متشابهات القرآن» ---- ۲۸۲
وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ... البقرة/ ۲۳ ---- ۲۸۲
وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ---- ۲۸۲
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ .. الدّخان: ۲ ---- ۲۸۳
کیف أنزل القرآن الکریم؟ ---- ۲۸۳
إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر: ۱ ---- ۲۸۳
الفصل الثّامن و الخمسون نصّ الدّکتور صبحیّ الصّالح (م: ۱۴۰۷ ه) فی کتابه: «مباحث فی علوم القرآن» ---- ۲۸۴
تنجیم القرآن و أسراره ---- ۲۸۴
الفصل التّاسع و الخمسون نصّ الدّکتور حجازیّ (ت: ۱۳۳۸ ه) فی کتابه: «الوحدة الموضوعیّة» ---- ۲۹۱

للقرآن الکریم تنزّلات ثلاثة ----- ۲۹۱

هل نزل القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بلفظه و معناه؟ ----- ۲۹۳

السّرّ فی نزول القرآن منجّما ----- ۲۹۵

لما ذا لم یذکر الموضوع الواحد تامّا فی سورة واحدة؟ ----- ۲۹۸

و نصّه أیضا فی «التّفسیر الواضح» ----- ۳۰۱

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ .. الدّخان: ۳ ----- ۳۰۱

الفصل السّتّون نصّ الخطیب فی «التّفسیر القرآنیّ للقرآن» ----- ۳۰۲

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ ... النّحل/ ۱۰۲ ----- ۳۰۲

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ .. الإسراء/ ۱۰۶ ----- ۳۰۴

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲ ----- ۳۰۵

و نصّه أیضا فی «إعجاز القرآن» ----- ۳۰۶

کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا ... الفرقان/ ۳۲ ----- ۳۰۶

تثبیت فؤاد النّبیّ ----- ۳۰۶

ترتیل القرآن ترتیلا: ----- ۳۰۷

مواجهة الأحداث: ----- ۳۰۹

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ ... آل عمران: ۳ ----- ۳۰۹

الفصل الحادی و السّتّون نصّ الدّکتور العطّار (م: ۱۴۰۳ ه) فی «موجز علوم القرآن» ----- ۳۱۰

نزول القرآن و تنزیله ----- ۳۱۰

التّدرّج فی تنزیل القرآن الکریم ----- ۳۱۲

اشارة ----- ۳۱۲

المطلب الأوّل- أثر تدرّج تنزیل القرآن فی نشر الدّعوة الإسلامیّة ----- ۳۱۲

اشارة ----- ۳۱۲

الأوّل- التّدرّج فی موضوع الرّسالة: ----- ۳۱۳

الثّانی- التّدرّج فی نشر الرّسالة: ----- ۳۱۳

الثّالث- التدرّج فى الأساليب ----- ۳۱۳
المطلب الثّانى- حكم تدرّج تنزيل القرآن ----- ۳۱۴
اشارة ----- ۳۱۴
أوّلا- حكم تخصّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله ----- ۳۱۴
ثانيا- حكم تخصّ القرآن: ----- ۳۱۵
ثالثا- حكم تخصّ النّاس: ----- ۳۱۷
الفصل الثانى و السّتّون نصّ الشّيخ معرفت (ت: ۱۳۵۶ ه) فى كتابه: «التّمهيد فى علوم القرآن» ----- ۳۱۷
بدء نزول القرآن ----- ۳۱۸
فترة ثلاث سنوات: ----- ۳۱۹
آراء و تأويلات ----- ۳۲۰
تحقيق مفيد ----- ۳۲۳
الفصل الثّالث و السّتّون نصّ الآصفىّ فى كتابه: «دراسات فى القرآن» نزول القرآن فى ليلة القدر ----- ۳۲۳
اشارة ----- ۳۲۳
و هاهنا شبهتان ----- ۳۲۵
الفصل الرّابع و السّتّون نصّ الدّكتور أبى شهبة فى «المدخل لدراسة القرآن» ----- ۳۳۱
نزول القرآن الكريم ----- ۳۳۱
اشارة ----- ۳۳۱
معنى التّنزول: ----- ۳۳۱
التّنزول الأوّل ----- ۳۳۳
التّنزول الثّانى ----- ۳۳۵
اشارة ----- ۳۳۵
كيف كان هذا التّنزول و مدّته: ----- ۳۳۶
الدّليل على نزول القرآن منجّما ----- ۳۳۷
نزول الكتب السّماويّة السّابقة ----- ۳۳۷

حکم نزول القرآن منجّما مفرّقا ----- ۳۳۸

اشارة ----- ۳۳۸

الحکمة الأولی ----- ۳۳۹

تتمّة ----- ۳۴۵

الفصل الخامس و السّتون نصّ الدّکتور خلیفة فی کتابه: «مع نزول القرآن» ----- ۳۴۶

کیفیّة إنزاله ----- ۳۴۶

و فی کیفیّة إنزال القرآن ثلاثة أقوال ----- ۳۴۶

الفصل السّادس و السّتون نصّ القطّان فی کتابه: «مباحث فی علوم القرآن» ----- ۳۴۷

نزول القرآن ----- ۳۴۷

نزول القرآن جملة ----- ۳۴۷

نزول القرآن منجّما ----- ۳۴۹

حکمة نزول القرآن منجّما ----- ۳۵۰

اشارة ----- ۳۵۰

۱- الحکمة الأولی: تثبیت فؤاد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: ----- ۳۵۰

۲- الحکمة الثّانیة: التّحدّی و الإعجاز ----- ۳۵۲

۳- الحکمة الثّالثة: تیسیر حفظه و فهمه ----- ۳۵۲

۴- الحکمة الرّابعة: مسایرة الحوادث و التّدرّج فی التّشریع ----- ۳۵۳

۵- الحکمة الخامسة ----- ۳۵۵

الاستفادة من نزول القرآن منجّما فی التّربیة و التّعلیم ----- ۳۵۶

الفصل السّابع و السّتون نصّ الدّکتور حجّتی فی «مختصر تاریخ القرآن» ----- ۳۵۷

نزول القرآن الکریم ----- ۳۵۷

بدء نزول القرآن ----- ۳۵۷

طریقة نزول القرآن الکریم ----- ۳۵۸

حکمة التّدرّج فی نزول القرآن ----- ۳۵۸

الفصل الثّامن و السّتّون نصّ الشّیخ محمّد الغزالیّ فی کتابه: «نظرات فی القرآن» ۳۵۹

کیف نزل؟ و لما ذا خلد؟ ۳۵۹

الفصل التّاسع و السّتّون نصّ الشّیخ الزّفزاف فی کتابه: «التّعریف بالقرآن و الحدیث» ۳۶۱

نزول القرآن ۳۶۱

زمن نزوله «۱» ۳۶۱

دفع تعارض ظاهریّ ۳۶۲

الفصل السّبعون نصّ السّبحانیّ فی «مجلّة رسالة القرآن» ۳۶۴

بعثته و نزول الوحی إلیه و ما حولهما من الرّوایات ۳۶۴

الفصل الحادی و السّبعون نصّ الشّیخ الأراکیّ فی «مجلّة رسالة القرآن» ۳۶۷

کیف نزل القرآن؟ ۳۶۷

النّظریّة الأولی ۳۶۸

النّظریّة الثّانیة ۳۶۸

النّظریّة الثّالثة ۳۶۹

الفصل الثّانی و السّبعون نصّ السّیّد مرتضی العاملیّ فی «حقائق هامّة» ۳۷۰

التّرتیب و التّزول ۳۷۰

نزول القرآن نجوما، سورة سورة ۳۷۰

ترتیب القرآن حسب التّزول ۳۷۲

ترتیب سور المصحف الموجود فعلا ۳۷۳

ترتیب آیات المصحف الفعلیّ ۳۷۳

ما ذا عن تصرّف الصّحابة فی تألیف القرآن؟ ۳۷۴

و کلمة أخیرة نقولها هنا ۳۷۵

و نصّه أیضا فی «الصّحیح من سیرة النّبیّ الأعظم صلّی اللّه علیه و آله ۳۷۵

البعثة فی رجب أو فی شهر رمضان، و کیفیّة نزول القرآن ۳۷۶

الفصل الثّالث و السّبعون نصّ الملکیّ فی «تفسیر مناهج البیان» ۳۷۸

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ... القیامهٔ/ ۱۶- ۱۸ ----- ۳۷۹

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ القدر/ ۱ ----- ۳۸۳

الفصل الرّابع و السّبعون نصّ السّید الحکیم فی «علوم القرآن» ----- ۳۸۶

نزول القرآن علی النّبیّ مرّتین ----- ۳۸۶

التّدرّج فی التّنزیل ----- ۳۸۷

الفصل الخامس و السّبعون نصّ الدّکتور البوطیّ فی کتابه: «من روائع القرآن» ----- ۳۸۸

نزول القرآن منجّما و الحکمهٔ فی ذلک ----- ۳۸۸

حکمهٔ نزول القرآن منجّما: ----- ۳۸۹

الفصل السّادس و السّبعون نصّ الدّوزدوزانیّ فی «دروس حول نزول القرآن» ----- ۳۹۱

[نزول القرآن تدریجا أو جملهٔ] ----- ۳۹۱

[الفرق بین الإنزال و التّنزیل] ----- ۳۹۲

الفصل السّابع و السّبعون نصّ السّید میر محمّدیّ فی کتابه: «بحوث فی تاریخ القرآن» ----- ۴۱۶

کیف نزل القرآن؟ ----- ۴۱۶

الآیات الدّالّهٔ علی وساطهٔ جبریل: ----- ۴۱۷

الأقوال ----- ۴۱۸

مناقشهٔ ----- ۴۱۸

الفصل الثّامن و السّبعون نصّ الصّابونیّ فی کتابه: «التّبیان فی علوم القرآن» ----- ۴۱۹

نزول القرآن الکریم ----- ۴۱۹

کیف نزل القرآن الکریم؟ ----- ۴۱۹

التّنزّل الأوّل ----- ۴۲۰

التّنزّل الثّانی ----- ۴۲۰

حکمهٔ نزول القرآن منجّما ----- ۴۲۱

کیف تلقّی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم القرآن؟ ----- ۴۲۴

هل السّنهٔ النّبویّهٔ بوحی من اللّه؟ ----- ۴۲۵

الفصل التّاسع و السّبعون نصّ الأبيارىّ فى «الموسوعة القرآنيّة» «۱» ۴۲۵

الحكمة فى نزول القرآن منجّما ۴۲۵

الفصل الثّمانون نصّ الشّرقاوىّ فى « [تاريخ] القرآن المجيد» ۴۲۷

نزول القرآن ۴۲۷

الفصل الحادى و الثّمانون نصّ الدّكتور على الصّغير فى «دراسات قرآنيّة» ۴۳۰

نزول القرآن ۴۳۰

الأعلام و المصادر نبذة مختصرة عن ترجمة أصحاب هذه النّصوص ۴۳۶

اشارة ۴۳۶

(آ) ۴۳۷

الآصفىّ (معاصر) ۴۳۷

الآلوسىّ (۱۲۱۷- ۱۲۷۰ ه) ۴۳۷

(ا) ۴۳۷

ابن باديس (۱۳۰۵- ۱۳۵۹ ه) ۴۳۷

ابن جزىّ (۶۹۳- ۷۴۱ ه) ۴۳۷

ابن الجوزىّ (۵۰۸- ۵۹۷ ه) ۴۳۷

ابن حجر (۷۷۳- ۸۵۲ ه) ۴۳۸

ابن شهرآشوب (...- ۵۸۸) ۴۳۸

ابن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴ ه) ۴۳۸

ابن كثير (۷۰۱- ۷۷۴ ه) ۴۳۸

ابن النّديم (۴۳۸ ه) ۴۳۸

أبو حيّان (۶۵۴- ۷۴۵ ه) ۴۳۸

أبو زهرة (معاصر) ۴۳۸

أبو شامة (۵۹۹- ۶۶۵ ه) ۴۳۸

أبو شهبة (۱۳۳۳- ..) ۴۳۹

أبو الفتوح (...- ۵۳۵ ه) «۱» ---- ۴۳۹

الأبیاری (معاصر) ---- ۴۳۹

أحمد خلیل (معاصر) ---- ۴۳۹

الأراکیّ (معاصر) ---- ۴۳۹

الأشیقر (معاصر) ---- ۴۳۹

الأصفهانیّ (۱۲۶۶- ۱۳۰۸ ه) ---- ۴۳۹

(ب) ---- ۴۳۹

البحرانیّ (...- ۱۱۰۷ ه) ---- ۴۳۹

البخاریّ (۱۹۵- ۲۵۶ ه) ---- ۴۴۰

البروجردیّ (۱۲۳۸- ۱۲۷۷ ه) ---- ۴۴۰

البروسویّ (...- ۱۱۲۷ ه) ---- ۴۴۰

البیضاویّ (۶۸۵- ۷۹۱ ه) ---- ۴۴۰

البوطیّ (معاصر) ---- ۴۴۰

البیهقیّ (۳۸۴- ۴۵۸ ه) ---- ۴۴۰

(ح) ---- ۴۴۰

الحاکم (۳۲۱- ۴۰۵ ه) ---- ۴۴۰

الحجازیّ (۱۳۳۸- ...) ---- ۴۴۱

حجّتی (معاصر) ---- ۴۴۱

الحکیم (معاصر) ---- ۴۴۱

(خ) ---- ۴۴۱

الخازن (۶۷۸- ۷۴۱ ه) ---- ۴۴۱

الخضریّ (معاصر) ---- ۴۴۱

الخطیب (۱۳۳۹- ...) ---- ۴۴۱

خلیفۀ (معاصر) ---- ۴۴۲

خليل ياسين (...- ۱۴۰۵) ۴۴۲
الخمينيّ (...- ۱۳۹۸ ه) ۴۴۲
(د- ر- ز) ۴۴۲
الدّوزدوزانيّ (معاصر) ۴۴۲
رشيد رضا (۱۲۸۲- ۱۳۵۴ ه) ۴۴۲
الزّرقانيّ (معاصر) ۴۴۲
الزّركشيّ (۷۴۵- ۷۹۴ ه) ۴۴۲
الزّفزاف (معاصر) ۴۴۲
الزّمخشريّ (۴۶۷- ۵۳۸ ه) ۴۴۳
الزّنجانيّ (۱۳۰۹- ۱۳۶۰ ه) ۴۴۳
(س) ۴۴۳
السّبحانيّ (معاصر) ۴۴۳
السّبكيّ (معاصر) ۴۴۳
سيّد قطب (...- ۱۳۸۶ ه) ۴۴۳
السّيوطيّ (۸۴۹- ۹۱۱ ه) ۴۴۳
(ش) ۴۴۴
شبّر (۱۱۸۸- ۱۲۴۲ ه) ۴۴۴
الشّربينيّ (...- ۹۷۷ ه) ۴۴۴
الشّرقاويّ (معاصر) ۴۴۴
الشّريف الجرجانيّ (۷۴۰- ۸۱۶ ه) ۴۴۴
الشّريف المرتضى (۳۵۵- ۴۳۶ ه) ۴۴۴
الشّعرانيّ (۱۳۲۰- ۱۳۹۳ ه) ۴۴۴
الشّهرستانيّ (۴۷۹- ۵۴۸ ه) ۴۴۴
شيخ زاده (...- ۹۵۱ ه) ۴۴۵

(ص) ---- ۴۴۵

الصّابونيّ (معاصر) ---- ۴۴۵

صبحى الصّالح (...- ۱۴۰۷ ه) ---- ۴۴۵

صدر المتألّهين (۹۷۹- ۱۰۵۰ ه) ---- ۴۴۵

الصّدوق (...- ۳۸۱ ه) ---- ۴۴۵

الصّعيديّ (معاصر) ---- ۴۴۵

الصّغير (معاصر) ---- ۴۴۵

الصّفّار (...- ۲۹۰) ---- ۴۴۶

(ط) ---- ۴۴۶

الطّباطبائىّ (۱۳۲۱- ۱۴۰۲ ه) ---- ۴۴۶

الطّبرسيّ (...- ۵۴۸ ه) ---- ۴۴۶

الطّبريّ (۲۲۵- ۳۱۰ ه) ---- ۴۴۶

الطّريحيّ (۹۷۹- ۱۰۸۵ ه) ---- ۴۴۶

الطّوسيّ (۳۸۵- ۴۶۰ ه) ---- ۴۴۶

(ع- غ) ---- ۴۴۶

عزّة دروزة (۱۳۰۵- ...) ---- ۴۴۶

الإمام العسكريّ (۲۳۲- ۲۶۰) ---- ۴۴۷

العطّار (...- ۱۴۰۳ ه) ---- ۴۴۷

على ددة (...- ۱۰۰۷ ه) ---- ۴۴۷

عيّاد (معاصر) ---- ۴۴۷

الغزاليّ (معاصر) ---- ۴۴۷

(ف) ---- ۴۴۷

الفخر الرّازيّ (۵۴۴- ۶۰۶ ه) ---- ۴۴۷

الفيروزآباديّ (۷۲۹- ۸۱۷ ه) ---- ۴۴۷

الفيض الكاشانيّ (...- ۱۰۹۱ ه) ---- ۴۴۸

(ق) ---- ۴۴۸

القاسميّ (۱۲۸۳- ۱۳۳۲ ه) ---- ۴۴۸

القرطبيّ (...- ۶۷۱ ه) ---- ۴۴۸

القطّان (معاصر) ---- ۴۴۸

القمّيّ (۳۲۸ ه) ---- ۴۴۸

(ک) ---- ۴۴۸

الکاشانيّ (...- ۹۸۸ ه) ---- ۴۴۸

الکلينيّ (...- ۳۲۹ ه) ---- ۴۴۸

(م) ---- ۴۴۹

مالک بن نبيّ (۱۳۲۳- ۱۳۹۳ ه) ---- ۴۴۹

مؤلّف المباني (...؟ ...) ---- ۴۴۹

المجلسيّ (۱۰۲۷- ۱۱۱۱ ه) ---- ۴۴۹

المراغيّ (معاصر) ---- ۴۴۹

مرتضى العامليّ (۱۳۶۴- ...) ---- ۴۴۹

المسعوديّ (...- ۳۴۶ ه) ---- ۴۴۹

مسلم (۲۰۶- ۲۶۱ ه) ---- ۴۴۹

المصطفويّ (۱۳۳۴- ...) ---- ۴۵۰

مطهّريّ (...- ۱۳۹۹ ه) ---- ۴۵۰

معرفت (۱۳۵۶- ...) ---- ۴۵۰

المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه) ---- ۴۵۰

الملکيّ (ت: ۱۳۲۴- ...) ---- ۴۵۰

مولى صالح المازندرانيّ (...- ۱۰۸۵ ه) ---- ۴۵۰

الميبديّ (...- ۵۳۰ ه) ---- ۴۵۰

مير محمّديّ (معاصر) ----- ۴۵۱
(ن) ----- ۴۵۱
النّسائيّ (۲۱۵- ۳۰۳) ----- ۴۵۱
النّهاونديّ (...- ۱۳۶۹) ----- ۴۵۱
النّهاونديّ (...- ۱۳۷۱ ه) ----- ۴۵۱
النّيسابوريّ (...- ۷۲۸ ه) ----- ۴۵۱
(و- ى) ----- ۴۵۱
الواحديّ (...- ۴۶۸ ه) ----- ۴۵۱
الوشنويّ (۱۳۲۹- ...) ----- ۴۵۱
اليعقوبيّ (...- ۲۸۴ ه) «۱» ----- ۴۵۲
مصادر الأعلام ----- ۴۵۲
فهرس الموضوعات ----- ۴۵۲
اشارة ----- ۴۵۲
الآيات و تفاسيرها ----- ۴۵۳
النّزول و مراتبه ----- ۴۵۴
النزول منجما ----- ۴۵۵
النبيّ صلّى اللّه عليه و آله و القرآن ----- ۴۵۵
القرآن و الملائكة ----- ۴۵۶
ترتيب التّزول ----- ۴۵۶
البعثة و تاريخ التّزول ----- ۴۵۶
كلام اللّه تعالى ----- ۴۵۶
جبرائيل و القرآن ----- ۴۵۶
الوحى القرآني و السّنّة ----- ۴۵۷
مكاشفات و تنبيهات ----- ۴۵۷

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية -- ۴۵۷

نصوص فی علوم القرآن

اشارة

نام کتاب: نصوص فی علوم القرآن

سرشناسه : موسوی دارابی، علی، ۱۳۳۴ -

عنوان و نام پدیدآور : نصوص فی علوم القرآن/ تالیف علی الموسوی‌الدارابی؛ باشراف محمد واعظزاده‌الخراسانی.

مشخصات نشر : مشهد: مجمع البحوث الاسلامیه، ۱۴۲۲ق.-=۱۳۸۰-.

مشخصات ظاهری : ج.

شابک : دوره: ۹۶۴-۴۴۴-۳۸۰-۲ ؛ ج. ۱: ۹۶۴-۴۴۴-۳۸۱-۰ ؛ ج. ۳: ۹۶۴-۴۴۴-۹۵۷-۶ ؛ ۷۰۰۰۰ریال(ج.۵، چاپ اول)

یادداشت : عربی.

یادداشت : ج. ۳(چاپ سوم:۱۳۸۵).

یادداشت : ج.۵(چاپ اول: ۱۴۲۹ق=۱۳۸۶).

یادداشت : کتابنامه

مندرجات : ج. ۱. النزول.- ج. ۳. جمع‌القرآن.-ج.۵ مصاحف الصحافه،رسم‌القرآن...

موضوع : قرآن -- علوم قرآنی

موضوع : قرآن-- وحی.

شناسه افزوده : واعظ زاده خراسانی، محمد، ۱۳۰۴-، مصحح

شناسه افزوده : بنیاد پژوهشهای اسلامی

رده بندی کنگره : BP۶۹/۵/م۸ن۶ ۱۳۸۰

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵

شماره کتابشناسی ملی : م۷۹-۲۴۱۲۹

تاریخ وفات مؤلف: معاصر

تعداد جلد: ۱

نوبت چاپ: اوّل

الفهرس العام

التّصدیر ۹

المدخل فی أقسام الکتاب ۲۱

القسم الأوّل: نزول القرآن و فیه أبواب:

الباب الأوّل: کیفیّة النّزول، و فیه فصول:

الفصل الأوّل نصّ البخاریّ ۳۱

الفصل الثّانی نصّ الطّبریّ ۳۴

الفصل الثّالث نصّ ثقة الإسلام الکلینیّ ۵۱

الفصل الرّابع نصّ الشّیخ الصّدوق و الشّیخ المفید ۵۴

الفصل الخامس نصّ الشّریف المرتضی ۵۷

الفصل السّادس نصّ البیهقیّ ۶۶

الفصل السّابع نصّ الشّیخ الطّوسیّ ۷۳

الفصل الثّامن نصّ الواحدیّ ۷۷

الفصل التّاسع نصّ المیبدیّ ۷۹

الفصل العاشر نصّ الشّیخ أبی الفتوح الرّازیّ ۸۶

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶

الفصل الحادی عشر نصّ الزّمخشریّ و نصّ السیّد الشّریف ۹۰

الفصل الثّانی عشر نصّ الطّبرسیّ ۹۷

الفصل الثّالث عشر نصّ ابن الجوزیّ ۱۰۶

الفصل الرّابع عشر نصّ الفخر الرّازیّ ۱۰۹

الفصل الخامس عشر نصّ أبی شامة ۱۳۶

الفصل السّادس عشر نصّ القرطبیّ ۱۴۹

الفصل السّابع عشر نصّ البیضاویّ ۱۵۸

الفصل الثّامن عشر نصّ النّیسابوریّ ۱۶۱

الفصل التّاسع عشر نصّ ابن جزیّ الکلبیّ ۱۶۱

الفصل العشرون نصّ أبی حیّان ۱۷۰

الفصل الحادی و العشرون نصّ ابن کثیر ۱۷۹

الفصل الثّانی و العشرون نصّ الزّرکشیّ ۱۸۶

الفصل الثّالث و العشرون نصّ ابن حجر العسقلانیّ ۱۸۹

الفصل الرّابع و العشرون نصّ السّیوطیّ ۱۹۷

الفصل الخامس و العشرون نصّ القسطلانیّ ۲۱۴

الفصل السّادس و العشرون نصّ شیخ زاده ۲۱۷

الفصل السّابع و العشرون نصّ الخطیب الشّربینیّ ۲۲۴

الفصل الثّامن و العشرون نصّ ملّا فتح اللّه الکاشانیّ ۲۲۷

الفصل التّاسع و العشرون نصّ الشّیخ علی ددة ۲۳۱

الفصل الثّلاثون نصّ صدر المتألّهین ۲۳۸

الفصل الحادی و الثّلاثون نصّ ملّا صالح المازندرانیّ ۲۵۸

الفصل الثّانی و الثّلاثون نصّ الطّریحیّ ۲۶۰

الفصل الثّالث و الثّلاثون نصّ الفیض الکاشانیّ ۲۶۲

الفصل الرّابع و الثّلاثون نصّ البحرانیّ ۲۶۴

الفصل الخامس و الثّلاثون نصّ العلّامة المجلسیّ ۲۶۸

الفصل السّادس و الثّلاثون نصّ البروسوىّ ۲۷۴

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷

الفصل السّابع و الثّلاثون نصّ شبّر ۲۸۳

الفصل الثّامن و الثّلاثون نصّ الآلوسىّ ۲۸۶

الفصل التّاسع و الثّلاثون نصّ البروجردىّ ۳۰۲

الفصل الأربعون نصّ الأصفهانىّ ۳۰۵

الفصل الحادى و الأربعون نصّ السّيّد رشيد رضا ۳۱۰

الفصل الثّانى و الأربعون نصّ ابن باديس ۳۱۲

الفصل الثّالث و الأربعون نصّ الزّنجانىّ ۳۱۸

الفصل الرّابع و الأربعون نصّ النّهاوندىّ (۱) ۳۲۰

الفصل الخامس و الأربعون نصّ النّهاوندىّ (۲) ۳۲۳

الفصل السّادس و الأربعون نصّ المراغى ۳۳۰

الفصل السّابع و الأربعون نصّ سيّد قطب ۳۳۳

الفصل الثّامن و الأربعون نصّ الزّرقانىّ ۳۳۹

الفصل التّاسع و الأربعون نصّ عزّة دروزة ۳۵۹

الفصل الخمسون نصّ الشّعرانىّ ۳۷۳

الفصل الحادى و الخمسون نصّ مالك بن نبىّ ۳۷۸

الفصل الثّانى و الخمسون نصّ الشّيخ أبى زهرة ۳۸۳

الفصل الثّالث و الخمسون نصّ العلّامة الطّباطبائىّ ۳۸۷

الفصل الرّابع و الخمسون نصّ الشّهيد مطهّرىّ ۴۱۹

الفصل الخامس و الخمسون نصّ السّبكى ۴۲۴

الفصل السّادس و الخمسون نصّ الاشيقر ۴۴۱

الفصل السّابع و الخمسون نصّ الشّيخ خليل ياسين ۴۴۵

الفصل الثّامن و الخمسون نصّ الدّكتور صبحىّ الصّالح ۴۴۸

الفصل التّاسع و الخمسون نصّ الدّكتور حجازىّ ۴۶۰

الفصل السّتّون نصّ الخطيب ۴۷۸

الفصل الحادى و السّتّون نصّ الدّكتور العطّار ۴۹۲

الفصل الثّانى و السّتّون نصّ الشّيخ معرفت ۵۰۴

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸

الفصل الثّالث و السّتّون نصّ الآصفىّ ۵۱۳

الفصل الرّابع و السّتّون نصّ الدّكتور أبى شهبة ۵۲۶

الفصل الخامس و السّتّون نصّ الدّكتور خليفة ۵۴۹

الفصل السّادس و السّتّون نصّ القطّان ۵۵۲

الفصل السّابع و السّتون نصّ الدّكتور حجّتى ۵۶۷
الفصل الثّامن و السّتون نصّ الشّيخ محمّد الغزالىّ ۵۷۱
الفصل التّاسع و السّتون نصّ الشّيخ الزّفزاف ۵۷۵
الفصل السّبعون نصّ الشّيخ السّبحانىّ ۵۸۰
الفصل الحادى و السّبعون نصّ الشّيخ الأراكىّ ۵۸۵
الفصل الثّانى و السّبعون نصّ مرتضى العاملىّ ۵۹۱
الفصل الثّالث و السّبعون نصّ الملكىّ ۶۰۴
الفصل الرّابع و السّبعون نصّ السّيد الحكيم ۶۱۷
الفصل الخامس و السّبعون نصّ البوطىّ ۶۲۱
الفصل السّادس و السّبعون نصّ الدّوزدوزانىّ ۶۲۶
الفصل السّابع و السّبعون نصّ السّيد مير محمّدىّ ۶۶۵
الفصل الثّامن و السّبعون نصّ الصّابونىّ ۶۷۱
الفصل التّاسع و السّبعون نصّ الأبيارىّ ۶۸۱
الفصل الثّمانون نصّ الشّرقاوىّ ۶۸۴
الفصل الحادى و الثّمانون نصّ الدّكتور علىّ الصّغير ۶۸۹
الأعلام و المصادر ۷۰۱
مصادر الأعلام ۷۲۳

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۹

تصدير

اشارة

بقلم العلّامة آية اللّه الشّيخ محمّد واعظ زاده الخراسانىّ، مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة و أستاذ علوم القرآن و الحديث بكليّة الإلهيّات و المعارف الإسلاميّة بجامعة مشهد.

نحمد اللّه تبارك و تعالى، و نصلّى و نسلّم على حبيبه محمّد و على آله و صحبه و من اهتدى بهداه.

إنّ هذا الكتاب- كما يدلّ عليه اسمه- يضمّ مجموعة من النّصوص فی علوم القرآن مرتّبة ترتيبا زمانيّا، منذ القدم و حتّى العصر الحاضر.

علوم القرآن

اشارة

تشمل علوم القرآن بمعناها الواسع (لا المعنى الاصطلاحىّ) كلّ علم يتعلّق بالقرآن بأىّ نحو كان. و يمكن تقسيم هذه العلوم إلى ثلاثة أقسام: ۱- علوم للقرآن ۲- علوم فی القرآن ۳- علوم حول القرآن. و فيما يلى بحث موجز حول كلّ قسم من هذه الأقسام الثّلاثة؛ لكى نرى أيّا منها يصدق عليه مصطلح «علوم القرآن».

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۰

۱- علوم للقرآن

یستشفّ من هذا العنوان أنّ المراد منه جمیع العلوم الّتی وجدت لخدمة القرآن، و تمهید الأرضیّة لفهمه و درک معارفه أو اکتناه جوانبه الأخری. و لو أمعنّا النّظر فی علوم الأدب الّتی لها علاقة بالقرآن لرأینا أنّ جمیعها تقریبا ینضوی تحت هذا العنوان. فعلم النّحو- مثلا- قد وجد لهذا الغرض کما هو معروف، و ذلک حینما سمع الإمام علیّ علیه السّلام رجلا یقرأ آیة البراءة علی النّحو التّالی: أَنَّ اللَّهَ بَرِیءٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ وَ رَسُولُهُ «۱» بکسر لام «رسوله»، فالمعنی علی هذا إنّ اللّه متبرّم و مشمئزّ من المشرکین و رسوله. و هذا غلط، فإنّ معنی الآیة هو أنّ اللّه و رسوله متبرّئان من المشرکین. فأدرک علیه السّلام حینذاک الخطر المحدق بالقرآن الکریم، فأحضر أبا الأسود الدؤلیّ، و لقّنه علم النّحو بقوله: «الکلمة اسم و فعل و حرف، و کلّ فاعل مرفوع، و کلّ مفعول منصوب، و کلّ مضاف إلیه مجرور» ثمّ قال له: «انح هذا النّحو»، و لهذا سمّی النّحو نحوا، و اعتبر الإمام علیّ علیه السّلام مبتکر هذا العلم، و قد نقل المرحوم آیة اللّه العظمی النّائینیّ بعض الرّوایات فی هذا الخصوص. «۲»

فعلم النّحو و شقیقه الصّرف قد وضعا لأوّل مرّة للقرآن، ثمّ عمّ اللّغة العربیّة و علومها. کما هو الحال فی علم المنطق؛ إذ ابتکره الفیلسوف الیونانیّ «أرسطو»، للوقوف أمام السّفسطة فی علم الفلسفة، و شمل بعد ذلک جمیع العلوم و خصوصا العلوم العقلیّة.

أمّا علم المعانی و البیان و البدیع فی الإسلام فقد وضع أساسا لدرک سرّ إعجاز القرآن الکریم؛ لأنّ إحدی النّواحی البارزة للإعجاز القرآنیّ منذ بدء النّزول هی بلاغة القرآن الّتی اعتبرت و لا زالت من المسلّمات عند أرباب البلاغة و قد تحدّی بها القرآن غیر مرّة. بید أنّ قواعدها و أسرارها کانت غیر واضحة المعالم، علی أنّ الملحدین فی القرن الثّانی فما بعده أخذوا یشکّکون فی بعض آیات القرآن و عباراته، و کانوا یرمون من وراء ذلک المساس بصحّتها. ممّا حدا بالأدباء المسلمین، و خصوصا المعتزلة منهم أن یهبّوا لبیان کنایات القرآن الّتی تبدوا متشابهة بحسب ظاهرها، و یدعوا إلی التّمعّن فی القرآن من النّاحیة الأدبیّة. و وقفوا شیئا فشیئا علی سرّ إعجاز القرآن الّذی یعدّ أساس هذه العلوم الثّلاثة الّتی یرتبط کلّ منها بإحدی جوانب البلاغة و الفصاحة للقرآن و محسّناته اللّفظیّة و المعنویّة، ثمّ أصبحت فیما بعد ثلاثة علوم مستقلّة عن بعضها بعضا.

---

(۱)- التّوبة ۳.

(۲)- راجع (أجود التّقریرات) للمرحوم آیة اللّه العظمی السّیّد الخوئیّ ۱: ۲۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۱

و ممّا یؤیّد ذلک هو أنّ مواضیع کهذه قد طرحت علی بساط البحث لأوّل مرّة فی کتب الإعجاز القرآنیّ، و لذا فإنّ الشّیخ عبد القاهر الجرجانیّ المتوفّی عام (۴۷۱ ه)- الّذی یعتبر واضع علم البلاغة- قد أطلق علی أحد کتبه اسم «دلائل الإعجاز»، و أطلق علی کتاب آخر له اسم «أسرار البلاغة».

و کان العلماء المتقدّمون یلحظون إعجاز القرآن فی آیاته و عباراته، و لکن بعض علماء العصر الحاضر کالدّکتورة عائشة عبد الرّحمن بنت الشّاطئ طرحت فی کتابها «الإعجاز البیانیّ:

۱۹۴» إعجاز الکلمة فی الاستعمال القرآنیّ، و کذا فعل الشّیخ محمّد أبو زهره فی کتابه «المعجزة الکبری: ۱۰۹» و حذا حذوهما آخرون، و هو رأی ثاقب. و یسعی قسم القرآن فی مجمع البحوث الإسلامیّة تحت إشرافی و بمباشرتی إلی بلوغ هذا الهدف من خلال کتابه المهمّ «المعجم فی فقه لغة القرآن و سرّ بلاغته»، و هو موسوعة قرآنیّة کبیرة.

و أمّا علم اللّغة فإنّه وجد لأوّل مرّة فی صدر الإسلام عند شرح ألفاظ القرآن، و الشّاهد علی هذا أسئلة نافع بن الأزرق (۶۵ ه) لعبد اللّه

بن عبّاس (۶۸ ه)؛ حيث سأله بمائتىّ كلمة تقريبا من كلمات القرآن الكريم، و كان ابن عبّاس يجيبه عنها مستشـهدا بشاهد شعرىّ لكلّ كلمة. «۱»

و تعتبر الكتب الّتى تحمل عنوان «مفردات القرآن» أو «غريب القرآن» أقـدم معاجم اللّغـة العربيّـة. و كان الخليل بن أحمـد الفراهيـدىّ المتوفّى عام (۱۷۵ ه) يستشـهد بالقرآن لشرح معانى الكلمات، أو يعمـد إلى شـرح الآيات فى كتابه «العين» الّـذى يعـدّ رائد المعاجم العربيّة. و كذلك كان شأن تلميذه البارز سيبويه المتوفّى عام (۱۸۰ ه) فقد سـلك نهج أستاذه فى الاقتباس من القرآن بشرح كثير من ألفاظه فى «الكتاب». و قـد أعـددت مقالة بعنوان (علاقة «الكتاب» بالقرآن) للمؤتمر الكبير الّذى عقد فى جامعة شـيراز قبل حوالى ۱۷ سنة بمناسبة مرور ألف و مائتين سنة على وفاة سيبويه، فطبعت بجامعة شيراز ضمن المقالات الفارسيّة المعدّة لذلك المؤتمر.

و لعلّ أقدم كتب تفاسير القرآن تلك الّتى يطلق عليها اسم معانى القرآن، و قد وصـلنا بعضـها اليوم، مثل معانى القرآن للفرّاء المتوفّى عام (۲۰۷ ه)، و هو يحوى شرحا لألفاظ القرآن، و كأنّ

---

(۱)- الإتقان للسّيوطىّ ۲: ۶۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۲

القدماء كانوا يطلقون علم معانى القرآن على علم التّفسير خلال حقبة من الزّمن، و يدعون المفسّرين باسم أصحاب المعانى.

و قبل أن نتصـدّى لبيان القسـمين الآخرين لعلوم القرآن، حرىّ بنا أن نـذكر هنا رأيين لعالمين معاصـرين فى هـذا السّبيل، أى أنّ كثيرا من العلوم الإسلاميّة قد وجدت لخدمة القرآن الكريم.

الرّأى الأوّل: للعلّامة الشّيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر سابقا، المتوفّى عام (۱۳۸۴ ه) و قد كتب مقدّمة «۱» لتفسيره الّذى كان ينشر فى أعداد متتالية لمجلّة «رسالة الإسلام»، و هى من منشورات (دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة) بالقاهرة، ثمّ طبعت أعدادها- و هى ستّون عـددا- فى خمسـة عشر مجلّدا فى كتـاب مستقل من قبـل المجمع العـالمىّ للتّقريب بين المـذاهب الإسـلاميّة و «مجمع البحوث الإسـلاميّة» قال الشّـيخ شـلتوت بعد أن بيّن اهتمام المسلمين بالقرآن اهتماما منقطع النّظير: «لا نكاد نعرف علما من العلوم الّتى اشتغل بها المسلمون فى تاريخهم الطّويل إلّا كان الباعث عليه هو خدمة القرآن الكريم من ناحية ذلك العلم. فالنّحو الّذى يقوّم اللّسان و يعصمه من الخطأ أريـد به خدمـة النّطق الصّـحيح للقرآن، و علوم البلاغـة الّتى تبرز خصائص اللّغـة العربيّـة و جمالها أريـد بها بيان نواحى الإعجاز فى القرآن، و الكشف عن أسراره الأدبيّـة، و تتبع مفردات اللّغـة، و التمـاس شواردهـا و شواهـدها، و ضـبط ألفاظها و تحديـد معانيها، أريـد بها صـيانة ألفاظ القرآن و معانيه أن تعدو عليها عوامل التّحريف أو الغموض، و التّجويد و القراءات لضـبط أداء القرآن و حفـظ لهجاته و التّفسير لبيان معانيه و الكشف عن مراميه، و الفقه لاستنباط أحكامه، و الأصول لبيان قواعـد تشريعه العامّ و طريقة الاسـتنباط منه، و علم الكلام لبيان ما جاء به من العقائد و أسلوبه فى الاستدلال عليها. و قل مثل هذا فى التّاريخ الّذى يشتغل به المسلمون تحقيقـا، لمـا أوحى به الكتـاب الكريم فى مثـل قوله: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ «۲»، وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبـاءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ «۳»، وَ لَقَدْ جاءَهُمْ مِنَ الْأَنْباءِ ما فِيهِ مُزْدَجَرٌ «۴». و قل مثل هذا أيضا فى علم تقويم البلدان، و تخطيط الأقاليم الّذى

---

(۱)- العدد الأوّل الصادر عام ۱۳۶۸: ۱۴.

(۲)- يوسف/ ۳.

(۳)- هود/ ۱۲۰.

(۴)- القمر/ ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۳

یوحی به مثل قوله تعالی: قُلْ سِیرُوا فِی الْأَرْضِ «۱»، فَامْشُوا فِی مَناکِبِها «۲». و فی علوم الکائنات الّتی یوحی بها مثل قوله: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَ جَعَلْنا مِنَ الْماءِ کُلَّ شَیْءٍ حَیٍّ «۳»، أَ لَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ یُزْجِی سَحاباً ثُمَّ یُؤَلِّفُ بَیْنَهُ ثُمَّ یَجْعَلُهُ رُکاماً فَتَرَی الْوَدْقَ یَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَ یُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِنْ جِبالٍ فِیها مِنْ بَرَدٍ فَیُصِیبُ بِهِ مَنْ یَشاءُ وَ یَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ یَشاءُ یَکادُ سَنا بَرْقِهِ یَذْهَبُ بِالْأَبْصارِ* یُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّیْلَ وَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِکَ لَعِبْرَةً لِأُولِی الْأَبْصارِ* وَ اللَّهُ خَلَقَ کُلَّ دَابَّةٍ مِنْ ماءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی بَطْنِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی رِجْلَیْنِ وَ مِنْهُمْ مَنْ یَمْشِی عَلی أَرْبَعٍ یَخْلُقُ اللَّهُ ما یَشاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ «۴»

و هکذا علوم الفلک و النّجوم و الطّبّ، و علوم الحیوان و النّبات و غیر ذلک من علوم الإنسان، لا یخلو علم منها أن یکون الاشتغال به- فی نظر من اشتغل به من المسلمین- مقصودا به خدمة القرآن، أو تحقیق إیحاء أوحی به القرآن. حتّی الشّعر إنّما اشتغلوا به ترقیة لأذواقهم و تربیة لملکاتهم، و إعدادا لها کی تفهم القرآن و تدرک جمال القرآن. و حتّی العروض کان من أسباب عنایتهم به أنّه وسیلة لمعرفة بطلان قول المشرکین: إنّ محمّدا شاعر، و إنّ ما جاء به شعر.

و عقّب الشّیخ شلتوت فی نهایة حدیثه قائلا:

لهذا کلّه أعتقد أنّی لا أتجاوز حدّ القصد و الاعتدال إذا قلت: إنّه لم یظفر کتاب من الکتب سماویّا کان أو أرضیّا فی أیّة أمّة من الأمم قدیمها و حدیثها بمثل ما ظفر به القرآن علی أیدی المسلمین، و من شارک فی علوم المسلمین ... انتهی موضع الحاجة.

الرّأی الثّانی: للمحقّق الشّهیر سعید الأفغانیّ، و قد اقتبسناه من مقدّمته علی کتاب «حجّة القراءات: ۱۹» «۵» للإمام أبی زرعة المتوفّی بعد المائة الرّابعة للهجرة؛ قال الأفغانیّ- و قد حقّق الکتاب-: «بین علوم القرآن الکریم و علوم اللّغة العربیّة ترابط محکم، فمهما تتقن من علوم العربیّة و أنت خاوی الوفاض من علوم القرآن فعلمک بها ناقص واهی الأساس، و قدمک فیها غیر

---

(۱)- الأنعام/ ۱۱.

(۲)- الملک/ ۱۵.

(۳)- الأنبیاء/ ۳۰.

(۴)- النّور/ ۴۵- ۴۳.

(۵)- طبع مؤسّسة الرّسالة فی بیروت، تحقیق سعید الأفغانیّ.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۴

ثابتة، و تصوّرک للغة غامض، یعرّضک لمزالق تشرف منها علی السّقوط کلّ لحظة. و سبب ذلک واضح لکلّ من ألمّ بتاریخ العربیّة، فهو یعلم حقّ العلم أنّها جمیعا نشأت حول القرآن و خدمة له، فمتن اللّغة اهتمّ قبل کلّ شیء بشرح مفردات القرآن. و تجد غیر واحد من المؤلّفین الأوّلین ألّف فی غریب القرآن و غریب الحدیث.

و النّحو و الصّرف أنشئا لعصمة اللّسان عن الخطأ فی التّلاوة أوّل الأمر، و کان الحافز علی التّفکیر فی وضعهما أخطاء فی التّلاوة بلغت مسامع المسئولین فتنادوا لتدارک الأمر. و علوم البلاغة همّها جلاء روعة البیان القرآنیّ لأذهان النّاس؛ لیتذوّقوا حلاوته، و تتلقّح ملکاتهم بفصاحته.

لذا کان أمرا طبیعیّا قیام أئمّة القرّاء بعلوم العربیّة، و کان کبارهم أئمّة العربیّة الفحول، کأبی عمرو بن العلاء (۱۵۴ ه)، و یعقوب الحضرمیّ (۲۰۵ ه)، و ابن محیصن (۱۲۳ ه)، و الیزیدیّ (۲۰۲ ه)، و قبله الخلیل بن أحمد (۱۷۵ ه)، حتّی الکسائیّ (۱۸۹ ه) فی کوفته علی ضعف ملکته، و کذلک الرّواة عنهم. و هذا الإمام ابن مجاهد (۳۲۴ ه) مسبّع السّبعة یقول: لا یقوم بالتّمام إلّا نحویّ عالم بالقراءات، عالم بالتّفسیر، عالم بالقصص و تلخیص بعضها من بعض، عالم باللّغة الّتی نزل بها القرآن «۱». انتهی موضع الحاجة.

و أنا أقول: إنّ هذه الآصرة المتلاحمة بين القرآن و اللّغة العربيّة أفرزت علما جديدا يدعى باسم (تأثير القرآن فى اللّغة العربيّة و آدابها)، فألّفت كتب عديدة فى هذا المضمار.

أجل، لقد ولدت علوم كثيرة فى ظلّ القرآن، و لا ـ زالت تتمخّض علوم أخرى، و أخيرا انخرط الكمبيوتر فى جوقة علوم القرآن و خدمته.

۲- علوم فى القرآن

و هى العلوم الّتى استنبطت من القرآن، و تبيّن بنحو ما مفهوما من مفاهيم القرآن و توضّح أغراضه، كأنواع التّفاسير و أقسامها، و علم الفقه و علم الكلام و علم الأخلاق، و كافّة العلوم الشّرعيّة الأخرى المستخرجة من القرآن بأىّ كيفيّة كانت.

و لعلّه يمكن القول بأنّ هذه العلوم غير محدودة؛ لقوله تعالى: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ

---

(۱) الوقف و الابتداء لابن الأنبارىّ: ۲۵، طبعة دمشق، تحقيق الأستاذ محيى الدّين رمضان.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵

تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ «۱».

و من المسلّم به أنّ علوم القرآن لا متناهية على الرّغم ممّا نلمّ به إلى هذه السّاعة، فمثلا هناك قسم من التّفسير يدعى بالتّفسير العلمىّ، و له ارتباط بالعلوم الطّبيعيّة؛ إذ كلّما تطوّرت هذه العلوم يطرأ عليه تحوّل و تغيّر. فقد تحدّث القرآن عن النّجوم و الأجرام و الجبال و البحار و الرّياح و الأمطار و السّحاب و غيرها من الظّواهر الطّبيعيّة. هذا على الرّغم من أنّ الهدف الأساسىّ للقرآن هو معرفة اللّه لا وصف الطّبيعة، إلّا أنّ ما تناوله القرآن حول عالم الخليقة تلميحا أو تصريحا له حقيقة، و سوف تدرك العلوم البشريّة كنهه تدريجيّا.

و قد دوّنت كتب عديدة و تفاسير كثيرة فى مجال علاقة العلوم مع القرآن، و نحن نبارك هذه المحاولات و نشدّ عضد من يسعى إلى ذلك، بشرط أن لا ـ ينزع إلى الإفراط، و يلجأ إلى فرض هذه العلوم على القرآن. و حبّذا لو اكتشف علماء الإسلام أسرار الكون و استنبطوها من القرآن قبل أن يطّلع عليها الخبراء و المختصّون، و يكونوا روّاد الحركة العلميّة دائما و لا يسيروا خلفها كما هو الحال عند المسلمين!.

۳- علوم حول القرآن

المقصود من هذه النّقطة جعل القرآن محورا و موضوعا للبحث و التّحقيق، كما هو الحال فى الطّبّ مثلا؛ إذ جعل جسد الإنسان موضوعا و محورا لهذا العلم. إنّ القرآن محور علم أو علوم تبيّن أبعاده المختلفة بشكل واف و نحو كاف، و من ثمّ يصطلح على نتيجة هذه البحوث اسم علوم القرآن. و هذا هو المراد بقولنا: «نصوص فى علوم القرآن».

و قد ذكر العلّامة السّيوطىّ فى كتابه الشّهير «الإتقان فى علوم القرآن» ثمانين علما من علوم القرآن، و جعل لكلّ علم بابا، ثمّ تناوله شرحا و تفصيلا، و بيّن أسماء الكتب الّتى ألّفت فى كلّ علم من هذه العلوم، مثل نزول القرآن، و المكّى و المدنىّ، و جمع القرآن، و قراءات القرآن، و التّفسير و المفسّرين، و الأمثال و الأقسام، و الكنايات و المبهمات، و النّاسخ و المنسوخ، و المحكم و المتشابه، و إعجاز القرآن، و هلمّ جرّا.

و يعتبر كتاب «الإتقان» أساسا لعلوم القرآن على الدّوام قديما و حديثا، و جاءت على غراره كتب أخرى مثل «البرهان فى علوم القرآن» للزّركشىّ (۷۴۵- ۷۹۴ ه) و قد ألّف قبل

---

(۱)- النّحل/ ۸۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶

«الإتقان» و الإتقان تحریر له، و «مناهل العرفان» للزّرقانیّ، و «مباحث فی علوم القرآن» للدّکتور صبحی الصّالح، و «التّمهید فی علوم القرآن» للعلّامة المعاصر الشّیخ هادی معرفت، و کثیر غیرها ممّا ألّف قبل البرهان و بعده، و نحن قد استقینا النّصوص من جمیع هذه المصادر و غیرها.

و ممّا یجدر ذکره هنا هو أنّ أحد العلماء المتأخّرین فی مصر قد عدّ (۲۵۰) علما من هذه العلوم فی کتابه المسمّی «الزّیادة و الإحسان فی علوم القرآن»، و لکنّه فی الحقیقة عدّ کلّ بحث علما واحدا، و کذا فعل السّیوطیّ؛ حیث یمکن أن تردّ کلّ هذه العلوم إلی علم واحد، و تعدّ مباحثا لذلک العلم نفسه. و قد کان بعض هذه العلوم علما مستقلّا فیما سبق، کعلم القراءات، و علم النّاسخ و المنسوخ، و علم التّفسیر، و علم غریب القرآن، و غیرها. و من المعلوم أنّ تاریخ التّفسیر و أسالیبه یعتبران من علوم القرآن، و أمّا التّفسیر نفسه فهو علم مستقلّ بذاته.

و الملاحظة الأخری هی أنّ جمیع هذه العلوم کانت تذکر قبل قرن تقریبا تحت عنوان علوم القرآن، و قد بحث عنها فی الکتب الآنفة الذّکر أیضا، ثمّ ذکر بعض مباحثها فیما بعد بعنوان تاریخ القرآن، و یبدو أنّ أوّل من سلک هذا المسلک هم المستشرقون، و من ثمّ حذا حذوهم العلماء المسلمون خلال الکتب الّتی تحمل هذا العنوان. و قد تناولت کتب «تاریخ القرآن» الأبعاد التّاریخیّة للقرآن، کأسماء القرآن و سوره، و عدد السّور، و المکّیّ و المدنیّ، و کتابة القرآن، و المصاحف، و رسم القرآن، و ربّما تاریخ القراءات و القرّاء أیضا. و أصبح تاریخ القرآن مادّة دراسیّة تدرّس الیوم فی الجامعات.

کما ظهر إلی الوجود علم آخر تفرّع من علوم القرآن أطلق علیه اسم أسالیب التّفسیر أو المدارس التّفسیریّة، و أضحی علما مستقلّا یدرّس کمادّة درسیّة. و لعلّ أوّل من لحظ استقلالیّته عن سائر العلوم هو المستشرق الألمانیّ غولدزیهر (۱۸۵۰- ۱۹۲۱ م)، و هو یهودیّ مجریّ الأصل، و له کتاب باسم «مذاهب التّفسیر الإسلامیّ» أفرغ فیه سمومه النّاقعة، و هو ما کان یهدف إلیه. و کتب بعده جماعة آخرون منهم العالم المصریّ المعاصر الدّکتور محمّد حسن الذّهبیّ- و قد شاهدته و التقیت به فی القاهرة، ثم ارتقی إلی منصب وزارة الأوقاف فی مصر و اغتیل حین ذاک رحمه اللّه- حیث ألّف کتاب «التّفسیر و المفسّرون»، و هو أهمّ کتاب فی هذا الحقل بالرّغم من بعض النّواقص الّتی تعتوره و الأخطاء الّتی صدرت عنه.

و بعد انفصال هذین العلمین عن علوم القرآن یبقی تحت هذا العنوان سائر المباحث الّتی

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۷

تعرّضوا لها باسم علوم القرآن، فلا بدّ من أن یجتنب عن تکرارها فی الدّراسات الجامعیّة تحت عنوانین.

و أمّا البحث حول هذا الکتاب فکما یلی

یضمّ هذا الکتاب بین دفّتیه- کما تقدّم- مجموعة نصوص فی علوم القرآن، مدرجة حسب التّرتیب الزّمنیّ، اعتبارا من القرن الثّالث الهجریّ حتّی العصر الحاضر. و نعنی بالنّصوص هنا جمیع الأقوال و الرّوایات الموجودة فی کتب التّفسیر و علوم القرآن و فی کتب الحدیث و تاریخ القرآن و غیرها من الکتب المؤلّفة فی هذا المضمار، سواء کانت مدوّنة من قبل أهل السّنّة أم من قبل الشّیعة، و لا یمتاز بعضها عن بعض إلّا بمیّزة الزّمان و القدم. و طبیعیّ أنّنا لا نوافق جمیع ما نقل عنها، خاصّة فی بدء الوحی.

و لعلّ قائلا یقول: إنّ تلک الآراء و الرّوایات قد وردت فی بعض الکتب المشهورة فی علوم القرآن ککتاب «الإتقان فی علوم القرآن» للعلّامة السّیوطیّ المتوفّی عام (۹۱۱ ه) فما الفائدة من جمعها و تصنیفها من جدید؟

نقول: إنّ من یتصفّح الکتاب یلمس سقم هذا الرّأی؛ لأنّ أغلب النّصوص الواردة فی کتب الحدیث و التّفسیر تخصّ علوم القرآن، بید

أنّها لم تجمع فى مصنّف إلى الآن. علاوة على أنّ أكثر المؤلّفين فى هـذا الميـدان هم من السّـنّة، و جلّ هؤلاء لم يطّلعوا على روايات الشّيعة و آرائهم، و خصوصا الشّـيعة الإماميّة. و لذا عمدنا فى هذا الكتاب إلى إرداف هذه الآراء بآراء علماء السّـنّة جنبا إلى جنب، و هو نهـج قويم فى المقارنـة بين آراء هـذا المـذهب و سائر المـذاهب الأخرى فى مضـمار علوم القرآن، و فى الحقيقة يعدّ هذا الكتاب دراسة مقارنة فى هذا الميدان.

و نهـدف من وراء تـأليف الكتـاب إلى جمع الآراء و مـدّ يـد العون إلى المحقّقين و الباحثين فحسب؛ لكى تكون فى متناول أيـديهم، دون أن يتجشّموا عناء البحث و يضيّعوا الوقت عبثا؛ لأنّ الحجر الأساس للتّحقيق فى كلّ علم من العلوم و خصوصا فى العلوم النّقليّة هو آراء المتقدّمين و ما أثر عنهم، و لا بدّ أن يؤخذ هذا الأمر بنظر الاعتبار فى كافّة العلوم النّقليّة.

و من البـديهىّ أنّ أكثر الأقـوال توجـد فى مقـدّمات التّفاسـير و فى كتب علوم القرآن، إلّا أنّهـا لا تفى بالغرض؛ إذ ينبغى الرّجوع إلى كافّة كتب التّفسير و البلاغة و التّاريخ و الفهارس، و خصوصا الكتاب القيّم «فهرست ابن النّديم» الّذى ألّف عام (۳۷۷ ه) و اقتباس كلّ نصّ يتعلّق بمبحث من

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸

المباحث القرآنيّة من طيّات هذه الكتب، و هذا ما عملنا به فى هذا الكتاب.

و من المسلّم به أنّ عملا شاملا و متشعّبا كهـذا لا جرم أن يؤلّف وفق نظم خاصّ، كتبويب مواضيعه و تنظيم موادّه، و هـذا ما تمّ هنا بالفعـل، فقسّـمنا الكتـاب إلى أقسام؛ فالقسم الأوّل يبحث حول نزول القرآن، و فيه أربعـة أبواب؛ الأوّل: كيفيّـة نزول القرآن، و الثّانى: كيفيّة نزول الوحى، و الثّـالث: بـدء الوحى، أوّل و آخر مـا نزل، و الرّابع: السّور المكّيّـة و المدنيّـة و ترتيب نزولها. ثمّ يتلوه فى القسـم الثّانى و الأقسام الأخرى، بحث جمع القرآن و المصـاحف و كيفيّـة القراءات، و غيرهـا من المواضيع المـذكورة فى الفهرس العامّ للكتاب.

و كان لا بـدّ بعـد ذلك من ترتيب النّصوص المتعلّقة بالموضوع بحسب التّرتيب الزّمانىّ الّذى انتهجناه فى كلّ مبحث، ابتداء من أقدم نصّ و انتهاء بأحدث نصّ حرّر فى العصر الحاضر، و هذا ما حصل فى كلّ فصل خاصّ بذكر رأى كلّ علم من الأعلام. إلّا أنّ ما ينقل عن عـالم لا يعنى أنّه يمثّل جميع آرائه الشّخصيّة، بل يتضـمّن أقوال الآخرين إضافـة إلى قوله. و لـذا وضـعنا لكلّ فصل عنوانا جامعا يشـمل جميع الآراء و الأقوال، فمثلا ذكرنـا فى بـاب كيفيّـة النّزول: فصـل مـا نصّ البخـارىّ، فصل ما نصّ الطّبرىّ، و هكـذا فى سائر الفصول.

و يحدث أحيانا أن يلفّق بين آراء عـالمين أحـدهما مؤلّف كتـاب و الثّـانى معلّق عليه و كانا يعيشـان فى زمانين، كما فعلنا ذلك فى تفسير الكشّاف للزّمخشرىّ المتوفّى عام (۵۳۸ ه) و شارحه السّيّد الشّريف المتوفّى عام (۸۱۶ ه)؛ إذ لم يراع هنا عامل الزّمان. لأنّه كان يستلزم التّفريق بين النّصّين.

و قد ذكرنا مصادر الكتاب و أشـفعناها بترجمة إجماليّة لأصحاب الكتب الّتى استقينا منها عند الابتداء بكلّ نصّ، إضافة إلى ما ذكرناه فى فهرس الأعلام و المصادر بتفصيل أكثر.

إنّ إحـدى المشاكـل الّتى يعانيهـا من أراد جمع النّصوص بأسـرها فى مواضيعها هو تكرار المطالب الواردة فى الكتب المختلفـة بلفظ واحد أو بألفاظ متفاوتة. و قد تجاوزنا بعون اللّه هذه المشكلة بحذف المكرّرات إلى حدّ لا يخلّ بمحتواها، ثمّ التّنبيه على ورود النّصّ فى ما تقدّم فى الكتاب من أقوال المتقدّمين مع تعيين الجزء و الصّفحة؛ لكى يسهل الرّجوع إليه بيسر و سهولة.

و يستثنى من ذلك بعض النّصوص الّتى يؤدّى حـذفها اعتمادا على ما تقـدّم إلى إحداث خلل فى الموضوع، فنحجم عندئذ عن ذلك اضطرارا، و نأتى بالنّصوص عينا من أجل تفاوت بيّن بينها و بين ما سبقها من النّصوص و لو كانت تبدو مكرّرة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹

و على الرّغم من الجهود المبذولة حين البحث عن الكتب المؤلّفة فی هذا الميدان إلّا أنّنا لم نعثر على بعضها، ممّا حدا بنا أن نضع مستدركا لنصوصها فی المستقبل، و لكنّنا قد نهلنا قدر المستطاع من المصادر الأصليّة المهمّة.

لقد أوعزت أوّل الأمر فی تأليف هذا الكتاب إلى قسم القرآن، و بعد الموافقة عليه تحمّل عبء هذه المهمّة آخر المطاف سماحة حجّة الإسلام السّيد علیّ الموسویّ الدّارابیّ (سدّده اللّه)، و بقيت طيلة هذه المدّة معه أرشده إلى الرّأی الأصيل، و أسدّده نحو السّبيل. كما هديته إلى المصادر، و أشرت عليه بوضع عناوين الكتاب و ترتيب أبوابه و فصوله و كيفيّة نقل النّصوص و ترجمتها من الفارسيّة و غير ذلك. و قد لبّى سماحته طلبی و عمل بكلّ ما أشرت عليه.

و إنّی أحمد اللّه تعالى لما وفّقنی لإنجاز هذا المشروع الكبير، و أشكر السّيّد الموسویّ الّذی تلقّى ما أشرت إليه بصدر رحب، و صبر طويل حتّى نهاية المطاف.

و أشكر أيضا مسئولی مجمع البحوث الإسلاميّة الموقّرين، و الهيئة المشرفة على سير أعماله الّذين صوّتوا لطبع الكتاب، و على رأسهم حجّة الإسلام و المسلمين سماحة الشّيخ الإلهیّ الخراسانیّ المحترم رئيس المجمع الّذی مهّد الطّريق لإخراجه، و أرفدنا بإرشاداته القيّمة.

و أملنا أن يدرك العلماء و المحقّقون فی مجال القرآن مدى أهميّة هذا المشروع، و يثمّنوا الجهود الّتی أخرجته إلى حيّز الوجود. كما نأمل منهم أن يوافوا قسم القرآن بآرائهم حول مادّة الكتاب و محتواه؛ لكی نراعی ذلك فی الطّبعات و المجلّدات القادمة. و الحمد للّه أوّلا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

محمّد واعظزاده الخراسانیّ مدير قسم القرآن بمجمع البحوث الإسلاميّة

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۱

المدخل فی «أقسام الكتاب»

اشارة

الحمد للّه ربّ العالمين، و الصّلاة و السّلام على نبيّنا محمّد و آله الطّاهرين و صحبه الميامين، و من اهتدى بهداهم إلى يوم الدّين.

أمّا بعد؛ فهذا كتاب «نصوص فی علوم القرآن» حاو لشتات ما يرتبط بعلوم القرآن من النّصوص المتفرّقة فی كتب الحديث و التّفسير و علوم القرآن و غيرها، ممّا اطّلعنا عليها من الآثار عامّة من المتقدّمين و المتأخّرين و المعاصرين تقدّمه إلى الباحثين و المحقّقين فی حقل القرآن الكريم، تسهيلا عليهم الرّجوع إلى المصادر و توفيرا لهم الأسباب و الوسائل؛ لتكون لهم قريبة المتناول، سهلة المرام.

و يشتمل الكتاب على أقسام و تتفرّع إلى أبواب؛

القسم الأوّل: «نزول القرآن» و فيه أربعة أبواب:

الباب الأول كيفيّة نزول القرآن

الباب الثّانی كيفيّة نزول الوحی و أقسامه.

الباب الثّالث بدء الوحی، و أوّل و آخر ما نزل.

الباب الرّابع السّور المكّيّة و المدنيّة و ترتيب نزولها.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۲

القسم الثّانی: «جمع القرآن» و فيه عشرة أبواب:

الباب الأوّل كتّاب الوحی و حفّاظه.

الباب الثّانی كیفیّة جمع القرآن.

الباب الثّالث صیانة القرآن عن التّحریف.

الباب الرّابع مصاحف الصّحابة.

الباب الخامس رسم القرآن و شكله و نقطه.

الباب السّادس أسامی القرآن و السّور.

الباب السّابع تناسب السّور و الآیات.

الباب الثّامن أقسام السّور.

الباب التّاسع عدد السّور و الآیات و الكلمات و الحروف.

الباب العاشر الأجزاء و الأحزاب و الأعشار.

القسم الثّالث: «القراءات» و فیه ستّة أبواب:

الباب الأوّل علم اختلاف القراءات.

الباب الثّانی القرّاء السّبعة و رواتهم.

الباب الثّالث اختلاف القراءات السّبعة و نموذج منها.

الباب الرّابع القرّاء غیر السّبعة و قراءاتهم.

الباب الخامس علم الحجّة علی القراءات.

الباب السّادس نزول القرآن علی سبعة أحرف.

القسم الرّابع «۱»: «أسباب النّزول».

القسم الخامس: «إعجاز القرآن».

القسم السّادس: «الحروف المقطّعة».

القسم السّابع: «بلاغة القرآن».

القسم الثّامن: «غریب القرآن و مفرداته».

القسم التّاسع: «الوجوه و النّظائر».

---

(۱)- و جدیر بالذّكر أنّ القسم الرّابع و ما بعده من الأقسام، لم تجمع نصوصها و متونها كاملة، حتّی نجعلها مبوّبة كما فعلنا فی قسم النّزول و الجمع و القراءة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۳

القسم العاشر: «المحكم و المتشابه».

القسم الحادی عشر: «التّنزیل و التّأویل».

القسم الثّانی عشر: «النّاسخ و المنسوخ».

القسم الثّالث عشر: «التّفسیر و المفسّرون».

القسم الرّابع عشر: «الاستعاذة و البسملة».

القسم الخامس عشر: «أمثال القرآن».

القسم السّادس عشر: «أعلام القرآن».

القسم السّابع عشر: «أقسام القرآن».

القسم الثّامن عشر: «التّكرار فى القرآن».

القسم التّاسع عشر: «الأدعية فى القرآن».

القسم العشرون: «فضائل القرآن».

القسم الحادى و العشرون: «ما ألّف فى علوم القرآن».

طريقة العمل

أ- مراجعة مصادر و كتب الفريقين، ككتب علوم القرآن و التّفسير و التّاريخ، و الاقتباس منها.

ب- إعداد و جمع النّصوص الأوّليّة من هذه المصادر و الكتب، ثمّ تنظيم كلّ نصّ بشكل ملفّ مستقلّ، و ترتيبها حسب تاريخ وفيات المؤلّفين.

ج- عرض كلّ نصّ على النّصوص المتقدّمة، لحذف الزّوائد و المكرّرات، إلّا إذا كان يختلف عنها اختلافا يسيرا لفظا و معنى، أو كان مختصرا، كى لا يتخلّل النّصوص فاصل، أو يعتورها نقص. و إن لوحظ تكرار يسير فى بعض النّصوص، و لكن قد يكون ذلك- مع كون ألفاظه المختلفة و نكاته اللّطيفة- مفيدا للمحقّقين فى استنتاج المواضيع و جمعها و اختلاف الآراء و تعدّدها.

د- ضبط الآيات و ترقيمها حسب السّور و تطبيقها على رسم الخطّ القرآنيّ المقرّر لدينا.

ه- ضبط أسماء الأعلام و المفردات الغريبة.

و- مقابلة النّصوص المقتبسة بمصادرها الأصليّة، و تصحيح أخطائها الّتى تتعلّق غالبا بتلك

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۴

المصادر.

ز- كتابة الألفاظ طبق قواعد الإملاء الحديث، و وضع علامات التّرقيم خلال العبارات.

و ممّا يجدر ذكره هنا أنّ جميع المراحل المتقدّمة قد قطعت بإرشاد و إشراف الاستاذ سماحة آية اللّه الشّيخ محمّد واعظزاده الخراسانيّ، واضع هذا المشروع و مبتكره، و قد راجعه عدّة مرّات، رغم ضيق وقته، و أبدى خلالها ملاحظات سديدة و قيّمة.

رعاية الأمانة العلميّة

لقد اقتبست نصوص هذه الموسوعة القرآنيّة من أصلها دون أىّ تغيير أو تصرّف. و لا شكّ أنّ فيها آراء سقيمة و روايات ضعيفة تعارض القرآن و السّنّة، و لا سيّما نصوص المتقدّمين، بيد أنّنا نقلناها بعين ألفاظها كما حكينا النّقود عليها كذلك، و أنطنا صحّتها و سقمها بالباحث الأريب، و القارئ اللّبيب.

الزّوائد و الإضافات فى النّصّ

ألجأتنا الضّرورة إلى وضع عبارات فى المتن عند حذف قسم من النّصّ لتكراره، و إحالته إلى النّصوص المتقدّمة، أو وضع عناوين عامّة لبعض النّصوص الّتى لا تحمل عنوانا، أو إضافة بعض التّوضيحات و غير ذلك. و قد وضعنا تلك العبارات بين معقوفتين، تمييزا لها عن عبارات النّصّ.

الهدف إلى تأليف هذه الموسوعة

إنّ الهدف الأساسیّ و الأسمی الّذی دعا إلی إعداد و جمع هذه النّصوص هو عرض آراء المحقّقین الماضین و المعاصرین، الملفّقة مع أحادیث النّبی صلّی اللّه علیه و آله و أئمّة أهل البیت علیهم السّلام، و أقوال الصّحابة و التّابعین فی میدان القرآن و علومه، و الّتی لا زالت إلی الآن متفرّقة فی بطون الکتب.

و لهذا أقدمنا علی تألیف و تنظیم هذه الموسوعة، لیکون هذا الأمر قریب المتناول بالنّسبة إلی محقّقی هذا العصر و العصور اللّاحقة. و قد صرفنا فی إخراج هذه الموسوعة غایة جهدنا، و نقلنا قدر الاستطاعة عن کافّة العلماء و المحقّقین الکبار، سواء کانوا متقدّمین أم متأخّرین أو معاصرین، و ما استثنینا النّاقدین أو ناقلی أقوال الآخرین، و لم یبدوا أیّ رأی لهم أیضا، فأوردنا نصوصهم مستقلّة، لکی تکون هذه الموسوعة جامعة و کاملة، و لا تدع شیئا إلّا أتت به و استدرکته.

و لکن هناک نصوص و آراء أهملنا ذکرها لأمرین:

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۵

أ- عدم ذکرها المواضیع المتعلّقة بأبحاثنا، أو ذکرها بصورة مختصرة أو مشابهة لما ذکرناه.

ب- تعذّر العثور علی بعض المصادر، و هذه إحدی مشاکل عملنا، إذ مهما حاولنا تذلیلها، عسر علینا أمرها. إلّا أنّ أغلب ما فی هذه المصادر ملفّق بین بعض نصوص المتأخّرین و المعاصرین.

حوز قصب السّبق

إنّ هذه الموسوعة لا نظیر لها فی حجمها و استیعابها لما جمع من آراء العلماء و المحقّقین لکلا الفریقین، السّابقین منهم و اللّاحقین، و فی تلفیقها بین أحادیث النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و أحادیث أهل البیت الطّاهرین علیهم السّلام و الصّحابة. و لا ینکر أنّ هناک مصادر کثیرة فی میدان علوم القرآن، تحمل عناوین مختلفة، إلّا أنّ هذه الموسوعة- بعد مقارنتها بها- تبذّها جمیعا، لما تتّصف به من المزایا المذکورة.

شکر و تقدیر

أوجّه شکری و امتنانی إلی أعضاء قسم القرآن لتعاونهم معنا، و أخصّ بالذّکر منهم الأستاذ ناصر النّجفیّ الّذی راجع النّصوص، و سعی إلی ترجمة بعضها من الفارسیّة إلی العربیّة، و سماحة حجّة الإسلام و المسلمین الشّیخ محمّد حسن مؤمنزاده الّذی راجع الکتاب و سعی إلی إعداد طبعه، و إلی الزّمیل المحترم السّیّد خضر فیض اللّه لمقابلة الکتاب، و کذلک السّیّد حسین الطّائی (عضو قسم الحاسوب) لقیامه بتنضید الحروف.

و فی الختام؛ نسأل اللّه تعالی أن یوفّقنا لإتمام هذا المشروع الکبیر، لکی ینتفع به العلماء و الباحثون، آملین من ذوی النّظر و البصیرة أن یتحفونا بآرائهم القیّمة البنّاءة.

السّیّد علیّ الموسویّ الدّارابیّ ۱۳ رجب ۱۴۲۱ ه ۲۰/ ۷/ ۱۳۷۹ ش

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۷

القسم الأوّل فی نزول القرآن و فیه أربعة أبواب:

اشارة

الباب الأوّل: فی کیفیّة نزول القرآن

الباب الثّانی: فی کیفیّة نزول الوحی و أقسامه

الباب الثّالث: فی بدء الوحی و أوّل و آخر ما نزل

الباب الرّابع: فی السّور المکّیة و المدنیّة و ترتیب نزولها

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۹

الباب الأوّل فی کیفیّة نزول القرآن و فیه فصول

اشارة

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱

الفصل الأوّل نصّ البخاریّ (م: ۲۵۶ ه) فی «الجامع الصّحیح»

[کیفیّة نزول القرآن]

قال ابن عبّاس: المهیمن الأمین؛ القرآن أمین علی کلّ کتاب قبله. حدّثنا عبید اللّه بن موسی عن شیبان عن یحیی عن أبی سلمة، قال: أخبرتنی عائشة و ابن عبّاس رضی اللّه عنهم، قالا: لبث النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بمکّة عشر سنین، ینزل علیه القرآن، و بالمدینة عشرا. (۶: ۲۲۳)

حدّثنا موسی بن إسماعیل، قال: حدّثنا أبو عوانة، قال حدّثنا موسی بن أبی عائشة، قال حدّثنا سعید بن جبیر عن ابن عبّاس فی قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یعالج من التّنزیل شدّة، و کان ممّا یحرّک شفتیه. فقال ابن عبّاس:

فأنا أحرّکهما لکم کما کان رسول اللّه یحرّکهما. و قال سعید: أنا أحرّکهما کما رأیت ابن عبّاس یحرّکهما. فحرّک شفتیه. فأنزل اللّه تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱» قال: جمعه له فی صدرک و تقرأه فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۲» قال: فأستمع له و أنصت. ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ: ثمّ إنّ علینا أن تقرأه فکان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بعد ذلک إذا أتاه جبریل أستمع، فإذا انطلق جبریل قرأه النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کما قرأه.

---

(۱)- القیامة/ ۱۶ و ۱۷.

(۲) القیامة/ ۱۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۲

حدّثنا عبدان، قال: أخبرنا عبد اللّه، قال: أخبرنا یونس عن الزّهریّ، حدّثنا بشر بن محمّد، قال: أخبرنا عبد اللّه، قال: أخبرنا یونس و معمّر عن الزّهریّ نحوه، قال: أخبرنی عبید اللّه بن عبد اللّه عن ابن عبّاس، قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم أجود النّاس، و کان صلّی اللّه علیه و سلم أجود ما یکون فی رمضان حین یلقاه جبریل، و کان یلقاه فی کلّ لیلة من رمضان فیدارسه القرآن، فلرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم أجود بالخیر من الرّیح المرسلة. (۱: ۴- ۵)

و قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ: و قال ابن عبّاس: سدی هملا، لِیَفْجُرَ أَمامَهُ سوف أتوب سوف أعمل، لا وَزَرَ لا حصن.

حدّثنا الحمیدیّ، حدّثنا سفیان، حدّثنا موسی بن أبی عائشة، و کان ثقة عن سعید بن جبیر عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه قال: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه الوحی حرّک به لسانه، و وصف سفیان یرید أن یحفظه، فأنزل اللّه: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ*

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ.

حدّثنا عبيد اللّه بن موسى عن إسرائيل عن موسى بن أبى عائشة، أنّه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ قال: و قال ابن عبّاس: كان يحرّك شفتيه إذا أنزل عليه، فقيل له: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ يخشى أن ينفلت منه. إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: أن نجمعه فى صدرك، وَ قُرْآنَهُ: أن تقرأه فَإِذا قَرَأْناهُ يقول: أنزل عليه فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ أن نبيّنه على لسانك. قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: قال ابن عبّاس: قَرَأْناهُ: بيّناه، فَاتَّبِعْ اعمل به.

حدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا جرير عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس فى قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ: قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا نزل جبريل بالوحى و كان ممّا يحرّك به لسانه و شفتيه فيشتدّ عليه، و كان يعرف منه، فأنزل اللّه الآية الّتى فى (لا اقسم بيوم القيامة): لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ قال: علينا أن نجمعه فى صدرك و قرآنه. فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: فإذا أنزلناه فاستمع ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: علينا أن نبيّنه بلسانك قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳

ذهب قرأه كما وعده اللّه: أَوْلى لَكَ فَأَوْلى «۱» توعّد. (۶: ۲۰۲)

باب كان جبريل يعرض القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم

و قال مسروق عن عائشة عن فاطمة عليها السّلام: «أسرّ إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أنّ جبريل يعارضنى بالقرآن كلّ سنة، و إنّه عارضنى العام مرّتين، و لا أراه إلّا حضر أجلى».

حدّثنا يحيى بن قزعة، حدّثنا إبراهيم بن سعد عن الزّهرىّ عن عبيد اللّه بن عبد اللّه عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه قال: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أجود النّاس بالخير، و أجود ما يكون فى شهر رمضان؛ لأنّ جبريل كان يلقاه فى كلّ ليلة فى شهر رمضان، حتّى ينسلخ يعرض عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الرّيح المرسلة.

حدّثنا خالد بن يزيد، حدّثنا أبو بكر عن أبى حصين عن أبى صالح عن أبى هريرة، قال: كان يعرض على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم القرآن كلّ عام مرّة، فعرض عليه مرّتين فى العام الّذى قبض، و كان يعتكف كلّ عام عشرا، فاعتكف عشرين فى العام الّذى قبض. (۶: ۲۲۹)

---

(۱)- القيامة/ ۳۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴

الفصل الثّانى نصّ الطّبرىّ (م: ۳۱۰ ه) فى «جامع البيان» «۱»

اشارة

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵.

فإنّه ذكر أنّه نزل فى ليلة القدر من اللّوح المحفوظ إلى سماء الدّنيا فى ليلة القدر من شهر رمضان، ثمّ أنزل إلى محمّد صلّى اللّه عليه و سلم على ما أراد اللّه إنزاله إليه.

كما حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا أبو بكر بن عيّاش، عن الأعمش، عن حسّان بن أبى الأشرس، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس،

قال: أنزل القرآن جملة من الذّكر فى ليلة أربع و عشرين من رمضان، فجعل فى بيت العزّة.

قال أبو كريب: حدّثنا أبو بكر، و قال ذلك السّدّىّ، حدّثنى عيسى بن عثمان، قال: ثنا يحيى عن عيسى عن الأعمش، عن حسّان، عن سعيد بن جبير، قال: نزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر فى شهر رمضان، فجعل فى سماء الدّنيا.

حدّثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا عبد اللّه بن رجاء، قال: ثنا عمران القطّان، عن قتادة، عن ابن أبى المليح، عن واثلة، عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «نزلت صحف إبراهيم أوّل ليلة من شهر رمضان، و أنزلت التّوراة لستّ مضين من رمضان، و أنزل الإنجيل لثلاث عشرة خلت، و أنزل القرآن لأربع و عشرين من رمضان».

---

(۱)- و قد ذكر شطرا منه الحاكم النّيسابورىّ فى المستدرك على الصحيحين.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۵

حدّثنى موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السّدّىّ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، أمّا أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ فإنّ ابن عبّاس قال: شهر رمضان، و اللّيلة المباركة: ليلة القدر، فإنّ ليلة القدر هى اللّيلة المباركة، و هى فى رمضان، نزل القرآن جملة واحدة من الزّبر إلى البيت المعمور، و هو مواقع النّجوم فى السّماء الدّنيا حيث وقع القرآن، ثمّ نزل على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم بعد ذلك فى الأمر و النّهى، و فى الحروب رسلا رسلا.

حدّثنا ابن المثنّى، قال: ثنا عبد الوهّاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: أنزل اللّه القرآن إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، فكان اللّه إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه، فهو قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ «۱».

حدّثنا ابن المثنّى، قال: ثنا ابن أبى عدىّ، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، فذكر نحوه، و زاد فيه: فكان بين أوّله و آخره عشرون سنة.

حدّثنا ابن المثنّى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن كلّه جملة واحدة فى ليلة القدر فى رمضان إلى السّماء الدّنيا، فكان اللّه إذا أراد أن يحدث فى الأرض شيئا أنزله منه حتّى جمعه.

حدّثنى يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا حصين، عن حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: أنزل القرآن فى ليلة القدر من السّماء العليا إلى السّماء جملة واحدة، ثمّ فرّق فى السّنين بعد. قال: و تلا ابن عبّاس هذه الآية فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ «۲» قال: نزل مفرّقا.

حدّثنا يعقوب، قال: ثنا ابن عليّة، عن داود، عن الشّعبىّ، قال: بلغنا أنّ القرآن نزل جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا.

حدّثنى المثنّى، قال: ثنا سويد بن نصر، قال: أخبرنا ابن المبارك، قرأه ابن جريج فى قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ قال: قال ابن عبّاس: أنزل القرآن جملة واحدة على جبريل فى ليلة القدر، فكان لا ينزل منه إلّا بأمر، قال ابن جريج: كان ينزل من

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الواقعة/ ۷۵

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶

القرآن فى ليلة القدر كلّ شىء ينزل من القرآن فى تلك السّنة، فنزل ذلك من السّماء السّابعة على جبريل فى السّماء الدّنيا، فلا ينزل جبريل من ذلك على محمّد إلّا ما أمره به ربّه، و مثل ذلك إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ و إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ «۱».

حدّثنى المثنّى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبيد اللّه بن موسى، عن إسرائيل، عن السّدّىّ، عن محمّد بن أبى المجالد، عن مقسم، عن ابن عبّاس، قال له رجل: إنّه قد وقع فى قلبى الشّكّ من قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ، و قوله:

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ، و قد أنزل اللّه فی شوّال و ذی القعدهٔ و غیره، قال: إنّما أنزل فی رمضان فی لیلهٔ القدر و لیلهٔ مبارکهٔ جملهٔ واحدهٔ، ثمّ أنزل علی مواقع النّجوم رسلا فی الشّهور و الأیّام. (۲: ۱۴۴– ۱۴۶)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا ... الإسراء/ ۱۰۶

اختلفت القرّاء فی قراءهٔ ذلک، فقرأته عامّهٔ قرّاء الأمصار: (فرقناه) بتخفیف الرّاء من فرقناه، بمعنی أحکمناه و فصّلناه و بیّناه. و ذکر عن ابن عبّاس، أنّه کان یقرأه بتشدید الرّاء «فرّقناه»، بمعنی نزّلناه شیئا بعد شیء، آیهٔ بعد آیهٔ، و قصّهٔ بعد قصّهٔ.

و أولی القراءتین بالصّواب عندنا القراءهٔ الأولی؛ لأنّها القراءهٔ الّتی علیها الحجّهٔ مجمعهٔ، و لا یجوز خلافها فیما کانت علیه مجمعهٔ من أمر الدّین و القرآن. فإذا کان ذلک أولی القراءتین بالصّواب، فتأویل الکلام وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً و فصّلناه قرآنا، و بیّناه و أحکمناه لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ و بنحو الّذی قلنا فی ذلک من التّأویل قال جماعهٔ من أهل التّأویل.

حدّثنی علیّ، قال: ثنا عبد اللّه، قال: ثنی معاویهٔ، عن علیّ، عن ابن عبّاس، قوله:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ یقول: فصّلناه.

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسین، قال: ثنی حجّاج، عن أبی جعفر، عن الرّبیع، عن أبی العالیهٔ، عن أبیّ بن کعب: أنّه قرأ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ مخفّفا، یعنی بیّناه.

---

(۱)– الدّخان/ ۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۷

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسین، قال: ثنی حجّاج، عن ابن جریج، قال: قال ابن عبّاس وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ قال: فصّلناه.

حدّثنا ابن المثنّی، قال: ثنا بدل بن المخبر، قال: ثنا عبّاد، یعنی ابن راشد، عن داود، عن الحسن أنّه قرأ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ خفّفها، فرق اللّه بین الحقّ و الباطل. و أمّا الّذین قرءوا القراءهٔ الأخری، فإنّهم تأوّلوا ما قد ذکرت من التّأویل.

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسین، قال: ثنی حجّاج، عن أبی جعفر، عن الرّبیع، عن أبی العالیهٔ، قال: کان ابن عبّاس یقرأها و قرآنا فرّقناه مثقّلهٔ، یقول: أنزل آیهٔ آیهٔ.

حدّثنا ابن المثنّی، قال: ثنا یزید بن هارون، قال: أخبرنا داود، عن عکرمهٔ، عن ابن عبّاس، قال: قال: أنزل القرآن جملهٔ واحدهٔ إلی السّماء الدّنیا فی لیلهٔ القدر، ثمّ أنزل بعد ذلک فی عشرین سنهٔ، قال: وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً «۱» وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۲».

حدّثنا الحسن بن یحیی، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادهٔ، فی قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ: لم ینزل جمیعا، و کان بین أوّله و آخره نحو من عشرین سنهٔ.

حدّثنی یونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زید فی قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ قال: فرقه، لم ینزله جمیعه. و قرأ وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً «۳» ... حتی بلغ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً ینقض علیهم ما یأتون به.

و کان بعض أهل العربیّهٔ من أهل الکوفهٔ یقول: نصب قوله وَ قُرْآناً بمعنی و رحمهٔ، و یتأوّل ذلک وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً «۴»: و رحمهٔ، و یقول: جاز ذلک؛ لأنّ القرآن رحمهٔ، و نصبه علی الوجه الّذی قلناه أولی، و ذلک کما قال جلّ ثناؤه: وَ الْقَمَرَ قَدَّرْناهُ

---

(۱)– الفرقان/ ۳۳.

(۲)– الإسراء/ ۱۰۶.

(۳)- الفرقان/ ۳۲.

(۴)- الفرقان/ ۵۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۸

مَنازِلَ. «۱» و قوله: لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ یقول: لتقرأه علی النّاس علی تؤدة، فترتّله و تبیّنه، و لا تعجل فی تلاوته، فلا یفهم عنک، و بنحو الّذی قلنا فی ذلک قال أهل التّأویل.

حدّثنا محمّد بن بشّار، قال: ثنا عبد الرّحمن، قال: ثنا سفیان، عن عبید المکتب «۲»، قال: قلت لمجاهد: رجل قرأ البقرة و آل عمران، و آخر قرأ البقرة، و رکوعهما و سجودهما واحد، أیّهما أفضل؟ قال: الّذی قرأ البقرة، و قرأ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ.

حدّثنی علیّ، قال: ثنا عبد اللّه، قال: ثنی معاویة، عن علیّ، عن ابن عبّاس، قوله:

لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ یقول: علی تأیید.

حدّثنی محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عیسی؛ و حدّثنی الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جمیعا، عن ابن أبی نجیح، عن مجاهد، قوله: عَلی مُکْثٍ قال: علی ترتیل.

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسین، قال: ثنی حجّاج، عن ابن جریج، قوله: لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ قال: فی ترتیل.

حدّثنی یونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زید فی قوله: لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ، قال: التّفسیر الّذی قال اللّه وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا: تفسیره.

حدّثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزّاق، قال: أخبرنا الثّوریّ، عن عبید، عن مجاهد، قوله: لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ علی تؤدة. و فی المکث للعرب لغات: مکث، و مکث، و مکث و مکّیثی مقصور، و مکثانا، و القراءة بضمّ المیم.

و قوله: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا یقول تعالی ذکره: فرّقنا تنزیله، و أنزلناه شیئا بعد شیء.

کما حدّثنی یعقوب، قال: ثنا ابن علیّة، قال: حدّثنا عن أبی رجاء، قال: تلا الحسن وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا قال: کان اللّه تبارک و تعالی

---

(۱)- یس/ ۳۹.

(۲)- المکتب اسم فاعل، من أکتب أو من کتّب بالتّشدید و هو المعلّم، یعلّم الصّبیان کتابة القرآن فی ألواحهم.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۹

ینزّل هذا القرآن بعضه قبل بعض؛ لما علم أنّه سیکون و یحدث فی النّاس، لقد ذکر لنا أنّه کان بین أوّله و آخره ثمانی عشرة سنة، قال: فسألته یوما علی سخطة، فقلت: یا أبا سعید وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ فثقّلها أبو رجاء، فقال الحسن: لیس «فرّقناه»، و لکن (فرقناه)، فقرأ الحسن مخفّفة. قلت: من یحدّثک هذا یا أبا سعید؟ أصحاب محمّد؟ قال: فمن یحدّثنیه؟

قال: أنزل علیه بمکّة قبل أن یهاجر إلی المدینة ثمانی سنین، و بالمدینة عشر سنین.

حدّثنا بشر، قال ثنا یزید، قال ثنا سعید، عن قتادة، قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا لم ینزل فی لیلة و لا لیلتین، و لا شهر و لا شهرین، و لا سنة و لا سنتین، و لکن کان بین أوّله و آخره عشرون سنة و ما شاء اللّه من ذلک.

حدّثنا بشر، قال ثنا یزید، قال: ثنا سعید، عن قتادة، عن الحسن، قال: کان یقول:

أنزل علی نبیّ اللّه القرآن ثمانی سنین و عشرا بعد ما هاجر، و کان قتادة یقول: عشرا بمکّة، و عشرا بالمدینة. (۱۵: ۱۷۸- ۱۸۰)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴.

يقول تعالى ذكره: فارتفع الّذى له العبادة من جميع خلقه، الملك الّذى قهر سلطانه كلّ ملك و جبّار، الحقّ عمّا يصفه به المشركون من خلقه. وَ لاـ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، يقول جلّ ثناؤه لنبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و سلم و لا تعجل يا محمّد بالقرآن، فتقرئه أصحابك أو تقرأه عليهم من قبل أن يوحى إليك بيان معانيه، فعوتب على إكتابه و إملائه ما كان اللّه ينزله عليه من كتابه من كان يكتبه ذلك، من قبل أن يبيّن له معانيه. و قيل: لا تتله على أحد، و لا تمله عليه، حتّى نبيّنه لك. و بنحو الّذى قلنا فى ذلك قال أهل التّأويل.

حدّثنى محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم. قال: ثنا عيسى، و حدّثنى الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبى نجيح، عن مجاهد، قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ قال: لا تتله على أحد حتّى نبيّنه لك.

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجّاج. عن ابن جريج، قال: يقول: لا تتله على أحد حتّى نتمّه لك، هكذا قال القاسم: حتّى نتمّه.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰

حدّثنى محمّد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمّى، قال: ثنى أبى، عن أبيه عن ابن عبّاس، عن أبيه، قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ يعنى لا تعجل حتّى نبيّنه لك.

حدّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، أى بيانه.

حدّثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق. قال: أخبرنا معمر. عن قتادة وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ قال: تبيانه.

حدّثنا ابن المثنّى و ابن بشّار، قالا: ثنا محمّد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ من قبل أن يبيّن لك بيانه. (۱۶: ۲۱۹- ۲۲۰)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ... الفرقان/ ۳۲.

يقول تعالى ذكره: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا باللّه لَوْ لاـ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، يقول: هلّا نزّل على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم القرآن جُمْلَةً واحِدَةً. كما أنزلت التّوراة على موسى جملة واحدة؟ قال اللّه: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ تنزيله عليك الآية بعد الآية، و الشّىء بعد الشّىء لنثبت به فؤادك نزّلناه.

حدّثنى محمّد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمّى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عبّاس: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا قال: كان اللّه ينزّل عليه الآية، فإذا علمها نبىّ اللّه نزلت آية أخرى ليعلّمه الكتاب عن ظهر قلب، و يثبت به فؤاده.

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجّاج، عن ابن جريج، قوله: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كما أنزلت التّوراة على موسى؟ قال:

كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ. قال: كان القرآن ينزّل عليه جوابا لقولهم: ليعلم محمّد أنّ اللّه يجيب القوم بما يقولون بالحقّ. و يعنى بقوله: لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ لنصحّح به عزيمة قلبك، و يقين نفسك، و نشجّعك به.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۱

و قوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا يقول: و شيئا بعد شىء علّمناكه، حتّى تحفّظته، و التّرتيل فى القراءة: التّرسّل و التّثبت. و بنحو الّذى قلنا فى ذلك، قال أهل التّأويل.

حدّثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، فى قوله:

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا قال: نزل متفرّقا.

حدّثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرّزّاق، قال: أخبرنا معمر، عن الحسن، فى قوله:

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا قال: كان ينزل آية و آيتين و آيات، جوابا لهم إذا سألوا عن شىء أنزله اللّه جوابا لهم، و ردّا عن النّبىّ فيما يتكلّمون به، و كان بين أوّله و آخره نحو من عشرين سنة.

حدّثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجّاج، عن ابن جريج، قوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا قال: كان بين ما أنزل القرآن إلى آخره أنزل عليه لأربعين، و مات النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لثنتين أو لثلاث و ستّين. و قال آخرون: معنى التّرتيل التّبيين و التّفسير.

حدّثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن يزيد، فى قوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا قال: فسّرناه تفسيرا، و قرأ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا. (۱۹: ۱۰- ۱۱)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ... الدّخان/ ۳

أقسم جلّ ثناؤه بهذا الكتاب أنّه أنزله فى ليلة مباركة. و اختلف أهل التّأويل فى تلك اللّيلة، أىّ ليلة من ليالى السّنة هى؟ فقال بعضهم: هى ليلة القدر.

حدّثنا بشر، قال ثنا يزيد، ثنا سعيد عن قتادة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ: ليلة القدر. و نزلت صحف إبراهيم فى أوّل ليلة من رمضان، و نزلت التّوراة لستّ ليال من رمضان، و نزل الزّبور لستّ عشرة مضت من رمضان، و نزل الإنجيل لثمان عشرة مضت من رمضان، و نزل الفرقان لأربع و عشرين مضت من رمضان ...

حدّثنى يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد فى قوله عزّ و جلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ قال: تلك اللّيلة ليلة القدر، أنزل اللّه هذا القرآن من

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲

أمّ الكتاب، فى ليلة القدر، ثمّ أنزله على الأنبياء «۱» فى اللّيالى و الأيّام، و فى غير ليلة القدر.

و قال آخرون: بل هى ليلة النّصف من شعبان. (۲۵: ۱۰۷)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵.

قوله: بِمَواقِعِ النُّجُومِ اختلف أهل التّأويل فى معنى ذلك. فقال بعضهم: معناه فلا أقسم بمنازل القرآن، و قالوا: أنزل القرآن على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نجوما متفرّقة.

حدّثنى يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم ... [و ذكر كما تقدّم آنفا، ثمّ قال:]

حدّثنا ابن حميد، قال ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة، فى قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ قال: أنزل اللّه القرآن نجوما ثلاث آيات و أربع آيات و خمس آيات.

حدّثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن عكرمة: أنّ القرآن نزل جميعا، فوضع بمواقع النّجوم فجعل جبريل يأتى بالسّورة، و إنّما نزل جميعا فى ليلة القدر.

حدّثنى يحيى بن إبراهيم المسعودىّ، قال: ثنا أبى، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن مجاهد فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ قال: هو محكم القرآن.

حدّثنى محمّد بن سعد، قال: ثنى عمّى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عبّاس، قوله:

فَلا أَقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... قال: مستقرّ الکتاب أوّله و آخره. و قال آخرون: بل معنی ذلک فلا أقسم بمساقط النّجوم.

حدّثنی محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عیسی؛ و حدّثنی الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جمیعا، عن ابن أبی نجیح، عن مجاهد، قوله بِمَواقِعِ النُّجُومِ قال فی السّماء، و یقال مطالعها و مساقطها.

حدّثنی بشر، قال: ثنا یزید، قال: ثنا سعید، عن قتادة، قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ أی مساقطها. و قال آخرون: بل معنی ذلک بمنازل النّجوم.

---

(۱)- فی فتح القدیر للشّوکانیّ ۴: ۵۵۴، و قال قتادة: أنزل القرآن کلّه فی لیلة القدر من أمّ الکتاب، و هو اللّوح المحفوظ، إلی بیت العزّة فی سماء الدّنیا، ثمّ أنزله اللّه علی نبیّه صلّی اللّه علیه و سلم فی اللّیالی و الأیّام، فی ثلاث و عشرین سنة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۳

حدّثنا ابن عبد الأعلی، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ قال: قال بمنازل النّجوم. و قال آخرون: بل معنی ذلک بانتثار النّجوم عند قیام السّاعة.

حدّثنا بشر، قال: ثنا یزید، قال: ثنا سعید، عن قتادة، فی قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ قال الحسن: انکدارها و انتثارها یوم القیامة.

و أولی الأقوال فی ذلک بالصّواب قول من قال: معنی ذلک فلا أقسم بمساقط النّجوم و مغایبها فی السّماء، و ذلک أنّ المواقع جمع موقع، و الموقع: المفعل، من وقع یقع موقعا، فالأغلب من معانیه، و الأظهر من تأویله، ما قلنا فی ذلک، و لذلک قلنا: هو أولی معانیه به. (۲۷: ۲۰۳)

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ القیامة/ ۱۶- ۱۷.

یقول تعالی ذکره لنبیّه محمّد صلّی اللّه علیه و سلم لا تحرّک یا محمّد بالقرآن لسانک، لتعجل به.

و اختلف أهل التّأویل فی السّبب الّذی من أجله قیل له: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ فقال بعضهم: قیل له ذلک، لأنّه کان إذا نزل علیه منه شیء عجل به، یرید حفظه، من حبّه إیّاه، فقیل له: لا تعجل به، فإنّا سنحفظه علیک.

حدّثنا أبو کریب، قال: ثنا سفیان بن عیینة، عن عمرو بن دینار، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان إذا نزل علیه القرآن تعجّل یرید حفظه، فقال اللّه تعالی ذکره: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ و قال ابن عبّاس: هکذا، و حرّک شفتیه.

حدّثنی عبید بن إسماعیل الهبّاریّ و یونس قالا: ثنا سفیان، عن عمرو، عن سعید بن جبیر: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان إذا نزل علیه القرآن تعجّل به، یرید حفظه؛ و قال یونس: یحرّک شفتیه لیحفظه، فأنزل اللّه: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ

حدّثنی عبید بن إسماعیل الهبّاریّ، قال: ثنا سفیان، عن ابن أبی عائشة، سمع سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس مثله، و قال: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ قال: هکذا، و حرّک سفیان فاه.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴

حدّثنا سفیان بن وکیع، قال: حدثنا جریر، عن موسی بن أبی عائشة، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، فی قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه جبریل بالوحی، کان یحرّک به لسانه و شفتیه، فیشتدّ علیه، فکان یعرف ذلک فیه، فأنزل اللّه هذه الآیة فی (لا اقسم بیوم القیمة): لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ.

حدّثنا ابن حمید، قال: ثنا مهران، عن سفیان، عن موسی بن أبی عائشة، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: کان النّبیّ صلّی اللّه

علیه و سلم إذا نزل علیه القرآن، حرّک شفتیه، فیعرف بذلک، فحاکاه سعید، فقال: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: لتعجل بأخذه.

حدّثنا محمّد بن بشّار، قال: ثنا عبد الرّحمن، قال: ثنا سفیان، عن موسی بن أبی عائشة، قال: سمعت سعید بن جبیر یقول: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ. قال: کان جبریل علیه السّلام ینزل بالقرآن، فیحرّک به لسانه، یستعجل به، فقال: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ.

حدّثنا ابن المثنّی، قال: ثنا ربعیّ بن علیّة، قال: ثنا داود بن أبی هند، عن الشّعبیّ فی هذه الآیة لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: کان إذا نزل علیه الوحی عجل یتکلّم به، من حبّه إیّاه، فنزل لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ.

حدّثنی یونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زید، فی قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: لا تکلّم بالّذی أوحینا إلیک، حتّی یقضی إلیک وحیه، فإذا قضینا إلیک وحیه، فتکلّم به.

حدّثت عن الحسین، قال: سمعت أبا معاذ یقول: ثنا عبید، قال: سمعت الضّحّاک یقول فی قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ قال: کان نبیّ اللّه صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه الوحی من القرآن حرّک به لسانه؛ مخافة أن ینساه.

و قال آخرون: بل السّبب الّذی من أجله قیل له ذلک، أنّه کان یکثر تلاوة القرآن؛ مخافة نسیانه، فقیل له: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنّ علینا أن نجمعه لک. و نقرئکه، فلا تنس.

حدّثنی محمّد بن سعد، قال: ثنی أبی، قال: ثنی عمّی، قال: ثنی أبی، عن أبیه، عن ابن عبّاس فی قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: کان لا یفتر من القرآن مخافة أن ینساه. فقال اللّه: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنّ علینا أن نجمعه لک، وَ قُرْآنَهُ: أن نقرئک فلا تنسی.

حدّثنی محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عیسی؛ و حدّثنی الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جمیعا، عن ابن أبی نجیح عن مجاهد، قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ قال: کان یستذکر القرآن، مخافة النّسیان، فقال له: کفیناکه یا محمّد.

حدّثنی یعقوب بن إبراهیم، قال: ثنا ابن علیّة، قال: ثنا أبو رجاء، عن الحسن، فی قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یحرّک به لسانه لیستذکره، فقال اللّه: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ: إنّا سنحفظه علیک.

حدّثنا بشر، قال: ثنا یزید، قال: ثنا سعید، عن قتادة، قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ کان نبیّ اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یحرّک به لسانه، مخافة النّسیان، فأنزل اللّه ما تسمع.

حدّثنا ابن عبد الأعلی، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یقرأ القرآن، فیکثر مخافة أن ینسی.

و أشبه القولین بما دلّ علیه ظاهر التّنزیل، القول الّذی ذکر عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، و ذلک أنّ قوله: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ینبئ أنّه إنّما نهی عن تحریک اللّسان به، مستعجلا فیه قبل جمعه، و معلوم أنّ دراسته للتّذکّر إنّما کانت تکون من النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم من بعد جمع اللّه له ما یدرّس من ذلک.

و قوله: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ یقول تعالی ذکره: إنّ علینا جمع هذا القرآن فی صدرک یا محمّد، حتّی نثبته فیه وَ قُرْآنَهُ یقول: و قرآنه حتّی تقرأه بعد أن جمعناه فی صدرک. و بنحو الّذی قلنا فی ذلک قال أهل التّأویل.

حدّثنا ابن حمید، قال: ثنا مهران، عن سفیان، عن موسی بن أبی عائشة، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ قال: فی صدرک، وَ قُرْآنَهُ قال: تقرأه بعد.

حدّثنی محمّد بن سعد، قال: ثنی أبی، قال: ثنی عمّی، قال: ثنی أبی، عن أبیه، عن ابن

عبّاس: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أن نجمعه لك، وَ قُرْآنَهُ: أن نقرئك فلا تنسى.

حدّثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضّحّاك يقول فى قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ يقول: إنّ علينا أن نجمعه لك حتّى نثبته فى قلبك و كان آخرون يتأوّلون قوله: وَ قُرْآنَهُ و تأليفه. و كان معنى الكلام عندهم إنّ علينا جمعه فى قلبك حتّى تحفظه، و تأليفه.

حدّثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ يقول: حفظه و تأليفه.

حدّثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ قال:

حفظه و تأليفه. و كأنّ قتادة وجّه معنى القرآن إلى أنّه مصدر من قول القائل: قد قرأت هذه النّاقة فى بطنها جنينا، إذا ضمّت رحمها على ولد، كما قال عمرو بن كلثوم.

ذراعى عيطل أدماء بكرهجان اللّون لم تقرأ جنينا «۱» .

يعنى بقوله: «لم تقرأ» لم تضمّ رحما على ولد. و أمّا ابن عبّاس و الضّحّاك فإنّما وجّها ذلك إلى أنّه مصدر من قول القائل: قرأت أقرأ قرآنا و قراءة.

و قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۲» اختلف أهل التّأويل فى تأويله، فقال بعضهم:

تأويله: فإذا أنزلناه إليك فاستمع قرآنه.

حدّثنا ابن حميد قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن منصور و ابن أبى عائشة، عن سعيد

---

(۱)- البيت من معلّقة عمرو بن كلثوم المشهورة (انظره فى شرحى الزّوزنىّ و التّبريزىّ على المعلّقات) و قال أبو عبيدة فى مجاز القرآن (الورقة: ۱۸۲) (فإذا قرأناه): جمعناه، و هو من قول العرب: ما قرأت هذه المرأة نسلا قط: قال عمرو بن كلثوم:

«لم تقرأ جنينا». ا ه و قال الفرّاء فى معانى القرآن: (۳۵۰) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: جمعه فى قلب، وَ قُرْآنَهُ: قراءته.

أى أنّ جبريل سيعيد عليك. و قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ إذا قرأه عليك جبريل. و القراءة و القرآن: مصدران. كما تقول:

راجح بين الرّجحان و الرّجوح، و المعرفة و العرفان، و الطّواف و الطّوفان (بتحريك الطّاء و الواو). ا ه و فى شرح الزّوزنى:

العيطل: الطّويلة العنق من النّوق. و الأدماء: البيضاء منها، و الأدمة: البياض فى الإبل. و البكر: النّاقة الّتى حملت بطنا واحدا، و يروى بفتح الباء، و هو الفتى من الإبل، و كسر الباء أعلى الرّوايتين. و الهجان الأبيض الخالص البياض. يستوى فيه الواحد و التّثنية و الجمع، و ينعت به الإبل و الرّجال و غيرهما. و لم تقرأ جنينا، أى لم تضمّ فى رحمها ولدا. ا ه

(۲)- القيامة/ ۱۸.

بن جبير، عن ابن عبّاس فَإِذا قَرَأْناهُ: فإذا أنزلناه إليك فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ قال: فاستمع قرآنه.

حدّثنا سفيان عن وكيع، قال: ثنا جرير، عن موسى بن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: فإذا أنزلناه إليك فاستمع له.

و قال آخرون: بل معنى ذلك: إذا تلا عليك فاتّبع ما فيه من الشّرائع و الأحكام.

حدّثنى محمّد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمّى، قال: ثنى أبيه، عن ابن عبّاس فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ يقول: إذا تلا عليك فاتّبع ما فيه.

حدّثنا بشر: قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ يقول: اتّبع حلاله، و اجتنب حرامه.

حدّثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ يقول: فاتّبع حلاله، و اجتنب حرامه.

حدّثت عن الحسین، قال: سمعت أبا معاذ یقول: ثنا عبید، قال: سمعت الضّحّاک یقول فی قوله: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ یقول: اتّبع ما فیه. و قال آخرون: بل معناه فإذا بیّنّاه فاعمل به.

حدّثنا علیّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثنی معاویة، عن علیّ، عن ابن عبّاس، قوله:

فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ یقول: اعمل به.

و أولی هذه الأقوال بالصّواب فی ذلک: قول من قال: فإذا تلی علیک فاعمل به، من الأمر و النّهی، و اتّبع ما أمرت به فیه؛ لأنّه قیل له: إنّ علینا جمعه فی صدرک و قرآنه، و دلّلنا علی أنّه معنی قوله: وَ قُرْآنَهُ و قراءته، فقد بیّن ذلک عن معنی قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ «۱» یقول تعالی ذکره: ثمّ إنّ علینا بیان ما فیه من حلاله و حرامه، و أحکامه لک مفصّلة. و اختلف أهل التّأویل فی معنی ذلک، فقال بعضهم: نحو الّذی قلنا فیه.

حدّثنی محمّد بن سعد، قال: ثنی أبی، قال: ثنی عمّی، قال: ثنی أبی، عن أبیه، عن ابن

---

(۱)- القیامة/ ۱۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۸

عبّاس ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ یقول: حلاله و حرامه، فذلک بیانه.

حدّثنا بشر، قال: ثنا یزید، قال: ثنا سعید، عن قتادة ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ: بیان حلاله و اجتناب حرامه، و معصیته و طاعته.

و قال آخرون: بل معنی ذلک: ثمّ إنّ علینا تبیانه بلسانک.

حدّثنا ابن حمید، قال: ثنا مهران، عن سفیان، عن موسی بن أبی عائشة، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ قال: تبیانه بلسانک. (۲۹: ۱۸۷- ۱۹۰)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلی/ ۶

یقول تعالی ذکره: سنقرئک یا محمّد هذا القرآن فلا تنساه، إلّا ما شاء اللّه.

ثمّ اختلف أهل التّأویل فی معنی قوله: فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ فقال بعضهم: هذا إخبار من اللّه نبیّه علیه الصّلاة و السّلام أنّه یعلّمه هذا القرآن، و یحفظه علیه، و نهی منه أن یعجل بقراءته، کما قال جلّ ثناؤه: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ.

حدّثنی محمّد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عیسی؛ و حدّثنی الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جمیعا، عن ابن أبی نجیح، عن مجاهد، قوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی قال: کان یتذکّر القرآن فی نفسه مخافة أن ینسی، فقال قائلو هذه المقالة: معنی الاستثناء فی هذا الموضع علی النّسیان، و معنی الکلام فلا تنسی، إلّا ما شاء اللّه أن تنساه، و لا تذکره، قالوا: ذلک هو ما نسخه اللّه من القرآن، فرفع حکمه و تلاوته.

حدّثنا بشر، قال: ثنا یزید، قال: ثنا سعید، عن قتادة سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی: کان صلّی اللّه علیه و سلم لا ینسی شیئا إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ.

و قال آخرون: معنی النّسیان فی هذا الموضع التّرک، و قالوا: معنی الکلام سنقرئک یا محمّد فلا تترک العمل بشیء منه، إلّا ما شاء اللّه أن تترک العمل به، ممّا ننسخه.

و کان بعض أهل العربیّة یقول فی ذلک: لم یشأ اللّه أن تنسی شیئا، و هو کقوله:

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۹

خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ «۱» و لا یشاء. قال: و أنت قائل فی الکلام: لأعطینّک کلّ ما سألت إلّا ما شئت، و إلّا أن أشاء أن أمنعک، و النّیّة أن لا تمنعه، و لا تشاء شیئا. قال: و علی هذا مجاری الإیمان، یستثنی فیها، و نیّة الحالف اللّمام.

و القول الّذی هو أولی بالصّواب عندی قول من قال: معنی ذلک فلا تنسی إلّا أن نشاء نحن أن ننسیکه بنسخه و رفعه. و إنّما قلنا ذلک

أولى بالصّواب، لأنّ ذلك أظهر معانيه.

(۳۰: ۱۵۴)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر / ۱

يقول تعالى ذكره: إنّا أنزلنا هذا القرآن جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا في ليلة القدر، و هي ليلة الحكم الّتي يقضي اللّه فيها قضاء السّنة، و هو مصدر من قولهم: قدر اللّه عليّ هذا الأمر، فهو يقدر قدرا. و بنحو الّذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل ...

حدّثنا ابن المثنّى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن كلّه جملة واحدة في ليلة القدر في رمضان إلى السّماء الدّنيا، فكان اللّه إذا أراد أن يحدث في الأرض شيئا أنزله منه حتّى جمعه.

حدّثنا ابن المثنّى قال: ثنا عبد الوهّاب، قال: ثنا داود، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: أنزل اللّه القرآن إلى السّماء الدّنيا في ليلة القدر، و كان اللّه إذا أراد أن يوحي منه شيئا أوحاه، فهو قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ.

قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن داود، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، فذكر نحوه، و زاد فيه، و كان بين أوّله و آخره عشرون سنة.

قال: ثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ، قال: ثنا المعتمر بن سليمان التّيميّ، قال: ثنا عمران أبو العوّام، قال: ثنا داود بن أبي هند، عن الشّعبيّ، أنّه قال في قول اللّه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ قال: نزل أوّل القرآن في ليلة القدر ...

حدّثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليّة، عن داود، عن الشّعبيّ، في قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ

---

(۱)- هود/ ۱۰۷.

نصوص في علوم القرآن، ص: ۵۰

قال: بلغنا أنّ القرآن نزل جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا.

حدّثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن سلمة بن كهيل، عن مسلم، عن سعيد بن جبير: أنزل القرآن جملة واحدة، ثمّ أنزل ربّنا في ليلة القدر فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ. «۱»

قال: ثنا جرير، عن منصور، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، في قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ قال: أنزل القرآن جملة واحدة في ليلة القدر، إلى السّماء الدّنيا، فكان بموقع النّجوم، فكان اللّه ينزّله على رسوله، بعضه في إثر بعض، ثمّ قرأ وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲». (۳۰: ۲۵۸- ۲۵۹)

---

(۱)- الدّخان/ ۴

(۲)- الفرقان/ ۳۱.

نصوص في علوم القرآن، ص: ۵۱

الفصل الثّالث نصّ ثقة الإسلام الكلينيّ (م: ۳۲۹ ه) في «الأصول من الكافيّ»

اشارة

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد؛ و سهل بن زياد، عن منصور بن العبّاس، عن محمّد بن الحسن السّريّ، عن عمّه عليّ بن السّريّ، عن أبي عبد اللّه عليه السّلام قال: «أوّل ما نزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ و

آخره إِذا جاءَ نَصْرُ اللَّهِ» «۱».

علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، و محمّد بن القاسم، عن محمّد بن سليمان، عن داود، عن حفص بن غياث، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته، عن قول اللّه عزّ و جلّ: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ و إنّما أنزل فى عشرين سنة بين أوّله و آخره؟ فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

«نزل القرآن جملة واحدة فى شهر رمضان إلى البيت المعمور، ثمّ نزل فى طول عشرين سنة»: ثمّ قال: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله: «نزلت صحف إبراهيم فى أوّل ليلة من شهر رمضان، و أنزلت التّوراة لستّ مضين من شهر رمضان، و أنزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، و أنزل الزّبور لثمان عشر خلون من شهر رمضان، و أنزل القرآن فى ثلاث و عشرين من شهر رمضان».

---

(۱)- لعلّ المراد أنّه لم ينزل بعدها سورة كاملة فلا ينافى نزول بعض الآيات بعدها كما هو مشهور (مرآة العقول ج/ ۱۲: ۵۱۸).

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۲

علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان، عن ابن مسكان، عن محمّد بن الورّاق قال:

عرضت على أبى عبد اللّه عليه السّلام كتابا فيه القرآن مختّم معشّر بالذّهب «۱»، و كتب فى آخره سورة بالذّهب، فأريته إيّاه فلم يعب فيه شيئا إلّا كتابة القرآن بالذّهب، و قال: «لا يعجبنى أن يكتب القرآن إلّا بالسّواد كما كتب أوّل مرّة».

محمّد بن يحيى، عن عبد اللّه بن محمّد، عن علىّ بن الحكم، عن عبد اللّه بن بكير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «نزل القرآن بإيّاك أعنى و اسمعى يا جارة» «۲».

و فى رواية اخرى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «معناه ما عاتب اللّه عزّ و جلّ به على نبيّه صلّى اللّه عليه و آله. فهو يعنى به ما قد مضى فى القرآن مثل قوله: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلًا «۳»، عنى بذلك غيره».

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن علىّ بن الحكم، عن عبد اللّه ابن جندب، عن سفيان بن السّمط قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام: عن تنزيل القرآن قال: «اقرءوا كما علّمتم». (۲: ۶۲۸- ۶۳۱)

و نصّه أيضا فى «الفروع من الكافى» باب «فضل شهر رمضان»

علىّ بن إبراهيم عن أبيه، عن عبد اللّه بن المغيرة، عن عمرو الشّامى، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِى كِتابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ «۴» «فغرّة الشّهور شهر اللّه عزّ ذكره، و هو شهر رمضان، و قلب شهر رمضان ليلة

---

(۱)- قيل: المختّم ما كان من علامة ختم الآيات فيه بالذّهب، و يمكن أن يراد به النّقش الّذى يكون فى وسط الجلد أو فى الافتتاح و الاختتام، أو فى الحواشى للزّينة.

(۲)- هذا مثل يضرب لمن يتكلّم بكلام يريد به غير المخاطب.

(۳)- الإسراء/ ۷۴.

(۴)- التّوبة/ ۳۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۳

القدر، و نزل القرآن فى أوّل ليلة من شهر رمضان، فاستقبل الشّهر بالقرآن». (۴: ۶۵- ۶۶)

باب فی «لیلة القدر»

عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن علیّ بن الحکم، عن سیف بن عمیرة، عن حسّان بن مهران، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن لیلة القدر، فقال: «التمسها [فی] لیلة إحدی و عشرین أو لیلة ثلاث و عشرین».

أحمد بن محمّد، عن الحسین بن سعید، عن فضالة بن أیّوب، عن العلاء بن رزین، عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما علیهما السّلام قال: سألته عن علامة لیلة القدر فقال: «علامتها أن تطیب ریحها، و إن کانت فی برد دفئت «۱»، و إن کانت فی حرّ بردت فطابت». قال: و سئل عن لیلة القدر، فقال: «تنزّل فیها الملائکة و الکتبة إلی السّماء الدّنیا فیکتبون ما یکون فی أمر السّنة و ما یصیب العباد، و أمره عنده موقوف له و فیه المشیئة، فیقدّم منه ما یشاء و یؤخّر منه ما یشاء، و یمحو و یثبت و عنده أمّ الکتاب».

محمّد بن یحیی، عن أحمد بن محمّد، عن الحسین بن سعید، عن القاسم بن محمّد، عن علیّ بن أبی حمزة، عن أبی بصیر؛ عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «نزلت التّوراة فی ستّ مضت من شهر رمضان، و نزل الإنجیل فی اثنی عشرة لیلة مضت من شهر رمضان، و نزل الزّبور فی لیلة ثمانی عشرة مضت من شهر رمضان و نزل القرآن فی لیلة القدر».

علیّ بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن عمر بن اذینة، عن الفضیل؛ و زرارة، و محمّد بن مسلم، عن حمران، أنّه سأل أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبٰارَکَةٍ «۲» قال: «نعم لیلة القدر، و هی فی کلّ سنة فی شهر رمضان فی العشر
الأواخر، فلم ینزل القرآن إلّا فی لیلة القدر؛ قال اللّه عزّ و جلّ: فِیهٰا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ «۳». (۴: ۱۵۶- ۱۵۷)

---

(۱)- بالدّال المهملة مهموزة اللّام من باب فرج أی سخنت.

(۲)- الدّخان/ ۳.

(۳)- الدّخان/ ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۴

الفصل الرّابع نصّ الشّیخ الصّدوق (م: ۳۸۱ ه) و الشّیخ المفید (م: ۴۱۳ ه)

نزول القرآن فی لیلة القدر

قال الشّیخ الصّدوق: إنّ القرآن نزل فی شهر رمضان، فی لیلة القدر جملة واحدة إلی البیت المعمور، ثمّ نزل من البیت المعمور فی مدّة عشرین سنة، و إنّ اللّه عزّ و جلّ أعطی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله العلم جملة، ثمّ قال: وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضیٰ إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۱». و قال: لاٰ تُحَرِّکْ بِهِ لِسٰانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنٰا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذٰا قَرَأْنٰاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا بَیٰانَهُ «۲». (الاعتقادات ضمن کتاب «شرح الباب الحادی عشر»: ۹۲)

قال الشّیخ المفید: الّذی ذهب إلیه أبو جعفر فی هذا الباب أصله حدیث واحد، لا یوجب علما و عملا. و نزول القرآن علی الأسباب الحادثة حالا فحالا یدلّ علی خلاف ما تضمّنه الحدیث، و ذلک أنّه قد تضمّن حکم ما حدث و ذکر ما جری علی وجهه، و ذلک لا یکون علی الحقیقة إلّا لحدوثه عند السّبب، أ لا تری قوله تعالی: وَ قَوْلِهِمْ قُلُوبُنٰا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّٰهُ عَلَیْهٰا بِکُفْرِهِمْ «۳»، و قوله وَ قٰالُوا لَوْ شٰاءَ الرَّحْمٰنُ مٰا عَبَدْنٰاهُمْ مٰا لَهُمْ بِذٰلِکَ مِنْ

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

(۲)- القیامة/ ۱۶- ۱۹.

(۳)- النساء: ۱۵۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵

عِلْمٍ) «۱»، و هـذا خبر عن ماض، و لا یجوز أن یتقـدّم مخبره، فیکون حینئذ خبرا عن ماض و هو لم یقع، بل هو فی المسـتقبل، و أمثال ذلک فی القرآن کثیرة.

و قد جاء بذکر الظّهار و سببه، و أنّها لمّا جادلت النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله فی محکم الظّهار أنزل اللّه تعالی: (قَدْ سَـمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها) «۲» و هـذه قصّـهٔ کانت بالمدینـهٔ، فکیف ینزل اللّه تعالی الوحی بها بمکّهٔ قبل الهجرهٔ، فیخبر بها أنّها قد کانت و لم تکن؟ و لو تتبّعنا قصص القرآن لجاء ممّا ذکرناه کثیرا لا یتّسع به المقال، و فیما ذکرناه منه کفایهٔ لذوی الألباب، و ما أشبهه ما جاء به الحـدیث بمـذهب المشـبّههٔ الّذین زعموا أنّ اللّه سـبحانه و تعالی لم یزل متکلّما بالقرآن، و مخبرا عمّا یکون بلفظ «کان» و قـد ردّ علیهم أهل التّوحید بنحو ما ذکرناه.

و قـد یجوز فی الخبر الوارد بنزول القرآن جملهٔ فی لیلهٔ القدر أنّه نزل جملهٔ منه فی لیلهٔ القدر، ثمّ تلاه ما نزل منه إلی وفاهٔ النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله، فأمّـا أن یکون نزل بأسره و جمیعه فی لیلـهٔ القـدر فهو بعیـد ممّـا یقتضیـه ظاهر القرآن، و المتواتر من الأخبار و إجماع العلماء علی اختلافهم فی الآراء.

فأمّا قوله تعالی: (وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضـی إِلَیْکَ وَحْیُهُ) «۳»، و فیه وجهان غیر ما ذکره أبو جعفر و عوّل فیه علی حـدیث شاذّ؛

أحدهما: أنّ اللّه تعالی نهاه عن التّسرّع إلی تأویل القرآن قبل الوحی إلیه به، و إن کان فی الإمکان من جهة اللّغهٔ ما قالوه علی مذهب أهـل اللّسان. و الوجه الآخر: أنّ جبرائیل کان یوحی إلیه بالقرآن، فیتلوه معه حرفا بحرف، فأمره اللّه تعالی أن لا یفعل ذلک، و یصـغی إلی ما یأتیه به جبرائیل، أو ینزله اللّه تعالی علیه بغیر واسطهٔ حتّی یحصل الفراغ منه، فإذا أتمّ الوحی به تلاه و نطق به و قرأه.

فأمّا ما ذکره المعوّل علی الحدیث من التّأویل فبعید؛ لأنّه لا وجه لنهی اللّه تعالی له

---

(۱)- الزّخرف/ ۲۰.

(۲)- المجادلهٔ/ ۱.

(۳)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶

عن العجلـهٔ بالقرآن الّـذی هو فی السّـماء الرّابعهٔ، حتّی یقضـی إلیه وحیه؛ لأنّه لم یکن محیطا علما بما فی السّـماء الرّابعهٔ قبل الوحی به إلیه، فلاـ معنی لنهیه عمّـا لیس فی إمکـانه، اللّهم إلّـا أن یقول قائـل ذلـک: إنّه کـان محیطـا علمـا بالقرآن المودع فی السّـماء الرّابعـهٔ، فینتقض کلامـه و مـذهبه إنّه کـان فی السّـماء الرّابعـهٔ؛ لأنّ ما فی صـدر رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و حفظه فی الأرض، فلا معنی لاختصاصه بالسّماء، و لو کان ما فی حفظ رسول اللّه یوصف بأنّه فی السّماء الرّابعهٔ (خاصّهٔ) لکان ما فی حفظ و غیره موصوفا بذلک، و لا وجه یکون حینئـذ؛ لإضافته إلی السّـماء الرّابعـهٔ، و لا إلی السّـماء الأولی، فضـلا عن السّـماء الرّابعـهٔ. و من تأمّل ما ذکرناه علم أنّ تأویل الآیهٔ علی ما ذکره المتعلّق بالحدیث بعید عن الصّواب. «۱»

(تصحیح الاعتقاد: ۱۰۲)

---

(۱)- و قـد أجاب العلّامهٔ المجلسـیّ عمّا أورده الشّـیخ المفید علی الشّیخ الصّدوق رحمهما اللّه تعالی کما یأتی فی الفصل الخامس و

الثّلاثون.

الفصل الخامس نصّ الشّريف المرتضى (م: ۴۳۶ ه) فى «الأمالى»

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ «۱».

فقال: کیف أخبر تعالی بأنّه أنزل فیه القرآن، و قد أنزله فی غیره من الشّهور علی ما جاءت به الرّوایة؟ و الظّاهر یقتضی أنّه أنزل الجمیع فیه، و ما المعنی فی قوله: فَمَنْ شَهِدَ مِنْکُمُ الشَّهْرَ فَلْیَصُمْهُ؟ و هل أراد الإقامة و الحضور اللّذین هما ضدّا الغیبة، أو أراد المشاهدة و الإدراک؟

الجواب، قلنا: أمّا قوله تعالی: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ فقد قال قوم: المراد به أنّه تعالی أنزل القرآن جملة واحدة إلی سماء الدّنیا فی شهر رمضان، ثمّ فرّق إنزاله علی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله بحسب ما تدعو الحاجة إلیه.

و قال آخرون: المراد بقوله: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ أنّه أنزل- فی فرضه و إیجاب صومه علی الخلق- القرآن؛ فیکون فِیهِ بمعنی فی فرضه، کما یقول القائل: أنزل اللّه فی الزّکاة کذا و کذا، یرید فی فرضها، و أنزل اللّه فی الخمر کذا و کذا، یرید فی تحریمها.

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

و هذا الجواب إنّما هرب متکلّفه من شیء، و ظنّ أنّه قد اعتصم بجوابه عنه، و هو بعد ثابت علی ما کان علیه؛ لأنّ قوله: الْقُرْآنُ إذا کان یقتضی ظاهره إنزال جمیع القرآن فیجب علی هذا الجواب أن یکون قد أنزل فی فرض الصّیام جمیع القرآن، و نحن نعلم أنّ قلیلا من القرآن یتضمّن إیجاب صوم شهر رمضان، و أنّ أکثره خال من ذلک.

فإن قیل: المراد بذلک أنّه أنزل فی فرضه شیئا من القرآن، و بعضا منه.

قیل: فألّا اقتصر علی هذا، و حمل الکلام علی أنّه تعالی أنزل شیئا من القرآن فی شهر رمضان و لم یحتجّ إلی أن یجعل لفظة فِیهِ بمعنی فی فرضه و إیجاب صومه.

و الجواب الصّحیح، أنّ قوله تعالی: الْقُرْآنُ فی هذا الموضع لا یفید العموم و الاستغراق، و إنّما یفید الجنس من غیر معنی الاستغراق، فکأنّه قال: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ هذا الجنس من الکلام، فأیّ شیء نزل منه فی الشّهر فقد طابق الظّاهر.

و لیس لأحد أن یقول: إنّ الألف و اللّام هاهنا لا یکونان إلّا للعموم و الاستغراق؛ لأنّا لو سلّمنا أنّ الألف و اللّام صیغة العموم و الصّورة المقتضیة لاستغراق الجنس لم یجب أن یکون هاهنا بهذه الصّفة؛ لأنّ هذه اللّفظة قد تستعمل فی مواضع کثیرة من الکلام و لا یراد بها أکثر من الإشارة إلی الجنس و الطّبقة من غیر استغراق و عموم، حتّی یکون حمل کلام المتکلّم بها علی خصوص أو عموم، کالنّاقض لغرضه و المنافی لمراده، أ لا- تری أنّ القائل إذا قال: فلان یأکل اللّحم، و یشرب الخمر، و ضرب الأمیر الیوم اللّصوص، و خاطب الجند، لم یفهم من کلامه إلّا محض الجنس و الطّبقة من غیر معنی خصوص و لا عموم، حتّی لو قیل له: فلان یأکل جمیع اللّحم، و یشرب جمیع الخمر أو بعضها، لکان جوابه: إنّنی لم أرد عموما و لا خصوصا، إنّما أرید أنّه یأکل هذا الجنس من الطّعام، و یشرب هذا الجنس من الشّراب، فمن فهم من کلامی العموم أو الخصوص فهو بعید من فهم مرادی.

و أری کثیرا من النّاس یغلطون فی هذا الموضع، فیظنّون أنّ الإشارة إلی الجنس من غیر إرادة العموم و الاستغراق لیست مفهومة، حتّی یحملوا قول من قال: أردت الجنس فی کلّ موضع علی العموم، و هذا بعید ممّن یظنّه؛ لأنّه کما أنّ العموم و الخصوص مفهومان فی بعض المواضع بهذه الألفاظ فکذلک الإشارة إلی الجنس و الطّبقة من غیر إرادة عموم و لا

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۹

خصوص مفهومة ممیّزة، و قد ذکرنا أمثلة ذلک. (۲: ۲۵۲- ۲۵۳).

تأویل آیة

إن سأل سائل عن قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۱». نصوص فی علوم القرآن

۵۹ تأویل آیة ..... ص : ۵۹

ال: ما معنی هذه الآیة؟ فإنّ ظاهرها لا یدلّ علی تأویلها.

الجواب، قلنا: قد ذکر المفسّرون فی هذه الآیة وجهین نحن نذکرهما، و نوضّح عنهما، ثمّ نتلوهما بما خطر لنا فیهما زائدا علی المسطور.

و أحد ما قیل فی هذه الآیة: أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان إذا نزل علیه القرآن و سمعه من جبرئیل قرأ علیه السّلام معه ما یوحی به إلیه من القرآن أوّلا- أوّلا قبل استتمامه و الانتهاء إلی المنزّل منه فی الحال، و قطع الکلام علیها، و إنّما کان یفعل النّبیّ علیه السّلام ذلک حرصا علی حفظه و ضبطه، و خوفا من نسیان بعضه، فأنزل اللّه تعالی هذه الآیة؛ لیثبت النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی تلاوة ما یسمعه من القرآن، حتّی ینتهی إلی غایته لتعلّق بعض الکلام ببعض.

قالوا: و نظیر هذه الآیة قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ «۲» فضمن اللّه تعالی أنّه یجمع له علیه السّلام حفظ القرآن، ثمّ یثبّته فی صدره؛ لیؤدّیه إلی أمّته. و أسقط عنه کلفة الاستعجال بترداد تلاوته، و المسابقة إلی تلاوة کلّ ما یسمعه منه؛ تخفیفا عنه و ترفیها له. و أکّدوا ذلک بقوله تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أی إذا انتهینا إلی غایة ما ترید إنزاله فی تلک الحال، فحینئذ اتّبع قراءة ذلک و تلاوته، فلم یبق منه ما ینتظر فی الحال نزوله.

و الوجه الآخر أنّهم قالوا: إنّما نهی النّبیّ علیه السّلام عن تلاوة القرآن علی أمّته و أداء ما یسمعه منه إلیهم، قبل أن یوحی إلیه علیه السّلام ببیانه، و الإیضاح عن معناه و تأویله؛ لأنّ تلاوته علی من لا یفهم معناه، و لا یعرف مغزاه لا تحسن.

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

(۲)- القیامة/ ۱۶- ۱۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰

قالوا: و معنی قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ المراد به قبل أن یقضی إلیک وحی بیانه، و تفسیر معناه؛ لأنّ لفظة «القضاء» و إن کانت علی وجوه معروفة فی اللّغة، فهی هاهنا بمعنی الفراغ و الانتهاء إلی الغایة، کما قال تعالی: فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِی یَوْمَیْنِ «۱».

و کما قال الشّاعر:

و لمّا قضینا من منی کلّ حاجةو مسّح بالأرکان من هو ماسح أی فرغنا من حاجاتنا، و انتهینا إلی غایة الوطر منها.

فأمّا الجواب الثّالث، الزّائد علی ما ذکر: فهو أنّه غیر ممتنع أن یرید، لا تعجل بأن تستدعی من القرآن ما لم یوح إلیک به، فإنّ اللّه تعالی إذا علم مصلحة فی إنزال القرآن علیک أمر بإنزاله، و لم یدّخره عنک؛ لأنّه لا یدّخر عن عباده الاطّلاع لهم علی مصالحهم.

فإن قیل علی هذا الوجه: إنّه یخالف الظّاهر؛ لأنّه تعالی قال: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ و لم یقل بطلبه و استدعائه، و الظّاهر یقتضی أنّ

الاستعجال بنفس القرآن لا بغيره.

قلنا: الأمر على ما ظنّه السّائل. و على الوجوه الثّلاثة فى تأويل الآية لا بدّ من تقدير ما ليس فى الظّاهر؛ لأنّ على الوجهين الأوّلين المذكورين لا بدّ من أن يقدّر: لا تعجل بتلاوة القرآن، إمّا على سبيل الدّرس و التّحفّظ على ما ذكر فى الوجه الأوّل، و أن يتلوه على أمّته قبل إنزال البيان. و أىّ فرق فى مخالفة الظّاهر، بين أن يقدّر: و لا تعجل بتلاوة القرآن، أو يقدّر: لا تعجل بطلب القرآن و استدعاء نزوله؟.

فإن قيل: هذا يدلّ على وقوع معصية من النّبىّ عليه السّلام فى استدعائه ما لم يكن له أن يستدعيه من القرآن؛ لأنّ النّهى لا يكون إلّا عن قبيح.

قلنا: النّهى لا يكون إلّا عن قبيح لا محالة؛ لكنّ النّهى لا يدلّ على وقوع الفعل المنهىّ عنه؛ لأنّه قد ينهى عن الفعل من لم يواقعه قطّ و لا يواقعه، أ لا ترى أنّ النّبىّ عليه السّلام نهى عن الشّرك و سائر القبائح، كما نهينا، و لم يدلّ ذلك على وقوع شىء ممّا نهى عنه منه!

و هذا أيضا يمكن أن يكون جوابا لمن اعتمد على الوجهين الأوّلين إذا قيل له: أ فوقع منه عليه السّلام تلاوة القرآن على أمّته قبل نزول بيانه، أو عجل بتكريره على سبيل الدّرس كما

(۱)- فصّلت/ ۱۲.

نهى عنه؟.

و يمكن من اعتمد على الوجه الأوّل فى تأويل الآية أن يقول فى قوله تعالى: لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ و إن كان ظاهره النّهى ليس بنهى على الحقيقة؛ و قد يرد ما هو بلفظ النّهى و هو غير نهى على التّحقيق، كما يرد ما هو بصفة الأمر و ليس بأمر، و إنّما ذلك تخفيف عنه عليه السّلام و ترفيه، و رفع كلفة المشقّة، فقيل له عليه السّلام: لا تتكلّف المسابقة إلى تكرير ما ينزل عليك خوفا من أن تنساه؛ فإنّ اللّه تعالى يكفيك هذه المئونة، و يعينك عن حفظه و ضبطه، كما قال تعالى فى الآية الأخرى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، أى جمعه فى حفظك و تاموركـ «۱».

و بعد؛ فإنّ الأولى التّوقّف عن معرفة غاية الكلام الّتى ينتهى إليها، و يقطع عليها.

و التّلاوة لما يرد منه الأوّل فالأوّل؛ تلاوة لما لا يعرف معناه؛ لتعلّق الكلام بعضه ببعض؛ فندب عليه السّلام إلى الأولى من التّوقّف على غايته.

و أمّا الوجه الثّانى: الّذى اعتمد فيه على أنّ النّهى إنّما هو عن تلاوته على الأمّة قبل نزول بيانه، فإن كان المعتمد على ذلك يقول: ليس يمتنع أن تكون المصلحة فى التّوقّف عن الأداء قبيل البيان، فنهى عليه السّلام عن ذلك؛ لأنّ المصلحة فى خلافه، فهذا جائز لا مطعن فيه. و إن كان القصد إلى أنّ الخطاب لا- يحسن إلّا مع البيان- على مذهب من يرى أنّ البيان لا يتأخّر عن الخطاب- فذلك فاسد؛ لأنّ الصّحيح أنّ البيان يجوز أن يتأخّر عن وقت الخطاب، و إنّما لا يجوز تأخيره عن وقت الحاجة.

و قد بيّنّا الكلام فى هذه المسألة، و الأدلّة على صحّة ما ذهبنا إليه منها فى مواضع من كتبنا، و تكلّمنا على فساد قول من أوجب اقتران البيان بالخطاب.

على أنّ من اعتمد على هذه الطّريقة فى هذا الموضع فقد غلط؛ لأنّ الآية تدلّ على أنّ اللّه تعالى قد خاطب نبيّه عليه السّلام بما يحتاج إلى بيان من غير انضمام البيان إليه. و إذا جاز ذلك فى خطابه تعالى لنبيّه عليه السّلام جاز مثله فى خطاب النّبىّ عليه السّلام لأمّته؛ لأنّ من أبطل تأخير البيان عن زمان الخطاب يوجب ذلك فى كلّ خطاب.

(۱)- التّأمور: القلب.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۲

و لیس یمکن أن یدّعی أنّه تعالی قد بیّن له؛ لأنّ تأویلهم یمنع من ذلک، لأنه قیل له علی هذا الوجه: لا تعجل بتلاوة القرآن علی أمّتک قبل أن یقضی إلیک وحیه، یعنی قبل أن ینزل إلیک بیانه، فالبیان متأخّر عنه علی ذلک الوجه، و ذلک قبیح علی مذهب من منع من تأخیر البیان من وقت الخطاب.

و التّأویل الّذی ذکرناه زائدا علی الوجهین المذکورین یمکن أن تفسّر به الآیة الأخری الّتی هی قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ، بطلب ما لم ینزل علیک من القرآن، فإنّ علینا إنزال ما تقتضی المصلحة إنزاله علیک و جمعه لک، و قوله تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ، یدلّ ظاهره علی جواز تأخیر البیان عن وقت الخطاب؛ لأنّه تعالی أمره. إذا قرأ علیه الملک و أوحی به إلیه أن یقرأه، ثمّ صرّح بأنّ البیان یأتی بعده؛ فإنّ ثُم لا یکون إلّا للتّراخی، و ما هو مقترن بالشّیء لا تستعمل فیه لفظة ثُم أ لا تری أنّه لا یقال: أتانی زید ثمّ عمرو، و إنّما حضرا فی وقت واحد!. (۲: ۳۵۸- ۳۶۱)

و نصّه أیضا فی «رسائله»

کیفیّة نزول القرآن

ما القول عنده فیما ذهب إلیه أبو جعفر ابن بابویه رضی اللّه عنه، من أنّ القرآن نزل جملة واحدة علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلی أن یعلم به جملة واحدة، و انصرف علی قوله سبحانه: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱» الآیة، إلی أنّ العلم به جملة واحدة، انتفی علی الّذین حکی اللّه سبحانه عنهم هذا لا عنه علیه السّلام بقول اللّه تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۲». و ذلک علی مقتضی ثبوت هذه الصّفة للعموم المستغرق یدلّ علی ما ذهب إلیه، إذ

---

(۱)- الفرقان/ ۳۱.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۳

ظاهره أقوی من الظّاهر المتقدّم. و لو تکافئا فی الظّاهر، لوجب تجویز ما ذهب إلیه، إلّا أن یصرف عنه دلیل قاطع یحکم علی الآیتین جمیعا، و لیس للعقل فی ذلک مجال، فلا بدّ من سمع لا یدخله الاحتمال.

و یلزم تجویز ما ذهب إلیه أیضا علی مقتضی ثبوت هذه الصّورة مشترکة بین العموم و الخصوص علی سواء.

و قد جاءت روایات إن لم یوجب القطع بهذا الجائز أوجبت ترجیحه و نحوها، یقتضی أنّ اللّه سبحانه أنزل القرآن علی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله جملة واحدة، ثمّ کان جبرئیل علیه السّلام یأتیه عن اللّه سبحانه، بأن یظهر فی کلّ زمان ما یقتضیه الحوادث و العبادات المشروعة فیه، و أشهد علی ذلک بقوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۱».

فإن یکن القطع بذلک صحیحا علی ما ذهب إلیه أبو جعفر رضی اللّه عنه أنعم بذکره و تصرّفه، و إن یکن عنده باطلا تطول بالإبانة عن بطلانه و کذب روایته، و إن کان التّرجیح له، أولی ذکره، و إن کان الصّحیح عنده، تکافؤ الجائزین نظره إنشاء اللّه تعالی.

الجواب:

أمّا إنزال القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی وقت واحد أو فی أوقات مختلفة، فلا طریق إلی العلم به إلّا السّمع؛ لأنّ البیانات العقلیّة لا تدلّ علیه و لا تقتضیه. و إذا کان الغرض بإنزال القرآن أن یکون علما للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و معجزا لنبوّته و حجّة فی

صدقه، فلا حجّة فی هذا الغرض بین أن ینزّل مجتمعا أو متفرّقا.

و ما تضمّنه من الأحکام الشّرعیة فقد یجوز أن یکون مترتّبة فی أزمان مختلفة، فیکون الاطّلاع علیها و الإشعار بها مترتّبین فی الأوقات بترتیب العبادات.

و کما أنّ ذلک جائز، فجائز أیضا أن ینزّل اللّه تعالی جملة واحدة علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و إن کانت العبادات الّتی فیه تترتّب و تختصّ بأوقات مستقبلة و حاضرة.

و الّذی ذهب إلیه أبو جعفر ابن بابویه رحمه اللّه من القطع علی أنّه أنزل جملة واحدة،

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۴

و إن کان علیه السّلام متعبّدا بإظهاره و أدائه متفرّقا فی الأوقات. إن کان معتمدا فی ذلک علی الأخبار المرویّة الّتی رواها فتلک أخبار آحاد لا توجب علما و لا تقتضی قطعا، و بإزائها أخبار کثیرة أشهر منها و أکثر، تقتضی أنّه أنزل متفرّقا، و أنّ بعضه نزل بمکّة و بعضه بالمدینة، و لهذا نسب بعض القرآن إلی أنّه مکّی و بعضه مدنیّ.

و أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یتوقّف عند حدوث حوادث، کالظّهار و غیره، علی نزول ما ینزل إلیه من القرآن، و یقول صلّی اللّه علیه و آله: «ما أنزل إلیّ فی هذا شیء».

و لو کان القرآن أنزل جملة واحدة لما جری ذلک، و لکان حکم الظّهار و غیره ممّا یتوقّف فیه معلوما له، و مثل هذه الأمور الظّاهرة المنتشرة لا یرجع عنها بأخبار الآحاد خاصّة.

فأمّا القرآن نفسه فدالّ علی ذلک، و هو قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱» و لو کان أنزل جملة واحدة لقیل فی جوابهم: قد أنزل علی ما اقترحتم، و لا یکون الجواب کذلک لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲».

و فسّر المفسّرون کلّهم ذلک بأن قالوا: المعنی إنّا أنزلناه کذلک، أی متفرّقا یتمهّل علی أسماعه، و یتدرّج إلی تلقّیه.

و التّرتیل أیضا إنّما هو ورود الشّیء فی أثر الشّیء، و صرف ذلک إلی العلم به غیر صحیح، لأنّ الظّاهر خلافه.

و لم یقل القوم: لو لا أعلمنا بنزوله جملة واحدة، بل قالوا: لو لا أنزل إلیک جملة واحدة، و جوابهم إذا کان أنزل کذلک أن یقال: قد کان الّذی طلبتموه، و لا یحتجّ لإنزاله متفرّقا بما ورد بنزوله فی تمام الآیة.

فأمّا قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۳» فإنّما یدلّ علی أنّ جنس القرآن نزل فی هذا الشّهر، و لا یدلّ علی نزول الجمیع فیه.

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- نفس الآیة.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۵

أ لا تری أنّ القائل یقول: کنت أقرأ الیوم القرآن، و سمعت فلانا یقرأ القرآن، فلا یرید جمیع القرآن علی العموم، و إنّما یرید الجنس.

و نظائره فی اللّغة لا تحصی، أ لا تری أنّ العرب تقول: هذه أیّام أکل فیها اللّحم، و هذه أیّام أکل فیها الثّرید. و هو لا یعنی جمیع اللّحم و أکل الثّرید علی العموم، بل یرید الجنس و النّوع. و قد استقصیت هذه النّکتة فی مواضع کثیرة من کلامی.

فأمّا قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۱»، فلا: ندری من أیّ وجه دلّ علی أنّه أنزل جملة واحدة، و قد

كان أنّه رحمه اللّه يبيّن وجه دلالته على ذلك. و هذه الآية بأن تدلّ على أنّه ما أنزل جملة واحدة أولى، لأنّه تعالى قال: قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ و هذا يقتضى أنّ فى القرآن منتظرا ما قضى الوحى به وقوع منه، فإنّ نزول ذلك على أنّ المراد به قبل أن يوحى إليك بأدائه، فهو خلاف الظّاهر.

و قد كنّا سئلنا إملاء تأويل هذه الآية قديما، فأملينا فيها مسألة مستوفاة، و ذكرنا عن أهل التّفسير فيها وجهين، و ضممنا إليهما وجها ثالثا تفرّدنا به.

و أحد الوجهين المذكورين فيها: أنّه كان عليه السّلام إذا نزل عليه الملك بشىء من القرآن قرأه مع الملك المؤدّى له إليه قبل أن يستتمّ الأداء؛ حرصا منه عليه السّلام على حفظه و ضبطه، فأمر عليه السّلام بالتّثبّت حتّى ينتهى غاية الأداء؛ لتعلّق الكلام بعضه ببعض.

و الوجه الثّانى: أنّه صلّى اللّه عليه و آله نهى أن يبلغ شيئا من القرآن قبل أن يوحى إليه بمعناه و تأويله و تفسيره.

و الوجه الّذى انفردنا به: أنّه صلّى اللّه عليه و آله نهى عن أن يستدعى من القرآن ما لم يوح إليه به؛ لأنّ ما فيه مصلحة منه لا بدّ من إنزاله و إن لم يستدع، لأنّه تعالى لا يدّخر المصالح عنهم و ما لا مصلحة فيه لا ينزله على كلّ حال، فلا معنى للاستدعاء و لا تعلّق للآية بالموضع الّذى وقع فيه. (۱: ۴۰۱- ۴۰۵)

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۶

الفصل السّادس نصّ البيهقىّ (م: ۴۵۸ ه) فى «الأسماء و الصّفات».

لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ الروم/ ۴

إنّ اللّه تعالى نفى عن كلامه الحدث بقوله: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ «۱» فأخبر أنّه كان موجودا مكتوبا قبل الحاجة إليه فى أمّ الكتاب و قوله عزّ و جلّ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۲» فأخبر أنّ القرآن كان فى اللّوح المحفوظ، يريد مكتوبا فيه، و ذلك قبل الحاجة إليه، و فيه ما فيه من الأمر و النّهى و الوعد و الوعيد، و الخبر و الاستخبار، و إذا ثبت أنّه كان موجودا قبل الحاجة إليه ثبت أنّه لم يزل كان. و قوله تعالى: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ «۳» يريد به ذكر القرآن لهم و تلاوته عليهم، و علمهم به، فكلّ ذلك محدث، و المذكور المتلوّ المعلوم «۴» غير محدث، كما أنّ ذكر العبد للّه عزّ و جلّ محدث و المذكور غير محدث و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

---

(۱)- الزّخرف/ ۴.

(۲)- البروج/ ۲۲.

(۳)- الأنبياء/ ۲.

(۴)- بمعنى أنّ ما قام باللّه سبحانه غير محدث و إطلاق المذكور و المتلوّ و المقروء و المكتوب و نحو ذلك عليه، من إطلاق وصف الدّالّ على المدلول، و إلّا فلا شكّ أنّ ما يصدر من فم العبد من الحروف و الأصوات حادث قطعا و كذلك الكتابة و نحوها: و لنا عودة إلى هذا البحث.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷

يريد به- و اللّه أعلم- انّا أسمعناه الملك و أفهمناه ايّاه، و أنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلا به من علوّ إلى سفل. و قوله تبارك و

تعالی: إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱» یرید به حفظ رسومه و تلاوته. و قوله: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ «۲» و الحدید جسم لا یستحیل علیه الإنزال بمعنی الخلق فغیر معقول، و أمّا النّسخ و الإنساء و النّسیان و الإذهاب و التّرک و التّبعیض فکلّ ذلک راجع إلی التّلاوة أو الحکم المأمور به، و باللّه التّوفیق.

أخبرنا أبو زکریّا بن أبی إسحاق المزکّی، أنا أبو الحسن الطّرائفیّ، ثنا عثمان بن سعید، ثنا عبد اللّه بن صالح، عن معاویة بن صالح، عن علیّ بن أبی طلحة، عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه فی قوله تعالی: ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها «۳» یقول: ما نبدّل من آیة أو نترکها، أی لا نبدّلها نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْها یقول: خیر لکم فی المنفعة و أرفق بکم.

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنا عبد الرّحمن بن الحسین القاضی، ثنا إبراهیم بن الحسین، ثنا آدم بن أبی إیاس ثنا ورقاء عن ابن أبی نجیح عن عبید بن عمیر اللّیثیّ فی قوله: ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها یقول: أو نترکها، نرفعها من عندهم فنأتی بمثلها أو بخیر منها. و عن ابن أبی نجیح، عن أصحاب ابن مسعود رضی اللّه عنه فی قوله: ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ، أی نثبت خطّها و نبدّل حکمها، أو ننسها، أی نرجئها عندنا. نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها قلت:

و فی هذا بیان لما قلنا، و المخایرة لا تقع فی عین الکلام، و إنّما هی فی الرّفق و المنفعة، کما أشار إلیه ابن عبّاس رضی اللّه عنه و کذلک المفاضلة إنّما تقع فی القراءة علی ما جاء من وعد الثّواب و الأجر فی قراءة السّورة و الآیات و اللّه أعلم.

أخبرنا أبو الحسن علیّ بن محمّد بن علیّ الأسفراینیّ بن السّقّاء، أنا أبو یحیی عثمان بن محمّد بن مسعود، أخبرنی إسحاق بن إبراهیم الجلّاب، ثنا محمّد بن هانی، ثنا الحسین بن میمون، ثنا الهذیل، عن مقاتل، قال: تفسیر جعلوا علی وجهین؛

فوجه منهما: جعلوا للّه، یعنی وصفوا اللّه، فذلک قوله عزّ و جلّ فی سورة الأنعام:

---

(۱)- الحجر/ ۹.

(۲)- الحدید/ ۲۵.

(۳)- البقرة/ ۱۰۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۸

وَ جَعَلُوا لِلّهِ شُرَکاءَ «۱»، یعنی وصفوا اللّه شرکاء و کقوله فی الزّخرف: وَ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبادِهِ جُزْءاً «۲»، یعنی وصفوا له. و کقوله فی سورة النّحل: وَ یَجْعَلُونَ لِلّهِ الْبَناتِ «۳»، یعنی و یصفون للّه البنات. و کقوله فی الزّخرف: وَ جَعَلُوا الْمَلائِکَةَ الَّذِینَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً «۴»، یعنی وصفوا الملائکة إناثا، فزعموا أنّهم بنات الرّحمن تبارک و تعالی.

و الوجه الثّانی: و جعلوا، یعنی قد فعلوا بالفعل، فذلک قوله عزّ و جلّ فی الأنعام:

وَ جَعَلُوا لِلّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَ الْأَنْعامِ نَصِیباً «۵»، یعنی قد فعلوا ذلک. و قوله فی سورة یونس: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ ما أَنْزَلَ اللّهُ لَکُمْ مِنْ رِزْقٍ، یعنی الحرث و الأنعام فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَراماً وَ حَلالًا. «۶» و قوله: ثُمَّ جَعَلَ مِنْها زَوْجَها «۷»، یعنی خلق. قلت: و أمّا قوله عزّ و جلّ: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ* وَ ما هُوَ بِقَوْلِ شاعِرٍ قَلِیلًا ما تُؤْمِنُونَ وَ لا بِقَوْلِ کاهِنٍ قَلِیلًا ما تَذَکَّرُونَ «۸»، و قوله: ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ «۹»، فقد قال فی آیة أخری:

فَأَجِرْهُ حَتّی یَسْمَعَ کَلامَ اللّهِ «۱۰»، فأثبت أنّ القرآن کلامه، و لا یجوز أن یکون کلامه و کلام جبریل علیه السّلام. فثبت أنّ معنی قوله: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ أی تلقّاه عن رسول کریم أو قول سمعه من رسول کریم، أو نزل به علیه رسول کریم.

أخبرنا أبو عمرو محمّد بن عبد اللّه الأدیب، أنا أبو بکر الإسماعیلیّ، ثنا القاسم- یعنی ابن زکریّا- ثنا أبو کریب و یعقوب و المخزومیّ، قالوا: ثنا أبو معاویة، ثنا الأعمش، عن جامع بن شدّاد عن صفوان بن محرز، عن عمران بن حصین رضی اللّه عنه قال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم

(۱)- الأنعام/ ۱۰۰.

(۲)- الزّخرف/ ۱۵.

(۳)- النّحل/ ۵۷.

(۴)- الزّخرف/ ۱۹.

(۵)- الأنعام/ ۱۳۶.

(۶)- يونس/ ۵۹.

(۷)- الزّمر/ ۲.

(۸)- الحاقّة/ ۴۰- ۴۲.

(۹)- التّكوير/ ۲۰.

(۱۰)- التّوبة/ ۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۹

قال: «أقبلوا، البشرى يا بنى تميم، قالوا: قد بشّرتنا، فأعطنا. فقال: أقبلوا، البشرى يا أهل اليمن. قالوا: قد بشّرتنا، فأخبرنا عن أوّل هذا الأمر كيف كان؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: كان اللّه قبل كلّ شىء، و كان عرشه على الماء و كتب فى الذّكر كلّ شىء». و أتانى آت، فقال: يا عمران! انحلّت ناقتك من عقالها، فقمت فإذا السّراب منقطع بينى و بينها فلا أدرى ما كان بعد ذلك.

أخرجه البخارىّ فى الصّحيح من وجه آخر عن الأعمش، و زاد فيه ثمّ خلق السّماوات و الأرض و لعلّه سقط من كتابى، و القرآن ممّا كتب فى الذّكر؛ لقوله: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱».

و أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب، ثنا محمّد بن إسحاق الصّاغانىّ، ثنا عفّان بن مسلم ثنا حمّاد بن سلمة أنا الأشعث بن «۲» عبد الرّحمن، عن أبى قلابة، عن أبى الأشعث، عن النّعمان بن بشير رضى اللّه عنه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قال: «إنّ اللّه تبارك و تعالى كتب كتابا قبل أن يخلق السّماوات و الأرض بألفى عام، و أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، و لا تقرءان فى دار فيقربها شيطان ثلاث ليال».

أخبرنا أبو سهل أحمد بن إبراهيم المهرانىّ و أبو النّصر بن قتادة، قالا: أنا محمّد بن إسحاق بن أيّوب الصّبغىّ، ثنا الحسن بن علىّ بن زياد السّرىّ، ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامىّ، ثنا إبراهيم «۳» بن مهاجر بن مسمار، حدّثنى عمر بن حفص بن ذكوان، عن مولى الحرقة، عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه تعالى قرأ: طه و يس قبل أن يخلق آدم عليه السّلام بألف عام، فلمّا سمع الملائكة القرآن قالوا: طوبى لأمّة ينزل هذا عليها، و طوبى لجوف يحمل هذا، و طوبى لألسن تكلّم بهذا».

و أخبرنا أبو نصر بن قتادة، أنا أبو الحسن السّرّاج، ثنا مطيّن، ثنا إبراهيم بن المنذر، فذكره بإسناده نحوه، إلّا أنّه قال: عن مولى الحرقة، يعنى عبد الرّحمن بن يعقوب، و قال:

(۱)- البروج/ ۲۲.

(۲)- تكلّم فيه النّسائىّ. و أبو قلابة مدلس. ز.

(۳)- قال البخارىّ منكر الحديث.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۰

فى متنه «بألف عام»، و لم يذكر قوله: «طوبى لجوف يحمل هذا». تفرّد به إبراهيم بن مهاجر. قوله: «قرأ طه و يس» يريد به تكلّم و

أفهمهما ملائکته، و فی ذلک إن ثبت «۱» دلیل علی وجود کلامه قبل وقوع الحاجة إلیه.

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنا أبو عبد اللّه بن یعقوب و أبو الفضل بن إبراهیم، قالا- ثنا أحمد بن سلمة، ثنا إسحاق بن موسی الأنصاریّ، ثنا أنس بن عیّاض، قال: حدّثنی الحارث بن أبی ذباب، عن یزید بن هرمز، و عن عبد الرّحمن الأعرج، قالا: سمعنا أبا هریرة یقول: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: «احتجّ آدم و موسی علیهما السلام عند ربّهما، فحجّ آدم موسی، فقال موسی: أنت الّذی خلق اللّه بیده، «۲» و نفخ فیک من روحه «۳»، و أسجد لک ملائکته و أسکنک، جنّته ثمّ أهبطت النّاس بخطیئتک إلی الأرض. قال آدم: أنت موسی الّذی اصطفاک اللّه تعالی برسالاته و کلامه، و أعطاک الألواح فیها تبیان کلّ شیء، و قرّبک اللّه نجیّا، فبکم، وجدت اللّه فی کتب التّوراة قبل أن أخلق؟ قال موسی: بأربعین عاما، قال آدم: فهل وجدت فیها وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی «۴»، قال: نعم، قال: أ فتلومنی أن أعمل عملا- کتب اللّه علیّ عمله أن یخلقنی بأربعین سنة؟ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم: فحجّ آدم «۵» موسی» رواه مسلم فی الصّحیح عن إسحاق بن موسی الأنصاریّ. و الاختلاف فی هذه التّواریخ غیر راجع إلی شیء واحد، و إنّما هو علی حسب ما کان یظهر لملائکته و رسله، و فی کلّ ذلک دلالة علی قدم الکلام.

---

(۱)- أبیّ یثبت و قد قال ابن حیّان هذا متن موضوع.

(۲)- أی بنفسه من غیر توسیط أب.

(۳)- من زائدة علی مذهب الکوفیّین و الإضافة للتّشریف.

(۴)- طه/ ۱۲۱.

(۵)- حیث لم یضع السّؤال فی محلّه لأنّه وجّه اللّوم إلی ما هو لیس من فعله، قاله الخطیب فی الفقیه و المتفقّه. و مثله فی أحکام ابن حزم، و نصّ قولهما فی ما علّقناه علی الاختلاف فی اللّفظ و السّبب الحامل لهما علی هذا التّفسیر النّجاشیّ عن عدّ أحد النّبیین علیهم السّلام ینکر القدر و آخر یعتلّ فی الأفعال الاختیاریّة بالقدر، و هو مذهب أهل الجبر. و إنّما لا یصحّ ذکر القدر و الاعتلال به عند أهل الحقّ فی صدد التّسلّی عند ما تحلّ مصیبة. و أصل الحدیث لا یجافی هذا التّفسیر، و باقی الألفاظ من قبیل الرّوایة بالمعنی. و لإثبات القدر أدلّة لا تحصی، فلا یحتاج إثباته علی إبعاد هذا الحدیث عن هذا التّفسیر، فلا نستعجل فی استنکار قولهما.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۱

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ و أبو سعید بن أبی عمر، قالا: أنا أبو العبّاس محمّد بن یعقوب، ثنا محمّد بن علیّ الورّاق، ثنا عبد اللّه بن رجاء، أنا عمران- هو ابن داور القطّان- عن قتادة عن أبی الملیح، عن واثلة ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:].

خالفه عبید اللّه بن أبی حمید، و لیس بالقویّ فرواه عن جابر بن عبد اللّه رضی اللّه عنه من قوله، و رواه إبراهیم بن طهمان عن قتادة من قوله لم یجاوز به، إلّا أنّه قال: «لاثنتی عشرة».

و کذلک وجده جریر بن حازم فی کتابة أبی قلابة دون ذکر «صحف إبراهیم».

قلت: و إنّما أراد- و اللّه أعلم- نزول الملک بالقرآن من اللّوح المحفوظ إلی سماء الدّنیا.

أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، ثنا أبو بکر بن إسحاق الفقیه، أنا موسی بن إسحاق القاضی، ثنا أبو بکر و عثمان ابنا أبی شیبة، ثنا جریر عن منصور، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ ثمّ قال:].

و أخبرنا أبو عبد اللّه الحافظ، أنا عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه الصّفّار، ثنا أبو طاهر محمّد بن عبد اللّه بن الزّبیر الأصفهانیّ، ثنا الحسین بن حفص، ثنا سفیان عن الأعمش، عن حسّان بن حریث، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه قال: فصل القرآن من الذّکر، فوضع فی بیت العزّة فی سماء الدّنیا، فجعل جبریل علیه السّلام ینزله علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم یرتّله ترتیلا.

أخبرنا أبو الحسین بن بشران ببغداد، أنا أبو جعفر الرّزّاز، ثنا علیّ بن إبراهیم الواسطیّ، أنا یزید بن هارون، أنا داود بن أبی هند، عن

عكرمة، عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلك فى عشرين سنة وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۱»؛ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲».

و أخبرنا محمّد بن عبد اللّه الحافظ، ثنا علىّ بن عيسى الحيرىّ، ثنا إبراهيم بن أبى طالب، ثنا محمّد بن المثنّى، حدّثنى عبد الأعلى بن عبد الأعلى، ثنا داود بن أبى هند، عن

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۲

عكرمة، عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه قال: أنزل اللّه تعالى القرآن إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، و كان اللّه تبارك و تعالى إذا أراد أن يوحى فى الأرض منه شيئا أوحاه، أو يحدث منه شيئا أحدثه.

قلت: هذا يدلّ على أنّ الإحداث المذكور فى قوله عزّ و جلّ: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ «۱» إنّما هو فى إعلامهم إيّاه بإنزال الملك المؤدّى له على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ليقرأه عليه.

و أخبرنا أبو الحسن المقرئ، أنا أبو عمرو الصّفّار، ثنا أبو عوانة، ثنا أبو الحسن الميمونىّ، قال: خرج إلىّ يوما أبو عبد اللّه أحمد بن محمّد بن حنبل، فقال: ادخل، فدخلت منزله، فقلت: أخبرنى عمّا كنت فيه مع القوم، و بأىّ شىء كانوا يحتجّون عليك؟ قال: بأشياء من القرآن يتأوّلونها و يفسّرونها، هم احتجّوا بقوله: ما يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ قال: قلت: قد يحتمل أن يكون تنزيله إلينا هو المحدث لا الذّكر نفسه هو المحدث.

قلت: و الّذى يدلّ على صحّة تأويل أحمد بن حنبل ما حدّثنا أبو بكر محمّد بن الحسن بن فورك، أنا عبد اللّه بن جعفر، ثنا يونس بن حبيب، ثنا أبو داود، ثنا شعبة، عن عاصم عن أبى وائل، عن عبد اللّه- هو ابن مسعود- قال: أتيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فسلّمت عليه، فلم يردّ علىّ، فأخذنى ما قدم و ما حدث. فقلت: يا رسول اللّه أحدث فىّ شىء؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ اللّه عزّ و جلّ يحدث لنبيّه من أمره ما شاء، و إنّ ممّا أحدث ألّا تكلّموا فى الصّلاة». فى هذا بيان واضح لما قدّمنا ذكره، حيث قال: «يحدث لنبيّه» و باللّه التّوفيق.

أخبرنا أبو طاهر الفقيه، أنا أبو بكر القطّان، ثنا أحمد بن يوسف السّلمىّ، ثنا عبيد اللّه بن موسى، عن إسرائيل، عن السّدّى، عن محمّد بن أبى المجالد، عن مقسم عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه قال: سأله عطيّة بن الأسود، فقال: إنّه قد وقع فى قلبى الشّكّ ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ] (۱۹۳- ۲۲۹)

---

(۱)- الأنبياء/ ۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۳

الفصل السّابع نصّ الشّيخ الطّوسىّ (م: ۴۶۰ ه) فى تفسيره: «التّبيان»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵.

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ: قيل فى معناه قولان؛

أحدهما: قال ابن عبّاس و سعيد بن جبير و الحسن: إنّ اللّه تعالى أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السّماء الدّنيا، ثمّ أنزل على النّبىّ

بعد ذلك نجوما، و هو المروىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

و الثّانى: أنّه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان.

فإن قيل: كيف يجوز إنزاله كلّه فى ليلة و فيه الإخبار عمّا كان، و لا يصلح ذلك قبل أن يكون؟

قلنا: يجوز ذلك فى مثل قوله: وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ «۱»، و قوله: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَ ضاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ «۲»، على إذا كان وقت كذا أنزل لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ، كما قال تعالى: وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ، أى إذا كان يوم القيامة

---

(۱)- آل عمران/ ۱۲۳.

(۲)- التّوبة/ ۲۵.

نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ «۱». (۲: ۱۲۱- ۱۲۲).

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا الإسراء/ ۱۰۵

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ: قرأه أهل الأمصار بالتّخفيف. و حكى عن ابن عبّاس: بتشديد الرّاء، بمعنى نزّلناه شيئا بعد شىء، آية بعد آية، و قصّة بعد قصّة. و معنى «فرّقناه» فصّلنا فيه الحلال و الحرام و ميّزنا بينهما، و هو قول ابن عبّاس.

و قال أبىّ بن كعب: معناه بيّنّاه. و قال الحسن و قتادة: فرّق اللّه فيه بين الحقّ و الباطل.

و من قرأ بالتّشديد؛ قال ابن عبّاس و قتادة و ابن زيد: إنّ معناه أنزل متفرّقا لم ينزّل جميعا، و كان بين أوّله و آخره نحو من عشرين سنة.

و نصب قُرْآناً على معنى و أحكمنا قرآنا فَرَقْناهُ، أو آتيناك قرآنا.

و قال بعضهم: نصب بمعنى و رحمة، كأنّه قال: وَ ما أَرْسَلْناكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِيراً و رحمة؛ قال: لأنّ القرآن رحمة.

و قوله: لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ معناه على تؤدة، فترتّله و تبيّنه و لا تعجل فى تلاوته، فلا يفهم عنك، و هو قول ابن عبّاس و مجاهد و ابن زيد ...

و قوله: نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا أى أنزلناه شيئا بعد شىء، و هو قول الحسن و قتادة. و قوله:

نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا يدلّ على أنّ القرآن محدث، لأنّ القديم لا يجوز وصفه بالمنزّل و التّنزيل، لأنّ ذلك من صفات المحدثين.

و قيل: فى معنى عَلى مُكْثٍ أنّه كان ينزل منه شىء ثمّ يمكثون ما شاء اللّه، و ينزّل شىء آخر. (۶: ۵۳۰- ۵۳۱)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

ثمّ حكى أنّ الكفّار قالوا: ف لَوْ لا أى هلّا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ: على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله جُمْلَةً واحِدَةً. فقيل: لهم: إنّ التّوراة أنزلت جملة؛ لأنّها أنزلت مكتوبة على نبىّ يكتب

---

(۱)- الأعراف/ ۴۴.

و يقرأ و هو موسى، و أمّا القرآن، فإنّما أنزل متفرّقا؛ لأنّه أنزل غير مكتوب على نبىّ أمّىّ، و هو محمّد صلّى اللّه عليه و سلم.

و قيل: إنّما لم ينزل جملة واحدة، لأنّ فيه النّاسخ و المنسوخ، و فيه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، و فيه ما هو إنكار لما كان. و فى الجملة المصلحة معتبرة فى إنزال القرآن فإذا كانت المصلحة تقتضى إنزاله متفرّقا كيف ينزل جملة واحدة!؟ فقال اللّه تعالى لنبيّه صلّى اللّه عليه و سلم إنّا أنزلناه متفرّقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ. و قال أبو عبيدة: معناه لنطيّب به نفسك و نشجّعك.

و قوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا فالتّرتيل: التّبيين فى تثبت و ترسّل. و قوله: وَ لا يَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِ، أى لم ننزّل القرآن جملة واحدة؛ لأنّهم لا يأتونك بشىء يريدون به إبطال أمرك ... (۷: ۴۸۸– ۴۸۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳

إخبار منه تعالى أنّه أنزل القرآن فى اللّيلة المباركة، و هى ليلة القدر فى قول قتادة و ابن زيد. و قال قوم: هى ليلة النّصف من شعبان. و الأوّل أصحّ؛ لقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱».

و قيل: هى فى كلّ شهر رمضان، فيها تقسّم الآجال و الأرزاق و غيرهما من الألطاف، فى قول الحسن.

و قيل: أنزل إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، ثمّ أنزل نجوما على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و قيل: ينزل فى ليلة القدر قدر ما يحتاج إليه فى تلك السّنة.

و قيل: المعنى إنّ ابتداء إنزاله فى ليلة مباركة، و وصفها بأنّها مباركة؛ لأنّ فيها يقسّم اللّه تعالى نعمه على عباده من السّنة إلى السّنة ... (۹: ۲۲۴)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶– ۱۹

---

(۱)– البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۶

قال ابن عبّاس و سعيد بن جبير و الضّحّاك: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إذا نزل عليه القرآن عجّل بتحريك لسانه لحبّه إيّاه، فنهاه اللّه عن ذلك. و التّحريك: تغيير الشّىء من مكان، أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه، و الحركة: ما به يتحرّك المتحرّك. و المتحرّك هو المنتقل من جهة إلى غيرها. و اللّسان: آلة الكلام. و العجلة: طلب عمل الشّىء قبل وقته الّذى ينبغى أن يعمل فيه، و نقيضه الإبطاء، و السّرعة: عمل الشّىء فى أوّل وقته الّذى هو له، و ضدّه الأناة.

و قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، قال ابن عبّاس و الضّحّاك: معناه إنّ علينا جمعه فى صدرك، و قراءته عليك حتّى يمكنك تلاوته. و قال قتادة: معناه إنّ علينا جمعه فى صدرك و تأليفه على ما نزل عليك. و قال ابن عبّاس فى رواية أخرى: إنّ معناه إنّ علينا بيانه من حلاله و حرامه بذكره لك.

و قال قتادة: معناه نذكر أحكامه و نبيّن لك معناه إذا حفظته.

و قال البلخىّ: الّذى أختاره أنّه لم يرد القرآن، و إنّما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة؛ لأنّ ما قبله و بعده يدلّ على ذلك، و ليس فيه شىء يدلّ على أنّه القرآن، و لا على شىء من أحكام الدّنيا، و فى ذلك تقريع للعبد و توبيخ له حين لا تنفعه العجلة. و القرآن من الضّمّ و التّأليف؛ قال عمرو بن كلثوم:

ذراعى عيطل أدماء بكرهجان اللّون لم تقرأ جنينا أى لم تضمّ رحما على ولد.

و قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ قال ابن عبّاس: معناه إذا قرأناه- أى تلوناه- فاتّبع قراءته بقراءتك، و قال قتادة و الضّحّاك: معناه بأن يعمل بما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام.

و قيل: معناه فإذا قرأه جبرائيل عليك فاتّبع قراءته. و الاتّباع: مراجعة الثّانى للأوّل فى ما يقتضيه، و مثله الاقتداء و الاحتذاء و الائتمام، و نقيضه الخلاف. و البيان: إظهار المعنى للنّفس بما يتميّز به من غيره، بأنّ الشّىء يبيّن إذا ظهر و أبانه غيره، أى أظهره بيانا و إبانة، و نقيض البيان الإخفاء و الإغماض.

و قال قتادة: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ معناه إنّا نبيّن لك معناه إذا حفظته. (۱۰: ۱۹۵- ۱۹۷)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۷

الفصل الثّامن نصّ الواحدىّ (م: ۴۶۸ ه) فى «أسباب النّزول»

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۵

أنزله مفرّقا نجوما و أودعه أحكاما و علوما، قال عزّ من قائل: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ

أخبرنا الشّيخ أبو بكر أحمد بن محمّد الأصفهانىّ قال: أخبرنا عبد اللّه بن حيّان قال:

حدّثنا أبو يحيى الرّازىّ قال: حدّثنا سهل بن عثمان العسكرىّ قال: حدّثنا يزيد بن زريع قال: حدّثنا أبو رجاء قال: سمعت الحسن يقول فى قوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ذكر لنا أنّه كان بين أوّله و آخره ثمانى عشرة سنة، أنزل عليه بمكّة ثمانى سنين قبل أن يهاجر، و بالمدينة عشر سنين.

أخبرنا أحمد، قال: أخبرنا عبد اللّه، قال: أخبرنا أبو يحيى الرّازىّ، قال: حدّثنا سهل، قال: حدّثنا يحيى بن أبى كثير عن هشيم عن داود عن الشّعبىّ قال: «فرّق اللّه تنزيله فكان بين أوّله و آخره عشرون أو نحو من عشرين سنة، أنزله قرآنا عظيما، و ذكرا حكيما و حبلا ممدودا، و عهدا معهودا، و صراطا مستقيما فيه معجزات باهرة، و آيات ظاهرة، و حجج صادقة و دلالات ناطقة ...» (ص: ۳)

أخبرنا أبو إسحاق الثّعالبىّ، قال: أخبرنا محمّد بن عبد اللّه بن زكريّا الشّيبانىّ، قال:

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۸

أخبرنا محمّد بن عبد الرّحمن الدّغولىّ، قال: حدّثنا ابن أبى خثيم قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدّثنا مهدىّ بن ميمون، قال: حدّثنا غيلان بن جرير عن عبد اللّه بن معبد الزّمانىّ عن أبى قتادة: «أنّ رجلا قال: يا رسول اللّه أ رأيت صوم يوم الاثنين؟ قال: فيه أنزل علىّ القرآن، و أوّل شهر أنزل فيه القرآن شهر رمضان، قال اللّه تعالى ذكره: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ».

أخبرنا عبد الرّحمن بن حمدان النّضروى، قال: أخبرنا أبو محمّد عبد اللّه بن إبراهيم ابن مياسر، قال: حدّثنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد اللّه قال: حدّثنا عبد اللّه بن جابر بن الهيثم الغدانىّ قال: حدّثنا عمران عن قتادة عن أبى المليح عن واثلة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ]. (ص: ۹)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۹

الفصل التّاسع نصّ الميبدىّ (م: ۵۳۰ ه) فى «كشف الأسرار» «۱»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

فى الآية قولان؛

أحدهما: أنّ نزول القرآن کان فی اللّیلة السّابعة عشرة من شهر رمضان، و الّتی وقعت فی نهارها غزوة بدر. نزل من ربّ العزّة إلی السّماء الدّنیا، و جعل فی خزائنه فی بیت العزّة، ثمّ نزل فی ثلاث و عشرین سنة متفرّقة، سورة سورة، و آیة آیة إلی الأرض، و ذلک قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، و هی السّابعة عشرة من شهر رمضان.

و روی عن واثلة بن الأسقع، أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم قال: «أنزلت صحف إبراهیم أوّل لیلة ...»

[و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:]

و الثّانی: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، أی أنزل القرآن بفرضه علی المسلمین و فضله.

و قال داود بن أبی هند: قلت للشّعبیّ: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ أما کان ینزل علیه فی سائر السّنة؟ قال: بلی، و لکنّ جبرئیل کان یعارض محمّدا صلّی اللّه علیه و سلم فی رمضان ما نزّل اللّه، فیحکم اللّه ما یشاء، و یثبت ما یشاء و ینسئ. (۱: ۴۹۰)

---

(۱)- ترجمت فقرات من هذا النّصّ من الفارسیّة علما بأنّ اکثر هذا التّفسیر بهذه اللّغة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۸۰

وَ ما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ الأنفال/ ۴۱

یقول اللّه تعالی فی هذه الآیة: أنزلنا القرآن فی یوم الفرقان.

و فی آیة: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱».

و فی آیة أخری: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۲».

و بذلک أنزل القرآن فی لیلة غزوة بدر و یومها إلی السّماء الدّنیا، ثمّ وضعه فی بیت العزّة فی موضع خزانة القرآن، و لذا قال اللّه تعالی فی موضع: «الیوم» و فی موضع آخر «اللّیل»، و هذا علی التّوسعة فی کلام العرب، و هم یخبرون عن اللّیل بحکایة اللّیل؛ لأنّ نزول القرآن لا یقع إلّا فی لیل أو فی نهار، و ذلک الیوم هو الیوم الّذی وقعت فیه غزوة بدر، و قد صادف یوم الجمعة «فی السّابع عشر» من شهر رمضان. فأنزل اللّه القرآن حینئذ من هذه اللّیلة إلی الأرض إلی نهایة عمر النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم علی مکث. لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، أی ثبته اللّه علی قلبه عند ما یکتنفه الهمّ و الغمّ، و کلّما أنزل حکم تلاه حکم آخر علی مواقع النّجوم.

و قال بعض المفسّرین فی قوله: وَ النَّجْمِ إِذا هَوی «۳»، أی و الوحی إذا أنزل. (۴: ۵۳)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً طه/ ۱۱۴

قال الشّافعی: هو القرآن، بغیر همز و هو اسم لکتابنا کالتّوراة و الإنجیل و الزّبور، لکتب بنی إسرائیل، و لو کان من القراءة لکان یسمّی کلّ مقروء قرآنا، و لا یسمّی باسم کتاب اللّه شیء غیره. مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ. کان رسول اللّه یتعجّل بقراءة القرآن ساعة الوحی قبل أن یفرغ جبرئیل من إلقاء الوحی خشیة النّسیان، فأمر بالإنصات و حسن الاستماع إلی أن یفرغ جبرئیل من البلاغ، و لهذا قال فی مورد آخر: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ. قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ یعنی من قبل أن یفرغ جبرئیل من تلاوته علیک. قرأ یعقوب «نقضی» بالنّون و فتحها و کسر الضّاد و نصب الیاء «وحیه»

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۵.

(۳)- النّجم/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸۱

منصوبا. و الوجه أنّ الفعل للّه تعالى ذكره بلفظ التّعظيم، و هذا موافق لما قبله الّذى جاء بلفظ التّعظيم، و هو قوله: أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا وَ صَرَّفْنا «۱»، و لما بعده و هو قوله: وَ لَقَدْ عَهِدْنا فى أنّ كليهما على لفظ التّعظيم. و قرأ الباقون (يقضى) بضمّ الياء و فتح الضّاد (وحيه) بالرّفع. و الوجه أنّه على إسناد الفعل إلى المفعول به، و هو الوحى، و معلوم أنّ اللّه تعالى هو الموحى، فلذلك وقع الاستغناء عن ذكر الفاعل.

و قال مجاهد و قتادة: لا تقرئه أصحابك، و لا تمله عليهم حتّى تبيّن لك معانيه.

و قال السّدّىّ: لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك و قيل: معناه لا تلتمس إنزال القرآن جملة فإنّا ننزّل عليك لوقت الحاجة.

وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً أى زدنى حفظا حتّى لا- أنسى ما أوحى إلىّ. و قيل: معناه ربّ زدنى علما بالقرآن و معانيه. قيل: عِلْماً إلى ما علمت. و كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: اللّهم زدنى إيمانا و يقينا. (۶: ۱۸۰- ۱۸۱)

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ ... الشّعراء/ ۱۹۲

(تنزيل): صيغة مبالغة و تكثير، أى نزل القرآن من السّماء لا بدفعة واحدة، بل فى مدّة ثلاث و عشرين سنة نجما نجما، و سورة سورة، و آية آية بحسب ما يليق الحال و بما تقتضى الحاجة إليه. يا محمّد كان نزول القرآن عليك و على أمّتك رحمة من اللّه جلّ جلاله، فهو لم ينزله كما أنزل التّوراة على بنى إسرائيل جملة واحدة. لا جرم أنّ صبرهم كان قليلا، فهم لا يتقبّلون و لا يتحمّلونه تدريجيّا، و قليل الصّبر لا- يقدر على الحمل الثّقيل، كالطّفل الرّضيع لا يستطيع أكل الطّعام، و لقلّة صبرهم فإنّهم لم يعلموا قدره، و لم يعرفوا حقيقته، فباعوه بثمن بخس إذ باعوه بصاع شعير. و حكى حالهم ربّ العالمين:

يَأْخُذُونَ عَرَضَ هذَا الْأَدْنى «۲»، لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلًا «۳». و حينما وصلت نوبة هذه

---

(۱)- طه/ ۱۱۳.

(۲)- الأعراف/ ۱۶۹.

(۳)- البقرة/ ۷۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸۲

الأمّة و أعطاهم كتابا صغير الحجم، عظيم الفضل و كثير الشّرف، و أنزل خلال مدّة طويلة سورة سورة و آية آية؛ ليكون أثبت فى فؤاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أمّته، و أقرّ فى قلوبهم، و أحكم فى صدورهم.

قال اللّه تعالى: لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، لم ينزله بنسق واحد؛ تعظيما له و تشريفا للأمّة، فبعض أحكامه عامّ، و بعضها خاصّ. و أنزل بعضها بنظم ظاهر، و بعضها بنصّ قاطع، و بعضها مجمل، و بعضها مفسّر، و بعضها مطلق، و بعضها مقيّد، و بعضها محكم، و بعضها متشابه.

و إن كانت الآيات متشابهة لم يقف أحد فهم تنزيلها، و إن كانت ظاهرة لم تكن لأحد مزيّة فى تعليمها. و إن كانت كلّها متشابهة كان العالم و الجاهل سيّان فى الجهل، و إن كانت كلّها ظاهرة فإنّهما سيّان فى العلم، و لكان التّفاضل بين الخلق معدوما. و تأبى رحمة اللّه أن تساوى بين العالم و الجاهل، و ليس من الحكمة أن يتكافآن. بل تقتضى الرّحمة الرّبّانيّة و الحكمة الإلهيّة أن يكون كلّ فى موضعه، و يشقّ طريقه وفق جهده.

قوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، يعنى جبرئيل، عَلى قَلْبِكَ «۱»، يعنى قلب المصطفى؛ لأنّه كان فى المشاهدة و الوحى، إذ أنزل به نزل بقلبه أوّلا لشدّة تعطّشه إلى الوحى و لاستغراقه به، ثمّ انصرف من قلبه إلى فهمه و سمعه، و هذا تنزّل من العلوّ إلى السّفل و هو رتبة

الخواصّ. فأمّا العوام فإنّهم يسمعون أوّلا فينزل الوحى على سمعهم أوّلا، ثمّ على فهمهم، ثمّ على قلبهم و هذا ترقّى من السّفل إلى العلوّ، و هو شأن المريدين و أهل السّلوك. فشتّان ما هما نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ. (۷: ۱۷۱)

حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان / ۱- ۳

اختلفوا فى جواب القسم، قيل: جوابه مقدّم، أى و الكتاب المبين، حم ما هو كائن، و قيل: جوابه قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ، و هو الأصحّ. و المعنى إنّا أنزلنا القرآن فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، و هى ليلة القدر، أنزله جملة فى ليلة القدر من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا،

---

(۱)- الشّعراء / ۱۹۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸۳

ثمّ نزل به جبرئيل على النّبىّ نجوما فى عشرين سنة.

و قيل: أنزل فى ليلة القدر ما يحتاج إليه فى طول السّنة إلى قابل. و قيل: كان بدو إنزاله فى ليلة القدر. و قيل: إِنَّا أَنْزَلْناهُ يعنى جبرئيل عليه السّلام ينزل فى ليلة القدر. و قيل: إنّا أنزلناه إلى الأرض، و معه الملائكة جمّ غفير.

قال عكرمة: اللّيلة المباركة ليلة النّصف من شعبان، أنزل اللّه جبرئيل إلى السّماء الدّنيا فى تلك اللّيلة، حتّى أملى القرآن على الكتبة، و سمّاها مباركة لأنّها كثيرة الخير و البركة، لما ينزل فيها من الرّحمة و يجاب فيها من الدّعوة. (۹: ۹۴)

فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ* بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ... عبس / ۱۳- ۱۵

فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، يعنى مصاحف القرآن المكرّمة المعظّمة. بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ: قال وهب بن منبّه: هم المسلمون أصحاب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. و قيل: فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ يعنى فى اللّوح المحفوظ عنده، قد شرّفه و كرّمه، و أعجز الخلق عن الإتيان بمثله.

و الصّحف؛ جمع صحيفة، و كلّ مكتوب عند العرب صحيفة. و قيل: فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ هى النّسخ من القرآن الّتى فى السّماء الدّنيا و فى اللّوح عند الملائكة.

مَرْفُوعَةٍ، يعنى فى القدر و الرّتبة، و تعظيم المنزلة و المحلّ. مُطَهَّرَةٍ: لا يمسّها إلّا طاهر. و قيل: مُطَهَّرَةٍ عن أن ينالها أيدى الكفّار. و قيل: مُطَهَّرَةٍ: لا يكون فيها ما ليس من كلام اللّه، مطهّرة من التّناقض و الكذب و آفات الكلام.

بِأَيْدِى سَفَرَةٍ، أى كتبة، و هم الملائكة الكرام الكاتبون، واحدهم سافر؛ يقال:

سفرت، أى كتبت، و منه قيل: للكتاب سفر، و جمعه أسفار. و قيل: هم الرّسل من الملائكة، واحدهم سفير، و هو الرّسول، و الرّسل: سفراء اللّه بينه و بين خلقه.

كِرامٍ بَرَرَةٍ، أى كرام عند اللّه مطيعين. و قيل: السّفرة من الملائكة هم الّذين يكتبون، و البررة الّذين لا يكتبون، و البررة جمع بارّ، كفاجر و فجرة. (۱۰: ۳۸۳- ۳۸۴)

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلى / ۶

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸۴

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى، أى سنجمع حفظ القرآن فى قلبك و قراءته فى لسانك، حتّى فَلا تَنْسى كقوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. قيل: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يتلقّف القرآن من جبرئيل بسرعة، فكان إذا قرأ آية كان أن يسبقه بالتّلقّف؛ مخافة أن ينسى، فأنزل اللّه

سبحانه سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى، فلم ينس بعدها شيئا من القرآن البتّة ما عاش، و فى هذا إعجاز عظيم.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، أى ممّا لم يقع به التّكليف فى التّبليغ، و لا يجب عليه أداؤه فينسيه اللّه سبحانه إذا شاء. و قال الحسن و قتادة: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن ينسيه برفع حكمه و تلاوته، كما قال تعالى: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها، و الإنساء: نوع من النّسخ، و نسخ اللّه عزّ و جلّ من كتابه ثلاثة ألوان، منها ما أنسى رسوله و وضع عنه حكمه، و منها ما أنساه و أثبت حكمه كالرّجم، و الآيتان تشملان معا هذين اللّونين، و اللّون الثّالث ما أثبت ظاهره و وضع عنه حكمه. و قيل: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى، أى نعلّمك و نحفظ عليك ما نقرأه، فلا تترك العمل بما أمرت به.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ: أن لا تعمل به بالنّسخ. حكى أنّ ابن كيسان النّحوىّ حضر مجلس الجنيد يوما، فقال: يا أبا القاسم ما تقول فى قوله عزّ و جلّ: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى؟ فأجابه مسرعا كأنّه تقدّم السّؤال قبل ذلك بأوقات: لا تنسى العمل به، فأعجب ابن كيسان ذلك إعجابا شديدا، و قال: لا يفضّض اللّه فاك، مثلك تصدّر قوله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى «۱» من القول و الفعل. قيل: يعنى إعلان الصّدقة و إخفاءها. وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى، أى للخلّة اليسرى. و اليسرى: الفعلى من اليسر، و هو سهولة عمل الخير، أى نسهّل لك العمل الّذى يوصلك إلى الجنّة.

و قيل: معناه نوفّقك للشّريعة اليسرى، و هى الحنيفيّة السّمحة السّهلة.

و قيل: هو متّصل بالكلام الأوّل، معناه إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ، أى ما تقرأه على جبرئيل إذا فرغ من التّلاوة: وَ ما يَخْفى: ما تقرأه فى نفسك مخافة النّسيان. ثمّ وعده فقال:

---

(۱)- الأعلى / ۷

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸۵

وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى «۱»، أى نهوّن عليك الوحى حتّى تحفظه و تعلمه. (۱۰: ۴۶۰- ۴۶۱)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر / ۱

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ، الهاء ضمير القرآن و إن لم يتقدّم ذكره فى السّورة و نظيره:

حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۲»، أنزل اللّه القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر من اللّوح ... [سيأتى تمام الكلام عن الزّمخشرىّ].

و قيل: معناه إِنَّا أَنْزَلْناهُ: جبرئيل بالقرآن ليلة القدر. و قيل: كان ابتداء إنزاله ليلة القدر.

و قيل: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، أى أنزلنا القرآن فى شأن ليلة القدر و منزلتها ...

و يحتمل أنّ الهاء تعود إلى القضاء و القدر النّازل فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

فإن قيل: قال اللّه تعالى فى هذه السّورة: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، و قال فى موضع آخر: أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ «۳»، و قد أنزله فى عشرين سنة كما قال: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۴»، فما وجه الجمع بين هذه الآيات؟

الجواب: أنّه أنزله ليلة القدر الّتى كانت صبيحتها يوم بدر، و هى كانت ليلة سبع عشرة من رمضان، لم ترد بعد إلى العشر الأواخر أنزل إلى السّماء الدّنيا، فوضع فى بيت العزّة خزانة القرآن، ثمّ كان ينزل منه على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نجوما إلى أن قبض. (۱۰: ۵۵۷- ۵۵۸)

---

(۱)- الأعلی/ ۸

(۲)- الدخان/ ۱- ۳.

(۳)- الأنفال/ ۴۱.

(۴)- الإسراء/ ۱۰۶

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۸۶

الفصل العاشر نصّ الشّیخ أبی الفتوح الرّازیّ (م: ۵۳۵ ه) فی تفسیره: «روض الجنان» «۱»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵

قال عطیّة بن الأسود: سألت ابن عبّاس عن قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، إن کان نزول القرآن فی شهر رمضان، فما ذا نزل فی الشّهور الأخر؟ قال: إنّ اللّه تعالی أنزل القرآن من اللّوح المحفوظ فی لیلة القدر من شهر رمضان إلی السّماء الدّنیا، ثمّ أنزله فی بیت العزّة، و من هنا کان جبرئیل یأتی به نجما نجما علی حسب الحاجة و المصلحة، فی مدّة ثلاث و عشرین سنة، و ذلک قوله تعالی: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ.

قال داود بن الهند: سألت الشّعبیّ عن هذه المسألة؛ قال: نعم، نزل القرآن بأوقات متفرّقة، إلّا أنّ جبرئیل کان یأتی ببعض القرآن کلّ سنة فی شهر رمضان إلی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله، و کان یعرضه علیه، فذلک قوله تعالی: یَمْحُوا اللَّهُ ما یَشاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتابِ «۲».

و الوجه الآخر فی هذه الآیة أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ: أنّه بدئ بإنزاله فی شهر رمضان.

---

(۱)- قد ترجمنا هذا النّص من الفارسیّة.

(۲)- الرّعد/ ۳۹ (سیأتی هذا الحدیث کاملا فی عن السّیوطیّ فی الدرّ المنثور).

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۸۷

و إذا قال أحدنا مثلا: سأحجّ غدا، کان معناه ابتدئ الحجّ غدا، و کذلک قال اللّه تعالی:

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، أی ابتدئ نزوله فی شهر رمضان. (۱: ۲۹۱)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ ... طه/ ۱۱۴

قال بعض المفسّرین فی سبب نزول هذه الآیة: إنّ جبرئیل کان إذا قرأ القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قرأ النّبیّ معه؛ حرصا منه علی حفظه، حتّی أنزل اللّه تعالی هذه الآیة.

و قال بعضهم: المراد بها، لا تقرأ هذا القرآن علی أصحابک و لا تعلّمهم، حتّی تعلّم أنت و تستمع بأحسن وجه. فلا یلزم أن یکون النّهی للنّبیّ من فعل فعله أو یفعله، بل نهاه تنزیها و إن لم و لن یفعل ذلک. و مثل هذا النّهی کثیر فی القرآن، منه قوله تعالی: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ اتَّقِ اللَّهَ وَ لا تُطِعِ الْکافِرِینَ وَ الْمُنافِقِینَ «۱»، و قوله تعالی: وَ لا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ کَفُوراً «۲»، و قوله تعالی: وَ لا تَکُنْ کَصاحِبِ الْحُوتِ «۳». (۳: ۵۲۶)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

ثمّ حکی القرآن عن الکافرین أنّهم من جهة أخری- کانوا یطعنون بالقرآن، فقالوا: لم لم ینزل هذا القرآن علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله جملة واحدة؟ بل نزّل متفرّقا، آیة آیة و سورة سورة، و لما ذا لم ینزل مثل ما نزلت التّوراة و الإنجیل جملة واحدة؟

و أجاب عنه بعض العلماء بأنّ الکتب السّابقة نزّلت مکتوبة مرّة واحدة علی رسل غیر أمّیین، و لکن هذا الکتاب نزّل علی النّبیّ الأمیّ متفرّقا، أی آیة آیة و سورة سورة.

و قال بعضهم: إنّ اللّه تعالی أراد أن یکون فی القرآن ناسخ و منسوخ، فلا یجوز أن ینزّل جملة واحدة، بل أنزله بحیث یرفع المنسوخ عند نزول النّاسخ.

و الصّحیح، أنّ المصلحة- و هی معتبرة فی إنزال القرآن- تقتضی فیه التّفریق دون

---

(۱)- الأحزاب/ ۱.

(۲)- الإنسان/ ۲۴.

(۳)- القلم/ ۴۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۸۸

نزوله جملة واحدة، و إلیه أشار بقوله تعالی: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ. و قالوا فی معنی هذه الآیة: حتّی یسهل علیک حفظه و تعلّمه.

قوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا قال ابن عبّاس: أی بیّناه. و قال النّخعیّ و الحسن البصریّ:

أی فرّقناه و نزّلناه فی ثلاث و عشرین سنة.

قال ابن زید: رَتَّلْناهُ، أی فسّرناه، و التّرتیل هو بسط القراءة و إظهارها بجلاء، من قولهم: ثغر مرتّل، أی مفلّج. (۴: ۷۷)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳

هذه اللّیلة هی لیلة القدر؛ لقوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۲»، قاله قتادة و ابن زید.

و قال جماعة آخرون: هی لیلة النّصف من شعبان. و القول الأوّل أصحّ؛ لوجود النّظائر و القرائن فی القرآن.

و قال قتادة: لیلة القدر هی اللّیلة الّتی نزل فیها القرآن من اللّوح المحفوظ إلی سماء الدّنیا، ثمّ أنزل علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله بأوقات و أیّام متفرّقة. (۵: ۲۷)

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹

قال عبد اللّه بن عبّاس و سعید بن جبیر و الضّحّاک: کان إذا أوحی إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله یحرّک لسانه فی فمه حرصا علی قراءته و فهمه، فنهاه اللّه عن ذلک بهذه الآیة لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ ....

و جاز هذا النّهی- و إن لم یفعل هذا الفعل بل نهاه- حتّی لا یفعله فی المستقبل، کما قال اللّه تعالی: وَ لا تُطِعِ الْکافِرِینَ وَ الْمُنافِقِینَ «۳». و معلوم أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لم یطع

---

(۱)- القدر/ ۱

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الأحزاب/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۸۹

الكافرين و المنافقين أصلا، و الضّمير فى (به) جاز رجوعه إلى القرآن أو إلى الوحى.

قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أى أحكامه، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، أى نفصّل حلاله و حرامه.

و قال ابن عبّاس و الضّحاك: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، أى فى صدرك، و نقرأه عليك حتّى تعلمه.

و دلّت هذه الآية على أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جمع القرآن فى آخر عمره؛ لقوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، لأنّه لا يمكن القراءة إلّا بمجموع و مؤلّف قريب. و كذلك دلّت هذه الآية على أنّ تفسير القرآن لا يجوز إلّا بنصّ عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؛ لقوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ. (۵: ۴۳۶)

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا الإنسان: ۲۳

أنزلت هذه الآية على سبيل المنّة و تذكيرا بالنّعمة.

و قال ابن عبّاس: لقد منّ اللّه على عباده أنّه أنزل القرآن متفرّقا، آية من بعد آية و سورة من بعد سورة، و لم ينزّله جملة واحدة، حتّى لا يصعب فهمه و تعلّمه، كقوله:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ... «۱». (۵: ۴۵۲)

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۰

الفصل الحادى عشر نصّ الزّمخشرىّ (م: ۵۳۸ ه) فى «الكشّاف» و نصّ السيّد الشّريف (م: ۸۱۶) فى «حاشيته على الكشّاف»

اشارة

الحمد للّه الّذى أنزل القرآن كلاما مؤلّفا منظّما، و نزّله بحسب المصالح منجّما «۱». (۱: ۳)

---

(۱)- [قال السّيّد الشّريف الجرجانيّ:]

قوله: «أنزل»، يروى أنّه وقع فى أمّ النّسخ «خلق» مكان «أنزل» ثمّ غيّره المصنّف، فإن صحّ ذلك فالتّغيير لفوائد:

الأولى: أنّ «الخلق» إذا نسب إلى ما هو جنس القول فقد يراد به معنى الاختلاق؛ يقال: خلق هذا الكلام و اختلقه، أى افتراه، فلا يحسن استعماله فى هذا المقام، و إن أريد به معنى آخر.

الثّانية: أنّ كون القرآن حادثا أمر شنيع عند الخصم، فأراد أن يكتمه أوّلا، ثمّ أن يظهره بعد سوق مقدّمات مسلّمة عنده، و مستلزمة للحدوث فى نفس الأمر، فإنّ ذلك أقوى فى استدراجه إلى التّسليم من حيث لا يشعر به.

الثّالثة: الاحتراز عن التّكرار؛ إذ قد حكم فيما بعد بحدوثه.

الرّابعة: أنّ الإنزال أدخل فى كون القرآن نعمة علينا و أقرب إلينا؛ لتأخّره عن الخلق.

الخامسة: أنّ الحمد على إنزاله وارد فيه دون الحمد على خلقه.

السّادسة: أنّ «أنزل» أحسن التئاما مع «نزل» لما بينهما من الصّنعة الاشتقاقيّة.

السّابعـة: أنّ فى الجمع بين الإنـزال و التّنزيل إشارة إلى كيفيّة النّزول، على ما روى من أنّ القرآن أنزل جملـة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الـدّنيا، و أمر السّـفرة الكرام بانتساخه، ثمّ نزل إلى الأرض نجوما فى ثلاث و عشرين سنة، و ذلك أنّ الإنزال و إن كان مطلقا لكنّه إذا قوبل بالتّنزيل الـدّال هاهنا على التّدريج فيما بين أجزاء القرآن، إمّا لدلالته على التّكثير، و إمّا لما قيّد به من التّنجيم، تبادر منه الإنزال دفعة.-

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۱

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ ... البقرة/ ۲۳

فإن قلت: لم قيل (ممّا نزّلنا) على لفظ التّنزيل دون الإنزال؟

قلت: لأنّ المراد النّزول على سبيل التّدريج و التّنجيم، و هو من محازّه «۱» لمكان التّحدّى، و ذلك أنّهم كانوا يقولون: لو كان هذا من عنـد اللّه مخالفـا؛ لمـا يكون من عنـد النّـاس لم ينزّل هكـذا نجومـا، سورة بعـد سورة و آيـات غبّ آيات على حسب النّوازل، و كفاء الحوادث، و على سـنن ما نرى عليه أهل الخطابة و الشّـعر من وجود ما يوجد منهم مفرّقا، حينا فحينا، شيئا فشيئا، حسب ما يعنّ لهم من الأحوال المتجدّدة و الحاجات السّانحة، لا يلقى النّاظم ديوان شـعره دفعة و لا يرمى النّاثر بمجموع خطبة أو رسالة ضـربة، فلو أنزله اللّه لأنزله خلاف هذه العادة جملة واحدة؛ قال اللّه تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۲».

فقيل: إن ارتبتم فى هذا الّذى وقع إنزاله هكذا على مهل و تدريج، فهاتوا أنتم نوبة

- فـإن قلت: الموصوف بالحركـة حقيقـة هو المتحيّز بالـذّات من الجواهر الأفراد و ما يتركّب منها دون الأعراض، فإنّه يمتنع فيها ذلك سواء كـانت أجزاؤهـا مجتمعـة كـاللّون، أو سيّالة كـالصّوت الّـذى هـو جنس الكلام، فكيـف يتصوّر إنزال القرآن و تنزيله مع أنّهما تحريك من علوّ إلى أسفل؟

قلت: ذلـك مبنىّ على متعـارف أهـل اللّغـة؛ حيث يصـفون الكلام بمـا يوصف به مبلغه، فيقولون: نزل إلينا من القصـر حكم الأمير، و كلامه على سبيـل الإسـناد المجازىّ، و صاحب «الكشف» جعل وصـفه بالتّنزيل من هـذا القبيل، و حمل الإنزال على إظهاره فى اللّوح المحفوظ، زاعما أنّ للقرآن حركـة معنويّة و هى الظّهور بعد الكمون لا زمانا بل ذاتا، و أنّ تلك الحركة من الأعلى رتبة و شرفا؛ لأنّ علوّ مرتبـة واجب الوجود تعالى و القلم الأعلى على اللّوح لا يخفى، و تفسير كلامه على ما نقل عنه، أنّ القرآن كان كامنا فى العلم الإلهىّ، ثمّ أظهره اللّه تعالى بواسطة القلم الّذى هو العقل الأوّل فى اللّوح المحفوظ الّذى هو نفس الكلّ، و هذا الظّهور ليس بزمانىّ؛ لأنّ الزّمان مقدار حركة الفلك الأعظم، و هو متأخر عمّا ذكر بمراتب.

و يرد عليه أنّه مبنىّ على قواعد الفلسفة، و أنّ كونه فى علم اللّه لا بدّ أن يكون أزليّا، فإذا لم يتأخّر الظّهور فى اللّوح عن الكمون زمانا بل ذاتا كان أزليّا؛ إذ لو كان حادثا لكان متأخّرا زمانا اتّفاقا، فيلزم قدم اللّوح و القلم، و ذلك باطل قطعا. (هامش الكشاف ۱: ۳- ۴)

(۱)- المحـازّ: جمع محزّ من الحزّ بمعنى القطع، أى هـذا المقـام من المواضع الّتى تنـاسب اعتبـار التّدريج فى النّزول، و اسـتعمال لفظ التّنزيل لمكان التّحدّى.

(۲)- الفرقان/ ۳۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۲

واحـدة من نوبـة، و هلمّوا نجما فردا من نجومه سورة من أصغر السّور، أو آيات شتّى مفتريات، و هـذه غايـة التّبكيت، و منتهى إزاحة العلل. (۱: ۲۳۸- ۲۳۹).

وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ ... النّحل / ۱۰۱

فإن قلت: هل فى ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أنّ القرآن إنّما ينسخ بمثله، و لا يصحّ بغيره من السّنّة و الإجماع و القياس؟

قلت فيه: أنّ قرآنا ينسخ بمثله، و ليس فيه نفى نسخه بغيره، على أنّ السّنّة المكشوفة المتواترة مثل القرآن فى إيجاب العلم، فنسخه بها كنسخه بمثله.

و أمّا الإجماع و القياس و السّنّة غير المقطوع بها فلا يصحّ نسخ القرآن بها، فى «ينزّل» و «نزّله». و ما فيهما من التّنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث و المصالح، إشارة إلى أنّ التّبديل من باب المصالح كالتّنزيل، و أنّ ترك النّسخ بمنزلة إنزاله دفعة واحدة فى خروجه عن الحكمة. (۲: ۴۲۸)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ... الفرقان / ۳۱

(نزّل) هاهنا بمعنى «أنزل» لا غير، كخبّر بمعنى أخبر، و إلّا كان متدافعا. و هذا أيضا من اعتراضاتهم و اقتراحاتهم الدّالّة على شرادهم «۱» عن الحقّ، و تجافيهم عن أتباعه؛ قالوا:

هلّا أنزل عليه دفعة واحدة، فى وقت واحد كما أنزلت الكتب الثّلاثة، و ماله أنزل على التّفاريق؟ و القائلون قريش، و قيل: اليهود، و هذا فضول من القول و مماراة بما لا طائل تحته؛ لأنّ أمر الإعجاز و الاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرّقا.

و قوله: كَذلِكَ جواب لهم، أى كذلك أنزل مفرّقا، و الحكمة فيه أن نقوّى بتفريقه فؤادك حتّى تعيه و تحفظه؛ لأنّ المتلقّن إنّما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شىء و جزءا عقيب جزء، و لو ألقى عليه جملة واحدة لبعل «۲» به و تعيّا بحفظه. و الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم

---

(۱)- شرادهم (بضمّ الشّين و كسرها)، أى خروجهم.

(۲)- أى تحيّر.

فارقت حاله حال موسى و داود و عيسى عليهم السّلام؛ حيث كان أمّيا لا يقرأ و لا يكتب، و هم كانوا قارئين كاتبين، فلم يكن له بدّ من التّلقّن و التّحفّظ، فأنزل عليه منجّما فى عشرين سنة، و قيل: فى ثلاث و عشرين. و أيضا فكان ينزل على حسب الحوادث و جوابات السّائلين، و لأنّ بعضه منسوخ و بعضه ناسخ و لا يتأتّى ذلك إلّا فيما أنزل مفرّقا.

فإن قلت: ذلك فى كَذلِكَ يجب أن يكون إشارة إلى شىء تقدّمه، و الّذى تقدّم هو إنزاله جملة واحدة، فكيف فسّرته ب (كذلك) أنزلناه مفرّقا؟

قلت: لأنّ قولهم: لو لا أنزل عليه جملة، معناه لم أنزل مفرّقا، و الدّليل على فساد هذا الاعتراض أنّهم عجزوا عن أن يأتوا بنجم واحد من نجومه، و تحدّوا بسورة واحدة من أصغر السّور، فأبرزوا صفحة عجزهم، و سجّلوا به على أنفسهم حين لاذوا بالمناصبة، و فزعوا إلى المحاربة، ثمّ قالوا: هلّا نزل جملة واحدة؟ كأنّهم قدروا على تفاريقه حتّى يقدروا على جملته.

وَ رَتَّلْناهُ: معطوف على الفعل الّذى تعلّق به «كذلك» كأنّه قال: كذلك فرّقناه و رتّلناه، و معنى ترتيله أن قدّره آية بعد آية، و وقفة عقيب وقفة ... [إلى أن قال:].

و قيل: هو أن نزّله- مع كونه متفرّقا- على تمكّث و تمهّل فى مدّة متباعدة، و هى عشرون سنة، و لم يفرّقه فى مدّة متقاربة. (۳: ۹۰- ۹۱)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ الدّخان/ ۳

فإن قلت: ما معنى إنزال القرآن فى هذه اللّيلة؟

قلت: قالوا: أنزل جملة واحدة من السّماء السّابعة إلى السّماء الدّنيا، و أمر السّفرة الكرام بانتساخه فى ليلة القدر، و كان جبريل عليه السّلام، ينزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نجوما نجوما.

فإن قلت: إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ما موقع هاتين الجملتين؟

قلت: هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان، فسّر بهما جواب القسم الّذى هو قوله تعالى:

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ. كأنّه قيل: أنزلناه؛ لأنّ من شأننا الإنذار و التّحذير من العقاب، و كان إنزالنا إيّاه فى هذه اللّيلة خصوصا؛ لأنّ إنزال القرآن من الأمور الحكيمة،

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۴

و هذه اللّيلة مفرّق كلّ أمر حكيم. و المباركة: الكثيرة الخير؛ لما يتيح اللّه فيها من الأمور الّتى يتعلّق بها منافع العباد فى دينهم و دنياهم، و لو لم يوجد فيها إلّا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة. و معنى يفرق يفصل و يكتب كلّ أمر حكيم من أرزاق العباد و آجالهم و جميع أمورهم منها إلى الأخرى القابلة.

و قيل: يبدأ فى استنساخ ذلك من اللّوح المحفوظ فى ليلة البراءة، و يقع الفراغ فى ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل، و نسخة الحروب إلى جبريل، و كذلك الزّلازل و الصّواعق و الخسف، و نسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدّنيا، و هو ملك عظيم، و نسخة المصائب إلى ملك الموت. (۳: ۵۰۰)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلى/ ۶

بشّره اللّه بإعطاء آية بيّنة، و هى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى- و هو أمّىّ لا يكتب و لا يقرأ- فيحفظه و لا ينساه.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ: فذهب به عن حفظه برفع حكمه و تلاوته، كقوله: أَوْ نُنْسِها: و قيل: كان يعجّل بالقراءة إذا لقّنه جبريل، فقيل: فَلا تَعْجَلْ، فإنّ جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكرّرة إلى أن تحفظه، ثمّ لا تنساه إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ثمّ تذكّره بعد النّسيان. أو قال: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، يعنى القلّة و النّدرة كما روى أنّه أسقط آية فى قراءته فى الصّلاة فحسب أبىّ أنّها نسخت فسأله فقال: نسيتها، أو قال: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ و الغرض نفى النّسيان رأسا، كما يقول الرّجل لصاحبه: أنت سهيمى فيما أملك إلّا فيما شاء اللّه، و لا يقصد استثناء شىء، و هو من استعمال القلّة فى معنى النّفى. و قيل: قوله:

فَلا تَنْسى على النّهى، و الألف مزيدة للفاصلة كقوله: السَّبِيلَا يعنى فلا تغفل قراءته و تكريره فتنساه إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ يعنى إنّك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السّلام مخافة التّفلّت، و اللّه يعلم جهرك معه و ما فى نفسك ممّا يدعوك إلى الجهر، فلا تفعل، فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم و ما أعلنتم من أقوالكم و أفعالكم، و ما ظهر و بطن من أحوالكم، و ما هو

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۵

مصلحة لكم فى دينكم و مفسدة فيه، فينسى من الوحى ما يشاء و يترك محفوظا ما يشاء.

وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى معطوف على سَنُقْرِئُكَ، و قوله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى اعتراض، و معناه و نوفّقك للطّريقة الّتى هى أيسر و أسهل، يعنى حفظ الوحى.

و قيل: للشّريعة السّمحة الّتى هى أيسر الشّرائع و أسهلها مأخذا. (۴: ۲۴۳)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ... القيامة/ ۱۶- ۲۰

الضّمير فى بِهِ للقرآن، و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا لقّن الوحى نازع جبريل القراءة، و لم يصبر إلى أن يتمّها؛ مسارعة إلى الحفظ، و خوفا أن يتفلّت منه. فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه و سمعه، حتّى يقضى إليه وحيه، ثمّ يقفّيه بالدّراسة إلى أن يرسخ فيه.

و المعنى لا- تحرّك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات اللّه عليه يقرأ، لِتَعْجَلَ بِهِ: لتأخذه على عجلة، و لئلّا يتفلّت منك، ثمّ علّل النّهى عن العجلة بقوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ فى صدرك، و إثبات قراءته فى لسانك. فَإِذا قَرَأْناهُ: جعل قراءة جبريل قراءته، و القرآن: القراءة. فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: فكن مقفّيا له فيه، و لا تراسله، وطأ من نفسك أنّه لا يبقى غير محفوظ، فنحن فى ضمان تحفيظه. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ إذا أشكل عليك شيئا من معانيه، كأنّه كان يعجل فى الحفظ و السّؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحرّاص على العلم، و نحوه: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «۱». كلّا:

ردع لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن عادة العجلة، و إنكار لها عليه، و حثّ على الأناة و التّؤدة. و قد بالغ فى ذلك باتباعه قوله: بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ، كأنّه قال: بل أنتم يا بنى آدم! لأنّكم خلقتم من عجل، و طبعتم عليه، تعجلون فى كلّ شىء، و من ثمّ تحبّون العاجلة. (۴: ۱۹۱- ۱۹۲)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر: ۱

عظّم القرآن من ثلاثة أوجه: أحدها: أن أسند إنزاله إليه و جعله مختصّا به دون غيره.

و الثّانى: أنّه جاء بضميره دون اسمه الظّاهر شهادة له بالنّباهة و الاستغناء عن التّنبيه عليه.

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

و الثّالث: الرّفع من مقدار الوقت الّذى أنزل فيه. روى أنّه نزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، و أملاه جبريل على السّفرة، ثمّ كان ينزّله على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نجوما فى ثلاث و عشرين سنة. و عن الشّعبىّ، المعنى إنّا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر.

و اختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنّها فى شهر رمضان فى العشر الأواخر فى أوتارها. و أكثر القول أنّها السّابعة منها ... (۴: ۲۷۳)

الفصل الثّانى عشر نصّ الطّبرسىّ (م: ۵۴۸ ه) فى تفسيره «مجمع البيان»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

اختلف فى قوله: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ؛

فقيل: إنّ اللّه أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السّماء الدّنيا، ثمّ أنزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعد ذلك نجوما فى طول

عشرين سنة، عن ابن عبّاس و سعيد بن جبير و الحسن و قتادة، و هو المروىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

و قيل: إنّ اللّه تعالى ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر من شهر رمضان، عن ابن إسحاق.

و قيل: إنّه كان ينزّل إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، ما يحتاج إليه فى تلك السّنة، جملة واحدة، ثمّ ينزّل إلى مواقع النّجوم إرسالا فى الشّهور و الأيّام.

عن السّدّىّ بسنده إلى ابن عبّاس، و رواه الثّعلبىّ بإسناده عن أبى ذر الغفّارىّ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: «أنزلت صحف إبراهيم ...» [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:].

و هذا بعينه رواه العيّاشىّ عن أبى عبد اللّه عليه السّلام عن آبائه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و قيل: المراد بقوله: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أنّه نزل فى فرضه و إيجاب صومه على الخلق القرآن، فيكون فيه بمعنى فى فرضه، كما يقول القائل: أنزل اللّه تعالى فى الزّكاة كذا، يريد فى فرضها. (۱: ۲۷۶)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۸

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۶

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ، أى و أنزلنا عليك يا محمّد قرآنا فصّلناه سورا و آيات، عن أبى مسلم. و قيل: معناه فرقنا به الحقّ عن الباطل، عن الحسن. و قيل: معناه جعلنا بعضه خبرا و بعضه أمرا، و بعضه نهيا، و بعضه وعدا، و بعضه وعيدا، و أنزلناه متفرّقا، لم ننزّله جميعا؛ إذ كان بين أوّله و آخره نيف و عشرون سنة.

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، أى تثبّت و تؤدة، فترتّله ليكون أمكن فى قلوبهم، و يكون أقدر على التّأمّل و التّفكّر فيه، و لا تعجل فى تلاوته فلا يفهم عنك، عن ابن عبّاس و مجاهد. و قيل: معناه لتقرأه عليهم مفرّقا شيئا بعد شىء.

وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا: على حسب الحاجة و وقوع الحوادث. (۳: ۴۴۵)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ ... طه/ ۱۱۴

فيه وجوه؛

أحدها: أنّ معناه لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل عليه السّلام من إبلاغه، فإنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يقرأ معه، و يعجل بتلاوته مخافة نسيانه. أى تفهم ما يوحى إليك إلى أن يفرغ الملك من قراءته، و لا تقرأ معه، ثمّ اقرأ بعد فراغه منه. و هذا كقوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ «۱»، عن ابن عبّاس و الحسن و الجبّائىّ.

و ثانيها: إنّ معناه و لا تقرأ لأصحابك و لا تمله عليهم حتّى تبيّن لك معانيه، عن مجاهد و قتادة و عطيّة و أبى مسلم.

و ثالثها: أنّ معناه و لا تسأل إنزال القرآن قبل أن يأتيك وحيه؛ لأنّه تعالى إنّما ينزّله بحسب المصلحة وقت الحاجة. (۴: ۳۲)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان: ۳۲

---

(۱)- القيامة/ ۱۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۹۹

معناه و قال الكفّار لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: هل أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التّوراة و الإنجيل و الزّبور جملة

واحدة؟ قال اللّه تعالی: کَذلِکَ، أی نزّلناه کذلک متفرّقا.

لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، أی لنقوّی به قلبک فتزداد بصیرة، و ذلک أنّه إذا کان یأتیه الوحی متجدّدا فی کلّ حادثة و کلّ أمر کان ذلک أقوی لقلبه و أزید فی بصیرته.

و قیل: إنّما أنزلت الکتب جملة واحدة؛ لأنّها نزلت علی الأنبیاء ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّوسیّ]. وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، أی بیّناه تبیینا و رسّلناه ترسیلا بعضه فی أثر بعض، عن ابن عبّاس و مجاهد و قتادة.

و قیل: فصّلناه تفصیلا، عن السّدّیّ. و قیل: فرّقناه تفریقا، عن النّخعیّ. و روی أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال: «یا ابن عبّاس! إذا قرأت القرآن فرتّله ترتیلا قال: و ما التّرتیل؟ قال: بیّنه تبیینا، و لا تنثره نثر الدّقل، و لا تهذّه هذّا الشّعر، قفوا عند عجائبه، و حرّکوا به القلوب و لا یکوننّ همّ أحدکم آخر السّورة». (۴: ۱۶۹- ۱۷۰)

إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳

إِنّا أَنْزَلْناهُ، أی إنّا أنزلنا القرآن، و اللّیلة المبارکة هی لیلة القدر، عن ابن عبّاس و قتادة و ابن زید؛ و هو المرویّ عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام.

و قیل: هی لیلة النّصف من شعبان، عن عکرمة. و الأصحّ الأوّل، و یدلّ علیه قوله:

إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۲».

و اختلف فی کیفیّة إنزاله؛ فقیل: أنزل إلی السّماء الدّنیا فی لیلة القدر، ثمّ أنزل نجوما إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

و قیل: إنّه کان ینزّل جمیع ما یحتاج فی کلّ سنة فی تلک اللّیلة، ثمّ کان ینزلها جبرائیل شیئا فشیئا وقت وقوع الحاجة إلیه.

و قیل: کان بدء إنزاله فی لیلة القدر. و روی عن ابن عبّاس أنّه قال: قد کلّم اللّه

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

جبرائیل فی لیلة واحدة و هی لیلة القدر، فسمعه جبرائیل و حفظه بقلبه، و جاء به إلی السّماء الدّنیا إلی الکتبة و کتبوه، ثمّ نزّل علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله بالنّجوم فی ثلاث و عشرین سنة، و قیل: فی عشرین سنة. (۵: ۶۱)

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹

... خاطب سبحانه نبیّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ؛ قال ابن عبّاس: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله إذا نزل علیه القرآن عجّل بتحریک لسانه؛ لحبّه إیّاه و حرصه علی أخذه و ضبطه مخافة أن ینساه، فنهاه اللّه عن ذلک.

و فی روایة سعید بن جبیر عنه أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یعاجل من التّنزیل شدّة، و کان یشتدّ علیه حفظه، فکان یحرّک لسانه و شفتیه قبل فراغ جبریل من قراءة الوحی، فقال سبحانه:

لا- تُحَرِّکْ بِهِ أی بالوحی، أو بالقرآن لِسانَکَ، یعنی بالقراءة، لِتَعْجَلَ بِهِ أی لتأخذه. کما قال: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۱» إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ فی صدرک حتّی تحفظه، وَ قُرْآنَهُ أی و تألیفه علی ما نزل علیک، عن قتادة.

و قيل: معناه إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ عليك حتّى تحفظه و يمكنك تلاوته، فلا تخف فوت شىء منه، عن ابن عبّاس و الضّحّاك!.
فَإِذا قَرَأْناهُ، أى قرأه جبريل عليك بأمرنا فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أى قراءته، عن ابن عبّاس. و المعنى أقرأه إذا فرغ جبريل عن قراءته. قال: فكان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بعد هذا إذا نزل عليه جبريل عليه السّلام أطرق، فإذا ذهب قرأ.
و قيل: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أى فاعمل بما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام، عن قتادة و الضّحّاك.
و قال البلخىّ: الّذى اختاره أنّه لم يرد القرآن، و إنّما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة. يدلّ على ذلك ما قبله و ما بعده، و ليس فيه شىء يدلّ على أنّه القرآن، و لا شىء من أحكام الدّنيا، و فى ذلك تقريع للعبد و توبيخ له حين لا تنفعه العجلة. يقول: لا تحرّك

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۰۱

لسانك بما تقرأه من صحيفتك الّتى فيها أعمالك، يعنى اقرأ كتابك و لا تعجل، فإنّ هذا الّذى هو على نفسه بصيرة إذا رأى سيّئاته ضجر و استعجل، فيقال له توبيخا: لا تعجل و تثبت؛ لتعلم الحجّة عليك فإنّا نجمعها لك، فإذا جمعناه فاتّبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه و الاستسلام للتّبعة فيه، فإنّه لا يمكنك إنكاره. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ لو أنكرت.
و قال الحسن: معناه ثمّ إنّ علينا بيان ما أنبأناك أنّا فاعلون فى الآخرة و تحقيقه.
و قيل: يريد إنّا نبيّن لك معناه إذا حفظته، عن قتادة.
و قيل: معناه ثمّ إنّ علينا أن نحفظه عليك، حتّى تبيّن للنّاس بتلاوتك إيّاه عليهم.
و قيل: معناه علينا أن ننزّله قرآنا عربيّا فيه بيان للنّاس، عن الزّجّاج.
و فى هذا دلالة على أنّه لا تعمية فى القرآن و لا ألغاز و لا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة، و إنّما يدلّ على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب. (۵: ۳۹۷)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵- ۷۸

و اختلف فى معنى مواقع النّجوم، فقيل: هى مطالع النّجوم و مساقطها، عن مجاهد و قتادة. و قيل: انكدارها، و هو انتشارها يوم القيامة، عن الحسن. و قيل: هى الأنواء الّتى كان أهل الجاهليّة إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا، فيكون المعنى فلا أقسم بها.
و روى عن أبى جعفر و أبى عبد اللّه عليهما السّلام: «إنّ مواقع النّجوم رجومها للشّياطين، و كان المشركون يقسمون بها، فقال سبحانه: فلا أقسم بها» و قيل: معناه أقسم بنزول القرآن، فإنّه نزل متفرّقا قطعا نجوما، عن ابن عبّاس.
وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ: قال الزّجّاج و الفرّاء: و هذا يدلّ على أنّ المراد بمواقع النّجوم نزول القرآن، و الضّمير فى إِنَّهُ يعود إلى القسم، و دلّ عليه قوله:
أُقْسِمُ، و المعنى أنّ القسم بمواقع النّجوم لقسم عظيم لو تعلمون، ففصل بين الصّفة و الموصوف بالجملة.
ثمّ ذكر المقسم به فقال: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، معناه إنّ الّذى تلوناه عليك لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، أى عامّ المنافع كثير الخير، ينال الأجر العظيم بتلاوته و العمل بما فيه.
نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۰۲
و قيل: كَرِيمٌ عند اللّه تعالى، أكرمه اللّه تعالى و أعزّه لأنّه كلامه، عن مقاتل.
و قيل: كَرِيمٌ لأنّه كلام ربّ العزّة، و لأنّه محفوظ عن التّغيير و التّبديل، و لأنّه معجز، و لأنّه يشتمل على الأحكام و المواعظ و كلّ جليل خطير و عزيز فهو كريم. فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ، أى مستور من خلقه عند اللّه، و هو اللّوح المحفوظ أثبت اللّه فيه القرآن، عن ابن

عبّاس. و قيل: هو المصحف الّذى فى أيدينا، عن مجاهد. (۵: ۲۲۶)

فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ* بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ... عبس/ ۱۳- ۱۷

أخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال: فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، أى هذا القرآن أو هذه التّذكرة فى كتب معظّمة عند اللّه، و هى اللّوح المحفوظ، عن ابن عبّاس.

و قيل: يعنى كتب الأنبياء المنزّلة عليهم، كقوله: إِنَّ هذا لَفِى الصُّحُفِ الْأُولى «۱».

مَرْفُوعَةٍ فى السّماء السّابعة، و قيل: مرفوعة قد رفعها اللّه عن دنس الأنجاس.

مُطَهَّرَةٍ: لا يمسّها إلّا المطهّرون.

و قيل: مصونة عن أن تنالها أيدى الكفرة؛ لأنّها فى أيدى الملائكة فى أعزّ مكان، عن الجبّائىّ.

و قيل: مطهّرة من كلّ دنس، عن الحسن.

و قيل: مطهّرة من الشّكّ و الشّبهة و التّناقض. بِأَيْدِى سَفَرَةٍ يعنى الكتبة من الملائكة، عن ابن عبّاس و مجاهد.

و قيل: يعنى السّفراء بالوحى بين اللّه تعالى و بين رسله، من السّفارة. و قال قتادة: هم القرّاء يكتبونها و يقرءونها.

و روى فضيل بن يسار عن الصّادق عليه السّلام، قال: «الحافظ للقرآن، العامل به مع السّفرة الكرام البررة» ثمّ أثنى عليهم، فقال: كرام على ربّهم بَرَرَةٍ مطيعين.

و قيل: كرام عن المعاصى يرفعون أنفسهم عنها بَرَرَةٍ أى صالحين متّقين.

و قال مقاتل: كان القرآن ينزل من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر إلى

---

(۱)- الأعلى/ ۱۸.

الكتبة من الملائكة، ثمّ ينزل به جبريل عليه السّلام إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله. ثمّ ذكر سبحانه المكذّبين بالقرآن فقال: قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ. (۵: ۴۳۸)

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلى/ ۶- ۷

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى، أى سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك.

و قيل: معناه سيقرأ عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه و لا تنساه. و قال ابن عبّاس:

كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إذا نزل عليه جبرائيل عليه السّلام بالوحى يقرأه؛ مخافة أن ينساه، فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السّلام من آخر الوحى حتّى يتكلّم هو بأوّله، فلمّا نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئا. إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن ينسيكه بنسخه من رفع حكمه و تلاوته، عن الحسن و قتادة.

و على هذا فالإنشاء نوع من النّسخ، و قد مرّ بيانه فى سورة البقرة عند قوله: ما نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِها الآية.

و قيل: معناه إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن يؤخّر إنزاله عليك فلا تقرأه.

و قيل: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ كالاستثناء فى الإيمان، و إن لم يقع منه مشيئة النّسيان.

قال الفرّاء: لم يشأ اللّه أن ينسى عليه السّلام شيئا، فهو كقوله: خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّكَ «۱» و لا يشاء،

و كقول القائل: «لأعطينّك كلّ ما سألت إلّا ما شئت، و إلّا أن أشاء أن أمنعك» و النّيّة أن لا يمنعه، و مثله الاستثناء فى الإيمان. ففى الآية بيان لفضيلة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و إخبار أنّه مع كونه صلّى اللّه عليه و آله أمّيّا كان يحفظ القرآن، و أنّ جبرائيل عليه السّلام كان يقرأ عليه سورة طويلة فيحفظه بمرّة واحدة ثمّ لا ينساه، و هذه دلالة على الإعجاز الدّال على نبوّته.

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى معناه إنّ اللّه سبحانه يعلم العلانية و السّرّ و الجهر: رفع الصّوت، و نقيضه الهمس، و المعنى أنّه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به، و ما أخفيته ممّا تريد أن تعيه. وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى اليسرى هى الفعلى من اليسر، و هو سهولة عمل الخير.

و المعنى نوفّقك للشّريعة اليسرى، و هى الحنيفيّة، و نهوّن عليك الوحى و نسهّله، حتّى

---

(۱)- هود/ ۱۰۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۰۴

تحفظه و لا تنساه، و تعمل به و لا تخالفه ... (۵: ۴۷۵)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

إِنَّا أَنْزَلْناهُ: الهاء كناية عن القرآن و إن لم يجر له ذكر؛ لأنّه لا يشتبه الحال فيه.

فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: قال ابن عبّاس: أنزل اللّه القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، ثمّ كان ينزّله جبرئيل عليه السّلام على محمّد صلّى اللّه عليه و آله نجوما، و كان من أوّله إلى آخره ثلاث و عشرون سنة.

و قال الشّعبىّ: معناه إنّا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر.

و قال مقاتل: أنزله من اللّوح المحفوظ إلى السّفرة، و هم الكتبة من الملائكة فى السّماء الدّنيا، و كان ينزل ليلة القدر من الوحى على قدر ما ينزل به جبرائيل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى السّنة كلّها إلى مثلها من القابل. (۵: ۵۱۸)

و نصّه أيضا فى «تفسير جوامع الجامع»

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ طه/ ۱۱۴

لمّا ذكر القرآن و إنزاله قال على سبيل الاستطراد: و إذا لقّنك جبرئيل الوحى ف لا تَعْجَلْ بتلاوته قبل أن يفرغ من قراءته و لا تكن قراءتك مساوقة لقراءته، و نحوه لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. و قيل: معناه لا تقرئه أصحابك حتّى يبيّن لك ما كان مجملا.

و استزد من اللّه- سبحانه- علما إلى علمك وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً إلى علم. (۲: ۴۳۸)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

نُزِّلَ هنا بمعنى أنزل كخبّر و أخبر، أى هلّا أنزل عليه القرآن دفعة ... [و ذكر كما تقدّم عن الكشّاف]. (۳: ۱۳۶)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۰۵

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ الشّعراء/ ۱۹۱- ۱۹۵

وَ إِنَّهُ: الضّمير للقرآن، و المراد بالتّنزيل: المنزّل. و قرئ: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ و «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ»، و الباء فى كلتا القراءتين للتّعدية، أى

جعل اللّه الرّوح الأمین نازلا به عَلی قَلْبِکَ، أی حفّظک و فهّمک إیّاه، و أثبته فی قلبک إثبات ما لا ینسی، کقوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی «۱». بِلِسانٍ الباء یتعلّق ب الْمُنْذِرِینَ أی لتکون من الّذین أنذروا بهذا اللّسان، و هم خمسة: هود و صالح و شعیب و إسماعیل و محمّد (صلوات اللّه علیهم أجمعین) أو یتعلّق ب «نزّل» فیکون المعنی: نزّله باللّسان العربیّ لتنذر به، لأنّه لو نزّله باللّسان الأعجمیّ لقالوا: ما نصنع بما لا نفهمه فیتعذّر الإنذار به، و فی هذا الوجه أنّ تنزیله بالعربیّة الّتی هی لسانک و لسان قومک تنزیل له علی قلبک، لأنّک تفهمه و تفهّمه قومک، و لو کان أعجمیّا لکان نازلا علی سمعک دون قلبک، فکنت تسمع أجراس الحروف لا تفهم معانیها، و لا تعیها. وَ إِنَّهُ یعنی: القرآن لَفِی زُبُرِ الْأَوَّلِینَ یعنی ذکره مثبت فی سائر الکتب السّماویّة علی وجه البشارة به و بمحمّد صلّی اللّه علیه و آله. و قیل: إنّ معانیه من الدّعاء إلی التّوحید و غیره فیها. (۳: ۱۷۰- ۱۷۱)

---

(۱)- الأعلی / ۷.

الفصل الثّالث عشر نصّ ابن الجوزیّ (م: ۵۹۷ ه) فی کتابه: «زاد المسیر فی علم التّفسیر»

مدّة نزول القرآن

روی عکرمة عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ فی لیلة القدر إلی «بیت العزّة»، ثمّ أنزل بعد ذلک فی عشرین سنة.

و قال الشّعبیّ: فرّق اللّه تنزیل القرآن، فکان بین أوّله و آخره عشرون سنة. و قال الحسن: ذکر لنا أنّه کان بین أوّله و آخره ثمانی عشرة سنة، أنزل علیه بمکّة ثمانی سنین.

(۱: ۵)

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

فیه ثلاثة أقوال؛

أحدها: أنّه أنزل القرآن فیه جملة واحدة، و ذلک فی لیلة القدر إلی بیت العزّة من السّماء الدّنیا، قاله ابن عبّاس.

و الثّانی: أنّ معناه أنزل القرآن بفرض صیامه، روی عن مجاهد و الضّحّاک.

و الثّالث: أنّ معناه إنّ القرآن ابتدئ بنزوله فیه علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم قاله ابن إسحاق و أبو

سلیمان الدّمشقیّ. (۱: ۱۸۷)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ ... طه/ ۱۱۴

فی سبب نزولها قولان؛

أحدهما: أنّ جبریل کان یأتی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بالسّورة و الآی فیتلوها علیه، فلا یفرغ جبریل من آخرها حتّی یتکلّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بأوّلها مخافة أن ینساها، فنزلت هذه الآیة، رواه أبو صالح عن ابن عبّاس.

و الثّانی: أنّ رجلا لطم امرأته، فجاءت إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم تطلب القصاص، فجعل رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بینهما القصاص، فنزلت هذه الآیۀ، فوقف رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم حتّی نزل قوله تعالی:

الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّساءِ «۱» قاله الحسن البصریّ.

قوله تعالی: مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ، و قرأ ابن مسعود و الحسن و یعقوب:

«نقضی» بالنّون و کسر الضّاد و فتح الیاء «وحیه» بنصب الیاء. و فی معنی الکلام ثلاثۀ أقوال ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبرسیّ] (۵: ۳۲۵- ۳۲۶)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَۀٍ مُبارَکَۀٍ ... الدّخان/ ۳

إِنَّا أَنْزَلْناهُ: و الهاء کنایۀ عن الکتاب و هو القرآن. فِی لَیْلَۀٍ مُبارَکَۀٍ، و فیها قولان؛

أحدهما: أنّها لیلۀ القدر، و هو قول الأکثرین.

و روی عکرمۀ عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن من عند الرّحمن لیلۀ القدر جملۀ واحدۀ، فوضع فی السّماء الدّنیا، ثمّ أنزل نجوما.

و قال مقاتل: نزل القرآن کلّه فی لیلۀ القدر من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا.

و الثّانی: أنّها لیلۀ النّصف من شعبان، قاله عکرمۀ. (۷: ۳۳۶)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ الواقعۀ/ ۷۵

---

(۱)- النّساء/ ۳۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۰۸

و فی «النّجوم» قولان؛

أحدهما: نجوم السّماء، قاله: الأکثرون، فعلی هذا فی مواقعها ثلاثۀ أقوال. أحدها:

انکدارها و انتثارها یوم القیامۀ، قاله الحسن. و الثّانی: منازلها، قاله عطاء و قتادۀ. و الثّالث:

مغیبها فی المغرب، قاله أبو عبیدۀ.

و الثّانی: أنّها نجوم القرآن، رواه ابن جبیر عن ابن عبّاس. فعلی هذا سمیّت نجوما لنزولها متفرّقۀ، و مواقعها: نزولها. (۸: ۱۵۱)

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامۀ/ ۱۶- ۱۹

[بعد أن حکی روایۀ سعید بن جبیر حسب ما تقدّم عن الطّبرسیّ، قال:]

و معناه لا تحرّک بالقرآن لسانک لتعجل بأخذه. إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: قال ابن قتیبۀ: أی ضمّه و جمعه فی صدرک. فَإِذا قَرَأْناهُ، أی جمعناه. فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أی جمعه. قال المفسّرون: یعنی اقرأ إذا فرغ جبریل من قراءته. قال ابن عبّاس: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أی اعمل به. و قال قتادۀ: فاتّبع حلاله و حرامه.

ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ: فیه أربعۀ أقوال؛

أحدها: نبیّنه بلسانک، فتقرأه کما أقرأک جبریل. و کان إذا أتاه جبریل أطرق، فإذا ذهب، قرأه کما وعده اللّه، قاله ابن عبّاس.

و الثّانی: أنّ علینا أن نجزی به یوم القیامۀ بما فیه من وعد و وعید، قاله الحسن.

و الثّالث: أنّ علينا بيان ما فيه من الأحكام و الحلال و الحرام، قاله قتادة.

و الرّابع: علينا أن ننزّله قرآنا عربيّا فيه بيان للنّاس، قاله الزّجّاج. (۸: ۴۲۱- ۴۲۲)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۰۹

الفصل الرّابع عشر نصّ الفخر الرّازىّ (م: ۶۰۶ ه) فى «التّفسير الكبير»

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ البقرة/ ۲۳

إنّما قال: نَزَّلْنا على لفظ التّنزيل دون الإنزال لأنّ المراد ... [و ذكر كما تقدّم مثله عن الزّمخشرىّ، ثمّ قال:]

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱»، و اللّه سبحانه و تعالى ذكر هاهنا ما يدلّ على أنّ القرآن معجز مع ما يزيل هذه الشّبهة. و تقريره أنّ هذا القرآن النّازل على هذا التّدريج إمّا أن يكون من جنس مقدور البشر أو لا يكون، فإن كان الأوّل وجب إتيانهم بمثله أو بما يقرب منه على التّدريج، و إن كان الثّانى ثبت أنّه مع نزوله على التّدريج معجز. (۲: ۱۱۶)

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵

اعلم أنّه تعالى لمّا خصّ هذا الشّهر بهذه العبادة بيّن العلّة لهذا التّخصيص، و ذلك هو أنّ اللّه سبحانه خصّه بأعظم آيات الرّبوبيّة، و هو أنّه أنزل فيه القرآن، فلا يبعد أيضا تخصيصه بنوع عظيم من آيات العبوديّة و هو الصّوم. و ممّا يحقّق ذلك أنّ الأنوار الصّمديّة

---

(۱)- الفرقان/ ۳۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۱۰

متجلّية أبدا يمتنع عليها الاختفاء و الاحتجاب، إلّا أنّ العلائق البشريّة مانعة من ظهورها فى الأرواح البشريّة، و الصّوم أقوى الأسباب فى إزالة العلائق البشريّة، و لذلك فإنّ أرباب المكاشفات لا سبيل لهم إلى التّوصّل إليها إلّا بالصّوم، و لهذا قال (عليه الصّلاة و السّلام): «لو لا أنّ الشّياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا إلى ملكوت السّماوات» فثبت أنّ بين الصّوم و بين نزول القرآن مناسبة عظيمة، فلمّا كان هذا الشّهر مختصّا بنزول القرآن وجب أن يكون مختصّا بالصّوم، و فى هذا الموضع أسرار كثيرة، و القدر الّذى أشرنا إليه كاف هاهنا.

ثمّ هاهنا مسائل؛

المسألة الأولى: قوله تعالى: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فى تفسيره قولان؛ القول الأوّل:- و هو اختيار الجمهور- أنّ اللّه تعالى أنزل القرآن فى رمضان. عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: «نزل صحف إبراهيم ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و هاهنا سؤالات؛

السّؤال الأوّل: أنّ القرآن ما نزل على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم دفعة، و إنّما نزل عليه فى مدّة ثلاث و عشرين سنة منجما مبعّضا، و كما نزل بعضه فى رمضان نزل بعضه فى سائر الشّهور، فما معنى تخصيص إنزاله برمضان؟

و الجواب عنه من وجهين؛ الأوّل: أنّ القرآن أنزل فى ليلة القدر جملة إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل إلى الأرض نجوما، و إنّما جرت الحال على هذا الوجه لما علمه تعالى من المصلحة على هذا الوجه، فإنّه لا يبعد أن يكون للملائكة الّذين هم سكّان سماء الدّنيا مصلحة فى إنزال ذلك إليهم. أو كان فى المعلوم أنّ فى ذلك مصلحة للرّسول صلّى اللّه عليه و سلم فى توقّع الوحى من أقرب الجهات. أو كان فيه مصلحة لجبريل عليه السّلام؛ لأنّه كان هو المأمور بإنزاله و تأديته، أمّا الحكمة فى إنزال القرآن على الرّسول

منجّما مفرّقا، فقد شرحناها فی سورة الفرقان فی تفسیر قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ «۱».

---

(۱)- الفرقان/ ۳۱. نصوص فی علوم القرآن ۱۱۱ شهر رمضان الذی أنزل فیه القرآن... البقرة/ ۱۸۵ ..... ص : ۱۰۹

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۱۱

الجواب الثّانی: عن هذا السّؤال؛ أنّ المراد منه أنّه ابتدئ إنزاله لیلة القدر من شهر رمضان، و هو قول محمّد بن إسحاق، و ذلک لأنّ مبادئ الملل و الدّول هی الّتی یؤرّخ بها، لکونها أشرف الأوقات، و لأنّها أیضا أوقات مضبوطة معلومة.

و اعلم أنّ الجواب الأوّل لا یحتاج فیه إلی تحمّل شیء من المجاز، و هاهنا یحتاج، فإنّه لا بدّ علی هذا الجواب من حمل القرآن علی بعض أجزائه و أقسامه.

السّؤال الثّانی: کیف الجمع بین هذه الآیة علی هذا القول، و بین قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و بین قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۲»؟

و الجواب: روی أنّ ابن عمر استدلّ بهذه الآیة و بقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ أنّ لیلة القدر لا بدّ و أن تکون فی رمضان، و ذلک لأنّ لیلة القدر إذا کانت فی رمضان کان إنزاله فی لیلة القدر إنزالا له فی رمضان، و هذا کمن یقول: لقیت فلانا فی هذا الشّهر، فیقال له: فی أیّ یوم منه، فیقول: یوم کذا. فیکون ذلک تفسیرا للکلام الأوّل، فکذا هاهنا.

السّؤال الثّالث: أنّ القرآن علی هذا القول یحتمل أن یقال: إنّ اللّه تعالی أنزل کلّ القرآن من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا فی لیلة القدر، ثمّ أنزله إلی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم منجّما إلی آخر عمره، و یحتمل أیضا أن یقال: أنّه سبحانه کان ینزّل من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا من القرآن ما یعلم أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و سلم و أمّته یحتاجون إلیه فی تلک السّنة، ثمّ ینزّله علی الرّسول علی قدر الحاجة، ثمّ کذلک أبدا ما دام، فأیّهما أقرب إلی الصّواب؟

الجواب: کلاهما محتمل، و ذلک لأنّ قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ یحتمل أن یکون المراد منه الشّخص، و هو رمضان معیّن، و أن یکون المراد منه النّوع، و إذا کان کلّ واحد منهما محتملا صالحا وجب التّوقّف.

القول الثّانی: فی تفسیر قوله تعالی: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، قال سفیان بن عیینة أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ معناه أنزل فی فضله القرآن، و هذا اختیار الحسین بن الفضل.

قال ابن الأنباریّ: أنزل فی إیجاب صومه علی الخلق القرآن، کما یقول: أنزل اللّه فی

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الدّخان/ ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۱۲

الزّکاة کذا و کذا، یریدون فی إیجابها، و أنزل فی الخمر کذا، یرید فی تحریمها.

المسألة الثّانیة: ... [ثمّ ذکر معنی القرآن و الاختلاف فی اشتقاقه، بما لا حاجة إلی ذکره هنا].

المسألة الثّالثة: قد ذکرنا فی تفسیر قوله تعالی: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا أنّ التّنزیل مختصّ بالنّزول علی سبیل التّدریج، و الإنزال مختصّ بما یکون النّزول فیه دفعة واحدة، و لهذا قال اللّه تعالی: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ «۱». إذا ثبت هذا، فنقول: لمّا کان المراد هنا من قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ إنزاله من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا، لا جرم ذکره بلفظ الإنزال دون التّنزیل، و هذا یدلّ علی أنّ هذا القول راجح علی سائر الأقوال.

(۵: ۹۲- ۹۵)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۵

و فيه مباحث؛

البحث الأوّل: أنّ القوم قالوا: هب إنّ هذا القرآن معجز، إلّا أنّه بتقدير أن يكون الأمر كذلك، فكان من الواجب أن ينزّله اللّه عليك دفعة واحدة؛ ليظهر فيه وجه الإعجاز، فجعلوا إتيان الرّسول بهذا القرآن متفرّقا شبهة فى أنّه يتفكّر فى فصل فصل و يقرأه على النّاس، فأجاب اللّه عنه بأنّه إنّما فرّقه ليكون حفظه أسهل، و لتكون الإحاطة و الوقوف على دقائقه و حقائقه أسهل.

البحث الثّانى: قال سعيد بن جبير: نزل القرآن كلّه ليلة القدر من السّماء العليا إلى السّماء السّفلى، ثمّ فصل فى السّنين الّتى نزل فيها. قال قتادة: كان بين أوّله و آخره عشرون سنة. و المعنى قطعناه آية آية و سورة سورة و لم ننزّله جملة. لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ بالفتح و الضّمّ: على مهل و تؤدة، أى لا على فورة. قال الفرّاء: يقال: مكث

---

(۱)- آل عمران/ ۳.

و مكث يمكث، و الفتح قراءة عاصم فى قوله: فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ «۱». (۲۱: ۶۸)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... طه/ ۱۱۴

فيه مسائل؛

المسألة الأولى: فى تعلّقه بما قبله وجهان؛

الوجه الأوّل: قال أبو مسلم: إنّ من قوله: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْجِبالِ «۲» إلى هاهنا يتمّ الكلام و ينقطع. ثمّ قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ خطاب مستأنف، فكأنّه قال:

وَ يَسْئَلُونَكَ، وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ.

الوجه الثّانى: روى أنّه عليه السّلام كان يخاف من أن يفوته منه شىء، فيقرأ مع الملك، فأمره بأن يسكت حال قراءة الملك، ثمّ يأخذ بعد فراغه فى القراءة، فكأنّه تعالى شرح كيفيّة نفع القرآن للمكلّفين، و بيّن أنّه سبحانه متعال عن كلّ ما لا ينبغى، و أنّه موصوف بالإحسان و الرّحمة، و من كان كذلك وجب أن يصون رسوله عن السّهو و النّسيان فى أمر الوحى، و إذ حصل الأمان عن السّهو و النّسيان قال: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ.

المسألة الثّانية: قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ، و يحتمل أن يكون المراد لا تعجل بقراءته فى نفسك، و يحتمل أن لا تعجل فى تأديته إلى غيرك، و يحتمل فى اعتقاد ظاهره، و يحتمل فى تعريف الغير ما يقتضيه ظاهره.

و أمّا قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ فيحتمل أن يكون المراد من قبل أن يقضى إليك تمامه، و يحتمل أن يكون المراد من قبل أن يقضى إليك بيانه؛ لأنّ هذين الأمرين، لا يمكن تحصيلهما إلّا بالوحى، و معلوم أنّه عليه السّلام لا ينهى عن قراءته؛ لكى يحفظه و يؤدّيه. فالمراد إذن أن لا يبعث نفسه و لا يبعث غيره عليه حتّى يتبيّن بالوحى تمامه أو بيانه أو هما جميعا؛ لأنّه يجب التّوقّف فى معنى الكلام ما لم يأت عليه الفراغ لمّا يجوز أن يحصل عقيبه من استثناء أو شرط أو غيرهما من المخصّصات. فهذا هو التّحقيق

---

(۱)- النّمل/ ۲۲.

(۲)- طه/ ۱۰۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۱۴

فى تفسير الآية. و لنذكر أقوال المفسّرين؛

أحدها: أنّ هذا كقوله تعالى: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ «۱»، و كان عليه السّلام يحرص على أخذ القرآن من جبريل عليه السّلام، فيعجل بقراءته قبل استتمام جبريل مخافة النّسيان، فقيل له: لا تعجل إلى أن يستتمّ وحيه، فيكون أخذك إيّاه عن تثبّت و سكون، و اللّه تعالى يزيدک فهما و علما، و هذا قول مقاتل و السّدّىّ، و رواه عطاء عن ابن عبّاس (رضى اللّه عنهما).

و ثانيها: و لا تعجل بالقرآن، فتقرأه على أصحابک قبل أن يوحى إليک بيان معانيه، و هذا قول مجاهد و قتادة.

و ثالثها: قال الضّحّاک: إنّ أهل مكّة و أسقف نجران قالوا: يا محمّد أخبرنا عن كذا و كذا، و قد ضربنا لک أجلا ثلاثة أيّام، فأبطأ الوحى عليه، و فشت المقالة بأنّ اليهود قد غلبوا محمّدا، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ، أى بنزوله مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْکَ وَحْيُهُ من اللّوح المحفوظ إلى إسرافيل، و منه إلى جبريل، و منه إليک، وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً.

و رابعها: روى الحسن أنّ امرأة أتت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، فقالت زوجى لطم وجهى، فقال بينكما القصاص، فنزل قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ، فأمسک رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن القصاص حتّى نزل قوله تعالى: الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّساءِ «۲». و هذا بعيد، و الاعتماد على التّفصيل الأوّل.

أمّا قوله تعالى: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً فالمعنى أنّه سبحانه و تعالى أمره بالفزع إلى اللّه سبحانه فى زيادة العلم الّتى تظهر بتمام القرآن أو بيان ما نزل عليه.

المسألة الثّالثة: الاستعجال الّذى نهى عنه إن كان فعله بالوحى فكيف نهى عنه؟

الجواب: لعلّه فعله بالاجتهاد، و كان الأولى تركه، فلهذا نهى عنه. (۲۲: ۱۲۱)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۱

(۱)- القيامة/ ۱۶.

(۲)- النّساء/ ۳۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۱۵

اعلم أنّ هذا هو الشّبهة الخامسة لمنكرى النّبوّة، و إنّ أهل مكّة قالوا: أ تزعم أنّک رسول من عند اللّه، أ فلا تأتينا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التّوراة جملة على موسى و الإنجيل على عيسى و الزّبور على داود.

و عن ابن جريج: بين أوّله و آخره اثنتان أو ثلاث و عشرون سنة، و أجاب اللّه بقوله:

كَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ. و بيان هذا الجواب من وجوه؛

أحدها: أنّه عليه السّلام لم يكن من أهل القراءة و الكتابة، فلو نزل عليه ذلک جملة واحدة كان لا يضبطه، و لجاز عليه الغلط و السّهو، و إنّما نزلت التّوراة جملة لأنّها مكتوبة يقرأها موسى.

ثانيها: أنّ من كان الكتاب عنده فربّما اعتمد على الكتاب و تساهل فى الحفظ، فاللّه تعالى ما أعطاه الكتاب دفعة واحدة، بل كان ينزّل عليه وظيفة؛ ليكون حفظه له أكمل، فيكون أبعد له عن المساهلة و قلّة التّحصيل.

ثالثها: أنّه تعالى لو أنزل الكتاب جملة واحدة على الخلق لنزلت الشّرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق، فكان يثقل عليهم ذلک، أمّا

لمّا نزل مفرّقا منجّما لا جرم نزلت التّكاليف قليلا قليلا، فكان تحمّلها أسهل.

رابعها: أنّه إذا شاهد جبريل حالا بعد حال يقوى قلبه بمشاهدته، فكان أقوى على أداء ما حمّل، و على الصّبر على عوارض النّبوّة، و على احتماله أذيّة قومه، و على الجهاد.

خامسها: أنّه لمّا تمّ شرط الإعجاز فيه مع كونه منجّما ثبت كونه معجزا، فإنّه لو كان ذلك فى مقدور البشر لوجب أن يأتوا بمثله منجّما مفرّقا.

سادسها: كان القرآن ينزل بحسب أسئلتهم و الوقائع الواقعة لهم، فكانوا يزدادون بصيرة؛ لأنّ بسبب ذلك كان ينضمّ إلى الفصاحة الإخبار عن الغيوب.

سابعها: أنّ القرآن لمّا نزل منجّما مفرّقا و هو عليه السّلام كان يتحدّاهم من أوّل الأمر. فكأنّه تحدّاهم بكلّ واحد من نجوم القرآن، فلمّا عجزوا عنه كان عجزهم عن معارضة الكلّ أولى، فبهذا الطّريق ثبت فى فؤاده أنّ القوم عاجزون عن المعارضة لا محالة.

ثامنها: أنّ السّفارة بين اللّه تعالى و بين أنبيائه و تبليغ كلامه إلى الخلق منصب عظيم،

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۱۶

فيحتمل أن يقال: إنّه تعالى لو أنزل القرآن على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم دفعة واحدة لبطل ذلك المنصب على جبريل عليه السّلام، فلمّا أنزله مفرّقا منجّما بقى ذلك المنصب العالى عليه، فلأجل ذلك جعله اللّه سبحانه و تعالى مفرّقا منجّما.

أمّا قوله: كَذلِكَ ففيه وجهان: الأوّل: أنّه من تمام كلام المشركين، أى جملة واحدة، كَذلِكَ، أى كالتّوراة و الإنجيل. و على هذا لا يحتاج إلى إضمار فى الآية، و هو أن يقول: أنزلناه مفرّقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ. الثّانى: أنّه كلام اللّه تعالى ذكره جوابا لهم، أى كَذلِكَ أنزلناه مفرّقا.

فإن قيل: ذلك فى كَذلِكَ يجب أن يكون إشارة إلى شىء تقدّمه، و الّذى تقدّم فهو إنزاله جملة، فكيف فسّر به كذلك أنزلناه مفرّقا؟ قلنا: لأنّ قولهم: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً معناه لم نزّل مفرّقا؟.

فذلك إشارة إليه. (۲۴: ۷۸- ۷۹)

حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ... الدّخان/ ۱- ۶

[و بعد أن استعرض بعض المسائل حول هذه الآية، عقّب قائلا:]

المسألة الثّالثة: يجوز أن يكون المراد بالكتاب هاهنا الكتب المتقدّمة الّتى أنزلها اللّه على أنبيائه، كما قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَ الْمِيزانَ «۱». و يجوز أن يكون المراد اللّوح المحفوظ، كما قال: يَمْحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ «۲». و قال: وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا «۳». و يجوز أن يكون المراد به القرآن، و بهذا التّقدير فقد أقسم بالقرآن على أنّه أنزل القرآن فى ليلة مباركة، و هذا النّوع من الكلام يدلّ على غاية تعظيم القرآن، فقد يقول الرّجل إذا أراد تعظيم رجل له حاجة إليه: أستشفع بك إليك و أقسم بحقّك عليك. [إلى أن قال:].

---

(۱)- الحديد/ ۲۵.

(۲)- الرّعد/ ۳۹.

(۳)- الزّخرف/ ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۱۷

المسألة الخامسة: اختلفوا فى هذه اللّيلة المباركة، فقال الأكثرون: إنّها ليلة القدر، و قال عكرمة و طائفة آخرون: إنّها ليلة البراءة، و هى

لیلة النّصف من شعبان. أمّا الأوّلون فقد احتجّوا علی صحّة قولهم بوجوه؛

أوّلها: أنّه تعالی قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و هاهنا قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ، فوجب أن تکون هذه اللّیلة المبارکة هی تلک المسمّاة بلیلة القدر؛ لئلّا یلزم التّناقض.

ثانیها: أنّه تعالی قال: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۲»، فبیّن أنّ إنزال القرآن إنّما وقع فی شهر رمضان، و قال هاهنا: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ فوجب أن تکون هذه اللّیلة المبارکة واقعة فی شهر رمضان، و کلّ من قال: إنّ هذه اللّیلة المبارکة واقعة فی شهر رمضان، قال: إنّها لیلة القدر، فثبت أنّها لیلة القدر.

ثالثها: أنّه تعالی قال فی صفة لیلة القدر: تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ وَ الرُّوحُ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ سَلامٌ هِیَ، و قال أیضا هاهنا: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ، و هذا مناسب لقوله:

تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ وَ الرُّوحُ فِیها، و هاهنا قال: أَمْراً مِنْ عِنْدِنا، و قال فی تلک الآیة:

بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ، و قال هاهنا: رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ، و قال فی تلک الآیة: سَلامٌ هِیَ. و إذا تقاربت الأوصاف وجب القول بأنّ إحدی اللّیلتین هی الأخری.

رابعها: نقل محمّد بن جریر الطّبریّ فی تفسیره عن قتادة أنّه قال: نزلت صحف إبراهیم ... [و ذکر کما تقدّم عنه].

خامسها: أنّ لیلة القدر إنّما سمّیت بهذا الإسم، لأنّ قدرها و شرفها عند اللّه عظیم، و معلوم أنّه لیس قدرها و شرفها لسبب ذلک الزّمان؛ لأنّ الزّمان شیء واحد فی الذّات و الصّفات، فیمتنع کون بعضه أشرف من بعض لذاته. فثبت أنّ شرفه و قدره بسبب أنّه حصل فیه أمور شریفة عالیة لها قدر عظیم و مرتبة رفیعة، و معلوم أنّ منصب الدّین أعلی و أعظم من منصب الدّنیا، و أعلی الأشیاء و أشرفها منصبا فی الدّین هو القرآن؛ لأجل أنّ به

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۱۸

ثبتت نبوّة محمّد صلّی اللّه علیه و سلم، و به ظهر الفرق بین الحقّ و الباطل فی سائر کتب اللّه المنزّلة، کما قال فی صفته: وَ مُهَیْمِناً عَلَیْهِ «۱». و به ظهرت درجات أرباب السّعادات، و درکات أرباب الشّقاوات. فعلی هذا لا شیء إلّا و القرآن أعظم قدرا و أعلی ذکرا و أعظم منصبا منه، فلو کان نزوله إنّما وقع فی لیلة أخری سوی لیلة القدر، لکانت لیلة القدر هی هذه الثّانیة لا الأولی، و حیث أطبقوا علی أنّ لیلة القدر هی الّتی وقعت فی رمضان، علمنا أنّ القرآن إنّما أنزل فی تلک اللّیلة. و أمّا القائلون بأنّ المراد من اللّیلة المبارکة المذکورة فی هذه الآیة، هی لیلة النّصف من شعبان، فما رأیت لهم فیه دلیلا یعوّل علیه، و إنّما قنعوا فیه بأن نقلوه عن بعض النّاس، فإن صحّ عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فیه کلام فلا مزید علیه. و إلّا فالحقّ هو الأوّل، ثمّ إنّ هؤلاء القائلین بهذا القول زعموا أنّ لیلة النّصف من شعبان لها أربعة أسماء:

اللّیلة المبارکة، و لیلة البراءة، و لیلة الصّکّ، و لیلة الرّحمة. و قیل: إنّما سمّیت بلیلة البراءة، و لیلة الصّکّ، لأنّ البندار إذا استوفی الخراج من أهله کتب لهم البراءة، کذلک اللّه عزّ و جلّ یکتب لعباده المؤمنین البراءة فی هذه اللّیلة ... [إلی أن قال:]

المسألة السّادسة: روی أنّ عطیّة الحروریّ، سأل ابن عبّاس رضی اللّه عنه عن قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ، کیف یصحّ ذلک مع أنّ اللّه تعالی أنزل القرآن فی جمیع الشّهور؟ فقال ابن عبّاس رضی اللّه عنه: یا ابن الأسود، لو هلکت أنا و وقع هذا فی نفسک و لم تجد جوابه لهلکت، نزل القرآن جملة من اللّوح المحفوظ إلی البیت المعمور، و هو فی السّماء الدّنیا، ثمّ نزل بعد ذلک فی أنواع الوقائع حالا فحالا، و اللّه أعلم.

المسألـة السّابعـة: فی بیان نظم هـذه الآیات، اعلم: أنّ المقصود منها تعظیم القرآن من ثلاثـة أوجه؛ أحدها: بیان تعظیم القرآن بحسب ذاته، الثّانی: بیان تعظیمه بسبب شرف الوقت الّذی نزل فیه، و الثّالث: بیان تعظیمه بحسب شرف منزله.

أمّا بیان تعظیمه بحسب ذاته فمن ثلاثة أوجه؛

أحدها: أنّه تعالی أقسم به و ذلک یدلّ علی شرفه.

---

(۱)- مائدة/ ۴۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۱۹

و ثانیها: أنّه تعالی أقسم به علی کونه نازلا فی لیلة مبارکة، و قد ذکرنا أنّ القسم بالشّیء علی حالة من أحوال نفسه یدلّ علی کونه فی غایة الشّرف.

و ثالثها: أنّه تعالی وصفه بکونه مبیّنا، و ذلک یدلّ أیضا علی شرفه فی ذاته.

و أمّا النّوع الثّانی «۱»: و هو بیان شرفه لأجل شرف الوقت الّذی أنزل فیه، فهو قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ، و هذا تنبیه علی أنّ نزوله فی لیلة مبارکة یقتضی شرفه و جلالته، ثمّ نقول: إنّ قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ یقتضی أمرین؛ أحدهما: أنّه تعالی أنزله، و الثّانی: کون تلک اللّیلـة مبارکة، فذکر تعالی عقیب هذه الکلمة ما یجری مجری البیان لکلّ واحد منهما. أمّا بیان أنّه تعالی لم أنزله فهو قوله: إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ یعنی الحکمـة فی إنزال هـذه السّورة أنّ إنـذار الخلق لا- یتمّ إلّا به، و أمّا بیان أنّ هـذه اللّیلـة، لیلـة مبارکـة فهو أمران؛ أحـدهما: أنّه تعالی فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ، و الثّانی: أنّ ذلک الأمر الحکیم یکون مخصوصا بشـرف أنّه إنّما یظهر من عنـده، و إلیه الإشارة بقوله: أَمْراً مِنْ عِنْدِنا.

و أمّـا النّوع الثّالث «۲»: فهو بیـان شـرف القرآن لشرف منزله، و ذلک هو قوله: إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ. فبیّن أنّ ذلک الإنـذار و الإرسال إنّما حصـل من اللّه تعالی، ثمّ بیّن أنّ ذلک الإرسال إنّما کان لأجل تکمیل الرّحمـة، و هو قوله: رَحْمَـةً مِنْ رَبِّکَ. و کان الواجب أن یقال: رحمـة منّا، إلّا أنّه وضع الظّاهر موضع المضمـر إیـذانا بأنّ الرّبوبیّـة تقتضـی الرّحمة علی المربوبین، ثمّ بیّن أنّ تلک الرّحمة وقعت علی وفق حاجات المحتاجین؛ لأنّه تعالی یسمع تضرّعاتهم، و یعلم أنواع حاجاتهم، فلهذا قال: إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ. فهذا ما خطر بالبال فی کیفیّة تعلّق بعض هذه الآیات ببعض.

المسألـة الثّامنـة: فی تفسیر مفردات هذه الألفاظ، أمّا قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ فقد قیل فیه: إنّه تعالی أنزل کلّیّة القرآن من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا فی هـذه اللّیلـة، ثمّ أنزل فی کـلّ وقت مـا یحتاج إلیه المکلّف. و قیل: یبـدأ فی استنساخ ذلک من اللّوح ... [و ذکر کما تقدّم عن الزّمخشریّ]. (۲۷: ۲۳۷- ۲۴۰)

---

(۱)- أی الوجه الثّانی و الثّالث من المسألة السّابعة.

(۲)- أی الوجه الثّانی و الثّالث من المسألة السّابعة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۰

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۲۰.

فیه مسائل؛

المسألـة الأولی: زعم قوم من قدماء الرّوافض أنّ هذا القرآن قد غیّر و بدّل و زید فیه و نقص عنه «۱»، و احتجّوا علیه بأنّه لا مناسبة بین هذه الآیة و بین ما قبلها، و لو کان هذا التّرتیب من اللّه تعالی لما کان الأمر کذلک. و اعلم أنّ فی بیان المناسبة وجوها؛

أوّلها: يحتمل أن يكون الاستعجال المنهىّ عنه إنّما اتّفق للرّسول عليه السّلام عند إنزال هذه الآيات عليه، فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال فى هذا الوقت، و قيل له: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. و هذا كما أنّ المدرّس إذا كان يلقى على تلميذه شيئا، فأخذ التّلميذ يلتفت يمينا و شمالا، فيقول المدرّس فى أثناء ذلك الدّرس: لا تلتفت يمينا و شمالا، ثمّ يعود إلى الدّرس، فإذا نقل ذلك الدّرس مع هذا الكلام فى أثنائه، فمن لم يعرف السّبب يقول: إنّ وقوع تلك الكلمة فى أثناء ذلك الدّرس غير مناسب، لكن من عرف الواقعة علم أنّه حسن التّرتيب.

ثانيها: أنّه تعالى نقل عن الكفّار أنّهم يحبّون السّعادة العاجلة، و ذلك هو قوله: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ «۲». ثمّ بيّن أنّ التّعجيل مذموم مطلقا حتّى التّعجيل فى أمور الدّين، فقال: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، و قال فى آخر الآية: كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ.

ثالثها: أنّه تعالى قال: بَلِ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ «۳»، فها هنا كان الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم يظهر التّعجيل فى القراءة مع جبريل، و كان يجعل العذر فيه خوف النّسيان. فكأنّه قيل له: إنّك إذا أتيت بهذا العذر- لكنّك تعلم أنّ الحفظ لا يحصل إلّا بتوفيق اللّه و إعانته- فاترك هذا التّعجيل و اعتمد على هداية اللّه تعالى، و هذا هو المراد من

---

(۱)- إنّ القول فى نقص القرآن و تبديله يرجع إلى بعض فرق الشّيعة المنقرضة من الغلاة و إلى بعض الأخباريّين منهم، و أمّا دعوى الزّيادة فإنّها باطلة؛ إذ لم يذهب إليها أحد من الشّيعة، كما يأتى فى باب عدم تحريف القرآن. (م)

(۲)- القيامة/ ۵.

(۳)- القيامة/ ۱۴ و ۱۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۲۱

قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ.

رابعها: كأنّه تعالى قال: يا محمّد إنّ غرضك من هذا التّعجيل أن تحفظه و تبلّغه إليهم، لكن لا حاجة إلى هذا، فإنّ الْإِنْسانُ عَلى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ، و هم بقلوبهم يعلمون أنّ الّذى هم عليه من الكفر و عبادة الأوثان، و إنكار البعث منكر باطل. فإذا كان غرضك من هذا التّعجيل أن تعرّفهم قبح ما هم عليه، ثمّ إنّ هذه المعرفة حاصلة عندهم، فحينئذ لم يبق لهذا التّعجيل فائدة، فلا جرم قال: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ.

خامسها: أنّه تعالى حكى عن الكافر أنّه يقول: أَيْنَ الْمَفَرُّ، ثمّ قال تعالى: كَلَّا لا وَزَرَ* إِلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ «۱»، فالكافر كأنّه كان يفرّ من اللّه تعالى إلى غيره، فقيل لمحمّد: إنّك فى طلب حفظ القرآن، تستعين بالتّكرار، و هذا استعانة منك بغير اللّه، فاترك هذه الطّريقة، و استعن فى هذا الأمر باللّه. فكأنّه قيل: إنّ الكافر يفرّ من اللّه إلى غيره، و أمّا أنت فكن كالمضادّ له، فيجب أن تفرّ من غير اللّه إلى اللّه، و أن تستعين فى كلّ الأمور باللّه، حتّى يحصل لك المقصود على ما قال: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، و قال فى سورة اخرى: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً «۲»، أى لا تستعن فى طلب الحفظ بالتّكرار بل أطلبه من اللّه تعالى.

سادسها: ما ذكره القفّال، و هو أنّ قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ ليس خطابا مع الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم بل هو خطاب مع الإنسان المذكور فى قوله: يُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ «۳»، فكان ذلك للإنسان حال ما ينبأ بقبائح أفعاله، و ذلك بأن يعرض عليه كتابه، فيقال له: اقْرَأْ كِتابَكَ كَفى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً «۴» فإذا أخذ فى القراءة تلجلج لسانه من شدّة الخوف و سرعة القراءة، فيقال له: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، فإنّه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك، و أن نقرأها عليك، فإذا قرأناه

---

(۱)- القیامة/ ۱۰- ۱۲.

(۲)- طه/ ۱۴۴.

(۳)- القیامة/ ۱۳.

(۴)- الإسراء/ ۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۲

علیک فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ بالإقرار بأنّک فعلت تلک الأفعال، ثمّ إنّ علینا بیان أمره و شرح مراتب عقوبته. و حاصل الأمر من تفسیر هذه الآیة أنّ المراد منه أنّه تعالی یقرأ علی الکافر جمیع أعماله علی سبیل التّفصیل، و فیه أشدّ الوعید فی الدّنیا و أشدّ التّهویل فی الآخرة، ثمّ قال القفّال: فهذا وجه حسن لیس فی العقل ما یدفعه و إن کانت الآثار غیر واردة به.

المسألة الثّانیة: احتجّ من جوّز الذّنب علی الأنبیاء: بهذه الآیة، فقال: إنّ ذلک الاستعجال إن کان بإذن اللّه تعالی فکیف نهاه عنه، و إن کان لا بإذن اللّه تعالی فقد صدر الذّنب عنه.

الجواب: لعلّ ذلک الاستعجال کان مأذونا فیه إلی وقت النّهی عنه، و لا یبعد أن یکون الشّیء مأذونا فیه فی وقت ثمّ یصیر منهیّا عنه فی وقت آخر، و لهذا السّبب قلنا یجوز النّسخ.

المسألة الثّالثة: روی سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یشتدّ علیه حفظ التّنزیل، و کان إذا نزل علیه الوحی یحرّک لسانه و شفتیه قبل فراغ جبریل مخافة أن لا یحفظ، فأنزل تعالی لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ، أی بالوحی و التّنزیل و القرآن.

و إنّما جاز هذا الإضمار و إن لم یجر له ذکر لدلالة الحال علیه، کما أضمر فی قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و نظیره قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۲»، و قوله: لِتَعْجَلَ بِهِ، أی لتعجل بأخذه.

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ القیامة/ ۱۷

فیه مسألتان؛

المسألة الأولی: کلمة «علی» للوجوب، فقوله: إِنَّ عَلَیْنا یدلّ علی أنّ ذلک کالواجب علی اللّه تعالی، أمّا علی مذهبنا فذلک الوجوب بحکم الوعد، و أمّا علی قول

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۳

المعتزلة فلأنّ المقصود من البعثة لا یتمّ إلّا إذا کان الوحی محفوظا مبرأ عن النّسیان، فکان ذلک واجبا نظرا إلی الحکمة.

المسألة الثّانیة: قوله: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ معناه علینا جمعه فی صدرک و حفظک، و قوله: وَ قُرْآنَهُ فیه وجهان؛

أحدهما: أنّ المراد من القرآن بقراءة، و علی هذا التّقدیر ففیه احتمالان؛ أحدهما: أن یکون المراد جبریل علیه السّلام، سیعیده علیک حتّی تحفظه. و الثّانی: أن یکون المراد إنّا سنقرئک یا محمّد إلی أن تصیر بحیث لا تنساه، و هو المراد من قوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی «۱»، فعلی هذا الوجه الأوّل القارئ جبریل علیه السّلام، و علی الوجه الثّانی القارئ محمّد صلّی اللّه علیه و سلم.

و الوجه الثّانی: أن یکون المراد من القرآن الجمع و التّألیف، من قولهم: ما قرأت النّاقة سلا قطّ، أی ما جمعت، و بنت عمرو بن کلثوم لم تقرأ جنینا، و قد ذکرنا ذلک عند تفسیر «القرء».

فإن قیل: فعلی هذا الوجه یکون الجمع و القرآن واحدا فیلزم التّکرار.

قلنا: یحتمل أن یکون المراد من الجمع جمعه فی نفسه و وجوده الخارجی، و من القرآن جمعه فی ذهنه و حفظه، و حینئذ یندفع التّکرار.

قوله تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۲» فیه مسألتان؛

المسألة الأولی: جعل قراءة جبریل علیه السّلام قراءته، و هذا یدلّ علی الشّرف العظیم لجبریل علیه السّلام، و نظیره فی حقّ محمّد صلّی اللّه علیه و سلم مَنْ یُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّهَ «۳».

المسألة الثّانیة: قال ابن عبّاس: معناه فإذا قرأه جبریل فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، و فیه وجهان؛ الأوّل: قال قتادة: فاتّبع حلاله و حرامه، و الثّانی: فاتّبع قراءته، أی لا ینبغی أن تکون قراءتک مقارنة لقراءة جبریل، لکن یحب أن تسکت حتّی یتمّ جبریل علیه السّلام القراءة، فإذا سکت جبریل فخذ أنت فی القراءة. و هذا الوجه أولی؛ لأنّه صلّی اللّه علیه و سلم أمر أن یدع القراءة و یستمع

---

(۱)- الأعلی/ ۶.

(۲)- القیامة/ ۱۸.

(۳)- النّساء/ ۸۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۴

من جبریل علیه السّلام، حتّی إذا فرغ جبریل قرأه، و لیس هذا موضع الأمر باتّباع ما فیه من الحلال و الحرام. قال ابن عبّاس: فکان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه جبریل بعد هذه الآیة أطرق و استمع، فإذا ذهب قرأه.

ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ فیه مسألتان؛

المسألة الأولی: الآیة تدلّ علی أنّه صلّی اللّه علیه و سلم کان یقرأ مع قراءة جبریل علیه السّلام، و کان یسأل فی أثناء قراءته عن مشکلاته و معانیه لغایة حرصه علی العلم، فنهی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم عن الأمرین جمیعا، أمّا عن القراءة مع قراءة جبریل فبقوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، و أمّا عن إلقاء الأسئلة فی البیان فبقوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ.

المسألة الثّانیة: احتجّ من جوّز تأخیر البیان عن وقت الخطاب بهذه الآیة. و أجاب أبو الحسین عنه من وجهین؛

الأوّل: أنّ ظاهر الآیة یقتضی وجوب تأخیر البیان عن وقت الخطاب، و أنتم لا تقولون به.

الثّانی: أنّ عندنا الواجب أن یقرن باللّفظ؛ إشعارا بأنّه لیس المراد من اللّفظ ما یقتضیه ظاهره، فأمّا البیان التّفصیلیّ فیجوز تأخیره، فتحمل الآیة علی تأخیر البیان التّفصیلیّ. و ذکر القفّال وجها ثالثا، و هو أنّ قوله ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ أی ثمّ إنّا نخبرک بأنّ علینا بیانه، و نظیره قوله تعالی: فَکُّ رَقَبَةٍ إلی قوله ثُمَّ کانَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا «۱».

و الجواب عن الأوّل: أنّ اللّفظ لا یقتضی وجوب تأخیر البیان بل یقتضی تأخیر وجوب البیان، و عندنا الأمر کذلک؛ لأنّ وجوب البیان لا یتحقّق إلّا عند الحاجة. و عن الثّانی: أنّ کلمة (ثمّ) دخلت مطلق البیان، فیتناول البیان المجمل و المفصّل، و أمّا سؤال القفّال فضعیف أیضا؛ لأنّه ترک للظّاهر من غیر دلیل.

المسألة الثّالثة: قوله تعالی: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ یدلّ علی أنّ بیان المجمل واجب علی اللّه تعالی، أمّا عندنا فبالوعد و التّفضّل، و أمّا عند المعتزلة فبالحکمة. (۳۰: ۲۲۲- ۲۲۵)

---

(۱)- البلد/ ۱۳- ۱۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۵

فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ ... عبس/ ۱۲– ۱۳

اعلم أنّه تعالى وصف تلك التّذكرة بأمرين؛

الأوّل: قوله: فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ، أى هذه تذكرة بيّنة ظاهرة؛ بحيث لو أرادوا فهمها و الاتّعاظ بها و العمل بموجبها، لقدروا عليه.

و الثّانى: قوله: فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، أى تلك التّذكرة معدّة فى هذه الصّحف المكرّمة. و المراد من ذلك تعظيم حال القرآن و التّنويه بذكره، و المعنى أنّ هذه التّذكرة مثبتة فى صحف، و فى المراد من الصّحف قولان.

[القول] الأوّل: أنّها صحف منتسخة من اللّوح مكرّمة عند اللّه تعالى مرفوعة فى السّماء السّابعة، أو مرفوعة المقدار مطهّرة عن أيدى الشّياطين، أو المراد مطهّرة بسبب أنّها لا يمسّها إلّا المطهّرون و هم الملائكة.

ثمّ قال تعالى: بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرامٍ بَرَرَةٍ، و فيه مسألتان؛

المسألة الأولى: أنّ اللّه تعالى وصف الملائكة بثلاثة أنواع من الصّفات؛

أوّلها: أنّهم سَفَرَةٍ، و فيه قولان؛

الأوّل: قال ابن عبّاس و مجاهد و مقاتل و قتادة: هم الكتبة من الملائكة: قال الزّجّاج:

السّفرة: الكتبة، واحدها سافر، مثل كتبة و كاتب، و إنّما قيل للكتبة سفرة و للكاتب سافر، لأنّ معناه أنّه الّذى يبيّن الشّىء و يوضّحه، يقال: سفرت المرأة، إذا كشفت عن وجهها.

القول الثّانى: و هو اختيار الفرّاء؛ أنّ السّفرة هاهنا هم الملائكة الّذين يسفرون بالوحى بين اللّه و بين رسله، واحدها سافر، و العرب تقول: سفرت بين القوم، إذا أصلحت بينهم فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى اللّه و تأديته، كالسّفير الّذى يصلح به بين القوم، و أنشدوا:

و ما أدع السّفارة بين قومى‌و ما أمشى بغشّ إن مشيت و اعلم أنّ أصل السّفارة من الكشف، و الكاتب إنّما يسمّى سافرا لأنّه يكشف، و السّفير إنّما سمّى سفيرا أيضا لأنّه يكشف، و هؤلاء الملائكة لمّا كانوا وسائط بين اللّه و بين البشر فى البيان و الهداية و العلم، لا جرم سمّوا سفرة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۲۶

الصّفة الثّانية: لهؤلاء الملائكة أنّهم كرام؛ قال مقاتل: كرام على ربهم، و قال عطاء:

يريد أنّهم يتكرّمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا مع زوجته للجماع و عند قضاء الحاجة.

الصّفة الثّالثة أنّهم بَرَرَةٍ؛ قال مقاتل: مطيعين، و بَرَرَةٍ جمع بارّ، قال الفرّاء: لا يقولون: فعلة للجمع، إلّا و الواحد منه فاعل، مثل كافر و كفرة، و فاجر و فجرة.

القول الثّانى: فى تفسير الصّحف، أنّها هى صحف الأنبياء؛ لقوله: إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى «۱» يعنى أنّ هذه التّذكرة هذه مثبتة فى صحف الأنبياء المتقدّمين، و السّفرة الكرام البررة هم أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و قيل: هم القرّاء.

المسألة الثّانية: قوله تعالى: مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ* بِأَيْدِي سَفَرَةٍ يقتضى أنّ طهارة تلك الصّحف إنّما حصلت بأيدى هؤلاء السّفرة، فقال القفّال فى تقريره: لمّا كان لا يمسّها إلّا الملائكة المطهّرون، أضيف التّطهير إليها لطهارة من يمسّها. (۳۱: ۵۸– ۵۹)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلى/ ۶

اعلم أنّه تعالى لمّا أمر محمّدا بالتّسبيح، فقال: سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَى «۲»، و علّم محمّدا صلّى اللّه عليه و سلم أنّ ذلك التّسبيح لا يتمّ و لا يكمل إلّا بقراءة ما أنزله اللّه تعالى عليه من القرآن؛ لما بيّنّا أنّ التّسبيح الّذى يليق به هو الّذى يرتضيه لنفسه، فلا جرم كان يتذكّر

القرآن فی نفسه مخافة أن ینسی، فأزال اللّه تعالی ذلک الخوف عن قلبه بقوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی.

و فیه مسائل؛

المسألة الأولی: قال الواحدیّ: سَنُقْرِئُکَ، أی سنجعلک قارئا بأن نلهمک القراءة فلا تنسی ما تقرأه، و المعنی نجعلک قارئا للقرآن تقرأه فلا تنساه. قال مجاهد و مقاتل و الکلبیّ: کان علیه السّلام إذا نزل علیه القرآن أکثر تحریک لسانه مخافة أن ینسی، و کان جبریل لا یفرغ من آخر الوحی حتّی یتکلّم هو بأوّله مخافة النّسیان، فقال تعالی: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی، أی سنعلّمک هذا القرآن حتّی تحفظه، و نظیره قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ

---

(۱)- الأعلی/ ۱۸.

(۲)- الأعلی/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۷

أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۱»، و قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ «۲»، ثمّ ذکروا فی کیفیّة ذلک الاستقراء و التّعلیم وجوها؛

أحدها: أنّ جبریل علیه السّلام سیقرأ علیک القرآن مرّات حتّی تحفظه حفظا لا تنساه.

و ثانیها: أنّا نشرح صدرک و نقوّی خاطرک حتّی تحفظ بالمرّة الواحدة حفظا لا تنساه.

و ثالثها: أنّه تعالی لمّا أمره فی أوّل السّورة بالتّسبیح فکأنّه تعالی قال: واظب علی ذلک و دم علیه، فإنّا سنقرئک القرآن الجامع لعلوم الأوّلین و الآخرین و یکون فیه ذکرک و ذکر قومک و نجمعه فی قلبک، و نیسّرک للیسری و العمل به.

المسألة الثّانیة: هذه الآیة تدلّ علی المعجزة من وجهین؛ الأوّل: أنّه کان رجلا أمّیّا، فحفظه لهذا الکتاب المطوّل من غیر دراسة و لا تکرار و لا کتبة خارق للعادة، فیکون معجزا. الثّانی: أنّ هذه السّورة من أوائل ما نزل بمکّة، فهذا إخبار عن أمر عجیب غریب مخالف للعادة، سیقع فی المستقبل، و قد وقع، فکان هذا إخبارا عن الغیب فیکون معجزا.

أمّا قوله: فَلا تَنْسی فقال بعضهم: فَلا تَنْسی معناه النّهی، و الألف مزیدة للفاصلة، کقوله: السَّبِیلَا «۳» یعنی فلا تغفل قراءته و تکریره فتنساه إلّا ما شاء اللّه أن ینسیکه.

و القول المشهور أنّ هذا خبر، و المعنی سنقرئک إلی أن تصیر بحیث لا تنسی و تأمن النّسیان، کقولک: سأکسوک فلا تعری، أی فتأمن العری. و احتجّ أصحاب هذا القول علی ضعف القول الأوّل بأنّ ذلک القول لا یتمّ إلّا عند التزام مجازات فی هذه الآیة.

منها: أنّ النّسیان لا یقدر علیه إلّا اللّه تعالی، فلا یصحّ ورود الأمر و النّهی به، فلا بدّ و أن یحمل ذلک علی المواظبة علی الأشیاء الّتی تنافی النّسیان مثل الدّراسة و کثرة التّذکر.

و کلّ ذلک عدول عن ظاهر اللّفظ.

و منها: أن تجعل الألف مزیدة للفاصلة، و هو أیضا خلاف الأصل.

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

(۲)- القیامة/ ۱۶.

(۳)- الأحزاب/ ۶۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۸

و منها: أنّا إذا جعلناه خبرا کان معنی الآیة بشارة اللّه إیّاه بأنّی أجعلک بحیث لا تنساه، و إذا جعلناه نهیا کان معناه أنّ اللّه أمره بأن یواظب علی الأسباب المانعة من النّسیان، و هی الدّراسة و القراءة، و هذا لیس فی البشارة و تعظیم حاله مثل الأوّل، و لأنّه علی خلاف

قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ.

أمّا قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ففیه احتمالان؛

أحدهما: أن یقال: هذا الاستثناء غیر حاصل فی الحقیقة و أنه علیه السّلام لم ینس بعد ذلک شیئا، قال الکلبیّ: إنّه علیه السّلام لم ینس بعد نزول هذه الآیة شیئا. و علی هذا التّقدیر یکون الغرض من قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أحد أمور؛

أحدها: التبرّک بذکر هذه الکلمة علی ما قال تعالی: وَ لا تَقُولَنَّ لِشَیْءٍ إِنِّی فاعِلٌ ذلِکَ غَداً إِلَّا أَنْ یَشاءَ اللَّهُ «۱».

و کأنّه تعالی یقول: أنا مع أنّی عالم بجمیع المعلومات و عالم بعواقب الأمور علی التّفصیل لا أخبر عن وقوع شیء فی المستقبل إلّا مع هذه الکلمة، فأنت و أمّتک یا محمّد أولی بها.

و ثانیها: قال الفرّاء: إنّه تعالی ما شاء أن ینسی محمّد علیه السّلام شیئا، إلّا أنّ المقصود من ذکر هذا الاستثناء بیان أنّه تعالی لو أراد أن یصیر ناسیا لذلک لقدر علیه، کما قال: وَ لَئِنْ شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِی أَوْحَیْنا إِلَیْکَ «۲». ثمّ إنّا نقطع بأنّه تعالی ما شاء ذلک، و قال لمحمّد علیه السّلام:

لَئِنْ أَشْرَکْتَ لَیَحْبَطَنَّ عَمَلُکَ «۳»، مع أنّه علیه السّلام ما أشرک البتّة. و بالجملة ففائدة هذا الاستثناء أنّ اللّه تعالی یعرّفه قدرة ربّه حتّی یعلم أنّ عدم النّسیان من فضل اللّه و إحسانه لا من قوّته.

و ثالثها: أنّه تعالی لمّا ذکر هذا الاستثناء جوّز رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی کلّ ما ینزّل علیه من الوحی قلیلا کان أو کثیرا أن یکون ذلک هو المستثنی، فلا جرم کان یبالغ فی التّثبت و التّحفّظ و التّیقّظ فی جمیع المواضع، فکان المقصود من ذکر هذا الاستثناء بقاءه علیه السّلام علی

---

(۱)- الکهف/ ۲۳.

(۲)- الإسراء/ ۸۶.

(۳)- الزّمر/ ۶۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۲۹

التّیقّظ فی جمیع الأحوال.

و رابعها: أن یکون الغرض من قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ نفی النّسیان رأسا، کما یقول الرّجل لصاحبه: أنت سهیمی فیما أملک إلّا فیما شاء اللّه، و لا یقصد استثناء شیء. ثانیهما:

أنّ قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ استثناء فی الحقیقة. و علی هذا التّقدیر تحتمل الآیة وجوها؛

أحدها: قال الزّجّاج. إلّا ما شاء اللّه أن ینسی، فإنّه ینسی ثمّ یتذکّر بعد ذلک، فإذا قد ینسی، و لکنّه یتذکّر فلا ینسی نسیانا کلّیّا دائما. روی أنّه أسقط آیة فی قراءته فی الصّلاة، فحسب أبیّ أنّها نسخت، فسأله، فقال: «نسیتها».

و ثانیها: قال مقاتل: إلّا ما شاء اللّه أن ینسیه، و یکون المراد من الإنساء هاهنا نسخه، کما قال: ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَیْرٍ مِنْها «۱»، فیکون المعنی إلّا ما شاء اللّه أن تنساه علی الأوقات کلّها، فیأمرک أن لا تقرأه و لا تصلّی به، فیصیر ذلک سببا لنسیانه.

و زواله عن الصّدور.

و ثالثها: أن یکون معنی قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ القلّة و النّدرة، و یشترط أن لا یکون ذلک القلیل من واجبات الشّرع، بل من الآداب و السّنن، فإنّه لو نسی شیئا من الواجبات و لم یتذکّره أدّی ذلک إلی الخلل فی الشّرع، و إنّه غیر جائز.

أمّا قوله تعالی: إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی «۲» ففیه وجهان؛

أحدهما: أنّ المعنی أنّه سبحانه عالم بجهرک فی القراءة مع قراءة جبریل علیه السّلام، و عالم بالسّر الّذی فی قلبک، و هو أنّک تخاف

النّسيان. فلا تخف فأنا أكفيك ما تخافه.

و الثّانى: أن يكون المعنى فلا تنسى إلّا ما شاء اللّه أن ينسخ، فإنّه أعلم بمصالح العبيد، فينسخ؛ حيث يعلم أنّ المصلحة فى النّسخ.

أمّا قوله تعالى: وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى «۳» ففيه مسائل؛

المسألة الأولى: «اليسرى» هى أعمال الخير الّتى تؤدّى إلى اليسر، إذا عرفت هذا

---

(۱)- البقرة/ ۱۰۶.

(۲)- الأعلى/ ۷.

(۳)- الأعلى/ ۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۰

المسألة الأولى: «اليسرى» هى أعمال الخير الّتى تؤدّى إلى اليسر، إذا عرفت هذا فنقول: للمفسّرين فيه وجوه؛

أحدها: أنّ قوله: وَ نُيَسِّرُكَ معطوف على سَنُقْرِئُكَ، و قوله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى اعتراض، و التّقدير سنقرئك فلا تنسى، و نوّفقك للطّريقة الّتى هى أسهل و أيسر، يعنى فى حفظ القرآن.

و ثانيها: قال ابن مسعود: اليسرى: الجنّة، و المعنى نيسّرك للعمل المؤدّى إليها.

و ثالثها: نهوّن عليك الوحى حتّى تحفظه و تعلمه و تعمل به.

و رابعها: نوفّقك للشّريعة، و هى الحنيفيّة السّهلة السّمحة، و الوجه الأوّل أقرب.

المسألة الثّانية: لسائل أن يسأل فيقول: العبارة المعتادة أن يقال: جعل الفعل الفلانىّ ميسّر الفلان، و لا يقال: جعل فلان ميسّرا للفعل الفلانىّ، فما الفائدة فيه هاهنا؟

الجواب: أنّ هذه العبارة كما أنّها اختيار القرآن فى هذا الموضع، و فى سورة اللّيل أيضا، فكذا هى اختيار الرّسول فى قوله عليه السّلام: «اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له» و فيه لطيفة علميّة، و ذلك لأنّ ذلك الفعل فى نفسه ماهيّة ممكنة قابلة للوجود و العدم على السّويّة، فما دام القادر يبقى بالنّسبة إلى فعلها و تركها على السّويّة امتنع صدور الفعل عنه، فإذا ترجّح جانب الفاعليّة على جانب التّاركيّة، فحينئذ يحصل الفعل، فثبت أنّ الفعل ما لم يجب لم يوجد، و ذلك الرّجحان هو المسمّى بالتّيسير، فثبت أنّ الأمر بالتّحقيق هو أنّ الفاعل يصير ميسّرا للفعل، لا أنّ الفعل يصير ميسّرا للفاعل، فسبحان من له تحت كلّ كلمة حكمة خفيّة و سرّ عجيب يبهر العقول.

المسألة الثّالثة: إنّما قال: وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرى بنون التّعظيم لتكون عظمة المعطى دالّة على عظمة العطاء نظيره قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ «۱»، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ «۲»، إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ «۳». دلّت هذه الآية على أنّه سبحانه فتح عليه من أبواب التّيسير و التّسهيل ما لم

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الحجر/ ۹.

(۳)- الكوثر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۱

تعالى جعله فى أفعاله و أقواله قدوة للعالمين، و هاديا للخلق أجمعين. (۳۱/ ۱۴۱- ۱۴۴)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر / ۱

و فيه مسائل؛

المسألة الأولى: أجمع المفسّرون على أنّ المراد إنّا أنزلنا القرآن فى ليلة القدر، و لكنّه تعالى ترك التّصريح بالذّكر؛ لأنّ هذا التّركيب يدلّ على عظم القرآن من ثلاثة أوجه؛

أحدها: أنّه أسند إنزاله إليه و جعله مختصّا به دون غيره.

و الثّانى: أنّه جاء بضميره دون اسمه الظّاهر، شهادة له بالنّباهة و الاستغناء عن التّصريح، أ لا ترى أنّه فى السّورة المتقدّمة لم يذكر اسم أبى جهل و لم يخف على أحد لاشتهاره، و قوله: فَلَوْ لا إِذا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ «۱» لم يذكر الموت لشهرته، فكذا هاهنا.

و الثّالث: تعظيم الوقت الّذى أنزل فيه.

المسألة الثّانية: أنّه تعالى قال فى بعض المواضع: (انّى)، كقوله: إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً «۲»، و فى بعض المواضع إِنَّا، كقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ «۳»، إِنَّا أَرْسَلْنا نُوحاً «۴»، إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ «۵»، و اعلم أنّ قوله: إِنَّا تارة يراد به التّعظيم، و حمله على الجمع محال؛ لأنّ الدّلائل دلّت على وحدة الصّانع، و لأنّه لو كان كلّ فى الآلهة كثرة لانحطّت رتبة كلّ واحد منهم عن الإلهيّة؛ لأنّه لو كان كلّ واحد منهم قادرا على الكمال لاستغنى بكلّ واحد منهم عن كلّ واحد منهم، و كونه مستغنى عنه نقص فى حقّه فيكون الكلّ ناقصا، و إن لم يكن كلّ واحد منهم قادرا على الكمال كان ناقصا، فعلمنا أنّ قوله: إِنَّا محمول على التّعظيم لا على الجمع.

المسألة الثّالثة: إن قيل: ما معنى أنّه أنزل فى ليلة القدر، مع العلم بأنّه أنزل نجوما؟

---

(۱)- الواقعة/ ۸۳.

(۲)- البقرة/ ۳۰.

(۳)- الحجر/ ۹.

(۴)- نوح/ ۱.

(۵)- الكوثر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۲

قلنا فيه وجوه؛

أحدها: قال الشّعبىّ: ابتدأ بإنزاله ليلة القدر؛ لأنّ البعث كان فى رمضان.

و الثّانى: قال ابن عبّاس: أنزل إلى سماء الدّنيا جملة ليلة القدر، ثمّ إلى الأرض نجوما، كما قال فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ «۱»، و قد ذكرنا هذه المسألة فى قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲». لا- يقال: فعلى هذا القول لم لم يقل. أنزلناه إلى السّماء؟ لأنّ إطلاقه يوهم الإنزال إلى الأرض؛ لأنّا نقول: إنّ إنزاله إلى السّماء كإنزاله إلى الأرض، لأنّه لم يكن ليشرع فى أمر ثمّ لا يتمّه، و هو كغائب جاء إلى نواحى البلد يقال: جاء فلان، أو يقال:

الغرض من تقريبه و إنزاله إلى سماء الدّنيا أن يشوّقهم إلى نزوله، كمن يسمع الخبر بمجىء منشور لوالده أو أمّه، فإنّه يزداد شوقه إلى مطالعته كما قال:

و أبرح ما يكون الشّوق يوماإذا دنت الدّيار من الدّيار و هذا لأنّ السّماء كالمشترك بيننا و بين الملائكة، فهى لهم مسكن و لنا سقف و زينة، كما قال: وَ جَعَلْنَا السَّماءَ سَقْفاً «۳»، فإنزاله القرآن هناك كإنزاله هاهنا.

و الوجه الثّالث فى الجواب: أنّ التّقدير أنزلنا هذا الذّكر فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، أى فى فضيلة ليلة القدر و بيان شرفها.

المسألة الرّابعة: القدر: مصدر قدرت أقدر قدرا، و المراد به ما يمضيه اللّه من الأمور؛ قال: إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْناهُ بِقَدَرٍ «۴» و القدر، و القدر واحد، إلّا أنّه بالتّسكين مصدر و بالفتح اسم؛ قال الواحدىّ: القدر فى اللّغة بمعنى التّقدير، و هو جعل الشّىء على مساواة غيره

من غير زيادة و لا نقصان.

و اختلفوا فى أنّه لم سمّيت هذه اللّيلة ليلة القدر، على وجوه؛

أحدها: أنّها ليلة تقدير الأمور و الأحكام، قال عطاء، عن ابن عبّاس: إنّ اللّه قدّر ما

(۱)- الواقعة/ ۷۵.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الأنبياء/ ۳۲.

(۴)- القمر/ ۴۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۳

يكون فى تلك السّنة من مطر و رزق و إحياء و إماتة إلى مثل هذه اللّيلة من السّنة الآتية، و نظيره قوله تعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «۱». و اعلم أنّ تقدير اللّه لا يحدث فى تلك اللّيلة، فإنّه تعالى قدّر المقادير قبل أن يخلق السّماوات و الأرض فى الأزل، بل المراد إظهار تلك المقادير للملائكة فى تلك اللّيلة بأن يكتبها فى اللّوح المحفوظ، و هذا القول اختيار عامّة العلماء.

الثّانى: نقل عن الزّهرىّ أنّه قال: لَيْلَةِ الْقَدْرِ: ليلة العظمة و الشّرف، من قولهم:

لفلان قدر عند فلان، أى منزلة و شرف، و يدلّ عليه قوله: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ «۲».

ثمّ هذا يحتمل وجهين؛

أحدهما: أن يرجع ذلك إلى الفاعل، أى من أتى فيها بالطّاعات صار ذا قدر و شرف.

و ثانيهما: إلى الفعل، أى الطّاعات لها فى تلك اللّيلة قدر زائد و شرف زائد، و عن أبى بكر الورّاق سمّيت (ليلة القدر) لأنّه نزل فيها كتاب ذو قدر، على لسان ملك ذى قدر، على أمّة لها قدر، و لعلّ اللّه تعالى إنّما ذكر لفظة القدر فى هذه السّورة ثلاث مرّات لهذا السّبب ... [إلى أن قال:]

المسألة السّابعة: هذه اللّيلة هل هى باقية؟ قال الخليل: من قال: إنّ فضلها لنزول القرآن فيها، يقول: انقطعت و كانت مرّة، و الجمهور على أنّها باقية. و على هذا هل هى مختصّة برمضان أم لا؟ روى عن ابن مسعود أنّه قال: من يقم الحول يصبها. و فسّرها عكرمة بليلة البراءة فى قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳»، و الجمهور على أنّها مختصّة برمضان، و احتجّوا عليه بقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۴»، و قاله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۵». فوجب أن تكون ليلة القدر فى رمضان؛ لئلّا يلزم التّناقض، و على هذا القول اختلفوا فى تعيينها على ثمانية أقوال؛ فقال ابن رزين: ليلة القدر هى اللّيلة

(۱)- الدّخان/ ۳.

(۲)- القدر/ ۳.

(۳)- الدّخان/ ۳.

(۴)- البقرة/ ۱۸۵.

(۵)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۴

الأولى من رمضان، و قال الحسن البصرىّ: السّابعة عشرة، و عن أنس مرفوعا: التّاسعة عشرة، و قال محمّد بن إسحاق: الحادية و العشرون، و عن ابن عبّاس: الثّالثة و العشرون، و قال ابن مسعود: الرّابعة و العشرون، و قال أبو ذر الغفارىّ: الخامسة و العشرون، و قال

أبىّ بن كعب و جماعة من الصّحابة: السّابعة و العشرون، و قال بعضهم: التّاسعة و العشرون.

أمّا الّذين قالوا: إنّها اللّيلة الأولى فقد قالوا: روى وهب أنّ صحف إبراهيم أنزلت فى اللّيلة الأولى من رمضان، و التّوراة لستّ ليال مضين من رمضان بعد صحف إبراهيم بسبعمائة سنة، و أنزل الزّبور على داود لثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان بعد التّوراة بخمسمائة عام، و أنزل الإنجيل على عيسى لثمان عشرة ليلة خلت من رمضان بعد الزّبور بستّمائة عام و عشرين عاما، و كان القرآن ينزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى كلّ ليلة قدر من السّنة إلى السّنة، كان جبريل عليه السّلام ينزل به من بيت العزّة من السماء السّابعة إلى سماء الدّنيا، فأنزل اللّه تعالى القرآن فى عشرين شهرا فى عشرين سنة، فلمّا كان هذا الشّهر هو الشّهر الّذى حصلت فيه هذه الخيرات العظيمة. لا جرم كان فى غاية الشّرف و القدر و الرّتبة، فكانت اللّيلة الأولى منه ليلة القدر. و أمّا الحسن البصرىّ فإنّه قال: هى ليلة سبعة عشر؛ لأنّها ليلة كانت صبيحتها وقعة بدر، و أمّا التّاسعة عشرة فقد روى أنس فيها خبرا، و أمّا اللّيلة الحادية و العشرون فقد مال الشّافعىّ إليه لحديث الماء و الطّين، و الّذى عليه المعظم أنّها ليلة السّابع و العشرين.

و ذكروا فيه أمارات ضعيفة؛ أحدها: حديث ابن عبّاس: أنّ السّورة ثلاثون كلمة، و قوله: (هى) هى السّابعة و العشرون منها.

و ثانيها: روى أنّ عمر سأل الصّحابة، ثمّ قال لابن عبّاس: غص يا غوّاص، فقال زيد ابن ثابت: أحضرت أولاد المهاجرين و ما أحضرت أولادنا. فقال عمر: لعلّك تقول: إنّ هذا غلام، و لكن عنده ما ليس عندكم، فقال ابن عبّاس: أحبّ الأعداد إلى اللّه تعالى الوتر، و أحبّ الوتر إليه السّبعة، فذكر السّماوات السّبع و الأرضين السّبع و الأسبوع و دركات النّار و عدد الطّواف و الأعضاء السّبعة. فدلّ على أنّها السّابعة و العشرون.

و ثالثها: نقل أيضا عن ابن عبّاس، أنّه قال: لَيْلَةِ الْقَدْرِ تسعة أحرف، و هو مذكور

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۵

ثلاث مرّات، فتكون السّابعة و العشرين.

و رابعها: أنّه كان لعثمان بن أبى العاص غلام، فقال: يا مولاى إنّ البحر يعذب ماؤه ليلة من الشّهر، قال: إذا كانت تلك اللّيلة، فأعلمنى فإذا هى السّابعة و العشرون من رمضان. و أمّا من قال: إنّها اللّيلة الأخيرة، قال: لأنّها هى اللّيلة الّتى تنمو فيها طاعات هذا الشّهر، بل أوّل رمضان كآدم و آخره كمحمّد، و لذلك روى فى الحديث، يعتق فى آخر رمضان بعدد ما عتق من أوّل الشّهر، بل اللّيلة الأولى كمن ولد له ذكر، فهى ليلة شكر، و الأخيرة ليلة الفراق. كمن مات له ولد، فهى ليلة صبر، و قد علمت فرق ما بين الصّبر و الشّكر.

ثمّ قال تعالى: وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ يعنى و لم تبلغ درايتك غاية فضلها و منتهى علوّ قدرها ... (۳۲: ۲۷- ۳۰)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۶

الفصل الخامس عشر نصّ أبى شامة (م: ۶۶۵ ه) فى تفسيره: «المرشد الوجيز»

فى البيان عن كيفيّة نزول القرآن ...

قال اللّه تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱»، و قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۲»، و قال جلّت قدرته: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۳»، فليلة القدر هى اللّيلة المباركة، و هى فى شهر رمضان جمعا بين هؤلاء الآيات؛ إذ لا منافاة بينها، فقد دلّت الأحاديث الصّحيحة على أنّ ليلة القدر فى شهر رمضان، و أمر النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بالتماسها فى العشرة الأخيرة «۴» منه؛ و لا ليلة أبرك من ليلة، هى خير من ألف شهر. فتعيّن حمل قوله سبحانه: فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ على ليلة القدر. كيف و قد أرشد إلى ذلك قوله تعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «۵»، فهو موافق لمعنى تسميتها بليلة القدر؛ لأنّ معناه التّقدير، فإذا ثبت هذا، علمت أنّه قد أبعد من قال: اللّيلة المباركة هى ليلة النّصف من شعبان، و أنّ قوله

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الدّخان/ ۳.

(۳)- القدر/ ۱.

(۴)- صحيح البخارىّ ۲: ۲۵۴؛ و سنن أبى داود ۲: ۷۰- ۷۲.

(۵)- الدّخان/ ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۷

تعالى: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱» معناه أنزل فى شأنه و فضل صيامه و بيان أحكامه، و أنّ ليلة القدر توجد فى جميع السّنة لا تختصّ بشهر رمضان، بل هى منتقلة فى الشّهور على ممرّ السّنين، و اتّفق أن وافقت زمن إنزال القرآن ليلة النّصف من شعبان.

و إبطال هذا القول متحقّق بالأحاديث الصّحيحة الواردة فى بيان ليلة القدر و صفاتها و أحكامها على ما سنقرّره إن شاء اللّه تعالى فى المسائل الفقهيّة بين كتابى الصّيام و الاعتكاف.

و بما اخترناه من القول فى الجمع بين الآيات الثّلاث، ورد الخبر عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه، و هو ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، المشهود له بأنّه حبر الأمّة و ترجمان القرآن.

أخرج الحافظ أبو بكر البيهقىّ فى «كتاب الأسماء و الصّفات»، من حديث السّدّىّ، عن محمّد بن أبى المجالد، عن مقسم، عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه، قال: سأله عطيّة بن الأسود ...

[و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

قلت: رسلا، أى رفقا، و قوله: على مواقع النّجوم، أى على مثل مواقع النّجوم، و مواقعها: مساقطها. يريد أنزل مفرّقا يتلو بعضه بعضا على تؤدة و رفق، فقوله: على مواقع النّجوم فى موضع نصب على الحال، و رسلا، أى ذا رسل، يريد مفرّقا رافقا.

و دلّ أيضا على أنّ إنزال القرآن كان فى شهر رمضان رواية قتادة، عن أبى المليح، عن واثلة بن الأسقع ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

هكذا أخرجه البيهقىّ فى كتاب «الأسماء و الصّفات» «۲» و «شعب الإيمان» «۳» له، و ذكره أيضا الثّعلبىّ فى تفسيره «۴» و غيره.

و وقع فى «تفسير الماوردىّ» «۵» و غيره: و أنزل الزّبور لثنتى عشرة و الإنجيل لثمانى

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الأسماء و الصّفات: ۲۳۴.

(۳)- شعب الإيمان ۱: ۳۷۰.

(۴)- انظر: تفسير الثّعلبىّ ۱: ۱۱۲.

(۵)- تفسير الماوردىّ ۱: ۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۸

عشرة «۱»، و كذلك هو فى كتاب أبى عبيد.

و فى بعض التّفاسير عكس هذا؛ الإنجيل لثنتى عشرة و الزّبور لثمانى عشرة، و اتّفقوا على أنّ صحف إبراهيم عليه السّلام لأوّل ليلة، و التّوراة لستّ مضين، و القرآن لأربع و عشرين خلت. قال أبو عبد اللّه الحليمىّ: يريد ليلة خمس و عشرين «۲».

و ذكر أبو بكر ابن أبى شيبة- و هو أحد شيوخ مسلم- فى «كتاب ثواب القرآن» «۳» عن أبى قلابة، قال: أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع

و عشرين من رمضان. و عنه: أنزلت التّوراة لستّ، و الزّبور لثنتى عشرة، و فى رواية أخرى: الزّبور فى ستّ، يعنى من رمضان «۴».

قال البيهقىّ فى معنى قوله: أنزل القرآن لأربع و عشرين، إنّما أراد- و اللّه أعلم- نزول الملك بالقرآن من اللّوح المحفوظ إلى سماء الدّنيا «۵». و قال فى معنى قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۶»: يريد- و اللّه أعلم- إنّا أسمعناه الملك و أفهمناه إيّاه و أنزلناه بما سمع، فيكون الملك منتقلا به من علوّ إلى سفل «۷».

قلت: هذا المعنى مطّرد فى جميع ألفاظ الإنزال المضافة إلى القرآن أو إلى شىء منه، يحتاج إلى نحو هذا التّأويل أهل السّنّة المعتقدون قدم القرآن، و أنّه صفة قائمة بذات اللّه تعالى. و فى المقصود بالإنزال الخاصّ المضاف إلى ليلة القدر أقوال؛

أحدها: أنّه ابتدئ إنزاله فيها.

و الثّانى: أنّه أنزل فيها جملة واحدة.

و الثّالث: أنّه أنزل فى عشرين ليلة من عشرين سنة.

فنذكر ما حضرنا من الآثار فى ذلك و من أقوال المفسّرين.

---

(۱)- الّذى فى تفسير الماوردىّ ۱: ۶۲ هو «و أنزل الإنجيل لثلاث عشرة» و اللّه أعلم.

(۲)- فى كتابه المنهاج ۲: ۱۰۳.

(۳)- ثواب القرآن هو باب من أبواب مصنّف ابن أبى شيبة، و ليس كتابا مستقلّا كما يفهم من المتن.

(۴)- المصنّف ۲: ۱۶۲.

(۵)- الأسماء و الصّفات: ۲۳۴.

(۶)- القدر/ ۱.

(۷)- الأسماء و الصّفات: ۲۲۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۳۹

قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلّام فى كتاب «فضائل القرآن»: حدّثنا يزيد- يعنى ابن هارون- عن داود بن أبى هند، عن عكرمة، عن ابن عبّاس ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

أخرجه الحاكم أبو عبد اللّه فى كتاب «المستدرك على الصّحيحين»، و قال فى آخر:

هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

و رواه عبد الأعلى، عن داود، و قال: فكان اللّه إذا أراد أن يوحى منه شيئا أوحاه أو يحدث فى الأرض منه شيئا أحدثه «۱».

قال أبو عبيد: لا أدرى كيف قرأه يزيد فى حديثه، إلّا أنّه لا ينبغى أن يكون على هذا التّفسير إلّا «فرّقناه» بالتّشديد.

قال أبو نصر ابن القشيرىّ فى تفسيره: فَرَقْناهُ، أى فصّلناه «۲».

قال ابن جبير: نزل القرآن كلّه من السّماء العليا إلى السّماء السّفلى، ثمّ فصّل فى السّماء السّفلى فى السّنين الّتى نزل فيها.

قال قتادة: كان بين أوّله و آخره عشرون سنة، و لهذا قال: لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ «۳».

و قيل: فَرَقْناهُ، أى جعلناه آية آية و سورة سورة، و قيل: فصّلناه أحكاما، كقوله تعالى: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «۴»، أى يفصل. و قيل: فَرَقْناهُ بالتّشديد، أى أنزلناه مفرّقا؛ عَلى مُكْثٍ على تؤدة و ترسّل، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا، أى نجما بعد نجم. و قيل: جعلناه منازل و مراتب ينزل شيئا بعد شىء، و لو أخذوا بجميع الفرائض فى وقت واحد لنفروا.

و أسند الحاكم أبو عبد اللّه فى كتابه: «المستدرك» من حديث ابن أبى شيبة، حدّثنا

---

(۱)- الأسماء و الصّفات: ۲۳۵.

(۲)- تفسیر القشیریّ: ۳۴۰.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۴)- الدّخان/ ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۴۰

جریر، عن منصور، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه فی قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ ... «۱». [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ]. و أسنده البیهقیّ فی دلائله «۲» و الواحدیّ فی تفسیره.

و أسند البیهقیّ فی «کتاب الشّعب»، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:]

قلت: هو من قولهم: نجم علیه الدّیة، أی قطّعها، و منه نجوم الکتابة، فلمّا قطّع اللّه سبحانه القرآن و أنزله مفرّقا قیل لتفاریقه: نجوم و مواقعها: مساقطها، و هی أوقات نزولها، و قد قیل: إنّ المراد بِمَواقِعِ النُّجُومِ مغارب نجوم السّماء، و اللّه أعلم.

و قوله فی الرّوایة الأولی: و کان بموقع النّجوم، أی بمنزلة ذلک فی تفرّقه و عدم تتابعه علی وجه الاتّصال، و إنّما هو علی حسب الوقائع و النّوازل، و کذا مواقع النّجوم بحساب أزمنة معلومة تمضی. و قرئ بِمَواقِعِ بالجمع، و (بموقع) بالإفراد «۳».

و قال أبو الحسن الواحدیّ المفسّر، و قال مقاتل: أنزله اللّه من اللّوح المحفوظ إلی السّفرة، و هم الکتبة من الملائکة فی السّماء الدّنیا، فکان ینزل لیلة القدر من الوحی علی قدر ما ینزل به جبریل علیه السّلام علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی السّنة کلّها إلی مثلها من العام القابل، حتّی نزل القرآن کلّه فی لیلة القدر، و نزل به جبریل علیه السّلام علی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم فی عشرین سنة «۴».

و فی «کتاب المنهاج» لأبی عبد اللّه الحلیمیّ: کان ینزل من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا فی کلّ لیلة، قدر ما ینزل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم إلی اللّیلة تلیها «۵»، فینزل جبریل علیه السّلام ذلک نجوما بأمر اللّه تعالی فیما بین اللّیلتین من السّنة إلی أن ینزل القرآن کلّه من اللّوح المحفوظ فی عشرین لیلة من عشرین سنة «۶».

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- یعنی دلائل النّبوّة ۴: ۱۷۲ و ذکره أیضا فی کتاب الأسماء و الصّفات: ۲۳۴.

(۳)- قرأ حمزة و الکسائی «بموقع» بإسکان الواو من غیر ألف، و الباقون بفتح الواو و ألف بعدها (التّیسیر: ۲۰۷).

(۴)- الوسیط ۲: ۹۵۳، البسیط ۵: ۴۹۳.

(۵)- أی لیلة القدر الّتی تلیها.

(۶)- المنهاج ۲/ ۱۰۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۴۱

قلت: فهذان قولان فی کیفیّة إنزاله فی لیلة القدر؛ أحدهما: أنّه نزل جملة واحدة، و الثّانی: أنّه نزل فی عشرین لیلة من عشرین سنة.

و ذکر أبو الحسن الماوردیّ فی تفسیره، قال: نزل القرآن فی رمضان، و فی لیلة القدر، و فی لیلة مبارکة جملة واحدة من عند اللّه تعالی من اللّوح المحفوظ إلی السّفرة الکرام الکاتبین فی السّماء الدّنیا، فنجّمته السّفرة علی جبریل علیه السّلام عشرین لیلة، و نجّمه جبریل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم عشرین سنة، فکان ینزل علی مواقع النّجوم إرسالا فی الشّهور و الأیّام «۱».

ذکر ذلک فی تفسیر قوله تعالی إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲»، قال: فیه قولان؛ أحدهما: ما روی عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه، فذکر ذلک، و کأنّه قول ثالث غیر القولین المقدّمین، أو أراد الجمع بینهما، فإنّ قوله: نزل جملة واحدة، هو القول الأوّل، و قوله: فنجّمته السّفرة علی جبریل عشرین لیلة، هو القول الثّانی، کأنّه فسّر قول من قال: نزل فی عشرین لیلة، بأنّ المراد بهذا الإنزال تنجیم السّفرة

ذلک علی جبریل؛ قال: و القول الثّانی: أنّ اللّه عزّ و جلّ ابتدأ بإنزاله فی لیلة القدر، قال: و هذا قول الشّعبیّ «۳».

قلت: هو إشارة إلی ابتداء إنزال القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، فإنّ ذلک کان و هو متحنّث بحراء فی شهر رمضان، و قد بیّنت ذلک فی «شرح حدیث المبعث» «۴» و غیره، و هذا و إن کان الأمر فیه کذلک إلّا أنّ تفسیر الآیة به بعید مع ما قد صحّ من الآثار عن ابن عبّاس، أنّه نزل جملة إلی سماء الدّنیا، علی ما تقدّم.

و فی الکتاب «المستدرک» أیضا عن الأعمش، عن حسّان بن حریث عن سعید بن جبیر ... [و ذکر کما تقدّم عن الحاکم].

و خرّجه أبو بکر بن أبی شیبة فی «کتاب ثواب القرآن» عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه فی قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ قال: رفع إلی جبریل فی لیلة القدر جملة، فرفع فی بیت

---

(۱)- تفسیر الماوردیّ ۶: ۳۱۱.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- انظر: المصدر السّابق و الصّفحة المذکورة.

(۴)- سمّاه المؤلّف فی کتابه «الذّیل علی الرّوضتین»: ۳۹: «شرح الحدیث المقتفی فی مبعث النّبیّ المصطفی».

العزّة، ثمّ جعل ینزل تنزیلا «۱».

و فی «تفسیر الثّعلبیّ» عن ابن عبّاس قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ فی لیلة القدر من شهر رمضان، فوضع فی بیت العزّة من السّماء الدّنیا، ثمّ نزل به جبریل علی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم نجوما عشرین سنة، فذلک قوله عزّ و جلّ: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ «۲».

و قال أبو عبید: حدّثنا ابن أبی عدیّ، عن داود بن أبی هند، قال: قلت للشّعبیّ: قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۳»، أما نزل علیه القرآن فی سائر السّنة إلّا فی شهر رمضان؟ قال: بلی، و لکن جبریل کان یعارض محمّدا علیهما السّلام بما ینزل علیه فی سائر السّنة فی شهر رمضان.

زاد الثّعلبیّ فی تفسیره: فیحکم اللّه ما یشاء و یثبت ما یشاء و یمحو ما یشاء و ینسیه ما یشاء «۴».

زاد غیر الثّعلبیّ: فلمّا کان فی العام الّذی قبض فیه عرضه عرضتین، فاستقرّ ما نسخ منه و بدّل.

و قال أبو القاسم البغویّ: حدّثنا الحسن بن سفیان، حدّثنا أبو بکر ابن أبی شیبة، حدّثنا ابن أبی عدیّ، عن داود بن أبی هند، عن الشّعبیّ: أنّ جبریل علیه السّلام کان یعارض النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بما أنزل علیه فی سائر السّنة فی شهر رمضان.

و عن أبی عبید، عن إسماعیل بن إبراهیم، عن أیّوب السّختیانیّ، عن محمّد بن سیرین، قال: نبّئت أنّ القرآن کان یعرض علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کلّ عام مرّة فی شهر رمضان، فلمّا کان العام الّذی توفّی فیه عرض علیه مرّتین. قال ابن سیرین: فیرون أو یرجون أن تکون قراءتنا هذه أحدث القراءات عهدا بالعرضة الأخیرة.

---

(۱)- المصنف ۲: ۱۶۲.

(۲)- الواقعة/ ۷۵، انظر تفسیر الثّعلبیّ ۱: ۱۱۱.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

(۴)- تفسیر الثّعلبیّ ۱: ۱۱۲.

قال ابن أبی شیبة: حدّثنا الحسین بن علیّ، عن أبیه، عن ابن جدعان، عن ابن سیرین، عن عبیدة السّلمانیّ، قال: القراءة الّتی عرضت علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی العام الّذی قبض فیه هی القراءة الّتی یقرأها النّاس الیوم «۱».

و رأیت فی بعض التّفاسیر، قال: و قال جماعة من العلماء: نزل القرآن جملة واحدة فی لیلة القدر من اللّوح المحفوظ إلی بیت یقال له بیت العزّة، فحفظه جبریل علیه السّلام، و غشی علی أهل السّماوات من هیبة کلام اللّه، فمرّ بهم جبریل و قد أفاقوا فقالوا: ما ذا قالَ رَبُّکُمْ قالُوا الْحَقَ «۲» یعنی القرآن، و هو معنی قوله: حَتّی إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ «۳»، فأتی به جبریل إلی بیت العزّة، فأملاه جبریل علی السّفرة الکتبة، یعنی الملائکة، و هو قوله تعالی:

بِأَیْدِی سَفَرَةٍ* کِرامٍ بَرَرَةٍ «۴». نقلته من کتاب «شفاء القلوب»، و هو تفسیر علیّ بن سهل النّیسابوریّ.

و ما رواه داود عن الشّعبیّ یعدّ قولا رابعا فی معنی قوله تعالی: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۵»، و کأنّه نزل عرضه و إحکامه فی رمضان من کلّ سنة منزلة إنزاله فیه، مع أنّه قد لا ینفکّ من إحداث إنزال ما لم ینزل أو تغییر بعض ما نزل بنسخ أو إباحة تغییر بعض ألفاظه علی ما سیأتی، و إن ضمّ إلی ذلک کونه ابتدأ نزوله فی شهر رمضان ظهرت قوّته.

و قد أوضحنا فی کتاب «شرح حدیث المبعث» أنّ أوّل ما نزل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ «۶»، و ذلک بحراء عند ابتداء نبوّته، و یجوز أن یکون قوله: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۷»، إشارة إلی کلّ ذلک، و هو کونه أنزل جملة إلی السّماء الدّنیا و أوّل نزوله إلی الأرض و عرضه و إحکامه فی شهر رمضان، فقویت ملابسة شهر رمضان للقرآن، إنزالا

---

(۱)- المصنّف ۲: ۱۶۴.

(۲)- سبأ/ ۲۳.

(۳)- سبأ/ ۲۳.

(۴)- عبس/ ۱۵ و ۱۶.

(۵)- البقرة/ ۱۸۵.

(۶)- العلق/ ۱.

(۷)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۴۴

جملة و تفصیلا و عرضا و إحکاما، فلم یکن شیء من الأزمان تحقّق له من الظّرفیّة للقرآن ما تحقّق لشهر رمضان، فلمجموع هذه المعانی قیل: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ.

فإن قلت: ما السّر فی إنزاله جملة إلی السّماء الدّنیا؟

قلت: فیه تفخیم لأمره و أمر من أنزل علیه، و ذلک بإعلام سکّان السّماوات السّبع أنّ هذا آخر الکتب، المنزل علی خاتم الرّسل لأشرف الأمم، قد قرّبناه إلیهم لننزّله علیهم، و لو لا أنّ الحکمة الإلهیّة اقتضت وصوله إلیهم منجّما بحسب الوقائع لم نهبط به إلی الأرض جملة کسائر الکتب المنزلة قبله، و لکنّ اللّه تعالی باین بینه و بینها فجمع له الأمرین؛ إنزاله جملة ثمّ إنزاله مفرّقا. و هذا من جملة ما شرّف به نبیّنا صلّی اللّه علیه و سلم، کما شرّف بحیازة درجتی الغنیّ الشّاکر و الفقیر الصّابر، فأوتی مفاتیح خزائن الأرض، فردّها و اختار الفقر و الإیثار بما فتح اللّه علیه من البلاد، فکان غنیّا شاکرا و فقیرا صابرا صلّی اللّه علیه و سلم.

فإن قلت: فی أیّ زمان نزل جملة إلی السّماء الدّنیا، أبعد ظهور نبوّة محمّد صلّی اللّه علیه و سلم أم قبلها؟

قلت: الظّاهر أنّه قبلها، و کلاهما محتمل، فإن کان بعدها، فالأمر علی ما ذکرناه من التّفخیم له و لمن أنزل علیه، و إن کان قبلها، ففائدته أظهر و أکثر، لأنّ فیه إعلام الملائکة بقرب ظهور أمّة أحمد المرحومة الموصوفة فی الکتب السّالفة، و إرسال نبیّهم خاتم

الأنبياء، كما أعلم اللّه سبحانه و تعالى الملائكة قبل خلق آدم بأنّه جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَةً «۱»، و كما أعلمهم أيضا قبل إكمال خلق آدم عليه السّلام بأنّه يخرج من ذرّيته محمّد و هو سيّد ولده. و على ذلك حملنا قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين» «۲»، على ما أوضحناه فى كتاب «شرح المدائح النّبويّة» «۳»، و كان العلم بذلك حاصلا عند الملائكة. أ لا ترى أنّ فى حديث الإسراء «۴» «لمّا كان جبريل يستفتح له السّماوات سماء سماء كان يقال

---

(۱)- الإشارة إلى الآية رقم ۳۰ من سورة البقرة.

(۲)- شرح المواهب ۱: ۵۵.

(۳)- هو شرح لأبى شامة على «القصائد النّبويّة» لعلم الدّين السّخاوىّ المتوفّى سنة ۶۴۳ ه/ ۱۲۴۵ م، و هذا الشّرح أوّل مؤلّفاته.

(۴)- انظر حديث الإسراء فى البخارىّ ۴: ۲۴۷، و مسلم ۱: ۹۹.

له: من هذا؟ فيقول: جبريل، فيقال: من معك؟ فيقول: محمّد، فيقال: و قد بعث إليه؟ فيقول: نعم». فهذا كلام من كان عنده علم بذلك قبل ذلك.

و قد تكلّم على فائدة إنزال القرآن جملة شيخنا أبو الحسن؛ ببعض ما ذكرناه «۱».

و وقفت على كلام حسن للحكيم التّرمذىّ أبى عبد اللّه محمّد بن علىّ فى تفسيره، فقال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا تسليما منه للأمّة ما كان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، و ذلك أنّ بعثة محمّد صلّى اللّه عليه و سلم كانت رحمة، فلمّا خرجت الرّحمة بفتح الباب جاءت بمحمّد صلّى اللّه عليه و سلم و بالقرآن، فوضع القرآن ببيت العزّة فى السّماء الدّنيا ليدخل فى حدّ الدّنيا، و وضعت النّبوّة فى قلب محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، و جاء جبريل عليه السّلام بالرّسالة ثمّ الوحى. كأنّه أراد تبارك و تعالى أن يسلّم هذه الرّحمة الّتى كانت حظّ هذه الأمّة من اللّه تعالى إلى الأمّة، ثمّ أجرى من السّماء الدّنيا الآية بعد الآية عند نزول النّوائب؛ قال اللّه تعالى: وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعالَمِینَ «۲»، و قال عزّ و جلّ: یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْکُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ شِفاءٌ لِما فِی الصُّدُورِ وَ هُدیً وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِینَ «۳».

و قال الشّيخ أبو الحسن فى كتابه «جمال القرّاء ...»: فى ذلك تكريم بنى آدم، و تعظيم شأنهم عند الملائكة، و تعريفهم عناية اللّه عزّ و جلّ بهم و رحمته لهم، و لهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة لمّا أنزل سورة الأنعام أن تزفّها، و زاد سبحانه فى هذا المعنى بأنّ أمر جبريل عليه السّلام بإملائه على السّفرة الكرام البررة عليهم السّلام و إنساخهم إيّاه و تلاوتهم له ... ثمّ ساق الكلام إلى آخره «۴».

فإن قلت: فقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۵» من جملة القرآن الّذى نزل جملة، أم لا؟ فإن لم يكن منه فما نزل جملة، و إن كان منه فما وجه صحّة هذه العبارة؟

قلت: له وجهان؛

---

(۱)- جمال القرّاء: ۵.

(۲)- الأنبياء/ ۱۰۷.

(۳)- يونس/ ۵۷.

(۴)- جمال القرّاء: ۵.

(۵)- القدر/ ۱.

أحدهما: أن يكون معنى الكلام إنّا حكمنا بإنزاله فى ليلة القدر، و قضينا به، و قدّرناه فى الأزل، و شئناه، و ما أشبه ذلك.

و الثانى: أنّ لفظه لفظ الماضى، و معناه الاستقبال، و له نظائر فى القرآن و غيره، أى ننزّله جملة فى ليلة مباركة، هى ليلة القدر. و اختير لفظ الماضى لأمرين؛ أحدهما: تحقّقه و كونه أمرا لا بدّ منه. و الثّانى: أنّه حال اتّصاله بالمنزل عليه، يكون الماضى فى معناه محقّقا؛ لأنّ نزوله منجّما كان بعد نزوله جملة واحدة، و كلّ ذلك حسن واضح، و اللّه أعلم.

فإن قلت: ما السّرّ فى نزوله إلى الأرض منجّما، و هلّا أنزل جملة كسائر الكتب؟

قلت: هذا سؤال قد تولّى اللّه سبحانه الجواب عنه، فقال فى كتابه العزيز: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱»، يعنون كما أنزل على من كان قبله من الرّسل، فأجابهم اللّه تعالى بقوله: كَذلِكَ، أى أنزلناه كذلك مفرّقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، أى لنقوّى به قلبك، فإنّ الوحى إذا كان يتجدّد فى كلّ حادثة كان أقوى للقلب و أشدّ عناية بالمرسل إليه، و يستلزم ذلك كثرة نزول الملك عليه و تجديد العهد له و بما معه من الرّسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز، فيحدث له من السّرور ما تقصر عنه العبارة، و لهذا كان أجود ما يكون فى رمضان لكثرة نزول جبريل عليه السّلام عليه فيه على ما سنذكره.

و قيل: معنى لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۲»، أى لتحفظه، فيكون فؤادك ثابتا به غير مضطرب.

و كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أمّيّا لا يكتب و لا يقرأ، ففرّق عليه القرآن ليتيسّر عليه حفظه، و لو نزل جملة لتعذّر عليه حفظه فى وقت واحد على ما أجرى اللّه تعالى به عوائد خلقه، و التّوراة نزلت على موسى عليه السّلام مكتوبة و كان كاتبا قارئا، و كذا كان غيره، و اللّه أعلم.

فإن قلت: كان فى القدرة إذا أنزله جملة أن يسهل عليه حفظه دفعة واحدة.

قلت: ما كلّ ممكن فى القدرة بلازم وقوعه، فقد كان فى قدرته تعالى أن يعلّمه الكتابة و القراءة فى لحظة واحدة، و أن يلهمهم الإيمان به، و لكنّه لم يفعل، و لا معترض

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۴۷

عليه فى حكمه، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى «۱»، وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ ما يُرِيدُ «۲».

و أيضا فى القرآن ما هو جواب عن أمور سألوه عنها، فهو سبب من أسباب تفريق النّزول، و لأنّ بعضه منسوخ و بعضه ناسخ، و لا يتأتّى ذلك إلّا فيما أنزل مفرّقا.

فهذه وجوه و معان حسنة فى حكمة نزوله منجّما، و كان بين نزول أوّل القرآن و آخره عشرون أو ثلاث و عشرون أو خمس و عشرون سنة، و هو مبنىّ على الخلاف فى مدّة إقامة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بمكّة بعد النّبوّة، فقيل: عشر، و قيل: ثلاث عشرة، و قيل: خمس عشرة، و لم يختلف فى مدّة إقامته بالمدينة أنّها عشر، و اللّه أعلم.

و كان اللّه تعالى قد وعد نبيّه صلّى اللّه عليه و سلم حفظ القرآن و بيانه، و ضمن له عدم نسيانه بقوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۳»، أى علينا أن نجمعه فى صدرك فتقرأه فلا ينفلت عنك منه شىء، و قال تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى «۴»، أى غير ناس له.

و فى الصّحيحين عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه، قال: كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۵»، قال: أنزلناه فاستمع له، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ «۶»، أن نبيّنه بلسانك، فكان إذا أتاه جبريل عليه السّلام أطرق، فإذا

ذهب قرأه كما وعده اللّه تعالى «۷».

[ثمّ ذكر رواية موسى بن إسماعيل بسنده عن ابن عبّاس كما تقدّم عن البخارىّ، فقال:]

---

(۱)- الأنعام/ ۳۵.

(۲)- البقرة/ ۲۵۳.

(۳)- القيامة/ ۱۶ و ۱۷.

(۴)- الأعلى/ ۶.

(۵)- القيامة/ ۱۸.

(۶)- القيامة/ ۱۹.

(۷)- البخارىّ ۶: ۷۶ و ۱۱۲؛ مسلم ۲: ۳۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۴۸

و عن ابن شهاب، قال: أخبرنى أنس بن مالك أنّ اللّه تعالى تابع الوحى على رسوله قبل وفاته حتّى توفّاه أكثر ما كان الوحى، ثمّ توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بعد «۱». هذا لفظ البخارىّ، و لمسلم: إنّ اللّه عزّ و جلّ تابع الوحى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قبل وفاته حتّى توفّى، و أكثر ما كان الوحى يوم توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم «۲».

قلت: يعنى عام وفاته أو حين وفاته، يريد أيّام مرضه كلّها، كما يقال: يوم الجمل و يوم صفّين، و كانت أيّاما، و اللّه أعلم. (ص: ۹- ۳۱)

---

(۱)- البخارىّ ۶: ۹۷.

(۲)- مسلم ۸: ۲۳۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۴۹

الفصل السّادس عشر نصّ القرطبىّ (م: ۶۷۱ ه) فى تفسيره: «الجامع لأحكام القرآن»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

نصّ فى أنّ القرآن نزل فى شهر رمضان، و هو يبيّن قوله عزّ و جلّ: حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۱» يعنى ليلة القدر، و لقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۲». و فى هذا دليل على أنّ ليلة القدر، إنّما تكون فى رمضان لا فى غيره.

و لا خلاف أنّ القرآن أنزل من اللّوح المحفوظ ليلة القدر- على ما بيّناه- جملة واحدة، فوضع فى بيت العزّة فى سماء الدّنيا، ثمّ كان جبريل عليه السّلام ينزل به نجما نجما فى الأوامر و النّواهى و الأسباب، و ذلك فى عشرين سنة.

و قال ابن عبّاس: أنزل القرآن من اللّوح المحفوظ جملة واحدة إلى الكتبة فى سماء الدّنيا، ثمّ نزل به جبريل عليه السّلام نجوما، يعنى الآية و الآيتين فى أوقات مختلفة فى إحدى و عشرين سنة.

و قال مقاتل فى قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى ... قال: أنزل من اللّوح المحفوظ كلّ عام فى ليلة القدر إلى سماء الدّنيا، ثمّ نزل إلى السّفرة من اللّوح المحفوظ فى عشرين

---

(۱)- الدّخان/ ۱- ۳.

(۲)- القدر/ ۱.

شهرا، و نزل به جبریل فی عشرین سنة.

قلت: و قول مقاتل هذا خلاف ما نقل من الإجماع أنّ القرآن أنزل جملة واحدة، و اللّه أعلم ... و روی واثلة بن أسقع عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:]

قلت: و فی هذا الحدیث دلالة علی ما یقوله الحسن: إنّ لیلة القدر تکون لیلة أربع و عشرین. (۲: ۲۹۷- ۲۹۸).

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ الإسراء/ ۱۰۵

مذهب سیبویه أنّ قُرْآناً منصوب بفعل مضمر یفسّره الظّاهر، و قرأ جمهور النّاس فَرَقْناهُ بتخفیف الرّاء، و معناه بیّناه و أوضحناه، و فرقنا فیه بین الحقّ و الباطل قاله الحسن. و قال ابن عبّاس: فصّلناه. و قرأ ابن عبّاس و علیّ و ابن مسعود و أبیّ بن کعب و قتادة و أبو رجاء و الشّعبیّ «فرّقناه» بالتّشدید، أی أنزلناه شیئا بعد شیء لا جملة واحدة، إلّا أنّ فی قراءة ابن مسعود و أبیّ «فرّقناه علیک».

و أختلف فی کم نزل القرآن من المدّة؛ فقیل: فی خمس و عشرین سنة، ابن عبّاس:

فی ثلاث و عشرین، أنس: فی عشرین. و هذا بحسب الخلاف فی سنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و لا خلاف أنّه نزل إلی السّماء الدّنیا جملة واحدة. و قد مضی هذا فی «البقرة». عَلی مُکْثٍ، أی تطاول فی المدّة شیئا بعد شیء. و یتناسق هذا القرآن علی قراءة ابن مسعود، أی أنزلناه آیة آیة و سورة سورة. و أمّا علی القول الأوّل فیکون عَلی مُکْثٍ أی علی ترسّل فی التّلاوة و ترتیل ...

وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا: مبالغة و تأکید بالمصدر للمعنی المتقدّم، أی أنزلناه نجما بعد نجم، و لو أخذوا بجمیع الفرائض فی وقت واحد لنفروا. (۱۰: ۳۳۹- ۳۴۰)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴

علّم نبیّه کیف یتلقّی القرآن. قال ابن عبّاس: کان علیه السّلام یبادر جبریل فیقرأ قبل أن یفرغ جبریل من الوحی حرصا علی الحفظ، و شفقة علی القرآن مخافة النّسیان، فنهاه اللّه

عن ذلک، و أنزل: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ. و هذا کقوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ علی ما یأتی، و روی ابن أبی نجیح عن مجاهد قال: لا تتله قبل أن تتبیّنه. و قیل: وَ لا تَعْجَلْ أی لا تسل إنزاله مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ، أی یأتیک وَحْیُهُ. و قیل: المعنی لا تلقه إلی النّاس قبل أن یأتیک بیان تأویله. (۱۱: ۲۵۰)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲- ۳۳

اختلف فی قائل ذلک علی قولین؛

أحدهما: أنّهم کفّار قریش، قاله ابن عبّاس.

و الثّانی: أنّهم الیهود حین رأوا نزول القرآن مفرّقا، قالوا: هلّا أنزل علیه جملة واحدة کما أنزلت التّوراة علی موسی و الإنجیل علی عیسی و الزّبور علی داود. فقال اللّه تعالی:

كَذلِكَ، أى فعلنا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ: نقوّى به قلبك فتعيه و تحمله؛ لأنّ الكتب المتقدّمة أنزلت على أنبياء يكتبون و يقرءون، و القرآن أنزل على نبيّ أميّ، و لأنّ من القرآن النّاسخ و المنسوخ، و منه ما هو جواب لمن سأل عن أمور، ففرّقناه ليكون أوعى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و أيسر على العامل به، فكان كلّما نزل وحى جديد زاده قوّة قلب.

قلت: فإن قيل: هلّا أنزل القرآن دفعة واحدة و حفظه؛ إذا كان ذلك فى قدرته؟ قيل:

فى قدرة اللّه أن يعلّمه الكتاب و القرآن فى لحظة واحدة، و لكنّه لم يفعل و لا معترض عليه فى حكمه، و قد بيّنّا وجه الحكمة فى ذلك. و قد قيل: إنّ قوله: كَذلِكَ من كلام المشركين، أى لو لا نزّل عليه القرآن جملة واحدة كذلك، أى كالتّوراة و الإنجيل، فيتمّ الوقف على كَذلِكَ، ثمّ يبتدئ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ. و يجوز أن يكون الوقف على قوله: جُمْلَةً واحِدَةً ثم يبتدئ كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ على معنى أنزلناه عليك كذلك متفرّقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ.

قال ابن الأنبارىّ: و الوجه الأوّل أجود و أحسن، و القول الثّانى قد جاء به التّفسير، حدّثنا محمّد بن عثمان الشّيبىّ، قال: حدّثنا منجاب، قال: حدّثنا بشر بن عمارة، عن أبى روق، عن الضّحّاك، عن ابن عبّاس، فى قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ قال: أنزل

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵۲

القرآن جملة واحدة من عند اللّه عزّ و جلّ فى اللّوح المحفوظ إلى السّفرة الكرام الكاتبين فى السّماء، فنجّمه السّفرة الكرام على جبريل عشرين ليلة، و نجّمه جبريل عليه السّلام على محمّد عشرين سنة. قال: فهو قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، يعنى نجوم القرآن وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ «۱». قال: فلمّا لم ينزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم جملة واحدة قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، فقال اللّه تبارك و تعالى: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ يا محمّد. وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا يقول: و رسّلناه ترسيلا؛ يقول: شيئا بعد شىء.

وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً يقول: لو أنزلنا عليك القرآن جملة واحدة ثمّ سألوك لم يكن عندك ما تجيب به، و لكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت.

قال النّحاس: و كان ذلك من علامات النّبوّة؛ لأنّهم لا يسألون عن شيئ إلّا أجيبوا عنه، و هذا لا يكون إلّا من نبىّ، فكان ذلك تثبيتا لفؤاده و أفئدتهم، و يدلّ على هذا وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً، و لو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم، و علم اللّه عزّ و جلّ أنّ الصّلاح فى إنزاله متفرّقا؛ لأنّهم يتنبّهون به مرّة بعد مرّة، و لو نزل جملة واحدة لزال معنى التّنبيه و فيه ناسخ و منسوخ، فكانوا يتعبّدون بالشّىء إلى وقت بعينه قد علم اللّه عزّ و جلّ فيه الصّلاح، ثمّ ينزل النّسخ بعد ذلك، فمحال أن ينزّل جملة واحدة: افعلوا كذا، و لا تفعلوا.

قال النّحّاس: و الأولى أن يكون التّمام جُمْلَةً واحِدَةً؛ لأنّه إذا وقف على كَذلِكَ صار المعنى كالتّوراة و الإنجيل و الزّبور و لم يتقدّم لها ذكر. (۱۳: ۲۸- ۲۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳

و الهاء فى أَنْزَلْناهُ للقرآن ... و اللّيلة المباركة ليلة القدر. و يقال: ليلة النّصف من شعبان ... و روى قتادة عن واثلة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

---

(۱)- الواقعة/ ۷۵- ۷۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵۳

ثمّ قيل: أنزل القرآن كلّه إلى سماء الدّنيا فى هذه اللّيلة، ثمّ أنزل نجما نجما فى سائر الأيّام على حسب اتّفاق الأسباب.

و قيل: كان ينزّل فى كلّ ليلة القدر ما ينزّل فى سائر السّنة.
و قيل: كان ابتداء الإنزال فى هذه اللّيلة.
و قال عكرمة: اللّيلة المباركة هاهنا ليلة النّصف من شعبان.
و الأوّل أصحّ؛ لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.
قال قتادة و ابن زيد: أنزل اللّه القرآن كلّه فى ليلة القدر من أمّ الكتاب إلى بيت العزّة فى سماء الدّنيا، ثمّ أنزله اللّه على نبيّه صلّى اللّه عليه و سلم فى اللّيالى و الأيّام فى ثلاث و عشرين سنة.
و هذا المعنى قد مضى فى «البقرة» عند قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، و يأتى آنفا إن شاء اللّه تعالى. (۱۶: ۱۲۵- ۱۲۶)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵- ۷۷

قال ابن عبّاس: المراد بمواقع النّجوم نزول القرآن نجوما، أنزله اللّه تعالى من اللّوح المحفوظ من السّماء العليا إلى السّفرة الكاتبين، فنجّمه السّفرة على جبريل عشرين ليلة، و نجّمه جبريل على محمّد عليهما الصّلاة و السّلام عشرين سنة، فهو ينزله على الأحداث من أمّته، حكاه الماوردىّ عن ابن عبّاس، و السّدّى. و قال أبو بكر الأنبارىّ: حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى، حدّثنا حجّاج بن المنهال، حدّثنا همّام عن الكلبىّ، عن أبى صالح، عن ابن عباس، قال: نزل القرآن إلى سماء الدّنيا جملة واحدة، ثمّ نزل إلى الأرض نجوما، و فرّق بعد ذلك خمس آيات خمس آيات و أقلّ و أكثر، فذلك قول اللّه تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. و حكى الفرّاء عن ابن مسعود: أنّ مواقع النّجوم هو محكم القرآن. و قرأ حمزة و الكسائىّ «بموقع» على التّوحيد، و هى قراءة عبد اللّه ابن مسعود و النّخعىّ و الاعمش و ابن محيصن و رويس عن يعقوب. الباقون على الجمع، فمن أفرد فلأنّه اسم جنس يؤدّى الواحد فيه عن الجمع، و من جمع فلاختلاف أنواعه.
نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵۴
قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ قيل: إنّ الهاء تعود على القرآن، أى إنّ القرآن لقسم عظيم، قاله ابن عبّاس و غيره. و قيل: ما أقسم اللّه به عظيم إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ذكر المقسم عليه، أى أقسم بمواقع النّجوم إنّ هذا القرآن قرآن كريم، ليس بسحر و لا كهانة، و ليس بمفترى، بل هو قرآن كريم محمود، جعله اللّه تعالى معجزة لنبيّه صلّى اللّه عليه و سلم، و هو كريم على المؤمنين؛ لأنّه كلام ربّهم، و شفاء صدورهم، كريم على أهل السّماء؛ لأنّه تنزيل ربّهم و وحيه. و قيل: كَرِيمٌ أى غير مخلوق. و قيل: (كريم) لما فيه من كريم الأخلاق و معانى الأمور. و قيل: لأنّه يكرّم حافظه، و يعظّم قارئه.
قوله تعالى: فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ: مصون عند اللّه تعالى. و قيل: مكنون محفوظ عن الباطل. و الكتاب هنا: كتاب فى السّماء، قاله ابن عبّاس. و قال جابر بن زيد و ابن عبّاس أيضا: هو اللّوح المحفوظ. عكرمة: التّوراة و الإنجيل فيهما ذكر القرآن و من ينزّل عليه.
السّدّى: الزّبور. مجاهد و قتادة: هو المصحف الّذى فى أيدينا. (۱۷: ۲۲۴)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹

فى التّرمذىّ: عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا نزل عليه القرآن يحرّك به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل اللّه تبارك و تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، قال: فكان يحرّك به شفتيه، و حرّك سفيان شفتيه. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

و لفظ مسلم عن ابن جبیر عن ابن عبّاس قال: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم یعالج ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:] خرّجه البخاریّ أیضا. و نظیر هذه الآیة قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۱»، و قد تقدّم. و قال عامر الشّعبیّ: إنّما کان یعجل بذکره إذا نزل علیه من حبّه له، و حلاوته فی لسانه، فنهی عن ذلک حتّی یجتمع؛ لأنّ بعضه مرتبط ببعض.

و قیل: کان علیه السّلام إذا نزل علیه الوحی حرّک لسانه مع الوحی مخافة أن ینساه، فنزلت

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۵۵

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ، و نزل سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی، و نزل لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ، قاله ابن عبّاس.

وَ قُرْآنَهُ، أی و قراءته علیک. و القراءة و القرآن فی قول الفرّاء مصدران. و قال قتادة: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أی فاتّبع شرائعه و أحکامه. و قوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ، أی تفسیر ما فیه من الحدود و الحلال و الحرام، قاله قتادة. و قیل: ثمّ إنّ علینا بیان ما فیه من الوعد و الوعید و تحقیقهما.

و قیل: أی إنّ علینا أن نبیّنه بلسانک. (۱۹: ۱۰۴- ۱۰۵)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی الأعلی/ ۶- ۷

سَنُقْرِئُکَ، أی القرآن یا محمّد، فنعلّمکه فَلا تَنْسی، أی فتحفظ، رواه ابن وهب عن مالک. و هذه بشری من اللّه تعالی بشّره بأن أعطاه آیة بیّنة، و هی أن یقرأ علیه جبریل ما یقرأ علیه من الوحی، و هو أمّیّ لا یکتب و لا یقرأ، فیحفظه و لا ینساه. و عن ابن أبی نجیح عن مجاهد، قال: کان یتذکّر مخافة أن ینسی، فقیل: کفیتکه.

قال مجاهد و الکلبیّ: کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه جبریل بالوحی، لم یفرغ جبریل من آخر الآیة، حتّی یتکلّم للنّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بأوّلها، مخافة أن ینساها، فنزلت سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی بعد ذلک شیئا، فقد کفیتکه.

و وجه الاستثناء علی هذا، ما قاله الفرّاء: إلّا ما شاء اللّه، و هو لم یشأ أن تنسی شیئا، کقوله تعالی: خالِدِینَ فِیها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا ما شاءَ رَبُّکَ «۱» و لا یشاء.

و یقال فی الکلام: لأعطینّک کلّ ما سألت إلّا ما شئت، و إلّا أن أشاء أن أمنعک، و النّیّة علی ألّا یمنعه شیئا. فعلی هذا مجاری الأیمان، یستثنی فیها، و نیّة الحالف التّمام. و فی روایة أبی صالح، عن ابن عبّاس: فلم ینس بعد نزول هذه الآیة حتّی مات، إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ.

و عن سعید، عن قتادة، قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لا ینسی شیئا، إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ. و علی هذه الأقوال قیل: إلّا ما شاء اللّه أن ینسی، و لکنّه لم ینس شیئا منه بعد نزول هذه الآیة.

و قیل: إلّا ما شاء اللّه أن ینسی، ثمّ یذکر بعد ذلک، فإذا قد نسی، و لکنّه یتذکّر و لا

---

(۱)- هود/ ۱۰۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۵۶

ینسی نسیانا کلّیا.

و قد روی أنّه أسقط آیة فی قراءته فی الصّلاة، فحسب أبیّ أنّها نسخت، فسأله فقال:

«إنّی نسیتها».

و قیل: هو من النّسیان، أی إلّا ما شاء اللّه أن ینسیک. ثمّ قیل: هذا بمعنی النّسخ، أی إلّا ما شاء اللّه أن ینسخه. و الاستثناء نوع من النّسخ. و قیل: النّسیان بمعنی التّرک، أی یعصمک من أن تترک العمل به، إلّا ما شاء اللّه أن تترکه لنسخه إیّاه. فهذا فی نسخ العمل، و

الأوّل فى نسخ القراءة.

قال الفرغانىّ: كان يغشى مجلس الجنيد أهل البسط من العلوم، و كان يغشاه ابن كيسان النّحوىّ، و كان رجلا جليلا، فقال يوما: ما تقول يا أبا القاسم فى قول اللّه تعالى:

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى؟ فأجابه مسرعا- كأنّه تقدّم له السّؤال قبل ذلك بأوقات: لا تنسى العمل به. فقال ابن كيسان: لا يفضض اللّه فاك! مثلك من يصدر عن رأيه. و قوله: فَلا- للنّفى لا للنّهى. و قيل: للنّهى، و إنّما أثبتت الياء «۱» لأنّ رءوس الآى على ذلك. و المعنى لا تغفل عن قراءته و تكراره فتنساه، إلّا ما شاء اللّه أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة. و الأوّل هو المختار؛ لأنّ الاستثناء من النّهى لا يكاد يكون إلّا موقّتا معلوما. و أيضا فإنّ الياء مثبتة فى جميع المصاحف، و عليها القرّاء. و قيل: معناه إلّا ما شاء اللّه أن يؤخّر إنزاله. و قيل: المعنى فَجَعَلَهُ غُثاءً أَحْوى «۲» إلّا ما شاء اللّه أن يناله بنو آدم و البهائم، فإنّه لا يصير كذلك.

قوله تعالى: إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ، أى الإعلان من القول و العمل. وَ ما يَخْفى من السّرّ. و عن ابن عبّاس: ما فى قلبك و نفسك. و قال محمّد بن حاتم: يعلم إعلان الصّدقة و إخفاءها. و قيل: الجهر: ما حفظته من القرآن فى صدرك. وَ ما يَخْفى هو ما نسخ من صدرك. وَ نُيَسِّرُکَ: معطوف على سَنُقْرِئُکَ، و قوله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى اعتراض. و معنى لِلْيُسْرى، أى للطّريقة اليسرى، و هى عمل الخير. قال ابن عبّاس:

نيسرك لأن تعمل خيرا. ابن مسعود: لِلْيُسْرى، أى للجنّة. و قيل: نوفّقك للشّريعة

---

(۱)- يريد الألف فى (تنسى)، و أصلها الياء (نسى ينسى).

(۲)- الأعلى/ ۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵۷

اليسرى، و هى الحنيفيّة السّمحة السّهلة، قال معناه الضّحّاك. و قيل: أى نهوّن عليك الوحى حتّى تحفظه و تعمل به. (۲۰: ۱۸- ۱۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

إِنَّا أَنْزَلْناهُ يعنى القرآن و إن لم يجر له ذكر فى هذه السّورة؛ لأنّ المعنى معلوم، و القرآن كلّه كالسّورة الواحدة، و قد قال: شَهْرُ رَمَضانَ ...، و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَكَةٍ، يريد فى ليلة القدر.

و قال الشّعبىّ: المعنى إنّا ابتدأنا إنزاله فى ليلة القدر. و قيل: بل نزّل به جبريل جملة واحدة فى ليلة القدر ... [إلى أن قال:] و حكى الماوردىّ عن ابن عبّاس، قال: ... [و ذكر كما تقدّم عن الزّمخشرىّ و أبى شامة، ثمّ قال:]

قال ابن العربىّ: و هذا باطل، ليس بين جبريل و بين اللّه واسطة، و لا بين جبريل و محمّد عليهما السّلام واسطة. (۲۰: ۱۲۹- ۱۳۰)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵۸

الفصل السّابع عشر نصّ البيضاوىّ (م: ۶۸۵ ه) فى تفسيره: «أنوار التّنزيل»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

أى ابتدئ فيه إنزاله، و كان ذلك ليلة القدر، أو أنزل فيه جملة إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل منجّما إلى الأرض، أو أنزل فى شأنه القرآن، و هو قوله: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ.

و عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم نزلت صحف إبراهيم ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:] و فيه إشعار بأنّ الإنزال فيه سبب

اختصاصه بوجوب الصّوم فيه. (۱: ۱۰۱)

وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ ... مريم/ ۶۴

حکايـة قول جبريـل عليه السّلام حين استبطأه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لمّا سئل عن قصّة أصحاب الکهف و ذى القرنين و الرّوح، و لم يدر ما يجيب، و رجا أن يوحى إليه فيه، فأبطأ عليه خمسة عشر يوما. و قيل: أربعين يوما، حتّى قال المشرکون: ودّعه ربّه و قلاه، ثمّ نزل ببيان ذلک. و التّنزّل: النّزول على مهل؛ لأنّه مطاوع نزل، و قد يطلق التّنزّل بمعنى النّزول مطلقا، کما يطلق نزّل بمعنى أنزل، و المعنى و ما نتنزّل وقتا غبّ إلّا بأمر اللّه على ما تقتضيه حکمته، و قرئ و ما يتنزّل بالياء، و الضّمير للوحى. لَهُ ما بَيْنَ أَيْدِينا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَيْنَ ذلِکَ، و هو ما نحن فيه من الأماکن و الأحايين، لا ننتقل من مکان إلى مکان، أو

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۵۹

لا نتنزّل فى زمان دون زمان إلّا بأمره و مشيّته. وَ ما کانَ رَبُّکَ نَسِيًّا: تارکا لک، أى ما کان عدم النّزول إلّا لعدم الأمر به، و لم يکن ذلک عن ترک اللّه لک و توديعه إيّاک کما زعمت الکفرة، و إنّما کان لحکمة رآها فيه. (۲: ۳۸)

وَ قالَ الَّذِينَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲

أى أنزل عليه، کخبّر بمعنى أخبر؛ لئلّا يناقض قوله: جُمْلَةً واحِدَةً: دفعة واحدة کالکتب الثّلاثة. و هو اعتراض لا طائل تحته؛ لأنّ الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرّقا، مع أنّ للتّفريق فوائد؛

منها: ما أشار إليه بقوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، أى کذلک أنزلناه مفرّقا، لنقوّى بتفريقه فؤادک على حفظه و فهمه؛ لأنّ حاله يخالف حال موسى و داود و عيسى، حيث کان عليه الصّلاة و السّلام أمّيّا و کانوا يکتبون، فلو ألقى إليه جملة يعى بحفظه، و لعلّه لم يستتب، فإنّ التّلقّف لا يتأتّى شيئا فشيئا، و لأنّ نزوله بحسب الوقائع يوجب مزيد بصيرة و غوص فى المعنى، و لأنّه إذا نزل منجّما- و هو يتحدّى بکلّ نجم فيعجزون عن معارضته- زاد ذلک قوّة قلبه، و لأنّه إذا نزل به جبريل حالا بعد حال تثبت به فؤاده.

منها: معرفة النّاسخ و المنسوخ.

منها: انضمام القرائن الحالية إلى الدّلالات اللّفظيّة، فإنّه يعين على البلاغة، و کَذلِکَ: صفة مصدر محذوف، و الإشارة إلى إنزاله مفرّقا، فإنّه مدلول عليه بقوله: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً. و يحتمل أن يکون من تمام کلام الکفرة، و لذلک وقف عليه فيکون حالا، و الإشارة إلى الکتب السّابقة، و اللّام على الوجهين تتعلّق بمحذوف.

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا: و قرأناه عليک شيئا بعد شىء على تؤدة و تمهّل فى عشرين سنة أو ثلاث و عشرين ... (۲: ۱۴۴)

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ الشّعراء/ ۱۹۲

تقرير لحقّيّة تلک القصص، و تنبيه على إعجاز القرآن و نبوّة محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، فإنّ الإخبار

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۶۰

عنها ممّن لم يتعلّمها لا يکون إلّا وحيا من اللّه عزّ و جلّ. و القلب إن أراد به الرّوح فذاک، و إن أراد به العضو فتخصيصه؛ لأنّ المعانى الرّوحانيّة إنّما تنزل أوّلا على الرّوح، ثمّ تنتقل منه إلى القلب؛ لما بينهما من التّعلّق، ثمّ تتصعّد منه إلى الدّماغ، فينتقش بها لوح المتخيّلة و الرّوح الأمين جبريل عليه السّلام، فإنّه أمين اللّه على وحيه. (۲: ۱۶۶)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ٣

إِنَّا أَنْزَلْناهُ ... فی لیلة القدر أو البراءة، ابتدئ فیها إنزاله أو أنزل فیها جملة إلی السّماء الدّنیا من اللّوح المحفوظ، ثمّ أنزل علی الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم نجوما، و برکتها لذلک، فإنّ نزول القرآن سبب المنافع الدّینیّة و الدّنیویّة. أو لما فیها من نزول الملائکة و الرّحمة و إجابة الدّعوة و قسم النّعمة و فصل الأقضیة.

إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ: استئناف یبیّن المقتضی للإنزال، و کذلک قوله: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ، فإنّ کونها مفرق الأمور المحکمة أو الملتبسة بالحکمة یستدعی أن ینزّل فیها القرآن الّذی هو من عظائمها. و یجوز أن یکون صفة لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ، و ما بینهما اعتراض، و هو یدلّ علی أنّ اللّیلة لیلة القدر؛ لأنّ صفتها؛ لقوله: تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ وَ الرُّوحُ ... «۱».

و قرئ یُفَرِّقُ بالتّشدید، و «یفرّق کلّ»، أی یفرّقه اللّه، و «نفرّق» بالنّون. أَمْراً مِنْ عِنْدِنا أی أعنی بهذا الأمر أمرا حاصلا من عندنا علی مقتضی حکمتنا، و فیه مزید تفخیم للأمر. (۲: ۳۷۳) نصوص فی علوم القرآن ۱۶۰ إنا أنزلناه فی لیلة القدر القدر/ ۱ ..... ص : ۱۶۰

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

و إنزاله فیها بأنّ ابتدأ بإنزاله، أو أنزله جملة من اللّوح إلی السّماء الدّنیا علی السّفرة، ثمّ کان جبریل علیه الصّلاة و السّلام ینزّله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نجوما فی ثلاث و عشرین سنة. (۲: ۵۶۹)

---

(۱)- القدر/ ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۱

الفصل الثّامن عشر نصّ النّیسابوریّ (م: ۷۲۸ ه) فی تفسیره: «غرائب القرآن»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵

و فی إنزال القرآن فی رمضان أقوال؛ فعن سفیان بن عیینة: أنزل فی فضله القرآن، کما تقول: أنزل فی علیّ علیه السّلام کذا. و قال ابن الأنباریّ: أنزل فی إیجاب صومه علی الخلق القرآن، کما تقول: أنزل اللّه فی الزّکاة کذا، أی فی إیجابها، و أنزل فی الخمر کذا، أی فی تحریمها. و القولان متقاربان، أو هما واحد، فإنّه لم ینزل سوی قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ الآیات.

و اختیار الجمهور أنّ اللّه تعالی أنزل القرآن فی رمضان؛ عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم: «نزلت صحف إبراهیم ...» [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:]

ثمّ إنّه لا شکّ أنّ القرآن قد نزل منجّما مفرّقا علی حسب المصالح و الوقائع، فأوّلت الآیة بأنّ المراد أنّه ابتدئ فیه إنزاله، و ذلک لیلة القدر، و مبادئ الملل و الدّول هی الّتی یؤرّخ بها لشرفها و انضباطها، هذا قول محمّد بن إسحاق، أو أنّه أنزل جملة إلی السّماء الدّنیا فی لیلة القدر، ثمّ نزل إلی الأرض نجوما.

و لیس یبعد أن یکون للملائکة الّذین هم سکّان سماء الدّنیا مصلحة فی إنزال ذلک إلیهم، و فیه مصلحة للرّسول من حیث توقّع الوحی عن أقرب الجهات، و لعلّ فیه مصلحة

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۲

لجبریل المأمور بالإنزال و التّأدیة، و لا سیّما علی رأی الفلاسفة الّذین جبریل عندهم هو العقل الفعّال الأخیر، الّذی یدبّر عالم الکون و

الفساد و خاصّة نوع الإنسان.

و على هذا القول يحتمل أن يقال: إنّ اللّه تعالى أنزل كلّ القرآن من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر، ثمّ نزّله على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم منجّما إلى آخر عمره.

و يحتمل أن يقال: إنّه سبحانه كان ينزّل إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر كلّ سنة ما يحتاجون إليه فى تلك السّنة، و كذلك أبدا إلى أن تمّ إنزاله. و على هذا يكون تعيّن رمضان الّذى أنزل فيه القرآن نوعيّا لا شخصيّا. (۲: ۱۰۹)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ... الإسراء/ ۱۰۵

ثمّ إنّ القوم كأنّهم من تعنّتهم طعنوا فى القرآن من جهة أنّه لم ينزل دفعة واحدة، فأجاب عن شبهتهم بقوله: وَ قُرْآناً، هو منصوب بفعل يفسره. فَرَقْناهُ، أى جعلنا نزوله مفرّقا منجّما.

عن ابن عبّاس، أنّه قرأ مشدّدا، و قال: إنّه لم ينزّل فى يومين أو ثلاثة، بل كان بين أوّله و آخره عشرون سنة، يعنى أنّ «فرق» بالتّخفيف يدلّ على فصل مقارب.

و قال أبو عبيدة: التّخفيف أعجب إلىّ؛ لأنّ تفسيره بيّناه، و ليس للتّشديد معنى إلّا أنّه نزل متفرّقا، فالفرق يتضمّن التّبيين. و يؤكّده ما رواه ثعلب عن ابن الأعرابىّ أنّه قال:

فرقت أفرق بين الكلام، و فرّقت بين الأجسام.

و أقول: إنّ ابن عبّاس اعتبر الفصل بين أوّل نزوله و بين آخره، فرأى التّشديد أولى، و لعلّ المراد الفصول المتقاربة الّتى فيما بين المدّة، بدليل قوله: لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، أى على مهل و تؤدة، و لقوله: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا، أى على حسب المصالح و الحوادث. (۱۵: ۹۱- ۹۲)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲

ثمّ حكى عنهم شبهة خامسة، و هى قولهم: هلّا نزل عليه القرآن حال كونه جملة

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۶۳

واحدة أى مجتمعا، و معنى التّنزيل هاهنا التّعدية فقط بقرينة قوله: جُمْلَةً، خلاف ما تقرّر فى أكثر المواضع من إرادة التّكثير المفيد للتّدريج، كما مرّ فى قوله: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ «۱» و القائلون قريش أو اليهود، فأجاب اللّه تعالى عن شبهتهم بقوله: لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ ....

و تقريره من وجوه؛

أحدها: أنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و سلم لم يكن قارئا كاتبا بخلاف موسى و داود و عيسى، فلم يكن له بدّ من التّلقّن و التّحفّظ، فأنزله اللّه عليه منجّما فى عشرين سنة. و عن ابن جريج: فى ثلاث و عشرين؛ ليكون أقرب إلى الضّبط و أبعد عن النّسيان و السّهو.

و ثانيها: أنّ الاعتماد على الحفظ أقرب إلى التّحصيل من الاعتماد على الكتابة، و الحفظ لا بدّ فيه من التّدرّج.

و ثالثها: أنّ نزول الشّرائع مدرّجة أسهل على المكلّف منها دفعة.

و رابعها: أنّ نزول جبريل ساعة فساعة ممّا يقوّى قلبه و يعينه على تحمّل أعباء النّبوّة و الرّسالة.

و خامسها: أنّ نزوله مفرّقا يوجب وقوع التّحدّى على أبعاض القرآن و أجزائه، و نزوله جملة يقتضى وقوع التّحدّى على مجموعه، و لا ريب فى أنّ الأوّل أدخل فى الإعجاز.

و سادسها: أنّ نزوله بحسب الوقائع و الحوادث أوفق فی باب التّکالیف و الاستبصار، و أدلّ علی الإخبار عن الحوادث فی أوقاتها.

و سابعها: أنّ فی تجدید منصب السّفارة فی کلّ حین مزید شرف لجبریل.

و للتّرتیل معان؛ منها: أنّه قدّره آیة بعد آیة و دفعة عقیب دفعة. و منها: التّأنّی فی القراءة. و معنی وَ رَتَّلْناهُ أمرنا بترتیل قراءته. و منه حدیث عائشة ... [ثمّ ذکر تفسیر الآیة کما تقدّم عن الزّمخشریّ]. (۱۹: ۱۲)

---

(۱)- آل عمران/ ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۴

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳

أقسم بالقرآن إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ؛ لأنّ من شأننا الإنذار و التّخویف من العقاب، و إنّما أنزل فی هذه اللّیلة خصوصا لأنّ إنزال القرآن أشرف الأمور الحکمیّة، و هذه اللّیلة یفرق فیها کلّ أمر ذی حکمة، فالجملتان أعنی قوله: إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ کالتّفسیر لجواب القسم.

قال صاحب النّظم: لیس من عادتهم أن یقسموا بنفس الشّیء إذا أخبروا عنه، فجواب القسم إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ. و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ: اعتراض. و الجمهور علی الأوّل، و لا بأس؛ لأنّ المعنی إنّا أنزلنا القرآن علی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم و لم یتقوّله. و یحتمل أنّ القسم وقع علی إنزاله فی لیلة مبارکة.

و أکثر المفسّرین علی أنّها لیلة القدر؛ لقوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، و لیلة القدر عند الأکثرین من رمضان.

و نقل محمّد بن جریر الطّبریّ فی تفسیره عن قتادة أنّه قال: نزلت صحف إبراهیم ...

[و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و اللّیلة المبارکة هی لیلة القدر. و زعم بعضهم کعکرمة و غیره أنّها لیلة النّصف من شعبان، و ما رأیت لهم دلیلا یعوّل علیه ... [إلی أن قال:]

و بعضهم أراد أن یجمع بین القولین، فقال: ابتدئ باستنساخ القرآن من اللّوح المحفوظ لیلة البراءة، و وقع الفراغ فی لیلة القدر و المبارکة: الکثیرة الخیر، و لو لم یوجد فیها إلّا إنزال القرآن لکفی به برکة. (۲۵: ۶۴- ۶۵)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

الضّمیر فی إِنَّا أَنْزَلْناهُ للقرآن، إمّا لأنّ القرآن کلّه فی حکم سورة واحدة، و إمّا لشهرته و من نباهة شأنه، کأنّه مستغن عن التّصریح بذکره.

و قد عظّم القرآن فی الآیة من وجوه أخر، هی إسناد إنزاله إلی نفسه دون غیره کجبرائیل مثلا، و صیغة الجمع الدّالة علی عظم رتبة المنزل؛ إذ هو واحد فی نفسه نقلا

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۵

و عقلا، و الرّفع من مقدار الوقت الّذی أنزل فیه و هو لیلة القدر.

و هاهنا مسائل؛

الأولی: کیف حکم بأنّه أنزل فی هذه اللّیلة مع أنّه أنزل نجوما فی نیف و عشرین؟

و الجواب کما مرّ فی البقرة فی قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، أی أنزل فیها من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا جملة، ثمّ منها إلی الأرض نجوما.

و وجه حسن المجاز أنّه أنزل إلی السّماء الدّنیا فقد شارف النّزول إلی الأرض، فیکون من فوائد التّشویق، کما قیل:

و أبرح ما یکون الشّوق یوماإذا دنت الخیام من الخیام و قال الشّعبیّ: ابتدئ بإنزاله فی هذه اللّیلة لأنّ المبعث کان فی رمضان. و قیل: أراد أنزلنا القرآن، یعنی هذه السّورة فی فضل لیلة القدر، و القدر بمعنی التّقدیر ... (۳۰: ۱۴۲)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۶

الفصل التّاسع عشر نصّ ابن جزیّ الکلبیّ (م: ۷۴۱ ه) فی تفسیره «التّسهیل لعلوم التّنزیل»

[مدّة نزول القرآن]

نزول القرآن علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم من أوّل ما بعثه اللّه بمکّة- و هو ابن أربعین سنة إلی أن هاجر إلی المدینة، ثمّ نزل علیه بالمدینة إلی أن توفّاه اللّه، فکانت مدّة نزوله علیه عشرون سنة. و قیل: کانت ثلاث و عشرین سنة علی حسب الاختلاف فی سنّه صلّی اللّه علیه و سلم یوم توفّی، هل کان ابن ستّین سنة، أو ثلاث و ستّین سنة؟ و کان ربّما تنزّل علیه سورة کاملة، و ربّما تنزّل علیه آیات مفترقات، فیضمّ علیه السّلام بعضها إلی بعض حتّی تکمل السّورة. (۱: ۴)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲

هذا من اعتراضات قریش؛ لأنّهم قالوا: لو کان القرآن من عند اللّه لنزل جملة واحدة کما نزلت التّوراة و الإنجیل.

قوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، هذا جواب لهم، تقدیره أنزلناه کذلک مفرّقا؛ لنثبّت به فؤاد محمّد صلّی اللّه علیه و سلم لحفظه، و لو نزل جملة واحدة لتعذّر علیه حفظه؛ لأنّه أمیّ لا یقرأ، فحفظ المفرّق علیه أسهل، و أیضا فإنّه نزل بأسباب مختلفة تقتضی أن ینزّل کلّ جزء منه عند

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۷

حدوث سببه، و أیضا منه ناسخ و منسوخ و لا یتأتّی ذلک فیما ینزل جملة واحدة.

قوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، أی فرّقناه تفریقا، فإنّه نزل بطول عشرین سنة، و هذا الفعل معطوف علی الفعل المقدّر الّذی یتعلّق به کَذلِکَ و «به» یتعلّق لِنُثَبِّتَ. (۳: ۷۸)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳

یعنی لیلة القدر من رمضان. و کیفیّة إنزاله فیها، أنّه أنزل إلی السّماء الدّنیا جملة واحدة، ثمّ نزل به جبریل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم شیئا بعد شیء.

و قیل: معناه أنّه ابتدئ إنزاله فی لیلة القدر.

و قیل: یعنی باللّیلة المبارکة لیلة النّصف من شعبان. و ذلک باطل؛ لقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، مع قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۲». (۴: ۳۴)

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹

الضّمیر فی «به» یعود علی القرآن، دلّت علی ذلک قرینة الحال و سبب الآیة أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کان إذا نزل علیه جبریل بالقرآن یحرّک به شفتیه مخافة أن ینساه لحینه، فأمره اللّه أن ینصت و یستمع.

و قیل: کان یخاف أن ینسی القرآن، فکان یدرسه، حتّی غلب علیه ذلک و شقّ علیه، فنزلت الآیة. و الأوّل هو الصّحیح؛ لأنّه ورد فی البخاریّ و غیره.

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ: ضمن اللّه له أن یجمعه فی صدره، فلا یحتاج إلی تحریک شفتیه عند نزوله. و یحتمل قُرْآنَهُ هنا وجهین؛

أحدهما: أن یکون بمعنی القراءة، فإنّ القرآن قد یکون مصدرا من قرأت،

و الآخر: أن یکون معناه تألیفه فی صدره، فهو مصدر من قولک: قرأت الشّیء، أی جمعته. فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أی إذا قرأه جبریل فاجعل قراءة جبریل قراءة اللّه؛

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۸

لأنها من عنده، و معنی فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ اسمع قراءته و اتّبعها بذهنک لتحفظها. و قیل: اتّبع القرآن فی الأوامر و النّواهی. ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ، أی علینا أن نبیّنه لک و نجعلک تحفظه.

و قیل: علینا أن نبیّن معانیه و أحکامه. فإن قیل ما مناسبة قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ- الآیة- لما قبلها؟ فالجواب: أنّه لعلّه نزل معه فی حین واحد فجعل علی ترتیب النّزول.

(۴: ۱۶۵)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ... الأعلی/ ۷.

هذا خطاب للنّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم وعده اللّه أن یقرئه القرآن فلا ینساه، و فی ذلک معجزة له علیه الصّلاة و السّلام؛ لأنّه کان أمّیّا لا یکتب، و کان مع ذلک لا ینسی ما أقرأه جبریل علیه السّلام من القرآن.

و قیل: معنی الآیة کقوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ ... فإنّه علیه الصّلاة و السّلام کان یحرّک به لسانه إذا أقرأه جبریل؛ خوفا أن ینساه، فضمن اللّه له أن لا ینساه.

و قیل: فَلا تَنْسی نهی عن النّسیان، و قد علم اللّه أنّ ترک النّسیان لیس فی قدرة البشر، فالمراد الأمر بتعاهده حتّی لا ینساه، و هذا بعید؛ لإثبات الألف فی تنسی.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ فیه وجهان؛

أحدهما: أنّ معناه لا تنسی الّا ما شاء اللّه أن تنساه، کقوله: أَوْ نُنْسِها.

و الآخر: إنّه لا ینسی شیئا، و لکن قال إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ تعظیما للّه بإسناد الأمر إلیه، کقوله: خالِدِینَ فِیها إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ «۱»، علی بعض الأقوال.

و عبّر الزّمخشریّ عن هذا بأنّه من استعمال التّقلیل فی معنی النّفی.

فالأوّل أظهر، فإنّ النّسیان جائز علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فیما أراد اللّه أن یرفعه من القرآن، أو فیما قضی اللّه أن ینساه ثمّ یذکره. و من هذا قول النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم حین سمع عبّاد بن بشر: «لقد أذکرنی کذا و کذا آیة کنت قد نسیتها».

وَ نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْری: عطف علی سَنُقْرِئُکَ، و معناه نوفّقک للأمور المرضیّة الّتی

---

(۱)- الأنعام/ ۱۲۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۶۹

توجب لک السّعادة.

و قیل: معناه للشّریعة الیسری، من قوله علیه الصّلاة و السّلام: «دین اللّه یسر»، أی سهل لا حرج فیه. (۴: ۱۹۳- ۱۹۴)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱

الضّمیر فی أَنْزَلْناهُ للقرآن، دلّ علی ذلک سیاق الکلام، و فی ذلک تعظیم للقرآن من ثلاثة أوجه؛

أحدها: أنّه ذکر ضمیره دون اسمه الظّاهر؛ دلالة علی شهرته و الاستغناء عن تسمیته.

و الثّانی: أنّه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

و الثّالث: أنّ اللّه أسند إنزاله إلی نفسه، و فی کیفیّة إنزاله فی لیلة القدر قولان؛

أحدهما: أنّه ابتدأ إنزاله فیها،

و الآخر: أنّه أنزل القرآن فیها جملة واحدة إلی السّماء الدّنیا، ثمّ نزل به جبریل إلی الأرض بطول عشرین سنة.

و قیل: المعنی أنزلناه فی شأن لیلة القدر و ذکرها. و هذا ضعیف و سمّیت لیلة القدر من تقدیر الأمور فیها، أو من القدر بمعنی الشّرف، و یترجّح الأوّل بقوله: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ «۱». (۴: ۲۱۰)

---

(۱)- الدّخان/ ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۷۰

الفصل العشرون نصّ أبی حیّان (م: ۷۴۵ ه) فی تفسیره: «البحر المحیط»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

إنّه ظرف لإنزال القرآن، و القرآن یعمّ الجمیع ظاهرا، و لم یبیّن محلّ الإنزال، فعن ابن عبّاس: أنّه أنزل جمیعه إلی سماء الدّنیا لیلة أربع و عشرین من رمضان، ثمّ أنزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم منجّما.

و قیل: الإنزال هنا هو علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فیکون القرآن ممّا عبّر بکلّه عن بعضه، و المعنی بدئ بإنزاله فیه علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و ذلک فی الرّابع و العشرین من رمضان. أو تکون الألف و اللّام فیه لتعریف الماهیّة، کما تقول: أکلت اللّحم، لا ترید استغراق الأفراد، إنّما ترید تعریف الماهیّة.

و قیل: معنی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... [و ذکر کما تقدّم عن أبی شامة].

و قیل: أنزل فی فرضیّة صومه القرآن و فی شأنه القرآن، کما تقول: أنزل فی عائشة قرآن، و القرآن الّذی نزل هو قوله: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا کُتِبَ عَلَیْکُمُ الصِّیامُ «۱»، قاله مجاهد و الضّحّاک. و قال سفیان بن عیینة: فی فضله.

و قیل: المعنی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، أی أنزل من اللّوح المحفوظ إلی السّفرة فی سماء

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۱

الدّنيا فى ليلة القدر من عشرين شهر، أو نزل به جبريل فى عشرين سنة، قاله مقاتل.

و روى واثلة بن الأسقع عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و فى رواية أبى ذرّ نزلت صحف إبراهيم فى ثلاث مضين من رمضان، و إنجيل عيسى عليه السّلام فى ثمانية عشر.

و الجمع بين الرّوايتين بأنّ رواية واثلة أخبر فيها عن ابتداء نزول الصّحف و الإنجيل، و رواية أبى ذرّ أخبر فيها عن انتهاء النّزول. (۲: ۳۹- ۴۰)

وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ ... آل عمران/ ۳- ۴

قال الزّمخشرىّ: فإن قلت: لم قيل: نزّل الكتاب و أنزل التّوراة و الإنجيل؟ قلت: لأنّ القرآن نزل منجّما، و نزل الكتابان جملة.

و قد تقدّم الرّد على هذا القول، و أنّ التّعدية بالتّضعيف لا تدلّ على التّكثير و لا التّنجيم، و قد جاء فى القرآن «نزّل» و «أنزل»؛ قال اللّه تعالى: وَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ «۱» و أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ «۲». و يدلّ على أنّهما بمعنى واحد قراءة من قرأ ما كان ممّن ينزّل مشدّدا بالتّخفيف إلّا ما استثنى، فلو كان أحدهما يدلّ على التّنجيم و الآخر يدلّ على النّزول دفعة واحدة؛ لتناقض الأخبار، و هو محال. ۲: ۳۷۸

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ الإسراء/ ۱۰۵

و قرأ الجمهور «فرقناه» بتخفيف الرّاء، أى بيّنا حلاله و حرامه، قاله ابن عبّاس. و عن الحسن: فرقنا فيه بين الحقّ و الباطل. و قال الفرّاء: أحكمناه و فصّلناه، كقوله: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ «۳».

و قرأ أبىّ و عبد اللّه و علىّ و ابن عبّاس و أبو رجاء و قتادة و شعبىّ و حميد و عمرو بن

---

(۱)- النّحل/ ۴۴.

(۲)- آل عمران/ ۷.

(۳)- الدّخان/ ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۲

قائد و زيد بن علىّ و عمر بن ذرّ و عكرمة و الحسن بخلاف عنه بشدّ الرّاء، أى أنزلناه نجما بعد نجم، و فصّلناه فى النّجوم.

و قال بعض من اختار ذلك: لم ينزل فى يوم و لا يومين و لا شهر و لا شهرين و لا سنة و لا سنتين. قال ابن عبّاس: كان بين أوّله و آخره عشرون سنة. هكذا قال الزّمخشرىّ عن ابن عبّاس.

و حكى عن ابن عبّاس فى ثلاث و عشرين سنة. و قيل: فى خمس و عشرين. و هذا الاختلاف مبنىّ على الاختلاف فى سنّه صلّى اللّه عليه و سلم و عن الحسن: نزل فى ثمانية عشر سنة. قال ابن عطيّة: و هذا قول مختلّ لا يصحّ عن الحسن.

و قيل: معنى «فرّقناه» بالتّشديد، فرّقنا آياته بين أمر و نهى و حكم و أحكام و مواعظ و أمثال و قصص و أخبار مغيبات أتت و تأتى. و انتصب قُرْآناً على إضمار فعل يفسّره فَرَقْناهُ أى و فرقنا قرآنا فرقناه، فهو من باب الاشتغال. و حسّن النّصب و رجحه على الرّفع كونه عطفا على جملة فعليّة، و هى قوله: وَ ما أَرْسَلْناكَ و لا بدّ من تقدير صفة لقوله:

وَ قُرْآناً حتّى يصحّ كونه كان يجوز فيه الابتداء: لأنه نكرة لا مسوّغ لها فى الظّاهر للابتداء بها، و التّقدير وَ قُرْآناً أى قرآن، أى عظيما جليلا و على أنّه منصوب بإضمار فعل يفسّره الظّاهر بعده خرّجه الحوفىّ و الزّمخشرىّ. و قال ابن عطيّة: هو مذهب سيبويه.

و قال الفرّاء: هو منصوب بأرسلناك، أى ما أرسلناك إلّا مبشّرا و نذيرا و قرآنا، كما تقول: رحمة؛ لأنّ القرآن رحمة. و هذا إعراب متكلّف، و أكثر تكلّفا منه قول ابن عطيّة.

و يصحّ أن يكون معطوفا على الكاف فى أَرْسَلْناكَ من حيث كان إرسال هذا أو إنزال هذا المعنى واحد.

و قرأ أبىّ و عبد اللّه «فرقناه عليك» بزيادة «عليك». و (لتقرأه) متعلّق بفرقناه، و الظّاهر تعلّق (على مكث) بقوله: (لتقرأه) و لا يبالى بكون الفعل يتعلّق به حرفا جرّ من جنس واحد؛ لأنه اختلف معنى الحرفين، الأوّل فى موضع المفعول به، و الثّانى فى موضع الحال، أى متمهّلا مترسّلا.

قال ابن عبّاس و مجاهد و ابن جريج: عَلى مُكْثٍ: على ترسّل فى التّلاوة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۳

و قيل: عَلى مُكْثٍ أى تطاول فى المدّة شيئا بعد شىء.

و قال الحوفىّ: عَلى مُكْثٍ بدل من عَلَى النَّاسِ، و هذا لا يصحّ؛ لأنّ قوله:

عَلى مُكْثٍ هو من صفة الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم و هو القارئ، أو صفات المقروء فى المعنى و ليس من صفات النّاس فيكون، بدلا منهم.

و قيل: يتعلّق عَلى مُكْثٍ بقوله: فَرَقْناهُ. و يقال: مكث، بضمّ الميم و فتحها و كسرها. و قال ابن عطيّة: و أجمع القرّاء على ضمّ الميم من مُكْثٍ. و قال الحوفىّ:

و المكث بالضّمّ و الفتح لغتان، و قد قرئ بهما، و فيه لغة أخرى كسر الميم. وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا: على حسب الحوادث من الأقوال و الأفعال. (۶: ۸۷- ۸۸)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲

قال الزّمخشرىّ: نُزِّلَ هاهنا بمعنى انزل لا غير، كخبّر بمعنى أخبر و إلّا كان متدافعا، انتهى.

و إنّما قال: إنّ نُزِّلَ بمعنى «أنزل» لأنّ «نزّل» عنده أصلها أن تكون للتّفريق، فلو أقرّه على أصله عنده من الدّلالة على التّفريق تدافع هو.

و قوله: جُمْلَةً واحِدَةً، و قد قرّرنا أنّ نُزِّلَ لا تقتضى التّفريق؛ لأنّ التّضعيف فيه عندنا مرادف للهمزة، و قد بيّنا ذلك فى أوّل آل عمران.

و قائل ذلك كفّار قريش؛ قالوا: لو كان هذا من عند اللّه لنزل جملة كما نزلت التّوراة و الإنجيل.

و قيل: قالوا ذلك اليهود، و هذا قول لا طائل تحته؛ لأنّ أمر الاحتجاج به- و الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة واحدة أو مفرّقا- أظهر؛ إذ يطالبون بمعارضة سورة منه، فلو نزل جملة واحدة و طولبوا بمعارضته مثل ما نزل. لكانوا أعجز منهم حين طولبوا بمعارضة سورة منه فعجزوا، و المشار إليه غير مذكور فقيل: هو من كلام الكفّار، و أشاروا إلى التّوراة و الإنجيل، أى تنزيلا مثل تنزيل تلك الكتب الإلهيّة جملة واحدة، و يبقى لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ تعليلا لمحذوف أى فَرَقْناهُ فى أوقات لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ.

و قيل: هو مستأنف من كلام اللّه تعالى لا من كلامهم، و لمّا تضمّن كلامهم معنى لم

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۴

أنزل مفرّقا؟ أشير بقوله: كَذلِكَ إلى التّفريق، أى كذلك أنزل مفرّقا. قال الزّمخشرىّ:

و الحكمة فيه أن نقوّى ... [و ذكر كما تقدّم عنه]. (۶: ۴۹۶)

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ الشّعراء/ ۱۹۱– ۱۹۲

الضّمير فى وَ إِنَّهُ عائد على القرآن، أى إنّه ليس بكهانة و لا سحر، بل هو من عند اللّه، و كأنّه عاد أيضا إلى ما افتتح به السّورة من إعراض المشركين عمّا يأتهم من الذّكر، ليتناسب المفتتح و المختتم.

و قرأ الحرميان و أبو عمرو و حفص نَزَلَ مخفّفا، و الرُّوحُ الْأَمِينُ مرفوعان، و باقى السّبعة بالتّشديد و نصبهما. و الرّوح هنا جبريل عليه السّلام، و قد تقدّم فى سورة «مريم» لم أطلق عليه الرّوح؟ و به قال ابن عطيّة فى موضع الحال، كقوله: وَ قَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَ هُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ «۱»، انتهى. و الظّاهر تعلّق عَلى قَلْبِكَ و لِتَكُونَ بنزل. و خصّ القلب و المعنى عليك لأنّه محلّ الوعى و التّثبيت، و ليعلم أنّ المنزل على قلبه عليه السّلام محفوظ لا يجوز عليه التّبديل و لا التّغيير، و ليكون علّة فى التّنزيل أو النّزول اقتصر عليها؛ لأنّ ذلك أزجر للسّامع، و إن كان القرآن نزل للإنذار و التّبشير. و الظّاهر تعلّق بِلِسانٍ بنزل، فكان يسمع من جبريل حروفا عربيّة.

قال ابن عطيّة: و هو القول الصّحيح، و تكون صلصلة الجرس صفة لشدّة الصّوت و تداخل حروفه و عجلة مورده و أغلاطه و يمكن أن يتعلّق بقوله: لِتَكُونَ، و تمسّك بهذا من رأى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يسمع أحيانا مثل صلصلة الجرس يتفهّم له منه القرآن، و هو مردود، انتهى. (۷: ۴۰)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ... الدّخان/ ۳

قال قتادة و ابن زيد و الحسن: اللّيلة المباركة: ليلة القدر، و قالوا: كتب اللّه كلّها إنّما نزلت فى رمضان؛ التّوراة فى أوّله، و الإنجيل فى وسطه، و الزّبور فى نحو ذلك، و القرآن فى

---

(۱)– المائدة/ ۶۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۵

آخره فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، و يعنى ابتداء نزوله كان فى ليلة القدر.

و قيل: أنزل جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور، و من هناك كان جبريل يتلقّاه. و قال عكرمة و غيره: هى ليلة النّصف من شعبان، فقد أوردوا فيها أحاديث ...

قال الزّمخشرىّ: فإن قلت: إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ما موقع هاتين الجملتين؟ قلت: ... [و ذكر كما تقدّم عنه]. (۸: ۳۲– ۳۳)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶

الظّاهر و المنصوص الصّحيح فى سبب النّزول أنّه خطاب للرّسول صلّى اللّه عليه و سلم ... [ثمّ ذكر قول القفّال و رواية ابن عبّاس، كما تقدّم عن الفخر الرّازىّ و البخارىّ، ثمّ قال:]

و قال الضّحّاك: السّبب أنّه كأنّ عليه الصّلاة و السّلام كان يخاف أن ينسى القرآن، فكان يدرسه حتّى غلب ذلك عليه و شقّ، فنزلت.

و قال الشّعبىّ: كان لحرصه عليه الصّلاة و السّلام على أداء الرّسالة و الاجتهاد فى عبادة اللّه ربّما أراد النّطق ببعض ما أوحى إليه قبل كمال إيراد الوحى، فأمر أن لا يعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليه وحيه، و جاءت هذه الآية فى هذا المعنى و الضّمير فى «به» للقرآن دلّ عليه مساق الآية: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ، أى فى صدرك، وَ قُرْآنَهُ، أى قراءتك إيّاه، و القرآن مصدر كالقراءة؛ قال الشّاعر:

ضحّوا بأشمط عنوان السّجود به يقطّع اللّيل تسبيحا و قرآنا و قيل: وَ قُرْآنَهُ: و تأليفه فى صدرك، فهو مصدر من قرأت، أى جمعت. و

منه قولهم للمرأة الّتى لم تلد: ما قرأت سلا قط، و قال الشّاعر:

ذراعى بكرة أدماء بكرهجان اللّون لم تقرأ جنينا فَإِذا قَرَأْناهُ، أى الملك المبلّغ عنّا فَاتَّبِعْ، أى بذهنك و فكرك، أى فاستمع قراءته، قاله ابن عبّاس. و قال أيضا هو و قتادة و الضّحّاك: فاتّبع فى الأوامر و النّواهى.

و فى كتاب ابن عطيّة: و قرأ أبو العالية «فاذا قرته فاتّبع قرته» بفتح القاف و الرّاء و التّاء من غير همزة و لا ألف فى الثّلاثة، و لم يتكلّم على توجيه هذه القراءة الشّاذّة. و وجّه

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۶

اللّفظ الأوّل أنّه مصدر، أى «انّ علينا جمعه و قراءته» فنقل حركة الهمزة إلى الرّاء السّاكنة و حذفها، فبقى «قرته» كما ترى. و أمّا الثّانى فإنّه فعل ماض أصله فإذا قرأته، أى أردت قراءته فسكّن الهمزة، فصار قرأته، ثمّ حذف الألف على جهة الشّذوذ، كما حذفت فى قول العرب: و لو تر ما الصّبيان يريدون، و لو ترى ما الصّبيان و ما زائدة. و أمّا اللّفظ الثّالث فتوجيهه توجيه اللّفظ الأوّل، أى فإذا قرأته- أى أردت قراءته- فاتّبع قراءته بالدّرس أو بالعمل.

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: قال قتادة و جماعة: أن نبيّنه لك و نحفظكه. و قيل: أن تبيّنه أنت.

و قال قتادة أيضا: أن نبيّن حلاله و حرامه و مجمله و مفسّره.

و فى «التّحرير و التّحبير» قال ابن عبّاس: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ، أى حفظه فى حياتك، و قراءته: تأليفه على لسانك. و قال الضّحّاك: نثبته فى قلبك بعد جمعه لك. و قيل: جمعه بإعادة جبريل عليك مرّة أخرى، إلى أن يثبت فى صدرك.

فَإِذا قَرَأْناهُ: قال ابن عبّاس: أنزلناه إليك، فاستمع قراءته. و عنه أيضا: فإذا يتلى عليك فاتّبع ما فيه ...

و قد نمّق الزّمخشرىّ بحسن إيراده تفسير هذه الآية، فقال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا لقّن الوحى نازع جبريل ... [و ذكر كما تقدّم عنه].

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ: إذا أشكل عليك شىء من معانيه، كأنّه كان يعجل فى الحفظ و السّؤال عن المعنى جميعا، كما ترى بعض الحرّاص على العلم و نحوه، وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ... انتهى.

[ثمّ ذكر قول الفخر الرّازىّ فى طعن الّذين سمّوا بالرّافضة كما تقدّم عنه، فقال:]

و يظهر أنّ المناسبة بين هذه الآية و ما قبلها أنّه تعالى لمّا ذكر منكر القيامة و البعث معرضا عن آيات اللّه تعالى و معجزاته و أنّه قاصر شهواته على الفجور غير مكترث بما يصدر منه ذكر حال من يثابر على تعلّم آيات اللّه و حفظها و تلقّفها و النّظر فيها و عرضها على من ينكرها رجاء قبوله إيّاها، فظهر بذلك تباين من يرغب فى تحصيل آيات اللّه و من يرغب عنها و بضدّها تتميّز الأشياء.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۷

و لمّا كان صلّى اللّه عليه و سلم لمثابرته على ذلك كان يبادر للتّحفّظ بتحريك لسانه أخبره تعالى أنّه يجمعه له و يوضّحه. (۸: ۳۸۷- ۳۸۸)

فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ... عبس/ ۱۳- ۱۴.

فِى صُحُفٍ: قيل: اللّوح المحفوظ، و قيل: صحف الأولياء المنزّلة، و قيل: صحف المسلمين. فيكون إخبارا بمغيب؛ إذ لم يكتب القرآن فى صحف زمان كونه عليه السّلام بمكّة ينزّل عليه القرآن. مُكَرَّمَةٍ: عند اللّه و مَرْفُوعَةٍ: فى السّماء السّابعة، قاله يحيى بن سلّام.

بِأَيْدِى سَفَرَةٍ: كتبة ينسخون الكتب من اللّوح المحفوظ، قال ابن عبّاس: هم الملائكة كتبة.

و قال أيضا: لأنّهم يسفرون بين اللّه تعالى و أنبيائه ... و قال قتادة: هم القرّاء، و واحد السّفرة سافر.

و قال وهب: هم الصّحابة؛ لأنّ بعضهم يسفر إلى بعض فى الخير و التّعليم و العلم.

(۸: ۴۲۸)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱.

إِنَّا أَنْزَلْناهُ: و الضّمير عائد على ما دلّ عليه المعنى و هو ضمير القرآن.

قال ابن عبّاس و غيره: أنزله اللّه تعالى ليلة القدر إلى سماء الدّنيا جملة، ثمّ نجّمه على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم فى عشرين سنة.

و قال الشّعبىّ و غيره: إنّا ابتدأنا إنزال هذا القرآن إليك فى ليلة القدر. و روى أنّ نزول الملك فى حراء كان فى العشر الأواخر من رمضان.

و قيل: المعنى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى هذه السّورة فى شأن ليلة القدر و فضلها، و لمّا كانت السّورة من القرآن، جاء الضّمير للقرآن تفخيما و تحسينا، فليست ليلة القدر ظرفا للنّزول بل على نحو قول عمر: لقد خشيت أن ينزل فىّ قرآن. و قول عائشة: لأنا أحقر فى نفسى

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۸

من أن ينزل فىّ قرآن.

و قال الزّمخشرىّ: عظم من القرآن من إسناد إنزاله إليه مختصّا به، و من مجيئه بضميره دون اسمه الظّاهر شهادة له بالنّباهة و الاستغناء عن التّنبيه عليه، و بالرّفع من مقدار الوقت الّذى أنزل فيه، انتهى. (۸: ۴۹۶)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۷۹

الفصل الحادى و العشرون نصّ ابن كثير (م: ۷۷۴ ه) فى «تفسيره»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵.

يمدح تعالى شهر الصّيام من بين سائر الشّهور بأنّ اختاره من بينهنّ لإنزال القرآن العظيم، و كما اختصّه بذلك قد ورد الحديث بأنّه الشّهر الّذى كانت الكتب الإلهيّة تنزل فيه على الأنبياء؛ قال الإمام أحمد بن حنبل: حدّثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم، حدّثنا عمران أبو العوّام، عن قتادة، عن أبى المليح، عن واثلة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و قد روى من حديث جابر بن عبد اللّه، و فيه: أنّ الزّبور أنزل لثنتى عشرة خلت من رمضان، و الإنجيل لثمانى عشرة، و الباقى كما تقدّم، رواه ابن مردويه. و أمّا الصّحف و التوراة و الزّبور و الإنجيل، فنزل كلّ منها على النّبىّ الّذى أنزل عليه جملة واحدة، و أمّا القرآن فإنّما نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة من السّماء الدّنيا، و كان ذلك فى شهر رمضان فى ليلة القدر منه، كما قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، ثمّ نزل بعد مفرّقا بحسب الوقائع على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم.

هكذا روى من غير وجه عن ابن عبّاس، كما قال إسرائيل عن السّدّىّ، عن محمّد بن أبى المجالد، عن مقسم، عن ابن عبّاس: أنّه سأل عطيّة بن الأسود، فقال: وقع فى قلبى الشّكّ ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸۰

و فى رواية سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن فى النّصف من شهر رمضان إلى سماء الدّنيا، فجعل فى بيت العزّة، ثمّ أنزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى عشرين سنة؛ لجواب كلام النّاس.

و فى رواية عكرمة عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن فى شهر رمضان فى ليلة القدر، إلى هذه السّماء الدّنيا جملة واحدة، و كان اللّه يحدّث لنبيّه ما يشاء، و لا يجىء المشركون بمثل يخاصمون به إلّا جاءهم اللّه بجوابه، و ذلك قوله: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ .... (۱: ۳۸۰)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲.

يقول تعالى مخبرا عن كثرة اعتراض الكفّار و تعنّتهم و كلامهم فيما لا يعنيهم؛ حيث قالوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، أى هلّا أنزل عليه هذا الكتاب الّذى أوحى إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله جملة واحدة، كالتّوراة و الإنجيل و الزّبور و غيرها من الكتب الإلهيّة، فأجابهم اللّه تعالى عن ذلك بأنّه إنّما نزل منجّما فى ثلاث و عشرين سنة بحسب الوقائع و الحوادث، و ما يحتاج إليه من الأحكام؛ ليثبّت قلوب المؤمنين به، كقوله:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ الآية و لهذا قال: لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا، قال قتادة: بيّناه تبيينا. و قال ابن زيد: و فسّرناه تفسيرا. وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ، أى بحجّة و شبهة، إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً، أى و لا يقولون قولا يعارضون به الحقّ، إلّا أجبناهم بما هو الحقّ فى نفس الأمر، و أبين و أوضح و أفصح من مقالتهم.

قال سعيد بن جبير عن ابن عبّاس: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ، أى بما يلتمسون به عيب القرآن و الرّسول، إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِ الآية، أى إلّا نزل جبريل من اللّه تعالى بجوابهم.

و ما هذا إلّا اعتناء و كبير شرف للرّسول صلّى اللّه عليه و سلم؛ حيث كان يأتيه الوحى من اللّه عزّ و جلّ بالقرآن صباحا و مساء، و ليلا و نهارا، سفرا و حضرا، و كلّ مرّة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتاب ممّا قبله من الكتب المتقدّمة، فهذا المقام أعلى و أجل و أعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء (صلوات اللّه و سلامه عليهم أجمعين)، فالقرآن أشرف كتاب أنزله اللّه،

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸۱

و محمّد صلّى اللّه عليه و سلم أعظم نبىّ أرسله اللّه تعالى. و قد جمع اللّه للقرآن الصّفتين معا، ففى الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا، ثمّ أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجّما بحسب الوقائع و الحوادث.

و روى النّسائىّ بإسناده عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ]. (۵: ۱۵۰- ۱۵۱)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵.

و اختلفوا فى معنى قوله: بِمَواقِعِ النُّجُومِ، فقال حكيم بن جبير، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس: يعنى نجوم القرآن، فإنّه نزل جملة ليلة القدر من السّماء العليا إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل مفرّقا فى السّنين بعد، ثمّ قرأ ابن عبّاس: هذه الآية.

[ثمّ ذكر رواية الضّحّاك عن ابن عبّاس، كما تقدّم عن القرطبىّ، فقال:]

و كذا قال عكرمة و مجاهد و السّدّىّ و أبو حزرة. و قال مجاهد أيضا: مواقع النّجوم فى السّماء، و يقال: مطالعها و مشارقها. (۶: ۵۳۵)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۷

هذا تعليم من اللّه عزّ و جلّ لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم فى كيفيّة تلقّيه الوحى من الملك، فإنّه كان يبادر إلى أخذه و يسابق الملك فى قراءته، فأمره اللّه إذا جاءه الملك بالوحى أن يستمع له، و تكفّل اللّه له أن يجمعه فى صدره، و أن ييسّره لأدائه على الوجه الّذى ألقاه إليه و أن يبيّنه له و يفسّره و يوضّحه.

فالحالة الأولى جمعه فى صدره، و الثّانية تلاوته، و الثّالثة تفسيره و إيضاح معناه.

و لهذا قال اللّه تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، أى بالقرآن، كما قال تعالى: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً «۱».

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ [ثمّ ذكر تفسير الآية كما تقدّم عن القرطبىّ، فقال:]

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸۲

و قال ابن أبى حاتم: حدّثنا أبو سعيد الأشجّ، حدّثنا أبو يحيى التّيمىّ، حدّثنا موسى بن أبى عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أنزل عليه الوحى يلقى منه شدّة، و كان إذا نزل عليه عرف فى تحريكه شفتيه يتلقّى أوّله و يحرّك به شفتيه؛ خشية أن ينسى أوّله قبل أن يفرغ من آخره، فأنزل اللّه تعالى لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ ....

و هكذا قال الشّعبىّ و الحسن البصرىّ و قتادة و مجاهد و الضّحّاك و غير واحد: إنّ هذه الآية نزلت فى ذلك.

و قد روى ابن جرير من طريق العوفىّ عن ابن عبّاس لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ قال: كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه، فقال اللّه تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ أن نجمعه لك، وَ قُرْآنَهُ: أن نقرئك فلا تنسى ... (۷: ۱۶۹- ۱۷۰)

«و نصّه أيضا فى «البداية و النّهاية»

عمره صلّى اللّه عليه و سلم وقت بعثته و تأريخها:

قال الإمام أحمد حدّثنا محمّد بن أبى عدىّ، عن داود بن أبى هند، عن عامر الشّعبىّ، أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نزلت عليه النّبوّة و هو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوّته إسرافيل ثلاث سنين، فكان يعلّمه الكلمة و الشّىء، و لم ينزل القرآن، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل، فنزل القرآن على لسانه عشرين سنة، عشرا بمكّة و عشرا بالمدينة. فمات و هو ابن ثلاث و ستّين سنة. فهذا إسناد صحيح إلى الشّعبىّ، و هو يقتضى أنّ إسرافيل قرن معه بعد الأربعين ثلاث سنين ثمّ جاءه جبريل.

و أمّا الشّيخ شهاب الدّين أبو شامة فإنّه قد قال: و حديث عائشة لا ينافى هذا، فإنّه يجوز أن يكون أوّل أمره الرّؤيا. ثمّ وكّل به إسرافيل فى تلك المدّة الّتى كان يخلو فيها بحراء، فكان يلقى إليه الكلمة بسرعة و لا يقيم معه تدريجا له و تمرينا إلى أن جاءه

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸۳

جبريل، فعلّمه بعد ما غطّه ثلاث مرّات، فحكت عائشة ما جرى له مع جبريل، و لم تحك ما جرى له مع إسرافيل اختصارا للحديث، أو لم تكن وقفت على قصّة إسرافيل.

و قال الإمام أحمد: حدّثنا يحيى بن هشام، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، أنزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و هو ابن ثلاث و أربعين، فمكث بمكّة عشرا و بالمدينة عشرا. و مات و هو ابن ثلاث و ستّين. و هكذا روى يحيى بن سعيد بن المسيّب، ثمّ روى أحمد عن غندر و يزيد ابن هارون، كلاهما عن هشام، عن عكرمة، عن ابن عبّاس، قال: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أنزل عليه القرآن، و هو ابن أربعين سنة، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة و بالمدينة عشر سنين. و مات و هو ابن ثلاث و ستّين سنة. و قال الإمام أحمد: حدّثنا عفّان، حدّثنا حمّاد بن سلمة، أنبأنا عمّار بن أبى عمّار، عن ابن عبّاس، قال: أقام النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بمكّة خمس عشرة سنة، سبع سنين يرى الضّوء و يسمع الصّوت، و ثمانى سنين يوحى إليه، و أقام بالمدينة عشر سنين.

قال أبو شامة: و قد كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يرى عجائب قبل بعثته، فمن ذلك ما فى صحيح مسلم، عن جابر بن سمرة قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّى لأعرف حجرا بمكّة كان يسلّم علىّ قبل أن أبعث، إنّى لأعرفه الآن» انتهى كلامه.

و إنّما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يحبّ الخلاء و الانفراد عن قومه؛ لمّا يراهم عليه من الضّلال المبين من عبادة الأوثان و

السّجود للأصنام، و قويت محبّته للخلوة عند مقاربة إيحاء اللّه إليه (صلوات اللّه و سلامه عليه). و قد ذكر محمّد بن إسحاق عن عبد الملك بن عبد اللّه بن أبى سفيان بن العلاء بن حارثة- قال؛ و كان واعية- عن بعض أهل العلم، قال: و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يخرج إلى حراء فى كلّ عام شهرا من السّنة يتنسّك فيه. و كان من نسك قريش فى الجاهليّة، يطعم من جاءه من المساكين، حتّى إذا انصرف من مجاورته لم يدخل بيته حتّى يطوف بالكعبة. و هكذا روى عن وهب بن كيسان، أنّه سمع عبيد بن عمير يحدث عبد اللّه بن الزّبير مثل ذلك. و هذا يدلّ على أنّ هذا كان من عادة المتعبّدين فى قريش أنّهم يجاورون فى حراء للعبادة، و لهذا قال أبو طالب فى قصيدته المشهورة:

و ثور و من أرسى ثبيرا مكانهوراق ليرقى فى حراء و نازل

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸۴

هكذا صوّبه على رواية هذا البيت، كما ذكره السّهيلىّ و أبو شامة و شيخنا الحافظ أبو الحجّاج المزّى رحمهم اللّه، و قد تصحّف على بعض الرّواة، فقال فيه: وراق ليرقى فى حراء و نازل، و هذا ركيك و مخالف للصّواب، و اللّه أعلم.

و حراء: يقصر و يمدّ و يصرّف و يمنع، و هو جبل بأعلى مكّة على ثلاثة أميال منها عن يسار المارّ إلى منى، له قلّة مشرفة على الكعبة منحنية و الغار فى تلك الحنية، و ما أحسن ما قال رؤبة بن العجّاج:

فلا و ربّ الآمنات القطّنو ربّ ركن من حراء منحنى و قوله فى الحديث: و التّحنّث: التّعبّد، تفسير بالمعنى، و إلّا فحقيقة التّحنّث من حنث «۱» البنية، فيما قاله السّهيلىّ، الدّخول فى الحنث، و لكن سمعت ألفاظ قليلة فى اللّغة معناها الخروج من ذلك الشّىء كحنث، أى خرج من الحنث، و تحوّب و تحرّج و تأثّم، و تهجّد هو:

ترك الهجود، و هو النّوم للصّلاة، و تنجّس و تقذّر، أوردها أبو شامة. و قد سئل ابن الأعرابىّ عن قوله: يتحنّث، أى يتعبّد، فقال: لا أعرف هذا، إنّما هو يتحنّف، من الحنيفيّة دين إبراهيم عليه السّلام. قال ابن هشام: و العرب تقول: التّحنّث و التّحنّف، يبدّلون الفاء من الثّاء، كما قالوا: جدف و جذف، كما قال رؤبة: لو كان أحجارى مع الأجذاف. يريد الأجداث. قال:

و حدّثنى أبو عبيدة، أنّ العرب تقول: «فمّ» فى موضع «ثمّ» قلت: و من ذلك قول بعض المفسّرين وَ فُومِها: إنّ المراد ثومها.

و قد اختلف العلماء فى تعبّده عليه السّلام قبل البعثة، هل كان على شرع أم لا؟ و ما ذلك الشّرع؟ فقيل: شرع نوح، و قيل: شرع إبراهيم، و هو الأشبه الأقوى، و قيل: موسى، و قيل:

عيسى، و قيل: كلّ ما ثبت أنّه شرع عنده اتّبعه و عمل به، و لبسط هذه الأقوال و مناسباتها مواضع أخر فى أصول الفقه، و اللّه أعلم.

و قوله: حتّى فجئه الحقّ و هو بغار حراء، أى جاء بغتة على غير موعد، كما قال تعالى وَ ما كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقى إِلَيْكَ الْكِتابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ «۲» الآية. و قد كان نزول صدر

(۱)- كذا فى المصدر، لعلّ الصّحيح «من حيث البنية (م)

(۲)- القصص/ ۸۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۸۵

هذه السّورة الكريمة، و هى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۱». و هى أوّل ما نزل من القرآن كما قرّرنا ذلك فى التّفسير، و كما سيأتى أيضا فى يوم الاثنين، كما ثبت فى صحيح مسلم عن أبى قتادة، أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم سئل عن صوم يوم الاثنين؟ فقال: «ذلك يوم ولدت فيه، و يوم أنزل علىّ فيه». و قال ابن عبّاس: ولد نبيّكم محمّد صلّى اللّه عليه و سلم يوم الاثنين، و نبئ يوم الاثنين. و هكذا قال عبيد بن عمير، و أبو جعفر الباقر، و غير واحد من العلماء: إنّه صلّى اللّه عليه و سلم أوحى إليه يوم الاثنين، و هذا ما لا خلاف فيه بينهم.

ثمّ قیل: کان ذلک فی شهر ربیع الأوّل، کما تقدّم عن ابن عبّاس و جابر أنّه ولد علیه السّلام فی الثّانی عشر من ربیع الأوّل. یوم الاثنین، و فیه بعث و فیه عرج به إلی السّماء، و المشهور أنّه بعث صلّی اللّه علیه و سلم فی شهر رمضان، کما نصّ علی ذلک عبید بن عمیر، و محمّد بن إسحاق و غیرهما.

قال ابن إسحاق مستدلّا علی ذلک بما قال اللّه تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ فقیل: فی عشرة. و روی الواقدیّ بسنده عن أبی جعفر الباقر، أنّه قال:

«کان ابتداء الوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یوم الاثنین، لسبع عشرة لیلة خلت من رمضان» و قیل: فی الرّابع و العشرین منه.

قال الإمام أحمد: حدّثنا أبو سعید مولی بنی هاشم، حدّثنا عمران أبو العوّام، عن قتادة، عن أبی الملیح، عن واثلة ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، فقال:]

و روی ابن مردویه فی تفسیره عن جابر بن عبد اللّه مرفوعا نحوه، و لهذا ذهب جماعة من الصّحابة و التّابعین، إلی أنّ لیلة القدر لیلة أربع و عشرین. (۳: ۴- ۶)

---

(۱)- العلق/ ۱- ۵.

الفصل الثّانی و العشرون نصّ الزّرکشیّ (م: ۷۹۴ ه) فی کتابه: «البرهان فی علوم القرآن»

فی کیفیّة إنزاله

قال تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱»، و قال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲». و اختلف فی کیفیّة الإنزال علی ثلاثة أقوال؛

أحدها: أنّه نزل إلی سماء الدّنیا لیلة القدر جملة واحدة، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی عشرین سنة أو فی ثلاث و عشرین، أو خمس و عشرین، علی حسب الاختلاف فی مدّة إقامته بمکّة بعد النّبوّة.

و القول الثّانی: أنّه نزل إلی سماء الدّنیا فی عشرین لیلة قدر من عشرین سنة، و قیل:

فی ثلاث و عشرین لیلة قدر من ثلاث و عشرین سنة، و قیل: فی خمس و عشرین لیلة قدر من خمس و عشرین سنة، فی کلّ لیلة ما یقدّر اللّه سبحانه إنزاله فی کلّ السّنة، ثمّ ینزل بعد ذلک منجّما فی جمیع السّنة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم.

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

و القول الثّالث: أنّه ابتدئ إنزاله فی لیلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی أوقات مختلفة من سائر الأوقات.

و القول الأوّل أشهر و أصحّ، و إلیه ذهب الأکثرون، و یؤیّده ما رواه الحاکم فی مستدرکه عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلی سماء الدّنیا فی لیلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلک فی عشرین سنة، قال الحاکم: صحیح علی شرط الشّیخین.

و أخرج النّسائیّ فی التّفسیر من جهة حسّان عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: فصل القرآن من الذّکر، فوضع فی بیت العزّة من السّماء الدّنیا، فجعل جبریل ینزل به علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و إسناده صحیح، و حسّان هو ابن أبی الأشرس، وثّقه النّسائیّ و

غيره.

و بالثّانی قال مقاتل و الإمام أبو عبد اللّه الحليمیّ فی «المنهاج» و الماوردیّ فی «تفسيره». و بالثّالث قال الشّعبیّ و غيره.

و اعلم أنّه اتّفق أهل السّنّة علی أنّ كلام اللّه منزّل، و اختلفوا فی معنی الإنزال، فقيل:

معناه إظهار القرآن، و قيل: إنّ اللّه أفهم كلامه جبريل و هو فی السّماء، و هو عال من المكان و علّمه قراءته، ثمّ جبريل أدّاه فی الأرض و هو يهبط فی المكان.

و التّنزيل له طريقان؛ أحدهما: أنّ رسول اللّه صلّی اللّه عليه و سلم انخلع من صورة البشريّة إلی صورة الملائكة و أخذه من جبريل. و الثّانی: أنّ الملك انخلع إلی البشريّة حتّی يأخذ الرّسول منه، و الأوّل أصعب الحالين.

و نقل بعضهم عن السّمرقندیّ حكاية ثلاثة أقوال فی المنزل علی النّبیّ صلّی اللّه عليه و سلم ما هو؛

أحدها: أنّه اللّفظ و المعنی، و أنّ جبريل حفظ القرآن من اللّوح المحفوظ و نزل به.

و ذكر بعضهم أنّ أحرف القرآن فی اللّوح المحفوظ، كلّ حرف منها بقدر جبل قاف، و أنّ تحت كل حرف معان لا يحيط بها إلّا اللّه عزّ و جلّ، و هذا معنی قول الغزالیّ: إنّ هذه الأحرف سترة لمعانيه.

و الثّانی: أنّه إنّما نزل جبريل علی النّبیّ صلّی اللّه عليه و سلم بالمعانی خاصّة، و أنّه صلّی اللّه عليه و سلم علم تلك المعانی و عبّر عنها بلغة العرب، و إنّما تمسّكوا بقوله تعالی: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى

قَلْبِكَ «۱».

و الثّالث: أنّ جبريل إنّما ألقی عليه المعنی، و أنّه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، و أنّ أهل السّماء يقرءونه بالعربيّة، ثمّ إنّه أنزل به كذلك بعد ذلك.

فإن قيل: ما السّرّ فی إنزاله جملة إلی السّماء؟ قيل ... [و ذكر كما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:]. فإن قيل: فی أیّ زمان نزل جملة إلی سماء الدّنيا، بعد ظهور نبوّة محمّد صلّی اللّه عليه و سلم أم قبلها؟ قلت: قال الشّيخ أبو شامة: الظّاهر أنّه قبلها، و كلاهما محتمل، فإن كان بعدها فوجه التّفخيم منه ما ذكرناه، و إن كان قبلها ففائدته أظهر و أكثر.

فإن قلت: فقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۲»، من جملة القرآن الّذی نزل جملة أم لا؟ ... [و ذكر كما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:]

و قال ابن فورك: قيل: أنزلت التّوراة جملة؛ لأنّها نزلت علی نبیّ يقرأ و يكتب- و هو موسی- و أنزل القرآن مفرّقا؛ لأنّه أنزل غير مكتوب علی نبیّ أمیّ. و قيل: ممّا لم ينزل لأجله جملة واحدة أنّ منه النّاسخ و المنسوخ، و منه ما هو جواب لمن يسأل عن أمور، و منه ما هو إنكار لما كان، انتهی.

و كان بين أوّل نزول القرآن و آخره عشرون أو ثلاث و عشرون أو خمس و عشرون سنة، و هو مبنیّ علی الخلاف فی مدّة إقامته صلّی اللّه عليه و سلم بمكّة بعد النّبوّة؛ فقيل: عشر، و قيل: ثلاث عشرة، و قيل: خمس عشرة. و لم يختلف فی مدّة إقامته بالمدينة أنّها عشر. و كان كلّما أنزل عليه شیء من القرآن أمر بكتابته، و يقول: فی مفترقات الآيات «ضعوا هذه فی سورة كذا»، و كان يعرضه جبريل فی شهر رمضان كلّ عام مرّة، و عام مات مرّتين.

و فی صحيح البخاریّ: قال مسروق، عن عائشة، عن فاطمة ... [و ذكر كما تقدّم عنه ثمّ قال:]

و أسنده البخاریّ فی مواضع. و قد كرّر النّبیّ صلّی اللّه عليه و سلم الاعتكاف، فاعتكف عشرين بعد أن كان يعتكف عشرا. (۱: ۲۲۹-۲۳۲)

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۳.

(۲)- القدر/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۸۹

الفصل الثّالث و العشرون نصّ ابن حجر العسقلانیّ (م: ۸۵۲ ه) فی «فتح الباریّ بشرح صحیح البخاریّ»

قوله: (باب کیف نزل الوحی؟ و أوّل ما نزل؟)

کـذا لأبی ذرّ «نزل» بلفظ الفعل الماضی و لغیره: کیف نزول الوحی، بصیغة الجمع، و قد تقدّم البحث فی کیفیّة نزوله فی حدیث عائشة: أنّ الحرث بن هشام سأل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم:

کیف یأتیک الوحی؟ فی أوّل الصّحیح؛ و کذا أوّل نزوله، فی حدیثها: أوّل ما بدئ به رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم من الوحی الرّؤیا الصّادقة. لکن التّعبیر بأوّل ما نزل أخصّ من التّعبیر بأوّل ما بدئ؛ لأنّ النّزول یقتضی وجود من ینزل به، و أوّل ذلک مجیء الملک له عیانا مبلّغا عن اللّه بما شاء من الوحی، و إیحاء الوحی أعمّ من أن یکون بإنزال أو بإلهام، سواء وقع ذلک فی النّوم أو فی الیقظة. و أمّا انتزاع ذلک من أحادیث الباب فسأذکره إن شاء اللّه تعالی عند شرح کلّ حدیث منها.

قوله: (قال ابن عبّاس: المهیمن الأمین: القرآن أمین علی کلّ کتاب قبله)، تقدّم بیان هذا الأثر و ذکر من وصله فی تفسیر سورة المائدة، و هو یتعلّق بأصل التّرجمة، و هی فضائل القرآن و توجیه کلام ابن عبّاس أنّ القرآن تضمّن تصدیق جمیع ما أنزل قبله، لأنّ

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۹۰

الأحکام الّتی فیه إمّا مقرّرة لما سبق و إمّا ناسخة و ذلک یستدعی إثبات المنسوخ، و إمّا مجدّدة، و کلّ ذلک دالّ علی تفضیل المجدّد. ثمّ ذکر المصنّف فی الباب ستّة أحادیث، الأوّل و الثّانی: حدیثا ابن عبّاس و عائشة معا.

قوله: (عن شیبان) هو ابن عبد الرّحمن، و یحیی هو ابن أبی کثیر، و أبو سلمة هو ابن عبد الرّحمن.

قوله: (لبث النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بمکّة عشر سنین ینزل علیه القرآن و بالمدینة عشر سنین) کذا للکشمیهنیّ و لغیره: و بالمدینة عشرا بإبهام المعدود و هذا ظاهره أنّه صلّی اللّه علیه و سلم عاش ستّین سنة إذا انضمّ إلی المشهور أنّه بعث علی رأس الأربعین، لکن یمکن أن یکون الرّاوی ألغی الکسر کما تقدّم بیانه فی الوفاة و النّبوّة، فإنّ کلّ من روی عنه أنّه عاش ستّین سنة أو أکثر من ثلاث و ستّین، جاء عنه أنّه عاش ثلاثا و ستّین، فالمعتمد أنّه عاش ثلاثا و ستّین، و ما یخالف ذلک إمّا أن یحمل علی إلغاء الکسر فی السّنین و إمّا علی جبر الکسر فی الشّهور.

و أمّا حدیث الباب فیمکن أن یجمع بینه و بین المشهور بوجه آخر، و هو أنّه بعث علی رأس الأربعین، فکانت مدّة وحی المنام ستّة أشهر إلی أن نزل علیه الملک فی شهر رمضان من غیر فترة، ثمّ فتر الوحی، ثمّ تواتر و تتابع، فکانت مدّة تواتره و تتابعه بمکّة عشر سنین من غیر فترة، و أنّه علی رأس الأربعین قرن به میکائیل أو إسرافیل، فکان یلقی إلیه الکلمة أو الشّیء مدّة ثلاث سنین کما جاء من وجه مرسل، ثمّ قرن به جبریل، فکان ینزل علیه بالقرآن مدّة عشر سنین بمکّة. و یؤخذ من هذا الحدیث ممّا یتعلّق بالتّرجمة أنّه نزل مفرّقا و لم ینزل جملة واحدة، و لعلّه أشار إلی ما أخرجه النّسائی و أبو عبید و الحاکم من وجه آخر عن ابن عبّاس، قال أنزل القرآن جملة واحدة إلی سماء الدّنیا فی لیلة القدر، ثمّ أنزل بعد ذلک فی عشرین سنة. و قرأ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّاسِ عَلی مُکْثٍ «۱» الآیة و فی روایة للحاکم و البیهقیّ فی «الدّلائل» فرّق فی السّنین، و فی أخری صحیحة لابن أبی شیبة و الحاکم أیضا وضع فی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، فجعل جبریل ینزل به علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و إسناده صحیح.

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹۱

[ثمّ ذكر قول الحليمىّ نقلا عن المنهاج و قول «الماوردىّ»، كما تقدّم عن أبى شامة، فقال:]

و هذا أيضا غريب، و المعتمد أنّ جبريل كان يعارض النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى رمضان بما ينزل به عليه فى طول السّنة.

كذا جزم به الشّعبىّ فيما أخرجه عنه أبو عبيد و ابن أبى شيبة بإسناد صحيح، و سيأتى مزيد لذلك بعد ثلاثة أبواب. و قد تقدّم فى بدء الوحى أنّ أوّل نزول جبريل بالقرآن كان فى شهر رمضان و سيأتى فى هذا الكتاب أنّ جبريل كان يعارض النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بالقرآن فى شهر رمضان، و فى ذلك حكمتان؛ إحداهما: تعاهده، و الأخرى تبقية ما لم ينسخ منه، و رفع ما نسخ، فكان رمضان ظرفا لإنزاله جملة و تفصيلا و عرضا و إحكاما.

قد أخرج أحمد و البيهقىّ فى الشّعب عن واثلة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ. ثمّ قال:]

و هذا كلّه مطابق لقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱» و لقوله تعالى:

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۲» فيحتمل أن تكون ليلة القدر فى تلك السّنة كانت تلك اللّيلة فأنزل فيها جملة إلى سماء الدّنيا، ثمّ أنزل فى اليوم الرّابع و العشرين إلى الأرض أوّل اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و يستفاد من حديث الباب أنّ القرآن نزل كلّه بمكّة و المدينة خاصّة، و هو كذلك، لكن نزل كثير منه فى غير الحرمين؛ حيث كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى سفر حجّ أو عمرة أو غزاة، و لكن الاصطلاح أنّ كلّ ما نزل قبل الهجرة فهو مكّىّ، و ما نزل بعد الهجرة فهو مدنىّ سواء نزل فى البلد حال الإقامة أو فى غيرها حال السّفر، و سيأتى مزيد لذلك فى باب تأليف القرآن.

قوله: (إنّ اللّه تابع على رسوله صلّى اللّه عليه و سلم قبل وفاته)، كذا للأكثر، و فى رواية أبى ذرّ: إنّ اللّه تابع على رسوله الوحى قبل وفاته، أى أكثر إنزاله قرب وفاته صلّى اللّه عليه و سلم. و السّرّ فى ذلك أنّ الوفود بعد فتح مكّة كثروا و كثر سؤالهم عن الأحكام، فكثر النّزول بسبب ذلك، و وقع لى سبب

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹۲

تحديث أنس بذلك من رواية الدّراوردىّ، عن الإمامىّ، عن الزّهرىّ: سألت أنس بن مالك هل فتر الوحى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم قبل أن يموت؟ قال: أكثر ما كان و أجمّه. أورده ابن يونس فى تاريخ مصر فى ترجمة محمّد بن أبى سعيد بن أبى مريم.

قوله: (حتّى توفّاه أكثر ما كان الوحى)، أى الزّمان الّذى وقعت فيه وفاته كان نزول الوحى فيه أكثر من غيره من الأزمنة.

قوله: (ثمّ توفّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم بعد)، فيه إظهار ما تضمّنته الغاية فى قوله: حتّى توفّاه اللّه، و هذا الّذى وقع أخيرا على خلاف ما وقع أوّلا فإنّ الوحى فى أوّل البعثة فتر فترة ثمّ كثر، و فى أثناء النّزول بمكّة لم ينزل من السّور الطّوال إلّا القليل، ثمّ بعد الهجرة نزلت السّور الطّوال المشتملة على غالب الأحكام، إلّا أنه كان الزّمن الأخير من الحياة النّبويّة أكثر الأزمنة نزولا بالسّبب المتقدّم، و بهذا تظهر مناسبة هذا الحديث للتّرجمة؛ لتضمّنه الإشارة إلى كيفيّة النّزول.

قوله: (حدّثنا سفيان) هو الثّورىّ و قد تقدّم شرح الحديث قريبا فى سورة و الضّحى، و وجه إيراده فى هذا الباب الإشارة إلى أنّ تأخير النّزول أحيانا إنّما كان يقع لحكمة تقتضى ذلك لا لقصد تركه أصلا، فكان نزوله على أنحاء شتّى تارة يتتابع و تارة يتراخى.

و فى إنزاله مفرّقا وجوه من الحكمة؛

منها: تسهيل حفظه، لأنّه لو نزل جملة واحدة على أمّة أميّة لا يقرأ غالبهم و لا يكتب لشقّ عليهم حفظه. و أشار سبحانه و تعالى إلى ذلك بقوله ردّا على الكفّار و قالوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ «۱»، أى أنزلناه مفرّقا لنثبت به فؤادك، و بقوله تعالى:

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ «۲».

و منها: ما يستلزمه من الشّرف له و العنايـة به؛ لكثرة تردّد رسول ربّه إليه يعلّمه بأحكام ما يقع له، و أجوبة ما يسأل عنه من الأحكام و الحوادث.

و منها أنّه أنزل على سبعة أحرف، فناسب أن ينزّل مفرّقا؛ إذ لو نزل دفعة واحدة لشقّ

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۹۳

بيانها عادة.

و منهـا: أنّ اللّه قـدر أن ينسخ من أحكـامه ما شاء، فكان إنزاله مفرّقا لينفصل النّاسـخ من المنسوخ أولى من إنزالهما معا. و قـد ضـبط النّقلة ترتيب نزول السّور كما سيأتى فى باب تأليف القرآن، و لم يضـبطوا من ترتيب نزول الآيات إلّا قليلا. و قد تقدّم فى تفسير اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ أنّها أوّل سورة نزلت، و مع ذلك فنزل من أوّلها أوّلا خمس آيات، ثمّ نزل باقيها بعـد ذلك، و كـذلك سورة المدّثّر الّتى نزلت بعدها، نزل أوّلها أوّلا ثمّ نزل سائرها بعد.

و أوضح من ذلك ما أخرجه أصحاب السّنن الثّلاثة، و صحّحه الحاكم و غيره من حديث ابن عبّاس عن عثمان، قال: كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم ينزل عليه الآيات، فيقول: «ضـعوها فى السّورة الّتى يـذكر فيها كـذا» إلى غير ذلك ممّا سيأتى بيانه إن شاء اللّه تعالى. (۹: ۲- ۷)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹.

لم يختلف السّـلف أنّ المخاطب بذلك النّبيّ صـلّى اللّه عليه و سـلم فى شأن نزول الوحى، كما دلّ عليه حديث الباب. و حكى الفخر الرّازىّ: أنّ القفّال جوّز أنّها نزلت فى الإنسان المذكور، قيل:

ذلك فى قوله تعالى ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ذكر فيه حديث ابن عبّاس المذكور من رواية إسرافيل عن موسى بن أبى عائشة أتمّ من رواية ابن عيينة، و قـد استغربه الإسـماعيلىّ، فقال: كـذا أخرجه عن عبيـد اللّه بن موسى، ثمّ أخرجه هو من طريق أخرى عن عبيد اللّه المذكور، بلفظ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ قـال: كان يحرّك به لسانه مخافـة أن ينفلت عنه، فيحتمل أن يكون ما بعـد هـذا من قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ إلى آخره معلّقا عن ابن عبّاس بغير هـذا الإسناد. و سـيأتى الحـديث فى الباب الّـذى بعـده أتمّ سياقا قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ: قال ابن عبّاس: قَرَأْناهُ: بيّناه، فَاتَّبِعْ: اعمل به. هذا التّفسير رواه علىّ بن أبى طلحة عن ابن عبّاس، أخرجه ابن أبى حاتم.

قوله: (إذا نزل جبريل عليه) فى روايـة أبى عوانـة عن موسـى بن أبى عائشـة، كما تقـدّم فى بدء الوحى، كان يعالج من التّنزيل شدّة، و هذه الجملة توطئة لبيان السّبب فى النّزول،

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۹۴

و كانت الشّـدّة تحصل له عنـد نزول الوحى، لثقل القول كما تقـدّم فى بـدء الوحى من حـديث عائشـة، و تقـدّم من حـديثها فى قصّـة الإفـك: فأخـذه مـا كـان يأخـذه من البرحـاء. و فى حـديثها فى بـدء الـوحى أيضـا و هو أشـدّه علىّ لأنّه يقتضـى الشّـدّة فى الحـالتين المذكورتين، لكن إحداهما أشدّ من الأخرى.

قوله: (و كان ممّا يحرّك به لسانه و شـفتيه) اقتصر أبو عوانة على ذكر الشّفتين، و كذلك إسرائيل، و اقتصر سفيان على ذكر اللّسان، و

الجمیع مراد إمّا لأنّ التّحریکین متلازمان غالبا، أو المراد یحرّک فمه المشتمل علی الشّفتین و اللّسان، لکن لمّا کان اللّسان هو الأصل فی النّطق اقتصر فی الآیهٔ علیه.

قوله: (فیشتدّ علیه) ظاهر هذا السّیاق أنّ السّبب فی المبادرهٔ حصول المشقّهٔ الّتی یجدها عند النّزول، فکان یتعجّل بأخذه؛ لنزول المشقّهٔ سریعا. و بیّن فی روایهٔ إسرائیل:

أنّ ذلک کان خشیهٔ أن ینساه؛ حیث قال: فقیل له: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ تخشی أن ینفلت.

و أخرج ابن أبی حاتم من طریق أبی رجاء عن الحسن، کان یحرّک به لسانه یتذکّره، فقیل له: إنّا سنحفظه علیک. و للطّبریّ من طریق الشّعبیّ: کان إذا نزل علیه عجل یتکلّم به من حبّه إیّاه و ظاهر أنّه کان یتکلّم بما یلقی إلیه منه أوّلا فأوّلا من شدّهٔ حبّه إیّاه، فأمر أن یتأنّی إلی أن ینقضی النّزول و لا یعدّ فی تعدّد السّبب.

و وقع فی روایهٔ أبی عوانهٔ، قال ابن عبّاس: فأنا أحرّکهما کما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یحرّکهما، و قال سعید: أنا أحرّکهما کما رأیت ابن عبّاس یحرّکهما. فأطلق فی خبر ابن عبّاس، و قیّد بالرّؤیهٔ فی خبر سعید؛ لأنّ ابن عبّاس لم یر النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی تلک الحال؛ لأنّ الظّاهر أنّ ذلک کان فی مبدأ المبعث النّبویّ، و لم یکن ابن عبّاس ولد حینئذ و لکن لا مانع أن یخبر النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بذلک بعد فیراه ابن عبّاس حینئذ. و قد ورد ذلک صریحا عند أبی داود الطّیالسیّ فی مسنده عند أبی عوانهٔ بسنده بلفظ قال ابن عبّاس: فأنا أحرّک لک شفتی کما رأیت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و أفادت هذه الرّوایهٔ إبراز الضّمیر فی روایهٔ البخاریّ؛ حیث قال فیها: فأنا أحرّکهما، و لم یتقدّم للشّفتین ذکر، فعلمنا أنّ ذلک من تصرّف الرّواهٔ.

قوله: (فأنزل اللّه) أی بسبب ذلک، و احتجّ بهذا من جوّز اجتهاد النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و جوّز الفخر

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۱۹۵

الرّازیّ أن یکون أذن له فی الاستعجال إلی وقت ورود النّهی عن ذلک، فلا یلزم وقوع الاجتهاد فی ذلک. و الضّمیر فی (به) عائد علی القرآن و إن لم یجر له ذکر لکنّ القرآن یرشد إلیه بل دلّ علیه سیاق الآیهٔ.

قوله: علینا ان نجمعه فی صدرک کذا فسّره ابن عبّاس و عبد الرّزّاق، عن معمر، عن قتادهٔ تفسیر بالحفظ. و وقع فی روایهٔ أبی عوانهٔ جمعه لک فی صدرک، و روایهٔ جریر أوضح. و أخرج الطّبریّ عن قتادهٔ أنّ معنی (جمعه) تألیفه.

قوله: وَ قُرْآنَهُ زاد فی روایهٔ إسرائیل أنّ تقرأه، أی أنت، و وقع فی روایهٔ الطّبریّ و تقرأه بعد. قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ، أی قرأه علیک الملک، فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ فإذا أنزلناه «فاستمع» هذا تأویل آخر لابن عبّاس غیر المنقول عنه فی التّرجمهٔ، و قد وقع فی روایهٔ ابن عیینهٔ مثل روایهٔ جریر، و فی روایهٔ إسرائیل نحو ذلک، و فی روایهٔ أبی عوانهٔ فاستمع و أنصت، و لا شکّ أنّ الاستماع أخصّ من الإنصات؛ لأنّ الاستماع: الإصغاء، و الإنصات:

السّکوت، و لا یلزم من السّکوت الإصغاء، و هو مثل قوله تعالی: فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا «۱». و الحاصل أنّ لابن عبّاس فی تأویل قوله تعالی: أَنْزَلْناهُ و فی قوله:

«فاستمع» قولین و عند الطّبریّ من طریق قتادهٔ فی قوله: استمع: اتّبع حلاله و اجتنب حرامه، و یؤیّد ما وقع فی حدیث الباب قوله فی آخر الحدیث: فکان إذا أتاه جبریل أطرق، فإذا ذهب قرأه و الضّمیر فی قوله فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ لجبریل، و التّقدیر فإذا انتهت قراءهٔ جبریل فاقرأ أنت.

قوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ: علینا أن نبیّنه بلسانک، فی روایهٔ إسرائیل علی لسانک، و فی روایهٔ أبی عوانهٔ: أن تقرأه، و هی بمثنّاهٔ فوقانیّهٔ. و استدلّ به علی جواز تأخیر البیان عن وقت الخطاب. کما هو مذهب الجمهور من أهل السّنّهٔ، و نصّ علیه الشّافعیّ؛ لما تقتضیه (ثمّ) من التّراخی. و أوّل من استدلّ لذلک بهذه الآیهٔ القاضی أبو بکر بن الطّیّب و تبعوه، و هذا لا یتمّ إلّا علی تأویل البیان بتبیین المعنی، و إلّا فإذا حمل علی أنّ المراد استمرار حفظه له و ظهوره علی لسانه فلا، قال الآمدیّ: یجوز أن یراد بالبیان الإظهار لا

(۱)- الأعراف/ ۲۰۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹۶

بيان المجمل؛ يقال بأنّ الكوكب إذا ظهر قال. و يؤيّد ذلك أنّ المراد جميع القرآن، و المجمل إنّما هو بعضه و لا باختصاص لبعضه بالأمر المذكور دون بعض.

و قال أبو الحسين البصريّ: يجوز أن يراد البيان التّفصيليّ، و لا يلزم منه جواز تأخير البيان الإجماليّ، فلا يتمّ الاستدلال و تعقّب باحتمال إرادة المعنيين الإظهار و التّفصيل و غير ذلك؛ لأنّ قوله: بَيانَهُ جنس مضاف، فيعمّ جميع أصنافه من إظهاره و تبيين أحكامه و ما يتعلّق بها من تخصيص و تقييد و نسخ و غير ذلك، و قد تقدّم كثير من مباحث هذا الحديث فى بدء الوحى و أعيد بعضه هنا استطرادا. (۸: ۵۵۲- ۵۵۵)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹۷

الفصل الرّابع و العشرون نصّ السّيوطىّ (م: ۹۱۱ ه) فى تفسيره: «الدّرّ المنثور»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵.

أخرج أحمد و ابن جرير و محمّد بن نصر و ابن أبى حاتم و الطّبرانىّ و البيهقىّ فى «شعب الإيمان» و الأصبهانىّ فى «التّرغيب» عن واثلة بن الأسقع ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و أخرج أبو يعلى و ابن مردويه عن جابر بن عبد اللّه، قال: أنزل اللّه صحف إبراهيم أوّل ليلة من رمضان، و أنزل التّوراة على موسى لستّ خلون من رمضان، و أنزل الزّبور على داود لاثنتى عشرة خلت من رمضان، و أنزل الإنجيل على عيسى لثمانى عشرة خلت من رمضان، و أنزل الفرقان على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم لأربع و عشرين خلت من رمضان.

و أخرج ابن الضّريس عن أبى الجلد، قال: أنزل اللّه صحف إبراهيم فى أوّل ليلة من رمضان، و أنزل الإنجيل لثمانى عشرة خلون من شهر رمضان، و أنزل القرآن لأربع و عشرين ليلة خلت من رمضان. و ذكر لنا أنّ نبى اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «أعطيت السّبع الطّول مكان التّوراة، و أعطيت المبيّن مكان الإنجيل، و أعطيت المثانى مكان الزّبور، و فضّلت بالمفصّل» ...

و أخرج ابن جرير و محمّد بن نصر فى «كتاب الصّلاة» و ابن أبى حاتم و الطّبرانىّ

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹۸

و ابن مردويه، و البيهقىّ فى «الأسماء و الصّفات» عن مقسم، قال: سأل عطيّة بن الأسود ابن عبّاس ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:].

و أخرج الفريابىّ و ابن جرير و محمّد بن نصر و الطّبرانىّ و ابن مردويه و الحاكم و صحّحه، و البيهقىّ و الضّياء فى «المختارة» عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن جملة، و فى لفظ: فصل القرآن من الذّكر لأربعة و عشرين من رمضان، فوضع فى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا، فجعل جبريل ينزّله على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يرتّله ترتيلا.

و أخرج ابن جرير عن ابن عبّاس، قال: شَهْرُ رَمَضانَ ... و اللّيلة المباركة ... [إلى أن قال:] و أخرج ابن الضّريس و النّسائىّ و محمّد بن نصر و ابن جرير و الطّبرانىّ و الحاكم و صحّحه و ابن مردويه و البيهقىّ، عن ابن عبّاس ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و أخرج ابن الضّريس عن سعيد بن جبير، قال: نزل القرآن جملة واحدة ... [و ذكر كما تقدّم عن ابن كثير، ثمّ قال:].

و أخرج أبو يعلى و ابن عساكر، عن الحسن بن علىّ، أنه لمّا قتل علىّ، قام خطيبا، فقال: و اللّه لقد قتلتم اللّيلة رجلا فى ليلة نزل فيها

القرآن، و فيها رفع عيسى بن مريم، و فيها قتل يوشع بن نون، و فيها تيب على بنى إسرائيل.

و أخرج ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن ابن جريج، قال: بلغنى أنّه كان ينزل فيه من القرآن حتّى انقطع الوحى، و حتّى مات محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، فكان ينزّل من القرآن فى ليلة القدر، و كلّ شىء ينزل من القرآن فى تلك السّنة فينزل ذلك من السّماء السّابعة على جبريل فى السّماء الدّنيا، فلا ينزل جبريل من ذلك على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم إلّا بما أمره ربّه.

و أخرج عبد بن حميد و ابن الضّريس عن داود بن أبى هند، قال: قلت لعامر الشّعبىّ:

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی ... فهل كان نزل ... [و ذكر كما تقدّم عن أبى شامة]. (۱: ۱۸۹)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ الإسراء/ ۱۰۵

أخرج النّسائىّ و ابن جرير و ابن أبى حاتم و الحاكم و صحّحه، و ابن مردويه و البيهقىّ عن ابن عبّاس أنّه قرأ (و قرآنا فرّقناه) مثقّلة، قال: نزل القرآن إلى سماء الدّنيا فى ليلة القدر

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۱۹۹

من رمضان جملة واحدة، فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث اللّه لهم جوابا، ففرّقه اللّه فى عشرين سنة.

و أخرج ابن أبى حاتم و محمّد بن نصر و ابن الأنبارىّ فى المصاحف من طريق الضّحّاك عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن جملة واحدة ... [و ذكر كما تقدّم عن أبى شامة، ثمّ قال:].

فقال المشركون: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، فقال اللّه: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۱»، أى أنزلناه عليك متفرّقا؛ ليكون عندك جواب ما يسألونك عنه، و لو أنزلناه عليك جملة واحدة، ثمّ سألوك لم يكن عندك جواب ما يسألونك عنه.

و أخرج البزّاز و الطّبرانىّ عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن جملة واحدة حتّى وضع فى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا، و نزّله جبريل على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم بجواب كلام العباد و أعمالهم.

و أخرج ابن شيبة و ابن جرير و ابن المنذر من طريق أبى العالية عن ابن عبّاس، أنّه قرأها مثقّلة، يقول: أنزل آية آية.

و أخرج البيهقىّ فى «شعب الإيمان» عن عمر: قال: تعلّموا القرآن خمس آيات خمس آيات، فإنّ جبريل كان ينزل بالقرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم خمسا خمسا.

و أخرج ابن عساكر من طريق أبى نضرة، قال: كان أبو سعيد الخدرىّ رضى اللّه عنه يعلّمنا القرآن خمس آيات بالغداة و خمس آيات بالعشىّ، و يخبر أنّ جبريل نزل بالقرآن خمس آيات خمس آيات.

و أخرج ابن أبى شيبة و ابن جرير و ابن المنذر عن أبىّ بن كعب رضى اللّه عنه أنّه قرأ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ مخفّفا يعنى بيّناه.

و أخرج ابن الضّريس، عن قتادة، عن الحسن، قال: كان يقال؛ أنزل القرآن على نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و سلم ثمانى سنين بمكّة و عشرا بعد ما هاجر. و كان قتادة يقول: عشرا بمكّة و عشرا بالمدينة. (۴: ۲۰۵)

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۰۰

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ طه/ ۱۱۴.

أخرج ابن أبى حاتم عن السّدّىّ، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم إذا أنزل عليه جبريل بالقرآن أتعب نفسه فى حفظه حتّى

یشقّ علی نفسه، یتخوّف أن یصعد جبریل و لم یحفظه، فینسی ما علّمه، فقال اللّه تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ، و قال: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... «۱».

و أخرج ابن مردویه عن ابن عبّاس فی قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ، یقول: لا تعجل حتّی نبیّنه لک.

و أخرج الفریابیّ و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم و ابن مردویه عن الحسن، قال: لطم رجل امرأته، فجاءت إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم تطلب قصاصا، فجعل النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بینهما القصاص، فأنزل اللّه وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ ...، فوقف النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم حتّی نزلت الرِّجالُ قَوَّامُونَ عَلَی النِّساءِ ... «۲».

و أخرج عبد بن حمید و ابن المنذر و ابن أبی حاتم عن مجاهد فی قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ...، قال: لا تمله علی أحد حتّی نتمّه لک. (۴: ۳۰۹)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲– ۳۳

أخرج ابن أبی حاتم و الحاکم و صحّحه، و ابن مردویه و الضّیاء فی «المختارة» عن ابن عبّاس، قال: قال المشرکون: إن کان محمّد کما یزعم نبیّا فلم یعذّبه ربّه، ألّا ینزّل علیه القرآن جملة واحدة، ینزّل علیه الآیة و الآیتین و السّورة، فأنزل اللّه علی نبیّه جواب ما قالوا وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً.

و أخرج عبد بن حمید و ابن أبی حاتم، عن قتادة: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، یقولون: کما أنزل علی موسی و علی عیسی علیهما السّلام، قال اللّه: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، قال: بیّناه تبیینا.

---

(۱)– القیامة/ ۱۶.

(۲)– النّساء/ ۳۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۰۱

وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً، قال: أحسن تفصیلا.

و أخرج ابن أبی حاتم و ابن مردویه، عن ابن عبّاس فی قوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ، قال:

لنشدد به فؤادک، و نربط علی قلبک. وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، قال: رسّلناه ترسیلا، یقول: شیئا بعد شیء. وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ ...، یقول: لو أنزلنا علیک القرآن جملة واحدة، ثمّ سألوک، لم یکن عندک ما تجیب، و لکنّا نمسک علیک، فإذا سألوک أجبت.

و أخرج ابن مردویه، عن ابن عبّاس، قال: قالت قریش: ما للقرآن لم ینزل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم جملة واحدة، قال اللّه فی کتابه: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، قال: قلیلا قلیلا، کیما لا یجیئوک بمثل إلّا جئناک بما ینقض علیهم، فأنزلناه علیک تنزیلا، قلیلا قلیلا، کلّما جاءوا بشیء جئناهم بما هو أحسن منه تفسیرا.

و أخرج عبد الرّزّاق و ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم، عن الحسن فی قوله:

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، قال: کان ینزل علیه الآیة و الآیتان و الآیات، کان ینزل علیه جوابا لهم، إذا سألوا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم عن شیء أنزل اللّه جوابا لهم و ردّا عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فیما تکلّموا به، و کان بین أوّله و آخره نحو من عشرین سنة.

و أخرج ابن جریر و ابن المنذر و ابن أبی حاتم، عن إبراهیم النّخعیّ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، یقول: أنزل متفرّقا. و أخرج ابن أبی حاتم، عن السّدّیّ: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، قال:

فصّلناه تفصیلا.

و أخرج ابن أبی حاتم، عن عطاء فی قوله: وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً، قال: تفصیلا.

و أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم، عن مجاهد فى قوله: وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً، قال:
بيانا. (۵: ۷۰)

إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳

أخرج ابن مردويه، عن ابن عبّاس فى قوله تعالى: إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، قال:
أنزل القرآن فى ليلة القدر، ثمّ نزل به جبريل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم نجوما بجواب كلام النّاس.
نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۰۲
و أخرج عبد الرّزّاق و عبد بن حميد، عن قتادة إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، قال: هى ليلة القدر.
و أخرج عبد بن حميد، عن أبى الجلد، قال: نزلت صحف إبراهيم ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:].
و أخرج سعيد بن منصور، عن إبراهيم النّخعىّ فى قوله تعالى: إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، قال: نزل القرآن جملة على جبريل، و كان جبريل يجىء به بعد إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.
و أخرج سعيد بن منصور، عن سعيد بن جبير، قال: نزل القرآن من السّماء العليا إلى السّماء الدّنيا جميعا فى ليلة القدر، ثمّ فصّل بعد ذلك فى تلك السّنين. (۶: ۲۵)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ الواقعة/ ۷۵.

أخرج عبد بن حميد، عن عاصم رضى اللّه عنه، أنّه قرأ: فَلا أُقْسِمُ ممدودة، مرفوعة الألف، بِمَواقِعِ النُّجُومِ على الجماع.
و أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر، عن مجاهد فى قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، قال: نجوم السّماء.
و أخرج عبد بن حميد و ابن جرير، عن قتادة فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، قال:
بمساقطها. [إلى أن قال:]
و أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و محمّد بن نصر و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الطّبرانىّ و ابن مردويه، عن ابن عبّاس فى قوله: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، قال: القرآن، وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ، قال: القرآن.
و أخرج النّسائىّ و ابن جرير و محمّد بن نصر و الحاكم و صحّحه، و ابن مردويه و البيهقىّ فى «شعب الإيمان»، عن ابن عبّاس، قال:
أنزل القرآن فى ليلة القدر من السّماء العليا إلى السّماء الدّنيا جملة واحدة، ثمّ فرّق فى السّنين. و فى لفظ: ثمّ نزل من السّماء الدّنيا إلى الأرض نجوما، ثمّ قرأ: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ.
و أخرج ابن مردويه، عن ابن عبّاس فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ بألف، قال: نجوم
نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۰۳
القرآن حين ينزل.
و أخرج ابن المنذر و ابن الأنبارىّ فى كتاب المصاحف، و ابن مردويه، عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن إلى السّماء الدّنيا جملة واحدة، ثمّ أنزل إلى الأرض نجوما ثلاث آيات و خمس آيات و أقلّ و أكثر، فقال: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ.
و أخرج الفريابىّ بسند صحيح عن المنهال بن عمر، قال: قرأ عبد اللّه بن مسعود فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، قال: بمحكم القرآن، فكان ينزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم نجوما.
و أخرج ابن نصر و ابن الضّريس، عن مجاهد فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ، قال:

بمحكم القرآن. (۶: ۱۶۱)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹

أخرج الطّيالسيّ و أحمد و عبد بن حميد و البخاريّ و مسلم و التّرمذيّ و النّسائيّ و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و ابن الأنباريّ فى «المصاحف» و الطّبرانيّ و ابن مردويه و أبو نعيم و البيهقيّ معا فى «الدّلائل» عن ابن عبّاس، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يعالج من التّنزيل ... [و ذكر كما تقدّم عن البخاريّ].

و أخرج ابن المنذر و ابن مردويه، عن ابن عبّاس، قال: كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم إذا نزل عليه القرآن تعجّل بقراءته ليحفظه، فنزلت هذه الآية لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ. و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يعلّم ختم سورة حتّى ينزّل عليه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

و أخرج ابن جرير و ابن مردويه، عن ابن عبّاس، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا يفتر ...

[و ذكر كما تقدّم عنه].

و أخرج عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر، عن قتادة لا- تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ، قال: كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم يحرّك لسانه بالقرآن مخافة النّسيان، فأنزل اللّه إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، يقول: إنّ علينا حفظه و تأليفه. فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، يقول: اتّبع حلاله و اجتنب حرامه. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، قال: بيان حلاله و حرامه و طاعته و معصيته.

(۶: ۲۸۹)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۰۴

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلى/ ۶- ۷

أخرج الفريابيّ و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن أبى حاتم، عن مجاهد فى قوله:

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى، قال: كان يتذكّر القرآن فى نفسه مخافة أن ينسى.

و أخرج الطّبرانيّ و ابن مردويه، عن ابن عبّاس، قال: كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم إذا أتاه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من الوحى حتّى يزمّل من ثقل الوحى، حتّى يتكلّم النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم بأوّله مخافة أن يغشى عليه فينسى، فقال له جبريل: لم تفعل ذلك؟ قال: مخافة أن أنسى، فأنزل اللّه سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى .... فإنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم نسى آيات من القرآن ليس بحلال و لا حرام، ثمّ قال له جبريل: إنّه لم ينزّل على نبيّ قبلك إلّا نسى و إلّا رفع بعضه. و ذلك أنّ موسى أهبط اللّه عليه ثلاثة عشر سفرا، فلمّا ألقى الألواح انكسرت، و كانت من زمرّد، فذهب أربعة أسفار و بقى تسعة.

و أخرج ابن مردويه، عن ابن عبّاس، قال: كان النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم يستذكر القرآن مخافة أن ينساه، فقيل له: كفيناك ذلك، و نزلت سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى. و أخرج الحاكم، عن سعد بن أبى وقّاص نحوه.

و أخرج ابن المنذر و ابن أبى حاتم، عن ابن عبّاس سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، يقول: إلّا ما شئت أنا فأنسيك.

و أخرج عبد الرّزّاق و عبد بن حميد و ابن أبى حاتم، عن قتادة فى قوله: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لا ينسى شيئا. إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى، قال: الوسوسة. ۶: ۳۳۹

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۰۵

و نصّه أيضا فى كتابه: «الإتقان فى علوم القرآن» فى كيفيّة إنزاله فيه مسائل؛

المسألة الأولی: (فی کیفیّة إنزاله من اللّوح المحفوظ)

قال تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱»، و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲». اختلف فی کیفیّة إنزاله من اللّوح المحفوظ علی ثلاثة أقوال؛

أحدها: و هو الأصحّ الأشهر أنّه نزل إلی سماء الدّنیا لیلة القدر جملة واحدة، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی عشرین سنة، أو ثلاثة و عشرین، أو خمسة و عشرین، علی حسب الخلاف فی مدّة إقامته صلّی اللّه علیه و سلم بمکّة بعد البعثة.

و أخرج الحاکم و البیهقیّ و غیرهما من طریق منصور، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن فی لیلة القدر جملة واحدة إلی سماء الدّنیا، و کان بمواقع النّجوم، و کان اللّه ینزله علی رسوله صلّی اللّه علیه و سلم بعضه فی أثر بعض.

و أخرج الحاکم و البیهقیّ أیضا و النّسائیّ من طریق داود بن أبی هند، عن عکرمة، عن ابن عبّاس ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ].

و أخرجه ابن أبی حاتم من هذا الوجه، و فی آخره: فکان المشرکون إذا أحدثوا شیئا أحدث اللّه لهم جوابا.

و أخرج الحاکم و ابن أبی شیبة من طریق حسّان بن حریث، عن سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: فصل القرآن من الذّکر، فوضع فی بیت العزّة من السّماء الدّنیا، فجعل

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۰۶

جبریل ینزل به علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم أسانیدها کلّها صحیحة.

و أخرج الطّبرانیّ من وجه آخر، عن ابن عبّاس، قال: أنزل القرآن فی لیلة القدر فی شهر رمضان إلی سماء الدّنیا جملة واحدة، ثمّ أنزل نجوما.

و أخرج الطّبرانیّ و البزّاز من وجه آخر عنه ... [و ذکر کما تقدّم آنفا].

و أخرج ابن أبی شیبة فی «فضائل القرآن» من وجه آخر عنه: دفع إلی جبریل فی لیلة القدر جملة واحدة، فوضعه فی بیت العزّة، ثمّ جعل ینزّله تنزیلا.

و أخرج ابن مردویه و البیهقیّ فی «الأسماء و الصّفات» من طریق السّدّیّ عن محمّد، عن ابن أبی المجالد، عن مقسم، عن ابن عبّاس، أنّه سأل عطیّة ابن الأسود ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ].

قال أبو شامة: قوله: «رسلا» أی رفقا، و علی موقع النّجوم، أی علی مثل مساقطها، یرید أنزل مفرّقا یتلو بعضه بعضا، علی تؤدة و رفق.

القول الثّانی: أنّه نزل إلی السّماء الدّنیا فی عشرین لیلة قدر أو ثلاث و عشرین أو خمس و عشرین، فی کلّ لیلة ما یقدّر اللّه إنزاله فی کلّ السّنة. ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی جمیع السّنة.

و هذا القول ذکره الإمام فخر الدّین الرّازیّ بحثا، فقال: یحتمل أنّه کان ینزل فی کلّ لیلة قدر ما یحتاج النّاس إلی إنزاله إلی مثلها من اللّوح إلی السّماء الدّنیا. ثمّ توقّف، هل هذا أولی أو الأوّل.

قال ابن کثیر: و هذا الّذی جعله احتمالا- نقله القرطبیّ عن مقاتل بن حیّان، و حکی الإجماع علی أنّه نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا.

قلت: و ممّن قال بقول مقاتل الحلیمیّ و الماوردیّ، و یوافقه قول ابن شهاب: آخر القرآن عهدا بالعرش آیة الدّین.

القول الثّالث: أنّه ابتدئ إنزاله فی لیلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی أوقات مختلفة، من سائر الأوقات، و به قال الشّعبیّ.

قال ابن حجر فی شرح البخاریّ: و الأوّل هو الصّحیح المعتمد، قال: و قد حکی

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۰۷

الماوردیّ قولا رابعا ... [و ذکر کما تقدّم عنه و عن أبی شامة].

و قال أبو شامة: کأنّ صاحب هذا القول أراد الجمع بین القولین الأوّل و الثّانی.

قلت: هذا الّذی حکاه الماوردیّ أخرجه ابن أبی حاتم من طریق الضّحاک، عن ابن عبّاس، قال ... [إلی أن قال:]

تنبیهات الأوّل: قیل السّر فی إنزاله جملة إلی السّماء ... [إلی أن نقل قول التّرمذیّ و السّخاویّ بحسب ما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:]

الثّانی: قال أبو شامة أیضا: الظّاهر أنّ نزوله جملة إلی السّماء الدّنیا قبل ظهور نبوّته صلّی اللّه علیه و سلم، قال: و یحتمل أن یکون بعدها.

قلت: الظّاهر هو الثّانی، و سیاق الآثار السّابقة عن ابن عبّاس صریح فیه. و قال ابن حجر فی شرح البخاریّ: قد أخرج أحمد و البیهقیّ فی «الشّعب» عن واثلة ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ قال:].

قلت: لکن یشکل علی هذا ما اشتهر من أنّه صلّی اللّه علیه و سلم بعث فی شهر ربیع. و یجاب عن هذا بما ذکروه أنّه نبئ أوّلا بالرّؤیا فی شهر مولده، ثمّ کانت مدّتها ستّة أشهر، ثمّ أوحی إلیه فی الیقظة، ذکره البیهقیّ و غیره. نعم، یشکل علی الحدیث السّابق ما أخرجه ابن أبی شیبة فی فضائل القرآن عن أبی قلابة، قال: أنزلت الکتب کاملة لیلة أربع و عشرین من رمضان.

الثّالث: قال أبو شامة أیضا: فإن قیل: ما السّرّ فی نزوله منجّما؟ ... [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ نقل قول ابن فورک کما تقدّم عن الزّرکشیّ، فقال:].

و قد تقدّم ذلک فی قول ابن عبّاس: و نزّله جبریل بجواب کلام العباد و أعمالهم، و فسّر به قوله: وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِ «۱».

أخرجه عنه ابن أبی حاتم. فالحاصل أنّ الآیة تضمّنت حکمتین لإنزاله مفرّقا.

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۰۸

تذنیب ما تقدّم فی کلام هؤلاء من أنّ سائر الکتب أنزلت جملة هو مشهور فی کلام العلماء و علی ألسنتهم، حتّی کاد یکون إجماعا.

و قد رأیت بعض فضلاء العصر أنکر ذلک، و قال:

إنّه لا دلیل علیه، بل الصّواب أنّها نزلت مفرّقة کالقرآن.

و أقول: الصّواب الأوّل، و من الأدلّة علی ذلک آیة الفرقان السّابقة.

أخرج ابن أبی حاتم، من طریق سعید بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: قالت الیهود: یا أبا القاسم، لو لا أنزل هذا القرآن جملة واحدة کما أنزلت التّوراة علی موسی، فنزلت.

و أخرجه من وجه آخر عنه بلفظ: قال المشرکون، و أخرج نحوه عن قتادة و السّدّیّ.

فإن قلت: لیس فی القرآن التّصریح بذلک، و إنّما هو علی تقدیر ثبوته قول الکفّار!

قلت: سکوته تعالی عن الرّدّ علیهم فی ذلک و عدوله إلی بیان حکمته دلیل علی صحّته، و لو کانت الکتب کلّها نزلت مفرّقة لکان یکفی فی الرّدّ علیهم أن یقول: إنّ ذلک سنّة اللّه فی الکتب الّتی أنزلها علی الرّسل السّابقة، کما أجاب بمثل ذلک قولهم: وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعامَ وَ یَمْشِی فِی الْأَسْواقِ «۱» فقال: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعامَ وَ یَمْشُونَ فِی الْأَسْواقِ «۲»، و قولهم: أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا «۳»، فقال: وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ إِلَّا رِجالًا نُوحِی إِلَیْهِمْ «۴»، و قولهم: کیف یکون رسولا و لا هم

له إلّا النّساء! فقال: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّيَّةً ... «۵»، إلى غير ذلك.

و من الأدلّة على ذلك أيضا قوله تعالى فى إنزال التّوراة على موسى يوم الصّعقة:

فَخُذْ ما آتَيْتُكَ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ* وَ كَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا

---

(۱)- الفرقان/ ۷.

(۲)- الفرقان/ ۲۰.

(۳)- الإسراء/ ۹۴.

(۴)- يوسف/ ۱۰۹.

(۵)- الرّعد/ ۳۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۰۹

لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ «۱»، وَ أَلْقَى الْأَلْواحَ «۲»، وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِی نُسْخَتِها هُدىً وَ رَحْمَةٌ «۳»، وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَيْناكُمْ بِقُوَّةٍ «۴»، فهذه الآيات كلّها دالّة على إتيانه التّوراة جملة.

و أخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: أعطى موسى التّوراة فى سبعة ألواح من زبرجد، فيها تبيان لكلّ شيء و موعظة. فلمّا جاء بها فرأى بنى إسرائيل عكوفا على عبادة العجل رمى بالتّوراة من يده فتحطّمت، فرفع اللّه منها ستّة أسباع و بقى منها سبع.

و أخرج من طريق جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه، رفعه، قال: الألواح الّتى أنزلت على موسى كانت من سدر الجنّة، كان طول اللّوح اثنى عشر ذراعا.

و أخرج النّسائىّ و غيره عن ابن عبّاس، فى حديث الفتون، قال: أخذ موسى الألواح بعد ما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالّذى أمر اللّه أن يبلغهم من الوظائف، فثقلت عليهم، و أبوا أن يقرّوا بها حتّى نتق اللّه عليهم الجبل كأنّه ظلّة، و دنا منهم حتّى خافوا أن يقع عليهم، فأقرّوا بها.

و أخرج ابن أبى حاتم، عن ثابت بن الحجّاج، قال: جاءتهم التّوراة جملة واحدة، فكبر عليهم، فأبوا أن يأخذوها حتّى ظلّل اللّه عليهم الجبل، فأخذوها عند ذلك.

فهذه آثار صحيحة صريحة فى إنزال التّوراة جملة. و يؤخذ من الأثر الأخير منها حكمة أخرى لإنزال القرآن مفرّقا، فإنّه أدعى إلى قبوله إذا نزل على التّدريج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فإنّه كان ينفر من قبوله كثير من النّاس؛ لكثرة ما فيه من الفرائض و المناهى.

و يوضح ذلك ما أخرجه البخارىّ عن عائشة، قالت: إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة

---

(۱)- الأعراف/ ۱۴۴، ۱۴۵.

(۲)- الأعراف/ ۱۵۰.

(۳)- الأعراف/ ۱۵۴.

(۴)- الأعراف/ ۱۷۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۱۰

من المفصّل فيها ذكر الجنّة و النّار، حتّى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام، و لو نزل أوّل شيء «لا تشربوا الخمر» لقالوا:

لا ندع الخمر أبدا، و لو نزل «لا تزنوا» لقالوا:

لا ندع الزّنا أبدا. ثمّ رأيت هذه الحكمة مصرّحا بها فى النّاسخ و المنسوخ المكىّ.

فرع الّذى استقرئ من الأحاديث الصّحيحة و غيرها أنّ القرآن كان ينزّل بحسب الحاجة خمس آيات و عشرا و أكثر و أقلّ، و قد صحّ نزول العشر آيات فى قصّة الإفك جملة، و صحّ نزول عشر آيات من أوّل «المؤمنون» جملة، و صحّ نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ «۱» وحدها؛ و هى بعض آية، و كذا قوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ... «۲» إلى آخر الآية، نزلت بعد نزول أوّل الآية كما حرّرناه فى أسباب النّزول، و ذلك بعض آية.

و أخرج ابن أشتة فى كتاب «المصاحف» عن عكرمة فى قوله: بِمَواقِعِ «۳» قال: أنزل اللّه القرآن نجوما ثلاث آيات، و أربع آيات، و خمس آيات.

و قال النّكزاوىّ فى كتاب «الوقف»: كان القرآن ينزل مفرّقا الآية و الآيتين و الثّلاث و الأربع، و أكثر من ذلك.

[ثمّ ذكر رواية ابن عساكر من طريق أبى نضرة و رواية البيهقىّ فى «الشّعب» من طريق أبى خلدة ...، كما تقدّم آنفا فى «الدرّ المنثور» ثمّ قال:]

من طريق ضعيف عن علىّ، قال: أنزل القرآن خمسا خمسا إلّا سورة الأنعام، و من حفظ خمسا خمسا لم ينسه.

فالجواب: أنّ معناه- إن صحّ- إلقاؤه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بهذا القدر حتّى يحفظه، ثمّ يلقى إليه الباقى، لا إنزاله بهذا القدر خاصّة. و يوضّح ذلك ما أخرجه البيهقىّ أيضا، عن خالد بن دينار، قال: قال لنا أبو العالية: تعلّموا القرآن خمس آيات، خمس آيات، فإنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم

---

(۱)- النّساء/ ۹۵.

(۲)- التّوبة/ ۲۸.

(۳)- الواقعة/ ۷۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۱۱

كان يأخذه من جبريل خمسا خمسا.

المسألة الثّانية: (فى كيفيّة الإنزال و الوحى)

قال الأصفهانىّ فى أوائل تفسيره: اتّفق أهل السّنّة و الجماعة على أنّ كلام اللّه منزّل ...

[و ذكر كما تقدّم عن الزّركشىّ].

و قال الطّيبىّ: لعلّ نزول القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أن يتلقّفه الملك من اللّه تعالى تلقّفا روحانيّا، أو يحفظه من اللّوح المحفوظ، فينزل به إلى الرّسول و يلقيه عليه.

و قال القطب الرّازىّ فى «حواشى الكشّاف»: الإنزال لغة بمعنى الإيواء، بمعنى تحريك الشّىء من علوّ إلى أسفل، و كلاهما لا يتحقّق فى الكلام، فهو مستعمل فيه فى معنى مجازىّ، فمن قال: القرآن معنى قائم بذات اللّه تعالى، فإنزاله أن يوجد الكلمات و الحروف الدّالّة على ذلك المعنى و يثبتها فى اللّوح المحفوظ. و من قال: القرآن هو الألفاظ: فإنزاله مجرّد إثباته فى اللّوح المحفوظ، و هذا المعنى مناسب لكونه منقولا- عن المعنيين اللّغويّين. و يمكن أن يكون المراد بإنزاله إثباته فى السّماء الدّنيا بعد الإثبات فى اللّوح المحفوظ، و هذا مناسب للمعنى الثّانى، و المراد بإنزال الكتب على الرّسل أن يتلقّفها الملك من اللّه تلقّفا روحانيّا أو يحفظها من اللّوح المحفوظ، و ينزل بها فيلقيها عليهم، انتهى.

و قال غيره فى المنزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنّه اللّفظ و المعنی، و أنّ جبریل حفظ القرآن من اللّوح المحفوظ و نزل به.

و ذکر بعضهم أنّ أحرف القرآن فی اللّوح المحفوظ، کلّ حرف منها بقدر جبل قاف، و أنّ تحت کلّ حرف منها معانی لا یحیط بها إلّا اللّه.

و الثّانی: أنّ جبریل أنّما نزل بالمعانی خاصّة، و أنّه صلّی اللّه علیه و سلم علم تلک المعانی و عبّر عنها بلغة العرب، و تمسّک قائل هذا بظاهر قوله تعالی: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ «۱».

و الثّالث: أنّ جبریل ألقی إلیه المعنی، و أنّه عبّر بهذه الألفاظ بلغة العرب، و أنّ أهل السّماء یقرءونه بالعربیّة، ثمّ إنّه نزل به کذلک بعد ذلک.

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۳، ۱۹۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۱۲

و قال البیهقیّ فی معنی قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ: یرید و اللّه أعلم: إنّا أسمعنا الملک و أفهمناه إیّاه و أنزلناه بما سمع، فیکون الملک منتقلا به من علوّ إلی أسفل.

قال أبو شامة: هذا المعنی مطّرد فی جمیع ألفاظ الإنزال المضافة إلی القرآن، أو إلی شیء منه یحتاج إلیه أهل السّنّة المعتقدون قدم القرآن و أنّه صفة قائمة بذات اللّه تعالی.

قلت: و یؤیّد أنّ جبریل تلقّفه سماعا من اللّه تعالی ما أخرجه الطّبرانیّ من حدیث النّواس بن سمعان مرفوعا: إذا تکلّم اللّه بالوحی أخذت السّماء رجفة شدیدة من خوف اللّه، فإذا سمع بذلک أهل السّماء صعقوا و خرّوا سجّدا، فیکون أوّلهم یرفع رأسه جبریل فیکلّمه اللّه من وحیه بما أراد، فینتهی به علی الملائکة، فکلّما مرّ بسماء سأله أهلها: ما ذا قال ربّنا؟ قال: الحقّ. فینتهی به حیث أمر.

و أخرج ابن مردویه من حدیث ابن مسعود رفعه: «إذا تکلّم اللّه بالوحی سمع أهل السّماوات صلصلة کصلصلة السّلسة علی الصّفوان، فیفزعون و یرون أنّه من أمر السّاعة.

و أصل الحدیث فی الصّحیح.

و فی تفسیر علیّ بن سهل النّیسابوریّ: قال جماعة من العلماء ... [و ذکر کما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:]

و قال: الجوینیّ: کلام اللّه المنزّل قسمان: قسم قال اللّه لجبریل: قل للنّبیّ الّذی أنت مرسل إلیه: إنّ اللّه یقول: افعل کذا و کذا، و أمر بکذا و کذا، ففهم جبریل ما قاله ربّه، ثمّ نزل علی ذلک النّبیّ و قال له ما قاله ربّه، و لم تکن العبارة تلک العبارة، کما یقول الملک لمن یثق به: قل لفلان: یقول لک الملک: اجتهد فی الخدمة، و اجمع جندک للقتال، فإن قال الرّسول:

یقول الملک: لا تتهاون فی خدمتی و لا تترک الجند تتفرّق، و حثّهم علی المقاتلة، لا ینسب إلی کذب و لا تقصیر فی أداء الرّسالة. و قسم آخر قال اللّه لجبریل: اقرأ علی النّبیّ هذا الکتاب، فنزل جبریل بکلمة من اللّه من غیر تغییر، کما یکتب الملک کتابا و یسلّمه إلی أمین، و یقول: اقرأه علی فلان، فهو لا یغیّر منه کلمة و لا حرفا- انتهی.

قلت: القرآن هو القسم الثّانی، و القسم الأوّل هو السّنّة، کما ورد أنّ جبریل کان ینزل بالسّنّة کما ینزل بالقرآن. و من هنا جاز روایة السّنة بالمعنی، إلّا أنّ جبریل أدّاه بالمعنی،

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۱۳

و لم تجز القراءة بالمعنی؛ لأنّ جبریل أدّاه باللّفظ، و لم یبح له إیحاءه بالمعنی، و السّرّ فی ذلک أنّ المقصود منه التّعبّد بلفظه و الإعجاز به. فلا یقدر أحد أن یأتی بلفظ یقوم مقامه.

و أنّ تحت کلّ حرف منه معانی لا یحاط بها کثرة، فلا یقدر أحد أن یأتی بدله بما یشتمل علیه. و التّخفیف علی الأمّة حیث جعل

المنزل إليهم على قسمين: قسم يروونه بلفظه الموحى به، و قسم يروونه بالمعنى، و لو جعل كلّه ممّا يروى باللّفظ لشقّ، أو بالمعنى لم يؤمن التّبديل و التّحريف، فتأمّل و قد رأيت عن السّلف ما يعضد كلام الجوينىّ.

و أخرج ابن أبى حاتم، من طريق عقيل عن الزّهرىّ، أنّه سئل عن الوحى، فقال:

الوحى: ما يوحى اللّه إلى نبىّ من الأنبياء، فيثبته فى قلبه، فيتكلّم به و يكتبه، و هو كلام اللّه، و منه ما لا يتكلّم به و لا يكتبه لأحد، و لا يأمر بكتابته، و لكنّه يحدّث به النّاس حديثا، و يبيّن لهم أنّ اللّه أمره أن يبيّنه للنّاس و يبلّغهم إيّاه. (۱: ۱۴۶- ۱۶۰)

المسألة الثّالثة: (فى الأحرف السّبعة ...) سيجىء بحثها فى القسم الثّالث من هذا الكتاب.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۱۴

الفصل الخامس و العشرون نصّ القسطلانىّ (م: ۹۲۳ ه) فى «لطائف الإشارات لفنون القراءات»

و قد أخرج النّسائىّ و الحاكم عن ابن عبّاس: أنزل القرآن ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:].

قال العلّامة شيخ الحفّاظ ابن حجر، و فى رواية للحاكم و البيهقىّ فى الدّلائل: فرّق فى السّنين. و فى رواية لابن أبى شيبة و الحاكم أيضا وضع فى بيت العزّة، فى السّماء الدّنيا، فجعل جبريل ينزل به على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و إسناده صحيح. [ثمّ ذكر قول «الحليمىّ فى المنهاج» كما تقدّم عن أبى شامة، فقال:]

و هذا أورده ابن الأنبارىّ من طريق ضعيفة و منقطعة أيضا. و ما تقدّم- من أنّه نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل بعد ذلك مفرّقا- هو الصّحيح المعتمد. [ثمّ ذكر قول الماوردىّ كما تقدّم عن أبى شامة، فقال:] و هذا أيضا غريب، و المعتمد أنّ جبريل كان يعارض النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى رمضان بما ينزل به عليه فى طول السّنة. كذا جزم به الشّعبىّ، فيما أخرجه عنه أبو عبيد، و ابن أبى شيبة بإسناد صحيح.

و فى معارضة جبريل النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بالقرآن فى شهر رمضان حكمتان؛ إحداهما: تعاهده، و الثّانية: تبقية ما لم ينسخ منه، و رفع ما نسخ، فكان رمضان ظرفا لإنزاله جملة، و عرضا

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۱۵

و إحكاما.

و قد أخرج أحمد و البيهقىّ فى الشّعب عن واثلة ... [و ذكر كما عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و هذا كلّه مطابق لقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱» و لقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲». فيحتمل أن تكون ليلة القدر فى تلك السّنة كانت تلك اللّيلة، فأنزل فيها جملة إلى سماء الدّنيا، ثمّ أنزل فى الرّابع و العشرين، إلى الأرض، أوّل: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ «۳». و فى إنزال القرآن مفرّقا وجوه من الحكمة.

منها: تسهيل حفظه، و تكرير لفظه؛ لأنّه لو نزل جملة واحدة، على أمّة أمّيّة، لا يقرأ غالبهم، و لا يكتب، لشقّ عليهم حفظه، و ثقل لفظه، كما أشار إلى ذلك سبحانه و تعالى بقوله ردّا على الكفّار: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ، أى أنزلناه مفرّقا، لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ «۴»، أى لنقوّى بتفريقه فؤادك، حتّى تعيه و تحفظه؛ لأنّ الملقّن إنّما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شىء، و جزءا بعد جزء، و لو ألقى عليه جملة واحدة لعجز عن حفظه. و بقوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۵»، أى على حسب الوقائع، فقد يسّره تعالى للذّكر، و إلّا فالطّاقة البشريّة تعجز قواها عن حفظه و حمله. و لقد شهد بذلك قوله تعالى: وَ لَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّکْرِ «۶»، الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ «۷». و انظر إلى قوله سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ «۸»، و قوله: وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُیِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- العلق/ ۱. نصوص فی علوم القرآن ۲۱۵ الفصل الخامس و العشرون نص القسطلانی(م: ۹۲۳ ه) فی«لطائف الإشارات لفنون القراءات» ..... ص : ۲۱۴

(۴)- الفرقان/ ۳۲.

(۵)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۶)- القمر/ ۱۷، ۳۲، ۴۰.

(۷)- الرّحمن/ ۱.

(۸)- الحشر/ ۲۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۱۶

قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ کُلِّمَ بِهِ الْمَوْتی «۱»، أی لکان هذا القرآن الّذی أنزلناه إلیک.

و منها: ما یستلزم من الشّرف له علیه السّلام، و العنایة به؛ لکونه تردّد به إلیه، یعلّمه أحکام ما یقع له، و أجوبة ما یسأل عنه من الأحکام و الحوادث.

[ثمّ ذکر قول أبی شامة و قول السّخاویّ، کما تقدّم عن أبی شامة، فقال:].

و منها: أنّه أنزل علی سبعة أحرف، فناسب أن ینزل مفرّقا؛ إذ لو نزل دفعة واحدة لشقّ بیانها عادة.

و قد ضبط النّقل ترتیب نزول الآیات، إلّا قلیلا، و أوّل سورة نزلت اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ «۲». فنزل من أوّلها خمس آیات، ثمّ نزل باقیها بعد ذلک، و کذلک سورة المدّثّر، نزلت بعدها، نزل أوّلها، ثمّ نزل سائرها بعد.

و قد أخرج أصحاب السّنن الثّلاثة، و صحّحه الحاکم و غیره من حدیث ابن عبّاس عن عثمان، قال: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم تنزّل علیه الآیات فیقول: «ضعوها فی السّورة الّتی یذکر فیها کذا». (۲۲- ۲۶)

---

(۱)- الرّعد/ ۳۱.

(۲)- العلق/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۱۷

الفصل السّادس و العشرون نصّ شیخ زاده (م: ۹۵۰ ه) فی «حاشیته علی تفسیر البیضاویّ»

نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً الفرقان/ ۱.

و الإنزال و التّنزیل عبارتان عن تحریک الشّیء مبتدأ من الأعلی إلی الأسفل، و بینهما فرق من جهة أنّ التّنزیل یدلّ علی النّزول تدریجا، و الإنزال یدلّ علی النّزول دفعة، و ذلک لأنّ بناء التّفعیل للتّکثیر، و کثرة النّزول إنّما یکون بکونه علی سبیل التّدریج، ثمّ إنّ المتحرّک قسمان؛

أحدهما: متحیّز بالذّات کالجواهر المفردة و ما یترکّب منها.

و ثانیهما: متحیّز بالتّبع و هو الأعراض القائمة بموضوعاتها، فإنّ العرض تابع لموضوعه فی التّحیّز سواء کان قارّا فی الموضوع کالسّواد و البیاض، أو سیّالا مترتّب الأجزاء، ممتنع البقاء کالحرکة و الکلام اللّفظیّ. و کلّ واحد من القسمین المذکورین تعرض له الحرکة

حقيقة، إلّا أنّ القسم الأوّل منهما تعرض له الحركة أصالة و بالذّات، بخلاف القسم الثّانى فإنّه لا يتحرّك أصالة؛ لاستحالة انتقال الأعراض عن موضوعاتها، و إنّما يتحرّك بتبعيّة محلّه ضرورة تحرّك الحال بحركة المحلّ، كالجسم الأسود المتحرّك إذا تحرّك بحركة تحرّك ما حلّ فيه من السّواد، و الكلام تبعا له.

ثمّ إنّ الكلام النّفسىّ الّذى هو صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى، لا يتصوّر فيه الحركة

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۱۸

و النّزول لا بالذّات، و هو ظاهر، لامتناع انتقال شىء من صفات اللّه تعالى عنه، و لا بتبعيّة موصوفه الّذى هو ذات الواجب تعالى و تقدّس؛ لاستحالة الحركة عليه حتّى تتحرّك صفاته تبعا له. و إنّما المنزل هو الكلام اللّفظىّ الحادث المركّب من الألفاظ و الحروف المؤلّفة من الآيات و السّور، و هو القرآن المعجز المتحدّى به؛ لكونه كلام اللّه حقيقة على أنّه مخلوق اللّه تعالى ليس من تأليف المخلوقين، لا على معنى أنّه صفة قائمة بذاته تعالى؛ لأنّه حادث و يمتنع قيام الحوادث به تعالى. و يجوز أن يخلق اللّه تعالى أصواتا مقطّعة مؤلّفة على هذا النّظم المخصوص، فيأخذها جبريل عليه السّلام، و يخلق له علما ضروريّا أنّه هو العبارة المؤدّية لمعنى ذلك الكلام النّفسىّ القديم الّذى هو كلام اللّه على معنى أنّه صفة له قائمة به مع أنّ الأشاعرة يجوّزون أن يسمع كلامه تعالى الأزلىّ بلا صوت و حرف، كما يرى ذاته تعالى فى الآخرة بلا كمّ و كيف فعلى هذا يجوز أن يخلق اللّه تعالى لجبريل عليه السّلام و هو فى مقامه عند سدرة المنتهى؛ سماعا لكلامه الأزلىّ و إن لم يكن من جنس الحروف و الأصوات، ثمّ يقدّره على عبارة يعبّر بها عن ذلك الكلام القديم.

و قيل: أظهر اللّه تعالى فى اللّوح المحفوظ كتابة هذا النّظم المخصوص و نقشه، فقرأه جبريل عليه السّلام و حفظه. و خلق اللّه تعالى فيه علما ضروريّا بأنّه هو نفس العبارة المؤدّية للمعنى القديم، على أنّ إنزال الملك الكتاب السّماوىّ لا يتوقّف على سماع اللّفظ، لجواز أن يتلقّفه الملك تلقّفا روحانيّا، أى لا جسمانيّا، بأن يلهم اللّه تعالى الملك ذلك المعنى القديم، و يخلق فيه قدرة على التّعبير عنه، و يسمّى النّظم الصّادر عنه كلام اللّه تعالى باعتبار كونه عبارة عن الكلام النّفسىّ دالّا عليه.

ثمّ إنّ الكلام النّفسىّ لكونه غير متحيّز بالذّات بل هو عرض قائم بالموضوع لا يكون إنزاله و تنزيله إلّا تبعا لحامله و مبلّغه، فإنّه تعالى لمّا نزّل جبريل عليه السّلام و حرّكه إلى أسفل و هو حامل للقرآن بأن أمره بالحركة إلى أسفل، فتحرّك هو بأمره تعالى، فقد تحرّك القرآن القائم به تبعا لحركته. فينبغى أن يكون قوله: نَزَّلَ الْفُرْقانَ مجازا على طريق إطلاق اسم العرض الحالّ على المحلّ الّذى هو ذلك الحامل، فإنّه هو المنزّل بالذّات و الأصالة و القرآن منزّل تبعا له. و المعنى نزّل القرآن بواسطة تنزيل جبريل عليه السّلام ثم إنّ القرآن العظيم يصحّ أن

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۱۹

يوصف بأنّه منزل و منزّل؛ لأنّه تعالى أنزله جملة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، و أمر السّفرة الكرام بانتساخه، ثم نزّله إلى الأرض إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم منجّما موزّعا على حسب المصالح و وقوع الحوادث، إلّا أنّ فى إنزاله إلى السّماء الدّنيا قولين؛

أحدهما: ما روى عن عكرمة عن ابن عبّاس أنّه قال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر، ثمّ نزل إلى الأرض فى عشرين سنة.

و ثانيهما: أنّه أنزل من اللّوح إلى السّماء الدّنيا كلّ سنة مقدار ما يكون منزلا فى سنة واحدة بحسب المصالح.

فعلى هذا القول يقع الإنزال الدّفعىّ عشرين مرّة، و على القول الأوّل يقع مرّة واحدة:

و إنّما حمد اللّه تعالى على التّنزيل دون الإنزال على أنّ التّنزيل أعمّ و أكمل نعمة فى حقّنا بالنّسبة إلى الإنزال؛ إذ لا تظهر لنا فائدة فى نزوله جملة إلى السّماء الدّنيا. (۱: ۲- ۳)

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵.

قوله: (أی ابتدأ فیه إنزاله) جواب عمّا یقال: إنّ القرآن نزل علی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم فی مدّة ثلاث و عشرین سنة منجّما مبعّضا، فما معنی تخصیص إنزاله برمضان؟ أجاب بثلاثة أوجه؛

الوجه الأوّل: أنّ ابتداء نزوله وقع فی رمضان فی لیلة القدر منه، و فیه مجاز حینئذ؛ لأنّه حمل لفظ القرآن علی بعض أجزائه.

و روی عن عمر بن الخطّاب أنّه استدلّ بهذه الآیة و بقوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱» علی أنّ لیلة القدر لا تکون إلّا فی رمضان؛ لأنّ لیلة القدر إذا کانت فی رمضان کان إنزاله فی لیلة القدر إنزالا فی رمضان.

و الوجه الثّانی: أنّ القرآن أنزل فی لیلة القدر جملة إلی سماء الدّنیا، ثمّ نزل نجوما.

روی عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه أنّه سئل عن قوله عزّ و جلّ: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ و قد نزل

---

(۱)- القدر/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۲۰

فی سائر الشّهور. قال عزّ و جلّ: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ «۱»، فقال: أنزل القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ فی لیلة القدر من شهر رمضان إلی بیت العزّة فی سماء الدّنیا، ثمّ نزل به جبریل علیه السّلام علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نجوما فی عشرین سنة، فذلک قوله تعالی: بِمَواقِعِ النُّجُومِ «۲».

و الوجه الثّالث: أنّ قوله: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ معناه أنزل فی فضل هذا الشّهر و إیجاب صومه علی الخلق القرآن، کما تقول: أنزل اللّه فی الزّکاة آیة کذا، أی فی إیجابها، و أنزل فی الخمر آیة کذا، أی فی تحریمها.

و قوله: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ یؤیّد الوجه الثّانی من الجواب، بناء علی ما اشتهر من أنّ الإنزال مختصّ بما یکون النّزول فیه دفعة واحدة، و أنّ التّنزیل مختصّ بالنّزول علی سبیل التّدریج، و لهذا قال تعالی: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ «۳». (۱: ۴۹۳)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ... الدّخان/ ۳.

قوله: (ابتدئ فیها إنزاله) جواب عمّا یقال: ما معنی إنزال القرآن فی هذه اللّیلة، مع أنّه تعالی أنزله فی جمیع الشّهور و لیالیها و أیّامها؟

و روی أنّ عطیّة الحروریّ سأل ابن عبّاس ... [و ذکر کما تقدّم عن الفخر الرّازیّ].

قال قتادة و ابن زید: أنزل اللّه القرآن فی لیلة القدر من أمّ الکتاب إلی سماء الدّنیا، ثمّ نزل به جبریل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم نجوما فی عشرین سنة. (۴: ۳۰۸- ۳۰۹)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی الأعلی/ ۶- ۷

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الواقعة/ ۷۵.

(۳)- آل عمران/ ۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۲۱

قوله: (سنقرئک علی لسان جبریل) أی سنعلّمک بأن یقرأ علیک جبریل القرآن مرّات إلی أن تحفظ حفظا لا تنساه بعد ذلک، أو سنجعلک قارئا بإلهام القراءة، بأن نشرح صدرک و نقوّی خاطرک حتّی تحفظه بالمرّة الواحدة حفظا لا تنساه. فیکون حفظه علیه السّلام لهذا الکتاب المطوّل من غیر دراسة و لا تکرار و لا کتبة أمرا خارقا للعادة، و لا سیّما هو أمّیّ فیکون معجزا. و أیضا إنّ هذه السّورة من أوائل ما نزل بمکّة، و قد أخبر اللّه أنّه سیظهر علی یده أمرا عجیبا غریبا مخالفا للعادة، و هو أنّه تعالی سیقرئه و هو أمّیّ لا یکتب و لا یقرأ، فیحفظه و لا ینساه إلّا ما شاء اللّه أن ینساه، فیذهب به عن حفظه برفع حکمه و تلاوته، کما قال تعالی: ما نَنْسَخْ مِنْ آیَةٍ أَوْ نُنْسِها «۱» فإنّ الإنسان نوع من النّسخ، و هذا إخبار عن الغیب، و قد وقع کما أخبر فیکون معجزا. قیل: کان صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه القرآن أکثر تحریک لسانه مخافة أن ینسی، و کان جبریل علیه السّلام لا یفرغ من آخر الوحی حتّی یتکلّم علیه السّلام بأوّله مخافة النّسیان، فأنزل اللّه سبحانه و تعالی: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی فلم ینس بعد ذلک شیئا؛ لأنه لا یخلف وعده و لا فی قوله تعالی: فَلا تَنْسی نافیة، و علیه الجمهور، لا للنّهی؛ لأنّ الإنسان لا ینهی عن النّسیان، لأنّه لا مدخل فیه للاختیار، فلا ینهی عنه، فلذلک ثبت الألف فی فَلا تَنْسی فی الخطّ و التلفّظ. و من جعله نهیا عن النّسیان احتاج إلی التّکلّف فی توجیه ورود النّهی عمّا لیس باختیاریّ، فقال: إنّ النّهی و إن کان عن النّسیان صورة لکنّه فی الحقیقة نهی عن سببه، و هو الغفلة عن دراسته و تکریره، فکأنّه قیل:

لا تغفل عن قراءته و تکراره فتنساه و احتاج فی توجیه ثبوت الألف إلی أن یقول: إنّها مزیدة رعایة لفواصل الآی کالّتی فی الظُّنُونَا «۲» و السَّبِیلَا «۳» و حمله علی الخبر أولی؛ لعدم احتیاجه إلی التّکلّف. و قوله: فَلا تَنْسی أصلا، أی لا بطریق النّسخ و لا بغیره، ذکره لیظهر کون الاستثناء متّصلا.

قوله: (و قیل: المراد به القلّة) أی قلّة المنسیّ الّذی یعقبه التّذکّر، عطف من حیث

---

(۱)- البقرة/ ۱۰۶.

(۲)- الأحزاب/ ۱۰.

(۳)- الأحزاب/ ۶۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۲۲

المعنی علی قوله: (بأن تنسخ تلاوته) فإنّ المراد بنسیان ما شاء اللّه نسیانه حینئذ النّسیان المستمرّ؛ بحیث لا یعقبه التّذکّر بعده، فإنّ النّسیان الّذی هو أحد طریقی النّسخ لا بدّ أن یکون مستمرّا و أمّا أنّ حمل الاستثناء علی القلّة فحینئذ یکون المراد بالنّسیان، النّسیان المتعارف الّذی یعقبه التّذکّر بعده، و یکون المقصود من الاستثناء تقلیل المنسیّ بهذا المعنی، فإنّه صلّی اللّه علیه و سلم قد عرض له النّسیان بهذا الوجه کما ذکره المصنّف. و وجه إفهام معنی القلّة من هذا الاستثناء أنّ المستثنی هو المنسیّ الّذی تعلّقت المشیئة بنسیانه، و لا شکّ أنّ تعلّق المشیئة بنسیان شیء منه غیر معلوم؛ إذ یجوز أن لا تتعلّق بشیء منه أصلا، و علی تقدیر تعلّقها بنسیان شیء منه فلا شکّ أنّ ما تعلّقت المشیئة بنسیانه أقلّ من الباقی بعد الاستثناء، فدار أمر المستثنی بین أن ینتفی رأسا و بین القلّة و النّدرة، و ما کان کذلک یکون فی غایة القلّة، فهذا وجه من حمل الاستثناء علی القلّة.

قوله: (أو نفی النّسیان) مرفوع معطوف علی قوله: «القلّة و النّدرة» و النّسیان المنفیّ علی القولین الأخیرین هو النّسیان الّذی یعقبه التّذکّر، إلّا أنّه علی القول الأوّل یقصد استثناء القلیل منه، کأنّه قیل: فلا تنسی شیئا ممّا علّمناه لک و قرأناه علیک نسیانا متعارفا، و هو الّذی یعقبه التّذکّر بعد إلّا قلیلا منه. و علی القول الثّانی لا یقصد استثناء شیء منه، و یکون قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ لنفی النّسیان المتعارف رأسا و کلّ واحد من القسمین قسیم لقوله: فَلا تَنْسی شیئا ممّا أقرأناک أصلا إلّا ما شاء اللّه نسیانه بأن تنسخ تلاوته.

و لمّا کان قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ ممّا یدلّ علی القلّة جاز أن یراد منه نفی النّسیان رأسا، فإنّ استعمال القلّة بمعنی النّفی رأسا وارد فی

كلامهم كما فى قوله تعالى: وَ قَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ «۱»، فإنّ قضاء حقّ الشّكر بكماله غير مقدور للبشر.

قوله: (فيعلم ما فيه صلاحكم من إبقاء أو إنساء) تفريع على التّفسيرين، و أشار إلى أنّ قوله تعالى: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى تعليل للحكم السّابق المشتمل على الاستثناء، بأن يجعل علمه تعالى بما ظهر من أحوال عباده و بما يخفى منها، أو علمه بجهره صلّى اللّه عليه و سلم بالقرآن مع جبريل و بما يخفى فى نفسه ممّا يدعوه إليه من مخافة النّسيان

---

(۱)- سبأ/ ۱۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۲۳

مجازا عن علمه بما فيه صلاح العباد، فلا ينسى ما أنساه من الوحى و لا يبقى ما أبقاه إلّا لمصلحة تعود إليهم.

قوله: (و نعدّك للطّريقة اليسرى) ضمن قوله: نُيَسِّرُكَ معنى الإعداد و التّوفيق بيانا لوجه تعدية قوله: نُيَسِّرُكَ بدون اللّام. فإنّ العبارة الشّائعة أن يقال: جعل الفعل الفلانىّ ميسّرا لفلان، و لا يقال: جعل فلان ميسّرا للفعل الفلانىّ، فالظّاهر أن يقال: نيسّر اليسرى لك، إلّا أنّه جعل الفاعل ميسّرا للفعل فى هذا الموضع، و كذا فى سورة اللّيل أيضا و فى قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «اعملوا، فكلّ ميسّر لما خلق له» باعتبار التّضمين، أى معدّ و موفّق له. و المراد بالطّريقة اليسرى أعمال الخير، سميّت يسرى لكونها مؤدّية إلى اليسرى و الرّاحة.

و قوله تعالى: وَ نُيَسِّرُكَ معطوف على سَنُقْرِئُكَ، و قوله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى اعتراض، و التّقدير سنقرئك فلا تنسى و نوفّقك للطّريقة الّتى هى أسهل و أيسر فى حفظ القرآن، أو فى باب التّديّن و الطّاعة ... (۴: ۶۴۸- ۶۴۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱.

قوله: (و إنزاله فيها) جواب عمّا يقال: القرآن إن لم ينزل جملة واحدة فى وقت واحد، بل أنزل منجّما مفرّقا فى ثلاث و عشرين سنة، فما وجه قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؟ و أجاب عنه بثلاثة أوجه:

الأوّل: أنّ المراد ابتدأنا بإنزاله على طريق التّنجيم و التّفريق فى ليلة القدر، بناء على أنّ البعثة كانت فى رمضان.

و الثّانى: أنّ السّؤال إنّما يرد أن لو كان المراد إنزاله إلى الأرض و إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم فإنّه الّذى كان منجّما فى ثلاث و عشرين سنة، و ليس المراد ذلك، بل المراد و اللّه أعلم ما روى عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه أنّ جبريل عليه السّلام نزل به جملة واحدة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرسىّ].

و الثّالث: أنّ السّؤال إنّما يرد أن لو كان ليلة القدر ظرفا لنفس الإنزال، على معنى أنّ الإنزال وقع فى ذلك الزّمان المعيّن، و ليس كذلك بل المعنى إنّا أنزلناه فى حقّ فضل ليلة القدر و بيان شرفها و قدرها، و هذا المعنى لا ينافى كون الإنزال مفرّقا فى ثلاث و عشرين سنة. (۴: ۶۷۹)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۲۴

الفصل السّابع و العشرون نصّ الخطيب الشّربينىّ (م: ۹۷۷ ه) فى «السّراج المنير»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵.

جملة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا ليلة القدر، ثمّ تنزّل منجّما إلى الأرض.

و قيل: ابتدئ فيه إنزاله و كان ذلك ليلة القدر، و قيل: أنزل فى شأنه القرآن، و هو قوله تعالى: كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ «۱».

و عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم: نزلت صحف إبراهيم ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

فائدة: قال ابن عادل: يروى أنّ جبريل عليه السّلام نزل على آدم اثنتى عشرة مرّة، و على إدريس أربع مرّات، و على إبراهيم اثنتين و أربعين مرّة، و على نوح خمسين مرّة، و على موسى أربعمائة مرّة، و على عيسى عشر مرّات، و على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم أربعة و عشرين ألف مرّة.

(۱: ۱۲۰)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا الإسراء/ ۱۰۵.

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۲۵

... ثم إنّ اللّه تعالى أخبر أنّ الحكمة فى إنزال القرآن مفرّقا بقوله: قُرْآناً، أى فصّلناه، أو أنزلنا قرآنا. فَرَقْناهُ، أى أنزلناه منجّما فى أوقات متطاولة. [ثمّ ذكر قول سعيد بن جبير، كما تقدّم عن الفخر الرّازىّ، فقال:]

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، أى عامّة. عَلى مُكْثٍ، أى مهل و تؤدة ليفهموه.

وَ نَزَّلْناهُ: من عندنا بما لنا من العظمة، تَنْزِيلًا: بعضه إثر بعض مفرّقا بحسب الوقائع لأنّه أتقن فى فصلها، و أعون على الفهم؛ لطول التّأمّل لما نزل من نجومه فى مدّة ما بين النّجمين، لغزارة ما فيه من المعانى. (۲: ۳۴۳)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۱

الشّبهة الخامسة لمنكرى النّبوّة: ما حكاه اللّه تعالى عنهم لقوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا، أى الّذين غطّوا عداوة و حسدا ما تشهد عقولهم بصحّته من أنّ القرآن كلام اللّه تعالى؛ لإعجازه لهم مفرّقا، فضلا عن كونه مجتمعا. لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً أى من أوّله إلى آخره، كما أنزلت التّوراة على موسى عليه السّلام و الإنجيل على عيسى عليه السّلام، و الزّبور على داود عليه السّلام؛ لتحقّق أنّه من عند اللّه تعالى، و يزول عنّا ما نتوهّم من أنّه الّذى يرتّبه قليلا قليلا.

و هذا الاعتراض فى غاية السّقوط؛ لأنّ الإعجاز لا يتخلّف بنزوله جملة أو متفرّقا، مع أنّ للتّفريق فوائد؛ منها ما أشار بقوله تعالى: كَذلِكَ ...، [ثمّ ذكر تفسير الآية، كما تقدّم عن الزّمخشرىّ]. (۲: ۶۵۹)

إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا الإنسان/ ۲۳

إِنَّا نَحْنُ، أى على ما لنا من العظمة الّتى لا نهاية لها لا غيرنا. نَزَّلْنا عَلَيْكَ: و أنت أعظم الخلق إنزالا، استعلى حتّى صار المنزل خلقا لك. الْقُرْآنَ، أى الجامع لكلّ هدى تَنْزِيلًا. قال ابن عبّاس: متفرّقا آية بعد آية، و لم ينزّل جملة واحدة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۲۶

قال الرّازىّ: و المقصود من هذه الآية تثبيت الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم، و شرح صدره فيما نسبوه إليه صلّى اللّه عليه و سلم من كهانة و سحر، فذكر تعالى أنّ ذلك وحى من اللّه تعالى، فكأنّه تعالى يقول: إن كان هؤلاء الكفّار يقولون: إنّ ذلك كهانة فأنا اللّه الملك الحقّ، أقول على سبيل التّأكيد: إنّ ذلك وحى حقّ، و تنزيل صدق من عندى. و فى ذلك فائدتان؛

الأولى: إزالة الوحشة الحاصلة بسبب طعن الكفّار؛ لأنّ اللّه تعالى عظّمه و صدّقه.

الثّانية: تقويته على تحمّل مشاقّ التّكليف، فكأنّه تعالى يقول له: إنّى ما نزّلت القرآن عليك متفرّقا إلّا لحكمة بالغة، تقتضى تخصيص

کلّ شیء بوقت معیّن، و قد اقتضت تلک الحکمة تأخیر الإذن فی القتال. (۴: ۴۵۹)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۲۷

الفصل الثّامن و العشرون نصّ ملّا فتح اللّه الکاشانیّ (م: ۹۸۸ ه) فی تفسیره: «منهج الصّادقین» «۱»

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ... البقرة/ ۲۳

ذکر نَزَّلْنا دون «أنزلنا» لأنّ نزول القرآن وقع نجما فنجما و دفعة بعد دفعة علی حسب الوقائع کما هو مفهوم نَزَّلْنا، لا دفعة واحدة کما هو منطوق أَنْزَلْنا. و الحکمة تکون فی تنزیل القرآن دون إنزاله، لأنّ نزوله علی وجه التّدریج یوهمهم بأنّ القرآن من جنس کلام أهل الشّعر و الخطابة، و أمّا القرآن فیکون ظهوره علی طریق النّجوم بحسب وقائعهم، کما حکی اللّه تعالی عنهم فقال: قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۲». و علی هذا الوجه وجب تحدّیهم، لإزالة الشّبهة و إلزام الحجّة. (۱: ۱۲۴)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه/ ۱۱۴

---

(۱)- قد ترجمنا هذا النّصّ من الفارسیّة.

(۲)- الفرقان/ ۳۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۲۸

کان هذا نهیا عن الاستعجال فی تلقّی الوحی من جبرئیل و المساوقة معه فی القراءة، حتّی یتمّ الوحی. و کان هذا النّهی بعد ذکر نزول هذه الآیة علی سبیل الاستطراد، فالآیة لا تستلزم أنّ التّلقّی و المساوقة قبل نزولها کان منهیّ عنه، و ینافی عصمته علیه السّلام، قاله ابن عبّاس و الحسن و الجبّائیّ.

أو بمعنی إن نزلت علیک آیة و سورة مجملة لا تقرأ علی أصحابک، و لا تملی علیهم حتّی ینزل بیانه إلیک، و یبیّن لک معانیه، قاله مجاهد و قتادة و عطیّة و ابن مسلم.

أو أنّها تعنی لا تسأل إنزال القرآن قبل أن یأتیک وحیه؛ لأنّ اللّه تعالی ینزّله بحسب المناسبة، قاله الماوردیّ. [ثمّ ذکر شأن نزول الآیة نقلا عن ابن الجوزیّ کما تقدّم عنه، ثمّ قال:] بناء علی هذا فمعنی هذه الآیة أنّه لا تحکم بشیء إلّا بعد نزول القرآن.

قوله تعالی: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً أی زدنی علما بالأحکام الشّرعیّة، أعنی أکرمنی منه علما بعد علم. أو زدنی علم القرآن و معانیه، أی علّمنی نزول آیة بعد آیة و سورة بعد سورة، أو بیّن معناه. أو زدنی علما بقصص الأنبیاء و بمنازلهم. أو زدنی فی حفظی حتّی لا أنسی بما توحی إلیّ، و المقصود بدل الاستعجال فی القراءة حتّی تسأل الزّیادة بما سیوحی إلیک و یصلک، و ستحفظه فی خاطرک. (۶: ۳۰)

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ ... الشّعراء/ ۱۹۲

عَلی قَلْبِکَ، أی لقّنک جبرئیل علی الوجه الّذی کان مأمورا به، و تعلّمت منه، و حفظت فی قلبک بلا تبدیل و تغییر.

و تنزیل جبرئیل من جانب اللّه تعالی علی قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان علی سبیل التّوسّع؛ لأنّ حقیقة المعنی هو أنّ اللّه تعالی أسمع القرآن لجبرئیل و کان هو یحفظه، فأنزله علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و أقرأه علیه، و کان هو یحفظه أیضا بقلبه، فکأنّ نفس

جبرئيل نزلت مع القرآن على قلبه.

و قرأ حفص بتخفيف نَزَلَ، و رفع الحاء و النّون فى بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، و الباء فى (به) للتّعديه، أى أنزله جبرئيل على قلبك. [ثمّ ذكر قول البيضاوىّ حول كيفيّة نزوله على

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۲۹

قلب النّبىّ كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

قيل: ذكر القلب لكون النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أمّيّا، و حينما كان جبرئيل يتلو عليه كان يتعلّم بقلبه. (۶: ۴۸۰)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلى/ ۶- ۷

سَنُقْرِئُکَ، أى سنقرأ عليك القرآن، يعنى أنّ جبرئيل كان قد قرأ عليك بأمرنا، أو ألهمنا عليك القراءة.

فَلا تَنْسى، أى فلا تنسى القرآن؛ لقوّة حافظتك الّتى أعطيناكها لحفظ هذه السّورة و الآيات، و هذه علامة أخرى على نبوّتك، أو أنّ الإخبار بالمستقبل و وقوعه فيها كان أيضا من الآيات الباهرة و المعجزات الظّاهرة على نبوّتك.

و قال بعضهم: فَلا تَنْسى نهى، و الألف للفاصلة كقوله تعالى: السَّبِيلَا «۱»، و إنّ النّسيان من الأفعال الاختياريّة حتّى تعلّق به النّهى.

فعلى هذا كان المعنى هكذا، لا تغفل عن قراءة القرآن حتّى لا تنساه، و الأوّل أصحّ القولين، ففى هذا كان بشارة له صلّى اللّه عليه و آله أنّ كلّ ما نقرأ عليك لا تنسى.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، أى لا تنساه إلّا بمشيّة اللّه، و ذلك عند نسخ قراءته. و حينئذ يمحو اللّه سبحانه من صحيفة قلبك، كقوله تعالى: أَوْ نُنْسِها نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْها أَوْ مِثْلِها «۲».

و قيل: المراد بالنّفى نسيان المطلق؛ لأنّ القلّة تستعمل للنّفى، كما يقول الرّجل لصاحبه: أنت سهيمى فيما أملك إلّا فيما شاء اللّه، فالمراد فيها ليس استثناء، بل كان من قبيل الاستعمال بمعنى النّفى.

[ثمّ ذكر قول الفرّاء، كما تقدّم عن الطّبرسىّ، ثمّ قال:]

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ، أى أنّه يعلم ما ظهر من أقوالكم و أفعالكم.

وَ ما يَخْفى، أى ما بطن من أطواركم و أحوالكم، أى هو يعلم ما كان فيه مصلحة

---

(۱)- الأحزاب/ ۶۷.

(۲)- البقرة/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۳۰

دينكم و دنياكم. أو يعلم قراءتک مع جبرئيل جهرا، و ما يخفى فى نفسك باعثه الجهر لخوف النّسيان. فلا تخف، إنّى حافظك من نسيان ما فى بقائه فى فكرك صلاح، و منسيك ما فى نسيانه مصلحة.

وَ نُيَسِّرُکَ عطف على سَنُقْرِئُکَ، و قوله: إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى جملة معترضة. لِلْيُسْرى، أى نسهّل لك و نوفّقك لسلوك الطّريقة الأيسر و الأسهل، و أنّه حفظ الوحى، أو حفظ الشّريعة الّتى هى أيسر الشّرائع و أسهلها من ناحية الأخذ و التّعليم (۱۰: ۲۱۷)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۳۱

الفصل التّاسع و العشرون نصّ الشّيخ على ددة (م: ۱۰۰۷ ه) فى «حلّ الرّموز و كشف الكنوز» «۱»

السّؤال الحادى و الأربعون من خواتم الحكم

ما الحکمة و السّرّ فی إنزال القرآن جملة واحدة إلى السّماء الدّنیا فی بیت العزّة؟

الجواب: ذکره الإمام العلّامة و الأستاذ ... فی الإتقان: السّرّ فی نزول القرآن جملة إلى السّماء تفخیم أمره و شأنه، و تعظیم حکمه و برهانه، و تکریم أمر من نزل علیه، و تعظیم من أرسل الوحی إلیه، و هو سیّد المرسلین و خاتم النّبیّین صلّى اللّه علیه و سلم. و نزولها فی بیت العزّة إشارة إلى أنّه کتاب عزیز إلى رسول کریم، لدعوة أعزّ الأمم على اللّه تعالى على لسان أفضل الرّسل، و فیه إشارة إلى أنّه بیت العزّة، أشرف المقامات السّماویة بعد اللّوح المحفوظ لنزول القرآن منه إلیها، و لذلک قیل: تفضّل السّماء الأولى على أخواتها لأنّها مقرّ الوحی الرّبّانی و معدن آیاتها.

و قیل: السّماء السّابعة أفضل؛ لأنّها مقام لسدرة المنتهى و مهبط الأحکام و الأنوار، و هو مقام جبرئیل الأمین، ذی قوّة عند ذی العرش مکین.

قیل: فضل المکان بالمکین، و بالنّسب المتعدّدة و الوجوه المختلفة یکون الفضل تارة

---

(۱)- نقل کلام السّیوطیّ بتصرّف، و لذا لم نحذف منه شیئا.

أمرا إضافیّا أو نسبیّا أو ذاتیّا أو عرضیّا، فأفهم.

و ذلک بإعلام مکان السّماوات السّبع أنّ آخر الکتب المنزّلة هذا الکتاب المبین على خاتم الرّسل لأشرف الأمم، قد قرّبناه إلیهم لننزله علیه. و لو لا أنّ الحکمة الإلهیّة اقتضت وصوله إلیهم منجّما بحسب الوقائع لأهبط به إلى الأرض جملة، کسائر الکتب المنزّلة قبله، و لکن باین بینه و بینها، فجعل الأمرین إنزاله جملة، ثمّ إنزاله مفرّقا تشریفا للمنزل علیه، کما ذکره أبو شامة فی «المرشد الوجیز».

السّؤال الثّانی و الأربعون من خواتم الحکم:

ما الحکمة فی وضع القرآن بالسّماء الدّنیا ببیت العزّة دون غیرها من المقامات فی السّماوات؟

الجواب: أجاب الحکیم التّرمذیّ: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدّنیا تسلیما للأمّة ما کان أبرز لهم من الحظّ بمبعث محمّد صلّى اللّه علیه و سلم، و بعثة محمّد صلّى اللّه علیه و سلم کانت رحمة، فلمّا خرجت الرّحمة بفتح الباب جاءت بمحمّد صلّى اللّه علیه و سلم و بالقرآن، فوضع القرآن ببیت العزّة فی السّماء الدّنیا لیدخل فی حدّ الدّنیا، و وضعت النّبوّة فی قلب محمّد صلّى اللّه علیه و سلم. و جاء جبریل علیه السّلام بالرّسالة ثمّ الوحی، کأنّه أراد تعالى أن یسلّم هذه الرّحمة الّتی کانت حظّ هذه الأمّة من اللّه تعالى إلى الأمّة. و فی بیت العزّة إشارة أنّ قلب المؤمن أعزّ على اللّه تعالى من سائر المقامات؛ لأنّ القرآن نزل من اللّوح على القلب و استقرّ فیه إلى أبد الدّهر دنیا و أخرى.

و فی نزوله إشارة إلى تعظیم الحضرة المحمّدیّة بالتّدریج، کما تدخل الهدایا بالتّوسّط على أیدی الخدّام تعظیما للمهدى إلیه، فأفهم.

[ثمّ ذکر قول الإمام السّخاویّ کما تقدّم عن أبی شامة و السّیوطیّ].

السّؤال الثّالث و الأربعون من خواتم الحکم

ما الحکمة فی نزوله منجّما، و هلّا نزل کسائر الکتب جملة؟

الجواب: قال الإمام فی الإتقان: هذا ... [و ذکر کما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:]

(حکمة أخرى) لإنزال القرآن مفرّقا، فإنّه أدعى إلى قبوله صلّى اللّه علیه و سلم إذا نزل على التّدریج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة،

فإنّه ینفر من قبوله کثیر من النّاس؛ لکثرة ما فیه من

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۳۳

الفرائض و المناهی.

(برهان جلّی) فی إنزاله مفرّقا، ما أخرجه البخاریّ عن أمّ المؤمنین رضی اللّه عنها قال: إنّما أنزل ما نزل منه سورة من المفصّل ... [و ذکر کما تقدّم عن السّیوطیّ].

السّؤال الخامس و الأربعون من خواتم الحکم

ما الحکمة عند نزول الوحی فی تقدّم صوت الملک مثل صلصلة الجرس کما ورد فی صحیح البخاریّ؟

الجواب: قال الإمام: و الحکمة فی تقدّم الصّوت عند نزول الوحی علی لسان روح القدس أن یقرع سمع نبیّه صلّی اللّه علیه و سلم بالوحی تنبیها أن لا یبقی فیه مکانا لغیره. و فی الصّحیح هذه الحالة أشدّ حالات الوحی علیه.

و قیل: إنّه کان ینزل هکذا إذا نزلت آیة وعیدا أو تهدیدا کما أشار فی الخبر «فما من مرّة یوحی إلیّ إلّا ظننت أن نفسی تقبض».

تحقیق للوحی طبقات؛

إحداها: مجیء الملک کصلصلة الجرس.

و ثانیها: کما قال صلّی اللّه علیه و سلم: «إنّ روح القدس نفث فی روعی».

و ثالثها: کما ورد فی الصّحیح یأتیه جبریل فی صورة الرّجل فیکلّمه، و هو أهون طریق الوحی.

و رابعها: نزول الملک علی قلبه فی النّوم، کما ورد فی سورة الکوثر.

و خامسها: أن یکلّمه إمّا فی الیقظة کما فی لیلة الأسراء، و إمّا فی النّوم کما فی حدیث معاذ: «أتانی ربّی، فقال: فیم یختصم الملأ الأعلی». و لیس فی القرآن من هذا شیء فیما أعلم، و تسمّی هذه الطّبقة بالکلمات القدسیّة وحیا أو إلهاما.

سئل بعض المحقّقین عن الوحی، فقال: الوحی ما یوحی اللّه إلی نبیّ من أنبیائه، فیثبّته فی قلبه و یتکلّم به و یکتب، و هو کلام اللّه تعالی، و منه ما لا یتکلّم به و لا یکتبه لأحد و لا یأمر بکتابته، و لکن یحدّث به النّاس، فیسمّی حدیثا قدسیّا، و یبیّن لهم إنّ اللّه تعالی أمره أن یبیّنه للنّاس و یبلّغهم إیّاه.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۳۴

قال الإمام السّیوطیّ نقلا عن بعض الأئمّة الأعلام، أنّه قال:

کلام اللّه المنزل قسمان: یسمّی بالسّنّة و الخبر القدسیّ؛ لأنّ جبریل کان نزل بالسّنّة کما نزل بالقرآن، و من هنا جاز روایة السّنّة بالمعنی؛ لأنّ جبریل أدّاه بالمعنی، و لم تجز القراءة بالمعنی؛ لأنّ جبریل أدّاه باللّفظ. و السّرّ فی ذلک التّعبّد بلفظه و الإعجاز به، فلا یقدر أحد أن یأتی بدله بما یشتمل علیه من الإعجاز لفظا و من الأسرار معنی، فلا یقوم لفظ الغیر مقام لفظه و لا حرف غیره مقام حرفه؛ لأنّ تحت کلّ حرف منه معان لا یحاط بها کثرة، فیکون القرآن معجزا من حیث اللّفظ و المعنی.

و ذکر بعضهم فی الخبر: أنّ أحرف القرآن فی اللّوح المحفوظ، کلّ حرف منها بقدر جبل قاف، و أنّ تحت کلّ حرف معان لا یحیط بها إلّا اللّه تعالی.

السّؤال السّادس و الأربعون من خواتم الحکم

ما الحکمة فی إنزال القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و هو ابن أربعین سنة؟ و ما السّرّ فی قرن نبوّته بإسرافیل ثلاث سنین، فکان

يعلّمه الكلمة و الشّىء، و لم ينزّل عليه القرآن على لسانه، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل، فنزل عليه القرآن على لسانه عشرين سنة؟

الجواب: و أمّا الحكمة فى نزوله على رأس أربعين سنة؛

قيل: تستكمل القوّة الجسمانيّة و القوى الرّوحانيّة لقبول كمال الاستعداد بالفيض الأقدس، و التّجليّات الكلّية، و الكمالات العليّة، و النّفحات القدسيّة، و سيّد المرسلين و خاتم النّبيين مظهر الكمال الكلّىّ و مجمعها و منبعها، فناسب مقامه مقام الأربعين من حيث الإحاطة و الأسرار الأربعيتيّة؛ لأنّه ظهر بأكمل الاستعداد، و مقام الأربعيتيّة أكمل الاستعداد كما ظهر فى حقّ موسى عليه السّلام قوله تعالى: وَ واعَدْنا مُوسى ثَلاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً «۱». و أشار صلّى اللّه عليه و سلم فى حقّ أمّته بقوله: «من أخلص للّه أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

---

(۱)- الأعراف/ ۱۴۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۳۵

و لمقام الأربعيتيّة أسرار و حكم فى حقّه صلّى اللّه عليه و سلم و فى حقّ أخيه عليه السّلام و فى حقّ أمّته صلّى اللّه عليه و سلم لا يحتملها أكثر العقول.

أمّا السّرّ فى اقتران إسرافيل بنبوّته صلّى اللّه عليه و سلم ثلاث سنين ذكره الإمام السّيوطىّ فى الإتقان، و قال نقلا عن بعض الأئمّة: و الحكمة فى توكيل إسرافيل به أنّه الموكّل بالصّور الّذى فيه هلاك الخلق و قيام السّاعة، و نبوّته صلّى اللّه عليه و سلم مؤذّنة بقرب السّاعة و انقطاع الوحى، كما وكّل بذى القرنين رفائيل الّذى يطوى الأرض، و بخالد بن سنان مالك خازن النّار.

و ذكر بعض المحقّقين: إنّ فى أمّ الكتاب كلّ شىء هو كائن إلى يوم القيامة، فوكّل ثلاثة بحفظه من الملائكة، فوكّل جبريل بالكتب و الوحى إلى الأنبياء، و بالنّصر عند الحروب و الهلاكات، إذا أراد أن يهلك قوما. و وكّل ميكائيل بالقطر و النّبات، و وكّل ملك الموت بقبض الأنفس فإذا كان يوم القيامة عارضوا بين حفظهم و بين ما كان فى أمّ الكتاب فيجدونه سواء، و أوّل من يحاسب جبريل؛ لأنّه كان أمين اللّه إلى رسله. ۲۲- ۲۵

السّؤال الثّالث عشر بعد المائة من خواتم الحكم

ما الحكمة فى إنزال القرآن العظيم متفرّقا، بخلاف التّوراة و سائر الصّحف نزلت جملة واحدة؟

الجواب: قال أهل التّفسير: أنزل اللّه القرآن متفرّقا لوجوه؛

أحدها: تفضيلا لنبيّنا صلّى اللّه عليه و سلم، أراد أن تكون الرّسالة متّصلة من عنده إليه، كلّ وقت يتجدّد الخطاب المستطاب، و يكون حبيبه على علم و ذوق و خطاب و فيض كتاب فى كلّ ساعة من حضرة المحبّ الحبيب المشتاق فى كلّ آن.

و الثّانى: لو أنزله مرّة واحدة لا يشتغل بحفظه و خاف على فواته، أ لا ترى إلى قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱».

و الثّالث: نزل بعض الآيات فى النّاسخ و المنسوخ، فلو أنزله دفعة واحدة لفاتت فوائد النّسخ و مراعاة المصالح بحسب الأزمنة المتعاقبة، و فى النّسخ أسرار الدّعوة و التّدريج

---

(۱)- القيامة/ ۱۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۳۶

و جذب الأرواح، فانظر إلى تدريج حرمة الخمر أوّلا بالنّهى عن الصّلاة بالسّكر، ثمّ بالنّهى مطلقا حكمة و رحمة منه سبحانه و تعالى.

و الرّابع: لو أنزله جملة واحدة لثقل عليهم استعمال ما فيه من التّكليف كما ثقل على قوم موسى، فأراد تعالى أن يكون يسيرا؛ لقوله تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ «۱».

و الخامس: أراد تعالى أن يكون معجزة للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بالأخبار بالكوائن، فكلّما أرادوا شيئا نزل جبريل ببيانه و أخبره عمّا يكون، فكان خبيرا.

و السّادس: قضاء الحوائج و إجابة كلّ سائل، فكلّما سألوا منه شيئا من الأحكام و الحكم نزل جبريل بإجابة سؤالهم ليرتفع مرادهم، و أيضا كيلا يقنطوا من حياته صلّى اللّه عليه و سلم، و يعلموا أنّه باق ما لم يتمّ القرآن و يتجدّد نزوله عليه صلّى اللّه عليه و سلم.

و السّابع: أنزله تعالى متفرّقا؛ لئلّا يستوحش النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و هذا معنى قوله تعالى:

لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۲»، و يكون أنيسا له فى كلّ ساعة.

السّؤال الرّابع عشر بعد المائة من خواتم الحكم

ما الحكمة فى نزول القرآن ليلا؛ لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۳»، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۴»؟

الجواب: أجيب بوجوه؛ قيل: لأنّ أكثر الكرامات و نزول النّفحات و الإسراء إلى السّماوات يكون باللّيل، و أكثر مناجاة الأخيار فى اللّيل، كما قال تعالى: إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلًا «۵». و فى اللّيل معارج الأرواح و استراحة الأشباح، و فى اللّيل سير الأسراء إلى حضرة الكبرياء، و فى اللّيل فراغ القلوب بذكر حضرة المحبوب، اللّيل مقام المناجاة و مهبط النّفحات، اللّيل مشهد التّنزّلات و مظهر التّجلّيات، كما ورد فى الخبر:

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

(۳)- القدر/ ۱.

(۴)- الدّخان/ ۱.

(۵)- المزّمّل/ ۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۳۷

«ينزّل ربّنا فى الثّلث الأخير» الخ. و فى الخبر: «إذا جاء اللّيل، جاء خلق اللّه الأعظم».

و اللّيل محلّ الرّاحة و السّبات، كما قال تعالى: وَ جَعَلْنا نَوْمَكُمْ سُباتاً «۱»، و لذا قيل: اللّيل من الجنّة، فيه لحصول الاستراحة، و النّهار من النّار؛ لأنّ فيه المعاش و التّعب. و للعرب العاربة لطائف مستغربة فى تفضيل اللّيل على النّهار و النّهار على اللّيل، كما ذكر فى كتاب نوادر العرب، و ليس هذا محلّ التّفصيل بل المراد فنّ الحكمة و المعرفة.

السّؤال الخامس عشر بعد المائة من خواتم الحكم

ما الحكمة فى أنّ الملائكة بأسرها صعقت ليلة نزول القرآن من حضرة اللّوح المحفوظ إلى حضرة بيت العزّة فى السّماء الدّنيا؟

الجواب- أقول: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يتفقّأ عرقا عند نزول الوحى، و تحصل له الهميانات و الجذبات من حضرة الوحى بنزول الأسرار و النّفحات الإلهيّة و المعانى الحكميّة من العلوم اللّدنّيّة و الأحكام القدريّة من حيث المطالع و البطون، و كان يقول: «إنّ للوحى أثقالا تدكدك الجبال». و قد صعقت الرّجال من نفحات أسرار الوحى، فكيف من الوحى!

و قیل: صعقت الملائکة عند نزول القرآن لثلاثة أشیاء؛ أوّلها: أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و سلم عندهم من أشراط القیامة و القرآن کتابه، فنزوله دلّ علی قیام السّاعة، فصعقوا هیبة منه، و إجلالا لهیبة کلامه، و تعظیما لحضرة وعده و وعیده، و أمره و نهیه فی کلامه المجید.

و فی بعض الأخبار: «إنّ اللّه تعالی إذا تکلّم بالرّحمة تکلّم بالفارسیّة (المراد بالفارسیّة لسان غیر العرب سریانیّا کان أو عبریّا) «۲»، و إذا تکلّم بالعذاب تکلّم بالعربیّة المحمّدیّة، ظنّوا أنّه عقاب فصعقوا» و غاب عنهم أنّ النّبیّ العربیّ رحمة للعالمین، ففهم سرّ العربیّة و جلالتها، و لذا قال صلّی اللّه علیه و سلم: «بعثت بالسّیف». و قال صلّی اللّه علیه و سلم: «أنا النّبیّ المحمّدیّ، جعل رزقی تحت ظلّ رمحی»، إلی غیر ذلک من الأحادیث الّتی تدلّ علی جلالة النّبیّ العربیّ و مهابة الملّة العربیّة، ففهم تفز سراجا جلیّا ... (۷۰- ۷۲)

---

(۱)- النّبأ/ ۹.

(۲)- لا نری وجها لهذا التّفسیر.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۳۸

الفصل الثّلاثون نصّ صدر المتألّهین (م: ۱۰۵۰ ه) فی «تفسیره»

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ... البقرة/ ۲۳

و إنّما قیل: نَزَّلْنا علی لفظ التّنزیل دون «الإنزال»؟ لأنّ المراد نزوله علی نهج التّدریج و التّنجیم، و هو الحریّ بمکان التّحدّی؛ لأنّهم کانوا یقولون: لو کان هذا من عند اللّه لم ینزّل هکذا نجوما، سورة بعد سورة، و آیات غبّ آیات، علی سنن أهل الخطابة و الشّعر؛ حیث صدر عنهم و سنح ببالهم مضامین الأشعار و الخطب، حسب ما عنّ لهم من الأحوال و تجدّد علیهم سوانح الحاجات، و لم یلق النّاظم دیوان شعره دفعة، و لم یرم الخطیب مجموع خطبه و رسائله ضربة، کما حکی اللّه عنهم: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱». ثمّ بیّن الحکمة فی ذلک بقوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲». (۲: ۱۲۵)

مکاشفات سرّیّة و نفثات روعیّة

اعلم أنّ الفرق بین القرآن المجید و سائر کتب اللّه المنزلة علی الأنبیاء، بأنّ القرآن

---

(۱)- الفرقان/ ۳۱.

(۲)- الفرقان/ ۳۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۳۹

کلام اللّه و کتابه جمیعا و غیره کتاب فقط، و کلام اللّه أشرف من کتابه بوجوه؛

أوّلها: أنّ کلامه تعالی قوله، و کتابه فعله، و القول أقرب من القائل من الکتاب إلی الکاتب، فکلام اللّه أشرف من کتابه.

و ثانیها: أنّ الکلام و القول من عالم الأمر: إِنَّما قَوْلُنا لِشَیْءٍ إِذا أَرَدْناهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ کُنْ فَیَکُونُ «۱».

و الکتاب من عالم الخلق، و عالم الأمر کلّه علوم عقلیّة و حقائق معنویّة بخلاف عالم الخلق؛ لأنّ العلوم و المعانی زائدة فیه علی صحائف مدارکها و ألواح مشاعرها.

و ثالثها: أنّ کلام اللّه نزل علی قلب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سرّه، و کتاب اللّه نزلت صورة ألفاظها علی ألواح و قراطیس.

و رابعها: أنّ تلقّی الکلام و تعلّمه بأن یتجلّی حقیقته و تنوّر معناه علی قلب من یشاء من عباده؛ لقوله تعالی: ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۲»، و من علّمه اللّه تعالی القرآن بهذا التّعلیم کان علیه من اللّه فضلا عظیما، کما قال لحبیبه بعد تعلیمه: وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً «۳»، فتلقّیه صلّی اللّه علیه و آله بالقرآن من حیث هو قرآن بأن یتخلّق به؛ إذ کان القرآن خلقه، کما هو المرویّ عن بعض أزواجه حین سئلت عن خلقه صلّی اللّه علیه و آله فإنّ اللّه یقول: وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ «۴»، قالت: کان خلقه القرآن «۵». و أمّا تلقّی الکتاب و تعلّمه فبالدّراسة و القراءة و التّلاوة، فالأنبیاء: یتدارسون الکتب؛ لقوله تعالی: مِنْ کُتُبٍ یَدْرُسُونَها «۶».

و خامسها: أنّ تنزیل القرآن علی قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و مکاشفة أسراره منه و تجلّی أنواره له أمر بینه و بین اللّه لا یطّلع علیه ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل، و أمّا إنزال الکتب علی سائر

---

(۱)- النّحل/ ۴۰.

(۲)- الشّوری/ ۵۲.

(۳)- النّساء/ ۱۱۳.

(۴)- القلم/ ۴.

(۵)- المسند: ۶: ۱۹ و ۱۶۳ عن عائشة.

(۶)- سبأ/ ۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۰

الأنبیاء فهی ممّا یقرأها کلّ قارئ.

و سادسها: أنّ سائر الکتب یستوی فی هداها الأنبیاء و الأمم؛ لقوله فی هذه الآیة:

وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ «۱»، و قوله: هُدیً لِلنَّاسِ «۲». و أمّا القرآن من حیث هو کلام فالرّسول صلّی اللّه علیه و آله مخصوص بالهدایة به عند تجلّی أنواره فی التّنزیل علی قلب الرّسول، کما قال: وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۳»، و قال: وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ «۴»، أی خصّصک بهداه و علمه.

و سابعها: أنّ الکتب المنزلة علیهم کانت تصرّف فیهم بأن یکون الکتاب مع أحدهم نورا من اللّه یجیء به إلی قومه؛ لیکون هدی لهم، کما قال: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْکِتابَ الَّذِی جاءَ بِهِ مُوسی نُوراً وَ هُدیً «۵». و أمّا تنزیل القرآن علی قلب الخاتم صلّی اللّه علیه و آله فکان تصرّفه فیه بأن جعله نورا من اللّه، یجیء ذلک النّور إلی الأمّة و معه القرآن، کما قال تعالی: قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ «۶» و هو محمّد صلّی اللّه علیه و آله وَ کِتابٌ مُبِینٌ «۷». فشتّان بین نبیّ یجیء و یکون هو بذاته نورا و معه کتاب، و بین نبیّ یجیء و معه نور من الکتاب.

و ثامنها: قد فرّق اللّه بین ما شرّف النّبیّ الخاتم صلّی اللّه علیه و آله بإنزال الکلام علی قلبه، و بین ما شرّفوا به من إنزال الکتاب، فقال تعالی تشریفا لموسی علیه السّلام: وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَةً «۸». و قال تعالی تشریفا لنبیّنا صلّی اللّه علیه و آله: فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی «۹»، أنظر و تدبّر کیف قال: أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ «۱۰»، فشتّان بین نبیّ تشرّف بکتابة

---

(۱)- السّجدة/ ۲۳.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الشّوری/ ۵۲.

(۴)– النّساء/ ۱۱۳.

(۵)– الأنعام/ ۹۱.

(۶)– المائدة/ ۱۵.

(۷)– المائدة/ ۱۵.

(۸)– الأعراف/ ۱۴۵.

(۹)– النّجم/ ۱۰.

(۱۰)– المجادلة/ ۲۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۱

الموعظة له فی الألواح، و بین نبیّ تشرّف أمّته بکتابة الإیمان لهم فی قلوبهم.

و تاسعها: أنّ من خصائص إنزال القرآن بما هو کلام اللّه أنّه متی نزل علی قلب أحد صار خاشعا متصدّعا من خشیة اللّه؛ لقوله سبحانه: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلی جَبَلٍ لَرَأَیْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْیَةِ اللَّهِ «۱». و لمّا نزل علی قلب الرّسول صار قلبه خاشعا خاضعا من خشیة اللّه، حتّی قال کما هو المرویّ عنه: «أنا أعلمکم باللّه و أخشاکم منه» «۲». و أمّا إنزال الکتب فلیس من لوازمه الخضوع و الخشوع و التّخلّق بأخلاق اللّه، و لذا قیل: لو کانت التّوراة أنزلت علی قلب موسی علیه السّلام لا فی الألواح، لعلّه ما ألقی الألواح فی حال الغضب، و ما احتاج إلی صحبة خضر علیه السّلام؛ لتعلّمه العلم، کما حکی اللّه تعالی عنه بقوله: هَلْ أَتَّبِعُکَ عَلی أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً* قالَ إِنَّکَ لَنْ تَسْتَطِیعَ مَعِیَ صَبْراً «۳». (۶: ۱۲۳– ۱۲۵)

و نصّه أیضا فی «تفسیر سورة الواقعة»

لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ الواقعة/ ۷۹

إنّ القرآن کالإنسان المنقسم إلی سرّ و علن، و لکلّ منهما ظهر و بطن، و لبطنه بطن آخر– إلی أن یعلمه اللّه– و لعلنه علانیة أخری إلی أن یدرکه الحواسّ و أهلها. أمّا ظاهر علنه فهو المصحف المحسوس الملموس و الرّقم المنقوش الممسوس. و أمّا باطن علنه فهو ما یدرکه الحسّ الباطن و یستثبته القرّاء و الحفّاظ فی خزانة محفوظاتهم کالخیال و نحوه.

و الحسّ الباطن لا یدرک المعنی صرفا، بل خلطا مع عوارض جسمانیّة، إلّا أنّه یستثبته بعد زوال المحسوس، فإنّ التّخیّل و الوهم أیضا کالحسّ لا یحضران فی الباطن المعنی الصّرف کالإنسانیّة المطلقة، بل نحو ما یدرکه الحسّ من خارج مخلوطا بزوائد و غواش من کمّ و کیف و وضع و أین. فإذا حاول أحدهما أن یتمثّل له الصّورة المقیّدة بالعلائق المأخوذة

---

(۱)– الحشر/ ۲۱.

(۲)– البخاریّ ۸: ۳۱، المسند ۲: ۴۵ و ۱۸۱ و فیهما «لأنا أعلمهم باللّه عزّ و جلّ و أشدّهم له خشیة».

(۳)– الکهف/ ۶۶ و ۶۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۲

عن أیدی الحواسّ، و أنّ فارق المحسوس بخلاف الحسّ، فإنّه لا یمکنه ذلک. فهاتان المرتبتان من القرآن أوّلیّتان دنیویّتان ممّا یدرکه کلّ إنسان.

و أمّا باطنه و سرّه فهما مرتبتان أخرویّتان لکلّ منهما درجات؛ فالأولی: ممّا یدرکه الرّوح الإنسانیّة الّتی یتمکّن من تصوّر المعنی بحدّه

و حقيقته، منفوضا عنه اللّواحق القريبة مأخوذا من المبادئ الفعّالة، من حيث يشترك فيه الكثرة، و يجتمع عنده الأعداد فى الوحدة، و يضمحلّ فيه التّخالف و التّضاد، و يتصالح عليه الآحاد.

و مثل هذا الأمر لا يدركه الرّوح الإنسانيّة ما لم يتجرّد عن مقام الخلق، و لم ينفض عنها الحواسّ، و لم يرتق إلى مقام الأمر متّصلة بالملإ الأعلى؛ إذ ليس من شأن المعقول من حيث هو معقول أن يحسّ، كما ليس من شأن المحسوس من حيث هو محسوس أن يعقل.

و لن يستتمّ الإدراك العقلىّ بآلة جسمانيّة، فإنّ المتصوّر فيها مخصوص مقيّد بوضع و مكان و زمان، و الحقيقة الجامعة العقليّة لا يتقرّر فى منقسم مشار إليه بالحسّ، بل الرّوح الإنسانيّة يتلقّى المعقولات بجوهر عقلىّ من حيّز عالم الأمر، ليس بمتحيّز فى جسم و لا متمكّن فى حسّ، و لا داخل فى وهم. ثمّ لمّا كان الحسّ تصرّفه فيما هو من عالم الخلق، و العقل تصرّفه فيما هو من عالم الأمر، فما هو فوق الخلق و الأمر فهو محتجب عن الحسّ و العقل جميعا. و لا شكّ أنّ كلام اللّه من حيث هو كلامه قبل نزوله إلى عالم الامر- و هو اللّوح المحفوظ- و قبل نزوله إلى عالم السّماء- و هو لوح المحو و الإثبات و عالم الخلق- له مرتبة فوق مرتبة الخلق و الأمر جميعا، فلا يتلقّاه و لا يدركه أحد من الأنبياء إلّا فى مقام الوحدة الإلهيّة عند تجرّده عن الكونين- الدّنيا و الآخرة- و عروجه و خرقه العالمين- الخلق و الامر-، كما قال أفضل الأنبياء: «لى مع اللّه وقت لا يسعنى فيه ملك مقرّب، و لا نبىّ مرسل».

فإذا تقرّر هذا فثبت أنّ للقرآن منازل و مراتب، كما للإنسان درجات و معارج، فلا بدّ لمسّ القرآن فى كلّ مرتبة و درجة من طهارة و تجرّد عن بعض العلائق.

فالضّمير فى لا يَمَسُّهُ إن كان عائدا إلى المصحف الّذى بأيدى النّاس، و يدركه جمهور أرباب الحواسّ فلا يجوز لغير المتطهّر من الأحداث و الأنجاس- كالجنابة

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۴۳

و الحيض و النّفاس- مسّ كتابته أو مسّ المصحف، كما هو عند البعض، و روى عن محمّد بن علىّ الباقر عليهما السّلام، و عطاء و طاوس و سالم، و هو مذهب الشّافعىّ و مالك. و لا لغير المتطهّر من نجاسة كفر القالب بالإقرار بالشّهادتين، تلاوته و حفظ ألفاظه، فيكون لا يَمَسُّهُ خبرا بمعنى النّهى.

و إن كان عائدا إلى كِتابٍ مَكْنُونٍ، و جعلت الجملة الفعليّة صفة له فالمعنى لا يمسّ اللّوح المحفوظ و لا يحمله بما فيه إلّا المجرّدون عن جلباب البشريّة من الإنسان، و الملائكة الّذين وصفوا بالطّهارة من آثام الأجرام كجبرئيل حامل التّنزيل فى مقام التّفصيل.

و إن كان عائدا إلى القرآن الكريم من حيث يحمله القلم الأعلى فى مقام الإجمال، حتّى تكون الجملة الاسميّة صفة له، و الفعليّة صفة أخرى بعد صفة، و هما جميعا صفتان له بعد صفة الكرامة، فيكون المعنى لا يمسّه إلّا المطهّرون عن نقائص الإمكان و إحداث الحدثان، و هم أعاظم الأنبياء المرسلين و أكابر الملائكة المقرّبين.

و بالجملة للقرآن درجات كما مرّ، و كذلك للإنسان بحسبها، و لكلّ درجة من درجاته حملة يحملونه و حفظة يحفظونه، و لا يمسّونه إلّا بعد طهارتهم عن حدثهم و حدوثهم و تقدّسهم عن شواغل مكانهم و إمكانهم، و أدنى المنازل فى القرآن ما فى الجلد و الغلاف- كما أنّ أدون الدّرجات للإنسان هو ما فى الجلد و البشرة- و يجب أن لا يحمله الإنسان البشرىّ إلّا بعد تطهير بشرته و غلافه من النّجاسة. و هذا كما ورد «أنّ الإيمان ليس بابا واحدا، بل هو نيف و سبعون بابا، أعلاها شهادة أن لا إله إلّا اللّه، و أدناها إماطة الأذى عن الطّريق».

و مثاله قول القائل: ليس الإنسان موجودا واحدا، بل هو نيّف و سبعون موجودا، أعلاها الرّوح، و أدناها إماطة الأذى عن البشرة، بأن يكون مقصوص الشّارب، مقلوم الأظفار، نقىّ البشرة عن الأخباث، حتّى يتميّز عن البهائم المرسلة الملوّثة بأوراثها المستكرهة الصّور بطول مخالبها و أظلافها، فعلم من هذا أنّ الإنسان و مراتبه مثال مطابق للإيمان و مراتبه، و كذا حكم القرآن، و سيأتيك زيادة كشف

و بيان.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۴۴

تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ الواقعة/ ۸۰

هذه صفة رابعة للقرآن، أى منزّل من عند ربّ العالمين إلى أهل هذا العالم، و إنّما وصف بالمصدر لأنّه من حيث هذا الوجود الكونىّ نزل منجّما بحسب الدّواعى الكونيّة و المصالح الخلقيّة فى الأوقات المعيّنة، فكأنّه فى نفسه تنزيل؛ لتعالى البارئ القيّوم عن وصف التّغيّر و التّجدّد و كثرة الدّواعى و الإرادات.

و أمّا كيفيّة هذا التّنزيل فنقول فى بيانها: إنّ الذّات الأحديّة بحقيقته الصّمدانيّة ممّا لا سبيل لأحد إلى إدراكه- سواء كان من الملائكة أو من الأناس- و غاية السّبيل إليه لأهل الكونين إدراك أفعاله و آثاره، و كلامه و كتابه عندنا من جملة أفعاله و آثاره، إلّا أنّ أحدهما- و هو الكلام- من عالم أمره، بل هو الأمر كلّه؛ لقوله تعالى: إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ «۱»، و أمره منزّه عن التّجدّد و التّضاد؛ لقوله: وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ «۲».

و ثانيهما- و هو الكتاب- من عالم خلقه، بل هو عالم خلقه؛ لاشتماله على التّجدّد و التّضاد، لقوله تعالى: لا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إِلَّا فِي كِتابٍ مُبِينٍ «۳».

و لكلّ منهما منازل و مراتب، و كلّ واحدة من مراتب الكلام قضاء و كلّ واحدة من مراتب الكتاب قدر، و أعلى مراتب القضاء «قضاء محض» ليس فوقه قضاء، و هو الكلام الإلهىّ المبدع له بالحقيقة، و أدنى مراتب القدر «قدر محض» لا قدر تحته، و هو الكتاب الكونىّ الّذى فيه كتابة أعمال أهل الشّمال.

و كما أنّ كلام اللّه مشتمل على الآيات، و هى آيات اللّه الكبرى الواقعة فى المواقف العقليّة المثاليّة، تِلْكَ آياتُ اللَّهِ نَتْلُوها عَلَيْكَ بِالْحَقِ «۴»، و كذلك كتابه المبين مشتمل على آيات- و هى الآفاق و الأنفس- تِلْكَ آياتُ الْكِتابِ الْمُبِينِ «۵». و كلّ كلام إذا نزل

---

(۱)- يس/ ۸۲.

(۲)- القمر/ ۵۰.

(۳)- الأنعام/ ۵۹.

(۴)- البقرة/ ۲۵۲.

(۵)- يونس/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۴۵

و تشخّص يصير كتابا، كما أنّ الأمر إذا نزل صار فعلا كُنْ فَيَكُونُ «۱». فالكتاب نائب الكلام، و أصل الكلام إنّما يراد لتصوير ما يتضمّنه باطن المتكلّم فى باطن المخاطب فيصير مثله، فإذا عجز المخاطب عن مسّ باطن المتكلّم مسّ الخاتم للشّمعة؛ ليجعله مثل نفسه فى نقشه و رقشه اتّخذ بين الباطنين سفيرا من الظّاهرين، إمّا رسولا هوائيّا متكلّما به، أو رسالة سطحيّة ناطقة بما فيها. فإنّ الهواء بتموّجه الصّوتىّ على هيئاته الحرفيّة كتاب بالقياس إلى ما فوقه و هو نفس المتكلّم، و هو بعينه كلام بالقياس إلى ما تحته، و هو صحيفة الرّسالة أو بسيط الصّماخ بهيئاتها الكتابيّة.

فعلى هذا كلّ واحدة من الذّوات المفارقة و الملائكة العقليّة الّتى هى علوم إبداعيّة و صور مجرّدة، كلام اللّه باعتبار، و قلمه باعتبار. و كلّ واحد من الجواهر العقليّة و الملائكة المدبّرة كتاب اللّه باعتبار، و لوحه باعتبار. و كذا الألواح القدريّة و الصّحائف السّماويّة كلّ منها كتاب مشتمل على آيات الرّبوبيّة و دلائل القدرة، و هكذا صحيفة الأكوان و طومار حوادث الزّمان و دفتر الصّور الجسمانيّة كتاب

فیه آیات اللّیل و النّهار الّتی ینشر بعضها و ینطوی بعض آخر و یظهر و یکمن، کما قال: إِنَّ فِی اخْتِلافِ اللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ ما خَلَقَ اللَّهُ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ لَآیاتٍ لِقَوْمٍ یَتَّقُونَ «۲».

فعالم الکلام و القول فیه آیات أمریّهٔ عقلیّهٔ علمیّهٔ، و عالم الکتاب و الفعل فیه آیات خلقیّهٔ کونیّهٔ عملیّهٔ، لیطالع الإنسان أوّلا بمشاعر نفسه و بدنه هذه الآیات الفعلیّهٔ الکتابیّهٔ الآفاقیّهٔ و الأنفسیّهٔ ثمّ یترقّی بها ذاته من مقام الحسّ و النّفس إلی مقام القلب و الرّوح، فیسمع و یفهم تلک الآیات القولیّهٔ الکلامیّهٔ حتّی یعرف بها الحقّ الأوّل، کما قال:

سَنُرِیهِمْ آیاتِنا فِی الْآفاقِ وَ فِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُ «۳».

فإذا علمت الفرق بین الکلام و الکتاب فاعلم: أنّ هذا القرآن کلام اللّه و کتابه جمیعا، و هو بما هو کلام اللّه نور من أنوار اللّه المعنویّهٔ نازل من لدنه و منزله الأوّل قلب من یشاء

---

(۱)- یس/ ۸۲.

(۲)- یونس/ ۶.

(۳)- فصّلت/ ۵۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۶

من عباده المحبوبین؛ لقوله: وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۱»، و قوله مخاطبا لحبیبه: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ «۲»، و قوله: بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ «۳». و هو بما هو کتاب نقوش و أرقام، فیها آیات أحکام نازلهٔ من السّماء نجوما علی صحائف قلوب المحبّین و ألواح نفوس السّالکین، و غیرهم یکتبونها بأیدیهم فی صحائفهم و ألواحهم، بحیث یقرأها کلّ قارئ، و یعمل بأحکامها کلّ عامل، و یتساوی فی هداها الأنبیاء و الأمم، کما فی قوله: وَ أَنْزَلَ التَّوْراهَٔ وَ الْإِنْجِیلَ* مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنَّاسِ «۴»، و قوله: وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراهُٔ فِیها حُکْمُ اللَّهِ «۵».

و أمّا القرآن الکریم ففیه عظائم علم اللّه، کان یتعلّم به نبیّ اللّه؛ لقوله تعالی: وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً «۶».

و فیه عظائم أخلاق اللّه أن یتخلّق به خاتم الأنبیاء؛ بقوله: وَ إِنَّکَ لَعَلی خُلُقٍ عَظِیمٍ «۷».

فإذا تقرّر هذه المقدّمات و تبیّنت فنقول فی کیفیّهٔ تنزیل الکلام و إنزال الکتب: إنّ الرّوح الإنسانیّ کمرآهٔ مجلوّهٔ، إذا صقلت بصقالهٔ العقل النّظریّ، و زالت عنها غشاوهٔ الطّبیعهٔ و رین المعصیهٔ، فحینئذ لاح لها نور المعرفهٔ و الإیمان، و هو المسمّی عند أئمّهٔ الحکمهٔ بالعقل بالفعل، و بهذا النّور یتراءی فیها حقائق الملکوت و خبایا الجبروت، کما یتراءی الأشباح المثالیّهٔ فی المرایا الصّیقلیّهٔ، إذا لم تفسد صقالتها بطبع و رین؛ لقوله:

وَ طُبِعَ عَلی قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا یَفْقَهُونَ «۸»، کَلَّا بَلْ رانَ عَلی قُلُوبِهِمْ ما کانُوا یَکْسِبُونَ «۹».

---

(۱)- الشّوری/ ۵۲.

(۲)- الشّعراء/ ۱۹۳.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۵.

(۴)- آل عمران/ ۳ و ۴.

(۵)- المائدهٔ/ ۴۳.

(۶)- النّساء/ ۱۱۳.

(۷)- القلم/ ۴.

(۸)- التّوبة/ ۸۷.

(۹)- المطّففین/ ۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۷

فإذا أعرضت عن البدن و الاشتغال بما تحتها من الشّهوة و الغضب و الحسّ و التّخیّل، و توجّهت و ولّت بوجهها تلقاء عالم الملکوت الأعلی اتّصلت بالسّعادة القصوی، و رأت عجائب الملکوت و آیات اللّه الکبری، کما فی قوله: لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری «۱».

ثمّ إنّ هذا الرّوح إذا کانت قدسیّة شدیدة القوی، قویّة الإنارة لما تحتها لا یشغلها جهة فوقها عن جهة تحتها، فیفی للجانبین و تضبط للطّرفین، لا- یستغرقها لغایة قوّتها و شدّة تمکّنها حسّها الباطن عن حسّها الظّاهر، و لیست کالأرواح العامیّة الضّعیفة، إذا مالت إلی الجانب الباطن غابت عن الجانب الظّاهر، و إذا رجعت إلی مطالعة الظّاهر غابت عن مطالعة الباطن، و إذا حضرت فی شهود نشأة احتجبت عن النّشأة الأخری، بل إذا رکنت إلی مشعر من المشاعر ذهلت عن الآخر، و کذلک فی القوی العملیّة، إذا اشتغلت بما تورده قوّة تعطّلت عمّا تورده قوّة أخری، و کذلک البصر منها یخلّ بالسّمع، و الخوف یشغلها عن الشّهوة، و الشّهوة تصدّها عن الغضب، و الفکر یعطّلها عن الفعل، و الذّکر یصرفها عن الفکر.

و الرّوح القدسیّة لا یشغلها شأن عن شأن، و لا یحجبها نشأة عن نشأة. فإذا توجّهت إلی الأفق الأعلی و تلقّت المعارف بلا تعلیم بشریّ من اللّه، أو من ملائکة اللّه یتعدّی تأثیرها إلی قواها، و یتمثّل صورة ما شاهدها فی روحها البشریّ، و منها إلی أجسام العالم، فیذعن لها طبیعة الخلق الأکبر، و قواها من النّفوس الجزئیّة، کما یذعن للملائکة الأقربین لاتّصالها بهم، فیکون حکمها حکمهم عند اتّصالها بالأفق النّور الإلهیّ.

و الملائکة القلمیّة ذوات حقیقیّة، و لها ذوات مضافة إلی ما دونها تنشأ منها الملائکة اللّوحیّة، و أمّا ذواتها الحقیقیّة فهی أمریّة کلامیّة قضائیّة، و ذواتها الإضافیة النّفسیّة فهی خلقیّة کتابیّة قدریّة.

و إنّما تلاقی الصّنف الأوّل للملائکة من القوی البشریّة الرّوح القدسیّة فی الیقظة، فإذا اتّصلت الرّوح النّبویّة بعالمهم- عالم الوحی الإلهیّ- یسمع کلام اللّه، و هو إعلام الحقائق بالمکالمة الحقیقیّة بینها و بینه؛ لکونها فی مقام القرب و مقعد الصّدق. و الوحی هو

---

(۱)- النّجم/ ۱۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۸

الکلام الحقیقیّ الإلهیّ کما مرّ. فکذلک یعاشر تلک الملائکة، و یخاطبهم، و یسمع صریر أقلامهم، کما حکاه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله عن نفسه «۱».

ثمّ إذا نزل إلی ساحة الملکوت السّماویّ یتمثّل له صورة ما شاهدها فی لوح نفسه الواقعة فی عالم الأرواح، ثمّ یتعدّی منه الأثر إلی الظّاهر، و حینئذ یقع للحواسّ الظّاهر شبه نوم و دهش؛ لما علمت أنّ الرّوح القدسیّ لضبطه الجانبین یستعمل المشاعر الحسّیة و یشغلها فی سبیل معرفة اللّه و إطاعة الحقّ. فإذا خاطبه اللّه خطابا بلا حجاب من الخلق بواسطة الملک أو بدونه و اطّلع علی آیات ربّه، و انطبع فی فصّ نفسه النّاطقة نقش الملکوت و صورة اللّاهوت، و کان یتشبّح له مثال من الوحی و حامله إلی الحسّ الباطن فینجذب قوة الحسّ الظّاهر إلی فوق، و یتمثّل لها صورة الملک بحسب ما یحتملها، فیری ملکا علی غیر صورته الّتی کانت فی عالم الأمر، بل علی صورته الخلقیّة القدریّة، و یسمع کلامه بعد ما کان وحیا، أو یری لوحا بیده مکتوبا، فیکون الموحی إلیه یتّصل بالملک بباطنه و روحه، و یتلقّی بروحه القدسیّة منه المعارف الإلهیّة، و یشاهد آیات اللّه، و یسمع کلام اللّه الحقیقیّ العقلیّ من الملک الّذی هو الرّوح الأعظم، ثمّ یتمثّل له الملک بصورة محسوسة، و کلامه بصورة أصوات و حروف منظومة مسموعة، و فعله و کتابه بصورة أرقام و

نقوش مبصرة، فیکون کلّ من الوحی و الملک تتأدّی إلی مشاعره و قواه المدرکة من وجهین، و یعرض للقوی الحسّیّة شبه الدّهش، و للموحی إلیه شبه الغشی، ثمّ یری و یسمع و یقع الإنباء.

فهذا معنی تنزیل الکلام و إنزال الکتاب من ربّ العالمین، و علم منه وجه ما قیل: إنّ الرّوح القدسیّة یخاطب الملائکة فی الیقظة و الرّوح النّبویّة یعاشرها فی النّوم، و لکن یجب أن یفرّق بین نوم الأنبیاء و نوم غیرهم، فإنّ نومهم عین الیقظة. (۲۰۸- ۲۱۴)

---

(۱)- البخاریّ: کتاب الصّلاة الباب الأوّل ۱: ۹۸، المسند ۵: ۱۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۴۹

و نصّه أیضا، فی «أسرار الآیات» [النّازل علی الأنبیاء هو الکتاب دون کلام اللّه]

و أعلم أنّ النّازل علی أکثر الأنبیاء:، من اللّه هو الکتاب دون کلام اللّه. و هذا القرآن الّذی أنزل علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله کلام اللّه و کتابه جمیعا باعتبارین، و أمّا سائر الکتب السّماویّة المنزلة علی سائر المرسلین، سلام اللّه علیهم أجمعین، فإنّها لیست بکلام اللّه، بل کتب یدرسونها، و یکتبون بأیدیهم. فهذا المنزل بما هو کلام اللّه نور من أنوار اللّه المعنویّة النّازل من عنده علی قلب من یشاء من عباده المحبوبین وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ «۱»، و قوله: وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۲»، و قوله: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِ «۳»، و قوله: بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ «۴».

و هو بما هو کتاب نقوش و أرقام و صور و ألفاظ، و فیها آیات أحکام نازلة من السّماء نجوما علی صحائف قلوب المحبّین و ألواح نفوس الطّالبین. و غیرهم یکتبونها فی صحائفهم و ألواحهم الحسّیّة، بحیث یتلوها کلّ تال و یقرأها کلّ قارئ، و یتکلّم بها کلّ متکلّم، و بها یهتدون و بما فیها یعملون، و یتساوی فی هدیها النّاس العوامّ و الخواصّ و الأنبیاء و الأمم، کقوله: هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۵»، و قوله: وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ* مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنَّاسِ «۶»، و قوله: وَ عِنْدَهُمُ التَّوْراةُ فِیها حُکْمُ اللَّهِ «۷».

---

(۱)- النّمل/ ۶.

(۲)- الشّوری/ ۵۲.

(۳)- آل عمران/ ۳.

(۴)- الإسراء/ ۱۰۵.

(۵)- البقرة/ ۱۸۵.

(۶)- آل عمران/ ۳ و ۴.

(۷)- المائدة/ ۴۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۵۰

قاعدة فی وجوه الفرق بین إنزال کلام اللّه علی قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بین إنزال الکتب السّماویّة و تنزیلها إلی سائر الأنبیاء علیهم السّلام.

قوله تعالی: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ «۱»، أی نزّل علی قلبک حقائق القرآن و أنواره متجلّیة بسرّک، لا صورة ألفاظ مسموعة أو مکتوبة علی ألواح زمرّدیة مقروءة لکلّ قارئ.

دلیل ذلک قوله تعالی: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ «۲» یعنی نزل بالحقیقة لا بالتّصویر و الحکایة. و قوله: ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۳» یعنی ما کنت تکتسب بالدّرایة و الفهم صورة ما فی الکتب العلمیّة، و

لست تتعلّم الإیمان من معلّم غیر اللّه، و لکن جعل اللّه قلبک نورا عقلیّا تتنوّر به حقائق الأشیاء، و یهتدی بها إلی ملکوت الأرض و السّماء. و قوله: وَ ما کُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ کِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِیَمِینِکَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ* بَلْ هُوَ آیاتٌ بَیِّناتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ «۴». و قد وقعت الإشارة إلی أنّ تعلیم القرآن من قبل اللّه بأن یتجلّی بنور الحکمة الّذی هو حقیقة الکلام، و نور الإیمان علی قلب من کان من عباده الکرام و أحبّائه العظام. و بالجملة، القرآن خلق النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله کما مرّ، و سائر الکتب لیست کذلک. و بالجملة من علمه اللّه القرآن بهذا التّعلیم، کان علیه من اللّه فضلا عظیما، کما قال لحبیبه صلّی اللّه علیه و آله:

وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً «۵».

بل نقول: التّعلیم علی ثلاثة أقسام: تعلیم بشریّ، و تعلیم ملکیّ، و تعلیم إلهیّ.

و الأوّل، کما لسائر النّاس، و الثّانی، کما لسائر الرّسل علیهم السّلام، کان یمثّل لهم الملک و یعلّمهم الکتاب، و الثّالث، کما لخواصّ الأنبیاء و عظماء الأولیاء عند عروجهم المعنویّ إلی اللّه.

---

(۱)- آل عمران/ ۳.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۵.

(۳)- الشّوری/ ۵۲.

(۴)- العنکبوت/ ۴۸ و ۴۹.

(۵)- النّساء/ ۱۱۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۵۱

و إلی هذه الاقسام الثّلاثة أشار بقوله تعالی: وَ ما کانَ لِبَشَرٍ أَنْ یُکَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْیاً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ یُرْسِلَ رَسُولًا «۱». فالأوّل هو التّعلیم الإلهیّ، و الثّانی هو الملکیّ، و الثّالث هو البشریّ، فافهم إن کنت من أهله. و لا یفهم هذه الرّموز إلّا من خرج طائر روحه الأمریّ من قالبه البشریّ و نفسه، فإنّه منطق الطّیر، و أنت بعد بیضة محبوسة فی القشر الصّوریّ، لست من السّیارین فی أرض الملکوت و لا من الطّیّارین فی جوّ الجبروت.

وجه آخر من الفرق، أنّه قال تعالی: وَ آتَیْنا مُوسَی الْکِتابَ وَ جَعَلْناهُ هُدیً لِبَنِی إِسْرائِیلَ «۲». و قال: وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ* مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنَّاسِ «۳»، و قال فی حقّ القرآن: ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ «۴». و الفرق ظاهر بین کتاب فیه هدی للنّاس و یستوون فی هداه الأنبیاء و الأمم، و بین کتاب فیه هدی الأنبیاء و المتّقین من هذه الأمّة المخصوصین بالعنایة، کما قال: وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۵».

وجه آخر، قال: وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَةً «۶»، و قال فی حقّ القرآن:

فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی «۷»، و قال: یا أَیُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَکُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّکُمْ وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکُمْ نُوراً مُبِیناً «۸».

و الفرق عظیم بین الکتابة و الوحی و کذا بین الموعظة و البرهان ثمّ إنّه جعل اللّه تشریف سائر الأنبیاء: مثل تشریف هذه الأمّة المرحومة لمحمّد صلّی اللّه علیه و آله، حیث قال لهذه

---

(۱)- الشّوری/ ۵۱.

(۲)- الإسراء/ ۳.

(۳)- آل عمران/ ۳ و ۴.

(۴)- الشّوری/ ۵۲.

(۵)- الشّورى/ ۵۲.

(۶)- الأعراف/ ۱۴۵.

(۷)- النّجم/ ۱۰.

(۸)- النّساء/ ۱۷۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۵۲

الأمّة: أُولئِکَ کَتَبَ فِی قُلُوبِهِمُ الْإِیمانَ «۱»، فشتّان بین نبیّ تشرّف بکتابهٔ الموعظهٔ له فی الألواح، و بین نبیّ تشرّف أمّته بکتابهٔ الإیمان لهم فی قلوبهم.

وجه آخر: القرآن تنزّل علی قلب الرّسول، و سائر الکتب نازلهٔ علی صدر الأنبیاء، و فرق بین تعلّمهم الکتاب و بین تعلّم نبیّنا الکتاب، فکانوا یتدارسون الکتب، و خاتمهم صلّی اللّه علیه و آله کان متخلّقا بالقرآن.

وجه آخر فی الفرق بین ما أفاد له صلّی اللّه علیه و آله: تنزیل الکلام، و بین ما أفاد لهم علیهم السّلام إنزال الکتب، فإن أفاد الإنزال لهم الحکمهٔ، فقد أفاد له صلّی اللّه علیه و آله أن أوتی جوامع الکلم، و به فضّل علی الأنبیاء: و بخمسهٔ أمور أخری، لقوله صلّی اللّه علیه و آله: «فضّلت علی الأنبیاء بستّ» و کذا تحقّق الفرق بین تصرّف تنزیل الکلام علی قلبه و تصرّف الإنزال علیهم، فإن کان إنزال الکتب تصرّف فیهم بأن کان الکتاب مع أحدهم نورا من اللّه یجیء به إلی أمّته لیکون هدی لهم، کما قال تعالی: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْکِتابَ الَّذِی جاءَ بِهِ مُوسی نُوراً وَ هُدیً لِلنَّاسِ «۲»، فإنّ تصرّف تنزیل القرآن علی قلبه جعله نورا من اللّه یجیء إلی الأمّهٔ و معه الکتاب لقوله: قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ «۳» و هو محمّد صلّی اللّه علیه و آله و کتاب مبین، فشتّان بین نبیّ یجیء و یکون هو بذاته نورا و معه کتاب، و بین نبیّ یجیء و یکون معه نور من الکتاب.

هذا و قد انکشف علیک من تضاعیف ما ذکرناه لک أنّ الکلام غیر الکتاب و إنّ الحکمهٔ و النّور و القرآن و الکلام الإلهیّ یجری مجری الألفاظ المترادفهٔ فی لسان هذا الکتاب، و إنّها جمیعا عبارهٔ عن مرتبهٔ العقل البسیط الّذی فیه حقایق الأشیاء مجملهٔ، و إنّ الکتاب عبارهٔ عن مقام نفسیّ فیه صور العلوم التّفصیلیّهٔ و نسبهٔ الأوّل إلی الثّانی کنسبهٔ الکیمیا إلی الدّنانیر و کنسبهٔ البذر إلی الشّجرهٔ، بل کنسبهٔ المبدإ الفعّال إلی مجعولاته.

---

(۱)- المجادلهٔ/ ۲۲.

(۲)- الأنعام/ ۹۱.

(۳)- المائدهٔ/ ۱۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۵۳

قاعدهٔ فی تحقیق کلامه تعالی اعتقادنا فی الکلام أنّه لیس کما زعمته الأشاعرهٔ، من أنّه معان نفسیّهٔ قائمهٔ بذاته تعالی، و سمّوها الکلام النّفسیّ، و لا- کما ذهب إلیه المعتزلهٔ، من أنّه خلق أصوات و حروف دالّهٔ علی المعانی فی جسم من الأجسام، و إلّا لکان کلّ کلام کلام اللّه، و هو باطل.

و لا یکفی تقییده علی قصد إعلام الغیر من قبل اللّه، أو علی قصد الإلقاء من عنده، و لو أرید بغیر واسطهٔ فهو غیر ممکن، و إلّا لم یکن أصواتا و حروفا، بل حقیقهٔ التّکلّم إنشاء کلمات تامّات، و إنزال آیات محکمات، و أخر متشابهات فی کسوهٔ الألفاظ و العبارات.

و الکلام- قرآن، و هو العقل البسیط و العلم الإجمالیّ، و فرقان، و هو المعقولات التّفصیلیّهٔ، و هما جمیعا غیر الکتاب؛ لأنّهما من عالم الأمر و عالم القضاء، و مظهرهما و حاملهما القلم و اللّوح المحفوظ. و الکتاب من عالم الخلق و التّقدیر، و محلّه عالم القدر الذّهنیّ و القدر العینیّ، و الأوّلان غیر قابلین للنّسخ و التّبدیل؛ لأنّهما فوق الزّمان و المکان، بخلاف الکتاب؛ لأنّه موجود زمانیّ، و محلّه لوح

قدریّ نفسانیّ، هو لوح المحو و الإثبات، أو موادّ خارجیّ، و کلاهما متغیّران. و الکتاب یدرکه کلّ أحد، و القرآن لا یمسّه إلّا المطهّرون من أدناس البشریّة.

و ربّما یقال الکتاب للفرقان، فإنّه بالنّسبة إلی القرآن کتاب منزل، أو باعتبار أنّه منزل أیضا فی صورة مکتوبة فی لوح القدر، بل الّذی بین أظهرنا کلام منزل من عند ربّ العالمین، منزل الأوّل: القلم الرّبانیّ، و الثّانی: اللّوح المحفوظ، و الثّالث: لوح القدر و سماء الدّنیا، و الرّابع: لسان جبرئیل تلقّاه الرّسول الأمین صلّی اللّه علیه و آله فی جمیع المقامات، تارة أخذه من اللّه بلا واسطة ملک، کما قال: ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّی* فَکانَ قابَ قَوْسَیْنِ أَوْ أَدْنی* فَأَوْحی إِلی عَبْدِهِ ما أَوْحی* ما کَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأی* أَ فَتُمارُونَهُ عَلی ما یَری «۱».

و تارة بواسطة جبرئیل وَ ما یَنْطِقُ عَنِ الْهَوی* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْیٌ یُوحی* عَلَّمَهُ شَدِیدُ الْقُوی ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوی* وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلی «۲».

---

(۱)- النّجم/ ۸- ۱۲.

(۲)- النّجم/ ۳- ۷.

و تارة فی مقام غیر ذلک المقام الشّامخ الإلهیّ وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهی* عِنْدَها جَنَّةُ الْمَأْوی* إِذْ یَغْشَی السِّدْرَةَ ما یَغْشی* ما زاغَ الْبَصَرُ وَ ما طَغی* لَقَدْ رَأی مِنْ آیاتِ رَبِّهِ الْکُبْری «۱».

و تارة کان یسمع کلام اللّه فی هذا العالم الحسّیّ وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ* بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ* وَ إِنَّهُ لَفِی زُبُرِ الْأَوَّلِینَ «۲». و من هذا المقام ما کان فی أوّل البعثة فی جبل حراء، أو فی جبل فاران، فأتاه جبرئیل علیه السّلام بصورة محسوسة و سمع منه اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ «۳»، کما سمع موسی کلامه تعالی النّازل فی طور سینا إِذْ رَأی ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْکُثُوا إِنِّی آنَسْتُ ناراً لَعَلِّی آتِیکُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَی النَّارِ هُدیً* فَلَمَّا أَتاها نُودِیَ یا مُوسی* إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَیْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُویً* وَ أَنَا اخْتَرْتُکَ فَاسْتَمِعْ لِما یُوحی* إِنَّنِی أَنَا اللَّهُ لا إِلهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِی «۴». و من منازل کلام اللّه تعالی ما یدوّن فی الکتب و القراطیس، یبدو لکلّ أحد، و یتکلّم به کلّ متکلّم، و یقرأه کلّ قارئ، و یسمعه کلّ مستمع، کما فی قوله تعالی:

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ اسْتَجارَکَ فَأَجِرْهُ حَتَّی یَسْمَعَ کَلامَ اللَّهِ «۵». ثمّ قد اختصّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله من بین سائر الأنبیاء علیهم السّلام بتلقّی الوحی و الکتاب، بأن جاوز مقامات الأنبیاء کلّها، و جاوز منازلهم کلّهم، فی السّماوات السّبع دون البلوغ إلی مقام الأفق الأعلی أو أدنی.

(۱۶- ۲۰)

---

(۱)- النّجم/ ۱۳- ۱۸.

(۲)- الشّعراء/ ۱۹۲- ۱۹۶.

(۳)- العلق/ ۱- ۵.

(۴)- طه/ ۱۰- ۱۴.

(۵)- التّوبة/ ۶.

و نصّه أیضا فی «شرح أصول الکافی» [حقیقة إنزال القرآن]

و أمّا قوله علیه السّلام: «لقد ختم اللّه بکتابکم الکتب، و ختم بنبیّکم الأنبیاء» فوجه ذلک مع ما دلّ علیه من الشّواهد السّمعیة و الآیات القرآنیّة إنّ النّفوس و الغرائز من زمن نزول آدم و ابتداء خلق العالم فی التّرقّی دائما، بحسب قابلیّاتها و استعداداتها و الارتقاء من حضیض النّقص إلی ذروة الکمال، و الارتفاع من مهوی البعد و أرض السّفالة إلی بقاع الرّفعة و سماء القرب من المبدع المتعال.

و ذلک ببعثة الأنبیاء و نزول الملائکة بالکتب و الصّحف المنزلة علیهم من ملکوت السّماء؛ لتعلیم الأمم و هدایتهم، و تخلیصهم عن القیود و التعلّقات، و تکمیل نفوسهم بأنوار العلوم و المعارف و الآیات، و کلّما زادوا فی الاستعداد وصفت أذهانهم بالتّلطیف و التّأدیب استعدّوا و استحقّوا لشریعة جدیدة، و أحکام أخری ناسخة لما سبق من الأحکام، و هکذا إلی أن انتهت الشّرائع و الأدیان إلی شریعة لا- أکمل منها، و دین لا- أتمّ منه و هو الإسلام؛ لقوله تعالی: الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ «۱» الآیة. و بلغت الکتب المنزلة إلی کتاب هو کلام اللّه النّازل بالحقّ علی قلب عبده، کما قال: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِ «۲»، و قال: نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ «۳»، أی نزّل حقائق القرآن و أنوار الکتاب علی قلبک بالحقیقة، متجلّیة بسرّک و روحک، لا صورة ألفاظ مکتوبة علی ألواح أحجار مقروءة کلّ قارئ سریانیّة أو عبرانیّة، و کما قال: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ «۴»، یعنی نزل بالحقیقة لا بالصّورة فقط.

---

(۱)- المائدة/ ۳.

(۲)- آل عمران/ ۳.

(۳)- البقرة/ ۹۷.

(۴)- الإسراء/ ۱۰۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۵۶

ثمّ أخبر عن حقیقة الکتاب الّذی کلام الحقّ بقوله: وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِی بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۱»، إشارة إلی أنّ تعلیم القرآن بأن یتجلّی نور الکلام «۲» الّذی هو حقیقة القرآن علی قلب من یشاء من عباده.

و من علّمه الرّحمن القرآن «۳» بهذا التّعلیم یکون علیه من اللّه فضلا عظیما، کما قال بعد امتنانه علی عباده ببعثة الرّسول، و تعلیمه إیّاهم الکتاب و الحکمة: وَ إِنْ کانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِی ضَلالٍ مُبِینٍ* ذلِکَ فَضْلُ اللَّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ «۴».

کما قال لحبیبه بعد تعلیمه: وَ عَلَّمَکَ ما لَمْ تَکُنْ تَعْلَمُ وَ کانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَیْکَ عَظِیماً «۵».

فمن ذلک الفضل العظیم فی حقّه أن نزّل علی قلبه حقیقة القرآن قبل أن نزّل صورة الکتاب و الکلام علی سمعه، و صورة المتکلّم و هو الملک علی بصره، و قال: وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ* مِنْ قَبْلُ هُدیً لِلنَّاسِ «۶»، یعنی لا- تظنّنّ یا محمّد! أنّ إنزال الکتب الأخری علی الأنبیاء کان کتنزیل القرآن بالحقّ و الحقیقة علی قلبک، فیکاشف عند تجلّی أنواره و حقائق أسراره الّتی بینی و بینک فی مقام أو أدنی؛ حیث لا یطّلع علیه ملک مقرّب و لا نبیّ مرسل.

و إنّما أنزلت الکتب علی الأنبیاء علیهم السّلام بالصّورة علی ظواهرهم مکتوبة فی صحائف و ألواح، یقرأها کلّ قارئ، و یستوی فی هداها الأنبیاء و الأمم؛ لقوله:

---

(۱)- الشّوری/ ۵۲.

(۲)- مرتبة الکلام مرتبة الصّنع، و الصّنع صفة الصّانع، و مرتبة الکتاب مرتبة المصنوع، و المصنوع لا یکون صفة للصّانع، إنّ اللّه لا یوصف بخلقه.

(۳)- فیه قال تعالی: (الرَّحْمنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ* عَلَّمَهُ الْبَیانَ) فإنّ الإنسان الکامل الختمیّ صلّی اللّه علیه و آله خلق و یخلق بالقرآن، و القرآن هو البیان؛ لأنّه بیان کلّ شیء. و فی الآیة النّشر علی ترتیب اللّفّ، فیه سرّ عظیم، فتلطّف لئلّا یفوت عنک سرّ سیرة

كريمة (و ما ترى فى خلق الرّحمن من تفاوت).

(۴)- الجمعة/ ۲ و ۳.

(۵)- النّساء/ ۱۱۳.

(۶)- آل عمران/ ۳ و ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۵۷

هُدىً لِلنَّاسِ عمّهم فيه؛ لأنّ معظم ما فى التّوراة الأحكام الظّاهرة، و كنت مخصوصا بالهداية و أهل بيت نبوّتك عند تجلّى أنوار القرآن على قلبك، فينعكس منه على قلوبهم للقرابة و المناسبة المعنويّة و الصّوريّة دون الصّوريّة فقط، كما قال: وَ لكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا «۱».

ثمّ قال مؤكّدا لمعناه و مؤيدا لفحواه: وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ ... «۲»، سمّاه الفرقان كما سمّاه القرآن كلّ منهما من جهة أخرى، فالقرآن للمقام الجمعىّ و العلم الإجمالىّ، و هو المسمّى عندهم بالعقل النّفسانىّ المنبعث من العقل البسيط انبعاث القدر من القضاء، و القضاء من العناية؛ لأنّ العقل القرآنىّ كلّ الأشياء كما مرّت الإشارة إليه.

و أيضا سمّى القرآن فرقانا؛ لحصول الفرق بين تنزيله على قلب رسول الأمّىّ و بين إنزال الكتب على ظاهر الأنبياء أو نفوسهم، و كذا الفرق متحقّق بين تعلّمه القرآن و بين تعلّمهم الكتب، فإنّهم كانوا يتدارسون الكتب و النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يتخلّق بالقرآن، فإن أفاد لهم الحكمة فقد أفاد له أن أوتى جوامع الكلم، و به فضّل على سائر الأنبياء و بخمس خصال أخرى؛ لقوله: «فضّلت على الأنبياء بستّ» و عدّ من جملتها بقوله: «أوتيت جوامع الكلم»، فإن كانت الكتب يتصرّف فيهم، بأن يكون الكتاب مع أحدهم نورا من اللّه يجىء به إلى قومه ليكون هدى لهم، كما قال تعالى: قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَ هُدىً «۳». (۲: ۴۵۸- ۴۶۰)

---

(۱)- الشّورى/ ۵۲.

(۲)- آل عمران/ ۴.

(۳)- الأنعام/ ۹۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۵۸

الفصل الحادى و الثّلاثون نصّ ملّا صالح المازندرانىّ (م: ۱۰۸۱ ه) فى «شرح جامع الكافىّ، الأصول و الرّوضة»

حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۱- ۳

و المراد بالكتاب المبين القرآن، و باللّيلة المباركة ليلة القدر، و بإنزاله فيها ابتداء إنزاله، أو إنزال كلّه فيها إلى السّماء الدّنيا، ثمّ إنزاله نجوما إلى الأرض. و بالأمر الحكيم الأمر المحكم المشتمل على الحكمة، و بالإرسال إرسال الملائكة فى ليلة القدر ما دامت الدّنيا إلى من يتولّى أمور الخلق، و يحكم بينهم بالعدل. (۵: ۴۰۰)

قوله: «لمّا أمر اللّه تعالى هذه الآيات أن يهبطن إلى الأرض، تعلّقن بالعرش» «۱»، أى توسّلن بعلم اللّه تعالى بما يقع فى دار الغرور و عالم السّرور، أو تعلّقن بالعرش الجسمانىّ الّذى هو مطاف الملائكة المقرّبين، و قد مرّ أنّ القرآن يتصوّر بمثل جسدانىّ و هيكل إنسانىّ، فنسبة التّعلّق إليه صحيحة. و هنا شىء لا بدّ فى توضيحه من تقديم مقدّمة، و هى:

أنّه روى أنّ القرآن نزل جملة واحدة فى أوّل ليلة من شهر رمضان، و أنّه نزل إلى الأرض تدريجا لا جملة واحدة، فقال السّيّد المحقّق ابن طاوس: إنّه نزل جملة واحدة من بعض

(۱)- هذه العبارهٔ و نظائرها الّتی تکون بین القوسین، شطر من روایات الکافی، المنقولهٔ عن الإمام الصّادق (علیه السّلام).

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۵۹

المقامات العالیهٔ بأمر اللّه جلّ شأنه إلی مقام آخر، ثمّ نزل من هذا المقام تدریجا إلی الأرض، فلا منافاهٔ بین نزوله جملهٔ و نزوله تدریجا.

... فنقول: یحتمل أن یراد بهبوط هذه الآیات هبوطها أوّل مرّهٔ، و هو هبوطها فی ضمن الکلّ. و قوله: (إلی الأرض) باعتبار أنّ هذا الهبوط آیل إلی هبوطها إلی الأرض بالآخرهٔ و سبب له فی الجملهٔ، و حینئذ فالظّاهر من قوله: «یتلوکنّ» تلاوهٔ مجموعها من حیث المجموع و ترتّب الجزاء المذکور، أعنی قوله: «نظرت إلیه ...» علی تلاوهٔ المجموع لا- علی تلاوهٔ کلّ واحدهٔ منها، و یحتمل أن یراد بهبوطها هبوطها مرّهٔ ثانیهٔ إلی الأرض، و ظاهر أنّ هذا الهبوط کان تدریجیّا و أنّ هبوط هذه الآیات لم یکن دفعهٔ واحدهٔ، و لم ینقل أحد حینئذ، فالظّاهر أنّ الجزاء المذکور یترتّب علی تلاوهٔ کلّ واحدهٔ علی حدهٔ، إذ الظّاهر حینئذ أنّ زمان تعلّق کلّ واحدهٔ بالعرش غیر زمان تعلّق الأخری به، و کذلک الوحی إلیها بذلک الجزاء غیر الوحی إلی الأخری به، فلیتأمّل. (۱۱: ۴۸)

قوله: «و إنّما أنزل القرآن فی عشرین سنهٔ» الغرض منه بیان طول زمان النّزول لا- تحدید زمانه بحسب الواقع، أو أهمل ذکر الکسر بحسب المتعارف، و إلّا فهو أنزل فی ثلاث و عشرین سنهٔ.

قوله: «و أنزل القرآن فی ثلاث و عشرین من شهر رمضان» هذا مع قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِٔ الْقَدْرِ «۱» دلیل واضح علی أنّ لیلهٔ القدر ثلاث و عشرین من شهر رمضان، و یدلّ علیه روایات أخر. (۱۱: ۶۲)

(۱)- القدر/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۰

الفصل الثّانی و الثّلاثون نصّ الطّریحیّ (م: ۱۰۸۵ ه) فی «مجمع البحرین»

وَ النَّجْمِ إِذا هَوی ... النجم/ ۱

قیل: کان ینزل القرآن علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نجوما، أی نجما نجما، فأقسم اللّه بالنّجم إذا نزل. و قیل: هو قسم فی النّجم إذا هوی، أی سقط فی الغرب. (۶: ۱۷۳)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِٔ الْقَدْرِ القدر/ ۱

قال الشّیخ أبو علی: الهاء کنایهٔ عن القرآن ... [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

فِی لَیْلَهِٔ الْقَدْرِ، أی لیلهٔ الشّرف و الخطر و عظم الشّأن، من قولهم: رجل له قدر عند النّاس، أی منزلهٔ و شرف ...

قیل: سمیّت لیلهٔ القدر لأنّه أنزل فیها کتاب ذو قدر إلی رسول؛ لأجل أنّها ذات قدر، علی یدی ملک ذی قدر.

و قیل: لأنّ اللّه تعالی قدّر فیها إنزال القرآن.

و قیل: سمیّت بذلک لأنّ الأرض تضیق فیها بالملائکهٔ، من قوله: وَ مَنْ قُدِرَ عَلَیْهِ رِزْقُهُ «۱»، و هو منقول عن الخلیل بن أحمد.

(۱)- الطّلاق/ ۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۱

ثمّ قال: و اختلفوا فی تحقیق استمرارها و عدمه، فذهب قوم إلی أنّها إنّما کانت علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثمّ رفعت، و قال آخرون: لم ترفع، بل هی إلی یوم القیامة ... [إلی أن قال]: و جمهور العلماء فی أنّها فی شهر رمضان فی کلّ سنة.

و هذا هو الحقّ، یعلم ذلک من مذهب أهل البیت: بالضّرورة، و لا خلاف بین أصحابنا فی انحصارها فی لیلة تسعة «۱». (۳: ۴۴۸- ۴۴۹)

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ القیامة/ ۱۷- ۱۹

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أی جمعه فی صدرک و إثبات قراءته. فَإِذا قَرَأْناهُ جعل قراءة جبرئیل قراءته. قوله تعالی: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أی فکن مقفیا له فیه، فهو مصدر مضاف إلی المفعول أی قراءتک إیّاه.

قوله تعالی: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی «۲» الإقراء: الأخذ علی القارئ بالاستماع لتقویم الزّلل، و القارئ: التّالی، و أصله الجمع؛ لأنّه یجمع الحروف، أی سنأخذ علیک قراءة القرآن فلا تنسی ذلک. و معناه سیقرأ علیک جبرئیل بأمرنا فتحفظ فلا تنساه، و النّسیان: ذهاب المعنی عن النّفس، و نظیره السّهو، و نقیضه الذّکر، کذا ذکره الشّیخ أبو علیّ. (۱: ۳۳۶)

---

(۱)- هکذا، و لعلّه یرید فی لیلة تسع عشرة.

(۲)- الأعلی/ ۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۲

الفصل الثّالث و الثّلاثون نصّ الفیض الکاشانیّ (م: ۱۰۹۱ ه) فی «تفسیره الصّافیّ»

نبذ ممّا جاء فی زمان نزول القرآن و تحقیق ذلک

[بعد أن حکی روایات عدیدة کما تقدّم عن الکلینیّ، قال:]

أقول: و ذلک لأنّ فی لیلة القدر ینزل کلّ سنة من تبیین القرآن و تفسیره ما یتعلّق بأمور تلک السّنة إلی صاحب الأمر علیه السّلام، فلو لم یکن لیلة القدر لم ینزّل من أحکام القرآن ما لا بدّ منه فی القضایا المتجدّدة، و إنّما لم ینزل ذلک إذا لم یکن من ینزل علیه، و إذا لم یکن من ینزّل علیه لم یکن قرآن؛ لأنّهما متصاحبان، لن یفترقا حتّی یردا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حوضه، کما ورد فی الحدیث المتّفق علیه، و قد مضی معنی تصاحبهما.

و المستفاد من مجموع هذه الأخبار، و خبر إلیاس الّذی أورده فی الکافی فی باب شأن إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱» و تفسیرها من کتاب «الحجّة» أنّ القرآن نزل کلّه جملة واحدة فی لیلة ثلاث و عشرین من شهر رمضان إلی البیت المعمور، و کأنّه أرید به نزول معناه علی قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، کما قال اللّه نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ «۲»، ثمّ نزل فی طول عشرین سنة نجوما من باطن قلبه إلی ظاهر لسانه، کلّما أتاه جبرئیل علیه السّلام بالوحی

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الشّعراء/ ۱۹۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۳

و قرأه علیه بألفاظه، و أنّ معنی إنزال القرآن فی لیلة القدر فی کلّ سنة إلی صاحب الوقت إنزال بیانه بتفصیل مجمله، و تأویل

متشابهه، و تقييد مطلقه، و تفريق محكمه من متشابهه.

و بالجملة تتميم إنزاله بحيث يكون هدى للنّاس و بيّنات من الهدى و الفرقان، كما قال اللّه سبحانه: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، يعنى فى ليلة القدر منه، هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۱»، تتنية لقوله عزّ و جلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ، أى محكم أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ «۲».

فقوله: فِیها یُفْرَقُ، و قوله: وَ الْفُرْقانِ معناهما واحد، فإنّ الفرقان هو المحكم الواجب العمل به، كما مضى فى الحديث. و قد قال تعالى: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، أى حين أنزلناه نجوما، فإذا قرأناه عليك حينئذ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أى جملته ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ «۳» فى ليلة القدر، بإنزال الملائكة و الرّوح فيها عليك و على أهل بيتك من بعدك، بتفريق المحكم من المتشابه، و بتقدير الأشياء، و تبيين أحكام خصوص الوقائع الّتى تصيب الخلق فى تلك السّنة إلى ليلة القدر الآتية.

قال فى «الفقيه» تكامل نزول القرآن ليلة القدر، و كأنّه أراد به ما قلناه. و بهذا التّحقيق حصل التّوفيق بين نزوله تدريجا و دفعة، و استرحنا من تكلّفات المفسّرين. (۱: ۵۶- ۵۷)

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الدّخان/ ۳ و ۴.

(۳)- القيامة/ ۱۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۶۴

الفصل الرّابع و الثّلاثون نصّ البحرانىّ (م: ۱۱۰۷ ه) فى تفسيره: «البرهان فى تفسير القرآن»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

محمّد بن يعقوب، عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد اللّه بن المغيرة، عن عمرو الشّامىّ، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: «إنّ الشّهور عند اللّه اثنا عشر شهرا فى كتاب اللّه يوم خلق السّماوات و الأرض، فغرّة الشّهور شهر اللّه (عزّ ذكره)، و هو شهر رمضان، و قلب شهر رمضان ليلة القدر، و نزل القرآن فى أوّل ليلة من شهر رمضان، فاستقبل الشّهر بالقرآن».

عنه عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه و علىّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود، عن حفص بن غياث، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام ... [و ذكر كما تقدّم عن الكلينىّ].

عنه عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، بن أبى نصر، عن هشام بن سالم، عن سعد، عن أبى جعفر عليه السّلام، قال: كنّا عنده ثمانية رجال، فذكر رمضان، فقال: «لا تقولوا هذا رمضان و لا ذهب رمضان و لا جاء رمضان، فإنّ رمضان اسم من أسماء اللّه عزّ و جلّ لا يجىء و لا يذهب، و إنّما يجىء و يذهب الزّائل، و لكن قولوا: شهر رمضان، فالشّهر

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۶۵

مضاف إلى الاسم، و الاسم اسم اللّه (عزّ ذكره)، و هو الشّهر الّذى أنزل فيه القرآن جعله مثلا وعيدا».

و عنه عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن سنان و غيره عمّن ذكره، قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن القرآن و الفرقان، أ هما شيئان أو شىء واحد؟ فقال عليه السّلام: «القرآن جملة الكتاب، و الفرقان المحكم الواجب العمل به».

الشّيخ فى التّهذيب بإسناده عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن علىّ، عن أبى بصير، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: «نزلت التّوراة فى ستّ مضين من شهر رمضان، و أنزل الإنجيل فى اثنتى عشرة مضت من شهر رمضان، و نزل الزّبور فى ثمان عشرة

مضت من شهر رمضان، و أنزل القرآن فى ليلة القدر».

العيّاشىّ، عن الحرث البصرىّ، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: قال فى آخر شعبان: «إنّ هذا الشّهر المبارك الّذى أنزلت فيه القرآن، و جعلته هدى للنّاس و بيّنات من الهدى و الفرقان، قد حضر فسلّمنا فيه، و سلّمه لنا، و سلّمه منّا فى يسر منك و عافية».

علىّ بن إبراهيم، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال سألته عن شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ... [و ذكر كما تقدّم عن الفيض الكاشانىّ].

أبو علىّ الطّبرسىّ، قال: روى الثّعلبىّ بإسناده عن أبى ذرّ، عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، قال.

«أنزلت صحف ...» [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ].

و روى علىّ بن إبراهيم فى تفسيره قال: روى عن العالم عليه السّلام أنّه قال: «نزلت صحف إبراهيم عليه السّلام أوّل شهر رمضان و نزلت التّوراة لستّ خلون من شهر رمضان، و نزل الإنجيل لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، و نزل القرآن لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان. (۱: ۱۸۲- ۱۸۳)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً طه/ ۱۱۴.

علىّ بن إبراهيم ... قال: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا نزل عليه القرآن يبدأ بقراءته قبل نزول تمام الآية و المعنى، فأنزل اللّه وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ، أى

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۶۶

يفرغ من قراءته، وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً. (۳: ۴۵)

تَبارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً الفرقان/ ۱

ابن بابويه بإسناده عن يزيد بن سلّام، أنّه سأل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقال له: لم سمّى الفرقان فرقانا؟ قال: «لأنّه متفرّق الآيات و السّور، نزلت فى غير الألواح، و غيره من الصّحف و التّوراة و الإنجيل و الزّبور أنزلت كلّها جملة فى الألواح و الورق».

المفيد فى «الاختصاص» فى حديث عبد اللّه بن سلّام لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، قال: فأخبرنى هل أنزل اللّه عليك كتابا؟ قال: نعم، قال: و أىّ كتاب هو؟ قال: «الفرقان»، قال: و لم سمّاه ربّك فرقانا؟ قال: «لأنّه متفرّق الآيات و السّور، أنزل فى غير الألواح، و غيره من الصّحف و التّوراة و الإنجيل و الزّبور أنزلت كلّها جملة فى الألواح و الأوراق»، قال: صدّقت يا محمّد صلّى اللّه عليه و آله. (۳: ۱۵۵)

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلى/ ۶.

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى، أى نعلّمك فلا تنسى، ثمّ استثنى فقال: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ لأنّه لا يؤمن عليه النّسيان اللّغوىّ و هو التّرك، لأنّ الّذى لا ينسى هو اللّه.

سعد بن عبد اللّه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى و محمّد بن الحسين بن أبى الخطّاب و غيرهما، عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر، عن هشام بن سالم، عن سعد بن ظريف الخفّاف، قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام: ما تقول فيمن أخذ، عنكم علما فنسيه؟ قال: «لا حجّة عليه، إنّما الحجّة على من سمع منّا حديثا فأنكره، أو بلغه فلم يؤمن به فكفر، و أمّا النّسيان فهو موضوع عنكم، إنّ أوّل سورة نزلت على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى «۱» فنسيها، لم يلزمه حجّة فى نسيانه، و لكنّ اللّه تعالى أمضى له ذلك، ثمّ قال: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى. (۴: ۴۵۰)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر / ۱.

---

(۱)- الأعلی / ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۷

عن علیّ بن إبراهیم، عن أبیه، عن ابن أبی عمیر، عن عمرو بن أذینة، عن الفضیل و زرارة و محمّد بن مسلم، عن حمران أنّه سأل أبا جعفر علیه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۱»، قال: «نعم لیلة القدر، و هی فی کلّ سنة فی شهر رمضان فی العشر الأواخر، فلم ینزل القرآن إلّا فی لیلة القدر» ...

عن محمّد بن یحیی، عن محمّد بن أحمد، عن السّیّاریّ، عن بعض أصحابنا، عن داود بن فرقد، قال: حدّثنی یعقوب، قال: سمعت رجلا یسأل أبا عبد اللّه علیه السّلام عن لیلة القدر، فقال: أخبرنی عن لیلة القدر، کانت أو تکون فی کلّ عام؟ فقال أبو عبد اللّه علیه السّلام: لو رفعت لیلة القدر لرفع القرآن». (۴: ۴۸۶)

---

(۱)- الدّخان / ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۸

الفصل الخامس و الثّلاثون نصّ العلّامة المجلسیّ (م: ۱۱۱۱ ه) «۱» فی «بحار الأنوار»

البعثة و تاریخه

ذکر علیّ بن إبراهیم: «و هو من أجلّ رواة أصحابنا» أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لمّا أتی له سبع و ثلاثون سنة کان یری فی نومه کأنّ آتیا أتاه [و ذکر کما سیأتی عنه فی الجزء الثّانی من هذا الکتاب، باب بدء الوحی، رقم الحدیث: ۲]. (۱۸: ۱۸۴)

علیّ، عن أبیه، عن القاسم، عن جدّه الحسن، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام، قال: «لا تدع صیام یوم سبع و عشرین من رجب، فإنّه الیوم الّذی نزلت فیه النّبوّة علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله» «۲».

سهل، عن بعض أصحابنا، عن أبی الحسن الأوّل علیه السّلام، قال: «بعث اللّه عزّ و جلّ محمّدا صلّی اللّه علیه و آله رحمة للعالمین فی سبع و عشرین من رجب ...» «۳».

المفید، عن ابن قولویه، عن محمّد بن الحسن الجوهریّ، عن الأشعریّ، عن البزنطیّ، عن أبان بن عثمان، عن کثیر النّوا، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام: «فی الیوم السّابع و العشرین من رجب نزلت النّبوّة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «۴»».

علیّ بن محمّد رفعه، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: «یوم سبعة و عشرین من رجب نبّئ

---

(۱)- و قیل: ۱۱۱۰.

(۲)- فروع الکافی ۴: ۱۴۸.

(۳)- المصدر السّابق.

(۴)- أمالی ابن الشّیخ: ۲۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۶۹

فیه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله» الحدیث.

فى علل الفضل عن الرّضا عليه السّلام قال: «فإن قال: فلم جعل الصّوم فى شهر رمضان خاصّة دون سائر الشّهور؟ قيل: لأنّ شهر رمضان هو الشّهر الّذى أنزل اللّه تعالى فيه القرآن» إلى قوله عليه السّلام: «و فيه نبّئ محمّد صلّى اللّه عليه و آله». «۱»

هذا الخبر مخالف لسائر الأخبار المستفيضة، و لعلّ المراد به معنى آخر ساوق لنزول القرآن أو غيره من المعانى المجازيّة، أو يكون المراد بالنّبوّة فى سائر الأخبار الرّسالة، و تكون النّبوّة فيه بمعنى نزول الوحى عليه صلّى اللّه عليه و آله فيما يتعلّق بنفسه كما سيأتى تحقيقه، و يمكن حمله على التّقية، فإنّ العامّة قد اختلفوا فى زمان بعثته صلّى اللّه عليه و آله على خمسة أقوال؛

الأوّل: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان.

الثّانى: لثمان عشرة خلت من رمضان.

الثّالث: لأربع و عشرين خلت من شهر رمضان.

الرّابع: للثّانى عشر من ربيع الأوّل.

الخامس: لسبع و عشرين من رجب، و على الأخير اتّفاق الإماميّة. (۱۸: ۱۸۹- ۱۹۰)

قرن إسرافيل برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ثلاث سنين يسمع الصّوت و لا يرى شيئا، ثمّ قرن به جبرئيل عليه السّلام عشرين سنة، و ذلك حيث أوحى إليه فأقام بمكّة عشر سنين، ثمّ هاجر إلى المدينة، فأقام بها عشر سنين، و قبض صلّى اللّه عليه و آله و هو ابن ثلاث و ستّين سنة. «۲» (۱۸: ۲۳۲)

قال المفيد؛ فى سوانح اليوم السّابع و العشرين: و هو يوم المبعث.

روى عن ابن عبّاس و أنس بن مالك أنّهما قالا: أوحى اللّه عزّ و جلّ إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله يوم الاثنين السّابع و العشرين من شهر رجب و له أربعون سنة.

و قال ابن مسعود: إحدى و أربعون سنة.

و قيل بعث فى شهر رمضان، لقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أى ابتدأ إنزاله فى السّابع عشر أو الثّامن عشر انتهى كلام المفيد؛. (۹۸: ۲۰۰)

---

(۱)- عيون أخبار الرّضا (ع): ۲۶۱.

(۲)- الاختصاص: ۱۳۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۰

ابن عبّاس و مجاهد فى قوله: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كما أنزلت التّوراة و الإنجيل، فقال اللّه تعالى: كَذلِكَ متفرّقا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۱» و ذلك أنّه كان يوحى فى كلّ حادثة، و لأنّها نزلت على أنبياء يكتبون و يقرءون و القرآن نزل على نبىّ أمّىّ، و لأنّ فيه ناسخا و منسوخا، و فيه ما هو جواب لمن سأله عن أمور، و فيه ما هو إنكار لما كان، و فيه ما هو حكاية شىء جرى، و لم يزل صلّى اللّه عليه و آله يريهم الآيات و يخبرهم بالمغيبات فنزل: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ «۲» الآية، و معناه لا تعجل بقراءته عليهم حتّى أنزل عليك التّفسير فى أوقاته كما أنزل عليك التّلاوة. (۱۸: ۱۹۹)

أمّا نزول القرآن فى شهر رمضان فيكفى فى البرهان قول اللّه (جلّ جلاله): شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۳».

و إنّما وردت فى الحديث: أنّ نزوله كان فى شهر الصّيام إلى السّماء الدّنيا، ثمّ نزل منها إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كما شاء جلّ جلاله فى الأوقات و الأزمان. (۹۸: ۵)

أقول: فى خبر المفضّل بن عمر الّذى مضى بطوله فى كتاب الغيبة أنّه قال الصّادق عليه السّلام: يا مفضّل إنّ القرآن نزل فى ثلاث و عشرين سنة، و اللّه يقول: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۴» و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ

حَكِيمٍ* أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ «۵» و قال: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۶».

قال المفضّل: يا مولاى فهذا تنزيله الّذى ذكره اللّه فى كتابه، و كيف ظهر الوحى فى ثلاث و عشرين سنهٔ؟ قال: نعم يا مفضّل أعطاه اللّه القرآن فى شهر رمضان و كان لا يبلّغه إلّا فى وقت استحقاق الخطاب، و لا يؤدّيه إلّا فى وقت أمر و نهى فهبط جبرئيل عليه السّلام

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- طه/ ۱۱۵.

(۳)- البقرهٔ/ ۱۸۵.

(۴)- البقرهٔ/ ۱۸۵.

(۵)- الدّخان/ ۳- ۵.

(۶)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۱

بالوحى فبلّغ ما يؤمر به و قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ «۱» فقال المفضّل: أشهد أنّكم من علم اللّه علمتم، و بقدرته قدرتم و بحكمه نطقتم، و بأمره تعملون. (۹۲: ۳۸).

[الرّدّ على ما اعترضه المفيد على قول الصّدوق]

[بعد أن حكى كلام الصّدوق و المفيد، حسب ما تقدّم، قال:] و أقول: أمّا الاعتراض الأوّل الّذى أورده قدس سرّه على الصّدوق رحمه اللّه فغير وارد؛ إذ ثبت بالأخبار المستفيضة أنّ جميع الكتب الّتى أنزلها اللّه تعالى على أنبيائه أثبته فى اللّوح المحفوظ قبل خلق السّماء و الأرض، ثمّ ينزل منها بحسب المصالح فى كلّ وقت و زمان.

و أمّا انطباقها على الوقائع المتأخّرة فلا ينافى ذلك؛ لأنّ اللّه تعالى عالم بما يتكلّمون، و يصدر منهم و يقع بينهم بعد ذلك، فأثبت فى القرآن المثبت فى اللّوح جواب جميع ذلك على وفق علمه الّذى لا يتخلّف، فالمضىّ إنّما يكون بالنّسبهٔ إلى زمان التّبليغ إلى الخلق، فلا استبعاد فى أن ينزل هذا الكتاب جملهٔ على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و يأمره بأن لا يقرأ على الأمّهٔ شيئا منه إلّا بعد أن ينزل كلّ جزء منه فى وقت معيّن يناسب تبليغه، و فى واقعهٔ معيّنهٔ يتعلّق بها.

و أمّا تشبيه صاحب هذا القول بالمشبّههٔ القائلين بقدم كلام اللّه فلا يخفى ما فيه؛ لأنّ صاحب هذا القول لا يقول بقدم القرآن المؤلّف من الحروف، و لا بكونه صفهٔ قديمهٔ للّه، قائمهٔ بذاته تعالى، فأىّ مفسدهٔ تلزم عليه.

و أمّا المشابههٔ فى أنّه يمكن نفى القولين بتلك الآيات ففيه: أنّ نفى هذا المذهب السّخيف أيضا بتلك الآيات لا يتمّ، بل ثبت بطلانه بسائر البراهين الموردهٔ فى محالّها.

و أمّا الاعتراضات الّتى أوردها على تفسير الصّدوق للآيهٔ الكريمهٔ فلعلّها مبنيّهٔ على الغفلهٔ عن مراده، فإنّ الظاهر أنّ الصّدوق؛ أراد بذلك الجمع بين الآيات و الرّوايات، و دفع ما يتوهّم من التّنافى بينها، لأنّه دلّت الآيات على نزول القرآن فى ليلهٔ القدر، و الظّاهر

---

(۱)- القيامهٔ/ ۱۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۲

نزول جميعه فيها، و دلّت الآثار و الأخبار على نزول القرآن فى عشرين أو ثلاث و عشرين سنهٔ، و ورد فى بعض الرّوايات أنّ القرآن نزل فى أوّل ليلهٔ من شهر رمضان، و دلّ بعضها على أنّ ابتداء نزوله فى المبعث، فجمع بينها بأنّ فى ليلهٔ القدر نزل القرآن جملهٔ من

اللّوح إلى السّماء الرّابعة، لينزل من السّماء الرّابعة إلى الأرض بالتّدريج، و نزل فى أوّل ليلة من شهر رمضان جملة القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليعلم هو، لا ليتلوه على النّاس، ثمّ ابتداء نزوله آية آية و سورة سورة فى المبعث أو غيره ليتلوه على النّاس، و هذا الجمع مؤيّد بالأخبار، و يمكن الجمع بوجوه أخر سيأتى تحقيقها فى باب ليلة القدر و غيره.

فقوله رحمه اللّه: إنّ اللّه تعالى أعطى نبيّه صلّى اللّه عليه و آله العلم جملة لا يعنى به أنّه أعطاه بمحض النّزول إلى البيت المعمور ليرد عليه ما أورده، و لا ـ أنّ المراد بالنّزول إلى البيت المعمور أنّه علّمه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و هذا منه؛ غريب، و أمّا اللّوح الّذى ذكره أوّلا أنّه يضرب جبين إسرافيل عليه السّلام فيحتمل أن يكون المراد به اللّوح المحفوظ، و يكون ذلك عند أوّل النّزول إلى البيت المعمور، أو يكون المراد اللّوح الّذى ثبت فيه القرآن فى السّماء الرّابعة، و لعلّه بعد نظر إسرافيل فى اللّوح على الوجهين يجد فيه علامة يعرف بها مقدار ما يلزمه إنزالها، أو يكون لوحا آخر ينقش فيه شيء فشيء عند إرادة الوحى، و لا ينافى انتقاش الأشياء فيه كونه ملكا، كما اعترض عليه المفيد رحمه اللّه، و إن كان بعيدا. (۱۸: ۲۵۳)

و نصّه أيضا فى «الفرائد الطّريفة»

معنى نزول القرآن فى ليلة القدر:

و قد نزل فى ثلاث و عشرين سنة منجّما كما ذكره المفسّرون.

فقيل: المراد ابتداء نزوله.

و قيل: نزول جملته من اللّوح إلى السّفرة.

و قيل: إلى السّماء الدّنيا.

و قيل: كان ينزل مجموع ما ينزل فى السّنة فى ليلة القدر إلى السّفرة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۳

و قال الصّدوق (رحمه اللّه) فى الفقيه: تكامل نزول القرآن فى ليلة القدر «۱».

أقول: و يحتمل نزول جملته على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله ثمّ كان ينزّل بحسب المصالح منجّما.

[ثمّ ذكر رواية حفص بن غياث عن الكلينىّ، كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أقول: هذا الخبر أيضا ممّا يدلّ على كون ليلة القدر ليلة ثلاث و عشرين. (ص: ۷۳)

---

(۱)- من لا يحضره الفقيه ۲: ۹۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۴

الفصل السّادس و الثّلاثون نصّ البروسوىّ (م: ۱۱۳۷ ه) فى تفسيره: «روح البيان»

ما الحكمة فى تعدّد مواطن نزول القرآن؟

إن قلت: ما الحكمة فى تعدّد مواطن نزول القرآن و تكرّر مشاهده؛ مكّيا مدنيّا ليليّا نهاريّا سفريّا حضريّا صيفيّا شتائيّا نوميّا برزخيّا، يعنى بين اللّيل و النّهار، أرضيّا سماويّا غاريّا ما نزل فى الغار، يعنى تحت الأرض، برزخيّا، ما نزل بين مكّة و المدينة، عرشيّا معراجيّا، ما نزل ليلة المعراج آخر سورة البقرة؟

الجواب: الحكمة فى ذلك تشريف مواطن الكون كلّها بنزول الوحى الإلهىّ فيها، و حضور الحضرة المحمّديّة عندها، كما قيل: سرّ

المعراج و الإسراء به، و سير المصطفى فى مواطن الكون كلّها، كأنّ الكون و العرش و الجنان يسأل كلّ موطن بلسان الحال أن يشرّفه اللّه تعالى بقدوم قدم حبيبه، و تكتحل أعين الأعيان و الكبار بغبار نعال قدم سيّد السّادات، و مفخر موجودات الولاة، ما شمّ الكمون رائحة الوجود، و ما بدا من حضرة الكمون لمعة الشّهود، كما ورد بلسان القدس «لو لاك لما خلقت الأفلاك». (۱: ۲۷)

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ ... آل عمران/ ۳

فإن قلت: لم قيل: نزّل الكتاب، و أنزل التّوراة و الإنجيل؟

قلت: لأنّ التنزيل للتّكثير، و القرآن نزل منجّما، و نزل الكتابان جملة، و ذكر فى آخر

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۵

الآية الإنزال و أراد به من اللّوح المحفوظ إلى سماء الدّنيا جملة فى ليلة القدر فى شهر رمضان، و المراد هنا هو تنزيله إلى الأرض، ففى القرآن جهة الإنزال و التّنزيل. (۲: ۳) نصوص فى علوم القرآن ۲۷۵ و قال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة الفرقان/ ۳۱ ..... ص : ۲۷۵

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۱

فلو لا: تحضيضية بمعنى «هلّا»، و التّنزيل هنا مجرّد عن معنى التّدريج بمعنى أنزل، كخبّر بمعنى أخبر؛ لئلّا يناقض قوله: جُمْلَةً واحِدَةً، أى دفعة واحدة كالكتب الثّلاثة، أى التّوراة و الإنجيل و الزّبور، حال من القرآن؛ إذ هى فى معنى مجتمعا، و هذا اعتراض حيرة و بهت لا طائل تحته؛ لأنّ الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو مفرّقا، و قد تحدّوا بسورة واحدة فعجزوا عن ذلك حتّى أخلدوا إلى بذل المهج و الأموال دون الإتيان بها، مع أنّ للتّفريق فوائد؛

منها: ما أشار إليه بقوله: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، و «ذلك» إشارة إلى ما يفهم من كلامهم، أى مثل ذلك التّنزيل المفرّق الّذى قدحوا فيه نزّلناه لا- تنزيلا- مغايرا له؛ لنقوّى بذلك التّنزيل المفرّق فُؤادَكَ، أى قلبك، فإنّ فيه تيسيرا لحفظ النّظم، و فهم المعنى، و ضبط الأحكام و العمل بها.

أ لا ترى أنّ التّوراة أنزلت دفعة فشقّ العمل على بنى إسرائيل، و لأنّه كلّما نزل عليه وحى جديد فى كلّ أمر و حادثة ازداد هو قوّة قلب و بصيرة.

و بالجملة، إنزال القرآن منجّما فضيلة خصّ بها نبيّنا عليه السّلام من بين سائر النّبيّين، فإنّ المقصود من إنزاله أن يتخلّق قلبه المنير بخلق القرآن و يتقوّى بنوره، و يتغذّى بحقائقه و علومه.

و هذه الفوائد إنّما تكمل بإنزاله مفرّقا، أ لا يرى أنّ الماء لو نزّل من السّماء جملة واحدة؛ لما كانت تربية الزّروع به مثلها، إذا نزل مفرّقا إلى أن يستوى الزّرع. (۶: ۲۰۸)

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ الشّعراء/ ۱۹۲

و اعلم أنّ القرآن كلام اللّه و صفته القائمة به، فكساه الألفاظ بالحروف العربيّة، و نزله

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۷۶

على جبرئيل، و جعله أمينا عليه؛ لئلا يتصرّف فى حقائقه، ثمّ نزل به جبرئيل كما هو على قلب محمّد عليه السّلام كما قال: عَلى قَلْبِكَ، أى تلاه عليك يا محمّد حتّى وعيته بقلبك.

فخصّ القلب بالذّکر لأنّه محلّ الوعی و التّثبیت، و معدن الوحی و الإلهام، و لیس شیء فی وجود الإنسان یلیق بالخطاب و الفیض غیره، و هو علیه السّلام مختصّ بهذه الرّتبة العلیّة و الکرامة السّنیّة من بین سائر الأنبیاء، فإنّ کتبهم منزلة فی الألواح و الصّحائف جملة واحدة علی صورتهم لا علی قلوبهم، کما فی التّأویلات النّجمیة.

قال فی کشف الأسرار: الوحی إذا نزل بالمصطفی ... [و ذکر کما تقدّم عن المیبدیّ].

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ ...، ثمّ إذا انقطع ذاک، کان یقول: فینفصم عنّی و قد وعیته.

و فی «الفتاوی الزّینبیّة»: سئل عن السّیّد جبریل، کم نزل علی النّبیّ علیه السّلام؟ أجاب: نزل علیه أربعة و عشرین ألف مرّة علی المشهور، انتهی. و فی «مشکاة الأنوار»: نزل علیه سبعة و عشرین ألف مرّة، و علی سائر الأنبیاء لم ینزل أکثر من ثلاثة آلاف مرّة. (۶: ۳۰۶)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ الدّخان/ ۳

(إِنَّا أَنْزَلْناهُ) أی الکتاب المبین الّذی هو القرآن، و هو جواب القسم. (فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ) هی لیلة القدر، فإنّه تعالی أنزل القرآن فی لیلة القدر من شهر رمضان من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا دفعة واحدة، و أملاه جبریل علی السّفرة، ثمّ کان ینزّله علی النّبیّ علیه السّلام نجوما، أی متفرّقا فی ثلاث و عشرین سنة.

و الظّاهر أنّ ابتداء تنزیله إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله أیضا کان فی لیلة القدر؛ لأنّ لیلة القدر فی الحقیقة لیلة افتتاح الوصلة، و لا بدّ فی الوصلة من الکلام و الخطاب. و الحکمة فی نزوله لیلا أنّ اللّیل زمان المناجاة، و مهبط النّفحات، و مشهد التّنزّلات، و مظهر التّجلّیات، و مورد الکرامات، و محلّ الأسرار إلی حضرة الکبریاء. و فی اللّیل فراغ القلوب بذکر حضرة المحبوب، فهو أطیب من النّهار عند المقرّبین و الأبرار. و وصف اللّیلة بالبرکة لما أنّ نزول القرآن مستتبع للمنافع الدّینیّة و الدّنیویّة بأجمعها، أو لما فیها من تنزّل الملائکة و الرّحمة و إجابة الدّعوة و نحوها، و إلّا فأجزاء الزّمان متشابهة بحسب ذواتها و صفاتها، فیمتنع أن

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۷۷

یتمیّز بعض أجزائه عن بعض بمزید القدر و الشّرف لنفس ذواتها، و علی هذا فقس شرف الأمکنة، فإنّه لعارض فی ذاتها. (۸: ۴۰۱)

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹

لا تُحَرِّکْ بِهِ، أی بالقرآن لِسانَکَ ما دام جبریل یقرأ و یلقی علیک لِتَعْجَلَ بِهِ، أی بأخذه، أی لتأخذه علی عجلة مخافة أن یتفلّت. إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ فی صدرک بحکم الوعد، بحیث لا یخفی علیک شیء من معانیه. وَ قُرْآنَهُ بتقدیر المضاف، أی إثبات قراءته فی لسانک بحیث تقرأه متی شئت. فالقرآن مصدر بمعنی القراءة، کالغفران بمعنی المغفرة، مضاف إلی مفعوله. و القراءة ضمّ الحروف و الکلمات بعضها إلی بعض فی التّرتیل، و لیس یقال ذلک لکلّ جمع؛ لا یقال: قرأت القوم، إذا جمعتهم. فَإِذا قَرَأْناهُ، أی أتممنا قراءته علیک بلسان جبریل، و إسناد القراءة إلی نون العظمة للمبالغة فی إیجاب التّأنّی.

فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أی فاشرع فیه بعد فراغ جبریل منه بلا مهلة. و قال ابن عبّاس رضی اللّه عنه: فإذا جمعناه و أثبتناه فی صدرک فاعمل به. و قال الواسطیّ رحمه اللّه: جمعه فی السّرّ و قراءته فی العلانیّة. ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ، أی بیان ما أشکل علیک من معانیه و أحکامه، و سمّی ما یشرح المجمل و المبهم من الکلام بیانا لکشفه عن المعنی المقصود إظهاره. و فی ثُمَ دلیل علی أنّه یجوز تأخیر البیان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحاجة إلی العمل؛ لأنّه تکلیف بما لا یطاق. قال أهل التّفسیر: کان علیه السّلام إذا لقّن الوحی نازع جبریل القراءة، و لم یصبر إلی أن یتمّها؛ مسارعة إلی الحفظ و خوفا من أن یفلت منه، فأمر بأن یستنصت له ملقیا إلیه قلبه و سمعه حتّی یقض

إليه الوحی، كما قال تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «۱»، ثمّ يقضيه بالدّراسة إلی أن يرسخ فيه. و عن بعض العارفين أنّه قال: فيه إشارة إلی صحّة الأخذ عن اللّه بواسطة، كأنّه تعالی يقول: خذه عن جبريل كأنّك ما علمته إلّا منه، و لا تسابق بما عندك منّا من غير واسطة. و أكابر المحقّقين يسمّون هذه الجهة الّتی هی عدم الوسائط بالوجه الخاصّ، و الفلاسفة ينكرون هذا الوجه، و يقولون:

---

(۱)- طه/ ۱۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۷۸

لا ارتباط بين الحقّ و الموجودات إلّا من جهة الأسباب و الوسائط، فليس عندهم أن يقول الإنسان: أخبرنی ربّی، أی بلا واسطة، و هم مخطئون فی هذا الحكم، فإنّه لمّا كان ارتباط كلّ ممكن بالحقّ من حيث الممكن من جهتين: جهة الوحدة و جهة الكثرة، وجب أن تكون جهة الوحدة بلا واسطة و هو الوجه الخاصّ، و جهة الكثرة بواسطة و هو الوجه العامّ.

و لمّا كان نبيّنا عليه السّلام أكمل الخلق فی جهة الوحدة؛ لكون أحكام كثرته و إمكانه مستهلكة بالكلّيّة فی وحدة الحقّ و أحكام وجوبه، كان يأخذ عن اللّه بلا واسطة، أی من الوجه الخاصّ، و كان ينطبع فی قلبه ما يريد الحقّ أن يخبره به، فإذا جاءه الكلام من جهة الوسائط، أی من الوجه العامّ بصور الألفاظ و العبارات الّتی استدعتها أحوال المخاطبين كأن يبادر إليه بالنّطق به؛ لعلمه بمعناه بسبب تلقّيه إيّاه من حيث اللّاواسطة، لينفّس عن نفسه ما يجده من الكربة و الشّدّة الّتی يلقاها مزاجه من التّنزّل الرّوحانیّ، فإنّ الطّبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثّابتة بين المزاج و بين الرّوح الملكیّ. فعرف الحقّ نبيّنا عليه السّلام أنّ القرآن و إن أخذته عنّا من حيث معناه بلا واسطة فإنّ إنزالنا إيّاه مرّة أخری من جهة الوسائط يتضمّن فوائد زائدة منّا مراعاة إفهام المخاطبين به؛ لأنّ الخلق المخاطبين بالقرآن حكم ارتباطهم بالحقّ إنّما هو من جهة سلسلة التّرتيب و الوسائط كما هو الظّاهر بالنّسبة إلی أكثرهم، فلا يفهمون عن اللّه إلّا من تلك الجهة. و منها معرفتك اكتساء تلك المعانی العبارة الكاملة، و تستجلی فی مظاهرها من الحروف و الكلمات، فتجمع بين كمالاته الباطنة و الظّاهرة، فيتجلّی بها روحانيّتك و جسمانيّتك، ثمّ يتعدّی الأمر منك إلی امّتك، فيأخذ كلّ منهم حصّته منه علما و عملا.

ففی قوله تعالی: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ الخ: تعليم و تأديب، أمّا التّعليم فما أشير إليه من أنّ باب جهة الوحدة مسدود علی أكثر النّاس، فلا يفهمون عن اللّه إلّا من الجهة المناسبة لحالهم، و هی جهة الوسائط و الكثرة الإمكانيّة. و أمّا التّأديب فإنّه لمّا كان الآتی بالوحی من اللّه جبريل فمتی بودر بذكر ما أتی به كان كالتّعجيل له و إظهار الاستغناء عنه، و هذا خلل فی الأدب بلا شكّ، سيّما مع المعلّم المرشد.

و من هذا التّقرير عرف أنّ قوله تعالی: لا تُحَرِّكْ بِهِ الخ واقع فی البين بطريق

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۷۹

الاستطراد، فإنّه لمّا كان من شأنه عليه السّلام الاستعجال عند نزول كلّ وحی علی ما سبق من الوجه، و لم ينه عنه إلی أن أوحی إليه هذه السّورة من أوّلها إلی قوله: وَ لَوْ أَلْقى مَعاذِيرَهُ «۱» و عجل فی ذلك كسائر المرّات نهی عنه بقوله: لا تُحَرِّكْ الخ ثمّ عاد الكلام إلی تكملة ما ابتدئ به من خطاب النّاس. و نظيره ما لو ألقی المدرّس علی الطّالب مسألة، و تشاغل الطّالب بشیء لا يليق بمجلس الدّرس، فقال: ألق إلیّ بالك و تفهّم ما أقول، ثمّ كمّل المسألة. يقول الفقير (أيّده اللّه القدير): لاح لی فی سرّ المناسبة وجه لطيف أيضا، و هو أنّ اللّه تعالی بيّن قبل قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ الخ جمع العظام و متفرّقات العناصر الّتی هی أركان ظاهر الوجود، ثمّ انتقل إلی جمع القرآن و أجزائه الّتی هی أساس باطن الوجود، فقال بعد قوله: أَ يَحْسَبُ الْإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ «۲»، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ «۳»، فاجتمع الجمع بالجمع، و الحمد للّه تعالی ...

و فی التّأویلات النّجمیّة: اعلم أنّ کلّ ما استعدّ لإطلاق الشّیئیة علیه فله ملک و ملکوت؛ لقوله تعالی: بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ «۴» و القرآن أشرف الأشیاء و أکملها، فله أیضا ملک و ملکوت. فأمّا ملکه فهو الأحکام و الشّرائع الظّاهرة الّتی تتعلّق بمصالح الأمّة من العبادات المالیّة و البدنیّة و الجنایات و الوصایات و أمثالها. و أمّا ملکوته فهو الأسرار الإلهیّة و الحقائق اللّاهوتیّة الّتی تتعلّق ببواطن خواصّ الأمّة و أخصّ الخواصّ، بل بخلاصة أخصّ الخواصّ من المکاشفات و المشاهدات السّریّة و المعاینات الرّوحیة، و لکلّ واحد من الملک و الملکوت مدرکات یدرک بها لا غیر؛ لأنّ الوجدانیّات و الذّوقیّات لا تسعها ألسنة العبارات، لأنّها منقطع الإشارات. فقوله لا تُحَرِّكْ الخ یشیر إلی عدم تعبیره بلسان الظّاهر عن أسرار الباطن و الحقائق الآبیة عن تصرّف العبارات فیها بالتّعبیر عنها، و أنّ مظهره الجامع جامع بین ملک القرآن و ملکوته، و هو علیه السّلام یتبع بظاهره ملکه

---

(۱)- القیامة/ ۱۵.

(۲)- القیامة/ ۳.

(۳)- القیامة/ ۱۷.

(۴)- المؤمنون/ ۸۸.

و بباطنه ملکوته. نسأل اللّه سبحانه أن یجعلنا من المتّبعین للقرآن فی کلّ زمان.

(۱۰: ۲۴۷- ۲۴۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

النّون للعظمة، أو للدّلالة علی الذّات مع الصّفات و الأسماء، و الضّمیر للقرآن؛ لأنّ شهرته تقوم مقام تصریحه باسمه و إرجاع الضّمیر إلیه، فکأنّه حاضر فی جمیع الأذهان، و عظّمه بأن أسند إنزاله إلی جنابه، مع أنّ نزوله إنّما یکون بواسطة الملک، و هو جبرائیل علی طریقة القصر بتقدیم الفاعل المعنویّ، إلّا أنّه اکتفی بذکر الأصل عن ذکر التّبع. قال فی بعض التّفاسیر: إِنَّا أَنْزَلْناهُ مبتدأ أو خبر فی الأصل، بمعنی نحن أنزلناه فأدخل «إنّ» للتّحقیق، فاختیر اتّصال الضّمیر للتّخفیف. و معنی صیغة الماضی إنّا حکمنا بإنزاله فی لیلة القدر، و قضینا به و قدّرناه فی الأزل.

ثمّ إنّ الإنزال یستعمل فی الدّفعیّ، و القرآن لم ینزّل جملة واحدة بل أنزل منجّما مفرّقا فی ثلاث و عشرین سنة، و هذه السّورة من جملة ما أنزل. و جوابه: أنّ المراد أنّ جبرائیل نزل به جملة واحدة فی لیلة القدر من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، و أملاه علی السّفرة، أی الملائکة الکاتبین فی تلک السّماء، ثمّ کان ینزّل علی النّبیّ علیه السّلام منجّما علی حسب المصالح.

و کان ابتداء تنزیله أیضا فی تلک اللّیلة. و فیه إشارة إلی أنّ بیت العزّة أشرف المقامات السّماویّة بعد اللّوح المحفوظ؛ لنزول القرآن منه إلیه، و لذلک قیل: بفضل السّماء الأولی علی أخواتها؛ لأنّها مقرّ الوحی الرّبانیّ. و قیل: لشرف المکان بالمکین، و کلّ منهما وجه، فإنّ السّلطان إنّما ینزل علی أنزه مکان، و لو فرضنا نزوله علی مسبخة لکفی نزوله هناک شرفا لها، فالمکان الشّریف یزداد شرفا بالمکین الشّریف کما سبق فی سورة البلد.

ففی نزول القرآن بالتّدریج إشارة إلی تعظیم الجناب المحمّدیّ، کما تدخل الهدایا شیئا بعد شیء علی أیدی الخدّام تعظیما للمهدی إلیه بعد التّسویة بینه و بین موسی علیهما السّلام بإنزاله جملة إلی بیت العزّة. و فی التّدریج أیضا تسهیل للحفظ و تثبیت لفؤاده کما قال تعالی:

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ «۱».

و کلام اللّه المنزل قسمان: القرآن و الخبر القدسیّ ... [و ذکر کما تقدّم عن السّیوطی، ثمّ قال:]

و من الأسرار معنی، فکیف یقوم لفظ الغیر و معناه مقام حرف القرآن، ثمّ إنّ اللّوح المحفوظ قلب هذا التّعیین، و لکن قلب الإنسان ألطف منه؛ لأنّه زبدته و أشرفه، لأنّ القرآن نزل به الرّوح الأمین علی قلب النّبیّ المختار.

و هنا سؤال و هو: أنّ الملائکة بأسرهم صعقوا لیلة نزول القرآن من حضرة اللّوح المحفوظ إلی حضرة بیت العزّة، فما وجهه؟

و الجواب: أنّ محمّدا صلّی اللّه علیه و سلم عندهم من أشراط القیامة، و القرآن کتابه، فنزوله دلّ علی قیام السّاعة، فصعقوا هیبة منه و إجلالا لکلامه، و حضرة وعده و وعیده.

و فی بعض الأخبار: أنّ اللّه تعالی إذا تکلّم بالرّحمة تکلّم بالفارسیّة، و المراد بالفارسیّة لسان غیر العرب سریانیّا کان أو عبرانیّا، و إذا تکلّم بالعذاب تکلّم بالعربیّة، فلمّا سمعوا العربیّة المحمّدیّة ظنّوا أنّه عقاب، فصعقوا، و سیأتی معنی القدر. ثمّ القرآن کلامه القدیم أنزله فی شهر رمضان کما قال تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۲» و هذا هو البیان الأوّل، و لم ندر نهارا أنزل فیه أم لیلا؟ فقال تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۳»، و هذا هو البیان الثّانی، و لم ندر أیّ لیلة هی؟ فقال تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ فهذا هو البیان الثّالث الّذی هو غایة البیان.

فالصّحیح أنّ اللّیلة الّتی فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ «۴» و ینسخ فیها أمر السّنة و تدبیر الأحکام إلی مثلها هی لیلة القدر، و لتقدیر الأمور فیها سمّیت لیلة القدر. و یشهد التّنزیل لما ذکرنا؛ إذ فی أوّل الآیة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ ثمّ وصفها فقال فیها: یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ.

---

(۱)- الفرقان/ ۳۱.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الدّخان/ ۳.

(۴)- الدّخان/ ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۸۲

و القرآن إنّما نزل فی لیلة القدر، فکانت هذه الآیة بهذا الوصف فی هذه اللّیلة مواطئة لقوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ. کذا فی قوّت القلوب للشّیخ أبی طالب المکّیّ قدّس سرّه.

فإن قلت: ما الحکمة فی إنزال القرآن لیلا؟ قلت: لأنّ أکثر الکرامات و نزول النّفحات و الإسراء إلی السّماوات یکون باللّیل، و اللّیل من الجنّة؛ لأنّها محلّ الاستراحة، و النّهار من النّار؛ لأنّ فیه المعاش و التّعب، و النّهار حظّ اللّباس و الفراق، و اللّیل حظّ الفراش و الوصال.

و عبادة اللّیل أفضل من عبادة النّهار؛ لأنّ قلب الإنسان فیه أجمع، و المقصود هو حضور القلب، قال بعض العارفین: اعمل التّوحید فی النّهار، و الاسم فی اللّیل، حتّی تکون جامعا بین الطّریقتین: الجلوتیّة (بالجیم) و الخلوتیّة، و یکون التّوحید و الاسم جناحین لک.

(۱۰: ۴۷۹- ۴۸۰)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۸۳

الفصل السّابع و الثّلاثون نصّ شبّر (م: ۱۲۴۲ ه) فی تفسیره: «الجوهر الثّمین»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

الَّذِی أَنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ جملهٔ واحدهٔ إلی البیت المعمور، ثمّ نزل فی طول عشرین سنهٔ، أو ابتدأ نزوله فیه، أو أنزل فی شأنه، أو نزل بیانه و تأویله فی لیلهٔ القدر. (۱: ۱۸۷)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ طه / ۱۱۴

القمّیّ: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم إذا نزل علیه القرآن بادر بقراءته قبل نزول الآیهٔ أی قبل تمامها حرصا علیه.
أقول: فالمعنی لا تعجل بقراءته قبل أن یفرغ جبرئیل من إبلاغه. قیل: لا تعجل فی تبلیغ ما کان مجملا قبل أن یأتیک بیانه. (۴: ۱۷۵)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً ... الفرقان / ۳۲

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا هلّا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ أی أنزل بقرینهٔ جُمْلَهً واحِدَهً مجتمعا کالکتب الثّلاثهٔ، و هی شبههٔ واهیهٔ، إذ إعجازه لا یختلف بنزوله جملهٔ و مفرّقا مع أنّ من حکم التّفریق ما أفاده قوله تعالی: کَذلِکَ نزل مفرّقا. قوله تعالی:
نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۸۴
لِنُثَبِّتَ بِهِ لنقوّی بتفریقه فُؤادَکَ علی حفظه و فهمه، و لأنّ نزول نزوله بحسب الحوادث یزیده بصیرهٔ، و لأنّ نزول جبرئیل به حینا بعد حین یقوّی قلبه. و منها اقتضاء النّاسخ و المنسوخ. قوله تعالی: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا نزّلناه شیئا بعد شیء بتمهّل فی نحو عشرین سنهٔ، أو أمرنا بترتیله أی تبیینه و التّأنّی فی قراءته. (۴: ۳۵۶)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ ... الدّخان / ۳

لیلهٔ القدر ابتدئ فیها إنزاله، أو أنزل فیها جملهٔ من اللّوح إلی سماء الدّنیا ثمّ أنزله علی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم نجوما و کانت مبارکهٔ لذلک و لنزول الرّحمهٔ و قسم النّعم و إجابهٔ الدّعاء فیها.
إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ فلذلک أنزلناه
فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ محکم أوذی حکمهٔ من الآجال و الأرزاق و غیرها إلی السّنهٔ القابلهٔ و لذلک أنزل فیها القرآن الحکیم.
و عن الباقر و الصّادق علیهما السّلام أی أنزلنا القرآن، و اللّیلهٔ المبارکهٔ هی: لیلهٔ القدر. و عنهما و عن الکاظم علیهم السّلام «أنزل اللّه القرآن فیها إلی البیت المعمور جملهٔ واحدهٔ، ثمّ نزل من البیت المعمور علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی طول عشرین سنهٔ، فیها یفرق یعنی فی لیلهٔ القدر، کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ أی یقدّر اللّه کلّ أمر من الحقّ و الباطل و ما یکون فی تلک السّنهٔ و له فیه البداء و المشیّهٔ ...» الخبر.
أَمْراً ... مِنْ عِنْدِنا علی مقتضی حکمنا.
قوله تعالی: إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ بدل من إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ أی أنزلنا القرآن لأنّ من شأننا إرسال الرّسل بالکتب إلی عبادنا. (۵: ۴۳۷- ۴۳۸)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ الأعلی / ۶- ۷

سَنُقْرِئُکَ القرآن بقراءهٔ جبرئیل
فَلا تَنْسی ما تقرأه، و هذا إعجاز أیضا لکونه أمّیّا و وقوعه کما أخبر إعجاز آخر.
روی أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان إذا نزل علیه جبرئیل بالوحی یقرأه مخافهٔ أن ینساه فکان لا یفرغ
نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۸۵

جبرئيل من آخر الوحى حتّى يتكلّم هو بأوّله، فلمّا نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئا.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ أن ينساه بنسخ تلاوته، أو أريد به التبرّك. و القمّىّ: أى نعلّمك فلا تنسى إلّا ما شاء اللّه، ثمّ استثنى لأنّه لا يؤمن عليه النّسيان فإنّ الّذى لا ينسى هو اللّه تعالى.

(إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى) ما ظهر من أحوالكم و ما بطن فيعلم ما فيه صلاحكم من نسخ و إبقاء أو جهرك بقراءتك مع جبرئيل و ما فى نفسك من خوف النّسيان فلا تتعب بالجهر فإنّه يكفيك ما تخافه. (۶: ۳۹۶)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۸۶

الفصل الثّامن و الثّلاثون نصّ الآلوسىّ (م: ۱۲۷۰ ه) فى تفسيره: «روح المعانى»

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ الإسراء/ ۱۰۵

و قد أخرج ابن أبى حاتم و ابن الأنبارىّ و غيرهما، عن ابن عبّاس، قال: نزل القرآن ...

إلى السّفرة الكرام ... [و ذكر كما تقدّم عن السّيوطىّ].

و فى رواية أنّه أنزل ليلة القدر فى رمضان، و وضع فى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا، ثمّ أنزل نجوما فى عشرين و فى رواية فى ثلاث و عشرين سنة، و فى أخرى خمس و عشرين، و هذا الاختلاف- على ما فى البحر- مبنىّ على الاختلاف فى سنّه صلّى اللّه عليه و سلم.

و أخرج ابن الضّريس من طريق قتادة، عن الحسن كان يقول: أنزل اللّه القرآن على نبىّ اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى ثمانى عشرة سنة، ثمانى سنين بمكّة، و عشر بعد ما هاجر.

و تعقّبه ابن عطيّة بأنّه قول مختلّ لا يصحّ عن الحسن، و اعتمد جمع أنّ بين أوّله و آخره ثلاثا و عشرين سنة، و كان ينزل به جبريل عليه السّلام على ما قيل خمس آيات خمس آيات.

فقد أخرج البيهقىّ فى «الشّعب» عن عمر ... و أخرج ابن عساكر من طريق أبى نضرة، قال: ... [و ذكر كما تقدّم عن السّيوطىّ، ثمّ قال:]

و كان المراد فى الغالب، فإنّه قد صحّ أنّه نزل بأكثر من ذلك و بأقلّ منه.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۸۷

و قرأ أبىّ و عبد اللّه فرقناه عليك، لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، أى تؤدة و تأنّ، فإنّه أيسر للحفظ و أعون على الفهم، و روى ذلك عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه و قيل: أى تطاول فى المدّة و تقضّيها شيئا فشيئا، و الظّاهر تعلّق لِتَقْرَأَهُ بفرقناه، و عَلَى النَّاسِ بتقرأه، و عَلى مُكْثٍ به أيضا، إلّا أنّ فيه تعلّق حرفى جرّ بمعنى بمتعلّق واحد. و أجيب بأنّ تعلّق الثّانى بعد اعتبار تعلّق الأوّل به فيختلف المتعلّق. و فى البحر: لا يبالى بتعلّق هذين الحرفين بما ذكر لاختلاف معناهما؛ لأنّ الأوّل فى موضع المفعول به و الثّانى فى موضع الحال، أى متمهّلا و ترسّلا. و لما فى ذلك من القيل و القال، اختار بعضهم تعلّقه بفرقناه، و جوّز الخفاجىّ تعلّقه بمحذوف، أى تفريقا أو فرقا عَلى مُكْثٍ أو قراءة عَلى مُكْثٍ منك، كمكث تنزيله.

و جعله أبو البقاء فى موضع الحال من الضّمير المنصوب فى فَرَقْناهُ، أى متمكّنا.

و من العجيب قول الحوفىّ: أنّه بدل من عَلَى النَّاسِ. و قد تعقّبه أبو حيّان بأنّه لا يصحّ؛ لأنّ عَلى مُكْثٍ من صفات القارئ أو من صفات المقروء، و ليس من صفات النّاس ليكون بدلا منهم، و المكث مثلّث الميم، و قرئ بالضّمّ و الفتح، و لم يقرأ بالكسر و هو لغة قليلة، و زعم ابن عطيّة إجماع القرّاء على الضّمّ.

وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا على حسب الحوادث و المصالح، و ذكر هذا بعد قوله تعالى:

فَرَقْناهُ الخ مفيد، و ذلك لأنّ الأوّل دالّ على تدريج نزوله، ليسهل حفظه و فهمه من غير نظر إلى مقتض لذلك، و هذا أخصّ منه، فإنّه

دالّ على تدريجه بحسب الاقتضاء.

(۱۵: ۱۸۸ ۱۸۹)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

حكاية لنوع آخر من أباطيلهم، و المراد بهم المشركون، كما صحّ عن ابن عبّاس، و هم القائلون أوّلا. و التّعبير عنهم بعنوان الكفر لذمّهم به و الإشعار بعلّة الحكم، و قيل:

المراد بهم طائفة من اليهود.

لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ، أى أنزل عليه، كخبّر بمعنى أخبر، فلا قصد فيه إلى التّدريج

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۸۸

لمكان جُمْلَةً واحِدَةً، فإنّه لو قصد ذلك لتدافعا؛ إذ يكون المعنى لو لا فرّق القرآن جملة واحدة، و التّفريق ينافى الجمليّة. و قيل: عبّر بذلك للدّلالة على كثرة المنزل فى نفسه، و نصب جُمْلَةً على الحال، و واحِدَةً على أنّه صفة مؤكّدة له، أى هلّا أنزل القرآن عليه صلّى اللّه عليه و سلم دفعة غير مفرّق كما أنزلت التّوراة و الإنجيل و الزّبور، على ما تدلّ عليه الأحاديث و الآثار، حتّى كاد يكون إجماعا، كما قال السّيوطىّ و ردّ على من أنكر ذلك من فضلاء عصره. فقول ابن الكمال: إنّ التّوراة أنزلت منجّمة فى ثمانى عشرة سنة، و يدلّ عليه نصوص التّوراة، و لا قاطع بخلافه من الكتاب و السّنّة ناشئ من نقصان الاطّلاع.

و هذا الاعتراض ممّا لا طائل تحته؛ لأنّ الإعجاز ممّا لا يختلف بنزوله جملة أو مفرّقا، مع أنّ للتّفريق فوائد، منها ما ذكره اللّه تعالى بعد.

و قيل: إنّ شاهد صحّة القرآن إعجازه و ذلك ببلاغته، و هى بمطابقته لمقتضى الحال فى كلّ جملة منه، و لا يتيسّر ذلك فى نزوله دفعة واحدة، فلا يقاس بسائر الكتب، فإنّ شاهد صحّتها ليس الإعجاز.

و فيه أنّ قوله: و لا يتيسّر الخ ممنوع، فإنّه يجوز أن ينزّل دفعة واحدة مع رعاية المطابقة المذكورة فى كلّ جملة؛ لما يتجدّد من الحوادث الموافقة لها الدّالّة على أحكامها.

و قد صحّ أنّه نزل كذلك إلى السّماء الدّنيا، فلو لم يكن هذا لزم كونه غير معجز فيها، و لا قائل به، بل قد يقال: إنّ هذا أقوى فى إعجازه، و البليغ يفهم من سياق الكلام ما يقتضيه المقام، فافهم.

كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ: استئناف وارد من جهته تعالى؛ لردّ مقالتهم الباطلة، و بيان بعض الحكم فى تنزيله تدريجا، و محلّ الكاف نصب على أنّها صفة لمصدر مؤكّد لمضمر معلّل بما بعده، و جوّز نصبها على الحاليّة، و كَذلِكَ: إشارة إلى ما يفهم من كلامهم، أى تنزيلا مثل ذلك التّنزيل الّذى قدحوا فيه و اقترحوا خلافه، نزّلناه لا تنزيلا مغايرا له، أو نزّلناه مماثلا لذلك التّنزيل؛ لنقوّى به فؤادك، فإنّ فى تنزيله مفرّقا تيسيرا لحفظ النّظم، و فهم المعانى، و ضبط الكلام، و الوقوف على تفاصيل ما روعى فيه من الحكم و المصالح، و تعدّد نزول جبريل عليه السّلام، و تجدّد إعجاز الطّاعنين فيه فى كلّ جملة مقدار أقصر سورة تنزّل منه. و لذلك فوائد غير ما ذكر أيضا؛

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۸۹

منها: معرفة النّاسخ المتأخّر نزوله من المنسوخ المتقدّم نزوله المخالف لحكمه.

و منها: انضمام القرائن الحالية إلى الدّلالات اللّفظيّة، فإنّه يعين على معرفة البلاغة؛ لأنّه بالنّظر إلى الحال يتنبّه السّامع لما يطابقها و يوافقها إلى غير ذلك.

و قيل: قوله تعالى: كَذلِكَ من تمام كلام الكفرة، و الكاف نصب على الحال من القرآن، أو الصّفة لمصدر نُزِّلَ المذكور أو لجملة، و الإشارة إلى تنزيل الكتب المتقدّمة، و لام لِنُثَبِّتَ لام التّعليل، و المعلّل محذوف نحو ما سمعت أوّلا، أى نزّلناه مفرّقا لنثبت الخ. و قال

أبو حاتم: هى لام القسم، و التّقدير و اللّه لنثبتنّ، فحذف النّون و كسرت اللّام، و قد حكى ذلك عنه أبو حيّان. و الظّاهر أنّها عنده كذلك على القولين فى كَذلِكَ. و تعقّبه بأنّه قول فى غاية الضّعف، و كأنّه ينحو إلى مذهب الأخفش، إنّ جواب القسم يتلقّى بلام «كى»، و جعل منه وَ لِتَصْغى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ «۱» الخ، و هو مذهب مرجوح. و قرأ عبد اللّه «ليثبت» بالياء، أى ليثبت اللّه تعالى. (۱۹: ۱۵)

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ ... الشّعراء/ ۱۹۲

و المراد بالقلب إمّا الرّوح، و هو أحد إطلاقاته كما قال الرّاغب، و كون الإنزال عليه، على ما قال غير واحد؛ لأنّه المدرك و المكلّف دون الجسد. و قد يقال: لمّا كان له صلّى اللّه عليه و سلم جهتان: جهة ملكيّة يستفيض بها، و جهة بشريّة يفيض بها، جعل الإنزال على روحه صلّى اللّه عليه و سلم؛ لأنّها المتّصفة بالصّفات الملكيّة الّتى يستفيض بها من الرّوح الأمين.

و للإشارة إلى ذلك قيل: عَلى قَلْبِكَ دون «عليك» الأخصر. و قيل: إنّ هذا لأنّ القرآن لم ينزل فى الصّحف كغيره من الكتب. و إمّا العضو المخصوص و هو الإطلاق المشهور. و تخصيصه بالإنزال عليه قيل: للإشارة إلى كمال تعقّله صلّى اللّه عليه و سلم و فهمه ذلك المنزل؛ حيث لم تعتبر واسطة فى وصوله إلى القلب الّذى هو محلّ العقل، كما يقتضيه ظاهر كثير من الآيات و الأحاديث. و يشهد له العقل على ما لا يخفى على من كان له قلب أو ألقى السّمع و هو شهيد. و قد أطال فى الانتصار لذلك الإمام فى تفسيره.

---

(۱)- الأنعام/ ۱۱۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۹۰

و ردّ على من ذهب إلى أنّ الدّماغ محلّ العقل. و قيل: للإشارة إلى صلاح قلبه صلّى اللّه عليه و سلم و تقدّسه؛ حيث كان منزلا لكلامه تعالى؛ ليعلم منه حال سائر أجزائه صلّى اللّه عليه و سلم فإنّ القلب رئيس جميع الأعضاء و ملكها، و متى صلح الملك صلحت الرّعيّة، و فى الحديث «ألا و إنّ فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كلّه، و إذا فسدت فسد الجسد كلّه، ألا و هى القلب». و قد يقال: يجوز أن يكون التّخصيص لأنّ اللّه تعالى جعل لقلب رسوله صلّى اللّه عليه و سلم سمعا مخصوصا يسمع به ما ينزل عليه من القرآن تمييزا لشأنه على سائر ما يسمعه و يعيه على حدّ ما قيل.

و ذكره النّووىّ فى شرح صحيح مسلم فى قوله تعالى: ما كَذَبَ الْفُؤادُ ما رَأى «۱»، من أنّ اللّه عزّ و جلّ جعل لفؤاده صلّى اللّه عليه و سلم بصرا، فرآه به سبحانه ليلة المعراج. و هذا كلّه على القول بأنّ جبرائيل عليه السّلام ينزل بالألفاظ القرآنيّة المحفوظة له بعد أن نزل القرآن جملة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة أو الّتى يحفظها من اللّوح عند الأمر بالإنزال، أو الّتى يوحى بها إليه، أو الّتى يسمعها منه سبحانه، على ما قاله بعض أجلّة السّلف، عنده فيلقيها إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على ما هى عليه من غير تغيير أصلا. و كذا على القول بأنّ جبرائيل عليه السّلام ألقى عليه المعانى القرآنيّة، و أنّه عبّر عنها بهذه الألفاظ العربيّة، ثمّ نزل بها كذلك، فألقاها إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. و أمّا على القول بأنّه عليه السّلام إنّما نزل بالمعانى خاصّة إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و أنّه عليه الصّلاة و السّلام علم تلك المعانى، و عبّر عنها بلغة العرب، فقيل: إنّ القلب بمعنى العضو المخصوص لا غير، و تخصيصه لأنّ المعانى إنّما تدرك بالقوّة المودعة فيه.

و قيل: يجوز أن يراد به الرّوح، و روحه عليه الصّلاة و السّلام لغاية تقدّسها و كمالها فى نفسها تدرك المعانى من غير توسّط آلة. و من النّاس من ذهب إلى هذا القول، و جعل الآية دليلا له، و هو قول مرجوح. و مثله القول بأنّ جبرائيل عليه السّلام ألقى عليه المعانى فعبّر عنها بألفاظ، فنزل بما عبّر هو به. و القول الرّاجح أنّ الألفاظ منه عزّ و جلّ كالمعانى لا مدخل لجبرائيل عليه السّلام فيها أصلا.

و كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم يسمعها و يعيها بقوى إلهيّة قدسيّة، لا كسماع البشر إيّاها منه عليه

---

(۱)- النّجم/ ۱۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۹۱

الصّلاة و السّلام و تنفعل عند ذلک قواه البشریّة، و لهذا یظهر علی جسده الشّریف صلّی اللّه علیه و سلم ما یظهر، و یقال لذلک؛ برحاء الوحی، یظنّ فی بعض الأحایین أنّه أغمی علیه علیه الصّلاة السّلام. و قد یظنّ أنّه صلّی اللّه علیه و سلم أغفی.

و علی هذا یخرج ما رواه مسلم، عن أنس، قال: بینا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بین أظهرنا إذ أغفی إغفاءة، ثمّ رفع رأسه متبسّما، فقلنا: ما أضحکک یا رسول اللّه؟ فقال: أنزل علیّ آنفا سورة فقرأ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* إِنَّا أَعْطَیْناکَ الْکَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ* إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ «۱». و لا یحتاج من قال: إنّ الأشبه أنّ القرآن کلّه نزل فی الیقظة، إلی تأویل هذا الخبر بأنّه علیه الصّلاة و السّلام خطر له فی تلک الإغفاءة سورة الکوثر الّتی نزلت قبلها فی الیقظة، أو عرض علیه الکوثر الّذی أنزلت فیه السّورة فقرأها علیهم، ثمّ إنّه علی ما قیل: من أنّ بعض القرآن نزل علیه علیه الصّلاة و السّلام و هو نائم، استدلالا بهذا الخبر، یبقی ما قلناه من سماعه علیه الصّلاة و السّلام ما ینزل إلیه صلّی اللّه علیه و سلم و وعیه إیّاه بقوی إلهیّة قدسیّة، و نومه علیه الصّلاة و السّلام لا یمنع من ذلک، کیف و قد صحّ عنه صلّی اللّه علیه و سلم أنّه قال: «تنام عینی و لا ینام قلبی».

و قد ذکر بعض المتصدّرین فی محافل الحکمة من المتأخّرین فی بیان کیفیّة نزول الکلام، و هبوط الوحی من عند اللّه تعالی بواسطة الملک علی قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم: أنّ الرّوح الإنسانیّ إذا تجرّد عن البدن، و خرج عن وثاقه من بیت قالبه، و موطن طبعه مهاجرا إلی ربّه سبحانه؛ لمشاهدة آیاته الکبری، و تطهّر عن درن المعاصی و اللّذّات و الشّهوات و الوساوس العادیة و المتعلّقات، لاح له نور المعرفة و الإیمان باللّه تعالی و ملکوته الأعلی، و هذا النّور إذا تأکّد و تجوهر کان جوهرا قدسیّا یسمّی فی لسان الحکمة النّظریّة بالعقل الفعّال، و فی لسان الشّریعة النّبویّة بالرّوح القدسیّ. و بهذا النّور الشّدید العقلیّ یتلألأ فیه أسرار ما فی الأرض و السّماء، و یتراءی منه حقائق الأشیاء کما یتراءی بالنّور الحسّیّ البصریّ الأشباح المثالیّة فی قوّة البصر إذا لم یمنع حجاب، و الحجاب هاهنا هو آثار الطّبیعة و شواغل هذه الأولی، فإذا عریت النّفس عن دواعی الطّبیعة و الاشتغال بما

---

(۱)- الکوثر/ ۱- ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۹۲

تحتها من الشّهوة و الغضب و الحسّ و التّخیّل، و توجّهت بوجهها شطر الحقّ و تلقاء عالم الملکوت الأعلی، اتّصلت بالسّعادة القصوی، فلاح لها سرّ الملکوت، و انعکس علیها قدس اللّاهوت، و رأت عجائب آیات اللّه تعالی الکبری. ثمّ إنّ هذه الرّوح إذا کانت قدسیّة شدیدة القوی قویّة الآثار؛ لقوّة اتّصالها بما فوقها فلا یشغلها شأن عن شأن، و لا یمنعها جهة فوقها عن جهة تحتها، فتضبط الطّرفین، و تسع قوّتها الجانبین؛ لشدّة تمکّنها فی الحدّ المشترک بین الملک و الملکوت، کالأرواح الضّعیفة الّتی إذا مالت إلی جانب غاب عنها الجانب الآخر، و إذا رکنت إلی مشعر من المشاعر ذهلت عن المشعر الآخر، و إذا توجّهت هذه الرّوح القدسیّة الّتی لا یشغلها شأن عن شأن، و لا تصرفها نشأة عن نشأة، و تلقّت المعارف الإلهیّة بلا تعلّم بشریّ، بل من اللّه تعالی یتعدّی تأثیرها إلی قواها، و یتمثّل لروحه البشریّ صورة ما شاهده بروحه القدسیّ، و تبرز منها إلی ظاهر الکون، فتتمثّل للحواسّ الظّاهرة سیّما السّمع و البصر؛ لکونهما أشرف الحواسّ الظّاهرة، فیری ببصره شخصا محسوسا فی غایة الحسن و الصّباحة، و یسمع بسمعه کلاما منظوما فی غایة الجودة و الفصاحة، فالشّخص هو الملک النّازل بإذن اللّه تعالی الحامل للوحی الإلهیّ، و الکلام هو کلام اللّه تعالی، و بیده لوح فیه کتاب هو کتاب اللّه تعالی، و هذا الأمر المتمثّل بما معه أو فیه لیس مجرّد صورة خیالیّة، لا وجود لها فی خارج الذّهن و التّخیّل، کما یقوله من لا حظّ له من علم الباطن، و لا قدم له فی أسرار الوحی و الکتاب، کبعض أتباع المشّائین، معاذ اللّه تعالی عن هذه العقیدة النّاشئة عن الجهل بکیفیّة الإنزال و التّنزیل.

ثمّ قال: إنارة قلبیّة و إشارة عقلیّة، علیک أن تعلم أنّ للملائکة ذوات حقیقیّة، و ذوات إضافیّة مضافة إلی ما دونها إضافة النّفس إلی البدن الکائن فی النّشأة الآخرة.

فأمّا ذواتها الحقیقیّة فإنّما هی أمریّة قضائیّة قولیّة، و أمّا ذواتها الإضافیّة فإنّما هی خلقیة قدریّة تنشأ منها الملائکة اللّوحیّة، و أعظمهم إسرافیل علیه السّلام، و هؤلاء الملائکة اللّوحیّة یأخذون الکلام الإلهیّ و العلوم اللّدنّیّة من الملائکة القلمیّة، و یثبتونها فی صحائف ألواحهم القدریة الکتابیة. و إنّما کان یلاقی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی معراجه الصّنف الأوّل من الملائکة، و یشاهد روح القدس فی الیقظة، فإذا اتّصلت الرّوح النّبویّة بعالمهم، عالم

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۹۳

الوحی الرّبانیّ، یسمع کلام اللّه تعالی، و هو إعلام الحقائق بالمکالمة الحقیقیّة، و هی الإفاضة و الاستفاضة فی مقام قاب قوسین أو أدنی، و هو مقام القرب و مقعد الصّدق و معدن الوحی و الإلهام. و کذا إذا عاشر النّبیّ الملائکة الأعلین یسمع صریف أقلامهم و إلقاء کلامهم، و هو کلام اللّه تعالی النّازل فی محلّ معرفتهم، و هی ذواتهم و عقولهم؛ لکونهم فی مقام القرب.

ثمّ إذا نزل صلّی اللّه علیه و سلم إلی ساحة الملکوت السّماویّ یتمثّل له صورة ما عقله و شاهده فی لوح نفسه الواقعة فی عالم الأرواح القدریّة السّماویّة، ثمّ یتعدّی منه الأثر إلی الظّاهر، و حینئذ یقع للحواسّ شبه دهش و نوم؛ لمّا أنّ الرّوح القدسیّة لضبطها الجانبین تستعمل المشاعر الحسّیّة، لکن لا فی الأغراض الحیوانیّة، بل فی سبیل السّلوک إلی الرّبّ سبحانه، فهی تشائع الرّوح فی سبیل معرفته تعالی و طاعته، فلا جرم إذا خاطبه اللّه تعالی خطابا من غیر حجاب خارجی، سواء کان الخطاب بلا واسطة أو بواسطة الملک، و اطّلع علی الغیب، فانطبع فی فصّ نفسه النّبویّة نقش الملکوت و صورة الجبروت، تنجذب قوّة الحسّ الظّاهر إلی فوق، و یتمثّل لها صورة غیر منفکّة عن معناها و روحها الحقیقیّ، لا کصورة الأحلام و الخیالات العاطلة عن المعنی، فیتمثّل لها حقیقة الملک بصورته المحسوسة بحسب ما یحتملها، فیری ملکا علی غیر صورته الّتی کانت له فی عالم الأمر؛ لأنّ الأمر إذا نزل صار خلقا مقدّرا، فیری صورته الخلقیّة القدریّة، و یسمع کلاما مسموعا بعد ما کان وحیا معقولا، أو یری لوحا بیده مکتوبا، فالموحی إلیه یتّصل بالملک أوّلا بروحه العقلیّ، و یتلقّی منه المعارف الإلهیّة، و یشاهد ببصره العقلیّ آیات ربّه الکبری، و یسمع بسمعه العقلیّ کلام ربّ العالمین من الرّوح الأعظم، ثمّ إذا نزل عن هذا المقام الشّامخ الإلهیّ یتمثّل له الملک بصورة محسوسة بحسبه، ثمّ ینحدر إلی حسّه الظّاهر، ثمّ إلی الهواء، و هکذا الکلام فی کلامه، فیسمع أصواتا و حروفا منظومة مسموعة، یختصّ هو بسماعها دون غیره، فیکون کلّ من الملک و کلامه و کتابه قد تأدّی من غیبه إلی شهادته، و من باطن سرّه إلی مشاعره، و هذه التّأدیة لیست من قبیل الانتقال و الحرکة للملک الموحی من موطنه و مقامه؛ إذ کلّ له مقام معلوم لا یتعدّاه و لا ینتقل عنه، بل مرجع ذلک إلی انبعاث

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۹۴

نفسی النّبیّ علیه الصّلاة السّلام من نشأة الغیب إلی نشأة الظّهور. و لهذا کان یعرض له شبه الدّهش و الغشی، ثمّ یری و یسمع، ثمّ یقع منه الإنباء و الإخبار، فهذا معنی تنزیل الکتاب و إنزال الکلام من ربّ العالمین، انتهی.

و فیه ما تأباه الأصول الإسلامیّة ممّا لا یخفی علیک. و قد صرّح غیر واحد من المحدّثین و المفسّرین و غیرهم بانتقال الملک و هو جسم عندهم، و لم یؤوّل أحد منهم نزوله فیما نعلم، نعم أوّلوا نزول القرآن و إنزاله.

قال الأصفهانیّ فی أوائل تفسیره: اتّفق أهل السّنة و الجماعة ... [و ذکر کما تقدّم عن الزّرکشیّ، ثمّ حکی قول الطّیبیّ و القطب فی «حواشی الکشّاف»، حسبما تقدّم عن السّیوطیّ، فقال:]

و فیه بحث لا یخفی، و عندی أنّ إنزاله إظهاره فی عالم الشّهادة بعد أن کان فی عالم الغیب، ثمّ إنّ ظاهر الآیة یقتضی أنّ جمیع القرآن نزل به الرّوح الأمین علی قلبه الشّریف صلّی اللّه علیه و سلم، و هذا ینافی ما قیل: إنّ آخر سورة البقرة، کلّمه اللّه تعالی بها لیلة المعراج؛ حیث لا واسطة احتجاجا بما أخرجه مسلم، عن ابن مسعود: لما أسری برسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم انتهی إلی سدرة

المنتهى، الحديث. و فيه: فأعطى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم الصّلوات الخمس، و أعطى خواتيم سورة البقرة، و غفر لمن لا يشرك من أمّته باللّه تعالى شيئا المقحمات. و أجيب بعد تسليم أن يكون ما ذكر دليلا لذلك، يجوز أن يكون قد نزل جبريل عليه السّلام بما ذكر أيضا تأكيدا و تقريرا أو نحو ذلك. و قد ثبت نزوله عليه السّلام بالآية الواحدة مرّتين لما ذكر. و جوّز أن تكون الآية باعتبار الأغلب، و اعتبر بعضهم كونها كذلك لأمر آخر، و هو أنّ من القرآن ما نزل به إسرافيل عليه السّلام، و هو ما كان فى أوّل النّبوّة، و فيه أنّ ذلك لم يثبت أصلا.

و فى الإتقان: أخرج الإمام أحمد فى تاريخه من طريق داود بن أبى هند، عن الشّعبىّ، قال: أنزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم النّبوّة و هو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوّته إسرافيل عليه السّلام ثلاث سنين، فكان يعلّمه الكلمة و الشّىء، و لم ينزل عليه القرآن على لسانه، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوّته جبريل عليه السّلام، فنزل عليه القرآن على لسانه عشر سنين، انتهى، و هو صريح فى خلاف ذلك، و إن كان فيه ما يخالف الصّحيح المشهور من أنّ جبريل عليه السّلام هو

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۹۵

الّذى نزل عليه عليه الصّلاة و السّلام بالوحى من أوّل الأمر، إلّا أنّه نزل عليه صلّى اللّه عليه و سلم غيره عليه السّلام من الملائكة أيضا ببعض الأمور، و كثيرا ما ينزلون لتشييع الآيات القرآنيّة مع جبريل عليه و عليهم السّلام. و من النّاس من اعتبر كونها باعتبار الأغلب؛ لأنّ إنزال جبريل عليه السّلام قد لا يكون على القلب بناء على ما ذكره الشّيخ محيى الدّين قدّس سرّه فى الباب الرّابع عشر من الفتوحات، من قوله: اعلم أنّ الملك يأتى النّبىّ عليه الصّلاة و السّلام بالوحى على حالين:

تارة ينزل بالوحى على قلبه، و تارة يأتيه فى صورة جسديّة من خارج، فيلقى ما جاء به إلى ذلك النّبىّ على أذنه فيسمعه، أو يلقيه على بصره فيبصره، فيحصل له من النّظر ما يحصل من السّمع سواء.

و تعقّب بأنّه لا حاجة إلى ما ذكر، و ما نقل عن محيى الدّين قدّس سرّه لا يدلّ على أنّ نزول الوحى إلى كلّ نبىّ يكون على هذين الحالين، فيجوز أن يكون نزول الوحى إلى نبيّنا صلّى اللّه عليه و سلم على الحال الأولى فقط سلّمنا دلالته على العموم، و أنّ نزول الوحى إلى نبيّنا عليه الصّلاة و السّلام قد يكون بتمثّل الملك بناء على بعض الأخبار الصّحيحة فى ذلك، لكن لا نسلّم أنّه يدلّ على أنّ نزول الوحى إذا كان الموحى قرآنا يكون على الحال الثّانية سلّمنا دلالته على ذلك، لكن لا نسلّم صحّة جعله مبنىّ لتأويل الآية، و كيف يؤوّل كلام اللّه تعالى لكلام مناف لظاهره صدر من غير معصوم، و يكفى محيى الدّين قدّس سرّه من علماء الشّريعة أن يؤوّلوا كلامه ليوافق كلام اللّه عزّ و جلّ فيسلم من الطّعن، و لعلّ من يؤوّل فى مثل ذلك يحسن الظّن بمحيى الدّين قدّس سرّه، و يقول: إنّه لم يقل ذلك إلّا لدليل شرعىّ، فقد قال قدّس سرّه فى الكلام على الإذن من الفتوحات: اعلم أنّى لم أقرّر بحمد اللّه تعالى فى كتابى هذا و لا غيره قطّ أمرا غير مشروع، و ما خرجت عن الكتاب و السّنّة فى شىء من تصانيفى، و قال فى الباب السّادس و السّتّين و ثلاثمائة من الكتاب المذكور: جميع ما أتكلّم به فى مجالسى و تأليفى إنّما هو من حضرة القرآن العظيم، فإنّى أعطيت مفاتيح العلم فيه، فلا أستمدّ قطّ فى علم من العلوم إلّا منه كلّ ذلك، حتّى لا أخرج عن مجالسة الحقّ تعالى فى مناجاته بكلامه، أو بما تضمّنه كلامه سبحانه، إلى غير ذلك. فالدّاعى للتّأويل فى الحقيقة ذلك الدّليل، لا نفس كلامه قدّس سرّه، و هو اللّائق بالمسلمين الكاملين.

(۱۹: ۱۲۰- ۱۲۵)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۹۶

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳

و المراد بإنزاله فى تلك اللّيلة إنزاله فيها جملة إلى السّماء الدّنيا من اللّوح، فالإنزال المنجّم فى ثلاث و عشرين سنة أو أقلّ كان من السّماء الدّنيا، و روى هذا عن ابن جرير و غيره، و ذكر أنّ المحلّ الّذى أنزل فيه من تلك السّماء البيت المعمور، و هو مسامت للكعبة؛

بحیث لو نزل لنزل علیها.

و أخرج سعید بن منصور، عن إبراهیم النّخعیّ، أنّه قال: نزل القرآن جملة علی جبریل علیه السّلام، و کان جبریل علیه السّلام یجیء به بعد إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم.

و قال غیر واحد: المراد ابتداء إنزاله فی تلک اللّیلة علی التّجوّز فی الطّرف أو النّسبة، و استشکل ذلک بأنّ ابتداء السّنة المحرّم أو شهر ربیع الأوّل؛ لأنّه ولد فیه صلّی اللّه علیه و سلم، و منه اعتبر التّاریخ فی حیاته علیه الصّلاة و السّلام إلی خلافة عمر و هو الأصحّ. و قد کان الوحی إلیه صلّی اللّه علیه و سلم علی رأس الأربعین سنة من مدّة عمره علیه الصّلاة و السّلام علی المشهور من عدّة أقوال، فکیف یکون ابتداء الإنزال فی لیلة القدر من شهر رمضان أو فی لیلة البراءة من شعبان؟

و أجیب: بأنّ ابتداء الوحی کان مناما فی شهر ربیع الأوّل، و لم یکن بإنزال شیء من القرآن، و الوحی یقظة مع الإنزال کان فی یوم الاثنین لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، و قیل: لسبع منه، و قیل: لأربع و عشرین لیلة منه، و أنت تعلم کثرة اختلاف الأقوال فی هذا المقام، فمن یقول بابتداء إنزاله فی شهر یلتزم منها ما لا یأباه. (۲۵: ۱۲۵– ۱۱۱)

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ... الواقعة/ ۷۵– ۷۷

و أخرج عبد الرّزّاق، و ابن جریر، عن قتادة: أنّها منازلها و مجاریها، علی أنّ الوقوع النّزول، کما یقال: علی الخبیر سقطت، و هو شائع، و التّخصیص لأنّ له تعالی فی ذلک من الدّلیل علی عظیم قدرته، و کمال حکمته ما لا یحیط به نطاق البیان، و قال جماعة منهم ابن عبّاس: النّجوم نجوم القرآن، و مواقعها: أوقات نزولها.

[ثمّ ذکر روایة النّسائیّ و ابن جریر و ... و البیهقیّ فی «شعب الإیمان» عن ابن عبّاس

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۲۹۷

کما تقدّم عن السّیوطیّ، فقال:]

و أیّد هذا القول بأنّ الضّمیر فی قوله تعالی بعد: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ یعود حینئذ علی ما یفهم من مواقع النّجوم حتّی یکاد یعدّ کالمذکور صریحا، و لا یحتاج إلی أن یقال: یفسّره السّیاق، کما فی سائر الأقوال، و وجه التّخصیص أظهر من أن یخفی. و لعلّ الکلام علیه من باب: و ثنایاک إنّها إغریض.

و قرأ ابن عبّاس و أهل المدینة و حمزة و الکسائیّ «بموقع» مفردا مرادا به الجمع.

(۲۷: ۱۵۳)

فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ عبس/ ۱۳– ۱۴

(فی صحف) متعلّق بمضمر هو صفة لتذکرة أو خبر ثان؛ لأنّ أیّ کائنة أو مثبتة فی صحف، و المراد بها الصّحف المنتسخة من اللّوح المحفوظ. و عن ابن عبّاس: هی اللّوح نفسه، و هو غیر ظاهر. و قیل: الصّحف المنزّلة علی الأنبیاء: کقوله تعالی: وَ إِنَّهُ لَفِی زُبُرِ الْأَوَّلِینَ «۱»، و قیل: صحف المسلمین، علی أنّه إخبار بالغیب، فإنّ القرآن بمکّة لم یکن فی الصّحف، و إنّما کان متفرّقا فی الدّفاف و الجرید و نحوهما، و أوّل ما جمع فی صحیفة فی عهد أبی بکر الصّدیق و هو کما تری.

مُکَرَّمَةٍ: عند اللّه عزّ و جلّ مَرْفُوعَةٍ، أی فی السّماء السّابعة، کما قال یحیی بن سلّام، أو مرفوعة القدر کما قیل. مُطَهَّرَةٍ: منزّهة عن مساس أیدی الشّیاطین أو عن کلّ دنس، علی ما روی عن الحسن، و قیل: عن الشّبه و التّناقض. و الأوّل قیل: مأخوذ من مقابلته بقوله تعالی: بِأَیْدِی سَفَرَةٍ، أی کتبة من الملائکة:، کما قال مجاهد و جماعة، فإنّهم ینسخون الکتب من اللّوح، و هو جمع سافر، أی کاتب،

و المصدر السّفر كالضّرب.

و عن ابن عبّاس: هم الملائكة المتوسّطون بين اللّه تعالى و أنبيائه.: على أنّه جمع سافر أيضا بمعنى سفير، أى رسول و واسطة، و المشهور فى مصدره بهذا المعنى السّفارة بكسر السّين و فتحها، و جاء فيه السّفر أيضا كما فى القاموس.

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۹۸

و قيل: هم الأنبياء عليهم السّلام لأنّهم سفراء بين اللّه تعالى و الأمّة، أو لأنّهم يكتبون الوحى.

و لا يخفى بعده، فإنّ الأنبياء عليهم السّلام وظيفتهم التّلقّى من الوحى، لا الكتب لما يوحى على أنّ خاتمهم صلّى اللّه عليه و سلم لم يكن يكتب القرآن، بل لم يكتب أصلا على ما هو الشّائع، و قد مرّ تحقيقه.

و كذا وظيفتهم إرشاد الأمّة بالأمر و النّهى و تعليم الشّرائع و الأحكام لا مجرّد السّفارة إليهم.

و أخرج عبد بن حميد و ابن المنذر، عن وهب بن منبه: أنّهم أصحاب محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، قيل:

لأنّهم سفراء و وسائط بينه عليه الصّلاة و السّلام و بين سائر الأمّة، و قيل: لأنّ بعضهم يسفر إلى بعض فى الخير و التّعليم و التّعلّم، و فى رواية عن قتادة: أنّهم القرّاء. و كأنّ القولين ليس بالمعوّل عليه، و قد قالوا هذه اللّفظة مختصّة بالملائكة: لا تكاد تطلق على غيرهم و إن جاز الإطلاق بحسب اللّغة، و مادّتها موضوعة بجميع تراكيبها؛ لما يتضمّن الكشف، كسفرت المرأة، إذا كشفت القناع عن وجهها.

و الباء قيل: متعلّقة بمطهّرة، و قيل: بمضمر، هو صفة أخرى لصحف ... (۳۰: ۴۲)

إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱- ۳

الضّمير عند الجمهور للقرآن، و ادّعى الإمام فيه إجماع المفسّرين، و كأنّه لم يعتدّ بقول من قال منهم برجوعه لجبريل عليه السّلام أو غيره لضعفه. قالوا: و فى التّعبير عنه بضمير الغائب مع عدم تقدّم ذكره تعظيم له، أى تعظيم لما أنّه يشعر بأنّه لعلوّ شأنه كأنّه حاضر عند كلّ أحد، فهو فى قوّة المذكور، و كذا فى إسناد إنزاله إلى نون العظمة مرّتين و تأكيد الجملة. و أشار الزّمخشرىّ إلى إفادة الجملة اختصاص الإنزال به سبحانه بناء على أنّها من باب، أنا سعيت فى حاجتك، ممّا قدّم فيه الفاعل المعنوىّ على الفعل. و تعقّب بأنّ ما ذكروه فى الضّمير المنفصل دون المتّصل كما فى اسم «إنّ» هنا. نعم، الاختصاص يفهم من سياق الكلام، و فيه أنّهم لم يصرّحوا باشتراط ما ذكر. و كذا فى تفخيم وقت إنزاله بقوله تعالى: وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ لما فيه من الدّلالة. على أنّ علوّها خارج عن دائرة دراية الخلق، لا يعلم ذلك و لا يعلم به إلّا علّام الغيوب، كما يشعر به قوله سبحانه: لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، فإنّ [هذا] بيان إجمالىّ لشأنها أثر تشويقه عليه الصّلاة و السّلام

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۲۹۹

إلى درايتها، فإنّ ذلك معرب عن الوعد بإدرائها.

و عن سفيان بن عيينة: إنّ كلّ ما فى القرآن من قوله تعالى: ما أَدْراكَ أعلم اللّه تعالى به نبيّه صلّى اللّه عليه و سلم و ما فيه من قوله سبحانه: وَ ما يُدْرِيكَ «۱» لم يعلّمه عزّ و جلّ به. و قد مرّ بيان كيفيّة إعراب الجملتين، و فى إظهار ليلة القدر فى الموضعين من تأكيد التّعظيم و التّفخيم ما لا يخفى.

و المراد بإنزاله فيها إنزاله كلّه جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى السّماء الدّنيا، صحّ عن ابن عبّاس أنّه قال: أنزل القرآن فى ليلة القدر جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا، و كان بمواقع النّجوم، و كان اللّه تعالى ينزّله على رسوله صلّى اللّه عليه و سلم بعضه فى أثر بعض. و فى رواية بدل و كان بمواقع الخ، ثمّ نزل بعد ذلك فى عشرين سنة، و فى رواية أخرى عنه أيضا: أنزل القرآن جملة واحدة

حتّی وضع فی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، و نزل به جبریل علیه السّلام علی محمّد صلّی اللّه علیه و سلم بجواب کلام العباد و أعمالهم. و فی أخری: أنّه أنزل فی رمضان لیلة القدر جملة واحدة، ثمّ أنزل علی مواقع النّجوم رسلا فی الشّهور و الأیّام. و کون النّزول بعد فی عشرین سنة قول لهم، و قال بعضهم و هو الأشهر: فی ثلاث و عشرین، و قال آخر فی خمس و عشرین. و هذا للخلاف فی مدّة إقامته صلّی اللّه علیه و سلم بمکّة بعد البعث.

و قال الشّعبیّ: المراد ابتدأنا بإنزاله فیها. و المشهور أنّ أوّل ما نزل من الآیات اقْرَأْ، و أنّه کان نزولها بحراء نهارا.

نعم، فی «البحر» روی: أنّ نزول الملک فی حراء کان فی العشر الأواخر من رمضان، فإن صحّ و کان المراد کان لیلا فذاک، و إلّا فظاهر کلام الشّعبیّ غیر مستقیم، اللّهم إلّا أن یقال: إنّه أراد ابتداء إنزاله إلی السّماء الدّنیا فیها، و لا یلزم أن یتّحد ذلک و ابتداء إنزاله علیه صلّی اللّه علیه و سلم فی الزّمان. ثمّ إنّ فی أَنْزَلْناهُ علی ما ذکر تجوّزا فی الإسناد؛ لأنّه أسند فیه ما للجزء إلی الکلّ، أو مجازا الظّرف، أو تضمینا.

و قیل: المراد إنزاله من اللّوح إلی السّماء الدّنیا مفرّقا فی لیالی قدر، علی أنّ المراد بلیلة الجنس، فقد قیل: إنّ القرآن أنزل إلی السّماء الدّنیا فی عشرین لیلة قدر أو ثلاث

---

(۱)- الأحزاب/ ۳۳، الشّوری/ ۴۲، عبس/ ۸۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۰۰

و عشرین أو خمس و عشرین. و کان ینزل فی کلّ لیلة ما یقدّر اللّه تعالی إنزاله فی کلّ السّنة، ثمّ ینزّله سبحانه منجّما فی جمیع السّنة، و هذا القول ذکره الإمام احتمالا، و نقله القرطبیّ کما قال ابن کثیر عن مقاتل، لکنّه ممّا لا یعوّل علیه. و الصّحیح المعتمد علیه کما قال ابن حجر فی شرح البخاریّ: إنّه أنزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، بل حکی بعضهم: الإجماع علیه. نعم، لا یبعد القول بأنّ السّفرة هناک نجّموه لجبریل علیه السّلام فی اللّیالی المذکورة.

و أجاب السّیّد عیسی الصّفویّ: بأنّه لا محذور فی ذلک بناء علی جواز مثل أتکلّم مخبرا به عن التّکلّم بقولک: أتکلّم، و فی ذلک اختلاف بین الدّوانیّ و غیره، ذکره فی رسالته الّتی ألّفها فی الجواب عن مسألة الحذر الأصمّ. أو یقال: یرجع الضّمیر للقرآن باعتبار جملته و قطع النّظر عن أجزائه، فیخبر عن الجملة بإنّا أنزلناه، و إن کان من جملته إِنَّا أَنْزَلْناهُ المندرج فی جملته ممّن غیر نظیر له بخصوصه، و قد ذکروا أنّ الجزء من حیث هو مستقلّ مغایر له من حیث هو فی ضمن الکلّ.

و فی الإتقان عن أبی شامة: فإن قلت: إِنَّا أَنْزَلْناهُ إن لم یکن من جملة القرآن الّذی نزل جملة، فما نزل جملة؟ و إن کان من الجملة فما وجه هذه العبارة؟

قلت: لها وجهان؛ أحدهما: أن یکون المعنی إنّا حکمنا بإنزاله فی لیلة القدر، و قضینا به و قدّرناه فی الأزل. و الثّانی: أنّ لفظ أَنْزَلْناهُ ماض و معناه علی الاستقبال، أی ننزّله جملة فی لیلة القدر، انتهی.

و لم یظهر لی فی کلا وجهیه رحمه اللّه تعالی شامّة حسن، فأجّل فی ذلک نظرا، فلعلّک تری. و قیل: المعنی إِنَّا أَنْزَلْناهُ فی فضل لیلة القدر أو فی شأنها و حقّها فالکلام علی تقدیر مضاف، أو الظّرفیة مجازیّة کما فی قول عمر: خشیت أن ینزّل فیّ قرآن، و قول عائشة لأنا أحقر فی نفسی من أن ینزّل فیّ قرآن، و جعل بعضهم «فی» فی ذلک للسّببیّة، و الضّمیر قیل للقرآن بالمعنی الدّائر بین الکلّ و الجزء.

و قیل: بمعنی السّورة، و لا یأباه کون إِنَّا أَنْزَلْناهُ فیها لما مرّ آنفا لا حاجة إلی أن یقال: المراد بها ما عدا إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۰۱

و قیل: یجوز أن یراد به المجموع؛ لاشتماله علی ذلک و أیّا ما کان، فحمل الآیة علی هذا المعنی غیر معوّل علیه، و إنّما المعوّل علیه

ما تقدّم.

و المراد بالإنزال إظهار القرآن من عالم الغيب إلى عالم الشّهادة، أو إثباته لدى السّفرة هناك، أو نحو ذلك ممّا لا يشكل نسبته إلى القرآن. (۳۰: ۱۸۹- ۱۹۰)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۰۲

الفصل التّاسع و الثّلاثون نصّ البروجردىّ (م: ۱۲۷۷ ه) فى تفسيره: «الصّراط المستقيم»

الإنزال و التّنزيل و الفرق بينهما

قد سبق جملة من الكلام فى تحقيق معنى التّنزيل و الوحى و الإلهام، و الّذى ينبغى ذكره فى المقام أنّ القرآن تارة قد وصف بالإنزال و أخرى بالتّنزيل، و هما و إن اشتركا فى الحلول من عال إلى أسفل، بل قال فى القاموس: نزّله تنزيلا، و أنزله إنزالا و منزلا كمجمل، و استنزله بمعنى، إلّا أنّه قد يفرّق بين الأمرين باختصاص الأوّل بإحداث الفعل من غير تكثّر، بأن كان النّزول دفعة واحدة، و الثّانى بإحداثه على وجه التّكثير و التّدريج، و لعلّه لما فى معنى التّفعيل من الإشعار على تكثير الفعل أو الفاعل أو المفعول، و المقام من الأوّل؛ حيث أنّه قد أنزل إلى السّماء الدّنيا، و إلى البيت المعمور فى ليلة القدر، ثمّ أنزل منجّما مفرّقا إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى ثلاث و عشرين سنة، أو فى عشرين سنة. بل يستفاد ذلك أيضا من قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۱» و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۲»، بل من

---

(۱)- الدّخان/ ۳.

(۲)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۰۳

قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱». سيّما بعد ملاحظة الأخبار الواردة فى تفسيرها حسبما تسمع إنشاء اللّه تفصيل الكلام فيها. و فى قوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲»، و غيره ممّا يدلّ على الأمرين، و لذا جاء بالفعل فى الثّلاثة على صيغة الإفعال، و الرّابعة على صيغة التّفعيل. بل نبّه سبحانه بجعله فرقانا بعد كونه قرآنا مجتمعا فى النّزول، أو فى صقع وجوده. و بالجملة هذا الفرق بين الفعلين و إن لم يتبّه عليه جمهور أهل اللّغة إلّا أنّه لا بأس بعد مساعدة الأخبار و دلالتها على قسمى النّزول. و مناسبة الإطلاق لهما فى خصوص الموارد.

[ثمّ ذكر رواية حفص بن غياث و رواية أبى بصير كما تقدّم عن الكلينىّ، فقال:]

و عن بعض نسخ الفقيه: الفرقان بدل القرآن، و لا باس به، فإنّ الأوّل باعتبار النّزول الأوّل الجمعىّ. و الأخير باعتبار ما يؤوّل إليه من النّزول المنجّم التّفريقىّ.

و فيهما عن حمران بن أعين، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳» ... [و ذكر كما تقدّم عن الكلينىّ، ثمّ نقل رواية القمىّ عن الإمام الباقر عليه السّلام بحسب ما تقدّم عن الفيض الكاشانىّ، فقال:]

أقول: و صريح هذا الخبر كبعض ما مرّ أنّ القرآن و قد نزل جملة واحدة إلى البيت المعمور، و الأخبار و إن اختلفت فى تعيين موضعه، حيث أنّه قد ورد فى العلوىّ المذكور فى الدّر المنثور: إنّه الضّراح «۴» بيت فوق سبع سماوات تحت العرش، يدخله كلّ يوم سبعون الف ملك، ثمّ لا يعودون اليه الى يوم القيمة «۵».

و فى علل ابن سنان المروىّ عن مولانا الرّضا عليه السّلام؛ «انّه بيت فى السّماء الدّنيا، بحذاء الضّراح، و هو بيت فى الرّابعة بحذاء

العرش» «۶».

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۳)- الدّخان/ ۳.

(۴)- الضّراح بضمّ الضّاد بیت فی السّماء الرّابعة حیال الکعبة، یدخله کلّ یوم سبعون ألف ملک.

(۵)- بحار الأنوار ج ۱۴: ۱۰۵ ط القدیم عن الدّرّ المنثور.

(۶)- فی البحار ج ۱۴: ۱۰۴. عن العلل: فوضع فی السّماء الرّابعة بیتا بحذاء العرش یسمّی الضّراح، ثمّ وضع فی السّماء

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۰۴

بل قد ورد مثله فی أخبار أخر، و عن بعضهم، أنّه هو الکعبة البیت الحرام؛ لکونه معمورا بالحجّ و العمرة، إلّا أنّ المستفاد من أکثر الرّوایات، و أشهرها و أظهرها أنّه بیت فی السّماء الرّابعة و هو الضّراح، حیث أنّ الملائکة لمّا ردّوا علی اللّه سبحانه فی جعله فی الأرض خلیفة، فقالوا: أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ «۱»، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة إلی أن تاب علیهم، و جعل لهم البیت المعمور فی السّماء الرّابعة بحذاء العرش مثابة و أمنا و مطافا لهم و قبولا لتوبتهم، و أمرهم ببناء بیت فی الأرض بمثاله و قدره. بل «۲» قد یقال: إنّ هذه الأخبار الأخیرة و إن کانت أشهر و أکثر، إلّا أنّ مقتضی الجمع بینها مع صحّة جمیعها القول بتحقّق البیت فی جمیع تلک المواضع، و الخطب فیه سهل. (۱: ۴۰۸- ۴۱۱)

- الدّنیا بیتا یسمّی البیت المعمور بحذاء الضّراح.

(۱)- البقرة/ ۳۰.

(۲)- کما فی البحار ج ۱۴: ۱۱۴. عن العلل عن الصّادق علیه السّلام و عن الدرّ المنثور عن علیّ بن الحسین علیهما السّلام.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۰۵

الفصل الأربعون نصّ الأصفهانیّ (م: ۱۳۰۸ ه) فی کتابه: «مجد البیان فی تفسیر القرآن»

زمان نزول القرآن و ما یتعلّق بذلک

قال اللّه سبحانه: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱»

و قال عزّ و جلّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲»

و قال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ* فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ* أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ* رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ «۳»

[ثمّ ذکر روایة حفص بن غیاث، و روایة أبی بصیر، و روایة حمران، نقلا عن الکافی کما تقدّم عن الفیض الکاشانیّ، فقال:]

أقول: لمّا کان جمیع الحوادث الواقعة فی السّنة مقدّرة متعیّنة الأحکام و الحدود فی

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الدّخان/ ۳- ۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۰۶

ليلة القدر على ما يستفاد من الأخبار المستفيضة «۱» لزم منه أن يكون الآيات الّتى نزل فى كلّ سنة ثابتة متعيّنة فى ليلة القدر الّتى تقع فى تلك السّنة. و بهذا يصحّ القول بأنّ القرآن نزل فى ليلة القدر و فى شهر رمضان؛ لأنّها فيه على ما يستفاد من المستفيضة المعتضدة بالكتاب «۲»، لكنّ الظّاهر من تنكير اللّيلة الآية الثّالثة و رواية حفص المتقدّمة، و ذكر علىّ بن إبراهيم فى تفسيره «۳» مضمون «۴» هذا الجزء منه، أعنى قوله «نزل القرآن جملة واحدة» الخ، من دون إسناد إلى الإمام عليه السّلام، لكنّ الظّاهر من حاله أخذه من رواياتهم، مع ما يشعر به سائر الرّوايات، أنّ القرآن نزل فى ليلة واحدة جملة، و حينئذ فيمكن أن يقال: إنّ القرآن إنّما قرّر و ثبت كلّا تبعا لتقدير النّبوّة و الرّسالة؛ لأنّه لمّا قدّر الرّسالة و الإنذار قدّر المرسل به و المنذر به، لأنّه من متعلّقاته. و لمّا كان إعطاء منصب الرّسالة دفعيّا، لزم منه تعيّن المرسل به، كما إذا قدّر و عيّن السّبب فى آخر السّنة؛ بحيث لا ينفكّ عن تفرّع مسبّبه عليه، ترتّب عليه تقدير المسبّب فى أوّل السّنة الآتية.

مراتب نزول القرآن

و الّذى يقتضيه النّظر الدّقيق أنّ توقيت التّقديرات بليلة القدر إنّما هو فى بعض المراتب النّازلة من مراتب القضاء و القدر، و فوقه مراتب أخرى، إلى أن ينتهى إلى اللّوح المحفوظ الّذى رقّم فيه جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق العالم. و يشبه أن يكون هو أمّ الكتاب «۵»، الّتى يتولّد منها أحكام القضاء مرتبة بعد مرتبة، إلى أن ينتهى إلى تفصيل أحكام كلّ سنة فى ليلة القدر منها.

---

(۱) كما فى الخبر الأخير و سائر الأخبار الّتى أوردها الأعلام فى كتبهم، و قد جمعها المجلسىّ (رض) فى البحار ۹۷، باب ليلة القدر و فضلها، فراجع.

(۲)- مراده (ره) الرّوايات الكثيرة المتواترة المنقولة فى كتب الأخبار، منها ما ذكره المجلسىّ (ره) فى البحار ۹۷، باب ليلة القدر و فضلها. و هى معتضدة بقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.

(۳) القمّىّ ۱،: ۶۶.

(۴) فى عبارة المؤلّف (قدس سرّه) هنا تشويش، و عبارته هى: «و ذكر مضمون هذا الجزء منه، أعنى قوله «نزل القرآن جملة واحدة- الخ» علىّ بن إبراهيم فى تفسيره.

(۵)- لقد ذهب إليه جمهور المفسّرين.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۰۷

و حينئذ فنزول القرآن جملة واحدة يصحّ أن يكون من عالم اللّوح المحفوظ دفعة إلى مرتبة تحتها، ثمّ نزوله منها فى مرتبة ثالثة فى كلّ سنة بقدرها، ثمّ نزوله فى هذا العالم فى أجزاء اللّيالى و الأيّام. و يشبه أن يكون المرتبة الثّانية هى البيت المعمور، أو باطنه و روحه و هو مظهره، كما روى.

و أمّا ما ذكره المحدّث الكاشانىّ بقوله: كأنّه اريد به نزول معناه على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله «۱»، فإن أراد به أنّ البيت المعمور هو قلبه صلّى اللّه عليه و آله فهو فاسد؛ إذ هو من أجزاء العالم الكبير و قد ورد ذكره فى الأخبار «۲»، و للقرآن مراتب نزوليّة فى العالم الكبير. و إن أراد به أنّه مساوق لمقام قلبه بحيث إذا نزل فيه اطّلع قلبه صلّى اللّه عليه و آله عليه لاتّحادهما رتبة، فهو ليس بذلك البعيد؛ إذ أريد بالقلب ما يسمّى به قلبا باصطلاح جماعة من أهل المعرفة، إلّا أنّ ذلك المقام لا يأبى عن الألفاظ حين ينزّل النّزول إلى المعانى، بل الألفاظ بنفسها ممّا يصحّ نزولها فيه، و ليس تنزيل نزول القرآن إلى نزول المعانى الصّرفة، إلّا تأويلا من دون

سبب يقتضيه، فثبت.

كيفيّة نزول القرآن فى ليلة القدر و تفصيله

ثمّ لمّا كان القرآن تبيان كلّ شىء على نهج كلّى إجمالىّ مشتمل على تكليفيّات و تكوينيّات متعلّقة بموضوعات مستقلّة، تفصّل فى ليلة القدر، و تتولّد منها أحكام و قضايا معيّنة مشخّصة جزئيّة بالنّسبة إلى ما كان عليه، صحّ أنّه: «لو رفعت ليلة القدر لرفع القرآن» كما روى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام «۳»؛ إذ لو لم ينزل تفصيله فيها و بقى على حاله الإجمالىّ كان مرفوعا عن هذا العالم.

و ربّما يشهد لما ذكرناه معنى ما رواه الكافى عن الباقر عليه السّلام أنّه قال: قال اللّه عزّ و جلّ

---

(۱)- راجع الصّافىّ ۱، المقدّمة التّاسعة: ۴۲.

(۲)- راجع البحار ۵۸، باب البيت المعمور. و أنّه (ره) ذكر فيه روايات من الخاصّة و العامّة يستفاد منها: أنّ البيت المعمور هو فى السّماء الرابعة، و إنّه قد سمّى «الضّراح».

(۳)- رواه الكلينىّ (ره) فى الكافى، ج ۴، باب فى ليلة القدر من كتاب «الصّيام» ۱۵۸، ح ۷ عن داود بن فرقد، عن يعقوب، عنه (عليه السّلام)؛ و أيضا الصّدوق (ره) فى «الفقيه» ۲: ۱۰۱، ح ۹، بهذا الإسناد؛ و نقله الفيض (ره) فى الصّافى المقدّمة التّاسعة: ۴۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۰۸

فى ليلة القدر: فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، و المحكم ليس بشيئين، إنّما هو شىء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم اللّه عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب، فقد حكم بحكم الطّاغوت. إنّه لينزل فى ليلة القدر إلى ولىّ الأمر تفسير الأمور سنة سنة، يؤمر فيها فى أمر نفسه بكذا و كذا، و فى أمر النّاس بكذا و كذا، و إنّه ليحدث لأولى الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم اللّه الخاصّ، و المكنون العجيب المخزون، مثل ما ينزل فى تلك اللّيلة من الأمر، ثمّ قرأ وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ «۱». (۱۴۷- ۱۵۲)

مراتب وجود القرآن فى النّزول و الصّعود

أقول: يمكن أن يقال: القرآن له وجود كتبى بين الدّفّتين، و وجود لفظىّ للقارئ منّا و من المعصومين: و من الملائكة كجبرئيل عليه السّلام، و وجود علمىّ فى لوح النّفس مكتسب من المرتبتين الأولیين، و وجود علمىّ من إلقاء الرّوح الّذى فى عالم الأمر إيّاه فى القلب بأمر اللّه سبحانه؛ كما لعلّه يرشد إليه قوله تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. «۲» أو من انتقاش الألفاظ الغيبيّة فى لوح القلب عند مواجهته لها و مقابلته إيّاه.

و لعلّه يومئ إليه قوله تعالى بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ. «۳»

و وجود غيبىّ كتبى فى لوح غيبى هو المبدأ لهذه النّقوش الواقعة فى لوح القلب، و به يصير القلب مصحفا لوجه أوراقه و تلك النّقوش كتابته. و لعلّ إليه الإشارة بقوله تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. «۴»

و وجود لفظىّ غيبىّ هو كلام اللّه سبحانه، الّذى أوجده و أسمعه من شاء من عباده من الملك و النّبىّ. و لعلّ إليه الإشارة بقوله تعالى: اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ «۵».

---

(۱)- الكافى ۱: باب فى شأن إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ و تفسيرها: ۲۴۸، ح ۳؛ و الصّافىّ ۲: ۵۴۰. و الآية الأخيرة، لقمان/ ۲۷.

(۲)- الشّعراء/ ۱۹۳- ۱۹۴.

(۳)- العنكبوت/ ۴۹.

(۴)- الواقعة/ ۷۷- ۷۹.

(۵)- الزّمر/ ۲۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۰۹

و له وجود إجمالىّ قبل التّفصيل. لعلّ إليه الإشارة بقوله تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ «۱»

و هو الأصل، و الباقى تنزّلاته و مراتبه و شئونه بمنزلة أصل الشّجرة بالنّسبة إلى ساقه و أعضائه. و لعلّ إلى هذه المقامات الإشارة بإطلاق الإنزال و التّنزيل على القرآن فى مواضع كثيرة.

ثمّ إنّ له صعودا أيضا، فإنّ القرآن اللّفظىّ الصّادر عنّا يتمثّل بمثال و يتشكّل بصورة جوهرىّ فى عالم أرفع من هذا العالم على ما تحقّق و ثبت فى محلّه بالآيات و الأخبار الكثيرة الواردة فى الموارد الكثيرة، المعتضدة بالاستبصارات العقليّة و غيرها، من أنّ الأعمال الحسنة و السّيّئة تتجسّم و تتمثّل و تبقى فى عالم البرزخ مع الميّت، و قراءة القرآن منها، بل من أولى أفرادها بهذا الحكم، و كتابة القرآن عمل يتجسّم كذلك.

و حينئذ يتحقّق فى القرآن قوسان؛ قوس نزول ينتهى إلى وجوده اللّفظىّ و الكتبىّ الواقع فى هذه النّشأة، و قوس صعود واقع فى عالم البرزخ، كما هو الحال فى حقيقة الإنسان.

ثمّ إنّ حقيقة القرآن ليس مقصورا على عالم الألفاظ و النّقوش الواقعة فى عالم الملك و الملكوت، بل مداليل الكلمات القرآنيّة أحقّ بالدّخول فى حقيقة القرآن منها، و لها وجود فى عالمها المعنويّة، فهى أيضا يصحّ أن تعدّ مقاما آخر له، و مراتبه المتعدّدة تنتهى إلى حقيقة الإسم الإلهىّ، الّذى هو المبدأ للقرآن. و يشبه أن يكون هو حقيقة اسم الهادىّ و النّور الّذى ربّما أطلق اسمه على القرآن فى مواضع. (۱۶۰- ۱۶۱)

---

(۱)- هود/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۱۰

الفصل الحادى و الأربعون نصّ السّيّد رشيد رضا (م: ۱۳۵۴ ه) فى تفسيره: «المنار»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

و أمّا معنى إنزال القرآن فى رمضان مع أنّ المعروف باليقين أنّ القرآن نزل منجّما متفرّقا فى مدّة البعثة كلّها، فهو أنّ ابتداء نزوله كان فى رمضان، و ذلك فى ليلة منه، سمّيت ليلة القدر، أى الشّرف، و اللّيلة المباركة، كما فى آيات أخرى، و هذا المعنى ظاهر لا إشكال فيه، على أنّ لفظ القرآن يطلق على هذا الكتاب كلّه، و يطلق على بعضه. و قد ظنّ الّذين تصدّوا للتّفسير منذ عصر الرّواية أنّ الآية مشكلة، و رووا فى حلّ الإشكال أنّ القرآن نزل فى ليلة القدر من رمضان إلى سماء الدّنيا و كان فى اللّوح المحفوظ فوق سبع سماوات، ثمّ نزل على النّبىّ منجّما بالتّدريج، و ظاهر قولهم هذا أنّه لم ينزل على النّبىّ فى رمضان منه شىء، خلافا لظاهر الآيات، و لا تظهر المنّة علينا و لا الحكمة فى جعل رمضان شهر الصّوم على قولهم هذا؛ لأنّ وجود القرآن فى سماء الدّنيا كوجوده فى غيرها من السّماوات أو اللّوح المحفوظ، من حيث أنّه لم يكن هداية لنا، و لا تظهر لنا فائدة فى هذا الإنزال و لا فى الإخبار به، و قد زادوا على

هذا روایات فی کون جمیع الکتب السّماویّة أنزلت فی رمضان، کما قالوا: إنّ الأمم السّابقة کلّفت صیام رمضان، قال الأستاذ

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۱

الإمام: و لم یصحّ من هذه الأقوال و الرّوایات شیء «۱»، و إنّما هی حواش أضافوها لتعظیم رمضان، و لا حاجة لنا بها؛ إذ یکفینا أنّ اللّه تعالی انزل فیه هدایتنا، و جعله من شعائر دیننا و مواسم عبادتنا، و لم یقل تعالی إنّه أنزل القرآن جملة واحدة فی رمضان، و لا أنّه أنزله من اللّوح المحفوظ إلی سماء الدّنیا، بل قال بعد إنزاله هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ فهو محفوظ فی لوح بعد نزوله قطعا. و أمّا اللّوح المحفوظ الّذی ذکروا أنّه فوق السّماوات السّبع، و أنّ مساحته کذا، و أنّه کتب فیه کلّ ما علم اللّه تعالی، فلا ذکر له فی القرآن.

و هو من عالم الغیب، فالإیمان به إیمان بالغیب، یجب أن یوقف فیه عند النّصوص الثّابتة بلا زیادة و لا نقص و لا تفصیل، و لیس عندنا فی هذا المقام نصّ یجب الإیمان به.

(۲: ۱۶۱- ۱۶۲)

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ ... آل عمران/ ۳

أی أوحی إلیک هذا القرآن المکتوب بالتّدریج متّصفا بالحقّ ملتبسا به، و إنّما عبّر عن الوحی بالتّنزیل و بالإنزال، کما فی آیات أخری؛ للإشعار بعلوّ مرتبة الموحی علی الموحی إلیه. و یصحّ التّعبیر بالإنزال عن کلّ عطاء منه تعالی کما قال: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ و أمّا التّدریج فقد استفید من صیغة التّنزیل، و کذلک کان، فقد نزل القرآن نجوما متفرّقة بحسب الأحوال و الوقائع. (۳: ۱۵۵)

---

(۱)- حدیث واثلة مرفوعا عند أحمد و ابن جریر و غیرهما، و هو غیر صحیح.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۲

الفصل الثّانی و الأربعون نصّ ابن بادیس (م: ۱۳۵۹ ه) فی «تفسیره»

تثبیت القلوب بالقرآن العظیم

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲

المناسبة هذا اعتراض آخر من اعتراضاتهم الباطلة، نسقه مع ما تقدّم منها لیجاب عنه، و یبیّن خطأهم فیه، کما فعل بما تقدّمه.

المفردات (لو لا): مع المضارع للتّحضیض، نحو لَوْ لا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ «۱». و مع الماضی للّوم و التّوبیخ، نحو لَوْ لا جاؤُ عَلَیْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَداءَ «۲». و هی هنا مع الماضی، فتکون للّوم علی عدم حصول المذکور و حصول ضدّه، و المقصود من اللّوم هنا الاعتراض علی عدم نزوله جملة واحدة، و نزوله مفرّقا، فالمعترض علیه هو نزوله مفرّقا.

(نزّل): یأتی مرادفا لأنزل، و التّضعیف أخو الهمزة، و یأتی مفیدا للتّکثیر، فیفید تکرّر

---

(۱)- النّمل/ ۴۶.

(۲)- النّور/ ۱۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۳

النّزول و تجدیده.

و خرّج علی هذا قوله تعالی: نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِيلَ «۱»

و أمّا هنا فلا یصحّ حمله علی التّکثیر المفید للتّدریج؛ لئلّا یناقض قولهم، (جملة واحدة)، فیکون من التّضعیف المرادف للهمزة.

و عندی إنّ (نزّل) المضاعف یرد لکثرة الفعل و لقوّته، فجاء لکثرته فی آیة آل عمران المتقدّمة، و جاء لقوّته فی هذه الآیة؛ لأنّ إنزال الجملة مرّة واحدة أقوی من إنزال کلّ جزء من الأجزاء بمفرده.

(کذلک) الإشارة للإنزال المفرّق، المفهوم من قولهم لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً لأنّه فی المعنی لمّه نزّل علیه جملة، و لم ینزّل علیه مفرّقا؟

التّثبیت: ثبات الشّیء اقامته و رسوخه دون اضطراب، و ذلک من قوّته، کما أنّ اضطراب المضطرب من ضعفه. فتفسیر تثبیت الفؤاد هنا بتقویته تفسیر بلازم معناه، علی أنّه مراد منه أیضا أصل المعنی، و هو السّکون و عدم الاضطراب. فتثبیته- إذن- هو تسکینه و تقویته.

التّرتیل: مادّة (ر ت ل) کلّها ترجع إلی تناسق الشّیء و حسن تنضیده، منه ثغر رتل (بالتّحریک)، أی مفلج بین الأسنان فرج لا یرکب بعضها بعضا.

و ترتیل القرآن فی التّلاوة هو إلقاء حروفه حرفا حرفا، و کلماته کلمة کلمة، و آیاته آیة آیة، علی تؤدة و مهل، حتّی یتبیّن للقارئ و للسّامع، و لا یخفی علیه شیء منه.

و أمّا ترتیله فی نزوله- و هو المراد هنا- فإنّه إنزاله آیة و آیتین و آیات، مفرّقا نجوما علی حسب الوقائع.

التّراکیب وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا وصل؛ لأنّه قیل من أقوالهم، فعطف علی ما تقدّم من مثله.

---

(۱)- آل عمران/ ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۴

كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ الأصل أنزلناه کذلک، فأوجز بحذف المتعلّق لوجود ما یدلّ علیه من اعتراضهم، و فصل لأنّه جواب عن اعتراضهم.

وَ رَتَّلْناهُ: وصل؛ لأنّه معطوف علی أنزلناه المحذوف. و التّنوین فی تَرْتِيلًا تنوین تنویع و تعظیم، أی نوعا من التّرتیل عظیما.

المعنی: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا- و هم قریش، أو الیهود أو الجمیع، و هو الظّاهر؛ لأنّ قریشا و الیهود کان یتّصل بینهم الکلام فی شأن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و شأن القرآن- قالوا معترضین و مقترحین: لم لم ینزّل علیه القرآن جملة واحدة کما أنزلت التّوراة و غیرها، و نزّل علیه مفرّقا؟

فقال اللّه تعالی جوابا لهم: أنزلناه کذلک الإنزال مفرّقا؛ لنثبّت به قلبک فیسکن و یطمئنّ، و نقوّیه فیصبر و یتحمّل.

و أنزلناه مرتّلا و مفرّقا تفریقا مرتّبا، منزلا کلّ قسم منه فی الوقت المناسب لإنزاله و الحالة الدّاعیة إلیه اللّائقة به.

مزید بیان للاعتراض و الجواب أمّا اعتراضهم، فکان لأنّهم سمعوا القرآن یذکر أنّ الکتاب أنزل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کما أنزلت الکتب علی الأنبیاء: من قبل بمثل قوله تعالی: وَ كَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ «۱».

فقالوا: لما ذا نزّل هذا الکتاب مفرّقا، و لم ینزّل مثل تلک الکتب جملة واحدة؟!

و هم لمّا عجزوا عن معارضة أقصر سورة منه، أخذوا یباهتون بالباطل، و یعترضون بمثل هذا الاعتراض.

و أمّا الجواب، فکان ببیان حکمتین فی إنزاله مفرّقا؛ الحکمة الأولی: تثبیت قلبه صلّی اللّه علیه و سلم.

و الحکمة الثّانیة: تفریقه مرتّبا علی الواقع. و کان فی تینک الحکمتین مزیّتان عظیمتان للقرآن العظیم علی غیره من کتب اللّه تعالی؛ فکان ما اعترضوا به أنّه نقص فیه عنها هو کمال له علیها.

---

(۱)- العنكبوت/ ۴۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۱۵

شرح الحكمة الأولى كان كلّ نجم ينزل من القرآن العظيم- و النّجم القسم الّذى ينزل معا آية أو آيتين أو أكثر- يزداد به عجزهم و عنادهم ظهورا و تزداد حجّة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و صدقه وضوحا، فيزداد بذلك سكون قلبه و طمأنينته بظهور أمره على عدوّه، و علوّ كلمة الحقّ على كلمة الباطل.

و فى ذلك تقوية له، و أىّ تقوية! لا عن شكّ كان فى قلبه أو تردّد و لكنّ البراهين المتوالية، و الحجج المتتالية، تزيد فى سكون القلب و اطمئنانه، و إن كان معقودا من أوّل أمره على اليقين. فهذا وجه من تثبيت فؤاده بالآيات المتفرّقات فى النّزول.

و قد كان كلّ نجم من نجوم القرآن ينزل بشىء من العلم و العرفان، ممّا يرجع إلى العقائد أو الأخلاق أو الأحكام، أو التّذكير بالأمم الماضية أو أخبار الرّسل المتقدّمين، أو باليوم الآخر أو بسنّة اللّه فى المكذّبين، إلى غير ذلك من علوم القرآن، فيقوى قلبه عند نزول كلّ نجم بما يكتسبه منه من معرفة و علم.

و كان يلقى من الجهد و العناء فى تبليغ الرّسالة ما تضعف عن تحمّله القوى البشريّة.

فإذا نزل عليه القرآن، و اتّصل بالملك الرّوحانىّ النّورانىّ، و قذف فى قلبه ذلك الوحى القرآنىّ، تقوّى قلبه على تحمله أعباء الرّسالة و مشاقّ التّبليغ. و لمّا كان البلاء و العناء فى سبيل التّبليغ متكرّرا متجدّدا، كان محتاجا إلى تحديد تقوية قلبه، و كان ذلك مقتضيا لتفريق نزول الآى عليه، فهذه ثلاثة وجوه من التّثبيت.

حظّنا من العمل بهذه الحكمة حاجتنا إلى تجديد التّلاوة و التّدبير: قلوبنا معرضة لخطرات الوسواس، بل للأوهام و الشّكوك، فالّذى يثبّتها، و يدفع عنها الاضطراب، و يربطها باليقين هو القرآن العظيم.

و لقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة و فروضهم «۱» و مماحكات المتكلّمين

---

(۱)- لا شكّ أنّ تشكيكات الفلاسفة و افتراضاتهم، أضرّت و شكّكت؛ لأنّها من عمل البشر النّاقص المضطرب، غير أنّها-

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۱۶

و مناقضاتهم، فما ازدادوا إلّا شكّا، و ما ازدادت قلوبهم إلّا مرضا، حتّى رجع كثير منهم فى أواخر أيّامهم إلى عقائد القرآن و أدلّة القرآن، فشفوا بعد ما كادوا، كإمام الحرمين و الفخر الرّازىّ.

و قلوبنا معرضة لرين المعصية الّتى تظلم منها القلوب و تقسو، حتّى تحجب عنها الحقائق، و تطمس أمامها سبل العرفان. فالّذى يجلو عنها ذلك الرّين، و يزيل منها تلك القسوة، و يكشف لها حقائق العلم، و يوضّح لها سبل المعرفة هو القرآن العظيم. فقرّاؤه المتفقّهون فيه، قلوبهم نيّرة، مستعدّة لتلقّى العلوم و المعارف، مستعدّة لسماع الحقّ و قبوله، لها من نور القرآن فرقان تفرّق بين الحق و الباطل، و تميز بين الهدى و الضّلال.

و قلوبنا معرضة للضّعف عن القيام بأعباء التّكليف، و ما نحن مطالبون به من الأعمال، و الّذى يجدّد لنا فيها القوّة، و يبعث فيها الهمّة هو القرآن العظيم. فحاجتنا إلى تجديد تلاوته و تدبيره، أكيدة جدّا؛ لتقوية قلوبنا باليقين و بالعلم و بالهمّة و النّشاط، للقيام بالعمل.

شرح الحكمة الثّانية من محاسن هذه الشّريعة المطهّرة أنّها نزلت بالتّدريج المناسب و كما كان فى تحريم الخمر، و كما كان فى العدد المفروض عليه الثّبات للعدو فى آيات الأنفال «۱». و كما كان فى مشروعيّة قيام اللّيل فى آيات سورة المزّمّل «۲». و ما كان ليكون هذا التّدريج بغير تفريق الآيات فى التّنزيل. و من محاسنها نسخ الحكم، عند انتهاء المصلحة التى اقتضت تشريعه، و انقضاء زمنها لحكم آخر، أنسب منه للبقاء فى الأزمان. كما كان فى آيتى المتوفّى عنها فى سورة البقرة. و ما كان ذلك ليأتى إلّا بتفريق الآيات فى الإنزال.

- أحیانا أفـادت فی طرق البحث و الاسـتنباط و السّیر علی المنهـج العلمیّ، و نحن- و لا ـ شکّ- محتاجون إلیها، خاصّـهٔ فی وجوهها الحسنهٔ، و خاصّهٔ فی أیّامنا هذه؛ لأنّ الشّباب المثقّف الیوم لا یقنع إلّا بالدّلیل، و قرع الحجّهٔ بالحجّهٔ علی أساس علمیّ، و لا خوف علی قرآننا من ذلک، و إنّما المشکلهٔ هی کیف نجد الدّاعی الّذی یقوم بذلک.

(۱)- فی قوله تعالی یا أَیُّهَا النَّبِیُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِینَ عَلَی الْقِتالِ ... مَعَ الصَّابِرِینَ الأنفال/ ۶۵ و ۶۶.

(۲)- فی قوله تعالی إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ ... رَحِیمٌ، الآیهٔ/ ۲۰ من سورهٔ المدّثّر

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۷

و کانت الوقائع تقع، و الحوادث تحـدث، و الشّبه تعرض، و الاعتراضات ترد .. فکانت الآیات تنزل بما تتطلّبه تلک الوقائع من بیان، و ما تقتضیه تلک الحوادث من أحکام، و ما تستدعیه تلک الشّبه من ردّ، و تلک الاعتراضات من إبطال، إلی غیر ما ذکرنا من مقتضیات نزول الآیات المعروفهٔ بأسباب النّزول.

و فی بیان الواقعهٔ عند وقوعها، و ذکر حکم الحادثهٔ عند حدوثها، و ردّ الشّبه عند عروضـها، و إبطال الاعتراض عند وروده- ما فیه من تأثیر فی النّفوس، و وقع فی القلوب، و رسوخ فی العقول، و جلاء فی البیان، و بلاغهٔ فی التّطبیق، و استیلاء علی السّامعین.

و ما کان هـذا کلّه لیأتی لو لا تفریق الآیات فی التّنزیل، و ترتیلها و تنضیدها هـذا التّرتیل العجیب، و هـذا التّنضیـد الغریب، الّذی بلغ الغایهٔ من الحسن و المنفعهٔ، حتّی أنّه لیصحّ أن یعدّ وحده وجها من وجوه الإعجاز. (ص: ۲۸۹- ۲۹۴)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۸

الفصل الثّالث و الأربعون نصّ الزّنجانی (م: ۱۳۶۰ ه) فی «تاریخ القرآن»

ابتداء نزول الوحی

ابتدأ نزول القرآن فی لیلهٔ القدر، و هی بنصّ القرآن فی رمضان للسّنهٔ الحادیهٔ و الأربعین من میلاده الشّریف؛ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ «۱»، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ* فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ* أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا کُنَّا مُرْسِلِینَ «۲»، شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۳» و هو الشّهر الّذی کان محمّد صلّی اللّه علیه و آله یعتکف فیه بغار حراء «۴»، و یعتزل فیه النّاس للصّوم و العبادهٔ.

أمّا نفس اللّیلهٔ الّتی ابتدأ فیها الوحی ففیها خلاف کثیر. و فی قوله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ «۵»، إشارهٔ إلی أنّ ابتداء الوحی کان فی السّابع عشر من رمضان؛ لأنّ التقاء الجمعین فی (۱۷) رمضان سنهٔ (۲)

(۱)- سورهٔ القدر/ ۱.

(۲)- سورهٔ الدّخان/ ۳- ۵.

(۳)- سورهٔ البقرهٔ/ ۱۸۵.

(۴)- حراء بالکسر و التّخفیف و المدّ: جبل من جبال مکّهٔ علی ثلاثهٔ أمیال، و کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قبل أن یأتیه الوحی یتعبّد فی غار من حراء.

(۵)- الأنفال/ ۴۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۱۹

للهجرة، و المراد بالجمعين هم المسلمون و المشركون ببدر. فالآية تشير إلى يومين عظيمين رفيعين شرّف اللّه تعالى فيهما محمّدا صلّى اللّه عليه و آله بالرّسالة، و أعزّ المسلمين بنصره، روى أبو جعفر بن جرير الطّبرىّ فى تفسيره بسنده عن الإمام حسن بن علىّ بن أبى طالب عليهما السّلام قال: «كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشر من شهر رمضان». (ص: ۷)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۲۰

الفصل الرّابع و الأربعون نصّ النّهاوندىّ (م: ۱۳۶۹ ه) فى «خزينة الجواهر» «۱»

المنازل الأربعة عشر القرآن الكريم

إنّ هذا القرآن هو أوّل كتاب سماوىّ، و له منازل عديدة و نزولات متعدّدة؛

الأوّل: القرآن و هو أشرفها، و نزل بالمشيئة الإلهيّة، و تجلّى للبشر بنور محمّد صلّى اللّه عليه و آله أوّل خليقته و وعاء مشيئته. و المراد بالنور المقدّس ذلك العقل الأوّل الّذى قال له البارئ بعد خلقه: أقبل، فأقبل، ثمّ قال له: أدبر، فأدبر.

و كان نبيّا فى ذلك المقام النّورانىّ كما قال صلّى اللّه عليه و آله: «كنت نبيّا و آدم بين الماء و الطّين» بل أنّه خلق نبيّا و كان متّصفا بمقام الرّسالة، و إعطاء الحكم و النّبوّة و الرّسالة فى أوّل الخلقة، كما أنّ قاعدة إمكان الأشرف شاهدة على ذلك، و أنّ سائر الأنبياء يستضيئون بضوئه، و يستنيرون بنوره.

الثّانى: القرآن المكتوب على جبهة إسرافيل و جبهته مورده و منزله كما أفاد غير واحد من الأخبار.

الثّالث: هو عالم الأسماء و الأشباح الّذى أطلق عليه عالم النّور و نور النّور و عالم

---

(۱)- ترجم هذا النّص من الفارسيّة. و النّهاوندىّ هذا هو الشّيخ على أكبر صاحب المؤلّفات الكثيرة باللّغة الفارسيّة، غير النّهاوندىّ صاحب التّفسير الآتى «نفحات الرّحمن».

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۲۱

المثال و التّمثال.

الرّابع: اللّوح المحفوظ الّذى أخبر عنه اللّه سبحانه بقوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «۱».

الخامس: سدرة المنتهى، و هو المقام الّذى يتلقّى جبرئيل منه الوحى.

السّادس: اللّوح الموجود فى عرش الرّحمن، إذ قد ورد فى كثير من التّفاسير كتفسير القمّىّ و العيّاشىّ و البرهان و نور الثّقلين عند تفسير الآية المباركة وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ «۲»، أنّ الإمام علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: «فى العرش تمثال جميع ما خلق اللّه فى البرّ و البحر»، و هذا العموم يشمل القرآن أيضا على وجه أعلى و أشرف.

السّابع: نزول القرآن على الرّسول دفعة واحدة ليلة المعراج بدون توسّط جبرئيل حسبما يستفاد من الأخبار و الآثار إمّا تصريحا أو تلويحا.

الثّامن: عالم المشيئة الإلهيّة؛ لأنّ القرآن مخلوق و حادث، خلافا للأشاعرة القائلين بالكلام النّفسىّ و بقدم القرآن. فهو موجود- إذا- فى المشيئة الإلهيّة، كما تشير كلمة «كن» إلى ذلك المقام فى بعض الرّوايات؛ حيث ناجى موسى ربّه قائلا: ربّ أرنى خزائنك! قال اللّه تعالى: «إنّما خزائنى إذا أردت لشىء أن أقول له: كن، فيكون».

التّاسع: البيت المعمور، استنادا إلى بعض الأحاديث.

العاشر: قلب خاتم الأنبياء فى ليلة القدر، طبق أخبار كثيرة أنّ القرآن نزل على قلب النّبىّ جملة واحدة فى ليلة القدر.

الحادى عشر: البيت المعمور فى اللّيلة الثّالثة و العشرين من شهر رمضان، و نزول معناه على قلب الرّسول مدّة عشرين سنة، كما قال اللّه تعالى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ «٣».

الثّانى عشر: نفس القرآن الموجود بين النّاس، الثّابت بين الدّفّتين، و الّذى قرنه النّبىّ

---

(١)- الواقعة/ ٧۶- ٧٨.

(٢)- الحجر/ ٢١.

(٣)- الشّعراء/ ١٩٣.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ٣٢٢

بالعترة فى الحديث المعروف «إنّى تارك فيكم الثّقلين كتاب اللّه و عترتى» و هو نفس القرآن الّذى جرى على لسان الرّسول و الأئمّة:، و نفسه الّذى نزل على سيّد المرسلين بواسطة الرّوح الأمين.

الثّالث عشر: وجوده اللّفظىّ و كسوته الكلاميّة فى ألسنة القرّاء و أفواههم.

الرّابع عشر: بعثه يوم القيامة بصورته الحسنة و شفاعته لقارئيه، كما جاء ذلك فى حديث طويل برواية سعد الخفّاف نقلا عن الإمام الباقر عليه السّلام. و قد أشار العالم الجليل و الأستاذ النّبيل المرحوم الشّيخ جعفر الشّوشترىّ فى كتاب «الخصائص الحسينيّة» إلى بعض هذه المنازل و المقامات، و كذا فعل العالم الجليل المتّقى الشّيخ محمّد تقى الأصفهانى المعاصر، المعروف بآقا نجفى فى كتاب «العنايات الرّضويّة».

إشارة: اعلم أنّ المراد من قول الإمام العسكرىّ عليه السّلام: «إنّ روح القدس فى الجنان الصّاقورة ذاق عن حدائقنا الباكورة» على ما نقله عنه فى «السّابع عشر» من بحار الأنوار، و رواية تعليم أمير المؤمنين عليه السّلام لجبرئيل عليه السّلام فى عالم الأشباح و الأنوار، ليس نزول جبرئيل على خاتم الأنبياء صلّى اللّه عليه و آله، و نزول الكتاب عليه، بل هو تلقّيه من باطن محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و إنزال القرآن على ظاهره، و هذا شرف لجبرئيل، و ليس افتقار النّبىّ و احتياجه إليه.

و لنعم ما قال فى هذا المقام بعض الأعلام، و حرىّ بنا أن ننقل كلامه تشييدا للمرام، قال: اعلم أنّ نزول جبرئيل على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله إنّما كان على حسب الحكمة البالغة الرّبانيّة، و لعلّه من جهة تشرّف جبرئيل بهذه الخدمة، فإنّه صلّى اللّه عليه و آله معدن الرّحمة الواسعة، و هو إعطاء كلّ ذى حقّ حقّه، و هذا تفضّل من اللّه و رسوله بالنّسبة إلى جبرائيل، لا من جهة افتقار الرّسول صلّى اللّه عليه و آله فى تعلّمه الوحى إلى جبرئيل، أو جهله بالقرآن قبل نزول جبرئيل عليه، بل كان عالما بذلك من أوّل الخلقة و قبل أن يخلق جبرئيل. فقوله تعالى: عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى «١» معناه أعطاه العلم، و لا يلزمه نسبة الجهل إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و آله. إلى آخر ما قال من هذا النّمط من المقال «٢». (ص ۴٣٣- ۴٣۵)

---

(١)- النّجم/ ۵.

(٢)- و فى بعض هذا الكلام نظر من أجل أنّه لا يوافق ظاهر القرآن.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ٣٢٣

الفصل الخامس و الأربعون نصّ النّهاوندىّ (م: ١٣٧١ ه) فى تفسيره: «نفحات الرّحمن»

فى بيان سرّ نزول القرآن جملة إلى البيت المعمور فى ليلة القدر

قد اتّفقت الأمّة من الخاصّة و العامّة، و تظافرت بل تواترت نصوصهم على أنّ الكتاب العزيز نزل أوّلا فى ليلة القدر و مجموعا من اللّوح المحفوظ إلى البيت المعمور الّذى يكون فى السّماء الرّابعة، أو إلى بيت العزّة فى سماء الدّنيا إلى السّفرة الكرام البررة، ثمّ نزل به جبرئيل نجوما على خاتم النّبيين صلّى اللّه عليه و آله فى مدّة عشرين أو ثلاث عشرين أو خمس و عشرين سنة، على حسب اختلاف العلماء فى مدّة إقامته صلّى اللّه عليه و آله بمكّة بعد بعثته و قبل هجرته.

و قيل: فى سرّ إنزاله جملة أوّلا إلى سماء الدّنيا ... [و ذكر كما تقدّم عن أبى شامة].

و قيل: إنّ السّرّ هو تسليمه تبارك و تعالى لهذه الأمّة ما كان أبرز لهم من الحظّ من الرّحمة الّتى استحقّوها لأجل مبعث محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و ذلك أنّ بعثة محمّد صلّى اللّه عليه و آله كانت رحمة، فلمّا خرجت الرّحمة و فتح بابها جاءت بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و بالقرآن معا، فوضع القرآن ببيت العزّة فى السّماء الدّنيا ليدخل فى حدّ الدّنيا، و وضعت النّبوّة فى قلب محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و جاء جبرئيل عليه السّلام بالرّسالة ثمّ بالوحى، كأنّه تعالى أراد أن يسلّم إلى الأمّة الرّحمة الّتى كانت

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۲۴

حظّها من اللّه.

و قيل: إنّ السرّ فى نزوله جملة إلى سماء الدّنيا تكريم بنى آدم، و تعظيم شأنهم عند الملائكة، و تعريفهم عناية اللّه بهم و رحمته لهم، و لهذا المعنى أمر اللّه سبعين ألف ملك أن يشيّعوا سورة الأنعام، و زاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمر جبرئيل بإملائه على السّفرة الكرام و إنساخهم إيّاه و تلاوتهم له. و فيه أيضا التّسوية بين نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و بين موسى بن عمران و عيسى بن مريم عليهما السّلام فى إنزاله كتابه جملة، كما أنزل كتابيهما جملتين، و التّفصيل لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله فى إنزاله عليه منجّما؛ لحكم كثيرة لا يعلمها إلّا اللّه.

أقول: يمكن أن يكون السّرّ تكميل عالم الملكوت، و وجود الرّوحانيّين بإيجاد الكتاب الكريم فيهم. و تقريره أن يقال: المراد من إنزاله إلى سماء الدّنيا و إلى البيت المعمور هو إبداعه تعالى و إيجاده كتابه الكريم بوجوده الجوهرىّ، و صورته النّوريّة فى ملكوت السّماء و عالم الأنوار و بعد وجوده فى مكنون علمه المعبّر عنه بالعرش تارة و باللّوح المحفوظ أخرى، و لمّا كان وجود خاتم النّبيّين صلّى اللّه عليه و آله رحمة للعالمين حصل ببركة استعداد الكمال لجميع العوالم الملكيّة و الملكوتيّة، و كما كان للكتاب العظيم تأثير عظيم بوجوده اللّفظىّ و الكتبىّ فى تكميل النّفوس المستعدّة فى عالم الملك، كان لوجوده الجوهرىّ النّورىّ فى عالم الملكوت تأثير فى تكميل وجود الذّوات المستعدّة الملكوتيّة و الملكيّة. و بحصول مرتبة من الكمال الوجودىّ لعالم الوجود صار مستحقّا لتزيينه بوجود خاتم النّبيّين و تكميله ببعثته، فشملته هذه الرّحمة العظيمة و بعثه اللّه فيه. ثمّ بعد هذا الفيض حصل له استعداد قبول فيض آخر، و استحقاق رحمة أتمّ من إنزال كتابه الكريم الّذى هو تجلّى صفاته التّامّة فى العوالم. و كان إيجاد الكتاب الكريم فى عالم الملكوت تكميل الرّحمة على جميع الموجودات الملكيّة و الملكوتيّة ببركة وجود نبىّ الرّحمة و إرساله رحمة للعالمين.

لعلّ هذا الوجه الّذى ذكرناه أوجه فى الواقع و أقرب إلى الأذهان من الوجه الّذى ذكره الفيض، فى «مقدّمات الصّافى» فإنّه بعد نقل الرّوايات الدّالّة على نزول القرآن جملة إلى البيت المعمور فى ليلة القدر ... [ثمّ ذكر كما تقدّم عنه فقال:]

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۲۵

مع أنّه ليس فيما ذكرناه حمل الرّوايات على خلاف ظاهرها؛ إذ من الواضح أنّه ليس المراد من القرآن الّذى نزل فى البيت المعمور الأصوات المعتمدة على المخارج المعبر عنها بالحروف و الكلمات، و لا النّقوش المنطبعة فى الأوراق و الصّفحات، بل له صورة فى عالم الملكوت مغايرة لصورته فى هذا العالم، و استعمال لفظ الإنزال فى معنى الايجاد غير عزيز، كما قال تعالى: وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِيَةَ أَزْواجٍ «۱»، أى أوجد لكم.

نعم، فى خبر المفضّل إشعار بتوجيهه رحمه اللّه حيث قال: قال الصّادق عليه السّلام: يا مفضّل، أنّ القرآن نزل ... [و ذكر كما تقدّم

عن العلّامة المجلسىّ، ثمّ قال:]
و يمكن حمله على ما ذكرنا من الوجه، أو إبقائه على ظاهره إن كان له ظهور فيما ذكره رحمه اللّه من التّوجيه و القول بنزوله فى البيت المعمور و فى قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و لا منافاة بينهما.

فى بيان أسرار نزول القرآن العظيم نجوما على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله

و أمّا سرّ نزوله نجوما فكثير، منه: أنّه صلّى اللّه عليه و آله بنزوله نجوما كان يتحدّى بكلّ نجم من آية أو سورة تنزّل عليه، و من الواضح أنّ عجز الفصحاء من الإتيان بمثل كلّ واحد من النّجوم أظهر فى الإعجاز من عجزهم من إتيان مثل المجموع إذا كان نزوله جملة واحدة، إذا كان تحدّى به.
و منه: إنّ فى إنزاله نجوما كان لطفا على المؤمنين؛ حيث أنّه كان بنزول نجم يزداد فرحهم و يقينهم كما قال اللّه تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادَتْهُمْ إِيماناً وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ «۲».
و أيضا: كان بنزول الآيات فى مواقع الجهاد يزداد نشاطهم و رغبتهم و جدّهم فيه، و إذا نزلت بهم بليّة ثمّ نزلت فى شأنهم آية كان يهوّن عليهم تلك البليّة، و إذا وقعوا فى تعب و عناء كان نزول الآيات يزيل تعبهم و عنائهم بتكميل بصيرتهم و يقينهم.

---

(۱)- الزّمر/ ۶.

(۲)- التّوبة/ ۱۲۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۲۶
و منه: أنّ مناسبة الواقع و خصوصيّات المقامات و انضمام القرائن الحالية كانت موجبة لزيادة البلاغة.
و منه: أنّ نزول بعض الآيات ردّا على الكفّار فى مواقع معارضتهم، أو إلقاء شبهاتهم، أو تهديدا لهم عند صدور استهزاءاتهم و الطّعون منهم على الإسلام و المسلمين، أو زجرا لهم عند إرادتهم الفساد فى الدّين، كان أشدّ تأثيرا فى تبكيتهم و تقريعهم و ردعهم و زجرهم و هدايتهم و تبعهم إلى الإيمان و الانقياد إلى الحقّ.
و منه: أنّ نزوله مفرّقا أدعى لقبوله و تحمّل إطاعة أحكامه، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فإنّه كان يثقل قبوله على كثير من النّاس؛ لكثرة ما فيه من الفرائض و المناهى.
روى عن عائشة أنها قالت: إنّما نزل أوّل ما أنزل منه سور من المفصّل، فيها ذكر الجنّة و النّار، حتّى إذا ثاب النّاس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام، و لو نزل أوّل شىء «لا تشربوا الخمر» لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، و لو نزل «لا تزنوا» لقالوا: لا ندع الزّنى أبدا.
و عن الباقر عليه السّلام قال: «ليس أحد أرفق من اللّه تعالى من رفقه تبارك و تعالى أنّه ينقلهم من خصلة إلى خصلة، و لو حمل عليهم جملة واحدة لهلكوا». و فى رواية عنهم عليهم السّلام «إنّ اللّه تعالى إذا أراد أن يفرض فريضة أنزلها شيئا بعد شىء، حتّى يوطّن النّاس أنفسهم عليها، و يسكنوا إلى أمر اللّه و نهيه، و كان ذلك من التّدبير فيهم أصوب و أقرب لهم إلى الأخذ بها، و أقل لنفارهم منها».
أقول: و لعلّه إلى جميع الوجوه المذكورة أشار سبحانه و تعالى بقوله: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۱».
روى عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه قال: أخذ موسى الألواح بعد ما سكن عنه الغضب؛ فأمرهم بالّذى أمر اللّه أن يبلغهم من الوظائف فثقلت عليهم، فأبوا أن يقرّوا بها، حتّى نتق اللّه عليهم الجبل كأنّه ظلّة، و دنا منهم حتّى خافوا أن يقع عليهم فأقرّوا بها.
أقول: لعلّه من الإصار التى كانت على بنى إسرائيل أنّه نزلت التّوراة على موسى دفعة، و حمّل عليهم جميع التّكاليف بدوّا، فصار ثقيلا عليهم، فأبوا عن قبولها. (۱: ۶- ۸)

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۲۷

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... البقرة/ ۱۸۵

الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ: ابتداءه أو بیانه أو تأویله أو جمیعه دفعة إلی البیت المعمور فی لیلة القدر منه.

روی عن الکافی، عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه شهر رمضان ... [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و قد تظافرت الرّوایات بأنّها لیلة القدر، فتوصیف هذا الشّهر بذلک الوصف لبیان أنّ هذا الشّهر لفضیلته و شرافته الذّاتیة خصّ بنزول الرّحمة و وفور البرکات التی أتمّها نزول القرآن، الّذی وصفه بکونه هُدیً و دلیلا لِلنَّاسِ إلی الحقّ القویم و الصّراط المستقیم بما فیه من الإعجاز.

وَ بَیِّناتٍ قیل: یعنی آیاته موضحات مِنَ الْهُدی الّذی یکون فی سائر الکتب السّماویّة، و کاشفات عن مبهمات سائر الصّحف الّتی نزلت لهدایة النّاس، وَ الْفُرْقانِ الّذی یکون فیها.

و الحاصل أنّ جمیع الکتب السّماویّة و إن کان هادیا إلی الخیر و مفرّقا بین الحقّ و الباطل، إلّا أنّه لا یتمّ هدایتها و تفریقها إلّا بتوضیحات من القرآن، فالقرآن بیّن بنفسه و مبیّن لغیره من الکتب، فلذا کان أهدی و أفضل و أشرف من سائر الکتب، و هذا الشّهر صار أفضل و أشرف بسبب نزول القرآن فیه، فحقّ علی العباد أن یشکروا للّه فیه و یعبدوه.

(۱: ۱۳۶- ۱۳۷)

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ ... آل عمران/ ۳- ۴

استدلّ سبحانه علی انحصار استحقاق العبادة فیه بنعمه العظام الّتی أهمّها إنزال الکتب السّماویّة لهدایة البشر إلی العقائد الحقّة، و المحسنات العقلیّة و المصالح الدّنیویّة بقوله: مخبرا عن ذاته المقدّسة بأنّه نَزَّلَ نجوما و تدریجا، عَلَیْکَ یا محمّد لهدایة الخلق إلی یوم القیمة، الْکِتابَ المجید و القرآن الحمید ... [إلی أن قال:]

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۲۸

ثمّ استدلّ سبحانه بنعمه السّابقة علی الأمم السّالفة بقوله: وَ أَنْزَلَ سبحانه دفعة التَّوْراةَ علی موسی بن عمران وَ الْإِنْجِیلَ علی عیسی بن مریم مِنْ قَبْلُ و فی الأزمنة السّابقة علی نزول القرآن؛ لأجل أن یکون کلّ واحد منهما هُدیً و دلیلا مرشدا لِلنَّاسِ المکلّفین باتّباعهما إلی الحقّ و الرّشاد.

و لا یذهب علیک أنّه ظهر من تفسیرنا الفرق بین التّنزیل و الإنزال، و إنّ التّنزیل متضمّن للکثرة و التّدرّج فی النّزول دون الإنزال، و لمّا کان القرآن جامعا بین الجهتین، باعتبار نزوله دفعة إلی البیت المعمور و تدریجا إلی الأرض أسند إلیه التّنزیل فی أوّل الآیة، ثم للدّلالة علی کونه أعظم شأنا و أتمّ نعمة من غیره، أعاد ذکره بقوله: وَ أَنْزَلَ الکتاب الّذی جعله الْفُرْقانَ بین الحقّ و الباطل، و المائز بین الضّلال و الرّشاد، و المبیّن لمشتبهات سائر الکتب السّماویّة و المهیمن علیها.

عن الصّادق علیه السّلام: «القرآن جملة الکتاب، و الفرقان المحکم الواجب العمل به». و فی روایة: «الفرقان کلّ آیة محکمة».

و عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله: «سمّی القرآن فرقانا لأنّه متفرّق الآیات و السّور، أنزلت فی غیر الألواح و غیر الصّحف، و التوراة و الزّبور أنزلت کلّها جملة فی الألواح و الأوراق».

أقول: لا منافاة بين هذه الأخبار؛ لإمكان إطلاق هذا الوصف عليه بكلا الاعتبارين، فتحصّل من الآيات أنّ من كان كمال قدرته وسعة لطفه و رحمته و وفور نعمته بهذه المرتّبة كان هو المعبود بالاستحقاق دون عيسى و غيره من الخلق. (۱: ۲۰۲)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ... طه/ ۱۱۴

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ و لا تسرع إلى قراءته و حفظه خوفا من النّسيان و الانفلات،

مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ و يتمّ جبرئيل قراءته عليك.

وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً بالقرآن، و فهما لحقائقه، و تنوّرا بأنواره. [ثمّ ذكر قول ابن عبّاس و مجاهد و الضّحّاك كما تقدّم عن الفخر الرّازىّ]. (۳: ۹۵)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۲۹

ثمّ حكى سبحانه اعتراض المشركين على القرآن بنزوله نجوما بقوله: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا من قريش طعنا على القرآن لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كتوراة موسى و إنجيل عيسى، على ما قاله أهل الكتاب فأجاب سبحانه عنه بقوله كَذلِكَ التّفريق فرقناه؛ لِنُثَبِّتَ و لنقوّى به فُؤادَكَ و قلبك فى التّبليغ؛ لكون كلّ آية فى حادثة و واقعة معجزة ظاهرة مستقلّة، فعجزهم عن إتيان مثلها دليل واضح على صدرك، فيكون القرآن معجزات كثيرة بحسب كثرة آياته، فلو نزل جملة واحدة لعدّ جميعه معجزة واحدة.

و لكون نزوله على حسب أسئلة النّاس و الوقائع موجب لازدياد بصيرتهم؛ لانضمام فصاحته بالأخبار المغيبة، مع أنّ فى نزوله مفرّقا رفق بالعباد و تسهيل للعمل بالأحكام قليلا قليلا، فلو نزلت الأحكام جملة واحدة لثقلت عليهم و خرجوا من الدّين، ففى ثباتهم عليه ما استلزم التّفريق من رؤية جبرئيل وقتا بعد وقت و حالا بعد حال تقوية لقلبك الشّريف.

وَ رَتَّلْناهُ: و قرأناه عليك شيئا فشيئا و على تؤدة و مهل، تَرْتِيلًا حسنا موجبا لتيسّر فهمه و حفظه و الالتفات إلى جهات إعجازه. (۳: ۲۲۸- ۲۳۱)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۰

الفصل السّادس و الأربعون نصّ المراغى فى «تفسيره»

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، أى و قال اليهود: هلا أنزل القرآن على محمّد دفعة واحدة كما أنزلت الكتب السّالفة على الأنبياء كذلك. و هذا زعم باطل، و دعوى داحضة، فإنّ هذه الكتب نزلت متفرّقة، فقد أنزلت التّوراة منجّمة فى ثمانى عشرة سنة كما تدلّ على ذلك نصوص التّوراة، و ليس هناك دليل قاطع على خلاف ذلك من كتاب أو سنّة كما نزل القرآن، لكنّهم معاندون أو جاهلون لا يدرون كيف نزلت كتب اللّه على أنبيائه، و هو اعتراض بما لا طائل تحته، لأنّ الإعجاز لا يختلف بنزوله جملة أو متفرّقا.

فردّ اللّه عليهم ما قالوا، و أشار إلى السّبب الّذى لأجله نزل منجّما فقال: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ أى أنزلناه كذلك لنقوّى قلبك به بإعادته و حفظه كما قال: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا.

و خلاصة تلك الفوائد: ... [و ذكر ما تقدّم نحوه عن الفخر الرّازىّ، ثمّ قال:]

إنّ بعض أحكام الشّريعة جاء فى بدء التّنزيل وفق حال القوم الّذين أنزلت عليهم، و بحسب العادات الّتى كانوا يألفونها، فلمّا أضاء اللّه بصائرهم بهدى رسوله تغيّرت بعض

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۱

أحوالهم و استعدّت أنفسهم لتشريع يزيدهم طهرا على طهر، و يذهب عنهم رجس الجاهليّة الّذى كانوا فيه، فجاء ذلك التّشريع الجديد الكامل المناسب لتلك الحال الجديدة، و لو نزل القرآن جملة لم يتسنّ شىء من هذا.

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا، أى أنزلناه عليك هكذا على مهل، و قرأناه بلسان جبريل شيئا فشيئا فى ثلاث و عشرين سنة. (۱۹: ۱۲- ۱۳)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر / ۱

«تقدمة تبيّن ميقات» أشار الكتاب الكريم إلى زمان نزول القرآن على رسوله صلّى اللّه عليه و سلم فى أربعة مواضع من كتابه الكريم، «و القرآن يفسّر بعضه بعضا»:

(۱) فى سورة القدر: ۱ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

(۲) فى سورة الدّخان: ۱- ۶ حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ* رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

(۳) فى سورة البقرة: ۱۸۵ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ.

(۴) فى سورة الأنفال: ۴۱ وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِى الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فآية القدر صريحة فى أنّ إنزال القرآن كان فى ليلة القدر، و آية الدّخان تؤكّد ذلك و تبيّن أنّ النّزول كان فى ليلة مباركة، و آية البقرة ترشد إلى أنّ نزول القرآن كان فى شهر رمضان، و آية الأنفال تدلّ على أنّ إنزال القرآن على رسوله كان فى ليلة اليوم المماثل ليوم التقاء الجمعين فى غزوة بدر، الّتى فرّق اللّه فيها بين الحقّ و الباطل، و نصر حزب الرّحمن على حزب الشّيطان، و من ذلك يتّضح أنّ هذه اللّيلة هى ليلة الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۲

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ أى إنّا بدأنا ننزّل الكتاب الكريم فى ليلة الشّرف، ثمّ أنزلناه بعد ذلك منجّما فى ثلاث و عشرين سنة بحسب الحوادث الّتى كانت تدعو إلى نزول شىء منه، تبيانا لما أشكل من الفتوى فيها، أو عبرة بما يقصّ فيه من القصص و زواجر. و لا شكّ أنّ البشر كان فى حاجة إلى دستور يبيّن لهم ما التبس عليهم من أمر دينهم و دنياهم، و يوضّح لهم أمر النّشأة الأولى و أمر النّشأة الآخرة، لأنّهم كانوا أعجز من أن يفهموا مصالحهم الحقّة حتّى يسنّوا لأنفسهم من النّظم ما يغنيهم عن الدّين و التّديّن و حوادث الكون الّتى نراها رأى العين كفيلة بأن تبيّن وجه الحقّ فى ذلك، فإنّ النّاس من بدء الخليقة يبدءون و يعيدون، و يصحّحون و يراجعون فى قوانينهم الوضعيّة، ثمّ يستبين لهم بعد قليل من الزّمن أنّها لا تكفى لهدى المجتمع و الأخذ بيده إلى موضع الرّشاد، و تمنعه من الوقوع فى مهاوى الزّلل و من ثمّ قيل: لا غنى للبشر عن الدّين و لا عن وازع روحىّ يضع لهم مقاييس الأشياء و قيمها، بعد أن أبان لهم العلم وصفها و خواصّها، كما لا غنى له عن الاعتقاد فى قوّة غيبيّة يلجأ إليها حين يظلم عليه ليل الشّكّ، و تختلط عليه صروف الحياة و ألوان مآسيها. (۳۰: ۲۰۶- ۲۰۸)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۳

الفصل السّابع و الأربعون نصّ سيّد قطب (م: ۱۳۸۵ ه) فى تفسيره: «فى ظلال القرآن»

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ ... الدّخان/ ۳

و اللّيلـة المباركـة الّتى أنزل فيهـا القرآن هى- و اللّه أعلم- اللّيلـة الّتى بـدأ فيهـا نزوله، و هى إحـدى ليالى رمضان الّـذى قيل فيه شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱»، و القرآن لم ينزل كلّه فى تلـك اللّيلـة، كمـا أنّه لم ينزل كلّه فى رمضان، و لكنّه بـدأ يتّصل بهـذه الأرض، و كانت هذه اللّيلة موعد هذا الاتّصال المبارك، و هذا يكفى فى تفسير إنزاله فى اللّيلة المباركة.

و إنّها لمباركة حقّا تلك اللّيلة الّتى يفتح فيها ذلك الفتح على البشـريّة، و الّتى يبدأ فيها اسـتقرار هذا المنهج الإلهىّ فى حياة البشـر، و الّتى يتّصل فيها النّاس بالنّواميس الكونيّة الكبرى مترجمة فى هذا القرآن ترجمة يسيرة، تسـتجيب لها الفطرة و تلبّيها فى هوادة، و تقيم على أساسـها عالما إنسانيّا مسـتقرّا على قواعد الفطرة و استجاباتها، متناسقا مع الكون الّذى يعيش فيه، طاهرا نظيفا كريما بلا تعمّل و لا تكلّف، يعيش فيه الإنسان على الأرض موصولا بالسّماء فى كلّ حين.

و لقد عاش الّذين أنزل القرآن لهم أوّل مرّة فترة عجيبة فى كنف السّماء، موصولين

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۴

مباشـرة باللّه، يطلعهم أوّلا بأوّل على ما فى نفوسهم، و يشعرهم أوّلا بأوّل بأنّ عينه عليهم، و يحسبون هم حساب هذه الرّقابة، و حساب هذه الرّعاية، فى كلّ حركة و كلّ هاجسة تخطر فى ضمائرهم، و يلجئون إليه أوّل ما يلجئون، واثقين أنّه قريب مجيب.

و مضـى ذلك الجيل و بقى بعـده القرآن كتابا مفتوحا موصولا بالقلب البشـرىّ، يصـنع به حين يتفتّح له ما لا يصنعه السّـحر، و يحوّل مشاعره بصورة تحسب أحيانا فى الأساطير!.

و بقى هذا القرآن منهجا واضحا كاملا صالحا لإنشاء حياة إنسانيّة نموذجيّة فى كلّ بيئة و فى كلّ زمان، حياة إنسانيّة تعيش فى بيئتها و زمانها فى نطاق ذلك المنهج الإلهىّ المتميّز الطّابع، بكلّ خصائصه دون تحريف، و هذه سمة المنهج الإلهىّ وحده، و هى سمة كلّ ما يخرج من يد القدرة الإلهيّة.

إنّ البشـر يصنعون ما يغنى مثلهم، و ما يصلح لفترة من الزّمان، و لظرف خاصّ من الحياة، فأمّا صنعة اللّه فتحمل طابع الدّوام و الكمال، و الصّلاحيّة المستمرّة و تلبية الحاجات فى كلّ ظرف و فى كلّ حين، جامعة بين ثبات الحقيقة و تشكّل الصّورة فى اتّساق عجيب.

أنزل اللّه هـذا القرآن فى هـذه اللّيلة المباركة أوّلا للإنذار و التّحذير إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فاللّه يعلم غفلة هذا الإنسان و نسيانه و حاجته إلى الإنذار و التّنبيه. و هذه اللّيلة المباركة بنزول هذا القرآن كانت فيصلا و فارقا بهذا التّنزيل. (۵: ۳۲۰۸)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶- ۱۹

كـان الرّسول صـلّى اللّه عليه و سـلم يخاف أن ينسـى شـيئا ممّا يوحى إليه، فكان حرصه على التّحرز من النّسـيان يـدفعه إلى اسـتذكار الوحى فقرة فقرة فى أثنـاء تلقّيه، و تحريـك لسـانه به ليسـتوثق من حفظه. فجاءه هـذا التّعليم لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ ..

جـاءه هـذا التّعليم ليطمئنّه إلى أنّ أمر هـذا الوحى، و حفـظ هـذا القرآن و جمعه و بيان مقاصـده .. كلّ أولئك موكول إلى صاحبه. و دوره هو، هو التّلقّى و البلاغ، فليطمئنّ بالا،

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۵

و ليتلقّ الوحى كاملا، فيجده فى صدره منقوشا ثابتا، و هكذا كان فأمّا هذا التّعليم فقد ثبت فى موضعه حيث نزل، أ ليس من قول اللّه تعالى؟ و قول اللّه ثابت فى أىّ غرض كان؟ و لأىّ أمر أراد؟ و هذه كلمة من كلماته تثبت فى صلب الكتاب شأنها شأن بقيّة الكتاب، و دلالة إثبات هذه الآيات فى موضعها هذا من السّورة دلالة عميقة موحية على حقيقة لطيفة فى شأن كلّ كلمات اللّه فى أىّ اتّجاه، و فى شأن هذا القرآن و تضمّنه لكلّ كلمات اللّه الّتى أوحى بها إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم لم يخرم منها حرف، و لم تند منها عبارة، فهو الحقّ و الصّدق و التّحرّج و الوقار!

ثمّ تجىء الآيات الأربع الخاصّة بتوجيه الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم فى شأن الوحى و تلقّى هذا القرآن لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... و بالإضافة إلى ما قلناه فى مقدّمة السّورة عن هذه الآيات، فإنّ الإيحاء الّذى تتركه فى النّفس هو تكفّل اللّه المطلق بشأن هذا القرآن، وحيا و حفظا و جمعا و بيانا، و إسناده إليه سبحانه و تعالى بكليّته. ليس للرّسول صلّى اللّه عليه و سلم من أمره إلّا حمله و تبليغه، ثمّ لهفة الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم و شدّة حرصه على استيعاب ما يوحى إليه، و أخذه مأخذ الجدّ الخالص، و خشيته أن ينسى منه عبارة أو كلمة، ممّا كان يدعوه إلى متابعة جبريل عليه السّلام فى التّلاوة آية آية و كلمة كلمة، يستوثق منها أنّ شيئا لم يفته، و يتثبّت من حفظه له فيما بعد!.

و تسجيل هذا الحادث فى القرآن المتلوّ له قيمته فى تعميق هذه الإيحاءات الّتى ذكرناها هنا و فى مقدّمة السّورة بهذا الخصوص.

ثمّ يمضى سياق السّورة فى عرض مشاهد القيامة و ما يكون فيها من شأن النّفس اللّوّامة. فيذكّرهم بحقيقة نفوسهم و ما يعتلج فيها من حبّ للدّنيا و انشغال، و من إهمال للآخرة و قلّة احتفال، و يواجههم بموقفهم فى الآخرة بعد هذا و ما ينتهى إليه حالهم فيها.

و يعرض لهم هذا الموقف فى مشهد حىّ قوىّ الإيحاء عميق الإيقاع:

كَلَّا* بَلْ تُحِبُّونَ الْعاجِلَةَ* وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ* إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ* وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ باسِرَةٌ* تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرَةٌ «۱».

---

(۱)- القيامة/ ۲۰- ۲۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۶

و أوّل ما يلحظ من ناحية التّناسق فى السّياق هو تسمية الدّنيا بالعاجلة فى هذا الموضع، ففضلا عن إيحاء اللّفظ بقصر هذه الحياة و سرعة انقضائها- و هو الإيحاء المقصود- فإنّ هناك تناسقا بين ظلّ اللّفظ و ظلّ الموقف السّابق المعترض فى السّياق، و قول اللّه تعالى لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ فهذا التّحريك و هذه العجلة هى أحد ظلال السّمة البشريّة فى الحياة الدّنيا، و هو تناسق فى الحسّ لطيف دقيق، يلحظه التّعبير القرآنىّ فى الطّريق! (۶: ۳۷۶۷)

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى الأعلى/ ۶- ۷

بعدئذ يجىء بتلك البشرى العظيمة لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و أمّته من ورائه، و تبدأ البشرى برفع عناء الحفظ لهذا القرآن و الكدّ فى إمساكه عن عاتق الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسى فعليه القراءة يتلقّاها عن ربّه، و ربّه هو المتكفّل بعد ذلك بقلبه، فلا ينسى ما يقرئه ربّه.

و هى بشرى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم تريحه و تطمئنّه على هذا القرآن العظيم الجميل الحبيب إلى قلبه الّذى كان يندفع بعاطفة الحبّ له و بشعور الحرص عليه، و بإحساس التّبعة العظمى فيه، إلى ترديده آية آية و جبريل يحمله إليه، و تحريك لسانه به خيفة أن ينسى حرفا منه.

حتّى جاءته هذه البشائر المطمئنّة بأنّ ربّه سيتكفّل بهذا الأمر عنه.

و هى بشرى لأمّته من ورائه، تطمئنّ بها إلى أصل هـذه العقيـدة، فهى من اللّه، و اللّه كافلها و حافظها فى قلب نبيّها. و هـذا من رعايته سبحانه، و من كرامة هذا الدّين عنده، و عظمة هذا الأمر فى ميزانه.

و فى هـذا الموضع كما فى كلّ موضع يرد فيه وعـد جازم، أو ناموس دائم، يرد ما يفيـد طلاقـة المشيئة الإلهيّة من وراء ذلك، و عدم تقيّدها بقيـد ما، و لو كان هـذا القيـد نابعا من وعـدها و ناموسـها. فهى طليقة وراء الوعد و النّاموس. و يحرص القرآن على تقرير هذه الحقيقة فى كلّ موضع- كما سبق أنّ مثّلنا لهذا فى الظّلال- و من ذلك ما جاء هنا.

إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ، فهو الاحتراس الّذى يقرّر طلاقة المشيئة الإلهيّة، بعد الوعد

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۷

الصّادق بأنّه لا ينسى ليظلّ الأمر فى إطار المشيئة الكبرى، و يظلّ التّطلّع دائما إلى هذه المشيئة حتّى فيما سلف فيه وعد منها، و يظلّ القلب معلّقا بمشيئة اللّه حيّا بهذا التّعلّق أبدا ..

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى، و كان هـذا تعليل لما مرّ فى هذا المقطع من القرار و الحفظ و الاستثناء. فكلّها ترجع إلى حكمة يعلمها من يعلم الجهر و مـا يخفى، و يطّلع على الأمر من جوانبه جميعا، فيقرّر فيه ما تقتضيـه حكمته المستندة إلى علمه بأطراف الأمر جميعا. (۶: ۳۸۸۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ ... القدر/ ۱- ۵

الحـديث فى هـذه السّورة عن تلك اللّيلـة الموعودة المشـهودة الّتى سـجّلها الوجود كلّه فى فرح و غبطة و ابتهال، ليلة الاتّصال المطلق بين الأرض و الملأ الأعلى. ليلة بدء نزول هذا القرآن على قلب محمّد صـلّى اللّه عليه و سلم، ليلة ذلك الحدث العظيم الّذى لم تشهد الأرض مثله فى عظمته و فى دلالته و فى آثاره فى حياة البشريّة جميعا، العظمـة الّتى لا يحيط بها الإدراك البشرىّ: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ* وَ ما أَدْراکَ ما لَیْلَةُ الْقَدْرِ* لَیْلَةُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

النّصوص القرآنيّـة الّتى تـذكر هـذا الحـدث تكاد ترفّ و تنير. بل هى تفيض بالنّور الهادئ السّارى الرّائق الودود، نور اللّه المشرق فى قرآنه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ و نور الملائكة و الرّوح و هم فى غدوّهم و رواحهم طوال اللّيلة بين الأرض و الملأ الأعلى.

تَنَزَّلُ الْمَلائِکَةُ وَ الرُّوحُ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ، و نور الفجر الّذى تعرضه النّصوص متناسقا مع نور الوحى و نور الملائكة، و روح السّلام المرفرف على الوجود و على الأرواح السّارية فى هذا الوجود: سَلامٌ هِیَ حَتَّی مَطْلَعِ الْفَجْرِ.

و اللّيلـة الّتى تتحـدّث عنها السّورة هى اللّيلـة الّتى جاء ذكرها فى سورة الـدّخان ۳- ۶ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ* فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ* أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۸

کُنَّا مُرْسِلِینَ* رَحْمَةً مِنْ رَبِّکَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ.

و المعروف أنّها ليلة من ليالى رمضان، كما فى سورة البقرة: ۱۸۵ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ أى التى بـدء فيهـا نزول القرآن على قلب الرّسول صـلّى اللّه عليه و سـلم ليبلّغه على النّاس. و فى روايـة ابن إسـحاق: أنّ أوّل الوحى بمطلع سورة العلق كان فى شهر رمضان، و رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم يتحنّث فى غار حراء. (۶: ۳۹۴۴)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۳۹

الفصل الثّامن و الأربعون نصّ الزّرقانىّ فى «مناهل العرفان»

النّزول:

اشارة

هـذا مبحث مهمّ فى علوم القرآن، بـل هو أهمّ مباحثه جميعا؛ لأنّ العلم بنزول القرآن أساس للإيمان بالقرآن، و أساس للتّصـديق بنبوّة الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم و أنّ الإسلام حقّ، ثمّ هو أصل لسائر المباحث الآتية بعد فى علوم القرآن. فلا جرم أن يتصدّرها جمعاء؛ ليكون من تقريره، و تحقيقه سبيل إلى تقريرها و تحقيقها، و إلّا فكيف يقوم البناء على غير أساس و دعام؟

و لأجـل الإحاطـة بهـذا المطلب العزيز نتكلّم إنشاء اللّه على نزول القرآن، ثمّ على مرّات هـذا النّزول و دليـل كـلّ نزول، و كيفيّته و حكمته، ثمّ على الوحى و أدلّته العقليّة و العلميّة، مع دفع الشّبهات الواردة فى ذلك المقام.

۱- معنى نزول القرآن:

جاء التّعبير بمادّة نزول القرآن و ما تصرّف منها فى الكتاب و السّنّة، و من أمثلته قوله سبحانه فى سورة الإسراء: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ «۱».

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴۰

و قوله صلّى اللّه عليه و سلم: «إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف». و هو حديث مشهور، بل قيل فيه بالتّواتر كما سيأتى.

لكنّ النّزول فى استعمال اللّغة يطلق و يراد به الحلول فى مكـان و الأوىّ به، و منه قولهم: نزل الأمير المدينـة. و المتعدّى منه و هو الإنـزال يكون معناه إحلال الغير فى مكان و إيواءه به، و منه قوله جلّ ذكره: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ «۱»، و يطلق النّزول إطلاقا آخر فى اللّغة على انحدار الشّىء من علو إلى سفل، نحو «نزل فلان من الجبل» و المتعدّى منه يكون معناه تحريك الشّىء من علو إلى سفل، و منه قوله سبحانه: أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً «۲».

و لا ريب أنّ كلا هـذين المعنيين لا يليق إرادته هنا فى إنزال اللّه للقرآن، و لا فى نزول القرآن من اللّه؛ لما يلزم هـذين المعنيين من المكانيّة و الجسميّة. و القرآن ليس جسما حتّى يحلّ فى مكان أو ينحدر من علو إلى سفل، سواء أردنا به الصّفة القديمة المتعلّقة بالكلمات الغيبيّة الأزليّة، أم أردنا به نفس تلك الكلمات، أم أردنا به اللّفظ المعجز؛ لما علمت من تنزّه الصّفة القديمة و متعلّقها، و هو الكلمات الغيبيّة عن الحوادث و أعراض الحوادث، و لما تعرفه من أنّ الألفاظ أعراض سيّالة تنقضى بمجرّد النّطق بها، كما يقولون.

إذن فنحن بحاجة إلى التّجوّز، و المجاز بـابه واسع و ميدانه فسيح. و ليكن المعنى المجازىّ لإنزال القرآن هو الإعلام فى جميع إطلاقاته. أمّا على أنّ المراد بالقرآن الصّفة القديمة أو متعلّقها، فإنزاله الإعلام به بواسطة ما يدلّ عليه من النّقوش بالنّسبة لإنزاله فى اللّوح المحفوظ و فى بيت العزّة من السّماء الدّنيا، و بواسطة ما يدلّ عليه من الألفاظ الحقيقيّة بالنّسبة لإنزاله على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و العلاقة بين المعنى الحقيقىّ و المعنى المجازىّ هو اللّزوم؛ لأنّ إنزال شىء إلى شىء يستلزم إعلام من أنزل إليه ذلك الشّىء به إن كان عاقلا، و يستلزم إعلام من يطّلع عليه من الخلق به مطلقا، و إذن فالمجاز مرسل.

و أمّا على أنّ المراد بالقرآن اللّفظ المعجز، فمعنى إنزاله الإعلام به أيضا، و لكن

---

(۱)- المؤمنون/ ۲۹.

(۲)- البقرة/ ۲۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴۱

بوساطة إثباته هو أو إثبات دالّه، فإثباته هو بالنّسبة لإنزاله على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، إثبات دالّه بالنّسبة إلى اللّوح المحفوظ و بيت العزّة، و العلاقة اللّزوم كذلك، و المجاز مرسل كسابقه.

و يمكن أن يكون هذا التّجوّز من قبيل الاستعارة التّصريحيّة الأصليّة، بأن يشبّه إعلام السّيد لعبده بإنزال الشّىء من علو إلى سفل، بجامع أنّ فى كلّ من طرفى التّشبيه صدورا من جانب أعلى إلى جانب أسفل، و إن كان العلو و السّفل فى وجه الشّبه حسّيّا بالنّسبة إلى المشبّه به، و معنويّا بالنّسبة إلى المشبّه.

و أنت خبير بأن النّزول مطاوع الإنزال، فما يجرى من التّجوّز فى أحدهما يجرى نظيره فى الآخر، و قلّ مثل ذلك فى التّنزيل و التّنزّل.

و كأنّ وجه اختيار التّعبير بمادّة الإنزال و ما تصرّف منها أو التّقى معها هو التّنويه بشرف ذلك الكتاب، نظرا إلى ما تشير إليه هذه المادّة من علوّ صاحب هذا الكتاب المنزل علوّا كبيرا، كما قال تعالى فى فاتحة سورة الزّخرف ۲- ۴: وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ.

ثمّ إنّ تأويل الإنزال بالإعلام على ما رأيت هو الأقرب و الأوفق بالمقام، و ذلك من وجوه ثلاثة؛

أحدها: أنّ تعلّق الكلام تعلّق دلالة و إفهام، و لا ريب أنّ القرآن كلام، فتأويل إنزاله بالإعلام رجوع إلى ما هو معلوم من تعلّقه، و مفهوم من تحقّقه.

ثانيها: أنّ المقصود من ثبوت القرآن فى اللّوح و فى سماء الدّنيا و فى قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، هو إعلام الخلق فى العالمين العلوىّ و السّفلىّ بما شاء اللّه دلالة البشر عليه من هذا الحقّ.

ثالثها: أنّ تفسير الإنزال بالإعلام ينسجم مع القرآن بأىّ إطلاق من إطلاقاته، و على أىّ تنزّل من تنزّلاته.

۲- تنزّلات القرآن:

شرّف اللّه هذا القرآن بأن جعل له ثلاثة تنزّلات:

أ: التّنزّل الأوّل إلى اللّوح المحفوظ، و دليله قول اللّه سبحانه: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴۲

لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱». و كان هذا الوجود فى اللّوح بطريقة و فى وقت لا يعلمها إلّا اللّه تعالى و من أطلعه على غيبه. و كان جملة لا مفرّقا؛ لأنّه الظّاهر من اللّفظ عند الإطلاق، و لا صارف عنه، و لأنّ أسرار تنجيم القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لا يعقل تحقّقها فى هذا التّنزّل.

و حكمة هذا النّزول ترجع إلى الحكمة العامّة من وجود اللّوح نفسه، و إقامته سجلّا جامعا لكلّ ما قضى اللّه و قدّر، و كلّ ما كان و ما يكون من عوالم الإيجاد و التّكوين. فهو شاهد ناطق، و مظهر من أروع المظاهر الدّالّة على عظمة اللّه و علمه و إرادته و حكمته و واسع سلطانه و قدرته. و لا ريب أنّ الإيمان به يقوّى إيمان العبد بربّه من هذه النّواحى، و يبعث الطّمأنينة إلى نفسه، و الثّقة بكلّ ما يظهره اللّه لخلقه، من ألوان هدايته و شرائعه و كتبه، و سائر أقضيته و شئونه فى عباده، كما يحمل النّاس على السّكون و الرّضا، تحت سلطان القدر و القضاء، و من هنا تهون عليهم الحياة بضرّائها و سرّائها، كما قال جلّ شأنه:

ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها* إِنَّ ذلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ* لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلى ما فاتَكُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَ اللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ «۲». و للإيمان باللّوح و بالكتابة فيه أثر صالح فى استقامة المؤمن على الجادّة،

و تفانيه فى طاعة اللّه و مراضيه، و بعده عن مساخطه و معاصيه؛ لاعتقاده أنّها مسطورة عند اللّه فى لوحه، مسجّلة لديه فى كتابه كما قال جلّ ذكره: وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ «۳».

ب: التنزّل الثّانى للقرآن، كان هذا التنزّل الثّانى إلى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا، و الدّليل عليه قوله تعالى فى سورة الدّخان ۳: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، و فى سورة القدر ۱: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ. و فى سورة البقرة ۱۸۵: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.

دلّت هذه الآيات الثّلاثة على أنّ القرآن أنزل فى ليلة واحدة، توصف بأنّها مباركة

---

(۱)- البروج/ ۲۲.

(۲)- الحديد/ ۲۲- ۲۳.

(۳)- القمر/ ۵۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴۳

أخذا من آية الدّخان، و تسمّى ليلة القدر أخذا من آية سورة القدر، و هى من ليالى شهر رمضان أخذا من آية البقرة. و إنّما قلنا ذلك جمعا بين هذه النّصوص فى العمل بها، و دفعا للتّعارض فيما بينها. و معلوم بالأدلّة القاطعة- كما يأتى- أنّ القرآن أنزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا لا فى ليلة واحدة، بل فى مدى سنين عددا، فتعيّن أن يكون هذا النّزول الّذى نوّهت به هذه الآيات الثّلاثة نزولا آخر غير النّزول على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. و قد جاءت الأخبار الصّحيحة مبيّنة لمكان هذا النّزول، و أنّه فى بيت العزّة من السّماء الدّنيا، كما تدلّ الرّوايات الآتية:

[ثمّ نقل الرّوايات نقلا عن الحاكم و النّسائىّ و البيهقىّ و ابن مردويه بإسنادهم إلى ابن عبّاس، كما تقدّم عن أبى شامة، فقال:]

هذه أحاديث أربعة من جملة أحاديث ذكرت فى هذا الباب، و كلّها صحيحة كما قال السّيوطىّ، و هى أحاديث موقوفة على ابن عبّاس، غير أنّ لها حكم المرفوع إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، لما هو مقرّر من قول أنّ الصّحابىّ ما لا مجال للرّأى فيه، و لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليّات، حكمه حكم المرفوع. و لا ريب أنّ نزول القرآن إلى بيت العزّة من أنباء الغيب الّتى لا تعرف إلّا من المعصوم، و ابن عبّاس لم يعرف بالأخذ عن الإسرائيليّات، فثبت الاحتجاج بها.

و كان هذا النّزول جملة واحدة فى ليلة واحدة هى ليلة القدر كما علمت؛ لأنّه المتبادر من نصوص الآيات الثّلاث السّابقة و للتّنصيص على ذلك فى الأحاديث الّتى عرضناها عليك. بل ذكر السّيوطىّ: أنّ القرطبىّ نقل حكاية الإجماع على نزول القرآن جملة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا.

و هناك قول ثان بنزول القرآن إلى السّماء الدّنيا فى عشرين ليلة قدر، أو ثلاث و عشرين، أو خمس و عشرين ينزل فى كلّ ليلة قدر منها ما يقدّر اللّه إنزاله فى كلّ السّنة، ثمّ ينزل بعد ذلك منجّما فى جميع السّنة على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

و ثمّة قول ثالث، أنّه ابتدئ إنزاله فى ليلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلك منجّما فى أوقات مختلفة من سائر الأزمان على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. و كأنّ صاحب هذا القول ينفى النّزول جملة إلى بيت العزّة فى ليلة القدر.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴۴

و ذكروا قولا رابعا أيضا، هو أنّه نزل من اللّوح المحفوظ جملة واحدة، و أنّ الحفظة نجّمته على جبريل فى عشرين ليلة و أنّ جبريل نجّمه على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى عشرين سنة.

و لكنّ هذه الأقوال الثّلاثة الأخيرة بمعزل عن التّحقيق، و هى محجوجة بالأدلّة الّتى سقناها بين يديك تأييدا للقول الأوّل.

و الحكمة فى هذا النّزول، على ما ذكره السّيوطىّ نقلا عن أبى شامة هى تفخيم ...

[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و ذكر بعضهم: أنّ النّزول إلى السّماء الدّنيا إلهابا لشوق النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم إليه، على حدّ قول القائل:

و أعظم ما يكون الشّوق يوماإذا دنت الخيام من الخيام أقول: و فى تعدّد النّزول و أماكنه، مرّة فى اللّوح و أخرى فى بيت العزّة و ثالثة على قلب النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم، فى ذلك التّعدّد مبالغة فى نفى الشّكّ عن القرآن، و زيادة للإيمان به، و باعث على الثّقة فيه، لأنّ الكلام إذا سجّل فى سجلّات متعدّدة، و صحّت له وجودات كثيرة، كان ذلك أنفى للرّيب عنه، و أدعى إلى تسليم ثبوته، و ادنى إلى وفرة الإيقان به، ممّا لو سجّل فى سجلّ واحد، أو كان له وجود واحد.

ج: التّنزّل الثّالث للقرآن، هذا هو واسطة عقد التّنزّلات، لأنّه المرحلة الأخيرة الّتى منها شعّ النّور على العالم، و وصلت هداية اللّه إلى الخلق، و كان هذا النّزول بوساطة أمين الوحى جبريل يهبط به على قلب النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم. و دليله قول اللّه تعالى مخاطبا لرسوله صلّى اللّه عليه و سلم:

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «۱».

كيفيّة أخذ جبريل للقرآن و عمّن أخذ

هذا من أنباء الغيب، فلا يطمئنّ الإنسان إلى رأى فيه، إلّا إن ورد بدليل صحيح عن المعصوم، و كلّ ما عثرنا عليه أقوال منثورة هنا و هناك، نجمعها لك فيما يأتى مع إبداء رأينا فى كلّ منه:

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۳- ۱۹۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۴۵

أوّلها: قال الطّيبيّ: لعلّ نزول القرآن على الملك أن يتلقّفه تلقّفا روحانيا، أو يحفظه من اللّوح المحفوظ، فينزل به على النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم فيلقيه إليه.

و أنت خبير بأنّ كلمة «لعلّ» هنا لا تشفى غليلا، و لا تهدينا إلى المقصود سبيلا، و لا نستطيع أن نأخذ منها دليلا.

ثانيها: حكى الماورديّ أنّ الحفظة نجّمت القرآن على جبريل فى عشرين ليلة، و أنّ جبريل نجّمه على النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم فى عشرين سنة. و معنى هذا أنّ جبريل أخذ القرآن عن الحفظة نجوما عشرين. و لكنّا لا نعرف لصاحب هذا الرّأى دليلا و لا شبه دليل.

ثالثها: قال البيهقيّ فى معنى قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۱» يريد- و اللّه أعلم- إنّا أسمعنا الملك و أفهمناه إيّاه و أنزلناه بما سمع. و معنى هذا أنّ جبريل أخذ القرآن عن اللّه سماعا. و ذلك فيما أرى أمثل الأقوال من ناحية أخذه جبريل عن اللّه، لا من ناحية تأويل النّزول فى الآية بابتداء النّزول. و يؤيّده ما أخرجه الطّبرانيّ من حديث النّواس بن سمعان مرفوعا إلى النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلم: «إذا تكلّم اللّه بالوحى أخذت السّماء رجفة شديدة من خوف اللّه، فإذا سمع أهل السّماء صعقوا و خرّوا سجدا، فيكون أوّلهم يرفع رأسه جبريل، فيكلّمه اللّه بوحيه بما أراد، فينتهى به إلى الملائكة، فكلّما مرّ بسماء سأله أهلها ما ذا قال ربّنا؟ قال: الحقّ، فينتهى به حيث أمر».

و أيّا ما تكن هذه الأقوال، فإنّ هذا الموضوع لا يتعلّق به كبير غرض، ما دمنا نقطع بأنّ مرجع التّنزيل هو اللّه تعالى وحده.

ما الّذى نزل به جبريل؟

اشارة

و لتعلم فی هـذا المقام، أنّ الّذی نزل به جبریل علی النّبیّ صـلّی اللّه علیه و سـلم هو القرآن، باعتبار أنّه الألفاظ الحقیقیّة المعجزة من أوّل الفاتحة إلی آخر سورة النّاس. و تلک الألفاظ هی کلام اللّه وحـده، لا دخل لجبریل و لا لمحمّـد فی إنشائها و ترتیبها، بل الّذی رتّبها أوّلا هو اللّه سبحانه و تعالی، و لذلک تنسب له دون سواه، و إن نطق بها جبریل و محمّد و ملایین الخلق

---

(۱)- القدر/ ۱.

من بعد جبریل و محمّد صلّی اللّه علیه و سلم، من لدن نزول القرآن إلی یوم السّاعة. و ذلک کما ینسب الکلام البشریّ إلی من أنشأه و رتّبه فی نفسه أوّلا دون غیره، و لو نطق به آلاف الخلائق فی آلاف الأیّام و السّنین إلی یوم یقوم النّاس لربّ العالمین.

فـاللّه- جلّت حکمته- هو الّذی أبرز ألفـاظ القرآن و کلمـاته مرتّبـة علی وفق ترتیب کلماته النّفسیّة لأجل التّفهیم و التّفهّم، کما نبرز نحن کلامنـا اللّفظیّ علی وفق کلامنـا النّفسیّ لأجل التّفهیم و التّفهّم، و لا ینسب الکلام بحال إلّا إلی من رتّبه فی نفسه أوّلا، دون من اقتصر علی حکایته و قراءته، و لذلک لا یجوز إضافة القرآن علی سبیل الإنشاء إلی جبریل أو محمّد، و لا غیر جبریل و محمّد، کما لا یجوز نسبة کلام أنشأه شخص و رتّبه فی نفسه أوّلا إلی شخص آخر حکاه و قرأه حین اطّلع علیه أو سمعه.

و قد أسفّ بعض النّاس، فزعم أنّ جبریل کان ینزل علی النّبیّ صـلّی اللّه علیه و سلم بمعانی القرآن، و الرّسول یعبّر عنها بلغة العرب. و زعم آخرون أنّ اللّفـظ لجبریـل، و أنّ اللّه کـان یوحی إلیه المعنی فقـط. و کلاهما قول باطل أثیم، مصادم لصـریح الکتاب و السّـنّة و الإجماع، و لا یساوی قیمـة المـداد الّذی یکتب به. و عقیدتی أنّه مدسوس علی المسلمین فی کتبهم. و إلّا فکیف یکون القرآن حینئذ معجزا و اللّفظ لمحمّـد أو لجبریل؟ ثمّ کیف تصـحّ نسبته إلی اللّه و اللّفظ لیس للّه؟ مع أنّ اللّه یقول: حَتَّی یَسْـمَعَ کَلامَ اللَّهِ «۱»، إلی غیر ذلک ممّا یطول بنا تفصیله.

و الحقّ أنّه لیس لجبریـل فی هـذا القرآن سوی حکـایته للرّسول و إیحـائه إلیه، و لیس للرّسول صـلّی اللّه علیه و سـلم فی هـذا القرآن سوی وعیه و حفظه، ثمّ حکـایته و تبلیغه، ثمّ بیـانه و تفسیره، ثمّ تطبیقه و تنفیـذه، نقرأ فی القرآن نفسه أنّه لیس من إنشاء جبریل و لا محمّد نحو وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ «۲»، و نحو وَ إِذا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآیَةٍ قالُوا لَوْ لا اجْتَبَیْتَها قُلْ إِنَّما أَتَّبِعُ ما یُوحی إِلَیَّ مِنْ رَبِّی «۳»، و نحو وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا

---

(۱)- التّوبة/ ۶.

(۲)- النّمل/ ۶.

(۳)- الأعراف/ ۲۰۳.

یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هـذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ إِنِّی أَخافُ إِنْ عَصَیْتُ رَبِّی عَذابَ یَوْمٍ عَظِیمٍ «۱»، و نحو وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ* لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِینَ* فَما مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِینَ «۲».

ثمّ ما ذکرناه هو تحقیق ما نزل علی النّبیّ صـلّی اللّه علیه و سلم من القرآن، و إن کان قد نزل علیه أیضا غیر القرآن. نقل السّیوطیّ عن الجوینیّ أنّه قال: کلام اللّه المنزل قسمان ... [و ذکر کما تقدّم عن السّیوطیّ، ثمّ قال:].

أقول: و هـذا کلامـ نفیس، بیـد أنّه لاـ دلیـل أمامنا علی أنّ جبریـل کـان یتصـرّف فی الألفاظ الموحاة إلیه فی غیر القرآن. و ما ذکره الجوینیّ فهو احتمال عقلیّ لا یکفی فی هـذا الباب. ثمّ إنّ هذا التّقسیم خلا من قسیم ثالث للکتاب و السّـنّة، و هو الحدیث القدسـیّ

الّذی قاله الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم حاکیا عن اللّه تعالی، فهو کلام اللّه أیضا، غیر أنّه لیست فیه خصائص القرآن الّتی امتاز بها عن کلّ ما سواه. و للّه تعالی حکمهٔ فی أن یجعل من کلامه المنزل معجزا و غیر معجز، لمثل ما سبق فی حکمهٔ التّقسیم الآنف، من إقامهٔ حجّهٔ للرّسول و لدین الحقّ بکلام اللّه المعجز، و من التّخفیف علی الأمّهٔ بغیر المعجز؛ لأنّه تصحّ روایته بالمعنی، و قراءهٔ الجنب و حمله له و مسّه إیّاه، إلی غیر ذلک.

و صفوهٔ القول فی هذا المقام أنّ القرآن أوحیت ألفاظه من اللّه اتّفاقا، و أنّ الحدیث القدسیّ أوحیت ألفاظه من اللّه علی المشهور، و الحدیث النّبویّ أوحیت معانیه فی غیر ما اجتهد فیه الرّسول و الألفاظ من الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم. بید أنّ القرآن له خصائصه من الإعجاز و التّعبّد به، و وجوب المحافظهٔ علی ادائه بلفظه و نحو ذلک، و لیس للحدیث القدسیّ و النّبویّ شیء من هذه الخصائص. و الحکمهٔ فی هذا التّفریق أنّ الإعجاز منوط بألفاظ القرآن، فلو أبیح اداؤه بالمعنی لذهب إعجازه، و کان مظنّهٔ للتّغییر و التّبدیل، و اختلاف النّاس فی أصل التّشریع و التّنزیل. نصوص فی علوم القرآن ۳۴۷ ما الذی نزل به جبریل؟ ..... ص : ۳۴۵

---

(۱)- یونس/ ۱۵.

(۲)- الحاقّهٔ/ ۴۴- ۴۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۴۸

أمّا الحدیث القدسیّ و الحدیث النّبویّ فلیست ألفاظهما مناط إعجاز، و لهذا أباح اللّه روایتهما بالمعنی، و لم یمنحهما تلک الخصائص و القداسهٔ الممتازهٔ الّتی منحها القرآن الکریم تخفیفا علی الأمّهٔ، و رعایهٔ لمصالح الخلق فی الحالین من منح و منع، إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِیمٌ «۱»

مدّهٔ هذا النّزول

و ابتدأ هذا الإنزال من مبعثه صلّی اللّه علیه و سلم، و انتهی بقرب انتهاء حیاته الشّریفهٔ، و تقدّر هذه المدّهٔ بعشرین أو ثلاثهٔ و عشرین أو خمسهٔ و عشرین عاما، تبعا للخلاف فی مدّهٔ إقامته صلّی اللّه علیه و سلم فی مکّهٔ بعد البعثهٔ، أ کانت عشر سنین أم ثلاثهٔ عشر أم خمس عشرهٔ سنهٔ، أمّا مدّهٔ إقامته بالمدینهٔ فعشر سنین اتّفاقا، کذلک قال السّیوطیّ.

و لکن بعض محقّقی تاریخ التّشریع الإسلامیّ یذکر أنّ مدّهٔ مقامه صلّی اللّه علیه و سلم بمکّهٔ اثنتا عشرهٔ سنهٔ و خمسهٔ أشهر و ثلاثهٔ عشر یوما، من «۱۷» رمضان سنهٔ «۴۱» من مولده الشّریف إلی أوّل ربیع الأوّل سنهٔ «۵۴» منه. أمّا مدّهٔ إقامته فی المدینهٔ بعد الهجرهٔ فهی تسع سنوات و تسعهٔ أشهر و تسعهٔ أیّام من أوّل ربیع الأوّل سنهٔ «۵۴» من مولده إلی تاسع ذی الحجهٔ سنهٔ «۶۳» منه، و یوافق ذلک سنهٔ عشر من الهجرهٔ. و هذا التّحقیق قریب من القول بأنّ مدّهٔ إقامته صلّی اللّه علیه و سلم فی مکّهٔ ثلاث عشرهٔ سنهٔ و فی المدینهٔ عشر سنین، و أنّ مدّهٔ الوحی بالقرآن ثلاثهٔ و عشرون عاما.

لکنّ هذا التّحقیق لا یزال فی حاجهٔ إلی تحقیقات ثلاثهٔ؛ ذلک لأنّه أهمل من حسابه باکورهٔ الوحی إلیه صلّی اللّه علیه و سلم عن طریق الرّؤیا الصّادقهٔ ستّهٔ أشهر، علی حین أنّها ثابتهٔ فی الصّحیح. ثمّ جری فیه علی أنّ ابتداء نزول القرآن کان لیلهٔ السّابع عشر من رمضان، و هی لیلهٔ القدر علی بعض الآراء، غیر أنّه یخالف المشهور الّذی یؤیّده الصّحیح. ثمّ ذهب فیه مذهب القائلین بأنّ آخر ما نزل من القرآن هو آیهٔ الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ «۲»، و ذلک فی

---

(۱)- البقرهٔ/ ۱۴۳.

(۲)- المائدة/ ۳.

تاسع ذی الحجّة سنة عشر من الهجرة، و ستری فی مبحث (آخر ما نزل من القرآن) أنّ هذا المذهب غیر صحیح.

دلیل تنجیم هذا النّزول

و الدّلیل علی تفرّق هذا النّزول و تنجیمه قول اللّه تعالت حکمته فی سورة الإسراء ۱۰۶: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا، و قوله فی سورة الفرقان ۳۲: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الآیة روی أنّ الکفّار من یهود و مشرکین عابوا علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم نزول القرآن مفرّقا، و اقترحوا علیه أن ینزل جملة فأنزل اللّه هاتین الآیتین ردّا علیهم، و هذا الرّدّ یدلّ علی أمرین؛

أحدهما: أنّ القرآن نزل مفرّقا علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم. الثّانی: أنّ الکتب السّماویّة من قبله نزلت جملة، کما اشتهر ذلک بین جمهور العلماء حتّی کاد یکون إجماعا.

و وجه الدّلالة علی هذین الأمرین؛ أنّ اللّه تعالی لم یکذّبهم فیما ادّعوا من نزول الکتب السّماویة جملة، بل أجابهم ببیان الحکمة فی نزول القرآن مفرّقا، و لو کان نزول الکتب السّماویة مفرّقا کالقرآن لردّ علیهم بالتّکذیب، و بإعلان أنّ التّنجیم هو سنّة اللّه فیما أنزل علی الأنبیاء من قبل، کما ردّ علیهم بقوله: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ «۱»، حین طعنوا علی الرّسول و قالوا: ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ «۲».

الحکم و الأسرار فی تنجیم القرآن

اشارة

لتنجیم نزول القرآن الکریم أسرار عدّة و حکم کثیرة، نستطیع أن نجملها فی أربعة حکم رئیسیّة:

---

(۱)- الفرقان/ ۲۰.

(۲)- الفرقان/ ۷.

الحکمة الأولی

تثبیت فؤاد النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و تقویة قلبه، و ذلک من وجوه خمسة؛

الوجه الأوّل: أنّ فی تجدّد الوحی، و تکرار نزول الملک به من جانب الحقّ إلی رسوله صلّی اللّه علیه و سلم، سرورا یملأ قلب الرّسول، و غبطة تشرح صدره، و کلاهما یتجدّد علیه بسب ما یشعر به من هذه العنایة الإلهیّة، و تعهّد مولاه إیّاه فی کلّ نوبة من نوبات هذا النّزول.

الوجه الثّانی: أنّ فی التّنجیم تیسیرا علیه من اللّه فی حفظه و فهمه، و معرفة أحکامه و حکمه، و ذلک مطمئنّ له علی وعی ما یوحی إلیه حفظا و فهما و أحکاما و حکما، کما أنّ فیه تقویة لنفسه الشّریفة علی ضبط ذلک کلّه.

الوجه الثّالث: أنّ فی کلّ نوبة من نوبات هذا النّزول المنجّم معجزة جدیدا غالبا؛ حیث تحدّاهم کلّ مرّة أن یأتوا بمثل نوبة من نوب التّنزیل، فظهر عجزهم عن المعارضة، و ضاقت علیهم الأرض بما رحبت، و لا شکّ أنّ المعجزة تشدّ أزره و ترهف عزمه، باعتبارها مؤیّدة له و لحزبه، خاذلة لأعدائه و لخصمه.

الوجه الرّابع: أنّ فی تأیید حقّه و دحض باطل عدوه- المرّة بعد الأخری- تکرارا للذّة فوزه و فلجه بالحقّ و الصّواب. و شهوده لضحایا الباطل فی کلّ مهبط للوحی و الکتاب. و إن کلّ ذلک إلّا مشجّع للنّفس مقوّ للقلب و الفؤاد.

و الفرق بین هذا الوجه و الّذی قبله هو الفرق بین الشّیء و أثره، أو الملزوم و لازمه، فالمعجزة من حیث أنّها قوّة للرّسول و مؤیّدة له مطمئنّة له و مثبتة لفؤاده، بقطع النّظر عن أثر انتصاره و هزیمة خصمه بها. ثمّ إنّ هذا الأثر العظیم وحده مطمئنّ لقلبه الکریم و مثبت لفؤاده أیضا، أشبه شیء بالسّلاح، وجوده فی ید الإنسان مطمئنّ له و لو لم یستعمله فی خصمه، ثمّ انتصار الإنسان و هزیمة خصمه به إذا أعمله فیه مطمئنّ للفؤاد مریح للقلب مرّة أخری.

الوجه الخامس: تعهّد اللّه إیّاه عند اشتداد الخصام بینه و بین أعدائه بما یهوّن علیه هذه الشّدائد. و لا ریب أنّ تلک الشّدائد کانت تحدث فی أوقات متعدّدة، فلا جرم کانت التّسلیة تحدث هی الأخری فی مرّات متکافئة. فکلّما أحرجه خصمه سلّاه ربّه. و تجیء

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۱

تلک التّسلیة تارة عن طریق قصص الأنبیاء و المرسلین، الّتی لها فی القرآن عرض طویل، و فیها یقول اللّه: وَ کُلًّا نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ «۱» و تارة تجیء التّسلیة عن طریق وعد اللّه لرسوله بالنّصر و التّأیید و الحفظ، کما فی قوله سبحانه:

وَ اصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ فَإِنَّکَ بِأَعْیُنِنا «۲» و قوله: وَ اللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النَّاسِ «۳» و نحو ما فی سورتی الضّحی و أ لم نشرح من الوعود الکریمة و العطایا العظیمة. و طورا تأتیه التّسلیة عن طریق إیعاد أعدائه و إنذارهم، نحو قوله تعالی: سَیُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ یُوَلُّونَ الدُّبُرَ «۴»، و قوله تعالی: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُکُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ «۵». و طورا آخر ترد التّسلیة فی صورة الأمر الصّریح بالصّبر، نحو قوله جلّ شأنه: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۶»، أو فی صورة النّهی عن التّفجّع علیهم و الحزن منهم، نحو قول اللّه تعالی:

فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَیْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ بِما یَصْنَعُونَ «۷»، و نحو قوله سبحانه:

وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُکَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُ فِی ضَیْقٍ مِمَّا یَمْکُرُونَ «۸».

و من موارد تسلیة اللّه لرسوله أن یخوّفه عواقب حزنه من کفر أعدائه، نحو لَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ أَلَّا یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ «۹» و منها أن یؤیسه منهم لیستریح و یتسلّی عنهم، نحو:

وَ إِنْ کانَ کَبُرَ عَلَیْکَ إِعْراضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِیَ نَفَقاً فِی الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِی السَّماءِ فَتَأْتِیَهُمْ بِآیَةٍ* وَ لَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَی الْهُدی فَلا تَکُونَنَّ مِنَ الْجاهِلِینَ* إِنَّما یَسْتَجِیبُ الَّذِینَ یَسْمَعُونَ وَ الْمَوْتی یَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَیْهِ یُرْجَعُونَ «۱۰»

---

(۱)- هود/ ۱۲۰.

(۲)- الطّور/ ۴۸.

(۳)- المائدة/ ۶۷.

(۴)- القمر/ ۴۵.

(۵)- فصّلت/ ۱۳.

(۶)- الأحقاف/ ۱۳.

(۷)- فاطر/ ۸.

(۸)- النّحل/ ۱۲۷.

(۹)- الشّعراء/ ۳.

(۱۰)- الأنعام/ ۳۵- ۳۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۲

و یمکن أن تندرج هذه الحکمة بوجوهها الخمسة تحت قول اللّه فی بیان الحکمة من تنجیم القرآن کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ «۱».

الحکمة الثّانیة:

التّدرّج فی تربیة هذه الأمّة النّاشئة علما و عملا، و ینضوی تحت هذا الإجمال خمسة أیضا؛

أوّلها: تیسیر حفظ القرآن علی الأمّة العربیّة، و هی کما علمت کانت أمّة امیّة.

و أدوات الکتابة لم تکن میسورة لدی الکاتبین منهم علی ندرتهم، و کانت مشتغلة بمصالحها المعاشیة، و بالدّفاع عن دینها الجدید بالحدید و الدّم، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، فاقتضت الحکمة العلیا أن ینزله اللّه إلیهم مفرّقا لیسهل علیهم حفظه و یتهیّأ لهم استظهاره.

ثانیها: تسهیل فهمه علیهم کذلک، مثل ما سبق فی توجیه التّیسیر فی حفظه.

ثالثها: التّمهید لکمال تخلّیهم عن عقائدهم الباطلة، و عباداتهم الفاسدة، و عاداتهم المرذولة. و ذلک بأن یراضوا علی هذا التّخلّی شیئا فشیئا، بسبب نزول القرآن علیهم کذلک شیئا فشیئا، فکلّما نجح الإسلام معهم فی هدم الباطل، انتقل بهم إلی هدم آخر، و هکذا یبدأ بالأهمّ ثمّ بالمهمّ، حتّی انتهی بهم آخر الأمر عن تلک الأرجاس کلّها، فطهّرهم منها و هم لا یشعرون بعنت و لا حرج، و فطمهم عنها دون أن یرتکسوا فی سابق فتنة أو عادة.

و کانت هذه سیاسة رشیدة، لا بدّ منها فی تربیة هذه الأمّة المجیدة، لا سیّما أنها کانت أبیّة معاندة، تتحمّس لموروثاتها و تستمیت فی الدّفاع عمّا تعتقده من شرفها، و تتهوّر فی سفک الدّماء و شنّ الغارات لأتفه الأسباب.

رابعها: التّمهید لکمال تحلّیهم بالعقائد الحقّة، و العبادات الصّحیحة، و الأخلاق الفاضلة، بمثل تلک السّیاسة الرّشیدة السّابقة. و لهذا بدأ الإسلام بفطامهم عن الشّرک و الإباحة، و إحیاء قلوبهم بعقائد التّوحید و الجزاء، من جرّاء ما فتح عیونهم علیه من أدلّة

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۳

التّوحید، و براهین البعث بعد الموت، و حجج الحساب و المسئولیّة و الجزاء.

ثمّ انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلی العبادات فبدأهم بفریضة الصّلاة قبل الهجرة، و ثنّی بالزّکاة و بالصّوم فی السّنة الثّانیة من الهجرة، و ختم بالحجّ فی السّنة السّادسة منها. و کذلک کان الشّأن فی العادات، زجرهم عن الکبائر و شدّد النّکیر علیهم فیها. ثمّ نهاهم عن الصّغائر فی شیء من الرّفق، و تدرّج بهم فی تحریم ما کان مستأصلا فیهم کالخمر، تدرّجا حکیما حقّق الغایة، و أنقذهم من کابوسها فی النّهایة. و کان الإسلام فی انتهاج هذه الخطّة المثلی أبعد نظرا، و أهدی سبیلا، و أنجح تشریعا، و أنجح سیاسة، من تلکم الأمم المتمدّنة المتحضّرة الّتی أفلست فی تحریم الخمر علی شعوبها أفظع إفلاس، و فشلت أمرّ فشل، و ما عهد إمریکا فی مهزلة تحریمها

الخمر ببعيد.

أ ليس ذلك إعجازا للإسلام فى سياسة الشّعوب، و تهذيب الجماعات، و تربية الأمم؟

بلى، و التّاريخ على ذلك من الشّاهدين.

خامسها: تثبيت قلوب المؤمنين و تسليحهم بعزيمة الصّبر و اليقين، بسبب ما كان يقصّه القرآن عليهم الفينة بعد الفينة و الحين بعد الحين، من قصص الأنبياء و المرسلين و ما كان لهم و لأتباعهم مع الأعداء و المخالفين، و ما وعد اللّه به عباده الصّالحين، من النّصر و الأجر و التّأييد و التّمكين. و الآيات فى ذلك كثيرة، حسبك منها قول العلىّ الكبير: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضى لَهُمْ، وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لا يُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَ مَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الْفاسِقُونَ «۱». و قد صدق اللّه وعده، و نصر عبده، و أعزّ جنده، و هزم الأحزاب وحده، فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ «۲».

و يمكن أن تندرج هذه الحكمة الثّانية بما انضوى تحتها فى قول اللّه تعالى: وَ قُرْآناً

---

(۱)- النّور/ ۵۵.

(۲)- الأنعام/ ۴۵.

فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ «۱»، كما يمكن أن يفسّر بها قوله تعالى فى بيان أسرار التّنجيم: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۲»، باعتبار أنّ التّنوين للتّعظيم إشارة إلى المعانى المنطوية تحت هذا التّرتيل.

الحكمة الثّالثة:

مسايرة الحوادث و الطّوارئ فى تجدّدها و تفرّقها، فكلّما جدّ منهم جديد، نزل من القرآن ما يناسبه، و فصّل اللّه لهم من أحكامه ما يوافقه. و تنتظم هذه الحكمة أمورا أربعة؛

أوّلها: إجابة السّائلين على أسئلتهم عند ما يوجّهونها إلى الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم، سواء أ كانت تلك الأسئلة لغرض التّثبت من رسالته، كما قال اللّه فى جواب سؤال أعدائه إيّاه:

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا «۳»، و قوله:

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً «۴». أم كانت لغرض التّنوّر و معرفة حكم اللّه، كقوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ «۵»، وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ «۶».

و لا ريب أنّ تلك الأسئلة كانت ترفع إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى أوقات مختلفة، و على نوبات متعدّدة، حاكية أنّهم سألوا و لا يزالون يسألون، فلا بدع أن ينزل الجواب عليها كذلك فى أوقاتها المختلفة و نوباتها المتعدّدة.

ثانيها: مجاراة الأقضية و الوقائع فى حينها ببيان حكم اللّه فيها عند حدوثها و وقوعها. و معلوم أنّ تلك الأقضية و الوقائع لم تقع جملة، بل وقعت تفصيلا و تدريجا. فلا مناص إذن من فصل اللّه فيها بنزول القرآن على طبقها تفصيلا و تدريجا. و الأمثلة على هذا

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۳.

(۳)- الإسراء/ ۸۵.

(۴)- الکهف/ ۸۳.

(۵)- البقرة/ ۲۱۹.

(۶)- البقرة/ ۲۲۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۵

کثیرة، منها قوله سبحانه: إِنَّ الَّذِینَ جاؤُ بِالْإِفْکِ عُصْبَةٌ مِنْکُمْ «۱» إلی قوله سبحانه:

أُولئِکَ مُبَرَّؤُنَ مِمَّا یَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَ رِزْقٌ کَرِیمٌ «۲»، و هنّ عشر آیات نزلن فی حادث من أروع الحوادث، هو اتّهام السّیّدة الجلیلة أمّ المؤمنین عائشة بالإفک. و فیها دروس اجتماعیّة لا تزال تقرأ علی النّاس، کما لا تزال تسجّل براءة هذه الحصان الطّاهرة من فوق سبع سماوات.

و من الأمثلة قوله تعالی: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها وَ تَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَ اللَّهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما إِنَّ اللَّهَ سَمِیعٌ بَصِیرٌ إلی قوله تعالی: وَ تِلْکَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْکافِرِینَ عَذابٌ أَلِیمٌ «۳». و هنّ ثلاث آیات نزلن عند ما رفعت خولة بنت ثعلبة شکواها إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم من أنّ زوجها أوس بن الصّامت ظاهر منها، و جادلت الرّسول بأنّ معها صبیّة صغارا إن ضمّتهم إلی زوجها ضاعوا، و إن ضمّتهم إلیها جاعوا.

ثالثها: لفت أنظار المسلمین إلی تصحیح أغلاطهم الّتی یخطئون فیها، و إرشادهم إلی شاکلة الصّواب فی الوقت نفسه. و لا ریب أنّ تلک الأغلاط کانت فی أزمان متفرّقة، فمن الحکمة أن یکون القرآن النّازل فی إصلاحها متکافئا معها فی زمانها. اقرأ إن شئت قوله سبحانه فی سورة آل عمران ۱۲۱: وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِکَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِینَ مَقاعِدَ لِلْقِتالِ إلی آیات کثیرة بعدها، و کلّها نزلت فی غزوة أحد إرشادا للمسلمین إلی مواضع أخطائهم فی هذا الموقف الرّهیب و المأزق العصیب. و کذلک اقرأ قوله سبحانه: وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً وَ ضاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ* ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَکِینَتَهُ عَلی رَسُولِهِ وَ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ وَ أَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْها وَ عَذَّبَ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ ذلِکَ جَزاءُ الْکافِرِینَ* ثُمَّ یَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذلِکَ عَلی مَنْ یَشاءُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ «۴». و هی آیات تردع المؤمنین عن رذیلة الإعجاز و الاغترار فی یوم

---

(۱)- النّور/ ۱۱.

(۲)- النّور/ ۲۶.

(۳)- المجادلة/ ۱- ۴.

(۴)- التّوبة/ ۲۵- ۲۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۶

من أیّام اللّه، و تلفت نظرهم إلی مقدار تدارک اللّه لهم فی شدّتهم، و إلی وجوب أن یثوبوا إلی رشدهم، و یتوبوا إلی ربّهم.

رابعها: کشف حال أعداء اللّه المنافقین، و هتک أستارهم و سرائرهم للنّبیّ و المسلمین، کیما یأخذوا منهم حذرهم فیأمنوا شرّهم، و حتّی یتوب من شاء منهم. اقرأ- إن شئت- قوله تعالی فی سورة البقرة/ ۸۰: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ إلی قوله إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ، و هنّ ثلاث عشرة آیة فضحت المنافقین، کما فضحتهم سورة التّوبة فی کثیر من الآیات، و کما کشف القرآن أستارهم فی کثیر من المناسبات. و یمکن أن تندرج هذه الحکمة الثّالثة بمضامینها الأربعة فی قول اللّه تعالی فی تلک الآیة: وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً «۱».

الحکمة الرّابعة:

الإرشاد إلی مصدر القرآن، و أنه کلام اللّه وحده، و أنّه لا یمکن أن یکون کلامه صلّی اللّه علیه و سلم و لا کلام مخلوق سواه.

و بیان ذلک أنّ القرآن الکریم تقرأه من أوّله إلی آخره، فإذا هو محکم السّرد، دقیق السّبک، متین الأسلوب، قویّ الاتّصال، آخذ بعضه برقاب بعض فی سورة و آیاته و جمله، یجری دم الإعجاز فیه کلّه من ألفه إلی یائه کأنّه سبیکة واحدة، و لا یکاد یوجد بین أجزائه تفکّک و لا تخاذل کأنّه حلقة مفرغة! أو کأنّه سمط وحید و عقد فرید یأخذ بالأبصار، نظّمت حروفه و کلماته، و نسّقت جمله و آیاته، و جاء آخره مساوقا لأوّله، و بدا أوّله مواتیا لآخره!!

و هنا نتساءل: کیف اتّسق للقرآن هذا التّألّف المعجز؟ و کیف استقام له هذا التّناسق المدهش؟ علی حین أنّه یتنزّل جملة واحدة، بل تنزّل آحادا مفرّقة تفرّق الوقائع و الحوادث فی أکثر من عشرین عاما!!.

الجواب: أنّنا نلمح هنا سرّا جدیدا من أسرار الإعجاز، و یشهد سمة فذّة من سمات

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۷

الرّبوبیّة، و نقرأ دلیلا ساطعا علی مصدر القرآن، و أنّه کلام الواحد الدّیّان، وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً «۱».

و إلّا فحدّثنی- بربّک- کیف تستطیع أنت؟ أم کیف یستطیع الخلق جمیعا أن یأتوا بکتاب محکم الاتّصال و التّرابط، متعیّن النّسج و السّرد، متآلف البدایات و النّهایات، مع خضوعه فی التّألیف لعوامل خارجة عن مقدور البشر، و هی وقائع الزّمن و إحداثه الّتی یجیء کلّ جزء من أجزاء هذا الکتاب تبعا لها، و متحدّثا عنها، سببا بعد سبب، و داعیة إثر داعیة، مع اختلاف ما بین هذه الدّواعی، و تغایر ما بین تلک الأسباب، و مع تراخی زمان هذا التّألیف، و تطاول آماد هذه النّجوم، إلی أکثر من عشرین عاما.

لا ریب أنّ هذا الانفصال الزّمانیّ، و ذاک الاختلاف الملحوظ بین هاتیک الدّواعی، یستلزمان فی مجری العادة التّفکّک و الانحلال، و لا یدعان مجالا للارتباط و الاتّصال بین نجوم هذا الکلام.

أمّا القرآن الکریم فقد خرق العادة فی هذه النّاحیة أیضا، نزل مفرّقا منجّما، و لکنّه تمّ مترابطا محکما، و تفرّقت نجومه تفرّق الأسباب، و لکن اجتمع نظمه اجتماع شمل الأحباب. و لم یتکامل نزوله إلّا بعد عشرین عاما، و لکن تکامل انسجامه بدایة و ختاما!!.

أ لیس ذلک برهانا ساطعا علی أنّه کلام خالق القوی و القدر، و مالک الأسباب و المسبّبات، و مدبّر الخلق و الکائنات، و قیّوم الأرض و السّماوات، العلیم بما کان و ما سیکون، الخبیر بالزّمان و ما یحدث فیه من شئون؟

لاحظ فوق ما أسلفنا أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم کان إذا نزلت علیه آیة أو آیات، قال: «ضعوها فی مکان کذا من سورة کذا».

و هو بشر لا یدری طبعا ما ستجیء به الأیّام، و لا یعلم ما سیکون فی مستقبل الزّمان، و لا یدرک ما سیحدث من الدّواعی و الأحداث فضلا عمّا سینزل من اللّه فیها. و هکذا یمضی العمر الطّویل و الرّسول علی هذا العهد، یأتیه الوحی بالقرآن نجما بعد نجم. و إذا القرآن کلّه بعد هذا العمر الطّویل یکمل و یتمّ، و ینتظم و یتآخی و یأتلف و یلتئم، و لا یؤخذ علیه أدنی تخاذل و لا تفاوت، بل یعجز الخلق طرّا بما فیه من

---

(۱)- النّساء/ ۸۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۸

انسجام و وحدة و ترابط، کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ «۱».

و إنّه لیستبین لک سرّ هذا الإعجاز، إذا ما علمت أنّ محاولة مثل هذا الاتّساق و الانسجام لن یمکن أن یأتی علی هذا النّمط الّذی نزل به القرآن و لا علی قریب من هذا النّمط، لا فی کلام الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم و لا کلام غیره من البلغاء و غیر البلغاء.

خذ مثلا حدیث النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، و هو ما هو فی روعته و بلاغته، و طهره و سموّه، لقد قاله الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم فی مناسبات مختلفة لدواع متباینة، فی أزمان متطاولة. فهل فی مکنتک و مکنة البشر معک أن ینظّموا من هذا السّرد الشّتیت وحده کتابا واحدا یصقله الاسترسال و الوحدة، من غیر أن ینقصوا منه أو یتزیّدوا علیه أو یتصرّفوا فیه؟

ذلک ما لن یکون، و لا یمکن أن یکون، و من حاول ذلک فإنّما یحاول العبث، و یخرج للنّاس بثوب مرقّع، و کلام ملفّق ینقصه التّرابط و الانسجام، و تعوزه الوحدة و الاسترسال، و تمجّه الأسماع و الأفهام.

إذن فالقرآن الکریم ینطق نزوله منجّما بأنّه کلام اللّه وحده. و تلک حکمة جلیلة الشّأن، تدلّ الخلق علی الحقّ فی مصدر القرآن، قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِی یَعْلَمُ السِّرَّ فِی السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ کانَ غَفُوراً رَحِیماً «۲». (۱: ۳۳– ۵۵)

---

(۱)– هود/ ۱.

(۲)– الفرقان/ ۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۵۹

الفصل التّاسع و الأربعون نصّ عزّة دروزة (۱۳۰۵– ..) فی «التّفسیر الحدیث»

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

احتوت الآیات تقریرا تذکیریّا بإنزال القرآن فی لیلة القدر، و تنبیها تنویهیّا بهذه اللّیلة و عظم شأنها و خیرها و شمولها ببرکة اللّه و سلامه، و تنزّل الملائکة و الرّوح فیها بأوامره و تبلیغاته. و الآیات لم تذکر القرآن، غیر أنّ جمهور المفسّرین علی أنّ ضمیر الغائب فی أَنْزَلْناهُ عائد إلیه، و روح الآیة تلهم ذلک، کما أنّ آیات سورة الدّخان: ۱– ۳ حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ تؤیّد ذلک.

تعلیق علی روایات نزول القرآن جملة واحدة

و لقد أورد المفسّرون فی سیاق هذه السّورة روایاتا و أقوالا تتضمّن فیما تتضمّنه أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلی سماء الدّنیا ثمّ أخذ ینزّل منجّما، أی مفرّقا، و أنّ ما عنته هذه السّورة هو هذا، حیث قصدت جمیع القرآن. و قد روی بعضهم عن الشّعبیّ أنّ الآیة الأولی تعنی أنّ ابتدأنا بإنزاله فی لیلة القدر، و النّفس تطمئنّ بقول الشّعبیّ هذا، و بأنّ هذه السّورة و آیات سورة الدّخان الّتی أوردناها آنفا و آیة سورة البقرة: ۱۸۵ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ قد عنت بدء نزول القرآن، و بأنّ

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۶۰

سورة القدر قد احتوت تنویها بعظم حادث بدء نزول القرآن و جلالة قدره، و بخطورة اللّیلة الّتی شرّف اللّه قدرها، بحدوث هذا الحادث العظیم فیها. أمّا إنزال القرآن جمیعه دفعة واحدة إلی سماء الدّنیا فلیس علیه دلیل من القرآن أو من الحدیث الصّحیح. و لا یبدو له حکمة، کما لا یبدو أنّه منسجم مع طبیعة الأشیاء؛ حیث احتوت معظم فصول القرآن صور السّیرة النّبویّة المتنوّعة فی مکّة أوّلا ثمّ فی المدینة و أحداثها أو نزلت فی مناسباتها. (۱: ۲۴۱)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

احتوت الآيات حكاية قول آخر من أقوال الكفّار؛ حيث قالوا على سبيل التّحدّى:

هلّا أنزل القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم دفعة واحدة، و قد ردّت عليهم ردّا قويّا فيه تثبيت و توضيح و إنذار. فاللّه تعالى إنّما أنزل القرآن مرتّلا قسما بعد قسم، لتثبيت قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و دعوته، و جعل النّاس يحسنون استيعابه، و أنّ الكفّار لا يأتون بمثل أو حجّة يظنّون فيها تعجيزا أو إشكالا أو إحراجا إلّا أنزل اللّه فى صدده ما فيه الحقّ و التّفسير الأفضل و الحجّة الدّامغة المفحمة، و إنّ الّذين يظلّون على كفرهم و مكابرتهم بعد ذلك سيحشرون إلى جهنّم على وجوههم، و سيعلمون حينئذ أنّهم الأضلّ سبيلا و الأسوأ مصيرا. و الزّيادة الّتى ذكرناها فى صدد تنزيل القرآن مقسّما مستمدّة من آية الإسراء: ۱۰۶ وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا

و الآيات استمرار فى السّياق الّذى احتوى منذ أوّل السّورة فصولا مماثلة من حيث حكاية مواقف الكفّار و أقوالهم و الرّدّ عليهم و إنذارهم.

تعليق على تحدّى الكفّار بإنزال القرآن جملة واحدة و قد قال المفسّرون فى سياق الآيات: إنّ الكفّار كانوا يتحدّون النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بإنزال القرآن جملة واحدة، كما أنزلت الكتب السّماويّة التّوراة و الإنجيل و الزّبور جملة واحدة. و علّلوا نزول القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا بأنّه كان أمّيّا لا يقرأ و لا يكتب، فكان لا بدّ له من التّلقين

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶۱

و الحفظ اللّذين يقتضيان إنزال القرآن مفرّقا، فى حين كان الأنبياء الأوّلون يقرءون و يكتبون، فنزلت عليهم جملة واحدة و مكتوبة.

و قد يكون ما قاله المفسّرون عن سبب تحدّى الكفّار صحيحا، و أن يكون هؤلاء سمعوا من الكتابيّين أنّ التّوراة و الإنجيل و الزّبور نزلت على موسى و عيسى و داود: جملة واحدة. غير أنّنا لا نستطيع موافقتهم على أخذهم ذلك كقضيّة مسلّم بها، و تعليلهم إيّاه بأمّيّة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم. فباستثناء الألواح الّتى ذكرت آية الأعراف: ۱۴۵، إنّ اللّه أنزلها مكتوبة على موسى لم يرد فى القرآن صراحة أنّ اللّه أنزل الكتب الأخرى مكتوبة و دفعة واحدة.

و الأسفار المنسوبة إلى موسى و العائدة إلى عهده و حياته تذكر إنّ اللّه إنّما أمر موسى بإحضار لوحين. و تفيد الأسفار أنّ معظم ما احتوته من تعليمات و تشريعات نزل مفرّقا و فى فترات و مناسبات عديدة وفق سير الظّروف بالنّسبة لموسى عليه السّلام و بالنّسبة لبنى إسرائيل. و الزّبور الّذى هو على الأرجح سفر المزامير مقاطع متتالية فيها تسبيح و تقديس و ابتهال بلسان داود عليه السّلام. و يتبادر منها أنّها لم توح إلى داود مرّة واحدة. و ليس فى اليد إنجيل منسوب إلى عيسى عليه السّلام، و لم يرو أحد أنّه أطلع على مثل ذلك. و الأناجيل المتداولة هى ترجمة لحياته، تضمّنت كثيرا من أقواله و تعاليمه الّتى عليها سمة الوحى. غير أنّها كانت تمثّل وقائع و مجالس مختلفة، فلا يمكن أن تكون نزلت دفعة واحدة. و كلّ هذا هو شأن القرآن بطبيعة الحال.

هذا، و مع أنّ تعبير «القرآن» أصبح علما على جميع ما أوحى اللّه تعالى للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من الفصول و المجموعات القرآنيّة المحكمة و المتشابهة، فإنّ هذه الآية و أمثالها ممّا تكرّر فى القرآن، و من ذلك الآية السّابقة: ۳۱، تؤيّد ما قلناه فى سياق تفسير سورة المزّمّل من أنّ أصل مفهوم القرآن هو السّور و الفصول المحكمة الّتى احتوت مبادئ الدّعوة و تدعيماتها الرّئيسيّة، كما تؤيّد أنّ هذا هو الّذى فهمه العرب، و أنّ ما جاء فى سياق التّدعيم و التّأييد من قصص و أمثال و حجج و جدل و ردود و حملات و حكاية أقوال الكفّار و تحدّياتهم و مشاهد الآخرة ممّا يصحّ أن يسمّى من المتشابهات، لم يكن فى الأصل ممّا عناه التّعبير و فهمه العرب، و أنّ شمول التّعبير لكلّ ما احتواه المصحف من ذلك أيضا إنّما كان بسبب

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶۲

أنّه من وحی اللّه و تنزیله مثل ذلک الأصل، و هو ما عنته آیـة آل عمران ۷: هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ. (۲: ۲۶۱ ۲۶۲)

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

و قد قالوا و رووا فی صدد جملة شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ: إنّ القرآن أنزل جملة واحدة فی شـهر رمضان أو فی أواخره إلی سماء الدّنیا، ثمّ أخذ ینزل منجّما علی النّبیّ، و أنّ هذا ما عناه التّعبیر. و هذا القول لا یبعث الطّمأنینة، کما أنّه غیر مؤیّد بسند وثیق و لا یفهم له آیة حکمة.

و قد قیل فی سیاق سورة القدر و فی سیاق الآیات الأولی من سورة الدّخان. و علّقنا علی ذلک بما فیه الکفایة فی تفسیر السّورتین. و المجمع علیه تقریبا المؤیّد بحدیث رواه البخاریّ عن عائشة، و أوردناه فی سیاق تفسیر سورة العلق، إنّ الآیات الخمس الأولی من هذه السّورة هی أوّل ما نزل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی لیلة القدر إحدی لیالی أواخر رمضان، علی ما شرحناه فی تفسیر سورة القدر. و الّذی یتبادر لنا أنّ الآیة الّتی نحن فی صددها قد قصدت ذلک؛ للتّنویه ببرکة شهر رمضان و فضله، لأنّه کان فیه أعظم الأحداث الإسلامیّة و أکثرها برکة و خیرا، و هو إعلان النّبیّ نبوّته و اتّصال الوحی الرّبانیّ به، و تلقّیه عنه أولی آیات القرآن الّذی فیه الهدی و البیّنات، و الفرقان الّذی یفرق بین الحقّ و الباطل.

و المتبادر أنّ فرض صیام هذا الشّهر المبارک علی المسلمین متّصل من ناحیة ما بذلک الحادث العظیم؛ حیث اقتضت حکمة التّنزیل فرض صیامه علیهم، لیکون لهم شهر عبادة خالصة للّه تعالی، یؤدّونها فی مشارق الأرض و مغاربها سنویّا إلی ما شاء اللّه لهذه الدّنیا أن یدوم فیها معنی الشّکر و واجبه علی رحمة اللّه و نعمته، و فیها معنی التّذکیر المتجدّد بهذه الرّحمة و النّعمة.

و نستطرد إلی القول فی صدد شهر رمضان فنقول: إنّنا ذکرنا فی سیاق تفسیر سورة القدر أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان یعتکف اعتکافاته الرّوحیة فی غار حراء فی شهر رمضان قبل نزول الوحی علیه، و أنّ التّحنّث- أی التّعبد و الاعتکاف فی شهر رمضان- کان ممارسا من قبل

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۶۳

بعض الورعین المتّقین فی مکّة «۱». فیسوغ القول و الحالة هذه أنّه کان لشهر رمضان خصوصیة و إن لم یعرف کنهها بجزم فاقتضت الحکمة الرّبّانیّة اختصاصه بنزول القرآن، و الوحی علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم لأوّل مرّة، ثمّ بفرض صیامه علی المسلمین. (۷: ۲۸۴- ۲۸۵)

و نصّه أیضا، فی کتابه: [تاریخ] القرآن المجید روایات نزول القرآن جملة واحدة و أثرها

فأوّلا: من ذلک الآثار المرویّة بأنّ القرآن قد نزل جملة واحدة إلی سماء الدّنیا، ثمّ صار ینزل علی النّبیّ خلال مدّة حیاته بعد بعثته. فالّذی یبدو لنا أنّه کان لهذه الآثار أثر قلیل أو کثیر فی بعض الثّغرات الّتی ذکرناها أو بالأحری فی أکثرها، بحیث صارت عاملا بین حین و آخر، و بقصد و غیر قصد فی أغفال صلة الفصول القرآنیّة بالسّیرة و البیئة النّبویّة، و مفهوم الأسالیب الخطابیّة العربیّة و مدارک سامعی القرآن و مألوفاتهم و متداولاتهم، و عاملا کذلک فی إسباغ معان خاصّة أو مستقلّة علی الألفاظ و الأسالیب القرآنیّة، و استخراج معان خاصّة منها تباعد بینها و بین نزول القرآن و جوّ البیئة النّبویّة الّتی تتّصل بالقرآن و نزوله و أسالیبه و ألفاظه اتّصالا مباشرا و وثیقا علی ما شرحناه فی مناسبة سابقة.

و مع أنّ من العلماء من توقّف فی التّسلیم بمدی هذه الآثار و رأی فیها تعارضا مع ما فی القرآن من ناسخ و منسوخ و جدل، و قال: أنّ

القرآن كان ينزل على قلب النبىّ من عند اللّه منجّما حسب الحوادث، فإنّ كثيرا منهم أخذوا بها، كما يبدو من التّدقيق فى مختلف الكتب و التّفاسير القديمة الّتى كانت عماد كتب التّفسير التّالية قليلا أو كثيرا، و منهم من جمع بين الأخذ بها و بين القول بنزول القرآن حسب الحوادث معا. و جلّ هذه الآثار- إن لم يكن كلّها- منسوب إلى ابن عبّاس مع اختلاف فى النّصوص و الطّرق. [ثمّ ذكر روايات

(۱)- تاريخ الطّبرىّ/ ۲: ۴۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶۴

عن ابن عبّاس نقلا عن الحاكم الطّبرانىّ و ابن أبى شيبة كما تقدّم عن السّيوطىّ، فقال:].

و قد سبقت هذه الرّوايات فى سياق هذه الآيات:

۱- شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱».

۲- إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ «۲».

۳- إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۳».

و وردت متقاربة المدى مع بعض التّباين فى الصّيغة فى التّفسير المنسوب إلى ابن عبّاس، و فى تفاسير عديدة مثل الطّبرىّ و الكشّاف و الخازن و أبى السّعود و البيضاوىّ، جريا على العادة من اتّخاذ المفسّرين الرّوايات الواردة فى أغلب الأحيان عمادا للتّفسير مهما كان أمرها و رواتها على ما شرحناه فى مناسبة سابقة.

و لم يقتصر الأمر على الرّوايات المعزوّة إلى ابن عبّاس، فإنّ بعض العلماء رووا روايات و قالوا أقوالا أخرى فى الموضوع، فقال أبو شامة- و هو من علماء القرآن- باحتمال أن يكون القرآن قد أنزل إلى السّماء قبل نبوّة النّبىّ. و روى عن عكرمة أنّه قال: إنّ آية فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ «۴» يعنى نزول القرآن منجما من السّماء الأولى.

و علّق بعض العلماء و المفسّرين على ما تضمّنته الرّوايات تعليقات تطبيقيّة و توفيقيّة على اعتبار أنّها قضيّة مسلّمة، فقال أبو شامة: أنّ السّرّ فى إنزاله إلى السّماء تفخيم أمره .. [إلى آخر ما تقدّم عنه ثمّ قال:]

و جاء فى تفسير الخازن فى سياق سورة القدر و بعد إيراد الرّوايات المذكورة سابقا:

قيل: إنّما أنزله إلى السّماء الدّنيا لشرف الملائكة بذلك، و لأنّها كالمشترك بيننا و بين الملائكة، فهى لهم سكن و لنا سقف و زينة.

جاءت فى سياق مشهد من مشاهد الآخرة، و فيه إنذار و تنديد بالكفّار، و حكى فيه

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الدّخان/ ۳.

(۳)- القدر/ ۱.

(۴)- الواقعة/ ۷۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶۵

موقف من مواقف الجدل بينهم و بين النّبىّ، و لا صلة قطّ بينه و بين المعنى أو المشهد الّذى أورده النّيسابورىّ. و فى هذا مثل آخر لأخذ المفسّرين الآيات آية أو جملة من آية و عدم ملاحظتهم السّياق الّذى جاءت فيه ... و منهم من ناقش ما إذا كانت جملة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۱» من جملة القرآن الّذى نزل جملة واحدة أم لا؛ لأنّها تتضمّن إخبارا؛ و توهّم التّعارض، ثمّ خرجوها بأنّ معنى أَنْزَلْناهُ فى الجملة قضيناه و قدّرناه «۲».

كلّ هذا فى حين أنّ هذه الأقوال- و خاصّة المعزوّة إلى ابن عبّاس و هى الأصل فيها- ليست مرفوعة إلى النّبىّ، و هى إخبار عن غيب

متّصل بعلم اللّه و سرّ ملكوته و وجوده لا يمكن العلم بها إلّا عن طريق النّبىّ، و هو ما لم يثبت فيما اطّلعنا عليه، و نستبعد صدورها عن ابن عبّاس؛ لما فيها من تخمين فى أمر لا يصحّ أن يلقى الكلام فيه جزافا و من غير سند نبوىّ ثابت أو صراحة قرآنيّة.

و فى الرّوايات الوثيقة الواردة: أنّ الوحى نزل لأوّل مرّة على النّبىّ بأوّل آيات القرآن فى ليلة من ليالى رمضان، و هو معتكف فى غار حراء على عادته من الاعتكاف فى هذا الشّهر، و ما احتوته آيات البقرة و الدّخان و القدر هو فيما نعتقد إشارة إلى هذا الحادث، و قد جاءت كلمة القرآن فى أوائل سورة المزّمّل الّتى هى من أوائل القرآن نزولا، ثمّ ظلّت تكرّر فى السّور المكّية و المدنيّة، و كانت تعنى بطبيعة الحال الجزء الّذى تمّ نزوله على قلب النّبىّ. و فى هذا دليل على أنّ تعبير إِنَّا أَنْزَلْناهُ فى آيتى الدّخان و القدر و جملة شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فى آية البقرة لا تقتضى أن تكون قصدت جميع القرآن ممّا يمكن أن يكون محلّ إشكاله، أريد تخريجه على الوجه الّذى خرج به.

و لقد أورد السّيوطىّ فى إتقانه حديثا نبويّا برواية واثلة ابن الأسقع .. [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و سيق هذا الحديث فى معرض تلك الآيات و الرّوايات و الأقوال، و مهما يكن من أمره فليس من شأنه على فرض صحّته أن يؤيّد تلك الأقوال و الرّوايات، لأنّه ليس فى

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الأقوال الّتى أوردناها قد ورد جلّها فى الإتقان للسّيوطىّ.

صراحتها، و ليس من المستبعد أن يكون أريد به الإشارة إلى أوّل نزول الكتب السّماويّة بما فيها القرآن ما هو الواقع المروىّ فى الأحاديث الصّحيحة بالنّسبة إلى القرآن.

و من الطّريف أنّ بعض المعلّقين استنبط على ما ذكره السّيوطىّ من عدم الرّدّ على الكفّار فيما تحدّوه من إنزال القرآن جملة واحدة صحّة ما قيل من أنّ الكتب السّماويّة نزلت جملة واحدة، و قال إنّها لو لم تكن نزلت جملة واحدة لكان القرآن ردّ على المتحدّين.

و إذا كان بعض العلماء توقّف فى ما إذا كانت جملة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ هى من جملة القرآن الّذى نزل جملة واحدة أم لا، لأنّها تتضمّن أخبارا و توهم التّعارض، فكم بالأحرى الآيات الكثيرة المماثلة ثمّ الفصول الكثيرة جدّا الواردة فى مختلف السّور و الّتى تحكى حجاج الكفّار و جدلهم فى القرآن و تحدّيه، أو تحكى مواقف الكفّار من الدّعوة النّبويّة و من إنذارات القرآن و تبشيراته باليوم الآخر و حسابه و ثوابه و عقابه، و هزؤهم بالنّبى و تحدّيه بإحداث المعجزات و إنزال الملائكة الخ، ثمّ الّتى تحكى وقع السّيرة الجهاديّة و التّشريعيّة، ثمّ الّتى تندّد بالكفّار و تصوّر عنادهم و تحتّم لهم الخلود بالنّار، و تلك الّتى تذكر إسلام كثير منهم، و توبة اللّه عليهم و انتقالهم من صفّ الكفّار إلى صفّ المسلمين و من مصير الخلود فى النّار إلى الخلود فى الجنّة و أمثال ذلك ممّا كان يقع نتيجة لسير الدّعوة و ظروفها الطّارئة، و ممّا يغلب عليه طابع الوسائل التّدعيميّة لأهداف القرآن و أسسه و دعوته. و لا ندرى كيف سوّغ القائلون لأنفسهم بعد هذا أن يقولوا: إنّ القرآن- و هو يعنون جميع ما بين الدّفّتين من أسس و وسائل- قد نزل جملة واحدة يوم بعثة النّبىّ أو قبله.

و على كلّ حال فإنّ ما ساقه القائلون فى حكمة إنزال القرآن جملة واحدة إلى السّماء عند بدء النّبوّة أو قبلها، و كذلك ما علّقوا به من تعليقات هى الأخرى أقوال تخمينيّة، و فيها من التّكلّف و التّزيّد بل و التّهافت ما يستطيع أن يلمسه المدقّق الّذى ينعم النّظر، و أنّ القول فى أصله يظلّ غير مفهوم الحكمة، و غير متّسق مع طابع الأمور و حقائق الأشياء، و لقد غاب عنهم فيما يتراءى لنا أنّ القرآن بصفته وحى اللّه قد تحقّقت فيه جميع

معانى التّعظيم و التّفخيم و التّكريم، و إنّه ليس فى حاجة إلى المزيد بمثل هذه المظاهر، كما غاب عنهم، أنّهم يقرّرون ماهيات مادّية عن السّماء الأولى و بيت العزّة و الحفظة و السّفرة و التّوزيع على جبريل و تلقّى جبريل عنهم، و يصفون مشاهد أبصاريّة لا يصحّ إلقاء الكلام فيها جزافا، و ليس عندهم أىّ دليل نقلىّ ثابت و صحيح صادر عن النّبىّ الّذى هو وحده صاحب الحقّ فى الأخبار عن الغيبيّات. و مهما يكن من أمر فإنّ هذه الأقوال تدلّ على أنّ كثيرا من النّاظرين فى القرآن و علمائه و مفسّريه اعتبروا، أو يقع الوهم بأنّهم اعتبروا القرآن- و من جملته الفصول الوسائليّة و التّدعيميّة و الوقائع الجهاديّة و الأسئلة و الأجوبة و مواقف التّحدّى و الجدل و الحجاج المتقابلة- مستقلا فى أصله عن الأحداث الّتى نزل بمناسباتها، و كون هذه الأحداث ليست إلّا ظروفا عابرة لنزوله حتّى مع قولهم: إنّ القرآن قد نزل منجّما حسب الحوادث- لأنّ هذا يبدو غريبا إزاء القول: إنّ القرآن نزل فى بدء نبوّة النّبىّ أو قبلها جملة واحدة إلى سماء الدّنيا- فقالوا ما قالوه و ولعوا بما ولعوا به من أسرار القرآن، و استقراء حروفه و رموزه و مغيّباته، و استغرقوا فى ماهيّات ما جاء فيه من مشاهد كونيّة و قصص تاريخيّة، و حاولوا أن يستخرجوا حقائق ما كان و يكون من الوقائع و العلوم و نظرياتها، و فى هذا ما فيه من التّكلّف و التّجاوز و التّشويش و تعريض القرآن للمغامز و المطاعن، فى حين أنّه لا طائل من ورائه و لا ضرورة له و لا إسناد وثيقة تدعمه.

روايات نزول القرآن بالمعنى و أثرها

ثانيا: و من ذلك ما قاله بعض العلماء من نزول القرآن على قلب النّبىّ بالمعنى لا باللّفظ. فقد ذكر صاحب الإتقان هذا الموضوع فى فصل كيفيّة نزول القرآن على قلب النّبىّ بالمعنى لا باللّفظ، و قال: إنّ هناك أربعة أقوال ... [و ذكر كما تقدّم عنه، و لكنّه أضاف قولا رابعا، لم يذكره السّيوطىّ و هو:]

إنّ الوحى نزل باللّفظ حينا و بالمعنى حينا، فما نزل باللّفظ فهو القرآن، و ما نزل بالمعنى فهو السّنّة، أى أنّ الأحاديث النّبويّة هى أيضا وحى ربّانىّ، و لكنّها نزلت بالمعنى.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶۸

و علّل أصحاب هذا القول إنّه كان يقصد التّخفيف عن الأمّة، و لذلك جازت رواية الأحاديث النّبويّة بالمعنى.

و يلاحظ أنّ هذه الأقوال تخمينيّة، و لم يورد قائلوها أسنادا موثّقة لها، فى حين أنّ الموضوع متّصل بسرّ وحى اللّه و سرّ النّبوّة كذلك، فهو أمر غيبىّ إيمانىّ لا يصحّ قول شىء فيه إلّا بنصّ صريح من قرآن أو حديث ثابت عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و ما دام أنّه لم يرد شىء من ذلك، و أنّ النّبىّ قد بلّغ القرآن الموحى به إليه بألفاظه العربيّة الّتى دوّنت و حفظت عنه بالتّواتر اليقينىّ، فليس من محلّ للقول: إنّ القرآن أوحى إليه بالمعنى، كما أنّه ليس من ورائه طائل، و أنّ الحقّ فى هذا هو ما يتّسق مع الواقع و حسب، و هو أنّ ما بلّغه النّبىّ من ألفاظ القرآن هو ما نزل الوحى به على قلبه، و أنّه لا يصحّ أن يعدل عن هذا إلى غيره بالظّن و التّخمين.

على أنّ النّصوص القرآنيّة هى فى جانب ما نقول أيضا أكثر منها فى الجانب الآخر أو فى جانب السّكوت. فآيات يوسف/ ۲، و الزّخرف/ ۳، و الزّمر/ ۲۸، و فصّلت/ ۳ و ۴۴، الّتى تذكر تنزيل القرآن عربيّا و جعله عربيّا- و قد نقلناها فى مناسبات سابقة- تحتوى قرائن بل دلائل قويّة على قصد تقرير كون الألفاظ العربيّة الّتى بلّغها النّبىّ هى ما نزل الوحى به على قلبه.

و من الغريب أنّ القائلين بنزول القرآن بالمعنى استندوا إلى آيتى الشّعراء: ۱۹۳- ۱۹۴ اللّتين نقلناهما و غفلوا عن ما بعدها بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ۱۹۵، كما هى العادة من أخذ آية دون آية و دون سياق؛ للتّدليل بهما على رأى ما، فى حين أنّ بعدهما- أى الآية:

۱۹۵- تحتوى ما ينقض ذلك بصراحة، و من الغريب أكثر أن لا يحتجّ القائلون بنزول القرآن بألفاظه بهذا النّص القرآنىّ الصّريح القاطع.

و ممّا يجدر التّنبيه عليه فى هذه المناسبة أنّ القول بأنّ الأحاديث النّبويّة ممّا كان ينزل به الوحى بالمعنى على إطلاقه لا يتّسق مع الواقع

و النّصوص القرآنيّة. فقد احتوت آيات عديدة عتابا للنّبىّ على بعض الحوادث و الوقائع و المواقف و الأقوال الّتى صدرت منه، بل و على بعض الأفكار و الخطرات الّتى دارت فى ذهنه فى العهد المكّىّ و العهد

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۶۹

المدنىّ على السّواء، ممّا تشير إليه آيات سورة عبس/ ۱- ۱۰، و الإسراء/ ۷۳- ۷۵، و هود/ ۱۲، و الأنفال/ ۶۷- ۶۸، و التّوبة/ ۴۳ و ۱۱۳- ۱۱۷، و الأحزاب/ ۳۷، و التّحريم/ ۱- ۲، و النّساء/ ۱۰۵- ۱۱۳، فلو كان كلّ ما قاله النّبىّ و فعله و فكّر فيه وحيا على إطلاق القول لما كان محلّ لمعاتبته. و لقد أثر عن النّبىّ حوادث و أخبار و أحاديث كثيرة و وثيقة فى تقرير كونه بشرا قد يخطئ و يصيب فى اجتهاداته فى أمور الدّنيا و سياستها، و فى ما يبدو له من ظواهر الأمور الّتى لا يكون مطّلعا على بواطنها و ملابساتها، و أنّه لا يحلف على شىء فيرى ما هو خير إلّا كفّر عن يمينه «۱» و أتى الّذى هو خير الخ.

و لقد استند القائلون بالوحى العامّ الشّامل إلى آيتى: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۲»، مع أنّ روح الآيات و سياقها هما فى صدد توكيد صحّة ما أخبر به النّبىّ عن اتّصال وحى اللّه به بصورة عامّة كما هو المتبادر منها، و هو ما تكرّرت فى صدده الآيات و استهدفته، و إنّ من التّجوّز تشميل مداها لكلّ قول صدر عن النّبىّ، لتعارض ذلك مع الوقائع و النّصوص.

و نريد أن ننبّه على نقطة هامّة، فنحن لا نعنى بما نقرّره أن لا يكون النّبىّ فى كثير ممّا قاله و فعله و أمر به و نهى عنه، و خاصّة ممّا لم ينزل فيه قرآن ناقض أو معدّل أو معاتب ملهما به من اللّه، ففى القرآن دلائل عديدة، على أنّ كثيرا ممّا وقع من النّبىّ قبل نزول القرآن به قد وقع بإلهام ربّانىّ، و أنّ القرآن الّذى نزل بذلك جاء مؤيّدا له فيه، كما أنّ جميع ما ثبت عن النّبىّ من سنن قوليّة و فعليّة، و أوامر و نواه مات عنها دون أن ينقضها هو أو القرآن هو تشريع واجب الاتّباع بنصّ القرآن، و إنّما الّذى نعنيه التّعليق على القول بأنّ جميع ما صدر عنه من قول و فعل إطلاقا، و بأنّ جميع السّنن النّبويّة القوليّة و الفعليّة وحى من جنس الوحى القرآنىّ مع فارق واحد و هو أنّ هذا باللّفظ و ذاك بالمعنى، ممّا لم يرد ما يؤيّده من حديث نبوىّ ثابت أو نصّ قرآنىّ صريح، و ممّا لا يجوز الكلام فيه بالظّنّ

---

(۱)- هذا لا يصحّ على مذهبنا و عند المعتزلة أيضا.

(۲)- النّجم/ ۲- ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۷۰

و التّخمين و الاجتهاد. و فى القرآن مشاهد كثيرة تدلّ على أنّ النّبىّ كان يجتهد فى أمر، فينزل القرآن مؤيّدا له و مثبتا فيه و منددا بالّذين وقفوا منه موقف المخالفة أو التّردّد أو التّمرّد، فلو كان ذلك وحيا من جنس الوحى القرآنىّ مع ذلك الفارق لكان يقتضى أن ينصّ عليه حين صدوره عن النّبىّ، أو حين تثبيت النّبىّ فيه قرآنيا بعد صدوره أنّه كان وحيا ربّانيّا، و هذا لم يقع.

و لقد استهدف بعض الّذين قالوا ذلك تقرير العصمة النّبويّة. و ننبّه على أنّ ما نقرّره لا يمسّ هذه العصمة، عدا أنّه قائم على براهين حكمة قرآنيّة و واقعيّة. فالعصمة النّبويّة تتناول ما يبلّغه النّبىّ عن اللّه، و آيتا النّجم مصوّبتان على هذا المعنى، و المبلّغ عن اللّه بصراحة هو القرآن فقط. ثمّ تتناول امتناع النّبىّ عن اقتراف إثم أو جريمة أو فاحشة أو مخالفة للقرآن قولا و فعلا، و لا تتناول فيما تعتقد الأقوال و الأفعال و المواقف الاجتهاديّة و العاديّة الّتى لم تؤيّد بقرآن و ليس فيها نيّة الإثم و الضّرر و الشّرّ و المخالفة، و الّتى قد يكون فيها الخطأ و الصّواب و خلاف الأولى الّذى فى علم اللّه و الّذى لا ينكشف للنّبىّ إلّا بوحى. و فى القرآن مشاهد عديدة تدلّ على أنّ النّبىّ كان يجتهد فى أمر، فيصدر عنه قولا أو فعلا فينزل القرآن معاتبا حينا، و منبّها أو مذكّرا حينا بما هو الأولى، كمشاهد أسرى بدر، و تحريم النّبىّ على نفسه زوجاته، و استغفاره لأقاربه من المشركين، و إذنه للمعتذرين عن الانضمام لحملة تبوك، و زواجه بمطلّقة متبنّيه، و حادث الأعمى، و خطرات نفسه فى التّساهل مع المشركين، ممّا احتوت الإشارات إليه سورة الأنفال و التّحريم و التّوبة و الأحزاب و عبس و الإسراء، ممّا لا يمكن أن يحتمل القول معه أنّ ذلك كان إلهاما ربّانيّا فى معنى الوحى البتّة. و نحن من المؤمنين

بالعصمة النّبويّة، و لكن لا ـ على ذلك المعنى الّذى يجعل النّبىّ يمتنع عليه أن يصدر منه أىّ اجتهاد فى خلاف الأولى المغيّب عنه علمه، أو أى خطأ مرئىّ، ممّا لا يمكن أن ينتفى عن الطّبيعة البشريّة النّبويّة المقرّرة فى القرآن، و ممّا تنعدم به حكمة الثّناء العظيم الّذى أثناه اللّه فى القرآن على أخلاقه، و حكمة اختصاصه من دون النّاس بالرّسالة، و لكن على المعنى الّذى يتحقّق فى الكمال النّبوىّ خلقا و روحا و عقلا و الّذى لم يصل النّبىّ إلى درجة الاصطفاء الرّبانىّ إلّا بعد أن وصل إليه

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۷۱

فصار من سموّ الأخلاق و صفاء الرّوح و عظم القلب و رجاحة العقل إلى ما يرتفع به عن كلّ ما يشين، ثمّ على معنى عصمته من أىّ خطأ فى تبليغ ما أوحى إليه و التزامه له بكلّ دقّة و أمانة و صدق و استغراق.

و مهما يكن من أمر، و مع أنّ كثيرا من العلماء على رأى أنّ القرآن نزل بألفاظ عربيّة، و أنّ ما بلّغه النّبىّ من ألفاظه هو ما ألقى إليه من الوحى، فالّذى يتبادر لنا أنّ لتلك الأقوال أثرا فى الرّوايات الكثيرة عن خلافيّات القراءة، و خاصّة الخلافيّات اللّفظيّة و النّظميّة من بدل كلمة بكلمة و من تقديم و تأخير، ممّا أوردنا أمثلة عديدة عنه فى مناسبة سابقة، أو أنّ الّذين تداولوا أو دوّنوا هذه الخلافيّات دون تمحيص و نقد قد تأثّروا بهذه الأقوال، أو أنّ الّذين اخترعوا و دسّوا هذه الخلافيّات أو بعضها بقصد التّشكيك قد استغلّوا و روّجوا هذا الأقوال، أو أنّ كلّ هذا قد وقع معا، كما أنّه ممّا يتبادر لنا أن تكون هذه الأقوال قد أثّرت أو تأثّرت بأحاديث الأحرف السّبعة و تأويلاتها العجيبة الّتى ذكرنا بعضها سابقا، و خاصّة ما ورد فى بعض وجوهها من أنّها بقصد تقرير أنّ القرآن قد نزل بمعان متّسق مفهومها، مختلف مسموعها، حيث يجوز التّغاير إذا لم تبدّل كلمة «عذاب» بكلمة «رحمة».

و لعلّ ما عزى إلى أبى حنيفة من تجويزه الصّلاة بقراءة القرآن بالتّرجمة الفارسيّة، و تقريره أنّ المهم فى القرآن هو المعنى متّصل بهذه الأقوال.

و قد ذكر الزّمخشرىّ: أنّ أبا حنيفة استند إلى ما روى عن ابن مسعود من إجازته لقارئ بقراءة «طعام الفاجر» بدلا من «طعام الأثيم «۱»»، على شرط أن تؤدّى التّرجمة المعانى على كمالها. و علّق الزّمخشرىّ على هذا بقوله: إنّ هذا الشّرط بمثابة المنع، لأنّ فى كلام العرب- و خصوصا القرآن الّذى هو معجز بفصاحته و غرابة نظمه و أساليبه- من لطائف المعانى و الأعراض ما لا يستقلّ بأدائه لسان من فارسيّة و غيرها، و لم يكن أبو حنيفة يحسن الفارسيّة، فلم يكن ذلك التّقرير منه عن تحقيق و تبصّر، ثمّ قال: إنّ صاحبى أبى حنيفة أنكرا جواز الصّلاة بالقراءة الفارسيّة، و أنّ علىّ بن الجعد روى عن أبى يوسف:

أنّ أبا حنيفة هو على رأى صاحبيه فى الإنكار.

---

(۱)- الدّخان/ ۴۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۷۲

و نتبّه على أنّنا لسنا هنا فى معرض منع ترجمة القرآن أو عدم جوازه، بل إنّنا نرى هذا مفيدا جدّا و واجبا لازما فى سبيل نشر الدّعوة الإسلاميّة القرآنيّة العظمى، كما أنّ عموم الرّسالة النّبويّة و عموم الخطاب القرآنىّ لجميع النّاس من الدّلائل على هذا الوجوب، على أن يقوم بها الأكفاء فى فهم القرآن و لغته و لغة ترجمته، و على أن يكون القصد منها النّشر و الدّعوة و التّبشير لا الصّلاة بها، حيث نعتقد بصواب رأى أبى يوسف و الحسن صاحبى أبا حنيفة فى إنكار الصّلاة بها، و عدم جوازها إلّا بالألفاظ القرآنيّة العربيّة الّتى نزل القرآن بها؛ لأنّ القرآن قد وصف فيه بأنّه قرآن عربىّ و لا يمكن أن يعتبر قرآنا تصحّ به صلاة إلّا بهذا الوصف. (ص: ۲۸۱- ۲۹۴)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۷۳

الفصل الخمسون نصّ الشّعرانىّ (م: ۱۳۹۳) فى «نثر طوبى»

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۶۲

هـذا اعتراض من الكفّار على النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلم، فردّه اللّه بقوله: كَـذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ. هو إشارة إلى نهج التّعليم، فكما هو معروف أنّ من أراد أن يتعلّم علما يأخذه تدريجا؛ لكى يبقى فى ذاكرته، و لكن إذا أخذه دفعة واحدة، و فى مدّة قصيرة، فلا يسبر غوره، و لا يـدرك سرّه، و لا يثبت فى فكره. و كان طالب العلم قـديما يكرّر ما تعلّمه عـدّة مرّات و يتأنّى فيه، ليحيط به تماما. فالعلم الّذى يتطلّب تحصيله عشر سنوات بدقّة و إحاطة لا يمكن لمن يطلبه أن يكون مدركا له و مجتهدا فيه.

و أراد اللّه من النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله أن يعلّم النّاس القرآن تدريجا، و أن يكرّر ما يلقى إليهم عدّة مرّات حتّى يرسخ فى أذهانهم، فهو تعليم و تمرين، و كان الخطاب للنّبىّ، و النّاس هم المعنون به، و اللّه العالم. (۱: ۱۳۶)

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القيامة/ ۱۶

. كان النّبىّ حينما ينزل عليه الوحى يردّد ما يوحى إليه بلسانه؛ لحرصه على حفظ ما سـمعه من كلمات، فوعـده اللّه بتحفيظه القرآن، و عدم نسيانه لشىء منه، و هذه معجزة من

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۷۴

معـاجز القرآن؛ لأنّ النّبىّ مـا كـان يعـدّ القرآن فى خلوته و فراغه، و لم يحضـره، و مـا كان تنزّل السّور و الآيات تناسبا مع الأوقات و الأحوال كغزوة بـدر أو أحـد أو غيرهمـا من الأمور الّتى تحـدث، إذ كـانت الآيات توحى إليه طبق تلك الأوقات، و إنّ كلّ كاتب و مؤلّف و شـاعر لا يمكنه حفظ ما كتبه من الكلام إلّا بكتابته و تكراره. فكان النّبىّ لم يكتب و لم ينقل أحـد من الصّحابة أو ممّن رآه بأنّه كان يحفظ القرآن طبق ما كتبه الآخرون، بل كان يقرأ السّور الطّوال بعـد نزولها كسورة الأنعام و المائـدة، و كان الكتبة يكتبونها، ثمّ يقرأ مرّة أخرى فى الصّلاة كما قرأها أوّل مرّة.

أجل إنّ حال النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و القرآن و حفظه تعدّ من أغرب المعجزات، كما قال اللّه تعالى:

سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى «۱» (۱: ۱۶۷)

و نصّه أيضا فى «هامش تفسير أبى الفتوح الرّازىّ»

الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵.

أنّ القرآن كلام اللّه، و هو يـدلّ على معان خاصـة، و أنّ من نزل عليه القرآن من بيت العزّة إلى سـماء الـدّنيا هو مخلوق عاقل يـدرك ألفاظه و معانيه، و إنّه لملك فى سـماء الدّنيا، و هذه السّـماء قريبة من العالم المادىّ المحسوس؛ لأنّ السّماوات كثيرة، و أنّ أقربها إلى عالمنا هذا هى سـماء الدّنيا، و فيها ألقى القرآن إلى ذلك الملك دفعة واحدة، و منها أخذ يتنزّل على النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله نجما نجما، أى بصورة تدريجيّة حسب الحاجة.

و لكن ما هو السّـرّ فى نزوله أوّل الأمر فى سـماء الدّنيا؟ و لم لم ينزل من اللّوح المحفوظ على النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله مباشرة؟ هذا مـا لا نسـتطيع الخوض فيه، سوى الاحتمـال أنّ قطع العـالم الكـائن بين العالم المادّىّ و عالم الملأ الأعلى لا يتأتّى إلّا لكلّ مخلوق من سكّان ذلك العالم. و هذا لا يعنى بالضّرورة أن يكون ملك سماء الدّنيا أفضل من خاتم

---

(۱)- الأعلى/ ۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۷۵

الأنبیاء صلّی اللّه علیه و آله؛ لأنّ الإنسان الکامل هو خلیفة اللّه، و هو أفضل المخلوقات قاطبة، و ما الملائکة إلّا أیادیه فی الملکوت. (۲: ۶۳)

سورة البراءة

[قال مشیرا إلی قول المبرّد نقلا عن سفیان بن عیینة حول سبب عدم کتابة البسملة فی أوّل سورة البراءة کما نقله أبو الفتوح:] و هذه نکتة لطیفة، لو لا أنّ کثیرا من السّور الأخری تفتتح بالتّهدید و الوعید و لکنّها تزدان بالبسملة، کسورة القارعة و الحاقّة و سأل سائل.

و نری أنّ عدم ذکر البسملة فی هذه السّورة هو تعبّد، و دلیل علی أنّ القرآن لم تمسّه ید التّحریف، و أنّ الکتّاب کانوا یمتثلون لأوامر الرّسول، و لم ینزعوا إلی القیاس و الاجتهاد، فلم تلحق البسملة بهذه السّورة بالرّغم من کونها مستقلّة عن سورة الأنفال.

و ما یزعمه بعض بقوله: أنّ ترتیب سور القرآن و آیاته المتفرّقة و تسمیة سوره کان من فعل الصّحابة، لهو قول مجانب للصّواب؛ إذ أنّ النّبیّ هو الّذی رتّب السّور و وضع فی أوائلها البسملة عدا هذه السّورة، کما وضع الحروف المقطّعة فی أوائل بعض السّور و لم یضعها فی بعض، و وضع أسماء لکلّ منها، کما قال اللّه تعالی: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ «۱» و فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَیاتٍ «۲»، و کقوله صلّی اللّه علیه و آله: من قرأ سورة کذا، فله من الأجر کذا و کذا، و مثل ذلک کثیر، ممّا یدلّ علی أنّ السّور قد رتّبت و وضع لها أسماء فی زمان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله. (۵: ۴۴۷)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هٰذا إِلَّا إِفْکٌ افْتَراهُ ... الفرقان/ ۴.

إنّ هذا القول طبقا لقرائن تدلّ علی ذلک تعسّف فی الحقّ و لا طائل تحته. فمن المحال مثلا أن یطلب کاتب من خطیب أو شاعر أن یعیدا ما تفوّها به من نثر أو شعر دون

---

(۱)- البقرة/ ۲۳.

(۲)- هود/ ۱۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۷۶

زیادة أو نقصان طبق ما دوّنه عنهما؛ لأنّهما لا یستطیعان تکرار ما قالاه فی المرّة الأولی.

و قد قرأ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله آیات کثیرة و متّسقة بحسب ما یقتضیه المقام، کما فی واقعتی بدر و أحد، فدوّن کتّاب الوحی ما تلاه. و کان یتلو علیهم أحیانا سورا طوالا کسورتی الأنعام و المائدة، فیدوّنها الکتّاب، ثمّ یقرأها مرّة أخری علی ظهر قلب، کما کان یقرأ السّور الطّوال کالبقرة و الأنعام فی صلاة الآیات.

و لا یمکن القول أبدا بأنّ هذه السّورة قد أعدّت و حرّرت و حفظت قبل قراءتها بمدّة؛ لأنّها تناسب المقام غالبا، و تطابق شأن نزولها. و لم یؤثر عن أحد الصّحابة أو عن کافر أو منافق أنّ النّبیّ عیّن وقتا لحفظ القرآن و اختلاقه، أو کان یستعین بالکتبة لحفظه. بل کان جبریل ینزّل علیه سورة کالأنعام، فتثبت فی فؤاده کما یثبت النّقش علی الحجر، علاوة علی سماع جمیع ألفاظها. و حینما یرید تلاوتها یستذکرها من فؤاده کما لو کانت مرتسمة أمامه. و هذا الأمر لا یتأتّی لغیره، فکان صلّی اللّه علیه و آله یحفظ جمیع القرآن دون أن یرجع إلی نصّ مکتوب. (۸: ۲۵۲)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲.

عند ما کانت الآیات تنزّل علی الرّسول الأکرم فإنّها تبقی راسخة فی خاطره، ثمّ یتلوها بعد الوحی علی أصحابه لفظا بلفظ، و تعدّ هذه معجزة من معاجزه صلّی اللّه علیه و آله، علاوة علی معجزة ثبوتها فی ذهنه دائما حتّی آخر عمره، و کان مؤیّد بالوحی طیلة نزوله علیه؛ لربط روحه بعالم الغیب.

و کان الکفّار یقولون تارة: لم لم ینزل علیه القرآن دفعة واحدة؟ و قالوا تارة أخری حینما تأخّر عنه الوحی: لقد ترکه ربّه و قلاه، لقد انقطع عنه الوحی. فنزل علیه الوحی بقوله تعالی: ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ ما قَلی «۱». و لو أنزل علیه القرآن دفعة واحدة لقالوا: لم لم ینزل علیه القرآن نجوما؟ و ما دام نزول الوحی مستمرّا، و ما دام القرآن کتاب اللّه فلا شکّ أنّهم یعترضون علیه أیضا. (۸: ۲۷۰)

---

(۱)- الضّحی/ ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۷۷

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ ... القیامة/ ۱۶.

کان النّبیّ یسمع القرآن بلفظه حینما کان ینزل علیه الوحی، و کان یتلو ما یسمعه، و هذا دلیل علی أنّ القرآن نزل بلفظه و معناه معا. و یعتبر حفظه للآیات و السّور الطّوال معجزة عظیمة، کما أشرنا إلی ذلک آنفا. (۱۱: ۳۲۹)

و نصّه أیضا فی «هامش شرح جامع الکافی الأصول و الرّوضة»

قوله صلّی اللّه علیه و آله: (کنت نبیّا و آدم بین الماء و الطّین)

کونه نبیّا فی تلک الحالة بل و قبل ذلک لا ینافی نزول جبریل و الوحی إلیه تدریجا و إظهاره صلّی اللّه علیه و آله عدم العلم بأمور قبل نزول الوحی علیه، فإنّ العلم البسیط الإجمالیّ الثّابت للإنسان کالملکة مبدأ للعلوم التّفصیلیّة، و لا ینافی تقدّم الأوّل حدوث الثّانی. و یعلم العارف البصیر أنّه لو لا العلم البسیط الإجمالیّ لم ینفع تلقین العلوم التّفصیلیّة واحدا واحدا، فلو نزل جبریل بالوحی علی بعض الأعراب البدویّ و قرأ علیه آیات القرآن لم یکن فی استعداد هذا البدویّ أن یتلقّی إلّا ألفاظا لا یعرف حقائقها و لا یقدر علی شرحها و تفصیلها و بیانها للنّاس، و الدّفاع عنها و ترویجها بین الأنام و لم یکن قرّاء القرآن فی عصره صلّی اللّه علیه و آله مع حفظهم جمیع القرآن مساوین له، و لو لم یکن للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله غیر ما یتلقّی من ألفاظ الوحی کما توهّمه القاصرون لم یکن فرق بینه و بین أبیّ بن کعب و عبد اللّه بن مسعود. لأنّ الواسطة الواحدة لا یؤثّر فی العلم شیئا.

و بالجملة، العلم الأوّل البسیط الکائن معه منذ أنّ خلقه اللّه شیء و العلم التّفصیلیّ الثّانی النّازل علیه تدریجا شیء آخر، و لا ینافی ذلک أیضا کونه نبیّا فی عالم الأرواح قبل خلقه الجسمانیّ و استفادة أرواح الأنبیاء من روحه، و نعم ما قال البوصیریّ:

و کلّ آی أتی الرّسل الکرام بهافإنّها اتّصلت من نوره بهم

فإنّه شمس فضل هم کواکبهایظهرن أنوارها للنّاس فی الظّلم (۷: ۱۵۸)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۷۸

الفصل الحادی و الخمسون نصّ مالک بن نبیّ (۱۳۲۳- ۱۳۹۳) فی کتابه: «الظّاهرة القرآنیّة»

الخصائص الظّاهریّة للوحی

الوحى من حيث كونه ظاهرة تمتدّ فى حدود الزّمن يتميّز بخاصّتين ظاهريّتين هامّتين، و ذلك بصرف النّظر عن طبيعته فى ذاته، و عن حامله النّفسىّ خلال الذّات المحمّديّة، هاتان الخاصّتان هما:

أ- تنجيم الوحى.

ب- وحدته الكميّة.

التّنجيم

يضمّ الوحى فى مجموعه ثلاثة و عشرين عاما، فهو لا يكون ظاهرة مؤقّتة أو خاطفة.

و لقد نزلت الآيات منجّمة بين كلّ وحى و ما يليه مدّة انقطاع تتفاوت طولا و قصرا.

و لقد ينقطع الوحى مدّة أطول ممّا ينتظره النّبىّ، و بخاصّة عند ما يلزمه أن يتّخذ قرارا يعتقد أنّ من الواجب ألّا يصدره قبل تصديق السّماء عليه. و أوضح مثال على ذلك موقفه إزاء قرار الهجرة، فلقد غادر أصحابه مكّة فارّين بدينهم، بينما كان يعتقد أنّه لا بدّ- فيما

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۷۹

يتعلّق بشخصه- أن ينتظر أمرا صريحا من الوحى.

و مثال آخر عند ما كان الأمر بالنّسبة له يحتّم اتّخاذ قرار فى موقف محيّر مريب، بينما ينتظر- على أحرّ من الجمّر- وحى اللّه الحاسم.

و لقد تعرّض النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم لمثل هذه الحيرة فى حادثة الإفك، الّتى لم يفصل فيها الوحى إلّا بعد شهر من الانتظار على مضض. كان هذا يبدو- فى الظّاهر- تورّطا و حرجا لم يلبث المستهزءون أن وجّهوا من أجلهما نقدهم الجارح إلى النّبىّ، و كان هو يتألّم لذلك أحيانا.

و عليه فمهما كان الافتراض الّذى يوضع عن طبيعة القرآن، فإنّ هناك سؤالا كبيرا يتردّد حول هذا الموضوع، أ لم يكن من الممكن أن يتدفّق جملة واحدة من العبقريّة الإنسانيّة الّتى ربّما يكون قد صدر عنها؟

و لكنّا برجوعنا خلال الزّمن نستطيع أن نحكم بأهميّة هذا التّنجيم الفذّ للوحى، أهميّة قصوى لنجاح الدّعوة.

إذ بما ذا كنّا نفسّر من الوجهات التّاريخيّة و الاجتماعيّة و الأدبيّة قرآنا يهبط كأنّما هو برق خاطف فى ظلمات الجاهليّة؟

و ما ذا يعنى هذا بالنّسبة لتاريخ النّبىّ، لو أنّه كان قد تلقّى وحيا كلّيا فجائيّا، لو أنّه تلقّاه كوثيقة، أى نوعا من صحف التّفويض لدى بنى الإنسان؟

أى أمل كان يمكن أن يلتمسه عنده قبيل بدر مثلا، لو أنّه- بدلا من أن يتوقّع إمداد الملائكة- ظلّ يكرّر آية سبق أن حفظها عن ظهر قلب؟

إنّنا ببحثنا مسألة تجزئة الوحى فى ضوء هذه النّظرات نستطيع أن ندرك أوّلا قيمته التّربويّة.

فتلك فى الواقع هى الطّريقة التّربويّة الوحيدة الممكنة فى حقبة تتّسم بميلاد دين و بزوغ حضارة.

و سيهدى الوحى خلال ثلاثة و عشرين عاما سير النّبىّ و أصحابه خطوة خطوة نحو هذا الهدف البعيد، و هو يحوطهم فى كلّ لحظة بالعناية الإلهيّة المناسبة. فهو يعزّز جهودهم العظيمة، و يدفع أرواحهم و إرادتهم نحو هدف الملحمة الفريد فى التّاريخ، فيكرم بآية

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۰

صريحة قضاء شهيد أو استشهاد بطل.

كيف كان القرآن يؤدّى دوره حيال طبيعة الإنسان الّتى جاء يصوغها فى ذلك العصر، لو أنّه سبق بنزوله أحداث حنين و أحد؟ و ما ذا كان يكون، لو أنّه لم يأت لكلّ ألم بعزائه العاجل، و لو أنّه لم ينزل لكلّ تضحية جزاءها، و لكلّ هزيمة أملها و لكلّ نصر درسه فى الاحتشام، و لكلّ عقبة إشارة إلى ما تقتضيه من جهد، و لكلّ خطر أدبىّ أو مادّى روح التّشجيع اللّازم لمواجهته؟ و كلّما كان الإسلام

ينتشر فى ربى الحجاز و نجد، كان الوحى يتنزّل بالدّرس الضّرورىّ فى المثابرة و الصّبر، و الإقدام و الإخلاص، يلقّنه أولئك الأبطال الأسطوريّين، أبطال الملحمة الخارقة.

فهل كان لدرسه أن يجد طريقه إلى قلوبهم و ضمائرهم لو لم يكن نزوله تبعا لأمثلة الحياة نفسها، و الواقع المحيط بهم؟

و لو أنّ القرآن كان قد نزل جملة واحدة لتحوّل سريعا إلى كلمة مقدّسة خامدة، و إلى فكرة ميتة، و إلى مجرّد وثيقة دينيّة لا مصدرا يبعث الحياة فى حضارة وليدة.

فالحركة التّاريخيّة و الاجتماعيّة و الرّوحيّة الّتى نهض بأعبائها الإسلام لا سرّ لها إلّا فى هذا التّنجيم.

و القرآن يبرز هذه الخاصّية الخفيّة و هو يخاطب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بقوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۱».

فنزول القرآن على نجوم، و قد كان فى اعتبار الجاهليّين نقصا شاذّا، يتجلّى لنا بمراجعتنا الزّمن و الأحداث شرطا أساسيّا ضروريّا لانتصار الدّعوة المحمّديّة.

و لن يشقّ علينا أن نجد فى هذا النّهج التّربوىّ- الّذى أثار سخريّة القوم، و أزاغ النّقد السّطحىّ فى عصرنا عن الجادّة- طابع العلم العلوىّ الّذى أملى «كلمة اللّه» بطريقة التّنجيم.

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۱

الوحدة الكمّيّة

الوحى ظاهرة منجّمة، فهو فى أساسه متفاصل، شأن مجموعة عدديّة، أى أنّه متكوّن من وحدات متتالية هى الآيات، و هذه الخاصية توحى إلينا بفكرة الوحدة الكمّيّة، فكلّ وحى مستقلّ يضمّ وحدة جديدة إلى المجموعة القرآنيّة. بيد أنّ هذه الوحدة القرآنيّة ليست ثابتة، فهى لا- تماثل الوحدة الّتى تزيد فى مجموعة الأعداد حين يضاف واحد إلى ثلاثة أو أربعة أو خمسة؛ ليؤدّى إلى الوحدة العددية التّالية.

فإنّ للوحى مقياسا متغيّرا هو كمّيّته أو سعته، تلك السّعة الّتى تتراوح بين حدّ أدنى هو الآية، و حدّ أقصى هو السّورة.

و تأمّل هذه الوحدة يتيح لنا بعض الملاحظات المفيدة عن العلاقة بين الذّات المحمّديّة و الظّاهرة القرآنيّة؛ إذ هى تتناسب فى الزّمن مع الحالة الخاصّة الّتى سمّيناها «حالة التّلقّى» عند النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

و لقد رأينا- بصفة خاصّة- أنّ إرادته تنعدم مؤقّتا؛ إذ هو عاجز فى تلك اللّحظات عن أن يغطّى وجهه المحتقن، المتفصّد عرقا فعن هذه الذّات العاجزة فجأة- و للحظات- تصدر وحدة التّنزيل، و على هذه الذّات الخارقة فى حالة لا شعوريّة تقريبا يطبع الوحى فجأة فقراته الوجيزة.

تلك هى وحدة «الظّاهرة القرآنيّة» من ناحية الكم، و هى الّتى ندرسها بالنّسبة لهذه الذّات العاجزة مؤقّتا، و الّتى هى «حامل الوحى».

هذه الوحدة تؤدّى بالضّرورة فكرة واحدة، و أحيانا مجموعة من الفكر المنتظمة فى أسلوب منطقىّ يمكننا ملاحظته فى آيات القرآن، و دراسة هذه الفكر فى ذاتها، و فى علاقتها ببقيّة حلقات السّلسلة، تكشف عن قدرة خالقة و منظّمة، لا يمكن أن تنطوى عليها الذّات المحمّديّة فى تلك الظّروف النّفسيّة الخاصّة بحالة تلقّيها الوحى، بل حتّى فى ظروفها الطّبيعيّة، بشرط أن نقرّ نتائج المقياس الأوّل.

و حقيقة، ما ذا نقول فى فكرة لدى إنسان لم يفكّر فيها، و لا يمكنه أن يفكّر فيها فى الحالة الخاصّة الّتى يعانيها؟

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۲

و ما ذا نقول فى هذا النّسق المتّصل لتعاليم تؤدّيها هذه الفكرة، حين لا يتأسّس هذا النّسق على إرادة و تفكير منظّم؟

إنّ من الجلىّ أنّنا لا يمكن أن نتصوّر ذلك فى النّظرة الأولى، و فضلا عن ذلك، فلو افترضنا أنّ التّفكير يمكن أن يحدث لا شعوريّا و لا إراديّا لدى فرد ما، فإنّ النّبىّ رغم هذا لم يكن لديه الزّمن المادّىّ كيما يتصوّر و ينظّم تعاليمه فى البرهة الخاطفة للوحى.

و لسوف نرى أنّ هذه التّعاليم تعبّر أحيانا عن أفكار خارج حدود الفكر تماما فى العصر المحمّدىّ، بل لا يمكن أن تخطر فى فكر إنسانىّ، و سنورد نحن لذلك أمثلة فيما بعد فى فصل «موضوعات و مواقف قرآنيّة».

أمّا الآن، فنحن نكوّن مقياسا لنحكم على صلة وحدة الوحى بالذّات المحمّديّة.

و لسنا للأسف مطمئنّين إلى أنّ الأمثلة الّتى درسناها هنا تمثّل تماما هذه الوحدة أو شطرا منها.

و لكن من المستطاع أن نتخلّص من هذه الصّعوبة، حين نجعل وحدة التّنزيل مجموع الآيات المتتابعة الّتى تسهم فى اكتمال فكرة واحدة، و هذا العدد يمكن أن يهبط إلى الحدّ الأدنى فى آية واحدة، و يمكن أن يرتفع إلى الحدّ الأقصى فى سورة كاملة.

(ص: ۱۷۳– ۱۷۷)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۳

الفصل الثّانى و الخمسون نصّ الشّيخ أبى زهرة فى «المعجزة الكبرى»

نزول القرآن

أوّل آية نزلت كانت الخطاب من اللّه تعالى بالتّكليف الّذى كلّفه تعالى لنبيّه عليه الصّلاة و السّلام بحمل الرّسالة إلى خلقه. فقد نزلت أوّل آية، و هى اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۱».

فكان هذا إيذانا بأنّ دين العلم قد وجب تبليغه، و أنّ كتاب العلم قد ثبت تنزيله، و أنّ إعلاء شأن الفكر قد جاء به خاتم النّبيّين و سيّد المرسلين، و فيه إيماء إلى أنّ الإسلام و العلم يجتمعان، و لا يتناقضان أبدا.

توالى نزول القرآن منجّما فى مدّة الرّسالة المحمّديّة الّتى استمرّت ثلاثا و عشرين سنة، يدعو فيها بالحقّ و إلى صراط مستقيم، ينير السّبيل و يهدى للّتى هى أقوم.

فكانت الآيات القرآنيّة تنزل وقتا بعد آخر، و كان التّحدّى بما نزل، و إن لم يكن ما نزل كلّ القرآن، لأنّ كلّ جزء منه ينطبق عليه اسم الكتاب، بل القرآن، إذ أنّ التّحدّى يقع به، و المعجزة تتحقّق فيه، فقد تحدّى أهل مكّة أن يأتوا بمثله، و لم يكن قد نزل كلّه، فقد

---

(۱)- العلق/ ۱- ۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۴

قال تعالى فى سورة يونس: ۱۶ و ۱۷، و هى مكّية: قُلْ لَوْ شاءَ اللَّهُ ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أَدْراكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلا تَعْقِلُونَ* فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآياتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ.

و جاء التّحدّى فى هذه السّورة أيضا فقال تعالى: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ* وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ* أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ «۱». و جاء فى سورة هود: ۱۳، و هى مكّية: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَياتٍ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ.

و من هذا كلّه يتبيّن أنّ بعض القرآن قرآن يتحدّى فيه، فهو الكتاب الكامل فى كلّه، و الكامل فى جزئه، و هو معجز فى أجزائه، كما هو معجز فى ذاته، و إن شئت فقل: إنّه معجزات متضافرة، و إذا كان لموسى تسع آيات بيّنات فلمحمّد مئات من المعجزات البيّنات.

حكمة نزوله منجّما

و قد يسأل سائل: لما ذا نزل القرآن منجّما، و لم ينزل دفعة واحدة، كما نزلت الألواح العشر على موسى (عليه السّلام)، و كما نزل الزّبور على داود و إنّ مثل هذا السّؤال جاء على ألسنة المشركين معترضين، متّخذين منه سبيلا للجاجتهم، و قد نقل القرآن الكريم عنهم ذلك و ردّه، فقد قال تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۲».

و نرى أنّ النّص الكريم قد نقل اعتراض المشركين، و ردّه سبحانه تعالى عليهم، و قد تضمّن الرّدّ ثلاثة أمور تومئ إلى السّبب فى نزوله منجّما؛

أوّلها: تثبيت فؤاد الرّسول بموالاة الوحى بالقرآن، فإنّ موالاته فيها أنس للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم،

---

(۱)- يونس/ ۳۷ و ۳۸.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۵

و تثبيت لعزيمته، و تأييد مستمرّ له فيقوم بحقّ الدّعوة بالجهاد فى سبيلها، و إذا كان المرء يستأنس بوليّه إذا والى الاتّصال به فكيف لا يستأنس رسول اللّه تعالى بلقاء الرّوح الأمين الّذى يجيئه بكلام ربّ العالمين، فى موالاة مستمرّة.

ثانيها: أنّ تثبيت الفؤاد بنزول القرآن يكون بحفظ ما ينزل عليه جزءا جزءا، ذلك أنّ هذا القرآن نزل ليحفظ فى الأجيال كلّها جيلا بعد جيل، و ما يحفظ فى الصّدور لا يعتريه التّغيير و لا التّبديل، و ما يكتب فى السّطور قد يعتريه المحو و الإثبات و التّحريف و التّصحيف، و لأنّ اللّه تعالى كتب للقرآن أن يحفظ، كان يحفظ جزءا جزءا، و كان ينزل مجزّأ ليسهل ذلك الحفظ، و كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم حريصا على أن يحفظه عند نزوله، فكان يردّد ما يتلوه عليه جبريل و يتعجّل حفظه و قد قال اللّه سبحانه و تعالى لنبيّه فى ذلك: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ «۱». و ترى من هذا النّص حرص النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على أن يحفظ ما يوحى إليه، فيحرّك به لسانه، مستعجلا الحفظ فينبّهه اللّه تعالى إلى أنّه يتولّى جمعه و إقراءه له، و أنّه بيّنه و حافظه، كما قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۲».

الأمر الثّالث: هو ترتيل القرآن، بتعليم تلاوته، و إنّ هذا النّص يستفاد منه أنّ تلاوة القرآن و طريق ترتيله هى من تعليم اللّه تعالى، إذ أنّه سبحانه و تعالى ينسب التّرتيل إليه تعالت قدرته و كلماته، و عظم بيانه. فنحن بقراءتنا و ترتيلنا إن أحكمناه، إنّما نتّبع ما علّم اللّه تعالى نبيّه من ترتيل محكم، جاء به التّنزيل، و أمر به النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فى قوله تعالى: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا «۳»، و ما كان تعليم هذا التّرتيل المنزّل من عند اللّه تعالى ليتوافر إذا لم ينزل القرآن منجّما، فلو نزل جملة واحدة ما تمكّن النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم من تعلّم التّرتيل، و لو علّمه اللّه تعالى بغير تنجيمه ما كان فى الإمكان أن يعلّمه قومه، و هم حملته إلى الأجيال من بعده.

هذا ما يستفاد من النّص الكريم المتلوّ، و عبارته السّامية فيه واضحة بيّنة تشرق

---

(۱)- القيامة/ ۱۶- ۱۹.

(۲)- الحجر/ ۹.

(۳)- المزّمّل/ ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۸۶

بمعانيه العالية الهادية الموجّهة المرشدة. و هناك سبب آخر لنزول القرآن منجّما نلمسه من حال العرب و من شئونهم، ذلك أنّ

العرب کانوا أمّیة أمّیّة، و الکتابة فیهم لیست رائجة، بل یندر فیهم من یعرفها، و أندر منه من یتقنها، فما کان فی استطاعتهم أن یکتبوا القرآن کلّه إذا نزل جملة واحدة؛ إذ یکون بسورة و آیاته عسیرا علیهم أن یکتبوه، و إن کتبوه لا- یعدموا الخطأ و التّصحیف و التّحریف.

و لقد کان من فائدة إنزال القرآن منجّما أنّه کان ینزل لمناسبات و لأحداث، فیکون فی هذه الأحداث بعض البیان لأحکامه، و المبیّن الأوّل هو النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کما قال تعالی:

وَ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ الذِّکْرَ لِتُبَیِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَیْهِمْ «۱». (ص: ۲۱- ۲۴)

---

(۱)- النّحل/ ۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۸۷

الفصل الثّالث و الخمسون نصّ العلّامة الطّباطبائیّ (م: ۱۴۰۲) فی «تفسیر المیزان»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

و النّزول هو الورود علی المحلّ من العلوّ، و الفرق بین الإنزال و التّنزیل أنّ الإنزال دفعیّ و التّنزیل تدریجیّ. و القرآن: اسم للکتاب المنزّل علی نبیّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله باعتبار کونه مقروءا، کما قال تعالی: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ «۱»، و یطلق علی مجموع الکتاب و علی أبعاضه.

و الآیة تدلّ علی نزول القرآن فی شهر رمضان، و قد قال تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۲». و هو ظاهر فی نزوله تدریجا فی مجموع مدّة الدّعوة، و هی ثلاث و عشرون سنة تقریبا، و المتواتر من التّاریخ یدلّ علی ذلک، و لذلک ربّما استشکل علیه بالتّنافی بین الآیتین.

و ربّما أجیب عنه: بأنّه نزل دفعة علی سماء الدّنیا فی شهر رمضان، ثمّ نزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله نجوما، و علی مکث فی مدّة ثلاث و عشرین سنة- مجموع مدّة الدّعوة- و هذا جواب مأخوذ من الرّوایات الّتی سننقل بعضها فی البحث عن الرّوایات و قد أورد

---

(۱)- الزّخرف/ ۳.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۸۸

علیه بأنّ تعقیب قوله تعالی: أنزل فیه القرآن بقوله: هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ لا یساعد علی ذلک؛ إذ لا معنی لبقائه علی وصف الهدایة و الفرقان فی السّماء مدّة سنین.

و أجیب: بأنّ کونه هادیا من شأنه أن یهدی من یحتاج إلی هدایته من الضّلال، و فارقا إذا التبس حقّ بباطل لا ینافی بقائه مدّة علی حال الشّأنیة من غیر فعلیة التّأثیر حتّی یحلّ أجله و یحین حینه، و لهذا نظائر و أمثال فی القوانین المدنیّة المنتظمة الّتی کلّما حان حین مادّة من موادّها أجریت و أخرجت من القوّة إلی الفعل.

و الحقّ أنّ حکم القوانین و الدّساتیر غیر حکم الخطابات الّتی لا یستقیم أن تتقدّم علی مقام التّخاطب و لو زمانا یسیرا، و فی القرآن آیات کثیرة من هذا القبیل کقوله تعالی:

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما «١»، و قوله تعالى: وَ إِذا رَأَوْا تِجارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْها وَ تَرَكُوكَ قائِماً «٢»، و قوله تعالى: رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا «٣»، على أنّ القرآن ناسخا و منسوخا، و لا معنى لاجتماعهما فى زمان بحسب النّزول.

و ربّما أجيب عن الإشكال: أنّ المراد من نزول القرآن فى شهر رمضان أنّ أوّل ما نزل منه نزل فيه، و يرد عليه أنّ المشهور عندهم أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إنّما بعث بالقرآن، و قد بعث فى اليوم السّابع و العشرين من شهر رجب، و بينه و بين رمضان أكثر من ثلاثين يوما، و كيف يخلو البعثة فى هذه المدّة من نزول القرآن؟ على أنّ أوّل سورة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ يشهد على أنّها أوّل سورة نزلت، و أنّها نزلت بمصاحبة البعثة، و كذا سورة المدّثر تشهد أنّها نزلت فى أوّل الدّعوة، و كيف كان فمن المستبعد جدّا أن تكون أوّل آية نزلت فى شهر رمضان، على أنّ قوله تعالى: أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ غير صحيح الدّلالة على أنّ المراد بالقرآن أوّل نازل منه، و لا قرينة تدلّ عليه فى الكلام، فحمله عليه تفسير من غير دليل. و نظير هذه

---

(١)- المجادلة/ ١.

(٢)- الجمعة/ ١١.

(٣)- الأحزاب/ ٢٣.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ٣٨٩

الآية قوله تعالى: وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ «١» و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «٢». فإنّ ظاهر هذه الآيات لا يلائم كون المراد من إنزال القرآن أوّل إنزاله أو إنزال أوّل بعض من أبعاضه، و لا قرينة فى الكلام تدلّ على ذلك.

و الّذى يعطيه التّدبّر فى آيات الكتاب أمر آخر، فإنّ الآيات النّاطقة بنزول القرآن فى شهر رمضان أو فى ليلة منه إنّما عبّرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدّالّ على الدّفعة دون التّنزيل، كقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «٣»، و قوله تعالى: حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

و اعتبار الدّفعة إمّا بلحاظ اعتبار المجموع فى الكتاب أو البعض النّازل منه، كقوله تعالى:

كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ «۴»، فإنّ المطر إنّما ينزل تدريجا، لكنّ النّظر هاهنا معطوف إلى أخذه مجموعا واحدا، و لذلك عبّر عنه بالإنزال دون التّنزيل، و كقوله تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ «۵»، و إمّا لكون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادى الّذى يقضى فيه بالتّفرّق و التّفصيل و الانبساط و التّدريج هو المصحّح؛ لكونه واحدا غير تدريجىّ و نازلا بالإنزال دون التّنزيل. و هذا الاحتمال الثّانى هو اللائح من الآيات الكريمة، كقوله تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۶».

فإنّ هذا الإحكام مقابل التّفصيل، و التّفصيل هو جعله فصلا فصلا و قطعة قطعة، فالإحكام كونه بحيث لا يتفصّل فيه جزء من جزء و لا يتميّز بعض من بعض؛ لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء و لا فصول فيه، و الآية ناطقة بأنّ هذا التّفصيل المشاهد فى القرآن إنّما طرأ عليه بعد كونه محكما غير مفصّل.

و أوضح منه قوله تعالى: وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً

---

(١)- الدّخان/ ٢- ٣.

(٢)- القدر/ ١.

(٣)- البقرة/ ١٨٥.

(۴)- يونس/ ٢٣.

(۵)- ص/ ۲۹.

(۶)- هود/ ۱.

لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِ «۱»، و قوله تعالى: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ إلى أن قال:

بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ «۲».

فإنّ الآيات الشّريفة و خاصّة ما فى سورة يونس ظاهرة الدّلالة على أنّ التّفصيل أمر طارئ على الكتاب، فنفس الكتاب شىء و التّفصيل الّذى يعرضه شىء آخر، و إنّهم إنّما كذّبوا بالتّفصيل من الكتاب، لكونهم ناسين لشىء يؤول إليه هذا التّفصيل و غافلين عنه، و سيظهر لهم يوم القيامة و يضطرّون إلى علمه، فلا ينفعهم النّدم و لات حين مناص، و فيها إشعار بأنّ أصل الكتاب تأويل تفصيل الكتاب.

و أوضح منه قوله تعالى: حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ «۳». فإنّه ظاهر فى أنّ هناك كتابا مبينا عرض عليه جعله مقروء عربيّا، و إنّما ألبس لباس القراءة و العربيّة ليعقله النّاس، و إلّا فإنّه- و هو فى أمّ الكتاب- عند اللّه علىّ لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل و فصل.

و فى الآية تعريف للكتاب المبين، و أنّه أصل القرآن العربىّ المبين، و فى هذا المساق أيضا قوله تعالى: فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ «۴»، فإنّه ظاهر فى أنّ للقرآن موقعا هو فى الكتاب المكنون، لا يمسّه هناك أحد إلّا المطهّرون من عباد اللّه، و أنّ التّنزيل بعده، و أمّا قبل التّنزيل فله موقع فى كتاب مكنون عن الأغيار، و هو الّذى عبّر عنه فى آيات الزّخرف بأمّ الكتاب، و فى سورة البروج باللّوح المحفوظ؛ حيث قال تعالى:

بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۵»، و هذا اللّوح إنّما كان محفوظا؛ لحفظه من ورود

---

(۱)- الأعراف/ ۵۲- ۵۳.

(۲)- يونس/ ۳۷- ۳۹.

(۳)- الزّخرف/ ۱- ۴.

(۴)- الواقعة/ ۷۵- ۸۰.

(۵)- البروج/ ۲۲.

التّغيّر عليه، و من المعلوم أنّ القرآن المنزّل تدريجا لا يخلو عن ناسخ و منسوخ، و عن التّدريج الّذى هو نحو من التّبدّل، فالكتاب المبين الّذى هو أصل القرآن و حكمه الخالى عن التّفصيل أمر وراء هذا المنزّل، و إنّما هذا بمنزلة اللّباس لذاك.

ثمّ إنّ هذا المعنى، أعنى كون القرآن فى مرتبة التّنزيل بالنّسبة إلى الكتاب المبين- و نحن نسمّيه بحقيقة الكتاب- بمنزلة اللّباس من المتلبّس، و بمنزلة المثال من الحقيقة و بمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام هو المصحّح؛ لأن يطلق القرآن أحيانا على أصل الكتاب، كما فى قوله تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَحْفُوظٍ، إلى غير ذلك. و هذا الّذى ذكرنا هو الموجب لأن يحمل قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، و قوله:

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ على إنزال حقيقة الكتاب و الكتاب المبين إلى قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه

و آله دفعة، كما أنزل القرآن المفصّل على قلبه تدريجا فى مدّة الدّعوة النبويّة.

و هذا هو الّذى يلوح من نحو قوله تعالى: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «۱»، و قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ «۲».

فإنّ الآيات ظاهرة فى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان له علم بما سينزل عليه، فنهى عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحى.

و بالجملة فإنّ المتدبّر فى الآيات القرآنيّة لا يجد مناصا عن الاعتراف بدلالتها على كون هذا القرآن المنزّل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله تدريجا متّكئا على حقيقة متعالية عن أن تدركها أبصار العقول العامّة، أو يتناولها أيدى الأفكار المتلوّثة بألواث الهوسات و قذارات المادّة، و أنّ تلك الحقيقة أنزلت على النّبىّ إنزالا، فعلّمه اللّه بذلك حقيقة ما عناه بكتابه.

فهذا ما يهدى إليه التدبّر و يدلّ عليه الآيات، نعم، أرباب الحديث- و الغالب من المتكلّمين و الحسّيون من باحثى هذا العصر- لمّا أنكروا إصالة ما وراء المادّة المحسوسة

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

(۲)- القيامة/ ۱۶- ۱۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۹۲

اضطروا إلى حمل هذه الآيات و نظائرها كالدّالّة على كون القرآن هدى و رحمة و نورا و روحا و مواقع النّجوم و كتابا مبينا، و فى لوح محفوظ، و نازلا من عند اللّه، و فى صحف مطهّرة، إلى غير ذلك من الحقائق على أقسام الاستعارة و المجاز، فعاد بذلك القرآن شعرا منثورا.

و لبعض الباحثين كلام فى معنى نزول القرآن فى شهر رمضان؛ قال ما محصّله: إنّه لا ريب أنّ بعثة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان مقارنا لنزول أوّل ما نزل من القرآن و أمره صلّى اللّه عليه و آله بالتّبليغ و الإنذار، و لا ريب أنّ هذه الواقعة إنّما وقعت باللّيل؛ لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ «۱»، و لا ريب أنّ اللّيلة كانت من ليالى شهر رمضان؛ لقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲».

و جملة القرآن و إن لم تنزّل فى تلك اللّيلة لكن لمّا نزلت سورة الحمد فيها- و هى تشتمل على جلّ معارف القرآن- فكان كأنّ القرآن نزل فيها جميعا، فيصحّ أن يقال:

أنزلناه فى ليلة، على أنّ القرآن يطلق على البعض كما يطلق على الكلّ، بل يطلق القرآن على سائر الكتب السّماويّة أيضا، كالتّوراة و الإنجيل و الزّبور باصطلاح القرآن.

قال: و ذلك أنّ أوّل ما نزل من القرآن قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الخ، نزل ليلة الخامس و العشرين من شهر رمضان نزل، و النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قاصد دار خديجة فى وسط الوادىّ يشاهد جبريل، فأوحى إليه قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الخ. و لمّا تلقّى الوحى خطر بباله أن يسأله: كيف يذكر اسم ربّه، فتراءى له و علّمه بقوله: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ إلى آخر سورة الحمد، ثمّ علّمه كيفيّة الصّلاة، ثمّ غاب عن نظره، فصحا النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و لم يجد ممّا كان يشاهده أثرا، إلّا ما كان عليه من التّعب الّذى عرضه من ضغطة جبريل حين الوحى، فأخذ فى طريقه و هو لا يعلم أنّه رسول من اللّه إلى النّاس، مأمور بهدايتهم، ثمّ لمّا دخل البيت نام ليلته من شدّة التّعب، فعاد

---

(۱)- الدّخان/ ۳.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۹۳

إليه ملك الوحى صبيحة تلك اللّيلة، و أوحى إليه قوله تعالى: يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ «۱» الآيات.

قال: فهذا هو معنى نزول القرآن فى شهر رمضان و مصادفة بعثته لليلة القدر، و أمّا ما يوجد فى بعض كتب الشّيعة من أنّ البعثة كانت يوم السّابع و العشرين من شهر رجب، فهذه الأخبار على كونها لا توجد إلّا فى بعض كتب الشّيعة الّتى لا يسبق تاريخ تأليفها أوائل القرن الرّابع من الهجرة، مخالفة للكتاب كما عرفت.

قال: و هناك روايات أخرى فى تأييد هذه الأخبار، تدلّ على أنّ معنى نزول القرآن فى شهر رمضان، أنّه نزل فيه قبل بعثة النّبىّ من اللّوح المحفوظ إلى البيت المعمور، و أملاه جبريل هناك على الملائكة حتّى ينزل بعد البعثة على رسول اللّه، و هذه أوهام خرافيّة دسّت فى الأخبار، مردودة أوّلا: بمخالفة الكتاب. و ثانيا: أنّ مراد القرآن باللّوح المحفوظ هو عالم الطّبيعة، و بالبيت المعمور هو كرة الأرض؛ لعمرانه بسكون الإنسان فيه، انتهى ملخّصا.

و لست أدرى أىّ جملة من جمل كلامه- على فساده بتمام أجزائه- تقبل الإصلاح حتّى تنطبق على الحقّ و الحقّيّة بوجه؟ فقد اتّسع الخرق على الرّاتق ففيه:

أوّلا: أنّ هذا التّقوّل العجيب الّذى تقوّله فى البعثة و نزول القرآن أوّل ما نزل، و أنّه صلّى اللّه عليه و آله نزل عليه اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و هو فى الطّريق، ثمّ نزلت عليه سورة الحمد، ثمّ علّم الصّلاة، ثمّ دخل البيت و نام تعبانا، ثمّ نزلت عليه سورة المدّثّر صبيحة اللّيلة فأمر بالتّبليغ، كلّ ذلك تقوّل لا دليل عليه لا آية محكمة و لا سنّة قائمة، و إنّما هى قصّة تخيّليّة لا توافق الكتاب و لا النّقل.

و ثانيا: أنّه ذكر أنّ من المسلّم أنّ البعثة و نزول القرآن و الأمر بالتّبليغ مقارنة زمانا، ثمّ فسّر ذلك بأنّ النّبوّة ابتدأت بنزول القرآن، و كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله نبيّا غير رسول ليلة واحدة فقط، ثمّ فى صبيحة اللّيلة أعطى الرّسالة بنزول سورة المدّثّر، و لا يسعه أن يستند فى ذلك إلى كتاب و لا سنّة، و ليس من المسلّم ذلك. أمّا السّنّة فلأنّ لازم ما طعن به فى جوامع

---

(۱)- المدّثر/ ۱- ۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۹۴

الشّيعة بتأخّر تأليفها عن وقوع الواقعة عدم الاعتماد على شىء من جوامع الحديث مطلقا؛ إذ لا شىء من كتب الحديث ممّا ألّفته العامّة أو الخاصّة إلّا و تأليفه متأخّر عن عصر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قرنين فصاعدا، فهذا فى السّنّة، و التّاريخ- على خلوّه من هذه التّفاصيل- حاله أسوأ و الدّس الّذى رمى به الحديث متطرّق إليه أيضا.

و أمّا الكتاب فقصور دلالته على ما ذكره أوضح و أجلى، بل دلالته على خلاف ما ذكره و تكذيب ما تقوّله ظاهرة، فإنّ سورة اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ- و هى أوّل سورة نزلت على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله على ما ذكره أهل النّقل، و يشهد به الآيات الخمس الّتى فى صدرها، و لم يذكر أحد أنّها نزلت قطعات، و لا أقلّ من احتمال نزولها دفعة- مشتملة على أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يصلّى بمرأى من القوم، و أنّه كان منهم من ينهاه عن الصّلاة، و يذكر أمره فى نادى القوم و لا ندرى كيف كانت هذه الصّلاة الّتى كان صلّى اللّه عليه و آله يتقرّب بها إلى ربّه فى بادئ أمره، إلّا ما تشتمل عليه هذه السّورة من أمر السّجدة؛ قال تعالى فيها: أَ رَأَيْتَ الَّذِى يَنْهى عَبْداً إِذا صَلَّى* أَ رَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى* أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى* أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلَّى* أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرى* كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ* ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ* فَلْيَدْعُ نادِيَهُ* سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ «۱».

فالآيات كما ترى ظاهرة فى أنّه كان هناك من ينهى مصلّيا عن الصّلاة، و يذكر أمره فى النّادى، و لا ينتهى عن فعاله، و قد كان هذا المصلّى هو النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، بدليل قوله تعالى بعد ذلك: كَلَّا لا تُطِعْهُ.

فقد دلّت السّورة على أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يصلّى قبل نزول أوّل سورة من القرآن، و قد كان على الهدى، و ربّما أمر

بالتّقوی، و هـذا هو النّبوّة، و لم یسمّ أمره ذلک إنذارا، فکان صلّی اللّه علیه و آله نبیّا، و کان یصلّی و لمّا ینزل علیه قرآن، و لا نزلت بعد علیه سورة الحمد، و لمّا یؤمر بالتّبلیغ.

و أمّا سورة الحمد فإنّها نزلت بعد ذلک بزمان، و لو کان نزولها عقیب نزول سورة العلق بلا فصل عن خطور فی قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، کما ذکره هذا الباحث لکان حقّ الکلام أن

---

(۱)- العلق/ ۹- ۱۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۹۵

یقال: (قل بسم اللّه الرّحمن الرّحیم. الحمد للّه ربّ العالمین، إلخ، أو یقال: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم. قل: الحمد للّه ربّ العالمین، إلخ) و لکـان من الواجب أن یختم الکلام فی قوله تعالی: مالِکِ یَوْمِ الـدِّینِ؛ لخروج بقیّـة الآیات عن الغرض، کما هو الألیق ببلاغـة القرآن الشّریف.

نعم، وقع فی سورة الحجر- و هی من السّور المکّیة کما تدلّ علیه مضامین آیاتها، و سیجیء بیانه- قوله تعالی: وَ لَقَدْ آتَیْناکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِی وَ الْقُرْآنَ الْعَظِیمَ «۱» و المراد بالسّبع المثانی سورة الحمـد، و قـد قوبل بها القرآن العظیم، و فیه تمام التّجلیل لشأنها و التّعظیم لخطرها، لکنّها لم تعدّ قرآنا بل سبعا من آیات القرآن و جزأ منه، بدلیل قوله تعالی: کِتاباً مُتَشابِهاً مَثانِیَ «۲».

و مع ذلک فاشتمال السّورة علی ذکر سورة الحمـد یدلّ علی سبق نزولها نزول سورة الحجر، و السّورة مشتملة أیضا علی قوله تعالی: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ* إِنَّا کَفَیْناکَ الْمُسْتَهْزِئِینَ «۳» الآیات. و یـدلّ ذلک علی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان قد کفّ عن الإنذار مدّة، ثمّ أمر به ثانیا بقوله تعالی: فَاصْدَعْ.

و أمّا سورة المـدّثّر و ما تشتمل علیه من قوله: قُمْ فَأَنْـذِرْ، فإن کانت السّورة نازلـة بتمامها دفعة، کان حال هذه الآیة قُمْ فَأَنْذِرْ حال قوله تعالی: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ الآیة، لاشتمال هذه السّورة أیضا علی قوله تعالی: ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً إلی آخر الآیات «۴»، و هی قریبة المضمون من قوله فی سورة الحجر: وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ إلخ، و إن کانت السّورة نازلة نجوما فظاهر السّیاق أنّ صدرها قد نزل فی بدء الرّسالة.

و ثالثا: أنّ قوله: إنّ الرّوایات الدّالّـة علی نزول القرآن فی لیلة القدر من اللّوح المحفوظ إلی البیت المعمور جملة واحدة قبل البعثة، ثمّ نزول الآیات نجوما علی

---

(۱)- الحجر/ ۸۷.

(۲)- الزّمر/ ۲۳.

(۳)- الحجر/ ۹۴- ۹۵.

(۴)- المدّثّر/ ۱۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۹۶

رسول اللّه أخبار مجعولـة خرافیّـة؛ لمخالفتها الکتاب و عدم اسـتقامة مضـمونها، و أنّ المراد باللّوح المحفوظ هو عالم الطّبیعة، و البیت المعمور کرة الأرض، خطأ و فریة.

أمّا أوّلا: فلأنّه لا شیء من ظاهر الکتاب یخالف هذه الأخبار علی ما عرفت.

و أمّا ثانیا: فلأنّ الأخبار خالیة عن کون النّزول الجملیّ قبل البعثة، بل الکلمة ممّا أضافها هو إلی مضمونها من غیر تثبّت.

و أمّا ثالثا: فلأنّ قوله: إنّ اللّوح المحفوظ هو عالم الطّبیعـة، تفسـیر شـنیع، و إنّه أضـحوکة، و لیت شـعری ما هو الوجه المصـحّح- علی

قوله- لتسمية عالم الطّبيعة فى كلامه تعالى لوحا محفوظا؟ أ ذلك لكون هذا العالم محفوظا عن التّغيّر و التّحوّل؟ فهو عالم الحركات، سيّال الذّات، متغيّر الصّفات! أو لكونه محفوظا عن الفساد تكوينا أو تشريعا؟

فالواقع خلافه! أو لكونه محفوظا عن اطّلاع غير أهله عليه؟ كما يدلّ عليه قوله تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «۱»، فإدراك المدركين فيه على السّواء!

و بعد اللّتيا و الّتى، لم يأت هذا الباحث فى توجيه نزول القرآن فى شهر رمضان بوجه محصّل يقبله لفظ الآية، فإنّ حاصل توجيهه أنّ معنى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲» كأنّما أنزل فيه القرآن، و معنى إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۳» كأنّا أنزلناه فى ليلة القدر، و هذا شىء لا يحتمله اللّغة و العرف لهذا السّياق! و لو جاز لقائل أن يقول: نزل القرآن ليلة القدر على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؛ لنزول سورة الفاتحة المشتملة على جمل معارف القرآن، جاز أن يقال: إنّ معنى نزول القرآن نزوله جملة واحدة، أى نزول إجمال معارفه على قلب رسول اللّه من غير مانع يمنع، كما مرّ بيانه سابقا. و فى كلامه جهات أخرى من الفساد تركنا البحث عنها؛ لخروجه عن غرضنا فى المقام. (۲: ۱۵- ۳۲)

---

(۱)- الواقعة/ ۷۷- ۷۹.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۳۹۷

الر كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ هود/ ۱.

المقابلة بين الإحكام و التّفصيل الّذى هو إيجاد الفصل بين أجزاء الشّىء المتّصل بعضها ببعض، و التّفرقة بين الأمور المندمجة كلّ منها فى آخر تدلّ على أنّ المراد بالإحكام ربط بعض الشّىء ببعضه الآخر، و إرجاع طرف منه إلى طرف آخر؛ بحيث يعود الجميع شيئا واحدا بسيطا غير ذى أجزاء و أبعاض.

و من المعلوم أنّ الكتاب إذا اتّصف بالإحكام و التّفصيل بهذا المعنى الّذى مرّ فإنّما يتّصف بهما من جهة ما يشتمل عليه من المعنى و المضمون، لا من جهة ألفاظه أو غير ذلك، و أنّ حال المعانى فى الإحكام و التّفصيل و الاتّحاد و الاختلاف غير حال الأعيان، فالمعانى المتكثّرة إذا رجعت إلى معنى واحد كان هذا الواحد هو الأصل المحفوظ فى الجميع، و هو بعينه على إجماله هذه التّفاصيل، و هى بعينها على تفاصيلها ذاك الإجمال، و هذا كلّه ظاهر لا ريب فيه.

و على هذا فكون آيات الكتاب محكمة أوّلا ثمّ مفصّلة ثانيا، معناه أنّ الآيات الكريمة القرآنيّة على اختلاف مضامينها و تشتّت مقاصدها و أغراضها ترجع إلى معنى واحد بسيط، و غرض فارد أصلىّ لا تكثّر فيه و لا تشتّت، بحيث لا تروم آية من الآيات الكريمة مقصدا من المقاصد، و لا ترمى إلى هدف إلّا و الغرض الأصلىّ هو الرّوح السّارى فى جثمانه و الحقيقة المطلوبة منه.

فلا غرض لهذا الكتاب الكريم على تشتّت آياته و تفرّق أبعاضه إلّا غرض واحد متوحّد، إذا فصّل كان فى مورد أصلا دينيّا، و فى آخر أمرا خلقيّا، و فى ثالث حكما شرعيّا، و هكذا كلّما تنزّل من الأصول إلى فروعها، و من الفروع إلى فروع الفروع لم يخرج من معناه الواحد المحفوظ، و لا يخطئ غرضه، فهذا الأصل الواحد بتركّبه يصير كلّ واحد واحد من أجزاء تفاصيل العقائد و الأخلاق و الأعمال، و هى بتحليلها و إرجاعها إلى الرّوح السّارى فيها الحاكم على أجسادها تعود إلى ذاك الأصل الواحد.

فتوحيده تعالى بما يليق بساحة عزّه و كبريائه مثلا فى مقام الاعتقاد هو إثبات أسمائه الحسنى و صفاته العليا، و فى مقام الأخلاق هو التّخلّق بالأخلاق الكريمة من

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۹۸

الرّضا و التّسليم و الشّجاعة و العفّة و السّخاء، و نحو ذلک، و الاجتناب عن الصّفات الرّذيلة، و فی مقام الأعمال و الأفعال الإتيان بالأعمال الصّالحة و الورع عن محارم اللّه.

و إن شئت فقل: إنّ التّوحيد الخالص يوجب فی كلّ من مراتب العقائد و الأخلاق و الأعمال ما يبيّنه الكتاب الإلهیّ من ذلک، كما أنّ كلّا من هذه المراتب و كذلک أجزاؤها لا تتمّ من دون توحيد خالص.

فقد تبيّن أنّ الآية فی مقام بيان رجوع تفاصيل المعارف و الشّرائع القرآنيّة إلی أصل واحد، هو بحيث إذا ركّب فی كلّ مورد من موارد العقائد و الأوصاف و الأعمال مع خصوصيّة ذلک المورد أنتج حكما يخصّه من الأحكام القرآنيّة، و بذلک يظهر.

أوّلا: أنّ قوله: كِتابٌ خبر لمبتدإ محذوف، و التّقدير هذا كتاب، و المراد بالكتاب هو ما بأيدينا من القرآن المقسّم إلی السّور و الآيات. و لا ينافی ذلک ما ربّما يذكر أنّ المراد بالكتاب اللّوح المحفوظ، أو القرآن بما هو فی اللّوح، فإنّ هذا الكتاب المقروء متّحد مع ما فی اللّوح اتّحاد التّنزيل مع التّأويل.

و ثانيا: أنّ لفظة (ثمّ) فی قوله ثُمَّ فُصِّلَتْ إلخ، لإفادة التّراخیّ بحسب ترتيب الكلام دون التّراخیّ الزّمانیّ؛ إذ لا معنی للتّقدّم و التّأخّر الزّمانیّ بين المعانی المختلفة بحسب الأصليّة و الفرعيّة، أو بالإجمال و التّفصيل.

و يظهر أيضا ما فی بعض ما ذكره أرباب التّفاسير فی معنی الآية، كقول بعضهم: إنّ معناها أُحْكِمَتْ آياتُهُ، فلم تنسخ منها كما نسخت الكتب و الشّرائع، ثمّ فصّلت ببيان الحلال و الحرام و سائر الأحكام.

و فيه: أنّ الواجب علی هذا المعنی أن يقيّد عدم النّسخ بعدم النّسخ بكتاب غير القرآن، ينسخ القرآن بعده كما نسخ القرآن غيره، فإنّ وجود النّسخ بين الآيات القرآنيّة نفسها ممّا لا ينبغی الارتياب فيه. و التّقييد المذكور لا دلالة عليه من جهة لفظ الآية.

و كقول بعضهم: إنّ المراد أُحْكِمَتْ آياتُهُ بالأمر و النّهی، ثمّ فصّلت بالوعد و الوعيد و الثّواب و العقاب. و فيه أنّه تحكّم لا دليل عليه أصلا.

و كقول بعضهم: إنّ المراد إحكام لفظها بجعلها علی أبلغ وجوه الفصاحة حتّی صار

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۳۹۹

معجزا، و تفصيلها بالشّرح و البيان. و الكلام فی هذا الوجه كسابقه.

و كقول بعضهم: المراد بإحكام آياته جعلها محكمة متقنة لا خلل فيها و لا باطل، و المراد بتفصيلها جعلها متتابعة بعضها إثر بعض. و فيه: أنّ التّفصيل بهذا المعنی غير معهود لغة، إلّا أن يفسّر بمعنی التّفرقة و التّكثير، و يرجع حينئذ إلی ما قدّمناه من المعنی.

و كقول بعضهم: إنّ المراد أُحْكِمَتْ آياتُهُ جملة، ثمّ فرقت فی الإنزال آية بعد آية؛ ليكون المكلّف أمكن من النّظر و التّأمّل. و فيه: أنّ الأحری بهذا الوجه أن يذكر فی مثل قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۱»، و قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲» و ما فی هذا المعنی من الآيات ممّا يدلّ علی أنّ للقرآن مرتبة عند اللّه هی أعلی من سطح الأفهام، ثمّ نزل إلی مرتبة تقبل التّفهّم و التّفقّه، رعاية لحال الأفهام العادية، كما يشير إليه أيضا قوله: وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِیٌّ حَكِيمٌ «۳»

و أمّا آيتنا الّتی نحن فيها كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ إلخ، فقد علّق فيها الإحكام و التّفصيل معا علی الآيات، و ليس ذلک إلّا من جهة معانيها، فتفيد أنّ الإحكام و التّفصيل هما فی معانی هذه الآيات المتكثّرة، فلها جهة وحدة و بساطة و جهة كثرة و تركّب، و ينطبق علی ما قدّمناه من المعنی لا علی ما ذكره الرّاجع إلی مسألة التّأويل و التّنزيل، فافهم ذلک.

و كقول بعضهم: إنّ المراد بالإحكام و التّفصيل إجمال بعض الآيات و تبيين البعض الآخر، و قد مثّل لذلک بقوله تعالی فی هذه السّورة «۴» مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمی وَ الْأَصَمِّ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ، فإنّه مجمل محكم يتبيّن بما ورد فيها من قصّة نوح و هود و صالح، و

هكذا.

---

(۱)– الدّخان/ ۳.

(۲)– الإسراء/ ۱۰۶.

(۳)– الزّخرف/ ۲– ۴.

(۴)– أي سورة هود/ ۲۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۰

و فيه: أنّ ظاهر الآية أنّ الإحكام و التّفصيل متّحدان من حيث المورد، بمعنى أنّ الآيات الّتى ورد عليها الإحكام بعينها هى الّتى ورد عليها التّفصيل، لا أنّ الإحكام وصف لبعض آياته و التّفصيل وصف بعضها الآخر، كما هو لازم ما ذكره.

و قوله تعالى: مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ الحكيم: من أسمائه الحسنى الفعليّة، يدلّ على إتقان الصّنع، و كذا الخبير: من أسمائه الحسنى، يدلّ على علمه بجزئيّات أحوال الأمور الكائنة و مصالحها، و إسناد إحكام الآيات و تفصيلها إلى كونه تعالى حكيما خبيرا، لما بينهما من النّسبة. (۱۰: ۱۳۶– ۱۳۹)

نَزَّلَ عَلَيْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ ... آل عمران/ ۳

قد مرّ أنّ التّنزيل يدلّ على التّدريج كما أنّ النّزول يدلّ على الدّفعة.

و ربّما ينقض ذلک بقوله: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱»، و بقوله تعالى: أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً «۲»، و قوله: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ «۳»، و قوله تعالى: قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً «۴»، و لذلک ذكر بعض المفسّرين: أنّ الأولى أن يقال: أنّ معنى نَزَّلَ عَلَيْکَ الْکِتابَ أنزله إنزالا بعد إنزال، دفعا للنّقض.

و الجواب: أنّ المراد بالتّدريج فى النّزول ليس هو تخلّل زمان معتدّ به بين نزول كلّ جزء من أجزاء الشّىء و بين جزئه الآخر، بل الأشياء المركّبة الّتى توجد بوجود أجزائها؛ لوجودها نسبة إلى مجموع الأجزاء، و بذلک يصير الشّىء أمرا واحدا غير منقسم. و التّعبير عنه من هذه الجهة بالنّزول كقوله تعالى: أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً «۵»، و هو الغيث، و نسبته من حيث وجوده بوجود أجزائه واحدا بعد واحد، سواء تخلّل بينهما زمان معتدّ به أو لم

---

(۱)– الفرقان/ ۳۲.

(۲)– المائدة/ ۱۱۲.

(۳)– الأنعام/ ۳۷.

(۴)– الأنعام/ ۳۷.

(۵)– الرّعد/ ۱۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۱

يتخلّل، و هو التّدريج، و التّعبير عنه بالتّنزيل كقوله تعالى: وَ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ «۱».

و من هنا يظهر أنّ الآيات المذكورة للنّقض غير ناقضة، فإنّ المراد بقوله لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۲» الآية، أن ينزّل عليه القرآن آية بعد آية فى زمان متّصل واحد، من غير تخلّل زمان معتدّ به، كما كان عليه الأمر فى نزول القرآن فى الشّئون و الحوادث و الأوقات المختلفة، و بذلک يظهر الجواب عن بقيّة الآيات المذكورة.

و أمّا ما ذکره البعض المزبور فهو علی أنّه استحسان غیر جائز فی اللّغة البتّة، لا یدفع شیئا من النّقض بالآیات المذکورة، بل هی بحالها و هو ظاهر. و قد جری کلامه تعالی أن یعبّر عن إفاضة الکتاب علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله بالتّنزیل و النّزول، و النّزول یستلزم مقاما أو مکانا عالیا رفیعا یخرج منه الشّیء نوعا من الخروج، و یقصد مقاما أو مکانا آخر أسفل فیستقرّ فیه، و قد وصف نفسه تعالت ذاته بالعلوّ و رفعة الدّرجات، و قد وصف کتابه أنّه من عنده، قال تعالی: إِنَّهُ عَلِیٌّ حَکِیمٌ «۳»، و قال تعالی: وَ لَمَّا جاءَهُمْ کِتابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِما مَعَهُمْ «۴»، فیصحّ بذلک استعمال لفظ النّزول فی موارد استقرار الوحی فی قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. (۳: ۷- ۸)

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً الإسراء/ ۱۰۵

لمّا فرغ من التّنظیر رجع إلی ما کان علیه من بیان حال القرآن و ذکر أوصافه، فذکر أنّه أنزله إنزالا مصاحبا للحقّ، و قد نزل هو من عنده نزولا مصاحبا للحقّ، فهو مصون من الباطل من جهة من أنزله، فلیس من لغو القول و هذره، و لا داخله شیء یمکن أن یفسده یوما، و لا شارکه فیه أحد حتّی ینسخه فی وقت من الأوقات، و لیس النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله إلّا رسولا منه تعالی یبشّر به و ینذر، و لیس له أن یتصرّف فیه بزیادة أو نقیصة، أو بترکه کلّا أو بعضا

---

(۱)- الشّوری/ ۲۸.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

(۳)- الشّوری/ ۵۱.

(۴)- البقرة/ ۸۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۰۲

باقتراح من النّاس أو هوی من نفسه، أو یعرض عنه فیسأل اللّه آیة أخری فیها هواه أو هوی النّاس، أو یداهنهم فیه، أو یسامحهم فی شیء من معارفه و أحکامه، کلّ ذلک لأنّه حقّ صادر عن مصدر حقّ، و ما ذا بعد الحقّ إلّا الضّلال.

فقوله: وَ ما أَرْسَلْناکَ إلخ متمّم للکلام السّابق، و محصّله: أنّ القرآن آیة حقّة، لیس لأحد أن یتصرّف فیه شیئا من التّصرّف، و النّبیّ و غیره فی ذلک سواء.

قوله تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱»

معطوف علی ما قبله، أی أنزلناه بالحقّ و فرقناه قرآنا. قال فی المجمع: معنی فَرَقْناهُ فصّلناه و نزّلناه آیة آیة و سورة سورة، و یدلّ علیه قوله: عَلی مُکْثٍ، و المکث- بضمّ المیم- و المکث- بفتحها- لغتان، انتهی.

فاللّفظ بحسب نفسه یعمّ نزول المعارف القرآنیّة الّتی هی عند اللّه فی قالب الألفاظ و العبارات الّتی لا تتلقّی إلّا بالتّدریج، و لا تتعاطی إلّا بالمکث و التّؤدة؛ لیسهل علی النّاس تعقّله و حفظه، علی حدّ قوله: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ «۲»

و نزول الآیات القرآنیّة نجوما مفرّقة سورة سورة و آیة آیة، بحسب بلوغ النّاس فی استعداد تلقّی المعارف الأصلیّة للاعتقاد، و الأحکام الفرعیّة للعمل، و اقتضاء المصالح ذلک لیقارن العلم العمل، و لا یجمح عنه طباع النّاس بأخذ معارفه و أحکامه واحدا بعد واحد کما لو نزل دفعة، و قد نزلت التّوراة دفعة، فلم یتلقّها الیهود بالقبول إلّا بعد نتق الجبل فوقهم کأنّه ظلّة.

لکنّ الأوفق بسیاق الآیات السّابقة و فیها مثل قولهم المحکیّ: حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَیْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ «۳» الظّاهر فی اقتراح نزول القرآن دفعة هو أن یکون المراد بتفریق القرآن إنزاله سورة سورة و آیة آیة، حسب تحقّق أسباب النّزول تدریجا، و قد تکرّر من النّاس اقتراح

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الزّخرف/ ۳- ۴.

(۳)- الإسراء/ ۹۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۳

أن ينزّل القرآن جملة واحدة كما فى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱» و قوله حكاية عن أهل الكتاب: يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ «۲».

و يؤيّده تذييل الآية بقوله: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا، فإنّ التّنزيل- و هو إنزال الشّيء تدريجا- أمس بالاعتبار الثّانى منه بالأوّل.

و مع ذلك فالاعتبار الثّانى- و هو تفصيل القرآن و تفريقه بحسب النّزول بإنزال بعضه بعد بعض من دون أن ينزل جملة واحدة- يستلزم الاعتبار الأوّل، و هو تفصيله و تفريقه إلى معارف و أحكام متبوعة مختلفة، بعد ما كان الجميع مندمجة فى حقيقة واحدة، منطوية مجتمعة الأعراق فى أصل واحد فارد.

و لذلك فصّل اللّه سبحانه، كتابه سورا و آيات بعد ما ألبسه لباس اللّفظ العربىّ، ليسهل على النّاس فهمه، كما قال: لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ثمّ نوّعها أنواعا و رتّبها ترتيبا فنزّلها واحدة بعد واحدة عند قيام الحاجة إلى ذلك، و على حسب حصول استعدادات النّاس المختلفة، و تمام قابليّتهم بكلّ واحد منها، و ذلك فى تمام ثلاث و عشرين سنة، ليشفع التّعليم بالتّربية، و يقرن العلم بالعمل. (۱۳: ۲۲۰- ۲۲۱)

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ طه/ ۱۱۴

السّياق يشهد بأنّ فى الكلام تعرّضا لتلقّى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله وحى القرآن، فضمير وَحْيُهُ للقرآن، و قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ نهى عن العجل بقراءته، و معنى قوله: مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ من قبل أن يتمّ وحيه من ملك الوحى.

فيفيد أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان إذا جاءه الوحى بالقرآن يعجل بقراءة ما يوحى إليه قبل أن يتمّ الوحى، فنهى عن أن يعجل فى قراءته قبل انقضاء الوحى و تمامه، فيكون الآية فى معنى قوله تعالى فى موضع آخر: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- النّساء/ ۱۵۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۴

وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۱»

و يؤيّد هذا المعنى قوله بعد: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً، فإنّ سياق قوله: لا تعجل به و قُلْ رَبِّ زِدْنِي يفيد أنّ المراد هو الاستبدال، أى بدل الاستعجال فى قراءة ما لم ينزل بعد، طلبك زيادة العلم، و يؤول المعنى إلى أنّك تعجل بقراءة ما لم ينزل بعد، لأنّ عندك علما به فى الجملة، لكن لا تكتف به، و اطلب من اللّه علما جديدا بالصّبر و استماع بقيّة الوحى.

و هذه الآية ممّا يؤيّد ما ورد من الرّوايات أنّ للقرآن نزولا دفعة واحدة غير نزوله نجوما على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، فلو لا علم ما منه بالقرآن قبل ذلك لم يكن لعجله بقراءة ما لم ينزل منه بعد معنى.

و قيل: المراد بالآية و لا تعجل بقراءة القرآن لأصحابك و إملائه عليهم من قبل أن يتبيّن لك معانيه، و أنت خبير بأنّ لفظ الآية لا تعلّق له بهذا المعنى.

و قيل: المراد و لا تسأل إنزال القرآن قبل أن يقضى اللّه وحيه إليك، و هو كسابقه غير منطبق على لفظ الآية. (۱۴: ۲۱۴)

لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً .. الفرقان/ ۳۲

قد تقدّم أنّ الإنزال و التّنزيل إنّما يفترقان فى أنّ الإنزال يفيد الدّفعة، و التّنزيل يفيد التّدريج، لكن ذكر بعضهم: أنّ التّنزيل فى هذه الآية منسلخ عن معنى التّدريج، لأدائه إلى التّدافع، إذ يكون المعنى على تقدير إرادة التّدريج لو لا فرّق القرآن جملة واحدة، و التّفريق ينافى الجمليّة، بل المعنى هلّا أنزل القرآن عليه دفعة غير مفرّق كما أنزل التّوراة و الإنجيل و الزّبور.

لكن ينبغى أن يعلم أنّ نزول التّوراة مثلا- كما هو الظّاهر المستفاد من القرآن كانت دفعة فى كتاب مكتوب فى ألواح، و القرآن إنّما كان ينزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالتّلقّى من عند اللّه بتوسّط الرّوح الأمين، كما يتلقّى السّامع الكلام من المتكلّم، و الدّفعة فى إيتاء كتاب

---

(۱)- القيامة/ ۱۶- ۱۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۵

مكتوب و تلقّيه تستلزم المعيّة بين أوّله و آخره، لكنّه إذا كان بقراءة و سماع لم يناف التّدريج بين أجزائه و أبعاضه، بل من الضّرورىّ أن يؤتاه القارئ و يتلقّاه السّامع آخذا من أوّله إلى آخره شيئا فشيئا.

و هؤلاء إنّما كانوا يقترحون نزول القرآن جملة واحدة على ما كانوا يشاهدون، أو يسمعون من كيفيّة نزول الوحى على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و هو تلقّى الآيات بألفاظها من لسان ملك الوحى، فكان اقتراحهم أنّ الّذى يتلوه ملك الوحى على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله سورة بعد سورة و آية بعد آية، و يتلقّاه هو كذلك، فليقرأ جميع ذلك مرّة واحدة، و ليتلقّه هو مرّة واحدة، و لو دامت القراءة و التّلقّى مدّة من الزّمان، و هذا المعنى أوفق بالتّنزيل الدّال على التّدريج.

و أمّا كون مرادهم من اقتراح نزوله جملة واحدة أن ينزل كتابا مكتوبا دفعة كما نزلت التّوراة، و كذا الإنجيل و الزّبور على ما هو المعروف عندهم، فلا دلالة فى الكلام المنقول عنهم على ذلك، على أنّهم ما كانوا مؤمنين بهذه الكتب السّماويّة حتّى يسلموا نزولها دفعة.

و كيف كان، فقولهم: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً اعتراض منهم على القرآن من جهة نحو نزوله، يريدون به أنّه ليس بكتاب سماوىّ نازل من عند اللّه سبحانه، إذ لو كان كتابا سماويّا متضمّنا لدين سماوىّ يريده اللّه من النّاس، و قد بعث رسولا يبلّغه النّاس لكان الدّين المضمّن فيه المراد من النّاس دينا تامّة أجزاؤه، معلومة أصوله و فروعه، مجموعة فرائضه و سننه، و كان الكتاب المشتمل عليه منظّمة أجزاؤه، مركّبة بعضه على بعض.

و ليس كذلك، بل هو أقوال متفرّقة يأتى بها فى وقائع مختلفة و حوادث متشتّة، ربّما وقع واقع فأتى عند ذلك بشىء من الكلام مرتبط به، يسمّى جملها المنضودة آيات إلهيّة ينسبها إلى اللّه، و يدّعى أنّها قرآن منزّل إليه من عند اللّه سبحانه، و ليس إلّا أنّه يتعمّل حينا بعد حين عند وقوع وقائع، فيختلق قولا يفتريه على اللّه، و ليس إلّا رجلا صابئا ضلّ عن السّبيل هذا تقرير اعتراضهم على ما يستفاد من مجموع الاعتراض و الجواب.

قوله تعالى: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا* وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۶

بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً الثّبات: ضدّ الزّوال، و الإثبات و التّثبيت بمعنى واحد، و الفرق بينهما بالدّفعة و التّدريج، و الفؤاد: القلب، و المراد به كما مرّ غير مرّة الأمر المدرك من الإنسان و هو نفسه، و التّرتيل:- كما قالوا- التّرسيل و الإتيان بالشّىء عقيب الشّىء، و التّفسير- كما قال الرّاغب- المبالغة فى إظهار المعنى المعقول، كما أنّ الفسر- بالفتح فالسّكون- إظهار المعنى المعقول.

و ظاهر السّياق أنّ قوله: كَذلِكَ متعلّق بفعل مقدّر يعلّله قوله: لِنُثَبِّتَ، و يعطف عليه قوله: وَ رَتَّلْناهُ، و التّقدير نزّلناه- أى القرآن- أى نجوما متفرّقة لا جملة واحدة؛ لنثبّت به فؤادك، و قول بعضهم: إنّ كَذلِكَ من تمام قول الّذين كفروا، سخيف جدّا.

فقوله: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ بيان تامّ لسبب تنزيل القرآن نجوما متفرّقة، و بيان ذلك أنّ تعليم علم من العلوم- و خاصّة ما كان منها مرتبطا بالعمل بإلقاء المعلّم مسائله واحدة بعد واحدة إلى المتعلّم حتّى تتمّ فصوله و أبوابه- إنّما يفيد حصولا ما لصور مسائله عند المتعلّم، و كونها مذخورة بوجه ما عنده، يراجعها عند مسيس الحاجة إليها، و أمّا استقرارها فى النّفس بحيث تنمو النّفس عليها و تترتّب عليها آثارها المطلوبة منها فيحتاج إلى مسيس الحاجة و الإشراف على العمل و حضور وقته. ففرق بين أن يلقى الطّبيب المعلّم مثلا مسألة طبّية إلى متعلّم الطّب إلقاء فحسب، و بين أن يلقيها إليه و عنده مريض مبتلى بما يبحث عنه من الدّاء و هو يعالجه، فيطابق بين ما يقول و ما يفعل.

و من هنا يظهر أنّ إلقاء أى نظرة علميّة عند مسيس الحاجة و حضور وقت العمل إلى من يراد تعليمه و تربيته أثبت فى النّفس، و أوقع فى القلب، و أشدّ استقرارا، و أكمل رسوخا فى الذّهن، و خاصّة فى المعارف الّتى تهدى إليها الفطرة، فإنّ الفطرة إنّما تستعدّ للقبول، و تتهيّأ للإذعان إذا أحسّت بالحاجة.

ثمّ إنّ المعارف الّتى تتضمّنها الدّعوة الإسلاميّة النّاطق بها القرآن إنّما هى شرائع و أحكام عمليّة و قوانين فرديّة و اجتماعيّة، تسعد الحياة الإنسانيّة مبتيّة على الأخلاق الفاضلة المرتبطة بالمعارف الكلّية الإلهيّة الّتى تنتهى بالتّحليل إلى التّوحيد، كما أنّ التّوحيد ينتهى بالتّركيب إليها، ثمّ إلى الأخلاق و الأحكام العمليّة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۰۷

فأحسن التّعليم و أكمل التّربية أن تلقى هذه المعارف العالية بالتّدريج موزّعة على الحوادث الواقعة المتضمّنة لمساس أنواع الحاجات، مبيّنة لما يرتبط بها من الاعتقاد الحقّ و الخلق الفاضل، و الحكم العمليّ المشروع مع ما يتعلّق بها من أسباب الاعتبار، و الاتّعاظ بين قصص الماضين و عاقبة أمر المسرفين و عتوّ الطّاغين و المستكبرين.

و هذه سبيل البيانات القرآنيّة المودعة فى آياته النّازلة، كما قال تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۱»، و هذا هو المراد بقوله تعالى: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، و اللّه أعلم.

نعم، يبقى عليه شىء، و هو أنّ تفرّق أجزاء التّعليم و إلقاءها إلى المتعلّم على التّمهّل و التّؤدة يفسد غرض التّعليم؛ لانقطاع أثر السّابق إلى أن يلحق به اللّاحق، و سقوط الهمّة و العزيمة عن ضبط المطالب، ففى اتّصال أجزاء العلم الواحد بعضها ببعض إمداد للذّهن، و تهيئة للفهم على التّفقّه، و الضّبط لا يحصل بدونه البتّة.

و قد أجاب تعالى عنه بقوله: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا، فمعناه على ما يعطيه السّياق أنّ هذه التّعليمات على نزولها نجوما متفرّقة عقّبنا بعضها ببعض، و نزّلنا بعضها إثر بعض؛ بحيث لا تبطل الرّوابط و لا تنقطع آثار الأبعاض، فلا يفسد بذلك غرض التّعليم، بل هى سور و آيات نازلة بعضها إثر بعض مترتّبة مرتّلة.

على أنّ هناك أمر آخر، و هو أنّ القرآن كتاب بيان و احتجاج يحتجّ على المؤالف و المخالف فيما أشكل عليهم، أو استشكلوه على الحقّ و الحقيقة بالتّشكيك و الاعتراض، و يبيّن لهم ما التبس عليهم أمره من المعارف و الحكم الواقعة فى الملل و الأديان السّابقة، و ما فسّرها به علماؤهم بتحريف الكلم عن مواضعه، كما يظهر بقياس ما كان يعتقده الوثنيون فى اللّه تعالى و الملائكة و الجنّ و قدّيسى البشر، و ما وقع فى العهدين من أخبار الأنبياء و ما بثّوه من معارف المبدإ و المعاد، إلى ما بيّنه القرآن فى ذلك.

و هذا النّوع من الاحتجاج و البيان لا يستوفى حقّه إلّا بالتّنزيل التّدريجىّ على حسب ما كان يبدو من شبههم، و يرد على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله من مسائلهم تدريجا، و يورد على

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۰۸

المؤمنین أو علی قومهم من تسویلاتهم شیئا بعد شیء و حینا بعد حین.

و إلی هذا یشیر قوله تعالی: وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً «۱»، و المثل: الوصف، أی لا یأتونک بوصف فیک أو فی غیرک حادوا به عن الحقّ، أو أسائوا تفسیره إلّا جئناک بما هو الحقّ فیه، أو ما هو أحسن الوجوه فی تفسیره، فإنّ ما أتوا به إمّا باطل محض، فالحقّ یدفعه، أو حقّ محرف عن موضعه، فالتّفسیر الأحسن یردّه إلی مستواه و یقوّمه.

فتبیّن بما تقدّم أنّ قوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ إلی قوله: وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً جواب عن قولهم: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، بوجهین؛

أحدهما: بیان السّبب الرّاجع إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و هو تثبیت فؤاده بالتّنزیل التّدریجیّ.

و ثانیهما: بیان السّبب الرّاجع إلی النّاس، و هو بیان الحقّ فیما یوردون علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله من المثل و الوصف الباطل، و التّفسیر بأحسن الوجوه فیما یوردون علیه من الحقّ المغیّر عن وجهه المحرّف عن موضعه.

و یلحق بهذا الجواب قوله تلوا: الَّذِینَ یُحْشَرُونَ عَلی وُجُوهِهِمْ إِلی جَهَنَّمَ أُوْلئِکَ شَرٌّ مَکاناً وَ أَضَلُّ سَبِیلًا «۲»، فهو کالمتمّم للجواب علی ما سیجیء بیانه.

و تبیّن أیضا أنّ الآیات الثّلاث مسوّقة جمیعا لغرض واحد، و هو الجواب عمّا أوردوه من القدح فی القرآن هذا، و المفسّرون فرّقوا بین مضامین الآیات الثّلاث، فجعلوا قوله:

کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ جوابا عن قولهم: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً و قوله:

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا خبرا عن ترسیله فی النّزول، أو فی القراءة علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، من غیر ارتباط بما تقدّمه.

و جعلوا قوله: وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ الخ، کالبیان لقوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، و إیضاحا لکیفیّة تثبیت فؤاده صلّی اللّه علیه و آله، و جعله بعضهم ناظرا إلی خصوص المثل الّذی ضربوه للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و أنّ اللّه بیّن الحقّ فیه و جاء بأحسن التّفسیر، و قیل غیر ذلک، و جعلوا قوله:

---

(۱)- الفرقان/ ۳۳.

(۲)- الفرقان/ ۳۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۰۹

الَّذِینَ یُحْشَرُونَ الآیة أجنبیّا عن غرض الآیتین السّابقتین بالکلّیة.

و التّأمّل فیما قدّمناه فی توجیه مضمون الآیتین الأوّلیین و ما سیأتی من معنی الآیة الثّالثة یوضح فساد جمیع ذلک، و یظهر أنّ الآیات الثّلاث جمیعا ذات غرض واحد، و هو الجواب عمّا أوردوه من الطّعن فی القرآن من جهة نزوله التّدریجیّ.

و ذکروا أیضا أنّ الجواب عن قدحهم و اقتراحهم بقوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ جواب بذکر بعض ما لتفریق النّزول من الفوائد، و أنّ هناک فوائد أخری غیر ما ذکره اللّه تعالی، و قد أوردوا فوائد أخری أضافوها إلی ما وقع فی الآیة؛

منها: أنّ الکتب السّماویّة السّابقة علی القرآن إنّما أنزلت جملة واحدة، لأنّها أنزلت علی أنبیاء یکتبون و یقرءون، فنزلت علیهم جملة واحدة مکتوبة، و القرآن إنّما نزل علی نبیّ أمّیّ لا یکتب و لا یقرأ، و لذلک نزل متفرّقا.

و منها: أنّ الکتب المتقدّمة لم یکن لها شاهد صحّتها و دلیل کونها من عند اللّه تعالی إعجازها، و أمّا القرآن فبیّنة صحّته و آیة کونه من عند اللّه تعالی نظمه المعجز الباقی علی مرّ الدّهور المتحقّق فی کلّ جزء من أجزائه المقدّر بمقدار أقصر السّور حسبما وقع به

التّحدّى.

و لا ريب أنّ مدار الإعجاز هو المطابقة لما تقتضيه الأحوال، و من ضرورة تجدّدها تجدّد ما يطابقها.

و منها: أنّ فى القرآن ناسخا و منسوخا، و لا يتيسّر الجمع بينهما، لمكان المضادّة و المنافاة، و فيه ما هو جواب لمسائل سألوا النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله عنها، و فيه ما هو إنكار لبعض ما كان، و فيه ما هو حكاية لبعض ما جرى، و فيه إخبار عمّا سيأتى فى زمن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كالإخبار عن فتح مكّة و دخول المسجد الحرام، و الإخبار عن غلبة الرّوم على الفرس، إلى غير ذلك من الفوائد، فاقتضت الحكمة تنزيله متفرّقا. و هذه وجوه ضعيفة لا تقتضى امتناع النّزول جملة واحدة.

أمّا الوجه الأوّل: فكون النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أمّيا لا يقرأ و لا يكتب لا يمنع النّزول جملة واحدة، و قد كان معه من يكتبه و يحفظه. على أنّ اللّه سبحانه وعده أن يعصمه من النّسيان

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۱۰

و يحفظ الذّكر النّازل عليه، كما قال سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى «۱»، و قال إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۲»، و قال: إِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ «۳» و قدرته تعالى على حفظ كتابه مع نزوله دفعة أو تدريجا سواء.

و أمّا الوجه الثّانى: فكما أنّ الكلام المفرّق يقارنه أحوال تقتضى فى نظمه أمورا إن اشتمل عليها الكلام كان بليغا و إلّا فلا، كذلك الكلام الجملى و إن كان كتابا يقارنه بحسب فصوله و أجزائه أحوال لها اقتضاءات، إن طابقها كان بليغا و إلّا فلا، فالبلاغة غير موقوفة على غير الكتاب النّازل دفعة و الكلام المجموع جملة واحدة.

و أمّا الوجه الثّالث: فالنّسخ ليس إبطالا للحكم السّابق، و إنّما هو بيان انتهاء أمده، فمن الممكن الجمع بين الحكمين و المنسوخ و النّاسخ بالإشارة إلى أنّ الحكم الأوّل محدود موقّت إن اقتضت المصلحة ذلك.

و من الممكن أيضا أن يقدّم بيان المسائل الّتى سيسألون عنها حتّى لا يحتاجوا فيها إلى سؤال، و لو سألوا عن شىء منها ارجعوا إلى سابق البيان، و كذا من الممكن أن يقدّم ذكر ما هو إنكار لما كان، أو حكاية لما جرى، أو إخبار عن بعض المغيبات، فشىء من ذلك لا يمتنع تقديمه كما هو ظاهر.

على أنّ تفريق النّزول لبعض هذه الحكم و المصالح من تثبيت الفؤاد، فليست هذه الوجوه المذكورة وجوها على حدتها. فالحقّ أنّ البيان الواقع فى الآية بيان تامّ جامع لا حاجة معه إلى شىء من هذه الوجوه البتّة. (۱۵: ۲۰۹- ۲۱۴)

---

(۱)- الأعلى/ ۶.

(۲)- الحجر/ ۹.

(۳)- السّجدة/ ۴۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۱۱

[الفرق بين الإنزال و التّنزيل]

التّنزيل و الإنزال بمعنى واحد، غير أنّ الغالب على باب الإفعال الدّفعة، و على باب التّفعيل التّدريج، و أصل النّزول فى الأجسام انتقال الجسم من مكان عال إلى ما هو دونه و فى غير الأجسام بما يناسبه.

و تنزيله تعالى إخراجه الشّىء من عنده إلى موطن الخلق و التّقدير، و قد سمّى نفسه بالعلىّ العظيم، و الكبير المتعال، و رفيع الدّرجات، و القاهر فوق عباده، فيكون خروج الشّىء بإيجاده من عنده إلى عالم الخلق و التّقدير- و إن شئت فقل: إخراجه من عالم الغيب إلى عالم الشّهادة- تنزيلا منه تعالى له.

و قد استعمل الإنزال و التّنزیل فی کلامه تعالی فی أشیاء بهذه العنایة، کقوله تعالی:

یا بَنِی آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنا عَلَیْکُمْ لِباساً یُوارِی سَوْآتِکُمْ «۱» و قوله تعالی: وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِیَةَ أَزْواجٍ «۲» و قوله: وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ «۳» و قوله: ما یَوَدُّ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتابِ وَ لَا الْمُشْرِکِینَ أَنْ یُنَزَّلَ عَلَیْکُمْ مِنْ خَیْرٍ مِنْ رَبِّکُمْ «۴»، و قد أطلق القول فی قوله: وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ «۵»

و من الآیات الدّالّة علی اعتبار هذا المعنی فی خصوص القرآن قوله تعالی: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ «۶»

و قد أضیف التّنزیل إلی ربّ العالمین للدّلالة علی توحید الرّبّ تعالی؛ لما تکرّر مرارا أنّ المشرکین إنّما کانوا یعترفون به تعالی بما أنّه ربّ الأرباب، و لا یرون أنّه ربّ العالمین. (۱۵: ۳۱۶) نصوص فی علوم القرآن ۴۱۱ [الفرق بین الإنزال و التنزیل] ..... ص : ۴۱۱

---

(۱)- الأعراف/ ۲۶.

(۲)- الزمر/ ۶.

(۳)- الحدید/ ۲۵.

(۴)- البقرة/ ۱۰۵.

(۵)- الحجر/ ۲۱.

(۶)- الزّخرف/ ۳- ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۱۲

و ظاهر اللّفظ أنّها إحدی اللّیالی الّتی تدور علی الأرض، و ظاهر قوله: فِیها یُفْرَقُ الدّال علی الاستمرار أنّها تتکرّر، و ظاهر قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، أنّها تتکرّر بتکرّر شهر رمضان، فهی تتکرّر بتکرّر السّنین القمریّة، و تقع فی کلّ سنة قمریّة مرّة واحدة فی شهر رمضان. و أمّا أنّها أیّ لیلة هی؟ فلا إشعار فی کلامه تعالی بذلک.

و المراد بنزول الکتاب فی لیلة مبارکة علی ما هو ظاهر قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ، و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۲»، أنّ النّازل هو القرآن کلّه.

و لا یدفع ذلک قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۳»، و قوله: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۴»، الظّاهرین فی نزوله تدریجا، و یؤیّد ذلک آیات أخر کقوله: فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْکَمَةٌ «۵»، و قوله: وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلی بَعْضٍ «۶» و غیر ذلک، و یؤیّد ذلک أیضا ما لا یحصی من الأخبار المتضمّنة لأسباب النّزول.

و ذلک أنّه یمکن أن یحمل علی نزول القرآن مرّتین: مرّة مجموعا و جملة فی لیلة واحدة من لیالی شهر رمضان، و مرّة تدریجا و نجوما فی مدّة ثلاث و عشرین سنة، و هی مدّة دعوته صلّی اللّه علیه و آله.

لکنّ الّذی لا ینبغی الارتیاب فیه أنّ هذا القرآن المؤلّف من السّور و الآیات بما فیه من السّیاقات المختلفة المنطبقة علی موارد النّزول المختلفة الشّخصیّة لا یقبل النّزول دفعة، فإنّ الآیات النّازلة فی وقائع شخصیّة و حوادث جزئیّة مرتبطة بأزمنة و أمکنة

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۴)- الفرقان/ ۳۲.

(۵)- محمّد/ ۲۰.

(۶)- التّوبة/ ۱۲۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۱۳

و أشخاص و أحوال خاصّـة لا تصدق إلّا مع تحقّق مواردها المتفرّقة زمانا و مکانا و غیر ذلک، بحیث لو اجتمعت زمانا و مکانا و غیر ذلک انقلبت عن تلک الموارد و صارت غیرها، فلا یمکن احتمال نزول القرآن و هو علی هیئته و حاله بعینها مرّة جملة و مرّة نجوما. فلو قیل بنزوله مرّتین کان من الواجب أن یفرّق بین المرّتین بالإجمال و التّفصیل، فیکون نازلا مرّة إجمالا و مرّة تفصیلا، و نعنی بهذا الإجمال و التّفصیل ما یشیر إلیه قوله تعالی:

کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ «۱» و قوله: إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ «۲»

و قد مرّ الکلام فی معنی الإحکام و التّفصیل فی تفسیر سورتی هود و الزّخرف.

و قیل: المراد بنزول الکتاب فی لیلة مبارکة افتتاح نزوله التّدریجیّ فی لیلة القدر من شهر رمضان، فأوّل ما نزل من آیات القرآن- و هو سورة العلق أو سورة الحمد- نزل فی لیلة القدر.

و هـذا القول مبنیّ علی استشعار منافاة نزول الکتاب کلّه فی لیلـة، و نزوله التّدریجیّ الّذی تدلّ علیه الآیات السّابقة، و قد عرفت أن لا منافاة بین الآیات. علی أنّک خبیر بأنّه خلاف ظاهر الآیات.

و قیل: إنّه نزل أوّلا جملة علی السّماء الدّنیا فی لیلة القدر، ثمّ نزل من السّماء الدّنیا علی الأرض تدریجا فی ثلاث و عشرین سنة مدّة الدّعوة النّبویّة.

و هذا القول مأخوذ من الأخبار الواردة فی تفسیر الآیات الظّاهرة فی نزوله جملة.

و قوله: إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ واقع موقع التّعلیل، و هو یـدلّ علی استمرار الإنـذار منه تعالی قبل هـذا الإنذار، فیدلّ علی أنّ نزول القرآن من عنده تعالی لیس ببدع، فإنّما هو إنذار، و الإنذار سنّة جاریة له تعالی لم تزل تجری فی السّابقین من طریق الوحی إلی الأنبیاء و الرّسل و بعثهم لإنذار النّاس.

قوله تعالی: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ ضمیر فِیها للیلة، و الفرق: فصل الشّیء

---

(۱)- هود/ ۱.

(۲)- الزّخرف/ ۳- ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۱۴

من الشّیء بحیث یتمایزان، و یقابله الإحکام، فالأمر الحکیم ما لا یتمیّز بعض أجزائه من بعض، و لا یتعیّن خصوصیّاته و أحواله، کما یشیر إلی ذلک قوله تعالی وَ إِنْ مِنْ شَیْءٍ إِلَّا عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ «۱».

فللأمور بحسب القضاء الإلهیّ مرحلتان: مرحلـة الإجمال و الإبهام و مرحلـة التّفصـیل، و لیلـة القـدر- علی ما یدلّ علیه قوله: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ- لیلـة یخرج فیها الأمور من مرحلة الإحکام إلی مرحلة الفرق و التّفصـیل، و قـد نزل فیها القرآن، و هو أمر من الأمور المحکمة فرق فی لیلة القدر. و لعلّ اللّه سـبحانه اطّلع نبیّه علی جزئیّات الحوادث الّتی ستقع فی زمان دعوته، و ما یقارن منها نزول کلّ آیة أو آیات أو سورة من کتابه، فیستدعی نزولها و اطّلعه علی ما ینزل منها، فیکون القرآن نازلا علیه دفعة و جملة قبل نزوله تدریجا و مفرّقا.

و مآل هذا الوجه اطّلاع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی القرآن فی مرحلة نزوله إلی القضاء التّفصیلیّ قبل نزوله علی الأرض و استقراره فی مرحلة العین، و علی هذا الوجه لا حاجة إلی تفریق المرّتین بالإجمال و التّفصیل کما تقدّم فی الوجه الأوّل.

و ظاهر کلام بعضهم أنّ المراد بقوله: فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ تفصیل الأمور المبیّنة فی القرآن من معارف و أحکام و غیر ذلک. و یدفعه أنّ ظاهر قوله: فِیها یُفْرَقُ الاستمرار، و الّذی یستمرّ فی هذه اللّیلة بتکرّرها تفصیل الأمور الکونیّة بعد إحکامها، و أمّا المعارف و الأحکام الإلهیّة فلا استمرار فی تفصیلها، فلو کان المراد فرقها کان الأنسب أن یقال: فیها فرق.

و قیل: المراد یکون الأمر حکیما إحکامه بعد الفرق، لا الإحکام الّذی قبل التّفصیل، و المعنی یقضی فی اللّیلة کلّ أمر محکم لا یتغیّر بزیادة أو نقصان أو غیر ذلک. هذا، و إلّا ظهر ما قدّمناه من المعنی. (۱۸: ۱۳۰- ۱۳۲)

---

(۱)- الحجر / ۲۱.

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة / ۱۶- ۱۹

الّذی یعطیه سیاق الآیات الأربع بما یحفّها من الآیات المتقدّمة و المتأخّرة الواصفة لیوم القیامة أنّها معترضة، متضمّن أدبا إلهیّا کلّف النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله أن یتأدّب به حینما یتلقّی ما یوحی إلیه من القرآن الکریم، فلا یبادر إلی قراءة ما لم یقرئ بعد، و لا یحرّک به لسانه، و ینصت حتّی یتمّ الوحی.

فالآیات الأربع فی معنی قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۱».

فالکلام فی هذه الآیات یجری مجری قول المتکلّم منّا أثناء حدیثه لمخاطبه إذا بادر إلی تتمیم بعض کلام المتکلّم باللّفظة و اللّفظتین قبل أن یلفظ بها المتکلّم، و ذلک یشغله عن التّجرّد للإنصات، فیقطع المتکلّم حدیثه و یعترض و یقول: لا تعجل بکلامی، و انصت لتفقّه ما أقول لک، ثمّ یمضی فی حدیثه.

فقوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ الخطاب فیه للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و الضّمیران للقرآن الّذی یوحی إلیه أو للوحی، و المعنی لا تحرّک بالوحی لسانک لتأخذه عاجلا، فتسبقنا إلی قراءة ما لم نقرئ بعد، فهو کما مرّ فی معنی قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ.

و قوله: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ القرآن هاهنا: مصدر کالفرقان و الرّجحان، و الضّمیران للوحی، و المعنی لا تعجل به؛ إذ علینا أن نجمع ما نوحیه إلیک بضمّ بعض أجزائه إلی بعض و قراءته علیک، فلا یفوتنا شیء منه حتّی یحتاج إلی أن تسبقنا إلی القراءة ما لم نوحه بعد.

و قیل: المعنی إنّ علینا أن نجمعه فی صدرک؛ بحیث لا یذهب علیک شیء من معانیه، و أن نثبت قراءته فی لسانک، بحیث تقرأه متی شئت، و لا یخلو من بعد.

و قوله: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أی فإذا أتممنا قراءته علیک وحیا فاتّبع قراءتنا

---

(۱)- طه / ۱۱۴.

له و اقرأ بعد تمامها.

و قیل: المراد باتّباع قرآنه اتّباعه ذهنا، بالإنصات و التّوجّه التّام إلیه، و هو معنی لا بأس به.

و قيل المراد فاتّبع فى الأوامر و النّواهى قرآنه، و قيل: المراد اتّباع قراءته بالتّكرار حتّى يرسخ فى الذّهن، و هما معنيان بعيدان.

و قوله: ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، أى علينا إيضاحه عليك بعد ما كان علينا جمعه و قرآنه، فثمّ للتّأخير الرّتبىّ؛ لأنّ البيان مترتّب على الجمع، و القراءة رتبة.

و قيل: المعنى ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ للنّاس بلسانك، تحفظه فى ذهنك عن التّغيّر و الزّوال حتّى تقرأه على النّاس.

و قال بعضهم فى معنى هذه الآيات: إنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يحرّك لسانه عند الوحى بما ألقى إليه من القرآن مخافة أن ينساه، فنهى عن ذلك بالآيات، و أمر بالإنصات حتّى يتمّ الوحى، فضمير لاـ تُحَرِّكْ بِهِ للقرآن أو الوحى، باعتبار ما قرئ عليه منه، لاعتبار ما لم يقرأ بعد.

و فيه أنّه لا يلائم سياق الآيات تلك الملاءمة؛ نظرا إلى ما فيها من النّهى عن العجل، و الأمر باتّباع قرآنه تعالى بعد ما قرأ، و كذا قوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، فذلك كلّه أظهر فيما تقدّم منها فى هذا المعنى.

و عن بعضهم فى معنى هذه الآيات: الّذى اختاره أنّه لم يرد القرآن، و إنّما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة، يدلّ على ذلك ما قبله و ما بعده، و ليس فى شيء يدلّ على أنه القرآن، و لا شيء من أحكام الدّنيا.

و فى ذلك تقريع و توبيخ له، حين لاـ تنفعه العجلة يقول: لاـ تحرّك لسانك بما تقرأه من صحيفتك الّتى فيها أعمالك، يعنى اقرأ كتابك. لا تعجل، فإنّ هذا الّذى هو على نفسه بصيرة إذا رأى سيّئاته ضجر و استعجل، فيقال له توبيخا: لا تعجل و تثبت؛ لتعلم الحجّة عليك، فإنّا نجمعها لك، فإذا جمعناه فاتّبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه و الاستسلام للتّبعة فيه، فإنّه لا يمكنك إنكاره، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ لو أنكرت، انتهى.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۱۷

و يدفعه أنّ المعترضة لا تحتاج فى تمام معناها إلى دلالة ممّا قبلها و ما بعدها عليه، على أنّ مشاكلة قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ فى سياقه لهذه الآيات تؤيّد مشاكلتها له فى المعنى.

و عن بعضهم: إنّ الآيات الأربع متّصلة بما تقدّم من حديث يوم القيامة، و خطاب لا تُحَرِّكْ للنّبى صلّى اللّه عليه و آله، و ضمير بِهِ ليوم القيامة، و المعنى لا تتفوّه بالسّؤال عن وقت القيامة أصلا، و لو كنت غير مكذّب و لا مستهزئ لِتَعْجَلَ بِهِ أى بالعلم به، إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أى من الواجب فى الحكمة أن نجمع من نجمعه فيه، و نوحى شرح وصفه إليك فى القرآن، فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أى إذا قرأنا ما يتعلّق به فاتّبع ذلك بالعمل بما يقتضيه من الاستعداد له، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ، أى إظهار ذلك بالنّفخ فى الصّور، انتهى ملخّصا، و هو كما ترى.

و قد تقدّم فى تفسير قوله: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ أنّ هذا النّهى عن العجل بالقرآن يؤيّد ما ورد فى الرّوايات إنّ للقرآن نزولا على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله دفعة غير نزوله تدريجا.

(۲۰: ۱۰۹- ۱۱۱)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

ضمير أَنْزَلْناهُ للقرآن، و ظاهره جملة الكتاب العزيز لا بعض آياته، و يؤيّده التّعبير بالإنزال الظّاهر فى اعتبار الدّفعة دون التّنزيل الظّاهر فى التّدريج.

و فى معنى الآية قوله تعالى: وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۱» و ظاهره الإقسام بجملة الكتاب المبين، ثمّ الإخبار عن إنزال ما أقسم به جملة.

فمدلول الآيات أنّ للقرآن نزولا جمليا على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله غير نزوله التّدريجىّ الّذى تمّ فى مدّة ثلاث و عشرين سنة، كما

يشير إليه قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲»، و قوله: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً

---

(۱)- الدّخان/ ۳- ۴.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۱۸

كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۱»

فلا يعبأ بما قيل: إنّ معنى قوله: أَنْزَلْناهُ ابتدائنا بإنزاله، و المراد إنزال بعض القرآن.

و ليس فى كلامه تعالى ما يبيّن أنّ اللّيلة أيّة ليلة؟ هى غير ما فى قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲».

فإنّ الآية بانضمامها إلى آية القدر تدلّ على أنّ اللّيلة من ليالى شهر رمضان. و أمّا تعيينها أزيد من ذلك فمستفاد من الأخبار. (۲۰: ۳۳۰)

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۱۹

الفصل الرّابع و الخمسون نصّ الشّهيد مطهّرىّ (م: ۱۳۹۹) فى «دروس من القرآن»

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ البقرة/ ۱۸۵

فهو يصف شهر رمضان الّذى أنزل فيه القرآن. إذن ليلة القدر هى إحدى ليالى شهر رمضان، بدلالة الآية الأولى من سورة القدر، و هذه الآية من سورة البقرة.

هنالك آية أخرى من سورة الدّخان، فيها توضيح آخر للّيلة الّتى نزل فيها القرآن، و تلك الآية هى:

حم وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ ... «۱» أى أنّ ليلة نزول القرآن ليلة مباركة، و إنّنا نحذّر و ننذر بالخطر، و هى ليلة تحدث فيها أمور.

و عليه فإنّ اللّيلة الّتى نزل فيها القرآن- بحسب آية سورة البقرة- هى من ليالى شهر رمضان، و بحسب هذه الآية هى ليلة مباركة تجرى فيها أمور. أى أنّها ليلة التّقدير، ليلة توضع فيها سلسلة من التّقديرات. و بأخذ آية تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ «۲» بهذا الخصوص يتّضح أنّ اللّيلة من ليالى اللّه الّتى تجرى فيها الأمور.

---

(۱)- الدّخان/ ۱- ۴.

(۲)- القدر/ ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۰

و يتبادر إلى الذّهن هنا سؤال، فإذا كان نزول القرآن فى ليلة القدر، و ليلة القدر من ليالى شهر رمضان، أ فلا يعنى هذا أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد بعث فى ليلة القدر؟ فلما ذا نحتفل بالمبعث فى يوم السّابع و العشرين من رجب، مع أنّ القرآن يصرّح بنزوله فى

رمضان؟

هنا لا- بدّ أن نشير إلى موضوع، و إن لم يكن جوابا على هذا السّؤال، إلّا أنّنا لا- بدّ أن نشير إليه، و هو أنّ للقرآن نزولين: النّزول الإجمالىّ، و النّزول التّدريجىّ أو التّفصيلىّ.

فالنّزول الإجمالىّ هو النّزول غير الزّمانىّ، و النّزول التّدريجىّ هو النّزول التّفصيلىّ الزّمانىّ.

و كلمة «نزول» بحسب اللّغة العربيّة ترد فى موضعين اثنين؛ الأوّل: من باب الإفعال (إنزال) إِنَّا أَنْزَلْناهُ، و الآخر: من باب تفعيل «تنزيل». علماء اللّغة العربيّة يقولون: إنّ هناك فرقا بين هاتين الصّيغتين من حيث المعنى، فأنزلناه ترد حيث يقصد النّزول الكلّىّ دفعة واحدة، و تنزيل ترد حيث يكون التّنزيل تدريجيّا. فالقرآن إذن إنزال و تنزيل.

ففى هذه الآيات: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ و شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ و حم وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ يأتى الفعل من إفعال، و هى كلّها تشير إلى نزول إجمالىّ دفعة واحدة غير مشروط بزمان، نزل على محمّد صلّى اللّه عليه و آله قبل تنزيله عليه بهيئة روح، لا بهيئة آيات و كلمات و ألفاظ و سور. و بعد أن استقرّت تلك الرّوح فى الرّسول الكريم، و هى روح القرآن، نزل القرآن مرّة أخرى بهيئة ألفاظ و كلمات و سور هذه المرّة.

إنّ لدينا بهذا الشّأن روايات كثيرة، فقد ورد عن الأئمّة الأطهار مرارا أنّ القرآن قد نزل على الرّسول الكريم بهيئتين: بهيئة إجماليّة واسعة و دفعة واحدة، و بهيئة تفصيليّة تدريجيّة زمانيّة. فذالك النّزول الإجمالىّ الّذى نزل على الرّسول دفعة واحدة هو النّزول الّذى حدث فى شهر رمضان. فى ذلك الوقت لم يكن الرّسول قد بعث بعد، بعثة الرّسول تبدأ منذ أن نزل جبريل يحمل إلى الرّسول القرآن و الرّوح و الحقيقة فى صورة ألفاظ و كلمات. ذلك هو زمان بعثة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله، و هو ما حصل فى شهر رجب، و دام ۲۳ سنة.

هنالك لفظتان لكتاب اللّه: القرآن و الفرقان، كما جاء فى سورة الفرقان تَبارَكَ الَّذِى

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۱

نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً «۱» الفرقان: من مادّة «فرق» أى الفصل و التّفريق. و المقصود هنا أنّنا أنزلنا القرآن مفرّقا مجزّأ؛ لكى تقرأه على النّاس تدريجيّا.

يرى بعضهم أنّ لفظة «قرآن» تطلق على كتاب اللّه مجموعا، و تطلق عليه لفظة «فرقان» إذا قصدت أجزاؤه و تفاصيله، كما نزلت آياته و سوره. إنّ ما ذكرناه يتعلّق بنزول القرآن، إن كان فى شهر رمضان أم فى شهر رجب. (ص: ۳۴- ۳۵)

و نصّه أيضا فى «تفسير سورة الفجر و القيامة» «۲»

إنزال القرآن على قسمين:

أنزل القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى مرحلتين؛

إحداهما: بصورة إجماليّة و كلّيّة، فكان جملة واحدة، أنزل فى ليلة القدر من شهر رمضان، و قد أصبح النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى حالة روحيّة خاصّة، و إنّ تلك الحالة الرّوحيّة فى الواقع هى نفس الحقيقة القرآنيّة، فالقرآن نزل بنحو الإجمال ابتداء لا بصورة آية آية أو كلمة كلمة حتّى استقرّ فى الرّوح المقدّسة للنّبىّ الأكرم صلّى اللّه عليه و آله.

و ثانيهما: مرحلة الانفتاح، و هى نزوله آية آية، طيلة ثلاث و عشرين سنة، و كان هذا بمثابة نزول تفصيلىّ. فلذلك كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله له القدرة أحيانا على بيان جملة واحدة ممّا يوحى إليه قبل نزوله؛ لأنّ القرآن كان موجودا فى روحه و حافظته بصورة إجماليّة من قبل، إذ كان نازلا إليه، فلذا قال اللّه تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... «۳»، أى تأدّب و لا تحرّك لسانك متعجّلا عند أخذ الوحى، حتّى لا يأتى على لسانك ممّا لم يوح إليك بعد، و هذا كلّه ناشئ عن اضطرابه فى أن يفوته شيء من الوحى، و

الأمر لیس کذلک، فلا تخف أنّ هذا فی عهدتنا إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، أی جمع ما أنزل بصورة متفرّقة و متشتّتة، هو علینا، و قراءته أیضا کلّه علینا و ما أنت إلّا آخذ. تمهّل حتّی نقرأ علیک أوّلا،

---

(۱)- الفرقان/ ۱.

(۲)- ترجم من الفارسیّة.

(۳)- القیامة/ ۱۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۲۲

ثمّ تقرأ أنت بعدنا. ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ، أی توضیحه و تفسیره علینا، فإنّا نبیّن علیک هذه الحقائق، و أنت تبیّنها للنّاس بعد ذلک

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... القیامة/ ۱۶- ۱۹

جاءت أربع آیات مستأنفة من هذه السّورة «۱»، کأنّها جمل معترضة کما یصطلح علیها المفسّرون، و الجملة المعترضة هی جملة تأتی فی جمیع الکلام، فمثلا- یتحدّث رجل بحدیث، و کان ینبغی علیه الاسترسال فیه، إلّا أنّه یتفوّه ببضع جمل تتعلّق بموضوع آخر، لأنّ الضّرورة تقتضی ذلک.

وهب أنّ خطیبا یتکلّم و فی أثناء الکلام أیقن أنّ قولا خارج نطاق البحث ینبغی ذکره، فیقول مثلا: یا هذا! أنجز هذا الأمر علی هذا المنوال، ثمّ یواصل حدیثه السّابق ثانیة.

لقد أوعز اللّه تعالی إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی أواسط هذه السّورة فی کیفیّة تلقّی الوحی، و قد وردت ثلاث آیات حول ذلک، و هی تدلّ علی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یعتریه الارتباک و القلق حین یتلقّی قلبه الوحی، خوفا من أن یتلقّاه ناقصا فیردّده بسرعة، یردّد ما یلقی إلیه الوحی فورا، لیتلقّاه جیّدا، حتّی لا تفوته کلمة منه.

قال فی سورة الأعلی/ ۶: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی، فقد تکفّل القرآن الکریم ذلک قائلا: إنّ ذلک لا یعنیک، فنحن لا ندعه ینسی، و جمعه منوط بنا، و ما علیک إلّا أن تتأهّب لتلقّی الوحی.

و قال فی سورة طه/ ۱۱۴: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ أی لا تعجل بالقراءة قبل انتهاء الوحی.

هب أنّ أحدا یملی علیک کلاما و أنت ترید أن تعیه بدقّة، فإنّک تخطر أوّله فی بالک أو تردّده فی لسانک و هو لم یتمّ کلامه بعد.

و قال هنا- فی سورة القیامة- أیضا: لا- تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ أی لا تحرّک لسانک أثناء الوحی لتعجل به، و هی کأنّها جملة معترضة، و قد قلنا سابقا: إنّ اللّه أوعز إلی النّبیّ فی کیفیّة تلقّی الوحی وسط سورة القیامة.

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أی أنّ جمع ما یوحی إلیک و قراءته منوط بنا.

---

(۱)- أی سورة القیامة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۲۳

فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أی دعنا نقرأه علیک أوّلا، ثمّ اقرأه أنت.

ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ أی ثمّ إنّ بیان الوحی و تفسیره منوط بنا.

[ما هی تلک العجلة فی أثناء الوحی؟]

و لكن ما هى تلك العجلة الّتى كان يتّصف النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أثناء تلقّى الوحى؟ للمفسّرين هنا قولان:

[۱] فبعض قال: يوحى إليه أحيانا سورة بكاملها، أو خمس آيات أو ستّ أو عشر آيات متواليـة، فتنزّل على قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فيردّدها مبتدئا بأوّلها، و الوحى لا زال نازلا.

[۲] و قال بعض آخر كصاحب تفسير الميزان فى هـذا المضـمار: لم يكن النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله يردّد الآيات من أوّلها بينه و بين نفسه و الوحى لا زال نازلا، بل كأنّه ينزل عليه الوحى و باله مشغول بالتّكرار و الوحى لا زال نازلا عليه.

و خلاصة كلامهم؛ أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله نتيجة أنسه بالوحى و شدّة تلقّيه منه، و كذلك نزول الآيات عليه تدريجيّا، كان كثيرا ما أوحى إليه بعض الكلام إلّا أنّه لتعلّق قلبه بالوحى و ولعه به يذكره قبل أن يتفوّه به جبرئيل و يلقيه إليه، و لم يزل بعض آخر لم ينزّله على قلبه فيذكره. و لذا قيل له: لا تفعل ذلك، دع الملك يلقى إليك الوحى أوّلا، ثمّ اذكره بعد ذلك.

و لا يخفى أنّ القرآن أوحى إلى النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله بنمطين؛ الأوّل إجمالىّ، و الثّانى تفصـيلىّ، فالإجمالىّ قد أنزل دفعة واحدة و فى ليلة واحدة، و التّفصـيلىّ أنّه قد أعطيت للنّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله حالة روحيّة و كانت فى الحقيقة بمنزلة حقيقة القرآن بشكل خفىّ، و ليس بشكل آية آية و سورة سورة.

و قد نزل الوحى الثّانوىّ الّذى كان على شـكل آية آية و سورة سورة مدّة ثلاث و عشـرين سـنة، و هو وحى تفصـيلىّ أيضا. فالعلّة إذا فى أنّ النّبىّ صـلّى اللّه عليه و آله كـان يسـتطيع أحيانـا ترديـد جملـة لاـ زال جبرئيـل لم يتفوّه بهـا، و قـد أوحيت إليه لأـوّل مرّة بنحو تفصيلىّ، هى أنّها كانت بنحو إجمالىّ فى روحه و حافظته سابقا. (ص: ۶۵- ۶۸)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۴

الفصل الخامس و الخمسون نصّ السّبكى فى «رياض القرآن»

تنزيله

كان محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله يجنح فى بعض أحيانه إلى الخلوة بنفسه بعيدا عن النّاس، بل بعيدا عن الأماكن الآهلة.

و كـانت خلوته هـذه تكثر فى رمضـان، و فى غـار برأس جبل حراء على بعـد من مكّة؛ إذ كان رمضان شـهرا يعظّمه العرب قـديما، و يكثرون فيه من المكارم المحمودة، نظرا لما كان لهذا الشّـهر من خصوصـيّة فى الشّرائع الأولى، فطاب لمحمّد أن يكثر من الخلوة الّتى يتجرّد فيها للتّفكير و الاهتـداء بعقله، إلى ما يسـتطيع الاطمئنان إليه من مظاهر الوجود فيسـتأذن زوجته خديجـة و يأخذ زاده، و يمكث هناك اللّيالى و الأيّام؛ يفكّر فى عجائب هـذا الكون، و فى قـدرة خالقه، و يلتمس بعقله ما يهتـدى إليه من حكم اللّه، و يهيم بما وراء هذا الإبداع من معالم الحقيقة المكنونة، و من أسرار فى ملكوت اللّه الّتى لا يحيط بها غير اللّه.

و كان هذا الاتّجاه نفسه تجاوبا مع ما تكنّه الأقدار من سـرّ يتعلّق بمحمّد بالذّات، و هو لا يدرى فى دخيلة نفسه أنّ وراء هذا الاتّجاه ما وراءه من تدبير اللّه.

و إنّما هى أحداث تتوارد، و تجرى لمستقرّها، ثمّ تلتقى فى حينها على ما شاء اللّه

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۵

و قدره.

و قد شاءت حكمة اللّه أن تفصح عن هذا كلّه فى ليلة من ليالى رمضان فى السّـنة الأربعين من عمر محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و هى ليلة القدر؛ إذ نزل عليه جبريل ملك الوحى لأوّل مرّة فى اليقظة، يخاطبه بما أمره اللّه: اقْرَأْ. و كيف يقرأ إنسان أمّىّ لا يقرأ، و لم يتعلّم القراءة؟

هـذا تكليف مهيب، يقابـل بالاعتـذار من جـانب محمّـد: «مـا أنا بقارئ»، يتكرّر الأمر، و يتكرّر الاعتـذار ثلاث مرّات، كما أثبت ذلك السّنّة الصّحيحة فيما تحدّث به الرّسول بعد، و أخيرا يقرأ جبريل أمامه، و يقرأ هو بعده: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «١».

و كيف تكون الرّوعة لهذه المفاجأة!

أوّل إشـراقة حيّة من إشراقات الوحى فى حياتنا الجديدة، و على غير ألف بمثلها، إلّا ما كان من أحلام صادقة يراها محمّد فى منامه، و تتحقّق يقظة كما رآها، فيكون فيها بعض الاستئناس، بأنّ للّه توجيها خاصّا يعلم اللّه مداه و سيكون.

أوّل إشـراقة يتلقّاها فتأخذ مأخذها من نفسه رهبة و إجلالا، و يهتزّ لها وجدانه خشية و إيمانا، و تبتهج لها روحه تعلّقا بما أوحى إليه. و تستأثر بمشاعره تقديرا لما يناط به، و تتهيّأ عزيمته لحمل ما يلقى عليه.

و فى هذه الإشراقة الأولى توجيه إلى أنّ رسالة محمّد- منذ بدايتها و فى أخصّ ملامحها- رسالة العلم و التّعليم فى الجانب الرّوحىّ، و رسالة البحث فى جوانب الحياة كلّها.

و توجيه كذلك إلى أنّ الحياة الجديدة حياة العقل و المعرفة و الاهتداء، أكثر من أن تكون حياة الملذّات و المتعة بالشّهوات.

أو هى حياة الوعى، و حسن الاختيار. أو هى فى خلاصتها حياة الإسلام و كفى.

حكمة التّكرار للأمر و الاعتذار

أثبتت لنا السّنّة الصّحيحة الّتى تحدّث بها الرّسول لأمّته، أنّ الأمر بالقراءة، و الاعتذار

---

(١)- العلق/ ١- ٣.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۶

تكرّر ثلاث مرّات

و هل يكون تكرار الأمر من جبريل، و تكرار الاعتذار من محمّد ممّا يحصل اعتباطا و صدفة؟

أمّـا الاعتـذار فكان طبيعيّا؛ لأنّه الاعتـذار بالأمر الواقع، و جبريل يعرف- لا محالـة- إنّ محمّـدا أمّى، و أنّه يكرّر عليه الأمر عالما بعجزه القراءة.

ثمّ هو فى أمره أوّلا و ثانيا و ثالثا لم يعيّن له ما يقرأه، كما عيّنه فى الرّابعة أخيرا، و تلا أمامه. الّذى أفهمه من ذلك التّكرار حكمة، إذا فهمت على وجهها لا يقال: إنّ ذلك كان تكليفا بما لا يطاق، و لا يقال: كيف تطلب القراءة ممّن لا يقرأ؟ و لا يقال: كيف قرأ من لم يتعلّم؟.

تلك الحكمة: ١- ليركز- منذ البداية- فى وعى محمّد أنّ هذه رسالة حتميّة، لا مفرّ عن تحمّلها.

٢- و ليزيد فى وعيه أن ينتبه لتلقّيها، و يفتح قلبه لها، و يطمئنّ إلى اختياره لتبليغها، و أهليّته للقيام عليها.

و إنّ شأنا خطيرا كشأن الرّسالـة ليحتاج عقلا إلى المزيـد فى التّنبيه عليه، و على التّفرّغ له، و ليكون المختار للرّسالـة على بيّنـة ممّا عهد اللّه إليه، و على يقظـة دائمة نحو صـلته الخاصّة باللّه، إلى أن ينتهى من تبليغ رسالته، و يقضـى اللّه أمرا كان مفعولا. فيكون التّهيّب من جانب الرّسول طبيعة إنسانيّة.

و يكون تكرار الأمر من جبريل وسـيلة للمزيـد فى التّنبيه، و الحرص على شأن قدسـىّ جدير بذلك. على أنّ رهبة محمّد لنزول الوحى فى فرصته الأولى، لم تزايله بانصراف الوحى عنه الآن.

بـل يرجع إلى زوجته خديجـة مأخوذا بتلك المشاعر الّتى تغمره، و يقصّ عليها ما لقيه فى عزلته، و يتـدثّر فى فراشه، و يأخـذ مضـجعه

ليستقرّ من روعه.

ثمّ كان بعد ذلك ما كان من شئون متتابعة، تسير فى أفقها المرسوم، إلى أن انتهى

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۷

الرّسول من تبليغ رسالته، و انتهت حياته بعد تمام ثلاثة و ستّين عاما (عليه الصّلاة و السّلام).

إنزال القرآن و تنزيله

اشارة

فى القرآن آيات صريحة فى أنّه أنزل فى رمضان، و أنّ إنزاله كان فى ليلة مباركة، و أنّه أنزل فى ليلة القدر.

و تلك النّصوص على ترتيبها فى المصحف رقم (۱۸۵) من سورة (۲) البقرة، و رقم (۲) من سورة (۱۲) يوسف، و رقم (۴۴) من سورة (۱۶) النّحل، و رقم (۱) من سورة (۲۰) طه، و رقم (۳) من سورة (۴۴) الدّخان، و رقم (۱) من سورة (۹۷) القدر.

و التّعبير فى هذه المواطن و نحوها بلفظ أنزلنا، يفيد فى اللّغة أنّ القرآن هبط به جبريل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة، لا نجوما مقسّطة. و فى القرآن كذلك آيات كثيرة صريحة التّعبير فى أنّه كان تنزيلا، و التّنزيل يفيد فى اللّغة، أنّه كان مفرّقا على أقساط فى نزوله على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله.

منها آية (۱۹۶) سورة (۷) الأعراف، و آية (۹) من سورة (۱۵) الحجر، و آية (۴۴) من سورة (۱۶) النّحل، فقد ذكر فيها الإنزال و التّنزيل، كما صرّحت بمثل ذلك آية (۱۰۶) سورة (۱۷) الإسراء، بل منها تصريح بالتّفريق.

فنحن أمام آيات قطيعة الثّبوت و الدّلالة على أنّ نزول القرآن موصوف بالإنزال و بالتّنزيل، و كلا الوصفين حقّ، و لا تعارض بينهما. فإنّه أنزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى سماء الدّنيا فى اللّيلة المباركة من شهر رمضان و هى ليلة القدر، كما هو مصرّح به فى آية البقرة و الدّخان و القدر.

ثمّ نزل بعد ذلك مفرّقا على محمّد (صلوات اللّه عليه) و فى أوقات متعدّدة منذ ابتدأ نزوله فى غار حراء، و فى ليلة القدر من رمضان، و هى أوّل عهد الرّسالة، مبدوءا بسورة العلق.

و بهذا تتلاقى الآيات كلّها فى وضح من الحقّ على أنّ القرآن أنزل جملة، ثمّ كان

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۸

تنزيله إلى الدّنيا مفرّقا طول عهد الرّسالة فى ثلاث و عشرين سنة. و مع أنّ التّوراة أنزلت دفعة واحدة فى ألواح مكتوبة، و أنّ الإنجيل أنزل كذلك دفعة واحدة من طريق الوحى على عيسى عليه السّلام فقد شاء اللّه أن يجمع للقرآن بين صفتى الإنزال جملة واحدة إلى سماء الدّنيا، و التّنزيل مفرّقا على رسوله صلّى اللّه عليه و آله. و حكمة التّفريق فى تنزيله مقسطا تتّضح من وجوه:

۱- أن يتمشّى- غالبا- مع المناسبات الدّاعية إلى التّنزيل، كحادثة تحتاج إلى بيان الحكم الشّرعىّ فيها، أو سؤال يتقدّم به بعض النّاس إلى الرّسول عن أمر ما، فيكون التّنزيل عند المقتضى أوقع فى النّفس.

۲- أن يكون تفصيله فى نجومه أخفّ على الأفهام فى وعيه و حفظه، و اللّه سبحانه يريد للقرآن أن يكون ميسّرا على عباده من جهة التّنزيل و من جهة الوعى، و الإلمام لقوم أمّيّين.

۳- أن يكون تقسيطه وسيلة رتيبة، فى تربية بيئة تحتاج إلى تدرّج فى العلاج، كما يحتاج المريض إلى الدّواء شيئا فشيئا فإنّ العلّة لا تستأصل دفعة واحدة، و أنّ العافية لا تعاود البدن مرّة واحدة، فيكون التّدرّج مسايرا للفطرة.

۴- و أن يكون التّقسيط سبيلا- إلى التّدرّج فى تشريع الأحكام شيئا فشيئا، و إذا كانت نفوس العرب طليقة فى دنياها، و سائبة فى جهالتها، يكون التّدرّج معهم فى التّشريع أجدى عليهم من التّكليف جملة واحدة، و هذا ما نحسّه نحن فى أساليب تربيتنا.

على أنّ فى تقسيط القرآن نجوما متفرّقة فرصة تتيح للنّاس يومذاك أن يتفقّدوا ما فى الآيات من مقاصد، و أن يأخذوا بها عن فهم و موازنة، و خاصّة العرب. فهم من بداوتهم أمّة منطق و حجاج بلاغىّ، و التّريّث فى التّنزيل يساعد الجميع على النّقاش، و عرض الشّبه و سماع البيان، و يحبّب إلى العقلاء أخذهم بهذا الدّين البيّن عن اختيار منهم، و عن إيمان به يقتضيهم الغيرة عليه و الدّفاع عنه. و العربىّ معروف بالوفاء بعهده، و بالتّضحية فى سبيل ما يلتزمه، فكيف إذا كان دينا؟

و كيف إذا كان هذا الدّين يراد للخلود و الاستقرار، و جمع النّاس تحت رايته إن

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۲۹

حسن اختيارهم لأنفسهم و استجابوا؟

لهذه المقاصد السّالفة كان نزول القرآن مفرّقا من تمام الحكمة فيه، و من مباهج ميزاته و محاسنه، و من مجاراة الطّبائع فى التّريّث عند الإقدام على شىء جديد لم يألفوه من قبل.

شبهة أولى

هذا و ربّ سائل تخالجه شبهات يقول:

إذا كان التّدرّج فى نزول الكتاب مقسطا رحمة بالنّاس، و تسهيلا عليهم، فلما ذا كانت الكتب السّالفة كالتّوراة و الإنجيل تنزل دفعة واحدة، و لم تكن تفريقا؟ و يجاب عن هذا بما ننقله عن بعض العلماء، و بما نستنتجه نحن من جوّ الموضوع.

فأوّلا- كانت تلك الأمم الكتابية على شىء من تعلّم، فيكون استعدادهم للمعرفة أرجح ممّا كان عليه العرب حين واجههم القرآن قبل سواهم. فحاجة هؤلاء العرب إلى التّدرّج أوضح، و أنت تعلم أنّ أهل الكتاب يقرّرون ذلك، و يعيّرون العرب بأنّهم أمّيّون و ليسوا على علم.

و ثانيا- تلك أمم يعلم اللّه من أمرها مع صلتها بالعلم و بالرّسالات من قبل أنّها سوف لا تقلع أكثريّتها عمّا ألفت، و سوف يكون شأنها إزاء كتبها مذبذبا، و ستمدّ يدها إلى كتبها بتصرّفات من عندها؛ ليطابق أهواءهم. و لن يتغيّر حالهم عن ذلك بتنزيل الكتاب عليهم مفرّقا، أو جملة واحدة.

فكأنّهم فى تقدير اللّه- سبحانه- و فى قصارى أمرهم سيظلّون جامحين، لا يحتكمون إلى عقل و لا موازنة، و إنّما يصطنعون محاولات زائفة؛ ليبرّروا دائما ما هم عليه.

فخصائص الشّعوب لها اعتبار فى رعاية التّشريع، و قد روعيت فى تفريق القرآن خصائص العرب الّتى يمتازون بها فى الجملة، و الّتى يشاركهم فى بعضها سواهم، من ملائمة التّريّث، و الإمهال، لإقناعهم بالقرآن، و ليدخلوا فى حوزته على بصيرة و تعقّل، كما يدعوهم القرآن نفسه.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۳۰

و كذلك روعيت خصائص أهل الكتاب فى المراوغة و التّفلّت من الحقّ على نحو ما نراهم إلى اليوم، فنزلت كتبهم جملة واحدة؛ لاستواء الوجهين فى شأنهم الدّينىّ، و لئن كان من عيوب العرب تقليد الكثير منهم لما كان عليه آباؤهم، فأهل الكتاب أشدّ منهم تقليدا و تشبّثا حتّى مع العلم بالحقّ، و حاضرهم يشهد عليهم بذلك مع ما بلغوا من حضارة.

ثمّ تنعكس الشّبهة منهم، فيتمدّحون بأنّ كتبهم نزلت جملة، و هذا عندهم أمارة على صدقها من عند اللّه، و لو كان القرآن حقّا مثلها

لما تغيّرت صفة تنزيله عن إنزال كتبهم جملة واحدة، هذا زعمهم!.

و مع ما سبق لنا فى تعليل ذلك التّفريق، نرى أنّ القرآن نفسه يبيّن الحكمة المعقولة، و يحتاج تلك الشّبهة الهزيلة منهم فى سورة الإسراء رقم (۱۷) آية (۱۰۶)، و فى سورة الفرقان (۲۵) آية (۳۲) «۱».

ففى المقامين تصريح بالقصد من التّفريق، و تلويح واضح بأنّه كتاب خالد يراد به التّمهّل، و المكث فى تبليغه، و تلاوته على النّاس، و يراد تثبيت قلب النّبىّ و تمكينه من وعيه، و الإحاطة بما فيه، و كذا بالنّسبة لأمّته.

و إلى جانب هذين المقصدين تصريح بأنّ كلّ شبهة يعرضونها، و كلّ مثل يضربونه لتعزيز الشّبهة- كمسألة التّنزيل- فاللّه تعالى كفيل فى ذلك كلّه ببيان الحقّ، و تفسير الحكمة و تعزيز القرآن بما يحبط شبهاتهم، فلو كانت وجهتهم إلى الحقّ فى ذاته لآمنوا بكتاب لا تعلق به شبهة إلّا بطلت، و هو لا يناقض كتبهم فيما عرفوا عنها من أصول أخلاقيّة أو اعتقاديّة صحيحة لم تشبها الأراجيف، و لا مسّتها نزعة الابتداع، و لا دعاهم لغير اللّه، و لا جردهم من العقليّة و حقّ المناقشة، و لا رضى لأتباعه الاستسلام للتّقليد.

كما وافق كتبهم فى بعض آياتها، و فى كثير من أحكامها البريئة عن التّحوير، كما شهد كثير من علمائهم، و هو كتاب أنصفهم، فاعترف بموافقته لتلك الكتب فى شىء من

---

(۱)- وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا،- وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا* وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۳۱

آياتها، آية (۱۸) و (۱۹) من سورة الأعلى (۸۷) «۱»، فلو كان الحقّ رائدهم لما أطالوا فى اللّجاج على أنفسهم.

شبهة ثانية

و نعرض شبهة علميّة- لا اعتقاديّة- لبعض الكتّاب؛ إذ يقولون: إنّ القرآن نزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى أوّل الأمر مناما لا يقظة.

و منشأ هذه الشّبهة، أنّ بعض الأحاديث جاءت صريحة فى نزول القرآن عليه مناما، فانقدح فى أذهانهم أنّ سورة العلق- و هى أوّل ما نزل- كانت مناما لا يقظة.

و التّحقيق العلمىّ فى ذلك أنّ بدء الوحى عامّة كان من طريق المنام قبل نزول القرآن بعدّة أشهر سابقة على رمضان الّذى نزل فيه القرآن علانية.

فما كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله يرى مناما إلّا تحقّق على وفق ما رآه، و ليس هذا كثيرا على من شاء اللّه إعداده لرسالته الخاتمة، و نشأ نشأة محمّد خاصّة، فضلا عن أنها سنّة اللّه مع أنبيائه، فإنّ رؤياهم وحى، كما حدث لإبراهيم فى ذبح ولده إسماعيل عليهما السّلام، ثمّ قام بالتّنفيذ و همّ به، لو لا أنّ اللّه تعالى فدى إسماعيل بذبح من الضّأن، و حقّق حكمته فى اختبار إبراهيم.

فلمّا قرب نزول القرآن كانت للنّبىّ تباشير تصادفه، و هو لا يدرى ما وراءها، كالمناداة عليه و هو سائر فى طريقة، ثمّ لا يرى أحدا، كما تحدّث بذلك التّاريخ، و كاعتزاله النّاس على غير ما عهد بينهم، و كاندفاعه فى لهفة إلى إطالة الخلوة بعيدا عن النّاس ممعنا فى تفكيره فى هذا الملكوت الرّبانىّ الواسع.

و كان من هذه التّباشير أن رأى الرّؤيا المناميّة بما نزل عليه بعد من سورة العلق، و ذلك من رفق اللّه به؛ ليدرّبه على استقبال رسالته و لقاء جبريل بها، ثمّ نزل عليه الوحى عيانا فى ليلة القدر تحقيقا لما مرّ به من رؤيا مناميّة.

فلمّا نزل القرآن الكريم، و ورث النّاس عن النّبيّ أحاديثه فی هذا و فی كلّ شأن من

(۱)- إِنَّ هذا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولى صُحُفِ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۳۲

شئون الرّسالة، و حفظ النّاس ما رووه منثورا بينهم، و جاء عهد الجمع و التّدوين الواسع للسّنّة النّبويّة فی آخر القرن الأوّل الهجریّ، لم يكن من الصّحابة إلّا الرّواية للأحاديث على ما ثبت لديهم، و لم يتردّدوا فی الأخذ بها مطمئنّين إلى صحيحها، و فاهمين لتوجيهها، و التّوفيق بين ما يبدو من ظاهرها متعارضا. ففهم البعض فيما بعد أنّ نزول القرآن كان مناما.

و من البعيد فی نظر العقل أن يكون المنام مع التّصديق به و تحقّقه و اعتباره وحيا صادقا، مصدر نزول القرآن الّذی قصد به أن يكون دستور الحياة إلى نهايتها، و قصد به أن تكون تلاوته عبادة مشروعة، و أن يكون التّدبّر فيه كذلك عبادة، و قصد به مع هذا كلّه تحدّی خصومه، أن يأتوا بسورة مثله.

بعيد فی نظر العقل، أن يكون المنام مصدرا لكلام أخّاذ يتأثّر به غلاظ القلوب، بل يتأثّر به الجنّ و يؤمنون، و يعلنون لقومهم إعجابهم بما سمعوا منه، و يدعونهم إلى التّصديق به مطمئنّين إلى أنّه كلام اللّه و لا جرم.

و فی ذلك آيات كثيرة لم تعلق بواحدة منها شبهة. آية ۲۹- ۳۲ سورة الأحقاف، و آية ۱- ۲ سورة الجنّ.

و عجيب هذا؛ لأنّنا لم نسمع عن رسول سابق أنّه تلقّى رسالته مناما، و كثيرا ما يصرّح القرآن بأنّ سنّة اللّه فی إرسال رسله واحدة، و لكنّ النّاس فی شبهاتهم يجادلون فی الأمر العيانی المشاهد، و إذا كانوا يجحدون المعجزة المشاهدة لهم، فهل كان يقنعهم المنام مهما كان أكيدا؟.

و ما كانت حكمة اللّه تأذن ببعث رسله مناما؛ ليفتح بها باب المنازعة و الشّبهة على أنبيائه المبعوثين ليقرعوا الباطل بالحقّ الصّراح؟ لم يبق غير أنّها شبهة واهية، نشأت من أساليب الرّواية للأحاديث، و عدم تمحيصها بعقول المجادلين.

ثمّ هی لا تستحقّ أن تكون رأيا نركن إليه، أو نقيم له أیّ اعتبار.

على أنّ الله سبحانه أعفانا من نقاشها بما بيّنه فی آيات كثيرة من إنزاله فی ليلة كذا و فی شهر كذا على نحو ما سلف.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۳۳

شبهة ثالثة

زعم قائلون: أنّ القرآن نزل بمعناه لا بلفظه، و أنّ النّبیّ عليه الصّلاة و السّلام عبّر عن المعنى بلفظ من عنده.

و كلّ ما قامت عليه تلك الشّبهة العمياء جملة واحدة نزلت فی القرآن تفيد نزول جبريل بالقرآن على قلب محمّد صلوات اللّه عليه و سلامه آية ۱۹۳- ۱۹۵ الشّعراء «۱».

فهم يقولون: إنّ النّزول على القلب لا يعدو أن يكون وحيا بالمعنى لا باللّفظ، مع أنّ الآية نفسها تصرّح بأنّ النّزول كان بلسان عربیّ مبين، فعجيب أن يتلمّسوا الشّبهة فی جملة محتملة لا نصّا، ثمّ يتعاموا عن بقيّة الآية، و عن عشرات من الآيات الأخرى الصّريحة فی التّنصيص القطعیّ على أنّه قرآن عربیّ بلسان عربیّ. الخ.

فهل اللّسان معنى نزل به الوحی على القلب؟ أو هل اللّغة الّتی تجری على جارحة اللّسان فی منطقه؟

كثرت الآيات النّاطقة بعربيّة القرآن فی أسلوبه المنزل به حتّى بلغت عشر آيات أو أكثر، و أكثر ما ترى هذا الوصف فی فواتح السّور.

و لعلّ حكمة الإكثار منه فی الفواتح تنبيه القارئ و السّامع و النّاس جميعا عند البدء فی تلاوة السّورة على نزول القرآن بلفظه المعجز،

کما تلاه علیهم الرّسول و بلّغه، و تواتر عنه تواترا لم یدع أثارة للاشتباه فی ذلک. و ممّا یعزّز هذا الفهم أنّ تلک الفواتح مقرونة بذکر الکتاب، أو القرآن غالبا للإشادة به.

و لو لا وضوحها و کثرتها فی أوائل السّور و فی ثنایا القرآن، لذکرنا شیئا منها للاستشهاد به، و لکن هذا شأن بلغ من الوضوح و الیقین مبلغ ما تراه العین و تلمسه الید.

أمّا نزول القرآن علی قلب محمّد فمعناه تمکینه من وعیه و من تعقّله، و التّثبت علیه لا مجرّد إخبار به، ثمّ ترکه للنّسیان، کما هو الشّأن غالبا فی أحوال الإنسان.

و فی القرآن نفسه ما یقرّر هذا التّوجیه فی سورة الفرقان رقم (۲۵) آیة (۳۲) ثمّ فی

---

(۱)- نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۳۴

سورة الأعلی رقم (۸۷) آیة (۶) «۱».

و لو کانت هذه الشّبهة من غیر المسلمین لقلنا: أنّها نفثة الحقد و الخصومة، و لکنّ العجیب أنّ المتحدّثین بها أفراد منّا، یقرءون القرآن و لا یعجبهم إلّا أن یطالعونا بالجدید الغریب تقلیدا للملاحدة.

أمّا نزول الوحی علی قلب محمّد، و تعبیره عنه بلفظه هو، فذلک شأن السّنّة فقط، و نعنی بها الأحادیث النّبویّة، فإنّها وحی لا ینطق فیها النّبیّ عن الهوی و التّعبیر من عنده، و لذلک لم تکن ألفاظها للتّلاوة کألفاظ القرآن، و لذلک أیضا جازت روایة الحدیث بمعناه لا بلفظه. و هذا غیر جائز فی القرآن، فإنّ لفظه لا یروی إلّا بنصّه القرآنیّ، و طبعا هذا بالنّسبة لعباراته، أمّا فی معانیه و تفسیراته فلا مانع إطلاقا من سوقها بکلام من عندنا؛ لأنّ ذلک غیر قرآن.

و هناک أحادیث قدسیّة- و هی ما ینزل بها الوحی عن اللّه بلفظها و معناها- فالتّعبیر عنها کذلک لا یکون بلفظ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، بل بلفظها النّازل عن طریق الوحی، و من أجل هذا میّزوها باسمها الخاصّ «أحادیث قدسیّة»، و مثالها: «یا عبادی إنّی قد حرّمت الظّلم علی نفسی، فلا تظالموا ...».

و فوق ما تقدّم لو کان القرآن بلفظ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم لما تکرّر وصفه بأنّه آیات مفصّلات و آیات بیّنات، و لا وقع العجز من خصومه عن مضاهاته و لو بقلیل مثله، فإنّ محمّدا عربیّ منهم، و إذا عجز بعضهم لأمکن لجمع منهم أن یتضافروا علی شیء لیسقطوا حجّته علیهم، و یشفوا أنفسهم بالقلیل ممّا أتوا به.

و لکنّ العجز لازمهم قدیما و حدیثا، حتّی شهدت الدّنیا فی عصورها المترادفة، بأنّ القرآن لا یزال معجزا لقومه، و ذلک حجّة علیهم و علی سواهم ستظلّ قائمة.

و سیظلّ کذلک کما تحدّث اللّه و قرّر سبحانه، أنّ الإنس و الجنّ عاجزون عن مضاهاته و لو کان بعضهم لبعض ظهیرا.

و کما بلغ القرآن شأوه فی الکمال فی أسلوبه و موضوعاته، کان مبلغه من القوّة

---

(۱)- کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۳۵

و الرّوعة فی التّحدّی؛ إذ لم یستغرق التّحدّی سورة مطوّلة من سوره، و لم یکن فی مقام فسیح من آیاته، بل تحدّاهم فی أربعة مواضع موجزة؛

الأوّل: فی سورة الإسراء آیة (۸۸): قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلی أَنْ یَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا یَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ کانَ بَعْضُهُمْ

لِبَعْضٍ ظَهِيراً.

لم تكن هذه آخر آية نزلت من القرآن، حتّى يكون التّحدّى بالقرآن كلّه، فضلا عن كون السّورة مكّيّة، و التّحدّى بها كان فى عنفوان الخصومة من قريش فى مكّة، فيكون ظاهرا أنّ المراد من القرآن فى هذا الأوان هو ما كان قد نزل و تسامعوا به لا كلّه.

فإذا لوحظ أنّ هـذا التّحدّى مقصود منه التّحدّى بشـىء من جنس هذا القرآن الّذى ينزل، و بهذا القدر المحدود الّذى نزل، و أنّه كان موجّها إلى الإنس و الجنّ متعاونين فى تضامن مفروض، تبيّن ما هنا من شموخ للقرآن، و استهانة بخصومه، و ازدراء بقولهم.

و تركهم أمام هذه السّخريّة الفاضحة لشأنهم.

الثّانى: فى سورة هود عليه السّـلام آية (۱۳): أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ، قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ، تكون أشبه به فى خصائصه الّتى تسمعونها، و تدركونها بفطرتكم العربيّة.

و لكم أن تستعينوا فى محاولتكم بمن يتاح لكم جمعه من خلق اللّه جميعا. و هو لم يشترط عليهم سورا طوالا تشبه بالقرآن، و حسبهم أن يأتوا بسور و لو من قصاره؛ لتصدق دعواهم أنّه من عمل محمّد.

و واضـح أنّ التّحـدّى هنا شديد؛ لأنّه اقتصد فى العدد إلى عشـر سور فقط، و لم يجعله متعلّقا بأكثر، و لأنّه أفسح مجال الاسـتعانة بكلّ مخلوق من إنس و جنّ و سواهما، و كان فى الأوّل يتحدّى الإنس و الجنّ فقط.

الثّالث: فى سورة يونس عليه السّلام آية (۳۸): أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ .. و هذا أشدّ من سابقة؛ لأنّه نزل فى العدد إلى سورة واحدة و لو قصـيرة، و يترك لهم الفسـحة فى الاسـتعانة بمن يسـتطيعون كذلك من خلق اللّه جميعا، و لو من غير الإنس و الجنّ من عجماوات و جماد، ممّن لم يتعلّق بهم تكليف إن فرض ذلك.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۳۶

الرّابع: فى سورة البقرة آية (۲۳): وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُـهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ. و كان هـذا الأخير فى المدينـة، و فيه إيحاء بأنّ عجزهم دائم، فإنّهم لم يسـتطيعوا ذلك أيّام صولتهم فى مكّـة، فهل يطمعون فى ذلـك بعـد أن وهنت قواهم، و ساورهم اليأس من مغالبـة الـدّعوة، و قـد أصبـح لها فى المدينـة أنصار أقوياء و أوفياء بالعهـد للّه و لرسوله؟ و لئن كـان فى المدينـة من يكـذّب من أهـل الكتـاب و المنافقين، فإنّ التّحـدّى يواجههم كـذلك؛ إذ عجزت قريش صاحبة اللّسان العربىّ الّذى نزل به القرآن، فهل يطمع فى ذلك من دونهم لسانا و صلابة فى العناد؟

ثمّ إنّ الإيحاء بالعجز الدّائم يجىء صـريحا فى الآية ناعيا عليهم ما مضـى، و مؤيسا لهم ممّا يأتى، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكافِرِينَ «۱»، أى لم تفعلوا من قبل، و لن تستطيعوا أن تفعلوا بعد فمصيركم إلى خلود فى النّار.

و يلاحظ أنّ التّحدّى أوّلا كان على لسان محمّد صلّى اللّه عليه و سلم: قُلْ فَأْتُوا. أمّا فى البقرة فإنّه من جانب اللّه تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا، فانظر إلى التّعبير مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فهذا غاية التّأييد لمحمّد و كتابه، و غاية التّحقير و الإقناط لأولئك: و لن يفعلوا، و بهذا تمّت كلمة ربّك فى التّحدّى، و صدق اللّه وعده.

و لقد اشـتمل القرآن كذلك فى سياقه العام للتّحدّى على كلمات قصار لم يفهمها أهل اللّغة و فحولها، و هى من صميم الحروف الّتى تدين لألسنتهم و بلاغتهم، و لديك أوائل السّور الم، طسم، حم و هكذا.

فلو كان القرآن من تعبير محمّد لكان فهم هذا المتشابه فى مقدورهم، و لكنّهم عجزوا عن مجرّد الفهم، كما عجزوا عن الإتيان بشـىء مثله. و مع هذا كلّه يطلع علينا- و من بيننا- من يسفّه بأنّ القرآن من لفظ محمّد و تعبيره، و هو إرجاف أشبه بقول الكافرين: إنّ القرآن كلّه من وضع محمّـد، أو يقول نفر منهم: إنّ محمّـدا تعلّم القرآن من ذلك الصّانع اليهودىّ أو النّصـرانىّ، الّـذى كان محمّد فى صباه يقف أحيانا لدى مصنعة؛ ليرى صناعته للسّلاح فى

(۱)- البقرة/ ۲۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۳۷

مكّة، و هى الشّبهة الّتى حكاها القرآن عن قولهم: إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ثمّ نفاها اللّه تعالى:

لِسانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ «۱».

فإن يكن هذا من الكافرين تكذيبا صراحا لسماويّة القرآن، فقريب منه و أشبه به ذلك التّشكيك الّذى لا يلوكه لسان يتحرّج من الخطأ و الافتراء على اللّه و كتابه و رسوله.

شبهة رابعة

تعلّقت حكمة اللّه بالقرآن أن يكون بلسان عربىّ، و أن تكون الدّعوة به للنّاس كافّة.

و قديما تحدّث فريق من المعاندين لدعوة الإسلام، فقالوا: كيف تكون دعوة الإسلام عامّة، و تكون لغة القرآن عربيّة فقط، من أنّ فى النّاس جماهير لا يعرفون لغته، و لا يمكنهم أن يعرفوا دعوة الإسلام إلّا إذا كان القرآن بلغة أعجميّة؟

و اللّه تعالى يدحض هذه الشّبهة، و يكشف لأولئك المعارضين ما يعلمه من خباياهم، فيقول سبحانه: وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ؟ يعنى لو نزل القرآن بلغة أعجميّة لاعترض هؤلاء العرب المعترضون، و قالوا: ليته نزل بآيات مفصّلة على لغتنا لنستطيع فهمه حقّا. فالضّلالة عالقة بهم، سواء أ كان القرآن بلغته العربيّة كما جاء مفصّلا أم كان بلغة أعجميّة أخرى، كما يتعلّلون فى إعراضهم عنه.

و هذا شأن يعلمه اللّه فى خلقه المعاندين، و إن لم يعلموه عن أنفسهم، أو يعلمونه و يحاولون تجاهله و التّستّر بالمعاذير المكشوفة. فضلا عن أنّه لا يتأتّى فى تنسيق الحكمة الإلهيّة، و لا يكون مستساغا عقلا، و لا ممكنا عادة، أن يكون الرّسول عربيّا و كتابه بلغة أعجميّة غير لغته و لغة قومه المبعوث فيهم أوّلا.

ثمّ لو جاز فى تقدير اللّه أن يكون القرآن أو بعضه أعجميّا لكانت لهم محاولة جدليّة أخرى و هى قولهم: (أ أعجمىّ و عربىّ)، يعنى أ يكون القرآن أعجمىّ اللّغة و الرّسول المبعوث به عربيّا؟

و هذا فضلا عن استحالته، فإنّ مجرّد تصوّره و لو فرضا مخالف لسنن اللّه فى رسالاته

---

(۱)- النّحل/ ۱۰۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۳۸

الأولى، و لما تقضى به الفطرة من تمام التّجانس بين الرّسول و قومه؛ ليتوافر الألف، و ليكون الرّسول معروف المناقب فيهم أكثر ممّا لو كان غريبا عليهم. كما أنّ اللّه لم يجعل الملائكة رسلا إلى النّاس؛ لعدم التّجانس بين الجانبين.

فالمسألة من جانبهم مسألة معارضة، و ما كانت معارضتهم مقطوعة لو نزل القرآن أعجميّا، كما أعلمنا اللّه من شأنهم.

ثمّ ما هى اللّغة الأعجميّة الّتى كان يختارها اللّه للقرآن مفردة، أو مع العربيّة؟ اللّغات الأعجميّة لا حصر لها، و هى متباينة فى مفاهيمها و ضوابطها، فأيّة لغة تكون أولى من سواها مع الاضطراب بينها جميعا؟

هذا تفنيد لما يدور، و هو متوقّع من أباطيلهم، أو من أباطيل غيرهم بعد، فالقرآن عربىّ، و حكمة اللّه لا تخضع لأمانىّ النّاس و تخيّلاتهم. و إنّما النّاس هم المأخوذون بالاقتناع، و الاطمئنان إلى الحقّ إن أرادوا بأنفسهم خيرا وَ لَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْواءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ «۱».

و عروبة القرآن فى لفظه لا- تمنع من بلوغ دعوته بأىّ لسان آخر، كما عاش النّاس على التّفاهم بالوسائط الأخرى فى تجارتهم و تجاورهم، و فى شئونهم الاجتماعيّة عامّة.

و لغة العرب ليست شرطا للدّخول فى الإسلام، و قد دخلته أمم غير عربيّة دون أن تعوقها لغة، و بقيت و ستبقى لغة الكتاب واحدة؛ ليجمع النّاس تحت رايته فى عقيدة واحدة، و لتكون وحدة اللّغة هاتفة بالمسلمين أن يتكتّلوا حول القرآن الّذى هو إمامهم جميعا، و منبع حياتهم و عبادتهم دون تعريضه لهزات عنصريّة. و سنعرض لهذا التّوجيه عند الكلام على التّرجمة أخيرا.

و فى الحقّ، أنّ هذه الشّبهات كان يتّخذها الحانقون على الإسلام معاول فى هدمه أو الخدش من بنيانه الشّامخ الّذى يتصاعد يوما فيوما. و ما ندرى سببا جدّيّا يحمل نفرا من المعاصرين المنتمين لهذا الدّين فى عداد أهله، على إثارة هذه الشّبهات باسم البحث العلمىّ. و ما هى- فى اعتبارنا- إلّا محاولات يتقرّبون بها إلى جهات معادية لدين اللّه

---

(۱)- المؤمنون/ ۷۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۳۹

الحقّ. و كأنّ فى يدها من العطاء ما يرضى أصحاب الشّهوات و الأهواء على حساب القرآن.

و لكن يشاء ربّك أنّ كلّ بادرة من بوادر العداء للإسلام و كتابه و رسوله تكون فى نهايتها وسيلة من وسائل الهزيمة على أصحابها، و تكون فى حقيقتها سلاحا فى أيدى المؤمنين يهدمون به باطل المبطلين. و ستظلّ راية الإسلام خفّاقة، و رسالته محرجة لصدور أعدائها، و سيدوم القرآن فى سلطانه مزعجا لهم، و لو كانوا أصحاب قوّة ماديّة.

و حكمة اللّه قائمة على أنّ الباطل يخدم الحقّ عن غير قصد و لا رغبة، بل على النّقيض من رغبته و قصده، وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ «۱».

و القرآن بعد ذلك كلّه فى غير حاجة إلى تنويها عنه، أو الإشادة به، فقد تكفّل اللّه بصيانته و غلبته، و جعل قوته من ذاته و حقيقته، لا من دفاعنا عنه- و إن كان الدّفاع فرضا- و سيبقى القرآن شاهدا لنفسه بأنّه كتاب اللّه الحقّ لا يَأْتِيهِ الْباطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ «۲».

تهافت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم على نزول القرآن و على تلقّيه حين الوحى

۱- كان النّبىّ (صلوات اللّه عليه و سلامه) يتشوّق كثيرا إلى نزول القرآن فى غير إمهال؛ لما يشوّقه من الصّلة بربّه، و من تجلّيات فضله على عبده، و لما يزداد به من علم و هداية، حتّى أنّ الوحى بعد نزوله بسورة العلق تريّث فى النّزول مدّة استطالها النّبىّ، و خشى من طول انقطاعه، خصوصا أنّ قريشا شمتت فيه، و زعمت أنّ إله محمّد الّذى أوحى إليه قد هجره.

فكان لله تعالى توجيه لرسوله إزاء ما يخشاه من فترة الوحى، و ردّ على قريش فى شماتتها؛ إذ أنزل اللّه على عبده سورة الضّحى يقسم اللّه فيها لرسوله بأنّ ربّه ما ودعه و لا

---

(۱)- الصّفّ/ ۸.

(۲)- فصّلت/ ۴۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۴۰

هجره، و أنزل عليه فى سورة أخرى أن يتأنى فى انتظار الوحى، و لا يخشى تريّثه، لأنّ إنزاله منوط بحكمة اللّه فى اختيار المناسبة و الزّمن و ما يشاء اللّه تنزيله من آيات، و غرس فيه الأمل بأنّ الوحى موصول إلى مداه، و كلّفه أن يدعو ربّه؛ ليزيده من العلم «۱».

۲- كذلك كان النّبىّ (عليه الصّلاة و السّلام) يحرص الحرص الشّديد على تلقّى الوحى بسرعة من جبريل حين يتلوه عليه، مخافة أن يفلت منه شىء لا يعيه، أو ينساه إذا تريّث، أو ينسى ترتيبه فى النّسق، خصوصا أنّه يعتمد على السّماع و الحفظ دون كتابة.

فعلّمه اللّه كذلك أن يظلّ مصغيا إلى نهاية جبريل من تبليغ ما يبلغه، و وعده اللّه أن يثبّته على الحفظ، و أنّه سيجمع له القرآن إلى بعضه دون تشتيت لشىء منه، و أمره أن يقرأ بعد قراءة جبريل.

و وعده بجانب ذلك كلّه أن يبيّن له ما فى الكتاب من أحكام و توجيهات «۲»

و فى التّوجيه إلى التّيأنّى فى انتظار الوحى، و فى التّلاوة بعد جبريل ملاءمة لما رسم اللّه فى نزول القرآن على نجوم متفرّقة، لا دفعة واحدة، و لما رسم اللّه فى تدرّج التّشريع رويدا رويدا.

فضلا عن تكفّل اللّه لرسوله بأنّه سيجمع له القرآن إلى بعضه، دون إجهاد لنفسه، ففى ذلك تعزيز لمقام الرّسول أمام خصومه، و تأييد له فى كلّ ما هو بسبيله. و لعلّ فى ذلك التّوجيه كلّه تعليما لنا أن نأخذ الأمر بالحكمة، و إلّا نتعجّل القدر فى شئوننا.

هذا، و قد صدق اللّه وعده لرسوله فجمع له القرآن، و ثبّته على حفظه، و بيّن له أحكامه، و اللّه تعالى لا يخلف وعده. (ص: ۲۱- ۴۲)

---

(۱)- وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً طه: ۱۱۴.

(۲)- لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ القيامة: ۱۶- ۱۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۴۱

الفصل السّادس و الخمسون نصّ الأشيقر فى «لمحات من تاريخ القرآن»

نزول القرآن

نزل القرآن الكريم على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله نجوما «منجّما» فى مدّة (۲۳) سنة؛ استنادا على بقاء و إقامة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله فى مكّة قبل البعثة مدّة (۱۳) سنة «۱»، و إقامته بالمدينة (۱۰) سنوات. و قيل نزل فى أقلّ من ذلك، و فى مدّة (۲۲) سنة و (۶) أشهر و (۲۲) يوم «۲» ... [إلى أن قال:]

أشرنا فى مطلع هذا الفصل إلى أنّ القرآن نزل نجوما، أى متفرّقا و دفعة، فكيف يمكن يا ترى أن نوفّق بين ذلك القول و بين ما جاء بقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۳»، و قوله سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۴»؟

---

(۱)- و فى هذا المعنى قال الشّاعر:

ثوى فى قريش بضع عشرة حجّةيذكر لو يلقى صديقا مواتيا

(۲)- «الإتقان فى علوم القرآن»- جلال الدّين السّيوطىّ.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

(۴)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۴۲

إنّ الجواب على هذا التّساؤل هو أنّ المقصود من الآيات الكريمة المتقدّمة الذّكر هو أنّ اللّه سبحانه كان قد أنزل القرآن جملة واحدة و فى ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، أنزله من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة من السّماء الدّنيا، ثمّ نزلت الآيات من المكان

الأخير تباعا و متفرّقة على صدر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله، و بحسب الحاجة و الطّلب و طيلة مدّة بعثته صلّى اللّه عليه و آله، و بالكيفيّة الّتى سنشير إليها فى الأسطر التّالية.

قلنا آنفا و نكرّره هنا بإسهاب بأنّ القرآن الكريم لم ينزّل على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله من السّماء الدّنيا جملة واحدة و دفعة واحدة، لأنّه لو فرضنا جدلا أنّه نزّل على هذا الشّكل (جملة واحدة) لتحوّل عاجلا إلى كلمة مقدّسة ساكنة، و فكرة هادئة و مجرّد وثيقة دينيّة، و ليس مصدر و سبب لبعث الأمل و الحياة فى الفكرة النّاشئة و الدّعوة الجديدة.

أجل، لم ينزّل القرآن جملة واحدة على صدر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله، و إنّما نزوله هذا كان متفرّقا و دفعة دفعة؛ لأسباب عديدة سنشير إليها بالتّعاقب، منها تسهيل حفظ القرآن، و ليكون أقرب للفهم و القبول، و كان نزوله نجوما حسب مقتضيات حوادث المجتمع الإسلامىّ، لذا سمّيت هذه الحوادث بأسباب النّزول «۱»، نحو جواب على بعض الأسئلة و الاستفسارات الّتى يسأل عنها الرّسول الأمين، أو بيان لأنواع التّكاليف الدّينيّة، و الإخبار عن الحوادث و الأحداث السّابقة، أو الإشعار عن المغيبات و الوقائع القادمة، مضاف إلى ذلك أنّ نزوله كان يراعى فيه الحاجات المتجدّدة، و وفق النّموّ المطّرد فى الأفكار و التّصوّرات، و النّموّ المطّرد فى المجتمع و الحياة، و وفق المشكلات العمليّة الّتى تواجهها الجماعة المسلمة فى حياتها الواقعيّة. «۲» فضلا عن أنّ نزوله بهذا الطّريق كان يبتغى منه العزاء العاجل لكلّ ألم أو مصيبة تلمّ بالرّسول و آله و أصحابه، و الجزاء لكلّ تضحية، و الأمل لكلّ هزيمة، و الدّرس لكلّ نصر، و الجهد لكلّ عقبة، و أسباب التّشجيع لكلّ خطر أو عقبة.

و نشير هنا إلى أنّ قليلا ما كانت تنزل الأحكام مبتدئة بغير سؤال من أحد المسلمين،

---

(۱)- تاريخ التّشريع الإسلامىّ- الشّيخ محمّد الخضرىّ.

(۲)- معالم فى الطّريق- سيّد قطب.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۴۳

أمّا الأحكام الّتى أنزلت بدون حادث أو سؤال فهى آيات تقلّ كثيرا جدّا عمّا جاء إجابات على أسئلة متّصلة بأحداث معيّنة.

هذا و لو لا أنّ الحكمة الإلهيّة و الرّغبة الرّبانيّة آثرت نزول القرآن إلى الأرض منجّما بحسب الوقائع و المناسبات، لأهبطه اللّه على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله جملة واحدة كأغلب الكتب الدّينيّة المنزلة من قبل، و لكنّ اللّه تعالى اختص و ميّز القرآن عنها، فجعل له الحسنيين فى إنزاله جملة واحدة إلى سماء الدّنيا، ثمّ إنزاله من الأخيرة إلى الأرض مفرّقا، و كلّ ذلك تشريفا و تكريما منه تعالى للمنزّل عليه و المنزّل به.

و يمكّننا بعد كلّ هذا من إجمال و حصر كافّة الأسباب الحقيقة فى نزول القرآن منجّما على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله فى نقاط معدودة؛ ليتاح للقرّاء حفظهما عند اللّزوم، و هذه الأسباب هى:

۱- إنّ نزول القرآن منجّما هو من أجل أن يقوى قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله عند محاجّة قومه و تحدّيهم بأن يأتوا بمثله؛ لأنّ الوحى إذا كان يتجدّد فى كلّ حادثة و فى كلّ واقعة كان أقوى و أثبت للقلب، و أشدّ عناية و رعاية بالمرسل إليه.

۲- إنّ نزوله مفرّقا و شيئا فشيئا هو أقرب و أسهل للحفظ و الاستظهار و التّدوين فيما إذ أهبط جملة واحدة.

۳- آثر اللّه سبحانه أن يكون هناك ناسخ و منسوخ، و لا يمكن أن يتصوّر وجود و حصول هذا الشّىء بدون أن ينزّل القرآن متفرّقا.

۴- تطلّبت الحكمة و أساليب الدّعوة بأن يكون من القرآن أجوبة لاستفسارات، و بيان لحوادث و وقائع، و إنكار على قول؛ ليكون أقرب للقبول و أبعث لليقين، و لا يكون ذلك إلّا إذا جاء القرآن دفعة دفعة، و أثر كلّ استفسار، و بعد كلّ قول و طلب.

۵- إنّ فى التّفريق رحمة و لطفا بالعباد، فلو نزل القرآن دفعة واحدة لثقلت عليهم التّكاليف و الأعباء، فتنفر لذلك قلوبهم، و ترفض نفوسهم عن قبول كافّة الأوامر و النّواهى فى آن واحد و دفعة واحدة؛ لذا جاء التّشريع متدرّجا تبعا لنزول القرآن و هبوطه متفرّقا و

نجوما.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴۴

و بصدد عدد و کمّیة الآیات الّتی کانت تنزل فی کلّ دفعة علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله فالحقّ أنّها کانت تنزل نجوما الآیة الواحدة و الاثنان و الأکثر، و تارة قد تنزل سورة بجملتها کما فی سورة الفاتحة و المدّثّر و الأنعام، و الأخیرة یقال عنها: إنّها نزلت کلّها فی مکّة دفعة واحدة، عدا ثلاث آیات منها نزلت فی المدینة المنوّرة.

و القاعدة العامّة هنا بخصوص نزول السّور کاملة هو أنّ کلّ سورة یتّحد موضوعها أو تتداعی موضوعاتها تداعیا کبیرا، و یستلزم فیها فسق معیّن، فیرجح أنّها نزلت جملة واحدة، بینما نجد أنّ السّور الّتی تختلف موضوعاتها و تتباعد و لا تتداعی، و لا تلتزم بآیاتها نسق معیّن فیرجح نزولها منجّمة.

و سور القرآن بالنّظر إلی اختلاف عدد آیاتها ثلاثة أقسام: «۱»

۱- قسم لم یختلف فیه إجمالا و لا تفصیلا.

۲- قسم اختلف فیه تفصیلا لا إجمالا.

۳- قسم اختلف فیه تفصیلا و إجمالا.

کما و قیل بصدد عدد و کمّیّة الآیات المنزلة أنّه صحّ نزول بعض آیة علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله «۲»، کما فی قوله تعالی: غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ «۳»، و کذلک قوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ عَیْلَةً «۴»

و هکذا علی التّرتیب المتقدّم کان نزول الآیات علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله، حتّی کملت الشّریعة الغرّاء بتمام نزول القرآن.

و قد استعمل القرآن فی أسلوبه و بیانه الحقیقة و المجاز، و العموم و الخصوص، و الإطلاق و التّقیید، و التّصریح و الکنایة، و الإیجاز و الإسهاب، علی نمط العرب فی لغتهم، مع علوّه علی اللّغة العربیّة بفنونه و بلاغته و علومه و قصصه. (ص: ۴۳ و ۴۹- ۵۳)

---

(۱)- تاریخ القرآن- إبراهیم الأبیاریّ.

(۲)- مباحث فی علوم القرآن- الدّکتور صبحی الصّالح.

(۳)- النّساء/ ۹۵.

(۴)- التّوبة/ ۲۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴۵

الفصل السّابع و الخمسون نصّ الشّیخ خلیل یاسین (م: ۱۴۰۵ ه) فی «أضواء علی متشابهات القرآن»

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ... البقرة/ ۲۳

لما ذا قال نَزَّلْنا و لم یقل «انزلنا»؟

لأنّ المراد نزوله تدریجا و نجوما؛ لأنّهم کانوا یقولون: لو کان هذا من عند اللّه مخالفا لما یکون من عند النّاس، لم ینزّل هکذا نجوما، سورة بعد سورة و آیات بعد آیات؟

و الإنزال إنّما یکون جملة واحدة، و المقصود منه إنزاله عن مقرّه الأولی من اللّوح المحفوظ إلی سماء الدّنیا، ثمّ نزّله علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله نجوما و دفعات و لذا قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، معناه أنزلناه دفعة واحدة لا نجوما. (۱: ۳۱)

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

هلّا أنزل القرآن الکریم جملة واحدة و دفعة واحدة کما أنزل التّوراة و الإنجیل و الزّبور؟

إذا کان الوحی یأتی متجدّدا فی کلّ حادثة و کلّ أمر و کلّ مناسبة، کان ذلک أقوی لقلب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و أزید فی بصیرته، و ذلک معنی قوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ. و أیضا

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴۶

فإنّ فی القرآن النّاسخ و المنسوخ، و فیه ما هو جواب لمن سأله عن أمور، و فیه ما هو إنکار لما کان، و فیه ما هو حکایة شیء جری، فاقتضت الحکمة إنزاله متفرّقا.

کیف تقول نزل متفرّقا تبعا للظّروف و المناسبات، و آیة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ تکذّب ذلک، فإنّها یظهر منها أنّه نزل جملة واحدة؛ لأنّ الهاء فی قوله: أَنْزَلْناهُ کنایة عن القرآن؟

أنزل اللّه سبحانه القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا فی لیلة القدر، و تسلّمته الکتبة من الملائکة فی السّماء، ثمّ أخذ ینزّله جبرئیل علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله نجوما و مدّة إنزاله نجوما ثلاث و عشرون سنة.

ما معنی قوله تعالی لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ، أ کان یخشی اللّه علی قلب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله أن یدخله الرّیب و الشّک، فأنزل القرآن متفرّقا لیزول ذلک عن قلبه؟

معنی ذلک لتزداد تثبیتا و اعتقادا، فإنّک تقول للرّجل الصّالح: أصلحک اللّه، و للمهتدی: هداک اللّه، أی زادک صلاحا و زادک هدی. (۲: ۶۷)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ .. الدّخان: ۲

کیف أنزل القرآن الکریم؟

أنزل جملة واحدة من السّماء السّابعة إلی السّماء الدّنیا، و أمر السّفرة الکرام بانتساخه فی لیلة القدر، و کان جبرئیل ینزّله علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله نجوما نجوما. (۲: ۲۰۰)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ القدر: ۱

هذه الآیة تدلّ علی أنّ القرآن أنزل جملة واحدة، إلّا أنّ الآیة (۳۲) من سورة الفرقان وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً تدلّ علی أنّه لم ینزل جملة واحدة.

یراجع کلامنا المفصّل حول الآیة (۳۲) من سورة الفرقان، [نقلناه آنفا].

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴۷

کیف کان ینزّل القرآن؟ و لما ذا أنزل فی لیلة القدر دون غیرها؟

أنزل اللّه القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الرّابعة فی لیلة القدر، ثمّ کان ینزّله جبرئیل إلی البیت المعمور علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله نجوما، و کانت مدّة إنزاله ثلاثا و عشرین سنة. و فی الحدیث الصّحیح أنّه نزل القرآن جملة واحدة إلی السّماء الرّابعة، ثمّ نزل فی طوال ثلاث و عشرین سنة، و أنزلت صحف إبراهیم فی أوّل لیلة من شهر رمضان، و أنزلت التّوراة لستّ مضین من شهر رمضان، و أنزلت الزّبور لثمانی عشرة خلون من شهر رمضان، و الإنجیل لثلاث عشرة منه، و أنزل القرآن لیلة ثلاث و عشرین منه. و إنّما أنزل فی لیلة القدر، إظهارا لشأنها بإنزاله فیها، و إعلامه منه سبحانه بما لها عنده من مکانة، و للعاملین فیها من

کرامة. (۲: ۳۳۰)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴۸

الفصل الثّامن و الخمسون نصّ الدّکتور صبحیّ الصّالح (م: ۱۴۰۷ ه) فی کتابه: «مباحث فی علوم القرآن»

تنجیم القرآن و أسراره

لقد شاءت الحکمة الإلهیّة أن یظلّ الوحی متجاوبا مع الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم یعلّمه کلّ یوم شیئا جدیدا، و یرشده و یهدیه، و یثبّته و یزیده اطمئنانا، و متجاوبا مع الصّحابة یربّیهم و یصلح عاداتهم و یجیب عن وقائعهم، و لا یفاجئهم بتعالیمه و تشریعاته،

فکان مظهر هذا التّجاوب نزوله منجّما «بحسب الحاجة»؛ خمس آیات، و عشر آیات و أکثر و أقلّ «۱». و قد صحّ نزوله عشر آیات فی قصّة الإفک «۲» جملة، و صحّ نزوله عشر

---

(۱)- و یقتصر بعضهم- کما یفهم من الرّوایات شتّی- علی نزول القرآن نجوما خمس آیات خمس آیات، لتیسیر حفظه علی المؤمنین فی کلّ جیل، أخرج البیهقیّ عن خالد بن دینار، قال: قال لنا أبو العالیة: تعلّموا القرآن خمس آیات، فإنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان یأخذه من جبریل خمسا خمسا. و یقرب من هذا ما أخرجه ابن عساکر من طریق أبی نضرة. بل ینسب إلی علیّ (کرّم اللّه وجهه) أنّه کان یقول: «أنزل القرآن خمسا خمسا إلّا سورة الأنعام، و من حفظ خمسا خمسا لم ینسه». لکنّ السّیوطیّ یصف القول الأخیر بضعف طریقه، و یری أنّ معناه- إن صحّ- إلقاؤه إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم هذا القدر حتّی یحفظه، ثمّ یلقی إلیه الباقی، لا إنزاله بهذا القدر خاصّة، النّبیّ. (الإتقان ۱: ۷۳)

(۲)- هذه الآیات العشر فی سورة النّور: ۱۱- ۲۱ و قصّة الإفک مشهورة فی کتب السّیرة و التّفسیر.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۴۹

آیات من أوّل المؤمنین «۱» جملة، و صحّ نزول غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ «۲» وحدها،- و هی بعض آیة- و کذا قوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ عَیْلَةً «۳» إلی آخر الآیة، نزلت بعد نزول أوّل الآیة «۴».

علی هذا المنوال ظلّ القرآن ینزّل نجوما؛ لیقرأه النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم علی مکث، و یقرأه الصّحابة شیئا بعد شیء، یتدرّج مع الأحداث و الوقائع و المناسبات الفردیّة و الاجتماعیّة الّتی تعاقبت فی حیاة الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم خلال ثلاثة و عشرین عاما علی الأصحّ، تبعا للقول بأنّ مدّة إقامته علیه السّلام فی مکّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، أمّا إقامته بالمدینة فهی عشر سنین اتّفاقا، فعن ابن عبّاس رضی اللّه عنه قال: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم لأربعین سنة، فمکث بمکّة ثلاث عشرة سنة یوحی إلیه، ثمّ أمر بالهجرة عشر سنین، و مات و هو ابن ثلاث و ستّین «۵». و قدّر بعضهم مدّة نزول القرآن بعشرین سنة، و بعضهم بخمس و عشرین، و بنوا هذا علی أنّ إقامته علیه السّلام بمکّة بعد البعثة کانت عشر سنین أو خمس عشرة سنة «۶».

و قد بدء نزول القرآن- کما قال الشّعبیّ:- فی لیلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی أوقات مختلفة من سائر الأوقات «۷». و الشّعبیّ یجمع فی هذا الرّأی بین قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۸»، و قوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ «۹»، و هو فهم سدید لا یتضارب مع إخبار اللّه بإنزال کتابه فی لیلة مبارکة، و فی شهر رمضان؛ إذ یکون المراد أنّه تعالی ابتدأ إنزاله فی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۱۰»، و وصف هذه اللّیلة بأنّها لَیْلَةِ الْقَدْرِ، و هی إحدی لیالی رمضان، کما فی قوله: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ

---

(۱)- من أوّل قوله: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ إلی قوله: الَّذِینَ یَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِیها خالِدُونَ المؤمنون: ۱- ۱۱.

(۲)- النّساء: ۹۵، و أوّل الآیة: لا یَسْتَوِی الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِینَ غَیْرُ أُولِی الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ.

(۳)- التّوبة: ۲۸، و أوّل الآیة: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِکُونَ نَجَسٌ فَلا یَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرامَ بَعْدَ عامِهِمْ هذا.

(۴)- الإتقان ۱: ۷۳.

(۵)- صحیح البخاریّ ۴: ۵۷.

(۶)- قارن بین «البرهان ۱: ۳۳۲» و «الإتقان ۱: ۶۸».

(۷)- البرهان ۱: ۲۲۸.

(۸)- القدر/ ۱.

(۹)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۱۰)- الدّخان/ ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۵۰

هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۱»، ثمّ استمرّ نزوله نجوما بعد ذلک، متدرّجا مع الوقائع و الأحداث.

و لسنا نمیل إلی الرّأی القائل: إنّ للقرآن تنزّلات ثلاثة؛ الأوّل: إلی اللّوح المحفوظ، و الثّانی: إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، و الثّالث: تفریقه منجّما بحسب الحوادث، و إن کانت أسانید هذا الرّأی کلّها صحیحة «۲»؛ لأنّ هذه التّنزّلات المذکورة من عالم الغیب الّذی لا یؤخذ فیه إلّا بما تواتر یقینا فی الکتاب و السّنّة، فصحّة الأسانید فی هذا القول لا تکفی وحدها لوجوب اعتقاده، فکیف و قد نطق القرآن بخلافه؟ إنّ کتاب اللّه لم یصرّح إلّا بتفریق الوحی و تنجیمه، و منه یفهم بوضوح أنّ هذا التّدرّج کان مثار اعتراض المشرکین الّذین ألفوا أن تلقی القصیدة جملة واحدة، و سمع بعضهم من الیهود أنّ التّوراة نزلت جملة واحدة، فأخذوا یتساءلون عن نزول القرآن نجوما، و ودّوا لو ینزّل کلّه مرّة واحدة. و قد ذکر اللّه اعتراضهم فی سورة الفرقان، و ردّ علیه: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۳»

علی أنّ القائلین بتنزیلات القرآن الثّلاثة لا یفوتهم- بعد بیان حکمة هذا التّعدّد فی أماکن النّزول «۴»- أن یشیروا إلی أسرار تنزّله الثّالث الأخیر منجّما بحسب الوقائع. و هذه الأسرار قد بلغت من الوضوح حدّا لا تخفی معه علی أحد، و لو لا أنّ الحکمة الإلهیّة ... [و ذکر کما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:].

---

(۱)- سورة البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- انظر الإتقان ۱: ۶۸. و یظهر أنّ الجمهور کان یجنح إلی هذا الرّأی، فالزّرکشیّ فی البرهان (۱: ۲۲۹) یقول فی هذا الرّأی: أنّه أشهر و أصحّ، و إلیه ذهب الأکثرون. و ابن حجر فی «فتح الباریّ» یصفه بالرّأی «الصّحیح المعتمد». و نحن مع ذلک لم نأخذ به؛ لمخالفته صریح القرآن، کما أوضحناه أعلاه.

(۳)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

(۴)- و خلاصة هذه الحکمة أنّ فی تعدّد النّزول و أماکنه مبالغة فی نفی الشّک عن القرآن، و زیادة للإیمان به و باعثا علی الثّقة فیه؛ لأنّ الکلام إذا سجّل فی سجلّات متعدّدة، و صحّت له وجودات کثیرة کان ذلک أنفی للرّیب عنه و أدعی إلی تسلیم ثبوته، و أدنی إلی وفرة الإیمان به ممّا لو سجّل فی سجل واحد أو کان له وجود واحد. الزّرقانیّ: مناهل العرفان (۱: ۳۹- ۴۰).

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۵۱

و یعنینا من أقوالهم تطلّعهم إلی أسرار التّدرّج فی نزول القرآن، فقد أوشکوا عند بلوغ هذه النّاحیة من البحث ألّا یترکوا مجالا لقائل بعدهم؛ إذ لاحظوا فی التّدرّج الحکمتین اللّتین أشرنا إلیهما، و هما تجاوب الوحی مع الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم، و تجاوبه مع

المؤمنین، و إن کان تعبیرهم عن ذلک یختلف قلیلا عن تعبیرنا.

و لتجاوب الوحی مع الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم صورتان؛ إحداهما: تثبیت فؤاده بما یتجدّد نزوله من القرآن بعد کلّ حادثهٔ، و الثّانیهٔ: تیسیر حفظ القرآن علیه. و قد أشار إلی الصّورهٔ الأولی أبو شامهٔ فی قوله: فإن قیل: ما السّرّ فی نزوله منجّما؟ .. [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و لقد راع القرآن خیال العرب و أخذ أسماعهم بما فیه من أنباء الرّسل مع أقوامهم، تتکرّر بصور مختلفهٔ، و أسالیب متنوّعهٔ، فتزداد حلاوهٔ کلّما تکرّرت، و لا غرض لها فی أکثر المواطن الّتی ذکرت فیها إلّا تثبیت قلب الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم و قلوب المؤمنین.

و نطق القرآن بذلک فقال: وَ کُلًّا نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ «۱»، ففی ذکر قصص الرّسل و تفریقه و تنویعه تقویهٔ لقلب الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم و عزاء له علی ما یلقاه من أذی قومه، و ما کان محمّد بدعا من الرّسل، فهم جمیعا عذّبوا و کذبوا و اضطهدوا حَتّی یَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِینَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللَّهِ «۲».

و هکذا ما انفکّ القرآن یتجدّد نزوله مهوّنا علی الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم الشّدائد، مسلّیا له مرّهٔ بعد مرّهٔ، محبّبا إلیه التّأسّی بمن قبله من الرّسل، یأمره تارهٔ بالصّبر أمرا صریحا فیقول: وَ اصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلًا «۳»، و یقول: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۴».

و ینهاه تارهٔ أخری عن الحزن نهیا صریحا، کما فی قوله: فَلا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنّا نَعْلَمُ ما یُسِرُّونَ وَ ما یُعْلِنُونَ «۵»،

---

(۱)- هود/ ۱۲۰.

(۲)- البقرهٔ/ ۲۱۴.

(۳)- المزّمّل/ ۱۰.

(۴)- الأحقاف/ ۳۵.

(۵)- یس/ ۷۵.

و قوله: وَ لا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّهَٔ لِلَّهِ جَمِیعاً هُوَ السَّمِیعُ الْعَلِیمُ «۱». و یعلّمه أحیانا أنّ الکافرین لا یجرحون شخصه فی نفسه، و لا یتّهمونه بالکذب لذاته، و إنّما یعاندون الحقّ بغیا من عند أنفسهم؛ لأنّهم شرذمهٔ من الجاحدین تکرّر فی کلّ عصر و جیل، کما فی قوله: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَیَحْزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ وَ لکِنَّ الظّالِمِینَ بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ «۲». و فی تفسیر هذه الآیهٔ یقول الحافظ ابن کثیر: یقول تعالی مسلّیا لنبیّه صلّی اللّه علیه و سلم فی تکذیب قومه له و مخالفتهم إیّاه: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَیَحْزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ، أی قد احطنا علما بتکذیبهم لک و حزنک و تأسّفک علیهم، کقوله تعالی: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَیْهِمْ حَسَراتٍ «۳»، کما قال تعالی فی الآیهٔ الأخری: لَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ أَلّا یَکُونُوا مُؤْمِنِینَ «۴»، فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً «۵»، و قوله: فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ وَ لکِنَّ الظّالِمِینَ بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ، أی لا یتّهمونک بالکذب فی نفس الأمر، وَ لکِنَّ الظّالِمِینَ بِآیاتِ اللَّهِ یَجْحَدُونَ أی و لکنّهم یعاندون الحقّ و یدفعونه بصدورهم «۶».

و تکرار نزول هذه الآیات المسلّیهٔ المعزّیهٔ المرشدهٔ إلی الصّبر الجمیل و الأسوهٔ الحسنهٔ، هو الحکمهٔ المقصودهٔ من إیراد أنباء الرّسل و قصّ قصصهم. و لو استمرّ اضطهاد المشرکین لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم و انقطع عنه الوحی المثبت لقلبه، فلم یتجدّد نزول الآیات المسلّیهٔ له، لشعر علیه السّلام بما یشعر به البشر فی هذه الحالات من استیلاء الحزن علی قلبه، و استبداد الیأس بنفسه، و اللّه لم ینهه عن الحزن و الحسرات و بخع النّفس و ضیق الصدر- کما رأینا- إلّا لأنّه بشر مثل سائر البشر، فی طبیعته استعداد لجمیع هذه الانفعالات النّفسیّهٔ، و قد انتبه إلی هذا المعنی السّیّد رشید رضا فی تفسیر قوله تعالی: وَ لَقَدْ کُذِّبَتْ

(۱)- یونس/ ۶۵. و قد ینهی اللّه رسوله عن الحزن علی الکافرین؛ لجحودهم و عدم إیمانهم، فیقول له: وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ کما فی سورة الحجر/ ۸۸ و النّحل/ ۱۲۶ و النّمل/ ۷۲.

(۲)- الأنعام/ ۳۳.

(۳)- فاطر/ ۸.

(۴)- الشّعراء/ ۳.

(۵)- الکهف/ ۶.

(۶)- ابن کثیر ۲: ۱۲۹. و قد ذکر هذه العبارة السّید رشید رضا فی تفسیر المنار/ ۷: ۷۲ م.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۵۳

رُسُلٌ مِنْ قَبْلِکَ فَصَبَرُوا عَلی ما کُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّی أَتاهُمْ نَصْرُنا «۱»، فقال: و الآیة تسلیة للرّسول صلّی اللّه علیه و سلم بعد تسلیة، و إرشاد إلی سنّته تعالی فی الرّسل و الأمم، أو هی تذکیر بهذه السّنّة و ما تتضمّنه من حسن الأسوة؛ إذ لم تکن هذه الآیة أوّل ما نزل فی هذا المعنی. ثمّ زاد هذه الفکرة وضوحا بقوله: و لو لا أنّ دفع الأسی بالأسی من مقتضی الطّبع البشریّ لما ظهرت حکمة تکرار التّسلیة بأمثال هذه الآیة، فإنّ النّبی صلّی اللّه علیه و سلم کان یتلو القرآن فی الصّلاة و لا سیّما صلاة اللّیل، فربّما یقرأ السّورة و لا یعود إلیها إلّا بعد أیّام یفرغ فیها من قراءة ما نزل من سائر السّور، فاحتیج إلی تکرار تسلیته و أمره بالصّبر المرّة بعد المرّة؛ لأنّ الحزن و الأسف اللّذین کانا یعرضان له صلّی اللّه علیه و سلم من شأنهما أن یتکرّرا بتکرّر سببهما و بتذکّره عند تلاوة الآیات الواردة فی بیان حال الکفّار و محاجّتهم و إنذارهم «۲».

و الصّورة الثّانیة لتجاوب الوحی مع الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم هی- کما ذکرنا- تیسیر حفظ القرآن علیه. و من العلماء من یری أنّ «تثبیت فؤاده» المذکور فی آیة الفرقان السّابقة لا یراد منه إلّا جمع القرآن حفظا فی قلبه، فإنّه علیه السّلام کان أمّیّا لا یقرأ و لا یکتب، ففرّق علیه لییسّر علیه حفظه، بخلاف غیره من الأنبیاء، فإنّه کان کاتبا قارئا، فیمکنه حفظ الجمیع إذا نزل جملة ... [ثمّ ذکر قول ابن فورک کما تقدّم عن الزّرکشیّ، فقال:]

و أمّا تجاوب الوحی مع المؤمنین علی عهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم ففی القرآن منه صور متنوّعة، و ألوان متباینة، تلتقی کلّها عند غایة واحدة، و هی رعایة حال المخاطبین، و تلبیة حاجاتهم فی مجتمعهم الجدید الآخذ فی الازدهار، و عدم مفاجأتهم بتشریعات و عادات و أخلاق لا عهد لهم بمثلها، و قد أشار إلی هذا مکّیّ «۳» فی «النّاسخ و المنسوخ»، حین لاحظ أنّ نزول القرآن أدعی إلی قبوله إذا نزل علی التّدریج، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة، فإنّه کان ینفر من قبوله کثیر من النّاس؛ لکثرة ما فیه من الفرائض و المناهی.

(۱)- سورة الأنعام/ ۳۴.

(۲)- تفسیر المنار ۷: ۳۷۷- ۳۷۸.

(۳)- هو مکّیّ بن أبی طالب حموش بن محمّد القیسیّ المقرئ، و أصله من القیروان، سکن قرطبة، کثیر التّألیف فی علوم القرآن و العربیّة. و توفّی سنة ۴۳۷، ینسب إلیه السّیوطیّ کتابا فی «النّاسخ و المنسوخ». (م)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۵۴

و یوضّح ذلک ما أخرجه البخاریّ عن عائشة قالت: إنّما نزل أوّل ما نزل ... [و ذکر کما تقدّم عن السّیوطیّ، ثمّ قال:]

و ظاهر کلام عائشة فی قولها هذا أنّها جمعت بین تحریم الخمر و تحریم الزّنی بالتّدریج، فیخیّل إلی السّامع أنّ تحریم الزّنی لم یتمّ إلّا

على مراحل كالخمر، و ليس ذلك بصحيح و لا هو مراد بنت الصّديق، فإنّها كانت تعلم أنّ الزّنى حرّم دفعة واحدة، فى خطوة واحدة جازمة بمثل قوله تعالى: وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا «۱»، و إنّما أرادت بيان أوائل ما نزل من القرآن، و أنّ تلك الأوائل ما كانت بمقتضى حكمة اللّه لتتناول الحلال و الحرام، بل تناولت أصول الإيمان باللّه و اليوم الآخر. فعدم تحريم الزّنى فى أوّل ما نزل من الوحى لا يعنى أنّ هذا التّحريم تأخّر كثيرا؛ إذ وقع تحريمه فى مكّة على كلّ حال، و هو لا يعنى تدرّج هذا التّحريم على مراحل؛ إذ لم نعلم فى كتاب اللّه و لا سنّة رسوله إثبات منفعة للزّنا إلى جانب إثمه الكبير كما علمناه فى تحريم الخمر و الميسر، و لم نر لونا من الألوان الزّنى و السّفاح يقرّ فى الإسلام بأيّة صورة، و إنّما الّذى عرفناه أنّ الإسلام أمضى أمره بتحريم الزّنى بأسلوب صارم و لهجة قاطعة، كما حرّم سائر الفواحش ما ظهر منها و ما بطن، و الإثم و البغى بغير الحقّ.

و ما من ريب فى أنّ الإسلام فرّق بين الأعماق و السّطحيات فى أنفس الأفراد و المجتمعات، فكلّ قضيّة عميقة الجذور فى نفس الفرد اتّخذت شكل عادة شعوريّة، و كلّ قضيّة عميقة الجذور فى نفس المجتمع اتّخذت شكل تقليد اجتماعى أو عرف دولىّ، فللإسلام فيها موقف المتمهّل المتريّث الّذى يؤمن بأنّ البطء مع التّنظيم خير من العجلة مع الفوضى.

و كلّ قضيّة سطحيّة تنزلق إلى نفس الفرد أو إلى نفس الجماعة فتفسد عليها فطرتها الزّكيّة النّقيّة، فهى جريمة فى الحياة الإنسانيّة لا يجوز السّكوت عنها، فليقطع الإسلام فيها برأيه، و لتكن حدوده فيها غير قابلة للنّقاش، فما يناقش فى أمر هذه الحدود إلّا

---

(۱)- الإسراء/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۵۵

الخارج على مقتضى الفطرة، المنسلخ من الكرامة الإنسانيّة «۱».

و فى ضوء هذه التّفرقة بين الأعماق و السّطحيات فى الأنفس و الآفاق، و فى الأفراد و المجتمعات، نظر الإسلام إلى القتل و السّرقة و الغصب و أكل أموال النّاس بالباطل و مختلف ضروب الغشّ فى المعاملات نظرته إلى الزّنى، فحرّمها مرّة واحدة تحريما قاطعا لا تساهل فيه. و إذا صحّ أنّ التّعبير عن تحريم أكثر هذه الأشياء إنّما ورد فى الكتاب متأخّرا، و أنّ أكثرها وقع تحريمه فى المدينة بعد هجرة الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم إليها، فلا يصحّ القول- على وجه الإطلاق و التّعميم- بتدرّج التّحريم على مراحل فى هذه الشّئون، فكما حرّم اللّه الزّنى فى لهجة قاطعة فقال: وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنى إِنَّهُ كانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِيلًا «۲» حرّم القتل فى خطوة جازمة فقال: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً «۳»، و حرّم السّرقة يوم قضت حكمته أن يعبّر عن تحريمها فى أسلوب صارم فقال: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما جَزاءً بِما كَسَبا نَكالًا مِنَ اللَّهِ «۴».

و بمثل هذه الصّرامة حرّم اغتصاب أموال النّاس بغير حقّ فقال: وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَ تُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ «۵». و كلّ لون من ألوان الغشّ فى المعاملات إنّما جاء تحريمه فى الكتاب بهذه الصّيغ الجازمة، فإن لم يكن فى الكتاب ففى السّنة المطهّرة.

و الإسلام مهما يبدو حريصا على تدرّج التّشريع و تنجيم النّوازل القرآنيّة لا يسمح قطّ بالخلط بين تأخير البيان لوقت الحاجة و بين تدرّج التّشريع، فلقد أخّر اللّه بيان أحكام كثيرة من حلال و حرام، و من أوامر و نواه، و لكنّه حين أراد بيانها أمضى أمره فيها مرّة واحدة، و لم يدع فيها للتّدريج مجالا، و علّم المؤمنين بهذا سرعة الاستجابة للأوامر

---

(۱)- قارن بضلال القرآن ۲: ۶۰- ۶۱.

(۲)- الإسراء/ ۳۲.

(۳)- النّساء/ ۹۲.

(۴)- المائدة/ ۳۸.

(۵)- البقرة/ ۱۸۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۵۶

الدّينيّة و أعدّهم به لتحمّل التّكاليف الشّرعيّة، ففى أوّل أمرهم كلّفهم بالصّلاة و الصّدقة و الصّيام، إلّا أنّ الصّلاة كانت فى البداية صلاة مطلقة بالغداة و العشىّ، فما فرضت عليهم بعددها فى اليوم و اللّيلة و ركعاتها و أشكالها إلّا قبل الهجرة بسنة. و عرف المسلمون فى أوّل أمرهم أنواعا من الصّدقة و الصّيام، و لكن مقادير الزّكاة و شروط الصّيام لم تفرض إلّا بعد الهجرة بسنة، فهذا كلّه من مرانة الإسلام و يسره و سماحته، إذ قال اللّه: ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «۱»، و قال: يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ «۲»، فما يريد اللّه أن يشقّ على عباده و إنّما يأخذهم بالرّفق، و ينهاهم عن كثرة السّؤال، لئلّا يبدوا لهم ما يكرهون من جديد التّكاليف يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْئَلُوا عَنْ أَشْياءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَ إِنْ تَسْئَلُوا عَنْها حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْها «۳».

و إذا سلك هذا كلّه فى باب تأخير البيان لوقت الحاجة و لم يكن من التّدريج فى شىء، فإنّ انطباق هذا الحكم على السّطحيات المنزلقة إلى أنفس الأفراد أو إلى أنفس المجتمعات أولى و أجدر. و من هنا لم يدع داع إلى التّدرّج فى تحريم الزّنى و لا القتل و لا السّرقة و لا أكل أموال النّاس بالباطل.

إنّما يكون التّدرّج فى النّوازل القرآنيّة إذن فى مثل الخمر و الميسر من العادات الشّعوريّة أو الأمراض النّفسيّة، و فى مثل استرقاق الأسرى من التّقاليد الاجتماعيّة و الأعراف الدّوليّة.

و حسبنا- على سبيل المثال- أن نمرّ مرورا خاطفا بالتّحريم القرآنىّ المتدرّج للعادة الشّعوريّة الخطيرة المسمّاة بإدمان المسكرات، فقد نزل فى أمرها أوّل ما نزل قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما «۴»، فوجّه أنظار السّكارى إلى أنّ الحرمة إنّما تقوم على غلبة الشّرّ، فمهما يكن فى

---

(۱)- الحج/ ۷۸.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- المائدة/ ۱۰۱. و قارن بأسباب النّزول للواحدىّ: ۱۵۷.

(۴)- البقرة/ ۲۱۹. و انظر فى تفسير المنار ۲: ۲۱۹ و ۴۹، الحكمة فى تحريم الخمر على مراحل.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۵۷

الخمر من منافع اقتصاديّة فى المتاجرة بها، و من منافع ظاهريّة فى حمرة الخدّ الّتى توهم الصّحة الحسنة، و من منافع اجتماعيّة فيما تدفع إليه من السّخاء و الجود فى حالة السّكر و العربدة، أو من الشّجاعة الّتى تبلغ أحيانا حدّ التّهوّر فى ساحة الحرب، فإنّ إثمها أكبر من نفعها، فتلك علّة كافية لتحريمها. فكانت الخطوة الأولى تحريكا للمنطق التّشريعىّ فى نفوس المسلمين، ثمّ تبعتها الخطوة الثّانية بقوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ «۱». فضيّق عليهم الفرصة لمزاولة السّكر؛ لأنّ الصّلوات الخمس كانت قد شرّعت فى أوقات متقاربة لا يكفى ما بينها للإفاقة من نشوة الخمر، حتّى إذا أصبحت فرص السّكر نادرة بطبيعة الحال حرّم اللّه عليهم الخمر فى لهجة قاطعة جازمة فقال: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَ الْبَغْضاءَ فِي الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ يَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ عَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ «۲»، فقالوا: انتهينا، و انتهوا حقيقة، و أصبحوا ينتظرون حدود اللّه فى شارب الخمر، و يخجلون أن يصل الأمر بأحد المسلمين إلى أن تقام عليه هذه الحدود.

و هكذا تدرّج الوحى مع النّبىّ يربّيه و يعلّمه و يهديه حتّى «كان خلقه القرآن» كما تقول عائشة أمّ المؤمنين، و تدرّج فى تربية

المؤمنين، فلم يزيّن قلوبهم بحلية الإيمان الصّادق، و العبادة الخالصة، و الخلق السّمح، إلّا بعد أن مهّد لذلك بتقبيح تقاليدهم الباطلة و عقائدهم الفاسدة شيئا فشيئا، و ساعدهم نزوله المنجّم على حفظ آياته فى الصّدور، كما قوّى من عزائمهم فى الشّدائد، فكان دستور حياتهم علما و عملا، و كان المدرسة الصّالحة الّتى جعلت منهم رجالا و أبطالا. و لعلّ ابن عبّاس فى قوله: نزّله جبريل بجواب كلام العباد و أعمالهم «۳»، عند تفسير قوله تعالى: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِ «۴»، إنّما كان

---

(۱)- سورة النّساء/ ۴۲.

(۲)- المائدة/ ۹۱.

(۳)- أخرجه الطّبرانىّ و البزار من وجه، و ابن أبى حاتم من وجه آخر. انظر الإتقان ۱: ۱۸ و ۱: ۷۱.

(۴)- الفرقان/ ۳۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۵۸

يومئ إلى هذا النّوع من التربية السّامية الّتى أتاحها للمؤمنين نزول كتابهم منجما بحسب الحاجة، متدرّجا مع الوقائع و الأحداث.

أراد القرآن مثلا- على الصّعيد التّربوىّ- أن يحطّم العصبيّة الجاهليّة الرّعناء، و أن يستبدل التّقوى بتفاخرها بالآباء، فمهّد لذلك برفع العبيد الأرقّاء إلى مقام السّادة الأحرار، إنّ بلالا الحبشىّ الأسود ليرقى ظهر الكعبة، و يؤذّن يوم الفتح، فيقول المشركون مستنكرين: أ هذا العبد الأسود يؤذّن على ظهر الكعبة؟ فتنزل على قلب النّبىّ آية تضع الموازين القسط للأشخاص و القيم و الأشياء: يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَ أُنْثى وَ جَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَ قَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ «۱»

و على الصّعيد الاجتماعىّ أراد الإسلام أن يحفظ على هذه الأمّة اعتدالها و توازنها، و أن يجعلها وسطا فى عقائدها و أخلاقها و عباداتها و معاملاتها، فمهّد لذلك بتصحيح مقاييسها و دعوتها إلى ما يحييها. فلمّا اتّفقت جماعة من الصّحابة على أن يجبّوا أنفسهم، و يعتزلوا النّساء، و لا يأكلوا لحما و لا دسما، و يلبسوا المسوح، و لا يأكلوا من الطّعام إلّا قوتا، و يسيحوا فى الأرض كهيئة الرّهبان أنزل اللّه لتقويم هذا الانحراف عن دواعى الفطرة قوله الكريم: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَ لا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ «۲». و من عجائب الإيحاء التّعبيرىّ فى القرآن أنّ انحراف أولئك الصّحابة شبّه فى الآية بالاعتداء و العدوان!.

أمّا الصّعيد النّفسىّ فيكاد القرآن فيه يخاطب كلّ نفس على حدة، متناولا بنظرته الشّاملة أسرارها كلّها و خفاياها، و إنّما نجتزئ هنا بتنزّل قرآنىّ واحد على سبيل المثال، لقد كلّف اللّه الصّحابة الأوّلين ضروب المشقّات و ألوانها فتحمّلوها مختارين، و لكنّه فى آية واحدة حمّل عليهم إصرا كبيرا، و حمّلهم ما لا طاقة لهم به، حتّى جثوا على ركبهم دهشة و ذهولا، حين أنزل قوله الكريم: وَ إِنْ تُبْدُوا ما فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحاسِبْكُمْ بِهِ

---

(۱)- الحجرات/ ۱۳. و قارن بأسباب النّزول للسّيوطىّ/ ۱۲۲.

(۲)- المائدة/ ۸۷- ۸۸. و قارن بأسباب النّزول: ۵۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۵۹

اللَّهُ «۱». فعجبوا كيف يحاسبهم اللّه على ما همّت به أنفسهم و لم يعملوه، و أتوا رسول اللّه يقولون: قد أنزل اللّه عليك هذه الآية و لا نطيقها. و إذا الوحى يتنزّل بالتّخفيف و التّيسير، و يعلن مبدأه السّمح الصّريح: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها لَها ما كَسَبَتْ وَ عَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ «۲».

و بعد، لئن كان تصوير الوحى لشخص الرّسول دليلا وجدانيّا على صدقه عليه السّلام، لعمرى إنّه فى تدرّج نزوله برهان منطقىّ دامغ على أنّ هذا الكتاب المجيد كلام اللّه العليم الحكيم، أنزله على رسوله هدى و موعظة و تبيانا لكلّ شىء. (ص: ۴۹- ۶۲)

(۱)- البقرة/ ۲۸۴.

(۲)- البقرة/ ۲۸۶. و قارن بأسباب النّزول: ۲۶. و قد ظنّ السّیوطیّ هنا أنّ هذه الآیة نسخت الآیة السّابقة. و إنّما نمدّ هذا ضربا من تزیّد العلماء فی باب النّسخ. و سنوضّح فی فصل «النّاسخ و المنسوخ» بعض ما أقحمه المفسّرون فیه.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۰

الفصل التّاسع و الخمسون نصّ الدّکتور حجازیّ (ت: ۱۳۳۸ ه) فی کتابه: «الوحدة الموضوعیّة»

للقرآن الکریم تنزّلات ثلاثة

(أ) مسجّل فی اللّوح المحفوظ.

(ب) أنزل إلی السّماء الدّنیا فی لیلة مبارکة من لیالی شهر رمضان.

(ج) أنزل منجّما علی النّبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و سلم فی ثلاث و عشرین سنة.

اقتضت حکمة اللّه جلّ جلاله أن یکون لهذا الوجود سجلّ عامّ یسجّل فیه کلّ ما کان و ما سیکون، و القرآن المجید و هو دستور الشّریعة المحمّدیّة شریعة الحقّ و العدل، الشّریعة الخالدة الصّالحة لکلّ زمان و مکان، و هو مصدّق لکلّ کتاب، و بیان لکلّ تنزیل أولی بأن یسجّل فی هذا السّجلّ.

و یدلّنا علی ذلک قول الحقّ تبارک و تعالی: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱».

علی أنّ اللّوح المحفوظ نؤمن به کما أخبر الحقّ، و لیس علینا أن نبحث أین هو؟ و لا متی کتب فیه، و لا کیف سجّل؟ و لا بأیّ لغة کان؟ فذلک من أسرار الغیب الّتی لم یطّلعنا اللّه

(۱)- البروج/ ۲۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۱

علیها، و ستظلّ کذلک فی أستار الغیب.

و یعجبنی قول أبی حیّان فی تفسیر قوله تعالی: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ: اللّوح المحفوظ هو الّذی فیه جمیع الأشیاء. و قول الآلوسیّ فی هذا الموضع:

و نحن نؤمن به، و لا یلزمنا البحث عن ماهیّته و کیفیّة کتابته و نحو ذلک و ممّن ذهب مذهب التّأویل فی ذلک بعض العلماء فی تفسیره اللّوح المحفوظ بأنّه لوح الوجود و الحقّ. و لکنّ الأولی عدم التّأویل، و تفویض علم ذلک للّه. و الظّاهر أنّ القرآن أثبت فی اللّوح المحفوظ جملة واحدة، و لم یکن مفرّقا حیث لا داعی إلی ذلک. تلک هی المرحلة الأولی، و یلاحظ أنّه لم یستخدم فیها کلمة (النّزول) أصلا.

المرحلة الثّانیة: أو النّزول الثّانی «۱»: من الحقّ أنّ ما لیس فی دائرة علمنا، و ما لا یقع

(۱)- بحث نزول القرآن فی اللّغة: من مفردات الرّاغب الأصبهانیّ. النّزول فی الأصل هو انحطاط من علوّ؛ یقال: نزل عن دابّته، و نزل فی المکان: حطّ رحله فیه، و أنزله غیره، و نزل بکذا، و أنزله بمعنی. و علیه أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ الکهف/ ۱، وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ الحدید/ ۲۵، وَ أَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْکِتابَ وَ الْمِیزانَ الحدید ۲۵، وَ أَنْزَلَ لَکُمْ مِنَ الْأَنْعامِ ثَمانِیَةَ أَزْواجٍ الزّمر/ ۶، و الفرق بین الإنزال

و التنزيل بالنّسبة للقرآن أنّ التنزيل يختصّ بالموضع الّذى يشير إليه إنزاله مفرّقا مرّة بعد أخرى، و الإنزال عامّ، و عليه قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ الحجر/ ۹، و نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا الإسراء/ ۱۰۶، و لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ الشّعراء/ ۱۹۸.

و حكى اللّه عن المنافقين: لَوْ لا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فِيهَا الْقِتالُ محمّد/ ۲۰، ذكر فى الأولى نزّل و فى الثّانية أنزل؛ تنبيها إلى أنّ المنافقين يقترحون أن ينزّل شيئا فشيئا من الحثّ على القتال ليتولّوه، و إذا أمروا بذلك مرّة واحدة تحاشوا منه، و عليه جاء قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ الدّخان/ ۳، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر ۱؛ لأنّه نزل جملة واحدة إلى سماء الدّنيا، و النّزول بمعنى الهبوط من علوّ إلى أسفل، و الانتقال من مكان إلى مكان، لا يتأتّيان فى جانب القرآن؛ لأنّهما يستلزمان الحركة و الجسميّة، و القرآن ليس كذلك؛ إذ هو بالمعنى الشّرعىّ العامّ يطلق على الكلام المعجز المنزّل على النّبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، و هو فى عرف المتكلّمين يطلق على الصّفة القديمة، باعتبار تعلّقها بالكلمات النّفسيّة القديمة من أوّل سورة الحمد إلى آخر سورة النّاس، و يطلق على تلك الكلمات أيضا. و ليس شىء من هذه المعانى يجسّم حتّى يهبط من أعلى إلى أسفل، أو ينتقل من مكان و يحلّ فى آخر، لذلك كان وصف القرآن بالنّزول وصفا مجازيّا باعتبار المعانى:

(أ) هو الصّفة القديمة باعتبار تعلّقها بالكلام النّفسىّ.

(ب) هو الكلام النّفسىّ القديم. فالمراد بالإنزال إيجاد ما يدلّ عليه، و إن أريد به الألفاظ المنزلة فإنزاله هو الإيصال و الإعلام، و نزوله وصوله و العلم به، فإنّ من أنزل شيئا إلى مكان فقد أوصله إليه و أعلم به كلّ من يراه.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۶۲

تحت حسّنا من الأمور الدّينيّة، إنّما نستقى معلوماتنا من مصدرين لا ثالث لهما: الكتاب و السّنّة. أمّا الاستنباط أو القياس أو استخدام الفروض و الظّنون فتلك من باب الحدس و التّخمين، و ضرب من قصور العقل و التّفكير. و مسألتنا هذه و هى نزول القرآن إلى سماء الدّنيا فى بيت العزّة ترى ما ذا قال عنها القرآن؟ و ما ذا قالت السّنّة الصّحيحة؟

يقول اللّه تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱».

يقول اللّه تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ «۲».

يقول اللّه تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ ما أَدْراكَ ما لَيْلَةُ الْقَدْرِ «۳»

هذه الآيات الثّلاث- كما هو أساس بحثنا الموضعى فى القرآن- تفيد معنى: أنّ اللّه جلّ جلاله أنزل القرآن فى ليلة مباركة هى ليلة القدر الّتى هى خير من ألف شهر، و هى إحدى ليالى رمضان. و لقد صرّح القرآن الكريم بأنّه أنزل فى تلك اللّيلة المباركة من رمضان. فالأقرب إلى الصّواب أن نفهم أنّه كلّه أنزل جملة واحدة فى هذه اللّيلة، و هذا هو الرّأى الصّحيح السّليم. و يرى بعضهم خروجا من تصادم حقيقة نزول القرآن منجّما مع هذه الآيات، فيؤوّل أنّه بدى نزوله فى تلك اللّيلة، ثمّ تتابع نزوله فى ثلاث و عشرين سنة.

و يرى فريق ثالث أنّه كان ينزل جملة، أى ما خصّص من القرآن فى السّنة ينزل فى ليلة القدر منها. أ ليس هذا تعسّفا و تأويلا و ارتكاب شطط؟ و لما ذا؟ اللّه يقول: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فكيف نقول ابتدأ نزوله، أى نزلت آية منه- على الرّأى الثّانى- فى تلك اللّيلة المباركة. و كيف نقول: لم ينزل بعضه فى ليلة قدر واحدة، بل فى كلّ ليلة من ليالى القدر فى مدّة ثلاث و عشرين سنة؟ الحقّ أحقّ بالاتّباع، و الرّأى الأوّل هو السّديد، و أنا أرجع عمّا كتبته فى التّفسير الواضح، فإنّى كنت أرجّح الرّأى الثّانى، هدانا اللّه إلى الصّواب دائما. [ثمّ ذكر روايتى ابن عبّاس نقلا عن الحاكم و النّسائىّ كما تقدّم عن السّيوطىّ، فقال:]

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الدّخان/ ۳.

(۳)- القدر/ ۱- ۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۳

و لقد أیّد الرّأی الأوّل العلّامة الزّرکشیّ بعد أن ذکر الرّأیین الأخیرین، و کذلک فعل السّیوطیّ فی الإتقان، و أیّد الرّأی الأوّل بهاتین الرّوایتین و زاد روایة أخری عن ابن عبّاس.

و الحقّ أنّ ذلک سرّ من أسرار الغیب، و إن جاز لنا أن نفهم شیئا فإنّا نقول: مسألة الاحتفاء به، و العنایة بشأنه، و یتّبع ذلک تفخیم المنزل علیه و تکریمه، أو أنّ للملائکة الّذین هم سکّان السّماء الدّنیا مصلحة، أو للرّسول علیه السّلام مصلحة فی توقّع الوحی من أقرب الجهات، أو کان فیه مصلحة لجبریل علیه السّلام، ذلک کلام لا یشفی الغلیل و إنّنی أری أنّ المسألة أعلی من ذلک کلّه و أدقّ، فإنّا قد قلنا: إنّ هناک سرّا یعجز عن تحقیقه قوی البشر جمیعا، هذه السّر یدور حول ترتیب القرآن فی النّزول، و ترتیبه فی المصحف، ثمّ ظهور الدّقّة الکاملة و الأحکام الإلهیّ الواسع فی النّزول و ترتیب المصحف.

أظنّ أنّ نزول القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی سماء الدّنیا؛ حیث ینظره جبریل و هو علی ترتیب المصحف، ثمّ یتنزّل بآیاته تباعا علی حسب الحوادث، فتوضع کلّ آیة فی مکانها لا تختلّ أبدا قید شعرة، فکأنّ جبریل ینقل من سجلّ ثابت، بیّن فیه کلّ شیء. و أظنّ هذا من باب تقریب الفهم للبشر، و تحقیق ما أراد اللّه لهذا القرآن من الضّخامة و الإعجاز حتّی فی کتابته فی المصحف، فکان نزوله إلی سماء الدّنیا جملة. قلت قبل هذا:

إن هذا سرّ، و إنّما نحن نطوف حوله، و اللّه یهدی من یشاء إلی صراطه، و هو أعلم بکتابه.

هل نزل القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بلفظه و معناه؟

نزول القرآن علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم بواسطة جبریل الرّوح الأمین ثبت بالتّواتر الّذی لا یقبل شکّا و لا جدلا، اللّهمّ إلّا ممّن ألغیت عقولهم و ضلّ رشدهم، و هؤلاء لا حساب لهم. و لکن هل نزل جبریل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم باللّفظ و المعنی من عند اللّه، أو بالمعنی فقط و اللّفظ من عنده، أو من عند النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم؟

کما قلت: یجب أن نضع أمام أعیننا قبل الحکم دعائم البحث من الکتاب و السّنّة، و لقد جاء القرآن فی هذا بقوله تعالی: وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَیْنَکَ وَ بَیْنَ الَّذِینَ لا

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۴

یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً «۱»

وَیْلٌ لِکُلِّ أَفَّاکٍ أَثِیمٍ یَسْمَعُ آیاتِ اللَّهِ تُتْلی عَلَیْهِ ثُمَّ یُصِرُّ مُسْتَکْبِراً کَأَنْ لَمْ یَسْمَعْها «۲»

وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِکِینَ اسْتَجارَکَ فَأَجِرْهُ حَتَّی یَسْمَعَ کَلامَ اللَّهِ «۳»

فهذه الآیات الثّلاث تفید کلّها أنّ القرآن و آیاته شیء یقرأ و یسمع و یتلی، و لا شکّ أنّ هذه أغراض الألفاظ لا المعانی، فإنّ ما یسمع و یتلی و یقرأ إنّما هو اللّفظ لا المعنی و قوله تعالی: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ «۴» إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ «۵» و الکتاب الّذی یکتب هو اللّفظ، و المقروء العربیّ هو اللّفظ. و قال تعالی: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ «۶».

فدلّت هذه النّصوص کلّها علی أنّ القرآن یتلی و یسمع و یکتب و هو بلسان عربیّ مبین، ثمّ هذا کلّه إنّما یتلقّی مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ.

أظنّ بعد هذه النّصوص لا یمکن أن تقول: إنّ القرآن نزل من عند اللّه بالمعنی فقط، و أمّا اللّفظ فمن جبریل أو من محمّد صلّی اللّه علیه و سلم و من العجیب أنّ الإمام الزّرکشیّ حکی القولین الآخرین، و بیّن أنّ الرّأی الأوّل قائل بأنّ التّنزیل نزل باللّفظ و المعنی، و أنّه حفظه من اللّوح المحفوظ، و نزل به أو هو تلقّاه مشافهة من اللّه أو تلقّاه کذلک من بیت العزّة، و هو الرّاجح عندی کما قلنا. و لقد ذکر کذلک السّیوطیّ، إلّا أنّه لم یرجّح و لم یبیّن أنّ الرّأیین الآخرین خطأ، و إذا کان کذلک فما خطأهما؟

بعد نقل الآيات السّابقة الدّالّة صراحة على أنّ القرآن نزل باللّفظ و المعنى لا يمكن أن نقول إلّا بالتّناقض بين هذا الرّأى و بين تلك النّصوص القرآنيّة. و إذا قلنا بما قالوا فكيف تتحقّق المعجزة و هى الأمر الخارق للعادة، و كانت من أحسن صنع اللّه؟ الآن وقفنا على

(۱)- الإسراء/ ۴۷.

(۲)- الجاثية/ ۷- ۸.

(۳)- البراءة/ ۶.

(۴)- الكهف/ ۱.

(۵)- يوسف/ ۲.

(۶)- النّمل/ ۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۵

خطأهما، و لكن أ ليس لهما سند أم أنّ هذا كلام بلا سند؟

أمّا من يقول: إنّ المعنى من اللّه، و اللّفظ من عند جبريل، فلا سند له، و إنّما هو هوس و تخريف، و كان يجب على أئمّة علوم القرآن كالزّركشىّ و السّيوطىّ ألّا يذكرا هذا الرّأى، و إن ذكرا لا بدّ من التّعقيب عليه بما يدحضه حتّى لا يغترّ بذكره أحد. أمّا من يقول: إنّ اللّفظ من عند محمّد، فيستدلّ على كلامه بقوله تعالى نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «۱».

فالقرآن نزل على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و ما ينزل على القلب إنّما هو معنى لا اللّفظ، و على ذلك فالمعنى من اللّه و اللّفظ من عند محمّد. و الّذى دفعهم إلى ذلك أنّه لم يستطع أن يفهم كيف نزل اللّفظ على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و لكن أ لا يعلم أنّ السّفير ملك؟ و أنّ المنزل عليه قلب النّبىّ محمّد صلّى اللّه عليه و سلم؟

و اللّه أعلم حيث يجعل رسالته، فهذا المحيط الّذى فيه عمل الملائكة الأبرار مع قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و هو سيّد الأخيار يجب أن نقف عند ذلك و نؤمن بما قال القرآن.

فهذه بعض مظاهر العلم عندنا اليوم: الحديث بالرّادار، و بالتّلفزيون، لا يعرفه إلّا المتخصّصون الدّارسون و هو خاف على غيرهم. على أنّ العقل المجرّد لا يحيل هذا اللّون من تلقّى القلب للّفظ و المعنى.

و هناك آية أخرى ترفع عنّا هذا الحرج، هى قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ «۲»، أى إنّ علينا جمعه فى قلبك و قراءته على لسانك، جمع القرآن فى القلب، و القرآن هو اللّفظ و المعنى، ثمّ تقرأه بعد ذلك بلسانك على أنّ نفس الآية الّتى استدلّوا بها لا تشهد لهم، فإنّ قوله تعالى: بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ متعلّق ب (نزل)، و قدّم عليها لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ للاهتمام بهذا التّعليم، و إلّا لو جعلنا قوله بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ متعلّقا بقوله الْمُنْذِرِينَ لكان المعنى لتكون من المنذرين الّذين أنذروا بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ كهود و صالح

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۳- ۱۹۵.

(۲)- القيامة/ ۱۶- ۱۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۶

معى فى أنّ الآية أوسع من هذا بكثير على أنّ الآلوسىّ فى تفسيره عند ما ذكر هذا الرّأى تعلّق قوله: بِلِسانٍ بقوله الْمُنْذِرِينَ؛ قال: إنّه غير سديد. و تعقّب بأنّه يؤدّى إلى أنّ غاية الإنذار كونه عليه السّلام من جملة المنذرين باللّغة العربيّة فقط من هود و صالح و شعيب، و لا يخفى فساد هذا الرّأى.

علی أنّ هناک آیة لنا هی قوله تعالی: وَ إِذا تُتْلی عَلَیْهِمْ آیاتُنا بَیِّناتٍ قالَ الَّذِینَ لا یَرْجُونَ لِقاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَیْرِ هذا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ ما یَکُونُ لِی أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقاءِ نَفْسِی إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَ «۱».

فقد ردّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم أنه لا- یملک فیه تغییرا کلّیّا و لا جزئیّا، أمّا التّغییر الکلّیّ فظاهر لم یرد علیه، و أمّا التّغییر الجزئیّ فقال عنه: أنّه لا یملک فیه تبدیلا و لا تعدیلا، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما یُوحی إِلَیَّ ... فهذا دلیل صریح علی أنّ اللّفظ موحی به من عند اللّه، و لا یملک فیه النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم تغییرا و لا تبدیلا.

السّرّ فی نزول القرآن منجّما

نزل القرآن الکریم علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی بضع و عشرین سنة، و کان هذا التّفریق فی النّزول و التّنجیم علی دفعات لحکم و أسرار إلهیّة؛

۱- الحکمة الأولی: تثبیت قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم لیتحمّل ثقل الدّعوة و أعباء الرّسالة، و لقد صرّح بهذا القرآن الکریم، حیث قال: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲». أمّا مظاهر هذا التّثبیت فکان فی:

(أ) إنّ لقاء الحبیب المصطفی مع الرّوح الأمین کلّما ادلهمّ الأمر، أو نزل الخطب ممّا یثلج النّفس، و یشرح الصّدر، و یقوّی العزم، و یجدّد الأمل، کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ.

(ب) و فی التّنجیم و التّفریق ما یساعد علی الحفظ، و یعین علی الإدراک و الفهم، و یعمّق فی نفس النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و صحبه الألفاظ مصحوبة بمعانیها مشروحة بأحداثها، و لا شکّ أنّ هذا ممّا یثبّت فؤاد النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و المسلمین، فتنقش فی قلوبهم الآیات و أحداثها و أبعادها.

---

(۱)- یونس/ ۱۵.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۶۷

(ج) إنّ هذا اللّقاء، لقاء الرّوح الأمین جبریل بمحمّد صلّی اللّه علیه و سلم حاملا القرآن الکریم، المعجزة الباقیة الدّالّة علی صدق الرّسول علی دفعات و نجوم ممّا یقوّی القلب و یدعم الحقّ، و یشدّ الأزر.

(د) و کثرة النّزول بدفعات التّحدّی و الإعجاز، ثمّ ظهور العجز و القصور ممّا یجدّد اللّذّة، و یبعث الهمّة، و ینکی الأعداء، و یردّ کیدهم فی نحورهم المرّة بعد المرّة.

(ه) و کأنّ جبریل واقف بالمرصاد یشرع سهم القرآن فی صدور المشرکین، کلّما جمعوا أمرهم، و ألقوا سؤالهم، أو أظهروا عنتهم أو أفتنوا فی ضرب الأمثال للّدد و الخصام، فیقولون: یا وَیْلَتَنا ما لِهذَا الْکِتابِ لا یُغادِرُ صَغِیرَةً وَ لا کَبِیرَةً إِلَّا أَحْصاها «۱»، و کلّما جئنا بمثل جاءنا بردّه و تفسیره، و هکذا کانوا مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کلّما تحزبوا ضدّه و أجمعوا أمرهم لکیده أتتهم الصّاعقة تلو الصّاعقة، ممّا جعلهم یجعلون أصابعهم فی آذانهم.

و أمّا النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فیری أنّ اللّه ما ودّعه و ما قلاه، فهو إذن بلا شکّ یقبل علی عمله ثابتا ثبوت الجبال أمام العواصف الهوج؛ مقتدیا بإخوانه من الأنبیاء و الرّسل فی قصصهم، و فی وعد القرآن بالنّصر لأولیائه، و وعیده بهزیمة الشّرک و أنصاره و لقد صدق اللّه وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً «۲»

۲- الحکمة الثّانیة: تعهّد هذه الأمّة الّتی أنزل علیها القرآن و تربیتها تربیة سلیمة صحیحة، و قد ترجم عنها القرآن، فقال وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ

لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۳». أمّا مظاهر تلك الحكمة و هذه العناية و التّربية فتظهر فى:

(أ) تيسير حفظه: فهم أمّة أمّيّة، أساليب الكتابة فيها و التّدوين غير ميسّرة، لم تكن بمعنى الكلمة إلّا بعد الإسلام. و لهذا اعتمدت على الذّاكرة القويّة و الحفظ السّريع، و هم مع ذلك قوم تشغلهم الحروب و أمور المعيشة فى السّلم، و هم بعد الإسلام قد شغلوا بالمحافظة على الدّعوة الجديدة، و تثبيت أركان الدّين، فكانت حروب و منازعات

---

(۱)- الكهف/ ۴۹.

(۲)- الفرقان/ ۳۳.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۶۸

للدّفاع عن عقيدتهم الجديدة.

فأنت تراهم قوما أمّيّين مشغولين فى السّلم و الحرب، فكانت العناية الإلهيّة ترعاهم و تتعهّدهم، فأنزل اللّه قرآنه مفرّقا منجّما؛ ليقرأه الرّسول عليهم على مكث و تمهّل، كلّ حادثة مع ما نزل فيها من قرآن. و لا شكّ أنّ هذا أدعى للحفظ الواعى و الفهم الرّاسخ، و صدق اللّه وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ.

(ب) و فى هذا التّنجيم و التّفريق مع المعاونة على الحفظ تيسير الفهم للأحداث و آياتها، و للأسئلة و إجاباتها، و للاعتراضات و دفع شبهها بالقرآن الكريم.

(ج) هذه الأمّة العربيّة الّتى تلقّت القرآن أوّلا أمّة كانت لها عقائد راسخة، و عادات متأصّلة، و أخلاق موروثة، و صفات مأثورة، ثمّ هى مع ذلك تعتزّ بها و تدين، و ترى أنّها من مفاخرها و دين آبائها و أجدادها، فليس انتزاعها بالأمر السّهل. الهيّن.

لهذا سلك القرآن معها مسلك الحكيم العليم، الَّذِى خَلَقَ فَسَوَّى وَ الَّذِى قَدَّرَ فَهَدى «۱» الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ «۲» سلك معها مسلك التّدرّج، و الانتقال من حال إلى حال مع التّمهّل و اليسر، حتّى استطاع الإسلام أن يزحزحهم عن عقائدهم، و أن يجعلهم يتخلّون عن عاداتهم شيئا فشيئا. كلّ هذا بما أنزل عليهم من القرآن بالتّنجيم و التّفريق، و صدق اللّه إذ يقول: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا. انظر إلى مسلك القرآن فى تحريم الخمر و الرّبا أو الحثّ على الإنفاق و البذل، فأنت ترى أنّ الحكمة الأولى ترجع إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و الثّانية ترجع إلى أمّته.

۳- الحكمة الثّالثة: و هى ترجع إلى تسجيل الأحداث و الوقائع الّتى وقعت متفرّقة مع رأى القرآن فيها، و مظاهر هذه الحكمة تظهر فى ما يأتى:

(أ) لقد سأل النّاس أسئلة كثيرة، أسئلة بريئة و أخرى غير بريئة، فمثلا سألوا عن الرّوح، عن ذى القرنين، عن السّاعة، عن الفتية الّذين آمنوا، سألوا عن النّفقة، عن الأهلّة، عن الخمر، عن الحيض، و غير ذلك كثير.

---

(۱)- الأعلى/ ۲- ۳.

(۲)- السّجدة/ ۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۶۹

و لا شكّ أنّ الأسئلة لم تكن فى وقت واحد بل كانت فى أوقات متعدّدة مختلفة، و كانت الإجابة عن كلّ سؤال بما يوافقه ثمّ يوضع فى السّورة الّتى يتلائم مع هدفها العامّ.

(ب) متابعة الأقضية و الوقائع و أحداثها فى وقتها ببيان حكم اللّه فيها. و هذا طبعا يكون فى أوقات متعدّدة. انظر فى حادثة الإفك و

ظروفها و ما تبعها، آیات اللّعان، حکم الزّنی، الظّهار، المواریث، العدّة.

(ج) لم یکن أبـدا من الممکن أن یتحـدّث القرآن مرّة واحـدة عن أشیاء لا بدّ منها فی الدّین و سـتقع فی ظروف مستقبلة. و کان من الحکمة التّعلیق علیها و شـرحها و بیان أسـبابها و نتائجها، و بیان ما دبّر للمسـلمین فی الخفاء، و إظهار العدوّ من الصّدیق ساعة وقوعها؛ لتتمّ الفائـدة المرجوّة، و فی هـذا نزل الکثیر من القرآن. و لنتتبع غزوات النّبیّ صـلّی اللّه علیه و سـلم. غزوة بـدر، أحـد، تبوک، حنین، الأحـداث الّتی وقعت لسـرایا الرّسول. فلو لم یکشف ستر المنافقین ساعة ما دبّروا بلیل وَ یَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِکَ بَیَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَیْرَ الَّذِی تَقُولُ وَ اللَّهُ یَکْتُبُ ما یُبَیِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ... «۱»

و حادثـة طعمـة بن ابیرق، و صـدق اللّه إِنَّا أَنْزَلْنـا إِلَیْـکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْکُمَ بَیْنَ النَّاسِ بِما أَراکَ اللَّهُ «۲»، و قـال: وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ «۳»

۴- الحکمـة الرّابعـة: نزول القرآن منجّمـا ثـمّ ترتیبه فی المصـحف علی خلاـف مـا نزل، و أنـت إذا نظرت إلی القرآن الکریـم فی المصحف، کیف بدئت السّورة المکّیة و کیف انتهت، و کیف بدئت السّورة المدنیّة و کیف انتهت، و رأیت أنّ لکلّ أسلوب خاصّیة تمیّزه، و ما فی کلّ من الآیات و الأحکام، و الأحداث و القصص و المواعظ و الزّواجر، إذا نظرت إلی القرآن المجموع فی المصحف و أنت تعلم أنّه نزل مفرّقا تبعا لأحداث لم تأت تباعا، و لم تکن علی ترتیب أو نظام لعلمت علم الیقین أنّ هـذا القرآن لا یمکن أن یکون من وضع محمّد صلّی اللّه علیه و سلم فضلا عن کونه من وضع غیره من البشر قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِی یَعْلَمُ السِّرَّ فِی السَّماواتِ

---

(۱)- النّساء/ ۸۱.

(۲)- النّساء/ ۱۰۵.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۷۰

وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ کـانَ غَفُوراً رَحِیمـاً «۱». فهـذا النّسق البیـانی، و تلـک الصّورة الرّائعـة الدّقیقـة، و هـذا التّصویر الـدّقیق المحکم، و تلک المناسبات القویّـة المحکمـة بین کلّ آیـة و آیة، کلّ هذا دلیل علی أنّه تنزیل من حکیم علیم، و صدق اللّه أَ فَلا یَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً «۲».

یا عجبا کلّ العجب من کتاب نزل مرتبطا بالأحداث و الحوادث منجّما تبعا للظّروف و الأحوال، ثمّ هو یجمع مرّة ثانیة علی شکل آخر و بوضع آخر، و فی السّورة المقروءة تجـد المـدهش المعجز فی بیانه و تصویره، و تجد الرّباط المحکم فی سوره و آیاته. نصوص فی علوم القرآن ۴۷۰ السر فی نزول القرآن منجما ..... ص : ۴۶۶

لیس ذلک برهانا ساطعا علی أنّه کلام خالق القوی و القدر، إلیه یرجع الأمر کلّه؟

انظر معی إلی حدیث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و هو کما تعرف آیة فی البلاغة و الرّوعة، و لقد قاله فی مناسبات عدّة لدواع متباینـة فی أزمـان متطاولـة، فهـل فی الإمکـان لو اجتمع الإنس و الجانّ علی أن یصوغوا منه کتابا مرتّبا محکما ذا بیان و قوّة و سـلطان یملک علیک قلبک، و یجبر الخصم الألـدّ علی أن یقول: و اللّه إنّ أعلاه لمثمر و إنّ أسـفله لمغـدق، و ما هو بقول البشـر. أظنّ ذلک لیس فی الإمکان بل و لا فی الحسـبان، و لقـد کان معـذورا ذلک العربیّ الجاهلیّ الّذی سـجد لبلاغة القرآن و روعته، و نحن لا نقول فیه إلّا ما قاله اللّه فیه: کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ «۳».

لقـد تکلّمت عن تنزّلاـت القرآن الأـوّل إلی اللّوح المحفوظ، و الثّانی إلی بیت العزّة فی سـماء الـدّنیا، و الثّالث نزوله منجّما علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و لقد ذکرت الحکمة فی کلّ بالإجمال تارة و بالتّفصیل تارة أخری.

هـذا صـحیح، و لکن ما علاقة هذا بتلک الدّعامة «ذکر الموضوع غیر تامّ فی السّورة» إنّ هذا یذکّرنی بقوله تعالی: أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً

فَسالَتْ أَوْدِیَةٌ بِقَدَرِها «۴»

(۱)- الفرقان/ ۶.

(۲)- النّساء/ ۸۲.

(۳)- هود/ ۱.

(۴)- الرّعد/ ۱۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۷۱

فاللّه جعله قرآنا مجیدا و جعله فی لوح محفوظ، ثمّ أنزله إلی سماء الدّنیا فی لیلة مبارکة من لیالی رمضان هی لیلة القدر ثمّ أنزله علی عبده و رسوله منجّما فی ثلاث و عشرین سنة تبعا للأحداث و الحوادث؛ لحکم و أسرار بیّنّا بعضها، و اللّه أعلم بأسرار کتابه، و صدق اللّه فَسالَتْ أَوْدِیَةٌ بِقَدَرِها ....

فالحکمة تقتضی تنزیله مفرّقا علی هذا الوضع المناسب للأحداث، لا ینقص فیما قدّره اللّه أو یزاد؛ لأنّه أنزله بالحقّ و بالحقّ نزل، فذکر الموضوع غیر تامّ فی السّورة بتقدیر العزیز العلیم، إذ کلّ شیء عنده بمقدار، و لکی نفهم لما ذا لم یذکر الموضوع تامّا فی السّورة، لا بدّ أن نقف علی تنزّلات القرآن، و نحاول أن نفهم بعض الحکم و الأسرار، و ألصق شیء بتلک الدّعامة الوقوف علی تنزّلات القرآن.

لما ذا لم یذکر الموضوع الواحد تامّا فی سورة واحدة؟

الوحی الإلهیّ المنزّل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم باعتباره ظاهرة تمتدّ فی حدود الزّمن و تؤثّر فیه تمتاز بخصیصتین هامّتین بقطع النّظر عن طبیعته الذّاتیة، هاتان الخصیصتان هما:

۱- تنجیم الوحی فی ثلاث و عشرین سنة.

۲- وحدته الکاملة فی التّاریخ و التّشریع و التّربیة السّلیمة.

أمّا تنجیم الوحی و أنّه ضرورة محکمة له فظاهر، و له دواع و حکم قد تعرّضنا لبعضها بما یشفی صدور القوم المؤمنین، و بما یلقم الأحجار فی أفواه الجاحدین المعترضین، أمّا وحدته التّامة فی کلّ شیء فهذا ما نعرض له الآن، و قد نصل فیه بعون اللّه إلی ما نرید.

لقد بدأ الوحی فی غار حراء بهذا الحوار المسموع الّذی دقّ سمع الوجود، ففتح قلبه لکلّ ما یأتی. لقد بدأ اقْرَأْ .. «ما أنا بقارئ» و هذا یدلّ من أوّل الأمر علی أنّ ذلک الوحی لیس من باب الهذیان أو الاختلاط، فقد تقرّر بالقراءة مع الضّمّ ثلاث مرّات فی حوار جادّ لیس بالهازل، و هذا ممّا لا یمکن أن یکون بعد هذه الصّدمات الصّوتیّة، و الحرکات العنیفة فی الضّمّ الّذی بلغ منه صلّی اللّه علیه و سلم الجهد أن یقال: إنّ هذا من باب الهذیان أو الاختلاط، و لقد بلغ الجهد من النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم مبلغه حتّی رجع إلی خدیجة زوجته الطّاهرة الحنون یرجف فؤاده خوفا ممّا لاقی. فتقوم الملاک الطّاهر، و تأخذ بیدیه، و تهدّئ من روعه، و تبشّره بالخیر، ثمّ

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۷۲

تذهب به إلی ورقة بن نوفل، و کان امرأ قد تنصّر فی الجاهلیّة، و قرأ من الکتاب ما شاء اللّه له أن یقرأ.

لقد استغرق نزول الوحی هذا- الّذی ذکرنا بدأه- بضعا و عشرین سنة. و لکنّ الوحی مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم کان عجیبا حقّا، إذ قد یأتی تباعا من غیر انتظار، و قد ینقطع عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم مدّة رغم انتظاره له، و طلبه بإلحاح لیدفع عنه الحرج الّذی هو فیه، و الّذی دعا بعضهم لأن یقول: إنّ ربّ محمّد قد ودّعه و قلاه. أما تری إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و قد اشتدّ علیه إیذاء المشرکین بعد موت عمّه أبی طالب و زوجته خدیجة، و قد بقی وحیدا فریدا. و النّبیّ لهذا یأمر أصحابه بالهجرة إلی الحبشة، أمّا هو

فبقی منتظرا الوحی مع شدّة الحاجة إلیه، و قد کان کذلک فی المدینة فی حادثة الإفک، یتطلّع إلی السّماء، و یترقّب الوحی الّذی یقطع همّه و یفرّج کربه. و یبرئ أهله، و یقطع ألسنة المنافقین، و قد کان ألمه کثیرا من هذا. و مع کلّ هذا فقد ظلّ الوحی شهرا کاملا أمضاه الرّسول علی أحرّ من الجمر، و لکنّه وحی السّماء ینزل حیث أراد اللّه وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ لَهُ ما بَیْنَ أَیْدِینا وَ ما خَلْفَنا وَ ما بَیْنَ ذلِکَ وَ ما کانَ رَبُّکَ نَسِیًّا «۱».

و هنا یبرز سؤال هامّ: أ لم یکن من الممکن أن ینزّل القرآن مرّة واحدة کما نزّل غیره من الکتب، أو علی الأقلّ کلّ موضوع قرآنیّ ینزل دفعة واحدة؟

ذلک سؤال قدیم قاله الجاهلیّون المشرکون قدیما، و ردّده الملاحدة المحدّثون علی أنّه مطعن فی الوحی و قصور فی القرآن، و قد سجّل القرآن هذا فی قوله: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲».

و لکنّ الواقع التّاریخیّ و الواقع الحقیقیّ لتلک الرّسالة الخالدة، مع ذلک الکتاب الّذی أنزله عالم السّرّ و النّجوی فی السّماوات و الأرض، یؤیّد هذا التّنجیم فی النّزول، و التّنجیم فی الموضوع الواحد بصورة قاطعة کما ستعرف الآن.

بل أصبح لهذا التّنجیم أهمّیة قصوی فی نجاح هذه الدّعوة؛ إذ بما ذا کنّا نفسّر من

---

(۱)- مریم/ ۶۴.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۷۳

الوجهة التّاریخیّة و الاجتماعیّة و التّشریعیّة قرآنا یقود العالم کلّه من الظّلمات إلی النّور، و من الشّر إلی الخیر، و من الضّلال إلی الصّراط المستقیم، ثمّ کان هذا القرآن یهبط کأنّما هو برق خاطف؟ ثمّ یصبح أشبه بالوثیقة الّتی تلقی إلی الإنسان، أو التّفویض له من جهة أخری، ثمّ تراه یتحوّل سریعا إلی کلمة مقدّسة خالدة.

و لقد تحدّث العالم الجزائریّ مالک بن نبیّ عن تنجیم الوحی، فقال فی کتابه «الظّاهرة القرآنیّة»: إنّنا نبحث مسألة تجزئة الوحی فی ضوء هذه النّظرات، و نستطیع أن ندرک أوّلا قیمته التربویّة، فتلک فی الواقع هی الطّریقة التّربویّة الوحیدة الممکنة فی حقبة تتّسم بمیلاد دین و بزوغ حضارة. (ص: ۱۶۶)

أنا أطالب کلّ من یدور بخلده مثل هذا السّؤال أن یتصوّر الحال لو أنزلت آیات القتال دفعة واحدة، و هی فی موضوع واحد بلا شکّ، بما ذا کان یفهم قوله تعالی: ادْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ «۱»، لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ «۲»، یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا «۳». مع قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِینَ یَلُونَکُمْ مِنَ الْکُفَّارِ وَ لْیَجِدُوا فِیکُمْ غِلْظَةً «۴»، وَ قاتِلُوهُمْ حَتَّی لا تَکُونَ فِتْنَةٌ وَ یَکُونَ الدِّینُ کُلُّهُ لِلَّهِ «۵»، وَ اقْتُلُوهُمْ حَیْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَیْثُ أَخْرَجُوکُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ «۶»، إِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ «۷»، مع قوله: الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْکُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِیکُمْ ضَعْفاً فَإِنْ یَکُنْ مِنْکُمْ مِائَةٌ صابِرَةٌ یَغْلِبُوا مِائَتَیْنِ «۸».

فلو لم یکن تنجیم و ترتیب فی النّزول، و دراسة تاریخیّة لکلّ آیة لکان ذلک من

---

(۱)- المؤمنون/ ۹۶.

(۲)- الکافرون/ ۶.

(۳)- آل عمران/ ۲۰۰.

(۴)- التّوبة/ ۱۲۳.

(۵)- الأنفال/ ۳۹.

(۶)- البقرة/ ۱۹۱.

(۷)- الأنفال/ ۶۵.

(۸)- الأنفال/ ۶۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۷۴

التّناقض الّذى يتنزّه عنه كلّ كتاب بشرىّ فما بالكم بالكتاب المحكم؟

و دراسة آيات التّشريع فى الخمر و الرّبا و غيرهما على ما سندرسه ترشدنا إلى أنّ التّنجيم فى القرآن ظاهرة لا يمكن أن يسير بدونها، و اجتماع مراحل التّشريع فى آيات متلاحقة يعطيك فكرة أنّ هذا القرآن لا يصدر إلّا من حكيم عليم. و القصّة و ما أدراك ما القصّة، إنّ أمرها فى التّنجيم عجيب! و أىّ عجب؛ إذ ذكرت فى أماكن متعدّدة و بأساليب مختلفة، و صورت المشهد الواحد عدّة صور، أ ترى لو أنّها جمعت فى مكان واحد أ كانت تعطى أىّ مبدأ من مبادئ الإعجاز فى البيان؟ لا أنها كانت مدعاة للسأم و الملل.

فإن قيل: يكفينا صورة واحدة كاملة بأسلوب واحد و تصوير واحد، هذا كلام من لم يدرس القصّة فى القرآن، و لم يعلم أنّ المصوّر إذا أراد أن يعطيك الصّورة الكاملة لشىء لا بدّ أن يصوّره فى عدّة أوضاع، و فى عدد من الاتّجاهات حتّى تستطيع أن تدركه، إذا التّكرار لازم و تنجيمه ألزم، و سبحان من هذا كلامه.

و إذا اتّجهت إلى الكلام على العقيدة هل يتصوّر أن ينزع كتاب أيّا كان عقيدة خالطت الدّم و العقل بجرّة قلم، بدقّة واحدة، بلغة واحدة، بدليل واحد، بخطّة واحدة، بتشريع واحد، بتصوير واحد، كلّ هذا لا يمكن أبدا. فلا بدّ من التّنجيم و التّنويع و اختلاف المكان و الزّمان.

انظر إلى حادثة بدر أو أحد، كيف كان الحال لو نزل القرآن كلّه مرّة واحدة عن هاتين الحادثتين دفعة واحدة قبلها أو بعدها؟ أمّا قبلها فلا وقع له فى النّفوس، و أمّا ما بعدها فسيكون حديثا عمّا مضى حديثا باهتا لا قوّة فيه. و لكن انظر إلى القرآن و هو يتتبع الحوادث أوّلا بأوّل، و لا يدع فرصة إلّا تكلّم عنها، و لا يدع موقفا متأزما إلّا قال كلمته فيه. اقرأ معى قوله تعالى: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَ لَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ* بَلى إِنْ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا وَ يَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هذا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ* وَ ما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى لَكُمْ وَ لِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ «۱».

---

(۱)- آل عمران/ ۱۲۴- ۱۲۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۷۵

تدبّر هذه الآيات و تعمّق فى الصّورة الّتى رسمها التّنزيل للأزمنة العنيفة، و الحيرة الشّديدة الّتى كان فيها المسلمون، ثمّ هذه البشارة و كيف كان وقعها على الجيش المحارب، ثمّ إذا تحقّق شرطها- الصّبر و التّقوى و مهاجمة الأعداء- تدرك عند ذلك كيف كانت البشرى و البشارة، و كيف كان وقع النّصر و الظّفر على قلوب المسلمين و قلوب الكافرين؟ و صدق اللّه وعده وَ كانَ حَقًّا عَلَيْنا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ «۱».

أ رأيت لو أنّ القرآن تكلّم عن غزوة بدر مرّة واحدة فى سورة واحدة، أ كان ذلك يعطينا تلك الصّورة الرّائعة؟ لقد كان تسلسل الوحى فى النّزول العامّ للقرآن الكريم، و النّزول الجزئىّ فى الموضوع الواحد خلال ثلاثة و عشرين سنة يبيّن لنا بيانا شافيا سيرة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و صحبه خطوة خطوة، و هو يحوطهم بالعناية و الرّعاية، و يشدّ عزمهم، و يثبّت أقدامهم، و ينفى القذى عن أعينهم، و يزيح الدّخان من أمامهم. ثمّ هو يكرّم شهداءهم، و ينذر أعداءهم، ثمّ هو يراقبهم بعين مفتوحة واعية، فإذا ما بيّتوا أمرا بليل فضحهم اللّه فى الصّباح الباكر؛ يَحْذَرُ الْمُنافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِما فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِؤُا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ ما تَحْذَرُونَ «۲».

و هكذا القرآن الكريم لا يترك حادثة وقعت بلا تعقيب عليها و توجيه سليم من أجلها، و لذلك تراه واقفا للمنافقين بالمرصاد،

يكشف سترهم حتّى يعرفهم الرّسول، و قد كانوا من قبل فى غمار القوم غير معروفين؛ وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ «۳». أ رأيت إلى الوحى الكريم فى تنجيمه و توقيته كان يقوم بدور المعلّم المرشد، و الهادى إلى الّتى هى أقوم؟ أ رأيت إلى القرآن الكريم و هو يأخذ فى دعوته و تشريعه و قصصه و أحكامه مأخذ التّدرّج و التّطوّر؟ أ رأيت لو أنّ القرآن سلك غير هذا السّبيل فجاء فى دعوته و تشريعه و قصصه بكلّ ما عنده من بيان و تفصيل دفعة واحدة

---

(۱)- الرّوم/ ۴۷.

(۲)- التّوبة/ ۶۴.

(۳)- التّوبة/ ۱۰۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۷۶

و كان يقع من النّاس هذا الموقع؟ و ما ذا كان الأمر لو لم يأت لكلّ ألم بعزاء، و لكلّ تضحية بجزاء، و لكلّ هزيمة بسبب و علاج، و لكلّ عقبة فى الطّريق بتوجيه حاسم؟ إن لم يكن كذلك لما كان لقوله تعالى: ما فَرَّطْنا فِي الْكِتابِ مِنْ شَيْءٍ «۱» موقع. أ لست معى فى أنّ القرآن و قد تنزّل منجّما كتاب محكم الآيات؟ بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ ما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ «۲». فتنجيمه قد ظنّه الجاهلون عيبا، فإذا هو أقصى ما يتصوّر فى الدّقة و الحكمة و البلوغ إلى الهدف الأعلى، عرفنا أنّ القرآن نزل منجّما، و كلّ وحدة فى النّزول ضمّت لأخواتها فى مجموعة واحدة (السّور القرآنيّة)، هذه الوحدة إذا ضمّت إلى وحدات أخرى لم تكن كالوحدة الحسابيّة إذا ضمّت لزميلتها، و إنّما هى وحدة ضمّت إلى وحدة كما يضمّ العضو فى الجسم إلى العضو الآخر. أ رأيت إلى السّاق و قد يضمّ إلى الذّراع؟ إن كنت درست علم الطّب أو التّشريح تدرك تماما كيف يكون الرّباط القوىّ المحكم، إنّ الّذى ربط هذه الأعضاء بهذه القوّة حتّى كان منها جسم كامل هو الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَ الَّذِي قَدَّرَ فَهَدى «۳»، هو الّذى ربط الآيات، الوحدة فى النّزول مع الوحدات الأخرى فى السّورة، فَتَبارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ «۴». و أعجب العجب أنّ هذه الوحدة الّتى نزلت فى موضوع خاصّ؛ إذا أخذتها و ضممتها إلى الوحدات الأخرى الّتى نزلت فى هذا الموضوع نفسه لرأيت العجب، تماسكا و تكاملا و ارتباطا و وحدة فى الموضوع! و هذا هو الهدف الأوّل للرّسالة. (ص: ۶۸- ۹۱)

---

(۱)- الأنعام/ ۳۸.

(۲)- العنكبوت/ ۴۹.

(۳)- الأعلى/ ۲- ۳.

(۴)- المؤمنون/ ۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۷۷

و نصّه أيضا فى «التّفسير الواضح»

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ .. الدّخان: ۳

أقسم ربّك بالقرآن الكريم الّذى هو الكتاب المبين على أنّه أنزل القرآن فى ليلة مباركة كثيرة الخيرات، و هذا النّسق من الكلام يدلّ على أنّ اللّه يعظّم القرآن غاية التّعظيم؛ حيث أقسم به على أنّه أنزل فى ليلة مباركة، و هذا شبيه بقولك لصديق لك: أقسم بحقّك

عليک.

و اللّه سبحانه يقول: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱» و يقول: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... «۲» و يقول هنا: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ. و من هذه النّصوص الصّريحة يتبيّن لنا أنّ القرآن نزل فی ليلة مباركة هی ليلة القدر، و هذه اللّيلة إحدى ليالی شهر رمضان الّذی أنزل فيه القرآن، حتّى تتوافق جميع النّصوص القرآنيّة، و لعلّ إبهامها ليترقّبها النّاس فی ثلاثين ليلة، وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنّا أنزلنا هذا القرآن فی ليلة مباركة- هی ليلة القدر لا ليلة نصف شعبان كما ذهب إلى ذلک بعض العلماء- إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ النّاس بهذا القرآن. و القرآن الكريم نزل منجّما تبعا للحوادث فی ثلاث و عشرين سنة بين مكّة و المدينة المنوّرة. و المعروف أنّ بدء نزوله كان فی ليلة القدر الّتی هی اللّيلة المباركة، و قيل: إنّ معنى نزوله فيها أنّه نزل إلى السّماء الدّنيا فی تلک اللّيلة، و اللّه أعلم بذلک.

(۲۵: ۵۴)

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

الفصل السّتّون نصّ الخطيب فی «التّفسير القرآنيّ للقرآن»

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ ... النّحل/ ۱۰۲

و هذه الظّاهرة فی القرآن الكريم، من تبادل الآيات أماكنها خلال الفترة الّتی نزل فيها، تقابلها ظاهرة أخرى، و هی نزول القرآن منجّما خلال ثلاث و عشرين سنة؛ حيث لم ينزّل جملة واحدة، و إنّما نزل آية آية و آيات آيات، حتّى كمل و تمّ بناؤه على الصّورة الّتی أراده عليها سبحانه و تعالى، كما تلقّاه النّبیّ الكريم من جبريل فی العرضة الأخيرة الّتی كانت بينهما، بعد أن تمّ نزول القرآن قبيل وفاة النّبیّ بزمن قليل. فهناک إذن عمليّتان قام عليهما بناء القرآن الكريم، و هما:

أوّلا: نزوله منجّما، أی مفرّقا.

و ثانيا: نزوله غير مرتّب الآيات فی السّور. و قد كشف اللّه سبحانه و تعالى عن السّبب الّذی من أجله كان بناء القرآن على هذا الأسلوب.

أمّا عن نزول القرآن مفرّقا، فاللّه سبحانه و تعالى يقول ردّا على المشركين الّذين أنكروا أن يجیء القرآن على هذا الأسلوب: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا* وَ لا يَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِ

وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۱». فتثبيت فؤاد النّبیّ هو من بعض ما فی نزول القرآن على تلک الصّورة من حكمة.

و أمّا عن نزول القرآن غير مرتّب الآی، فقد رأينا أنّ من حكمته تثبيت قلوب المؤمنين، بما تحمل إليهم الآيات الّتی تسبق سورها من بشريّات، كما يقول اللّه سبحانه و تعالى: وَ إِذا بَدَّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما يُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ* قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ «۲».

ففی هذا التّدبير، من نزول القرآن الكريم غير مرتّب الآی،- فی هذا ما يسمح بنزول بعض الآيات متقدّمة زمنا على سورها الّتی ستلتقی بها، و تأخذ مكانها فيها، بعد أن يتمّ نزول القرآن كلّه.

و فی هذه الآيات الّتی كانت تنزل متقدّمة زمنا على سورها، تثبيت لقلوب المؤمنين، و هدى لهم، و بشرى بالمستقبل المسعد الّذی

ینتظر الإسلام، و ینتظرهم معه.

و لو کان معنی قوله تعالی: إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ نسخ آیة بآیة، لما کان من المناسب أن یکون التّعقیب علی ذلک قوله تعالی: لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ، إذ أنّ النّسخ للآیات القرآنیّة، لیس من شأنه أن یثبت قلوب المؤمنین، بل أنّه یکون داعیة من دواعی الإزعاج النّفسیّ، بسبب تلک الآیات الّتی یعیش معها المسلمون زمنا، ثمّ یتخلّون عنها. ثمّ أنّه من جهة أخری لا یحمل النّسخ علی إطلاقه بشریات للمسلمین، إذ أنّ أکثر ما وقع النّسخ- کما یقول القائلون به- علی أحکام مخفّفة نسخت بغیرها، ممّا هو أثقل منها، کما یقال فی الآیات المنسوخة فی الخمر و فی الرّبا، و فی حدّ الزّنی.

ثمّ- قبل هذا کلّه- إنّ هذه الآیة: وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِما یُنَزِّلُ قالُوا إِنَّما أَنْتَ مُفْتَرٍ هی مکّیة النّزول، بل من أوائل القرآن المکّی؛ حیث لم تکن قد شرّعت

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

(۲)- النّحل/ ۱۰۱- ۱۰۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۸۰

الأحکام بعد، فی العبادات و المعاملات و فی القتال، و ما یتّصل به من غنائم و أسری، و غیر ذلک ممّا یمکن أن یرد علیه النّسخ، إن کان هناک نسخ، إذ أنّ النّسخ إنّما تناول الأحکام الشّرعیّة وحدها. هذا، و قد استدلّ القائلون بالنّسخ فی القرآن بآیة أخری، هی قوله تعالی:

وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِیٍّ إِلَّا إِذا تَمَنَّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فِی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللَّهُ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللَّهُ آیاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ* لِیَجْعَلَ ما یُلْقِی الشَّیْطانُ فِتْنَةً لِلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقاسِیَةِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِینَ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ «۱».

و سنعرض لهذه الآیة فی موضعها إن شاء اللّه، و حسبنا أن نقول هنا: إنّ النّسخ وارد علی ما یلقی الشّیطان، لا علی آیات اللّه، و أنّ اللّه سبحانه و تعالی یحکم آیاته و لا ینسخها، و إذن فلا نسخ فی آیات اللّه.

و لعلّ فی قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ «۲» هذا ما یشیر إلی شیء من هذا التّدبیر السّماویّ فی نزول القرآن غیر مرتّب الآی؛ إذ ربّما کان صلّی اللّه علیه و سلم تتنزّل علیه الآیة من القرآن، غیر منسوبة إلی سورة من السّور الّتی نزلت، فیبادر إلی وصلها بما سبقها أو لحقها، حتّی لا تظلّ فی عزلة بین سور القرآن الّتی تتلی فی الصّلاة، أو ترتّل فی غیر الصّلاة، فجاء قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً لیدفع عن النّبیّ هذا الشّعور من القلق علی تلک الآیات المفردة أن ینظر إلیها غیر تلک النّظرة الّتی للقرآن الّذی جمعت آیاته و تمّت سوره! فتلک دعوة للنّبیّ إلّا یعجل ببناء القرآن قبل أن یتمّ وحیه إلیه به، إذ ما زال هناک قرآن کثیر لم ینزل بعد، و فی هذا القرآن الّذی سینزل علم کثیر، یزداد به النّبیّ علما إلی علم.

و یؤنسنا فی هذا الفهم لتلک الآیة الکریمة ما نجده فی قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ «۳».

---

(۱)- الحجّ/ ۵۲- ۵۳.

(۲)- طه/ ۱۱۴.

(۳)- القیامة/ ۱۶- ۱۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۸۱

ففی هذه الآیات ما یکشف عن مشاعر النّبیّ نحو تلک الآیات الّتی کانت تتنزّل مفردة غیر منسوبة إلی سورة من السّور، و إشفاقه من

أن تفلت منه، حيث لم ترتبط بغيرها من آيات القرآن و السّورة.

و فى قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ تطمين للنبىّ بهذا الوعد الكريم من اللّه سبحانه، بأنّه جلّ شأنه هو الّذى سيتولّى جمع هذا القرآن المفرّق، و بناءه على الصّورة الّتى أراده اللّه سبحانه أن يقرأ عليها. و ذلك ما كان بعد أن تمّ نزول القرآن و انقطع الوحى، فكان القرآن على تلك الصّورة الّتى تلقّاها النّبىّ من جبريل فى العرضة الأخيرة للقرآن، ثمّ تلقّاها من النّبىّ الصّحابة و كتّاب الوحى، ثمّ تلقّاها المسلمون جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا و إلى يوم الدّين. (۷: ۳۶۷- ۳۷۱)

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ .. الإسراء/ ۱۰۶

و الواو فى قوله تعالى: وَ قُرْآناً هى واو العطف، و ما بعدها معطوف على الآية قبلها. ليثبت وصفا آخر للقرآن، فكما أنّه نزل بالحقّ، و بالحقّ استقرّ و ثبت، و لم يلحقه تبديل أو تحريف، هو كذلك نزل قرآنا منجّما، و لم ينزل مرّة واحدة. و فى تنكير قُرْآناً تنويه به، و رفع لقدمه، و أنّه لتفرّده بهذا الوصف مستغن عن كلّ تعريف، إذ كان هو وحده المستأهل لأن يقرأ، و أن يؤثر بالقراءة من كلّ قارئ.

و فَرَقْناهُ، أى نزّلناه مفرّقا، و لم ينزّل كلّا واحدا، كما نزلت الكتب قبله، و أصله من الفرق، و هو الفصل بين الشّيئين، كما يقول سبحانه و تعالى: فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ «۱» أى أنّ موسى حين ضرب البحر بعصاه انفلق و انشقّ، فكان كلّ فرق، أى جانب، كالجبل العظيم. و قد قرئ (فرّقناه) بتشديد الرّاء، و هذا يؤيّد المعنى الّذى أشرنا إليه، كما يؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ. فهذا تعليل للسّبب الّذى من أجله أنزل اللّه سبحانه و تعالى القرآن عَلى مُكْثٍ، أى على زمن متطاول، فنزّل منجّما، أى مفرّقا فى نحو ثلاث و عشرين سنة و ذلك ليعيش النّبىّ و المؤمنون معه على هذا

---

(۱)- الشّعراء/ ۶۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۸۲

الزّاد الكريم المختلف الألوان و الطّعوم، طوال تلك المدّة الّتى كان القرآن يتنزّل فيها، و هم يرصدون مطلع كلّ آية، و يشهدون بزوغ كلّ كلمة. و بهذا ظلّ النّبىّ و المؤمنون معه خلال هذه السّنين الثّلاث و العشرين فى مقام الانتظار لهذا الضّيف العظيم، تطلع عليهم مواكبه موكبا موكبا، و تلقاهم أضواؤه شعاعة شعاعة، حتّى إذا كان آخر كوكبة فى مواكبه، و آخر ضوءة بين السّماء و الأرض أذّن مؤذّن الحقّ: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «۱».

و عندها صافح النّبىّ هذا الوافد الكريم فى موكبه الحافل، و سناه المشرق، ثمّ ودّعه؛ لينتقل هو صلّى اللّه عليه و سلم إلى الرّفيق الأعلى، و ليقيم القرآن فى النّاس مقامه، حيث يجتمع عليه المسلمون، و يستقبلون من آياته و كلماته إشارات الهدى، إلى حيث الفلاح و النّجاة فى الدّنيا و الآخرة جميعا.

و فى قوله تعالى: لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ، و فى تعدية الفعل «قرأ» بحرف الجرّ (على): عَلَى النَّاسِ بدلا من اللّام: (للنّاس) إشارة إلى علوّ هذا القرآن، و أنّه بحيث يشرف عليهم من عليائه، فيملأ وجودهم نورا و ألقا، و بحيث يكشف لهم كلّ خفيّة، إذا هم جعلوا أبصارهم إليه، و وجّهوا عقولهم و قلوبهم له، فلا تعمى عليهم المسالك، و لا تتفرّق بهم السّبل، و فى هذا يقول الرّسول الكريم: «تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدى أبدا: كتاب اللّه و سنّتى».

و فى قوله تعالى: وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا بيان للأسلوب الّذى نزل به القرآن خلال هذا الزّمن الّذى نزل فيه، و أنّه نزّل تنزيلا، أى نزل شيئا فشيئا، و هذا يعنى أنّ القرآن الكريم و إن تلقّاه النّبىّ آية آية و آيات آيات و سورة سورة فإنّه فى جميع أحواله تلك هو القرآن الكريم كلّه. ففى الآية الواحدة أو الآيات يعرف القرآن الكريم، و يعرف أنّه كلام ربّ العالمين، و أنّه المعجزة القاهرة المتحدّية الّتى تقصر دونها أيدى البلغاء، و تخضع لجلالها رقاب الفحول من الشّعراء و الخطباء!

فالآيات القليلة الّتى تلقّاها النّبىّ فى صدر دعوته، كانت صورة مصغّرة للقرآن

---

(۱)- المائدة/ ۳.

الكريم كلّه، بها تحدّى قريشا، و بها أفحمهم و أعجزهم! و إذا كان لنا أن نمثّل الصّورة الّتى تنزّل بها القرآن، فإنّه يمكن أن نرى فى القمر و فى مطالعه و منازله أقرب صورة له، حيث القمر هو القمر فى جميع مطالعه، و إن لم ينكشف من وجهه هلالا، ما انكشف منه بدرا. إنّه فى جميع أحواله آية من آيات اللّه، و إنّ آية لمعة بارقة منه هى إشارة مبيّنة عنه، و نبأ عظيم يحدّث عن بهائه و جلاله و روعته و مع هذا، فإنّ العيون الكليلة لا تنبهر به، و القلوب المريضة لا يروعها ما يروع القلوب من هذا الجلال و الجمال المطلّ به على الوجود، تماما كالقرآن الكريم الّذى لم تتفتّح له قلوب المستكبرين الضّالّين، حتّى بعد أن تمّ و كمل، على حين انجذب إليه المهتدون المؤمنون مع أوّل آية من آياته، و لأوّل إشارة من إشاراته.

(۸: ۵۶۷- ۵۶۹)

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً الفرقان/ ۳۲

و هذه مقولة أخرى من مقولات المشركين فى القرآن، و من مماحكاتهم الغثّة الباردة حوله. لقد أخزاهم قولهم فيه: إِنْ هَذا إِلَّا إِفْكٌ افْتَراهُ وَ أَعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، و قولهم: أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا «۱»، لقد أخزاهم هذا القول، و لم يجدوا له بينهم أذنا تسمع، أو إنسانا يصدّق، فجاءوا إلى ما حول القرآن، لا إلى القرآن نفسه، إذ لم يجدوا للزّور فيه مقالا، و بدا لهم أنّ الصّورة الّتى ينزل عليها القرآن، يمكن أن ينظروا إليها على أنّها دليل على العجز و القصور، و على معاودة النّظر و معاناة البحث، حتّى يقع النّبىّ على الكلمات المناسبة و الظّرف المناسب، ثمّ يطلع على النّاس بها، هذا، و إلّا لما ذا جاء هذا القرآن منجّما هكذا، تتنزّل آياته قطرات قطرات، و لا تنزّل جملة واحدة؟ إنّه لو كان هذا القرآن من عند اللّه لأنزله اللّه جملة واحدة؛ إذ أنّ قدرة اللّه لا يكون منها هذا العجز البادى فى نزول القرآن قطعا متناثرة! هكذا فكّروا و هكذا قدّروا، و إنّه لبئس التّفكير و لبئس التّقدير! و فى قولهم: نُزِّلَ بدل أنزل، الّذى يناسب قولهم:

---

(۱)- الفرقان/ ۴- ۵.

جُمْلَةً واحِدَةً؛ لأنّ نُزِّلَ يفيد تقطيع الفعل، و وقوع النّزول حالا بعد حال، فى قولهم هذا تعريض بالتّهمة الّتى يتّهم بها القرآن عندهم، و هو أنّه نزّل لا أنزل، فهم يحكون الصّورة الّتى نزل عليها القرآن، ثمّ ينكرونها بقولهم: جُمْلَةً واحِدَةً.

و قد ردّ سبحانه و تعالى عليهم هذا الإنكار، مبيّنا الحكمة من نزول القرآن منجّما، على هذا الأسلوب، بقوله سبحانه: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا* وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً.

فقوله تعالى: كَذلِكَ إشارة إلى الصّورة الّتى نزل عليها القرآن، أى أنزلناه على هذا الأسلوب المنجّم: لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، و ذلك التّثبيت هو بهذا الاتّصال الدّائم بالسّماء، و بتلقّى ما ينزل منها حالا بعد حال، على مدى ثلاث و عشرين سنة، تنتظم مسيرة الدّعوة، من مبدأ الرّسالة إلى خاتمتها، فعلى كلّ خطوة فى هذه المسيرة، و عند كلّ موقف من مواقفها، كان الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم يتلقّى إمداد السّماء، و يفتح قلبه و سمعه لنداء الحقّ جلّ و علا، فيما يحمل إليه الملك من كلمات ربّه، فيجد الرّوح لروحه، و الأنس لنفسه، و العزاء الجميل لكلّ ما يلقى من ضرّ و أذى، كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ. و لو نزّل القرآن جملة واحدة، لما وجد الرّسول هذا الّذى

كان يجده منه، من أنس دائم، و مدد ممتدّ من تلك الثّمرات الطّيّبة، الّتى ينال غذاءه الرّوحىّ منها كلّما أحسّ جوعا، و هفت روحه إلى زاد من مائدة السّماء!.

إنّه لو نزّل القرآن جملة واحدة، لكان على النّبىّ أن يحمل هذا الزّاد الكثير معه على كاهله، ثمّ كان عليه- كلّما أحسّ جوعا- أن يتخيّر من هذا الزّاد طعامه، ثمّ كان عليه أن يعدّ هذا الطّعام، و أن يهيّئه، ثمّ كان عليه أيضا أن يحدّد القدر المناسب لحاجته، و هذه كلّها عمليّات تستنفد جهدا كبيرا من النّبىّ، و تذهب بكثير من طاقاته الرّوحيّة فى البحث و الإعداد، و هذا على خلاف نزول القرآن منجّما حسب الحاجة، و عند الظّروف الدّاعية؛ حيث يجد النّبىّ فى تلك الحال وجوده كلّه مع آيات اللّه المنزلة عليه، فتشتمل عليه، و تنسكب فى مشاعره و وجدانه، و تملأ عقله، و تلبس روحه، و شتّان بين طعام محفوظ فى علب، و بين هذا الطّعام المجتنى من مغارسه لساعته!. (۱۰: ۱۶- ۱۸)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۸۵

و نصّه أيضا فى «إعجاز القرآن»

كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا ... الفرقان/ ۳۲

فهذه ثلاثة أمور اقتضتها حكمة الحكيم العليم لمجىء القرآن منجّما على تلك المدّة الّتى نزل فيها. و ننظر فيها واحدا واحدا.

تثبيت فؤاد النّبىّ

و هذا الأمر بالمقام الأوّل، فإنّ النّبىّ هو حامل هذا المشعل السّماوىّ، فلا بدّ من حساب و تقدير معه، ليظلّ قويّا قادرا محتفظا بقوّته و قدرته على حمل هذا المشعل الّذى بين يديه، فإنّ أىّ ضعف أو وهن يعرض لحامل هذا المشعل يجعل الشّعلة تهتزّ فى يده، فلا تأخذ الوجه الّذى ينبغى أن تأخذه بين النّاس.

و ننظر فيما يكون لو نزل القرآن الكريم على النّبىّ جملة واحدة، كما كان هو المقترح من الكفّار.

فأوّلا: النّبىّ- كبشر- لا يستطيع أن يحتفظ بالقرآن فى صدره لو أنّه استمع إليه مرّة واحدة، و لو تحمّله عن هذا الاستماع لتفلّت كثير منه من صدره؛ إذ القرآن على قربه من القلوب، و مخالطته للنّفوس شديد التّفلّت من الصّدور، أشبه بالنّور يملأ العين ما دامت مفتوحة، فإذا غمضت امتلأت ظلاما، و قد وصف النّبىّ الكريم هذه الحال من القرآن فقال:

«استذكروا القرآن فهو أشدّ تفصّيا «۱» من صدور الرّجال من النّعم بعقلها» «۲».

و قد يعترض هنا معترض فيقول: أ ليس فى قدرة اللّه أن يحمل عن النّبىّ عب الحفظ، فيلقى إليه القرآن فى صدره، و يقذفه فى قلبه، و يقيمه فيه كلّه فى لحظة خاطفة، فلا يفلت منه شىء بعد هذا أبدا؟

---

(۱)- تفصّيا، أى تفلّتا، و النّعم: الإبل، العقل: جمع عقال، و هو ما تمسك به النّاقة فى مركبها.

(۲)- صحيح مسلم: ۱: ۱۹۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۸۶

و نقول: إنّ قدرة اللّه لا يعجزها شىء، و لو كان هذا الأمر المقترح وقع على تلك الصّورة لما كان للنّبىّ جهاده و بلاؤه، و لما كان له فضل ذاتىّ يضاف إلى حسابه، و يجزى به الجزاء الأوفى. و لقد أمره اللّه سبحانه و تعالى أن يهيّئ نفسه لحمل هذا العب، و أن يلقاه صابرا فيقول له: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا «۱»، و يقول له سبحانه: فَلا تُطِعِ الْكافِرِينَ وَ جاهِدْهُمْ بِهِ جِهاداً كَبِيراً «۲».

و ثانيا: لو نزّل القرآن جملة واحدة بأوامره و نواهيه و وعده و وعيده و إرشاداته و نصائحه و جدله و زواجره، و غير ذلك من مقاصد الكتاب العزيز. فكيف كان يمسك النّبىّ بكلّ هذه الاتّجاهات؟ و كيف كان يستقيم عليها خطوه و يجتمع إليها رأيه؟ و ما ذا كان يقدّم منها أو يؤخّر؟

لقد رأينا فی المبحث السّابق فی باب «القرآن فی منطق الأحداث» أنّ القرآن كان يدير المعركة الممتدّة بينه و بين كفّار قريش فی مكّة، ثمّ بينه و بينهم، و معهم اليهود فی المدينة، كان يدير هذه المعركة فی سلسلة من المعارك، يدخل فی كلّ معركة منها بالسّلاح المناسب لظروفها و أحوالها، و بهذا غلب و انتصر!

و انظر كيف كان الأمر لو أنّ القرآن المدنیّ نزل فی مكّة قبل الهجرة، و واجه به النّبیّ قريشا، ثمّ لمّا هاجر إلى المدينة واجههم بالقرآن المكّیّ؟ هذه جزئيّة صغيرة من جزئيّات الموقف؛ لأنّها تقسم القرآن قسمين، فكيف يكون الحال لو تغايرت الآيات كلّها و اختلط بعضها ببعض، ثمّ كان على النّبیّ أن يتخيّر ما يشاء منها؟ أ كان ذلك يجیء على الوجه الّذی نزل عليه القرآن؟ ثمّ لو كان ذلك ممكنا، أ كان للنّبیّ أن يمسك بعض الآيات و يرسل بعضها إلى أجل مسمّى؟ و إذن فهو التّنجيم الّذی يعترض عليه من الكفّار، و من فی قلوبهم مرض.

و إذن فقد كان على النّبیّ أن يبلّغ هذا القرآن الّذی نزل عليه، و أن يؤذّن به فی النّاس مرّة واحدة، و بغير هذه الصّورة يظلّ على هذا الاعتراض- السّفيه- قائما. و اذكر هنا كفّار قريش، و استحضر أبا جهل و أبا لهب و أميّة بن خلف، و غيرهم من رءوس الكفر، و انظر

---

(۱)- المزّمّل/ ۵.

(۲)- الفرقان/ ۵۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۸۷

كيف يكون الحال لو تلی عليهم القرآن هكذا مرّة واحدة فی يوم أو يومين مثلا؟ و انظر بأیّ قلوب، و بأيّة آذان كانوا يستمعون إلى ما فی القرآن عن بدر و أحد و الأحزاب و حنين؟ ما ذا يكون قول القرآن فی تلك الأحداث الّتی لم تقع بعد؟ و ما ذا كان يمكن أن يقول فی حديث الإفك مثلا؟ أو فی تلك الأحداث الّتی أمسك بها بعد أن وقعت، و ناقشها مناقشة كاشفة، و حاسب أصحابها حساب العليم الحكيم العادل؟ ما ذا كان يمكن أن يقول القرآن فی هذا و نحوه؟ كان لا بدّ أن يكون القرآن المقترح غير هذا القرآن، حتّى يجد من يسمع له، و لو مجرّد سماع! إنّ نزول القرآن نجوما على تلك الصّفة الّتی نزل بها قد مكّن له من أن يظلّ دائما على أحداث دعوته، مدافعا عنها، فاضحا أعداءه حين يضبطهم متلبّسين بما يدبّرون من زور و بهتان، و بما يبيّتون ما لا يرضى من القول! و فی هذا ما فيه من مؤانسة للنّبیّ، و تثبيت لقلبه، و تطييب لخاطره، و إنعاش لروحه كلّما نسم أنسام السّماء، و وجد شميمها فی غدوات جبريل و روحاته إليه. فعندئذ تتقشّع من نفسه سحب الهمّ و الضّيق الّتی كانت تسوقها إليه قريش، و غير قريش من المشركين و المنافقين، بما يدبّرون من مكايد، و ما يبيّتون من ضرّ و أذى. كما أنّه كان النّاس دائما فی ترقّب لما سينزل من قرآن يفضح ما فی الصّدور، و يكشف ما فی النّفوس من مضمرات السّوء.

ترتيل القرآن ترتيلا:

و ثانی الأمرين اللّذين كشف فيهما القرآن عن السّبب فی نزوله منجما هو ترتيل القرآن نفسه، فهذا التّرتيل ممّا أوجب اللّه تلاوة القرآن عليه و صحبته به، فقال تعالى مخاطبا نبيّه- و هو خطاب لأصحاب القرآن جميعا-: يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا* نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا* أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا «۱»

و قال سبحانه: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲».

فهذا التّرتیل یقتضی زمنا طویلا لیتلی فیه القرآن عَلی مُکْثٍ، و لهذا فقد نزّله اللّه تنزیلا، أی شیئا شیئا، و حالا بعد حال، کأنّما ینزل کلمهً کلمهً، أو قطرهً قطرهً!

---

(۱)- المزّمّل / ۱- ۴

(۲)- الإسراء / ۱۰۶

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۸۸

و تدبّر قوله تعالی: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا، تجد فی هذا النّغم المتقطّع مراحل زمنیّهٔ، یأخذ القرآن فیها طریقه من السّماء إلی الرّسول الکریم، و إلی النّاس، و أنّ هذه المراحل بعضها طویل، و بعضها قصیر، و بعضها أقصر، و هکذا، کما یشهد لذلک تاریخ القرآن، و کما تلمح هذا فی مقاطع هاتین الفاصلتین.

و لعلّ لعلم الموسیقی و علمائها نظر فی مقاطع هاتین الفاصلتین، و قیاس المسافات الزّمنیّهٔ فیها، ثمّ مراجعهٔ ذلک علی تاریخ النّزول القرآنیّ!

نقول هذا لا للبحث العلمیّ و تقریر النّظریّات، و إنّما لمطالعهٔ وجه من وجوه الرّوعهٔ و الجلال فی القرآن، فإن استبان لنا أخذنا حظّ النّفس و الرّوح من جلاله و روعته و جماله، و إلّا وجّهنا أنظارنا إلی آفاق أخری من القرآن الکریم، نطالع فیها وجوه الجمال و الجلال و الرّوعهٔ من قریب!

و نعود إلی ما کنّا فیه من النّظر فی قوله تعالی: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا لما ذا یرتّل القرآن ترتیلا؟ و ما ذا لو سرد سردا؟ أ ینقص ذلک من معانیه؟ أو یذهب ببعض الدّلالات و المفاهیم لما فیه؟

و الجواب علی هذه الأسئلهٔ یحتاج إلی أن ننظر إلی أکثر من اتّجاه.

فأوّلا- القرآن الکریم لیس کتاب علم یقرّر الحقائق الّتی حملها إلی النّاس تقریرا علمیّا، و لو کان ذلک من مقاصده لما طال هذا الطّول، و لما امتدّ هذا الامتداد، و لکان فی الإمکان عرض حقائقه کلّها فی آیات قلیلهٔ، لا تتجاوز سورهٔ من سور المفصّل، أو من طوال السّور علی أکثر تقدیر.

و لکنّ القرآن کتاب تربیهٔ و تهذیب قبل کلّ شیء، فهو یمهّد الطّریق إلی العقول و القلوب، قبل أن یغرس فیها ما یغرس من حقائق، شأن المربّی الّذی یقدّم وسائل الإیضاح بین یدی الحقائق الّتی یرید عرضها علی الطّالبین.

إنّ أکثر الحقائق القرآنیّهٔ معروفهٔ للنّاس قبل أن ینزل القرآن بها، قد جاءت بها الأدیان السّماویّهٔ و غیر السّماویّهٔ ممّا اهتدی إلیه النّاس بفطرتهم و بتجربتهم. و إنّما الّذی فی القرآن هو هذا الأسلوب المعجز فی عرضها و تجلیتها، و تألیف العقول و القلوب لها،

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۸۹

و خلط النّفوس و الأرواح بها.

و ترتیل القرآن داعیهٔ من أقوی الدّواعی لشرح الصّدور له، و تألیف القلوب علیه، و جذب النّفوس إلی تقبّل الحقائق الّتی حملها و الأخذ بها و التّجاوب معها. ذلک أنّ هذا التّرتیل یعرض الحقائق عرضا مشبعا بالجوّ العاطفیّ المناسب لها، فتجد مساربها إلی العقول و القلوب، و تنفذ إلیها فی تدفّق و قوّهٔ، فیستیقظ لها الکیان الإنسانیّ کلّه، و تصحو لها المشاعر و المدارک، و تتلقّاها فی نشوهٔ غامرهٔ، و فی روح و راحهٔ و رضی.

إنّ هذا التّرتیل هو الموسیقی السّماویّهٔ الّتی صحبت القرآن؛ کی تؤدّی بها الحقائق القرآنیّهٔ لتبلغ غایتها المقدّرهٔ لها من التّأثیر و الإقناع، و بغیر هذا التّرتیل تتعرّی هذه الحقائق من تلک الهزّهٔ الرّوحیّهٔ الّتی تلمس قرارهٔ النّفس، و تمسّ صمیم الوجدان. و من أجل هذا کان هذا التّوجیه الإلهیّ الّذی حمل إلی النّبیّ الکریم فی صورهٔ الأمر: وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِیلًا.

و قد امتثل النّبیّ هذا الأمر، و أخذ نفسه بهذا التّوجیه الحکیم فی قراءة القرآن، و دعا أصحابه و من دخل فی دعوته أن یتابعوه فیه، و فی هذا یقول صلّی اللّه علیه و سلم: «ما أذن اللّه لشیء ما أذن لنبیّ یتغنّی بالقرآن». و یقول النّبیّ الکریم أیضا: «زیّنوا القرآن بأصواتکم».

هذا و النّغم الموسیقی الّذی یشعّ من تلاوة القرآن نغم مصفّی من کلّ شائبة من تلک الشّوائب الّتی تصحب بعض الألحان الّتی تثیر الغرائز الخسیسة، أو تهیج المشاعر النّازلة، و إنّما هو الجلال المهیب، و الرّوعة الآخذة، تحفّان بتلاوة القرآن، و تستولیان علی کلّ من هو بمحضر أو مسمع من مجلس تلاوته.

و ثانیا: من حساب النّاس مع کلّ طیّب، من قول أو عمل، و من کلّ مادّی أو معنویّ من شئونهم أن یحرصوا علی طول صحبتهم له، و أن یتوسّلوا بکلّ وسیلة تبقی علی هذه الصّحبة أطول زمن ممکن.

و القرآن الکریم خیر ما وقع للنّاس فی هذه الحیاة من طیّبات، تنعم بها الأرواح، و تسعد فی ظلّها القلوب. و لهذا فقد کان من تمام هذه النّعمة الکریمة الّتی أنعم بها علی نبیّه و علی الإنسانیّة کلّها أن ینزل القرآن منجّما مرتّلا. و بهذا یتضاعف الفضل، و تتزاوج النّعمة

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۹۰

علی النّبیّ و علی أتباع النّبیّ جمیعا؛ إذ یظلّ هذا الخیر الغدق غادیا علی النّبیّ و علی صحابته ثلاثا و عشرین سنة، یتلقّون کلّ وقت جدیدا من النّعم و مزیدا من الخیر، حتّی إذا تمّ تمامه، و کمل بدره صحبوه علی أسلوب أشبه بهذا الأسلوب الّذی نزل به، فرتّلوه هذا التّرتیل الّذی یطیل صحبتهم لکلماته و آیاته، فلا یقطعون ما بین عبریه إلّا فی أضعاف الزّمن الّذی یعبر به ما بین دفّتی المصحف، من یعدو عدوّا أو یجری جریا.

مواجهة الأحداث:

و الأمر الثّالث الّذی جاء بسببه القرآن منجّما هو مواجهة الأحداث الّتی تلتقی بالدّعوة الّتی یقوم علیها الرّسول الکریم، أو مشارکة الرّسول و مساندته فی الصّراع الّذی یقع بینه و بین المعارضین و المعاندین، و ذلک ما یشیر إلیه قوله تعالی: وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً.

و قد أشرنا إلی شیء من ذلک من قبل و قلنا: إنّه لو نزل القرآن جملة واحدة لما کان له مجال یتحرّک فیه مع الأحداث الّتی تواجه الرّسول، و لما کان فی الإمکان أن یکون حدیث عن مجادلات الکفّار و محاوراتهم و ردّ القرآن علیهم و إفحامه لهم، کما لا یمکن أن یکون فیه حدیث عن تلک الأمور الّتی وقعت أثناء الدّعوة، کالإسراء، و استماع الجنّ إلی القرآن من النّبیّ و إیمانهم به، و هکذا ممّا ورد فی القرآن من صور الواقع الّذی کانت تعیش فیه الدّعوة بین أولیائها و أعدائها، و هو قدر کبیر من القرآن، کان ذا أثر قویّ فی التّمکین للدّعوة، و تثبیت قلوب المؤمنین بها، و کبت أعدائها فی کلّ مجال تصدّوا لها فیه، سواء فی مجال الجدل و الحجاج باللّسان، أو المصاولة و المضاربة فی میادین القتال.

(ص: ۱۴۱- ۱۴۷)

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ ... آل عمران: ۳

فهذه مقامات ثلاثة:

فالقرآن الکریم کان نزوله منجّما، فناسبه التّعبیر بقوله تعالی: نُزِّلَ الّتی تفید فی صورتها النّطقیّة و السّمعیّة تقطیعا یدلّ علی تکرار الحدث مرّة بعد مرّة. أمّا التّوراة

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۹۱

و الإنجیل فقد نزلا دفعة واحدة، فناسبهما الفعل (انزل) الّذی یدلّ فی صورتیه اللّفظیّة و السّمعیّة علی مجرّد حدوث الفعل من غیر تکرار الحدث مرّة بعد مرّة. ثمّ کان القرآن قد کاد یتکمّل حقیقته بهذا القدر الکبیر الّذی نزل منه، إذ کانت سورة آل عمران- الّتی فیها هذه الآیة- من أواسط السّور المدنیّة و بهذا ناسب أن یعبّر عن القرآن مرّة أخری بالفعل (انزل) الّذی یدلّ علی مجرّد النّزول. و یفهم من هذا أنّ القرآن نزل علی صورة غیر الصّورة الّتی نزلت علیها التّوراة و الإنجیل؛ إذ نزل نجوما مفرّقة، علی حین أنّهما نزلا دفعة واحدة.

ثمّ لکی یکون هناک ما ینفی عن نزول القرآن علی تلک الصّورة أنّه لم یکمل، و أنّه قد نزل بعضه و لم ینزل جمیعه، قال: وَ أَنْزَلَ الْفُرْقانَ، أی أنّه کمل أو فی طریق الکمال، شأن الکتب السّماویّة الّتی نزلت جملة واحدة. و نزول القرآن علی تلک الصّفة منجّما قد أکسبه خاصّیّة لا یمکن أن تتحقّق لو أنّه نزل جملة واحدة، و قد استطاع بنزوله نجوما هکذا أن یکون قائما علی إحداث دعوته مدافعا عنها، فاضحا أعداءه حین یضبطهم متلبّسین بالإفک و البهتان و تبیّت ما لا یرضی من القول، ثمّ لم یفقده ذلک شیئا ممّا ینبغی له من تمام و کمال، فلم تسقط منه کلمة، و لم ینخرم منه حرف. (ص: ۳۰۷)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۹۲

الفصل الحادی و السّتّون نصّ الدّکتور العطّار (م: ۱۴۰۳ ه) فی «موجز علوم القرآن»

نزول القرآن و تنزیله

تنزّلات القرآن: بعض آیات القرآن الکریم قرّرت نزول القرآن فی شهر رمضان

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ ... «۱»

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲».

و بعضها قرّرت تنزیله منجّما (خلال ما یقرب من ثلاث و عشرین سنة): وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۳».

فی حین أنا نعلم أنّ الرّسول الأمین صلّی اللّه علیه و آله بعث بالرّسالة فی السّابع و العشرین من شهر رجب- علی أقوی الرّوایات- و إنّ أوّل ما نزل من القرآن هو ما صاحب البعثة الشّریفة، و هو قوله تعالی: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ «۴» و بعدها نزلت سورة المدّثّر.

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۴)- العلق/ ۱- ۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۴۹۳

و منها یتبیّن أنّ القرآن أنزل فی لیلة القدر، و تمّ تنزیله طیلة البعثة النّبویّة، و إنّ أوّل ما نزل من القرآن هو فی شهر رجب، فکیف یمکن التّوفیق بین ما یبدو من تعارض؟

لا بدّ من التّفریق بین معنی الإنزال و التّنزیل، و الأصل فی النّزول هو الورود علی المحلّ من علوّ، و العلوّ کما یکون مکانیّا؛ فیقال: علا الطّائر، إذا ارتفع عن مستوی الأرض، فقد یکون شأنیّا؛ فیقال: علا مستوی الطّلبة- مثلا- حین تزداد معارفهم و یرتفع مستوی

معلوماتهم.

فللإشارة إلى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تلقّى القرآن الكريم من جهة عليا هى اللّه تعالى، جاء التّعبير عن وحيه بالنّزول.

على أنّ هنا فرقا بين (الإنزال) و (التّنزيل) رغم دلالتيهما على الورود التّدريجىّ.

و حين يتّضح معنى كلّ من الإنزال و التّنزيل فلا يبقى تعارض، و يكون معنى قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ و قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ فى رأى عدد من العلماء، هو النّزول الدّفعىّ للقرآن الكريم، أو الإجمالىّ، بمعنى أنّه نزل إلى سماء الدّنيا ليلة القدر جملة واحدة، ثمّ نزل بعدها منجما [ثمّ ذكر قول الزّركشىّ و القسطلانىّ، كما تقدّم عنهما، فقال:]

و يبدو أنّ الهدف من إنزال القرآن دفعة واحدة للمرّة الأولى هو تنوير النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالمعارف الإلهيّة الكبرى، و أسرار الكون العظيمة، ليمتلئ قلبه صلّى اللّه عليه و آله بالعلوم القرآنيّة، و الحقائق الكونيّة الجليلة؛ قال الزّنجانىّ: على أنّه يمكن أن نقول: بأنّ روح القرآن، و هى أغراضه الكلّيّة الّتى يرمى إليها تجلّت لقلبه الشّريف فى تلك اللّيلة، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ «۱»

فيكون معنى قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا «۲»

و قوله سبحانه: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۳»،

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۴.

(۲)- الإنسان/ ۲۳.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۹۴

و نظائرها من الآيات يفيد (التّنزيل) لا (الإنزال)، و هو تنزيل القرآن منجما و بصورة تدريجيّة.

قال ابن عبّاس: أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدّنيا فى ليلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلك فى عشرين سنة «۱»، و عنده أيضا أنّه قال: الّذى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ: جبريل بالقرآن جملة إلى سماء الدّنيا، ثمّ نزل بعد ذلك على محمّد صلّى اللّه عليه و آله يوما بيوم، آية و آيتين و ثلاثا، و سورة «۲».

و لعلّ تنزيل القرآن تمّ لعلل؛ منها: تربية الأمّة و ترويضها و هدايتها و تمكينها من التّطبيق و الالتزام بالأحكام، و ما إليه ممّا سنذكره فيما بعد إن شاء اللّه تعالى.

و يتبيّن أنّ القرآن الكريم قد أنزل دفعة إجماليّة على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله أو إلى السّماء الدّنيا، ثمّ تدرّج نزوله طيلة حياته بعد البعثة. و من هذا البيان نفهم قوله تعالى: الر* كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۳» فإنّها تشير إلى القرآن حالة كونه محكما، و قد أنزله اللّه تعالى على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله دفعة واحدة، ثمّ فصّل تفصيلا حين تنزّل عليه آيات متفرّقات خلال مدّة الدّعوة النّبويّة.

و منه يظهر أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله حين تنزّل عليه الآيات و السّور كان على علم سابق بمحكم القرآن، لنزوله عليه جملة و دفعة واحدة. و هذا المعنى هو ما يلوح من قوله تعالى:

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً «۴». فإنّها و أمثالها من الآيات ظاهرة فى أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله كان له علم بما سينزل عليه فنهى عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحى.

و ممّا يؤيّد ما ذهبنا إليه، من بيان تنزّلات القرآن، ما ورد عن ابن عبّاس أنّه سأله ابن عطيّة .. [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ].

---

(۱)- فضائل القرآن/ ۲.

(۲)- تنوير المقباس (تفسير ابن عبّاس) ۱: ۸۶.

(۳)- هود/ ۱

(۴)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۹۵

التّدرّج فى تنزيل القرآن الكريم

اشارة

تمّ تنزيل القرآن الكريم وفق منهج الإسلام فى تغيير المجتمع البشرىّ، و طبقا لفطرة الإنسان. و إنّ هذا التّوافق بين تنزيل القرآن منجّما من جهة، و بين طريقة الإسلام التّدرّجيّة فى تغيير المجتمعات من جهة ثانية، و بين سنّة اللّه تعالى فى تغيير المجتمعات التّدريجىّ، لهو آية من آيات وحدة مصدر الكون و الحياة و الإنسان، كما فى دلالة قطعيّة على أنّ مصدر القرآن هو خالق الإنسان، و إلّا كيف حدث هذا التّوافق، و تمّ نقل المجتمع البشرىّ من حضيض ما آل إليه أمره إلى المستوى الإنسانىّ اللّائق الّذى شهده العالم فى ظلّ سيادة الإسلام العظيم.

لقد كان لتدرّج تنزيل القرآن أثر بالغ فى نشر الدّعوة الإسلاميّة، و سنبحثه فى المطلب الأوّل، كما أنّ هذا التّدرّج فى التّنزيل تمّ لحكم تخصّ القرآن و الرّسول و المكلّفين من النّاس، و سنبحثها فى المطلب الثّانى.

المطلب الأوّل- أثر تدرّج تنزيل القرآن فى نشر الدّعوة الإسلاميّة

اشارة

إنّ التّغييرات الاجتماعيّة ليست عمليّة (ميكانيكيّة) بالنّسبة للفرد و المجتمع، بل هى حركة (ديناميكيّة) يتغيّر بموجبها المحتوى الدّاخلىّ للإنسان، فتتغيّر بذلك المظاهر العامّة لحياة المجتمع. لذلك فإنّ أهمّ شرط من شروط نجاح أيّة فكرة تغييريّة، أن تنفذ إلى فطرة الإنسان، و أن تكون متساوية معها، غير متنافرة مع متطلّباتها و حاجاتها الضّروريّة، و إلّا فنصيبها الفشل العاجل أو الآجل.

و لقد عشنا، و سمعنا كثيرا من (الأطروحات) التّغييريّة الّتى تطرح فى السّاحة الإنسانيّة أملا فى أن يؤمن بها الفرد، و تسود الجماعة، و لكن سرعان ما تغدو فقاعة صابون تنجاب بأوّل هزّة، أو أن تبقى نظريّات مجرّدة تحتجنها بطون الكتب.

و من الجلىّ أنّ (الأطروحة) الإسلاميّة مدهشة للغاية، من حيث ميزاتها الذّاتيّة و آثارها التّطبيقيّة. فإنّها فى عمقها التّشريعىّ و شمولها لكلّ ألوان النّشاط الإنسانىّ الفردىّ

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۹۶

و الجمعىّ، و على كلّ صعيد من جهة، و سرعتها الخارقة الّتى استطاعت خلالها أن تجسّد عقائدها و تشريعاتها، و تمثّل قيمها و مثلها و تحقيق أهدافها و أغراضها، من جهة أخرى، قد تميّزت بميزات أفردتها عن سواها، و سجّلت فى هذا المجال نصرا لم تشهد مثيله الإنسانيّة.

و لم تكن (الطّريقة) الفريدة الّتى مارستها الرّسالة الإسلاميّة فى تغيير المجتمع تشوبها شائبة من شوائب (العفويّة) أو (الارتجال) أو

(الاعتباط)، و إنّما كانت مقدّرة أحسن تقدير، و مرسومة من قبل العليم الخبير، و لهذا أثمرت للبشريّة أسمى حضارات كوكبنا الأرضىّ.

و لو تدبّرنا طريقة الدّعوة الإسلاميّة لوجدناها أخذت بالتّدرّج فى ثلاثة مجالات:

الأوّل- التّدرّج فى موضوع الرّسالة:

حيث بدأ الإسلام بتغيير عقائد النّاس و أفكارهم أوّلا، ثمّ راح يضع لهم القوانين و التّعاليم الّتى تنظّم الفرد و المجتمع ثانيا، و ذلك لأنّ الإنسان يسهل عليه أن يغيّر فكرة سبق أن آمن بها، و أن يقتنع بفكرة جديدة قام الدّليل على رجحانها، فى حين يعسر عليه و يشقّ أن يغيّر تعاملا سلوكيّا سار عليه و اعتاده. و هذه القضيّة واضحة لمن تدبّر طبيعة الآيات الّتى نزلت فى مكّة، فإنّها عقائديّة بصورة عامّة، أمّا الآيات الّتى نزلت بعد الهجرة فإنّها تشريعيّة عمليّة بصورة غالبة.

الثّانى- التّدرّج فى نشر الرّسالة:

حيث باشر الرّسول صلّى اللّه عليه و آله رسالته الكريمة بدعوته عشيرته الأقربين وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ «١»، ثمّ اتّسعت الدّعوة فبلّغها للنّاس من حوله فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ .. «٢»،

ثمّ راح يخاطب الملوك و الرّؤساء فى العالم، «٣» يعرض عليهم الإسلام باعتباره رسول اللّه

---

(١)- الشّعراء/ ٢١۴.

(٢)- الحجر/ ٩۴.

(٣)- راجع كتابه «التّفسير»، فصل التّنظيم الدّولىّ، رسائل النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلى الملوك و الرّؤساء.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۹۷

إلى النّاس جميعا.

و من الجدير بالذّكر و التّأكيد أنّ طبيعة رسالة الإسلام كانت منذ البداية و بالأصل للنّاس جميعا حتّى يوم القيامة، و لكنّ التّدرّج وقع فى مباشرة الرّسالة، كطريقة طبيعيّة و مضمونة النّجاح، و ليس الأمر كما يدّعى بعض المستشرقين من افتراء و تهم، يرمون بها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من أنّه لم يكن يفكّر أوّل الأمر بالنّاس و بالدّولة، و إنّما كان قصده أهله و عشيرته، و حين اتّسقت له الأمور، وسّع رسالته و نشر دعوته و أقام دولته. فإنّ هذه الفرية مردودة من أساسها و واضحة البطلان بنصوص القرآن الكريم.

الثّالث- التّدرّج فى الأساليب

حيث بدأ رسول اللّه الدّعوة بالقول اللّين و الإرشاد و الموعظة الحسنة. ثمّ ثنّى بالمواقف السّلبيّة و المقاطعات السّلميّة، و النّهى عن الرّكون إلى الأعداء، أو موالاة الجاهلين و أعداء الإسلام. ثمّ أردف ذلك بمقاومة المعتدين، و جهاد من يقف حائلا دون حرّيّة الرّسالة الغرّاء فى دعوة النّاس إليها. و هذا التّدرّج ظاهر من آيات التّصبّر و التّسلية الّتى كانت تنزل على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله؛ لتسليته عمّا يعانى من اضطهاد قريش. ثمّ أذن اللّه تعالى بقتال من يقاتل المسلمين، فمارس رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله الدّفاع الشّرعىّ لحماية المسلمين من العدوان، و إتاحة المجال لممارسة التّبشير بالإسلام.

لقد كان لهذا التّدرّج فى مجالاته الثّلاثة أبلغ الأثر فى شمول الإسلام للعالم، و فتحه للقلوب قبل الأقطار، و دون أيّة مقاومة شعبيّة تذكر، فى أكثر البلدان الّتى حرّرها الإسلام.

و إنّ الطّريقة التّدرجيّة الّتى مارس الإسلام بموجبها دوره فى الهداية و التّنظيم الواسع الشّامل، ليجسد حقيقة ناصعة، هى أنّ الإسلام التّشريعىّ الأصلح و الأمثل للإنسان باعتباره دين الفطرة فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَ لكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ «۱».

و إنّ هذه الطّريقة كانت نتيجة حتميّة لنزول القرآن منجّما؛ إذ أنّ من الواضح لو نزل

(۱)- الرّوم/ ۳۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۹۸

جملة، لوجب تكليف النّاس به دفعة واحدة. و لكان الأمر على غير ما حدث. و لكنّ حكمة البارئ عزّ و جلّ و لطفه و رحمته بالنّاس، كلّ ذلك يسّر على النّاس الأمر و ضمن للرّسالة، النّجاح و الانتشار السّريع.

المطلب الثّانى- حكم تدرّج تنزيل القرآن

اشارة

على ضوء ما سبق بيانه، نلمس أنّ التّدرّج فى التّنزيل جاء منسجما مع طبائع المجتمع، و مقرّرا أسلوب الإسلام فى العمل الاجتماعىّ، لا سيّما و أنّ القرآن يمثّل المصدر الأوّل للتّشريع الإسلامىّ.

و لم يكن هذا التّدرّج إلّا لحكم إلهيّة بالغة، اقتضتها مشيئة اللّه تعالى، و أحاط بها علمه الّذى أحاط بكلّ شىء، و وضع لكلّ شىء قدرا، و نحن و إن كنّا نجهل تلك الحكم بحقائقها، غير أنّا حين نذكر بعضها فإنّما نذكر ما وقفت عليه عقولنا و أدركته أفكارنا، و دون أن ندّعى أن ما ندركه هو الحقائق الشّرعيّة الثّابتة القطعيّة، بل هى حكم راجحة ظاهرة.

و يمكن تصنيف هذه الحكم إلى ثلاثة أصناف: حكم تخصّ الرّسول الكريم صلّى اللّه عليه و آله، و أخرى تخصّ القرآن، و ثالثة تخصّ النّاس.

أوّلا- حكم تخصّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله

۱- إظهار عظمة الرّسول صلّى اللّه عليه و آله: إنّ نزول القرآن جملة فى شهر رمضان فى ليلة القدر، و تردّد الوحى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من لدن البعثة المباركة حتّى وفاته تفصح عن عظيم مكانته عند اللّه تعالى، و سموّ منزلته، و جليل رعاية اللّه تعالى له و عنايته به؛ لأنّ الحبيب يكثر من ملاقاة محبّه و يزيد من تردّده عليه.

۲- تثبيت فؤاد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله: إنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله بشر، و قد أنيطت به مهمّة تحويل مجرى حياة البشريّة تحويلا يستمرّ إلى يوم القيامة، و إرساء قواعد حضارة تبقى صالحة كرّ الدّهور، و حمل رسالة كتب اللّه تعالى على نفسه أن يظهرها، و ينصرها على الدّين كلّه.

و مع عظمة المسئوليّة الملقاة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، نجده عديم المال فاقد الأنصار، لا يملك من الوسائل التّغييريّة، إلّا أصالة الرّسالة الّتى يحملها، و قوّة الإيمان الّذى ينطلق

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۴۹۹

منه، فليس معه أحد إلّا الصّفوة من أهله و عشيرته، أمّا سائر أفراد عشيرته و جميع النّاس حوله، فيقفون وجها لوجه أمام دعوته، بكلّ ضراوة، و بشراسة لا توصف.

و لا غرو أنّ مثل هذه المهمّة صعب جدّا، بل هو فوق طاقة البشر. فكان لا بدّ من إمداد غيبىّ مستمرّ، حتّى يكمل الدّين، و تتمّ النّعمة، و يسود الإسلام. و كان هذا الإمداد إسعافا و نجدة إلهيّة، تربط جنان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله بآية تسلية أو بتأكيد النّصر له، كلّما ادلهمّ الخطب، و اعصوصب الأمر.

و لطالما كان الملك جبريل ينزل إليه صلّى اللّه عليه و آله لتسليته وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا «۱»

فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۲»، فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِما يَصْنَعُونَ «۳»

و كان الوحى بأمر اللّه يدرأ عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله ما يكال له من الأكاذيب و التّهم، و ممّا نزل فى هذا المجال قوله تعالى: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ* وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا ... «۴»

۳- تيسير حفظ القرآن: إنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله كان أمّيّا لا- يقرأ و لا- يكتب، و إنّ تدرّج تنزيل القرآن الكريم، يسّر عليه حفظه، بخلاف غيره من الأنبياء، فإنّهم كانوا يقرءون و يكتبون، فيمكنهم حفظ ما ينزل إليهم من الشّرائع و الرّسالات.

فلقد كان موسى عليه السّلام كاتبا، كما تذكر التّوراة الّتى بأيدينا، فقد جاء فيها: (و قال الرّبّ لموسى اكتب لنفسك هذه الكلمات؛ لأنّنى بحسب هذه الكلمات قطعت عهدا معك ...

فكتب على اللّوحين كلمات العهد، الكلمات العشر) «۵».

---

(۱)- المزّمّل/ ۱۰.

(۲)- الأحقاف/ ۳۵.

(۳)- فاطر/ ۸.

(۴)- الأنعام/ ۳۳- ۳۴.

(۵)- التّوراة/ سفر الخروج، الإصحاح ۳۴/ ۲۷، ۲۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۰۰

و قال الفرّاء فى معنى قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۱»، إنّهما من قول المشركين، أى هلّا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما أنزلت التّوراة على موسى.

قال اللّه: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا لنثبّت به فؤادك، كان ينزل الآية و الآيتين «۲». [ثمّ حكى قول أبى شامة و ابن فورك، كما تقدّم عن أبى شامة].

و لقد ساوى اللّه نبيّنا بسائر الأنبياء فى إنزاله القرآن جملة «۳»، و فضّل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على سائر الأنبياء بتنزيله منجما مرّة أخرى ليحفظه؛ إذ أنّ تردّد الوحى فى كلّ ما يستجدّ من حادثة أشدّ عناية بالمرسل إليه، كما أنّ فيه ما يبعث السّرور فى قلب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله.

و الأمّيّة فى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله صفة تعلى شأنه، و تظهر إعجاز القرآن بجلاء، حيث أنّ القراءة و الكتابة وسيلة للعلم لا غاية بذاتها. و قد جاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بما لم يأت به من نبىّ و لا رسول و لا أحد من قبله و لا من بعده، من سعة الشّريعة الغرّاء و شمولها و سموّها. و لو كان يقرأ و يكتب لما كان هذا الشّأن الّذى أبهر علماء العالم.

ثانيا- حكم تخصّ القرآن:

۱- بيان إعجازه: إنّ القرآن الكريم حين نزل آية أو آيتين إلى عشر آيات طيلة ما يقرب من ثلاث و عشرين سنة، على نسق واحد و

سموّ واحد، دون تعارض أو اختلاف، و هو يمرّ خلال تنزيله بأحوال شتّى، تعرض لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من شدّة و رخاء و عسر و يسر، دون أن ينعكس ذلك على القرآن، و دون أن يظهر فيه أىّ لون من ألوان الانفعال البشرىّ الّذى تثيره تلك الأحداث الجسام، فإنّ ذلك أظهر لعظمة القرآن، و آكد لإعجازه

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- معانى القرآن ۲: ۲۶۷ و ما بعدها.

(۳)- قال السّيوطىّ: إنّ سائر الكتب أنزلت جملة، و هو مشهور فى كلام العلماء و على ألسنتهم حتّى كاد يكون إجماعا، و قد رأيت بعض فضلاء العصر أنكر ذلك، و قال إنّه لا دليل عليه، بل الصّواب أنّها نزلت مفرّقات كالقرآن. و أقول: الصّواب الأوّل.

راجع الأدلّة على ذلك: معترك الأقران فى إعجاز القرآن ۲: ۲۰۷.

و جاء أيضا: أنّ نزول التّوراة على موسى كان على زمان تكليمه ... متراخيا فى أكثر من أربعين سنة. (تفسير شبّر، هامش: ۱۲).

و وحيه، و هو يتحدّى الثّقلين أن يأتوا بسورة من مثله طيلة هذه الأعوام.

۲- بيان الميزة العمليّة للقرآن: لم يكن القرآن كتابا نظريّا يطرح فى المجتمع ليتفاعل معه. و على ضوء ما تتمخّض عنه التّجربة تجرى عليه التّعديلات اللّازمة، و يمارس فيه النّقض و الإبرام. إنّ هذا هو شأن ما يتولّد عن العقل البشرىّ؛ حيث أنّ العقل محدود، فما يتولّد عنه لا بدّ أن يكون محدودا. أمّا القرآن الكريم فإنّه الر* كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۱».

لقد جاء القرآن ليطبّق و يهتدى به النّاس، و ينظّم شئونهم المعاشيّة و المعاديّة، و ليقرّر الحقوق و الواجبات للفرد و الجماعة، و يقيم الموازين القسط بين النّاس. لذا كان لزاما أن يأتى مطابقا لسنّة اللّه فى تغيّر المجتمعات و تطوّرها التّدريجىّ. و هكذا تمّ تنزيل القرآن على هذه السّنّة؛ يأتى إلى النّاس شيئا فشيئا، فيتغيّر النّاس بموجبه شيئا فشيئا، حتّى كمل تنزيل القرآن، فكان المجتمع قد تغيّر بكامل جوانبه.

فالجانب العملىّ فى القرآن ليس فى المجال الموضوعىّ، و ما جاء به من تشريعات و أحكام و قواعد و نحو ذلك فحسب، بل إنّه كان (عمليّا) فى الطّريقة أو الأسلوب الّذى تمّ تنزيله، و لو لا هذا الأسلوب لما امتاز بسمته العمليّة الّذى ميّزته و أكسبته قوّة فعّالة إلى جانب قوّته الموضوعيّة الأصليّة فى التّأثير.

۳- أولويّة الوحى: ممّا روعى فى تنجيم القرآن أولويّة ما يكون مائلا- من الوقائع؛ إذ أنّ بسط الموضوع نظريّا ليس له من التّأثير- عقائديّا و اجتماعيّا- كما لو نزل الحكم إثر واقعة من الوقائع، أو عند احتياج النّاس إليه، الأمر الّذى كان يكسب الأحكام صفة الالتزام المباشر من قبل النّاس. فإذا أنزلت آية فى أحكام الأسرى، و ليس لدى المسلمين أسرى فإنّ الالتزام بها سيكون فى المستقبل. و لكن حين تنزل إثر وقوع المشركين أسرى، و المسلمين لا يعلمون أحكامهم هل يفدون أم يطلق سراحهم منّا؟ أم ... فإنّه ممّا لا شكّ فيه سيكون لنزول القرآن حسب الحاجة، و مع الوقائع من الأثر التّطبيقىّ ما لا يكون له فيما لو نزل نظريّا دون وجود الحاجة.

---

(۱)- هود/ ۱.

و إذا كان القرآن قد نزل منجّما؛ ليساير أولويّة ما يستجدّ من الوقائع، فإنّ نصوصه و أحكامه التّشريعيّة تبقى عامّة شاملة لا تختصّ بما نزلت لمعالجته من الوقائع، بل هى حسب القاعدة (العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السّبب).

۴- التّدرّج التّشريعىّ: إنّ تنزيل القرآن تدريجيّا كان تحاشيا لهزّات اجتماعيّة عنيفة، و ردّات انتكاسيّة حادّة، كان من المحتمل أن

تحدث، لو لا أن جاء القرآن تبعا للوقائع و الأحداث، و وفق ما تستوعبه طبیعة المجتمع.

فالرّسالة الإسلامیّة بعامّة، و القرآن بخاصّة، مدّ النّاس رویدا رویدا بما یوافق تطویرهم من التّشریعات. و لأنّ ما جاء به القرآن الكریم یشمل النّواحی الحیاتیّة جمیعها، فلم یكن من الحكمة أن یوضع بین یدی النّاس تشریع یتناول عقائدهم و تعاملهم و أخلاقهم دفعة واحدة. و لو تمّ ذلك لما نفذ إلی القلوب، و لبقی ما بقیت القوّة مهیمنة، و سرعان ما یرتدّ «۱» النّاس عمّا أكرهوا علیه، فی حین نجد أنّ العقیدة و الالتزام بالإسلام استقرّ فی قلوب المسلمین، و بالرّغم من كلّ المحن و الهزّات الّتی حدثت من لدن وفاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حتّی یومنا الحاضر، فإنّ الإسلام ملأ قلوب المسلمین، فكأنّه خالط دماءهم و استقرّ فی عروقهم.

ثالثا- حكم تخصّ النّاس:

۱- قوّة الإلزام و الإقناع: إنّ نزول القرآن تنجیما جعل للحكم المنزل قوّة إلزامیّة واضحة، باعتباره حكم اللّه المنزل فی تلك الواقعة، و فی ذلك الظّرف. و منحه قوّة الاقتناع به، و التّسلیم له، و لنزوله عند قیام الحدث، أو مثول الواقعة.

فالمصاحبة الزّمنیّة بین الحكم الّذی تنزل به الآیة، و الحدث أو الواقعة سبب متین للامتثال و التّطبیق. الأمر الّذی أحدث ترابطا و تلازما بین التّشریع و التّنفیذ. و لهذا كان المسلمون، إذا سمعوا عشرا من الآیات یهرعون لتطبیقها، ثمّ یعودون للاستزادة، و لو

---

(۱)- لقد بالغ المستشرقون فی عدد من ارتدّ فی عهد أبی بكر، طعنا فی الإسلام. و الأمر لم یقع كما ذكروا، و إنّما ارتدّ أفراد فی الجزیرة العربیّة، و امتنع جماعة من مبایعة الخلیفة، و ثارت قبائل و ثنیّة لم تسلم من قبل، حتّی سمع أحد الأسری یقول:

«ما آمنت طرفة عین قطّ» و امتنع آخرون عن أداء مال الزّكاة، فقال أبو بكر: «لو منعونی عقالا لقاتلتهم» فجری قتالهم.

فرض نزوله دفعة واحدة لما تحقّق ذلك.

۲- ربط المسلمین بالمصدر التّشریعیّ: كان من جرّاء تنجیم القرآن الكریم، أن صار المسلمون إذا وقعت واقعة، أو جدّ أمر استشرفوا هبوط الوحی، و انتظروا حكم اللّه تعالی ینزل إلیهم، و فی هذا أشدّ وثیق لتصرّفات النّاس بالمصدر التّشریعیّ، و إخضاع إرادة المسلمین لإرادة خالقهم المشرّع سبحانه و تعالی.

۳- دفع الضّیق و الحرج التّشریعیّ: إنّ تنزیل القرآن نجوما جعل الشّرع یحیط بالنّاس شیئا فشیئا دون شعورهم بأدنی حرج، فهم ینفّذون الإسلام، و ینسلّون من الجاهلیّة فی سیاق حیاتهم الاعتیادیّة، من غیر إلجاء و لا إكراه، فی حین لو نزل التّشریع دفعة واحدة، و ألزم النّاس به جملة، لوجد النّاس فیه حرجا و كلفة، و لعانوا منه ضیقا و مشقّة، وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱».

و مرّة أخری إنّ هذه الحكم إن هی إلّا أفكار إسلامیّة، و لیست أحكاما شرعیّة، و قد ذكرناها بناء علی ما وقفنا علیه من أسرار التّشریع، و مقاصد الشّریعة و أحداث السّیرة الشّریفة. و اللّه تعالی هو العالم المطّلع علی الأسرار و السّرائر.

و من الرّاجح أن نضیف لهذه الحكم كون القرآن یتضمّن النّاسخ و المنسوخ، و مقتضاه أن ینزّل منجّما. كما أنّه یتضمّن الإنكار، لما قد یقع، و جواب من سیسأل أمرا ما، فإنّ كلّ ذلك یقتضی نزوله منجّما. و فی علم اللّه تعالی من حكم التّنجیم ما لم نحط به علما، و ما أوتینا من العلم إلّا قلیلا. (ص: ۱۰۷- ۱۲۴)

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

الفصل الثّانی و السّتّون نصّ الشّیخ معرفت (ت: ۱۳۵۶ ه) فی كتابه: «التّمهید فی علوم القرآن»

بدء نزول القرآن

لا شکّ أنّ القرآن نزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی لیلة القدر من شهر رمضان المبارک؛ لقوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱»، و قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۲»، و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۳».

و لیلة القدر- عندنا- مردّدة بین لیلتین فی العشر الأخیر من شهر رمضان المبارک إحدی و عشرین أم ثالثة و عشرین؟ و الأرجح أنّها الثّانیة؛ لحدیث الجهنیّ «۴».

و قال الصّدوق رحمه اللّه: اتّفق مشایخنا علی أنّها لیلة ثلاث و عشرین «۵».

و الکلام فی تعیین لیلة القدر لیس من مبحثنا الآن، و إنّما یهمّنا التّعرّض لجوانب من

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الدّخان/ ۳.

(۳)- القدر/ ۱.

(۴)- راجع وسائل الشّیعة ۷: ۲۶۲ ح ۱۶ باب ۳۲ من أبواب أحکام شهر رمضان.

(۵)- الخصال ۲: ۱۰۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۰۵

هذا التّحدید، أی نزول القرآن فی لیلة واحدة- هی لیلة القدر- من شهر رمضان؛

أوّلا: منافاته- ظاهرا- مع ما أسلفناه من اتّفاق الإمامیّة و عدد من أحادیث غیرهم، علی أنّ البعثة کانت فی رجب، و لا شکّ أنّ البعثة کانت مقرونة بنزول آی من القرآن، خمس آیات من أوّل سورة العلق. فکیف یتمّ ذلک مع القول بنزول القرآن- کلّه أو بدء نزوله- فی شهر رمضان فی لیلة القدر؟

ثانیا: ما ذا یکون المقصود من نزول القرآن فی لیلة واحدة هی لیلة القدر؟ هل نزل القرآن کلّه جملة واحدة تلک اللّیلة؟ مع العلم أنّ القرآن نزل نجوما لفترة عشرین أو ثلاث و عشرین عاما، حسب المناسبات و الظّروف المختلفة، و دعیت باسم «أسباب النّزول» فکیف ذلک؟

ثالثا: ما هی أوّل آیة أو سورة نزلت من القرآن؟ فإن کانت هی سورة العلق أو آی منها، فلم سمّیت سورة الحمد بفاتحة الکتاب؟ إذ لیس المعنی أنّها کتبت فی بدء المصحف؛ لأنّ هذا التّرتیب شیء حصل بعد وفاة النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، أو لا أقلّ فی عهد متأخّر من حیاته فرضا، فی حین أنّها کانت تسمّی بفاتحة الکتاب منذ بدایة نزولها «لا صلاة إلّا بفاتحة الکتاب» «۱»، حدیث مأثور عن لسان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

و للإجابة علی هذه الأسئلة الثّلاثة- بصورة إجمالیّة- نقول: إنّ بدء البعثة یختلف عن بدء نزول القرآن ککتاب سماویّ لأنّه صلّی اللّه علیه و آله نبیّ و لم یؤمر بالتّبلیغ العامّ إلّا بعد ثلاث سنوات، کان خلالها یدعو فی اختفاء حتّی نزلت الآیة فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ «۲». و من هذا الحین جعل القرآن ینزل تباعا بسمة کونه کتابا أنزل من السّماء، و کان یسجّل علی العسب و اللّخاف، یکتبه من کان یعرف الکتابة من المؤمنین، و هم عدد قلیل خلال عشرین عاما.

و قد کان بدء نزول القرآن- بعد تلک الفترة- فی لیلة القدر من شهر رمضان. و بهذا الاعتبار صحّ التّعبیر بأنّ القرآن نزل فی لیلة القدر، و إن کان نزوله تباعا استغرق عشرین

---

(۱)- صحيح مسلم ۲: ۹؛ منتخب كنز العمّال بهامش المسند ۳: ۱۸۰.

(۲)- سورة الحجر/ ۹۴.

عاما؛ إذ كلّ حدث خطير تكون له مدّة و امتداد، فإنّ تاريخه يسجّل حسب مبدأ شروعه، كما سنفصّل الكلام عنه.

أمّا أوّل آية نزلت فهى الآيات الخمس من أوّل سورة العلق، و نزلت بقيّتها فى فترة متأخّرة. غير أنّ أوّل سورة كاملة نزلت من القرآن هى سورة الحمد، و من ثمّ سمّيت بفاتحة الكتاب. هذا إجمال الكلام حول هذه المواضيع الثّلاثة، و أمّا التّفصيل فهو كما يلى:

فترة ثلاث سنوات:

و لنفرض أنّ البعثة كانت فى رجب، حسب رواية أهل البيت و لفيف من غيرهم، لكنّ القرآن- بسمة كونه كتابا سماويّا و دستورا إلهيّا خالدا- لم ينزل عليه إلّا بعد فترة ثلاث سنين، كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله خلالها يكتم أمره من ملأ النّاس، و يدعو إلى اللّه سرّا، و من ثمّ لم يكن المشركون يتعرّضون أذاه، سوى طعنات لسنية؛ حيث لا يرون من شأنه ما يخشى على دينهم.

و كان يصلّى إذ ذاك مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أربعة: علىّ و جعفر و زيد و خديجة، و كلّما مرّ بهم ملأ من قريش سخروا منهم.

قال علىّ بن إبراهيم القمّىّ: فلمّا أتى لذلك ثلاث سنين، أنزل اللّه عليه: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ* وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ* إِنَّا كَفَيْناكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ «۱»، قال: و كان ذلك بعد أن نبّئ بثلاث سنين «۲».

و قال اليعقوبىّ: و أقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمكّة ثلاث سنين يكتم أمره «۳».

و قال محمّد بن إسحاق: و بعد ثلاث سنين من مبعثه نزل فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ، فأمر أن يجهر بالدّعوة و يعمّ الإنذار «۴».

قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «مكث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بمكّة بعد ما جاءه الوحى عن اللّه

---

(۱)- الحجر/ ۹۴- ۹۶.

(۲)- تفسير القمّىّ: ۳۵۳؛ بحار الأنوار ۱۸: ۵۴ و ۱۷۹.

(۳)- تاريخ اليعقوبىّ ۲: ۱۹.

(۴)- سيرة ابن هشام ۱: ۲۸۰؛ المناقب- ابن شهرآشوب ۱: ۴۰ و البحار ۱۸: ۱۹۴.

تبارك و تعالى ثلاث عشرة سنة، منها ثلاث سنين مختفيا خائفا لا يظهر أمره، حتّى أمره اللّه أن يصدع بما أمر به، فأظهر حينئذ الدّعوة» «۱».

و هذه الرّوايات إذا لاحظناها مع روايات قائلة: إنّ فترة نزول القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله استغرقت عشرين عاما، تعطينا أنّ مبدأ نزول القرآن كان متأخّرا عن البعثة بثلاث سنوات، إذ لا شكّ أنّ القرآن كان ينزل عليه صلّى اللّه عليه و آله حتّى عام وفاته صلّى اللّه عليه و آله: و بذلك يلتئم القول بأنّ بدء نزول القرآن كان فى شهر رمضان، ليلة القدر، كما نصّ عليه القرآن الكريم.

قال الإمام الصّادق عليه السّلام: «ثمّ نزل القرآن فى طول عشرين عاما»، كما جاء فى رواية الكلينىّ «۲» و العيّاشىّ «۳»، و أشار إليه الصّدوق «۴» و المجلسىّ «۵». و النّصّ على تحديد فترة نزول القرآن بعشرين عاما كثير «۶».

و إلى هذا المعنى تشير الرّواية عن سعيد بن المسيّب؛ قال: أنزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هو ابن ثلاث و أربعون «۷»، أى أنزل عليه القرآن عند ذلك، إذ لا شكّ أنّ النّبوّة نزلت عليه صلّى اللّه عليه و آله عند اكتمال الأربعين، و هذا إجماع الأمّة، و عليه اتّفاق

كلمتهم، فكيف يخفى على مثل سعيد؟

و أوضح من ذلك ما رواه الإمام أحمد بسند متّصل إلى عامر الشّعبىّ، أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نزلت عليه النّبوّة و هو ابن أربعين سنة ... [و ذكر كما تقدّم عن ابن كثير ثمّ قال:]

و هذه الرّواية و إن كانت فيها أشياء لا نعرفها، و لعلّها من اجتهاد الشّعبىّ الخاصّ، لكنّ الّذى نريده من هذه الرّواية هو جانب تحديد نزول القرآن فى مدّة عشرين عاما، و إنّ

(۱)- الغيبة للشّيخ الطّوسىّ: ۲۱۷، و كمال الدّين للصّدوق، و البحار: ۱۸: ۱۷۷.

(۲)- الأصول من الكافىّ ۲: ۶۲۹.

(۳)- تفسير العياشىّ ۱: ۸۰.

(۴)- الاعتقادات: ۱۰۱.

(۵)- بحار الأنوار ۱۸: ۲۵۳ و ۲۵۰.

(۶)- الإتقان ۱: ۴۰ و تفسير شبّر: ۳۵۰ عند تفسير آية ۳۲ من سورة الفرقان.

(۷)- مستدرك الحاكم ۲: ۶۱۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۰۸

نزوله تأخّر عن البعثة بثلاث سنين، و هذا شىء متّفق عليه.

آراء و تأويلات

و أمّا تأويل نزول القرآن فى ليلة القدر من شهر رمضان، مع العلم أنّ القرآن نزل منجّما طول عشرين أو ثلاث و عشرين عاما، فى فترات و مناسبات خاصّة: تدعى بأسباب النّزول، فللعلماء فى ذلك آراء و تأويلات؛

۱- إنّ بدء نزوله كان فى ليلة القدر من شهر رمضان، و هذا اختيار محمّد بن إسحاق «۱» و الشّعبىّ «۲»؛ و قال الإمام الرّازىّ: و ذلك لأنّ مبادئ الملل و الدّول هى الّتى تؤرّخ بها؛ لكونها أشرف الأوقات، و لأنّها أيضا أوقات مضبوطة معلومة «۳». و هكذا فسّر الزّمخشرىّ الآية بذلك؛ قال: ابتدئ فيه إنزاله «۴».

و هو الّذى نرتئيه، نظرا لأنّ كلّ حادث خطير إذا كانت له مدّة و امتداد زمنىّ، فإنّ بدء شروعه هو الّذى يسجّل تاريخيّا، كما إذا سئل عن تاريخ دولة أو مؤسّسة أو تشكيل حزبىّ، أو إذا سئل عن تاريخ دارسة طالب علم أو تلبسه الخاصّ و أمثال ذلك، فإنّ الجواب هو تعيين مبدأ الشّروع أو التّأسيس لا غير.

و أيضا فإنّ قوله تعالى: (أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ) و الآيات الأخر، حكاية عن أمر سابق لا يشمل نفس هذا الكلام الحاكى، و إلّا لكان اللّفظ بصيغة المضارع أو الوصف. فنفس هذا الكلام دليل على أنّ من القرآن ما نزل متأخّرا عن ليلة القدر، اللّهمّ إلّا بضرب من التّأويل غير المستند، على ما سيأتى.

كما أنّ اختلاف مناسبات الآيات حسب الظّروف و الدّواعى أكبر دليل على اختلاف مواقع نزولها؛ إذ يربط ذلك كلّ آية بحادثة فى قيد وقتها، و هذا فى كلّ آية نزلت بشأن حدث أو واقعة وقعت فى وقتها الخاصّ، و جاءت آية تعالجها فى نفس الوقت. كلّ ذلك

(۱)- مجمع البيان ۲: ۲۷۶.

(۲)- الإتقان ۱: ۴۰.

(۳)- التّفسير الكبير ۵: ۸۵.

(۴)- الكشّاف ۱: ۲۲۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۰۹

دليل على أنّ القرآن لم ينزل جملة واحدة، و إلّا لما كان موقع لقولة المشركين: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، و قال تعالى ردّا على هذا الاعتراض: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۱»، أى كان نزول القرآن تباعا و فى فترات مناسبة أدعم لاطمئنان قلبك؛ حيث الشّعور بعناية اللّه المتواصلة فى كلّ آونة و مناسبة «۲».

و ذهب إلى هذا الرّأى أيضا ابن شهرآشوب فى المناقب؛ قال: (شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ)، أى ابتدأ نزوله «۳». و قال فى متشابهات القرآن: و الصّحيح أنّ القرآن فى هذا الموضع لا يفيد العموم، و إنّما يفيد الجنس، فأىّ شىء نزل فيه فقد طابق الظّاهر ... [ثمّ ذكر كلام الشّيخ المفيد ردّا على الشّيخ الصّدوق كما تقدّم عنه].

۲- كان ينزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى كلّ ليلة قدر من كلّ عام ما كان يحتاج إليه النّاس فى تلك السّنة من القرآن، ثمّ ينزله جبريل حسب مواقع الحاجة شيئا فشيئا بما يأمره اللّه تعالى. فيكون المقصود من شهر رمضان هو النّوع، لا رمضان خاصّ، و هو احتمال الإمام الرّازىّ أيضا «۴».

و هذا اختيار ابن جريج «۵» و السّدّىّ، و أسنده الأخير إلى ابن عبّاس أيضا «۶» و نقله القرطبىّ عن مقاتل بن حيّان، و وافقه الحليمىّ و الماوردىّ و غيرهما «۷».

غير أنّ هذا الاختيار يخالفه ظاهر قوله تعالى: أُنْزِلَ فِيهِ أو أَنْزَلْناهُ، حكاية عن حدث سابق، فلو صحّ هذا القول لكان المناسب أن يقول: ننزله، صفة للحال.

و أيضا يردّه ما استبعدناه على الرّأى الخامس الآتى: ما هى الفائدة المتوخّاة من نزول قرآن قبل الحاجة إليه؟ و لا سيّما فى صيغة جملة الماضى أو الحال المستدعية كونها

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الإتقان ۱: ۴۱.

(۳)- مناقب آل أبى طالب ۱: ۱۵۰.

(۴)- التّفسير الكبير ۵: ۸۵.

(۵)- الدّرّ المنثور ۱: ۱۸۹.

(۶)- مجمع البيان ۲: ۲۷۶.

(۷)- الإتقان ۱: ۴۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۱۰

نزلت لمناسبة وقتيّة، لا موقع لنزولها قبل ذلك حسب التّعبير اللّفظىّ.

۳- شهر رمضان الّذى نزل فى شأنه القرآن، أى فى فرض صيامه، كما يقال: نزل فى فلان، أو فى مناسبة كذا قرآن. و المراد من القرآن آية أو؟؟؟ نه «۱».

قال الضّحّاك: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ، أى الّذى أنزل صومه فى القرآن «۲». و قال سفيان بن عيينة: معناه أنزل فى فضله القرآن، و اختاره الحسين بن الفضل و ابن الأنبارىّ «۳».

لكنّ هذا الوجه يخصّ آية البقرة، و لا يجرى فى آيتى الدّخان و القدر كما لا يخفى، فضلا عن أنّه تأويل فى اللّفظ لا مبرّر له و لا

مستند.

۴- إنّ معظمه نزل فی أشهر رمضان، و من ثمّ صحّت نسبة الجمیع إلیه. و هذا احتمال ثان احتملهما سیّد قطب؛ قال: الشّهر الّذی أنزل فیه القرآن إمّا بمعنی أنّ بدء نزوله کان فی رمضان، أو أنّ معظمه نزل فی أشهر رمضان «۴».

لکن لا دلیل علی أنّ معظم آیات القرآن نزلت فی أشهر رمضان و فی لیلة القدر بالخصوص، و لعلّ الواقعیّة تأبی هذا الاحتمال رأسا.

۵- القرآن نزل جملة واحدة فی لیلة واحدة، هی لیلة القدر إلی بیت العزّة أو البیت المعمور، ثمّ نزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی فترات و مناسبات، طول عشرین أو ثلاث و عشرین عاما. ذهب إلی هذا القول جماعة من أرباب الحدیث؛ نظرا لظاهر أحادیث رویت فی ذلک ... [ثمّ ذکر قول الشّیخ الصّدوق و العلّامة المجلسیّ، کما تقدّم عنهما].

و أخرج الطّبرانیّ و غیره عن ابن عبّاس؛ قال: أنزل القرآن لیلة القدر جملة واحدة إلی السّماء الدّنیا، و وضع فی بیت العزّة، ثمّ أنزل نجوما علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی عشرین سنة.

قال جلال الدّین: و هذا هو أصحّ الأقوال و أشهرها، و روی فی ذلک روایات کثیرة،

---

(۱)- مجمع البیان ۱: ۲۷۶، الکشّاف ۱: ۲۲۷.

(۲)- الدّر المنثور ۱: ۱۹۰.

(۳)- التّفسیر الکبیر- الرّازیّ ۵: ۸۰.

(۴)- فی ظلال القرآن ۲: ۷۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۱۱

حکم علی أکثرها بالصّحّة، رواها عن الحاکم و الطّبرانیّ و البیهقیّ و النّسائیّ و غیرهم «۱» ..

[و ذکر روایة ابن عبّاس نقلا عن الطّبرانیّ و روایة جابر عن السّیوطیّ، کما تقدّم عنهما، ثمّ قال:].

و من طرقنا روی العیّاشیّ عن إبراهیم، أنّه سأل الإمام الصّادق علیه السّلام عن قوله تعالی:

شَهْرُ رَمَضانَ ... .. [و ذکر کما تقدّم عن البحرانیّ، ثمّ قال:] و جاء الحدیث فی الکافی، إلّا أنّ فی آخره: «و انزل القرآن فی ثلاث و عشرین من شهر رمضان» و الرّوایة هی عن الحفص بن غیاث «۲».

و فی التّهذیب جاء قسم من الحدیث بروایة أبی بصیر، و فی آخره: «و أنزل الفرقان فی لیلة القدر» «۳»

هذه جملة من روایات مأثورة، تفسّر نزول القرآن جملة واحدة فی لیلة واحدة، إمّا إلی البیت المعمور فی السّماء الرّابعة، کما فی روایات الخاصّة، أو إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، کما فی بعض روایات العامّة، ثمّ منها نزلت آیاته مفرّقة علی رسول اللّه حسب الظّروف و المناسبات رسلا رسلا.

و قد أخذ الظّاهریّون من أصحاب الحدیث بظاهر هذه الرّوایات، مستریحین بأنفسهم إلی مدلولها الظّاهریّ تعبّدا محضا.

أمّا المحقّقون من العلماء فلم یرقهم الأخذ بما لا یمکن تعقّله، و لا مقتضی للتعبّد بما لا یرجع إلی أصول العبادیّات، و من ثمّ أخذوا ینقدون هذه الأحادیث نقدا علمیّا، متسائلین: ما هی الفائدة الملحوظة من وراء نزول القرآن جملة واحدة فی إحدی السّماوات العلی، ثمّ ینزّل تدریجیّا علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله؟

و إجابة علی هذا السّؤال قال الفخر الرّازیّ: و یحتمل أن یکون ذلک تسهیلا علی

---

(۱)- الإتقان ۱: ۳۹.

(۲)- الأصول من الکافی ۲: ۶۲۹.

(۳)- تهذيب الأحكام ۴: ۱۹۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۱۲

جبريل، أو لمصلحة النّبيّ صلّى اللّه عليه و آله فى توقّع الوحى من أقرب الجهات «۱».

و هذا الجواب غاية فى الوهن و السّقوط، مضافا إلى أنّه تخرّص بالغيب، و نستغرب صدور مثل هذا الكلام الفارغ من مثل هذا الرّجل المضطلع بالتّحقيق! [ثمّ حكى قول الفيض الكاشانىّ كما تقدّم عنه، فقال:]

فقد أوّل رحمه اللّه البيت المعمور إلى قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. و ربّما أراد الصّدوق رحمه اللّه أيضا هذا المعنى من قوله: و أعطى نبيّه العلم جملة واحدة. [ثمّ أتى بكلام الزّنجانىّ و الطّباطبائىّ بحسب ما تقدّم عنهما، فقال:]

أقول: سامح اللّه التّأويل، ما أسهله طريقا إلى التّخلّص عن مآزق البحوث النّظريّة! و نحن إذ لا نرى مبرّرا لهكذا تأويلات غير مستندة إلى دليل، نسائل هؤلاء الأعلام: بم أوّلتم البيت المعمور الّذى هو فى السّماء الرّابعة- حسب روايات الخاصّة- أو بيت العزّة- حسب روايات العامّة- إلى قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله؟ و لم هذا التّعبير جاء فى هذا اللّفظ؟

و سوف نناقش السّيّد العلّامة فى اختيار وجود آخر للقرآن بسيط، وراء هذا الوجود المفصّل، أخذه عن أحمد بن عبد الحليم و حقّقه تحقيقا دقيقا، و لكنّا رفضناه رأسا، و سيأتى ذلك فى فصل قادم إن شاء اللّه.

تحقيق مفيد

قال المحقّق العلّامة الشّيخ أبو عبد اللّه المفيد: الّذى ذهب إليه أبو جعفر ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:] أضف إلى ذلك ما ذكرناه فى اختياره الوجه الأوّل .. (۱: ۷۲- ۹۲)

---

(۱)- تفسير الرّازىّ ۵: ۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۱۳

الفصل الثّالث و السّتّون نصّ الآصفىّ فى كتابه: «دراسات فى القرآن» نزول القرآن فى ليلة القدر

اشارة

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ: الهاء كناية عن القرآن و إن لم يجر له ذكر.

حم وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ: الهاء إشارة إلى الكتاب، و اللّيلة المباركة هى ليلة القدر، و هى فى شهر رمضان كما أثبتناه.

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ: أخرج ابن مردويه و البيهقىّ فى الأسماء و الصّفات ... عن ابن عبّاس، أنّه سأله عطيّة بن أسود ... [و ذكر كما تقدّم عن البيهقىّ، ثمّ قال:]

كان القرآن المجيد قبل نزوله فى لوح محفوظ «۱» و ما هو اللّوح المحفوظ؟ و كيف كان القرآن فيه؟ أ بوجود كتبىّ أم بغيره علمه عند اللّه ثمّ نزل منه؟ و فى كيفيّة النّزول أقوال:

الأوّل: و هو الأشهر، أنّه نزل منه جملة واحدة إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر، ثمّ كان

---

(۱)- قال اللّه تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ البروج/ ۲۱- ۲۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۱۴

جبرائیل علیه السّلام ینزّله نجوما علی محمّد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله لمدّة ۲۰- ۲۳- ۲۵ سنة، علی خلاف فیها. و القائلون بهذا القول جمعوا ما هو ظاهر الآیة من نزوله بتمامه فی لیلة القدر، و بین ما ثبت و تحقّق من نزوله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مفرّقا حسب الحاجة إلی نزوله علیه فی السّفر و الحضر من أوّل بعثته إلی قبل وفاته.

الثّانی: أنّه ابتدأ إنزاله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی لیلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلک علیه فی الأوقات المختلفة حسب الحاجة إلی نزوله «۱» و القائل بهذا کأنّه اعترف برجوع ضمیر أنزلناه إلی القرآن کلّه و أنّه اسم لهذا المجموع، و لکنّه تأوّل أَنْزَلْناهُ إلی قوله: ابتدأ إنزاله، کی لا ینافی ظاهر الآیة کیفیّة نزوله علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله، فجعل لیلة القدر مبدأ نزول القرآن علیه.

الثّالث: أنّه نزل إلی سماء الدّنیا فی عشرین أو ثلاث و عشرین أو خمس و عشرین لیلة القدر فی کلّ لیلة القدر ما یقدّر اللّه إنزاله فی کلّ سنة، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما طول السّنة علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله. و هذا الّذی ذکره الإمام الفخر الرّازیّ. احتمالا؛ قال: و یحتمل أنّه کان ینزل فی کلّ لیلة قدر ما یحتاج النّاس إلی إنزاله إلی مثلها من اللّوح إلی السّماء الدّنیا. و نقله القرطبیّ و الشّیخ الأجلّ الطّبرسیّ، عن مقاتل أنّه قال: کان ینزل لیلة القدر من الوحی علی قدر ما ینزل به جبرائیل علیه السّلام علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی السّنة کلّها إلی مثلها.

الرّابع: ما حکاه الماوردیّ، أنّه نزل من اللّوح .. [و ذکر کما تقدّم عن السّیوطیّ، ثمّ قال:]

أمّا هذا القول فساقط من أصله، و قد استغربه السّیوطیّ، و لکنّه لم یبیّن وجه الغرابة لوضوحه.

و أمّا القول الثّالث فصحّته تتوقّف علی أن یکون القرآن اسم جنس؛ لیقع علی کلّه و علی أیّ بعض فرض منه، مع أنّ الظّاهر أنّه اسم لمجموع ما نزل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله الّذی هو فی أیدی المسلمین، و هذا القائل أراد به المقدار الّذی أنزل فی کلّ لیلة قدر باعتقاده و هو مجاز.

---

(۱)- حکاه فی مجمع البیان عن ابن إسحاق و عن الشّعبیّ ۱: ۲۲۶ و ۵: ۵۱۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۱۵

و یدلّ علی أنّه اسم للمجموع تصریح أهل اللّغة به، و ورود بعض الأحادیث فیه، قال ابن أثیر فی النّهایة: و الأصل فی هذه اللّفظة الجمع، و سمّی القرآن قرآنا لأنّه جمع القصص و الأمر و النّهی و الوعد و الوعید و الآیات و السّور بعضها إلی بعض، و هو مصدر کالغفران و الکفران، و قد یطلق علی الصّلاة؛ لأنّ فیها قراءة، تسمیة للشّیء ببعضه.

و قال فی مجمع البحرین: قوله: وَ أَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ «۱» و هو اسم لکتاب اللّه، و فی الحدیث «القرآن جملة کتاب اللّه».

و قال فی مقدّمة التّبیان: و فی تسمیته بالقرآن یحتمل أمرین؛

أحدهما: ما روی عن ابن عبّاس أنّه قال: هو مصدر قرأت قرآنا، أی تلوته، مثل غفرت غفرانا و کفرت کفرانا.

و الثّانی: ما حکی عن قتادة أنّه قال: هو مصدر قرأت الشّیء، إذا جمعت بعضه إلی بعض. ثمّ قال: و تفسیر ابن عبّاس أولی؛ لأنّ قوله تعالی إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۲» الوجه المختار أن یکون المراد إذا تلوناه علیک و بیّناه لک فاتّبع تلاوته.

و لو حملناه علی الجمع علی ما قال قتادة لکان یجب ألّا یلزم اتّباع أیّة آیة من القرآن النّازلة فی کلّ وقت، و کان یقف وجوب الاتّباع علی حین الجمع؛ لأنّه علّقه بذلک علی هذا القول.

و الجواب: أنّ الاتّباع المأمور به هنا غیر ذاک الاتّباع؛ لأنّ هذا اتّباع له فی جمعه، و المعنی إذا جمعناه فاتّبع جمعه، و ذاک اتّباع له فی تبلیغه و العمل بما فیه. و الثّانی یجب عند نزول أیّة آیة، و الأوّل یقف علی حین الجمع، فکأنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله کان یحرّک لسانه مع جبرائیل بتلاوته حرفا حرفا مخافة أن ینساه أو أن یقدّم شیئا و یؤخّر شیئا، فنهاه اللّه عنه بقوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ،

و وعده أن یجمعه فی صدره بقوله: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ فی صدرک، وَ قُرْآنَهُ أی تألیفه علی ما نزل، و هذا مرویّ عن ابن عبّاس و قتادة. فقوله تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ معناه فإذا جمعناه فی صدرک فاتّبع جمعه، أو

(۱)- النّمل/ ۹۲.

(۲)- القیامة/ ۱۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۱۶

معناه إذا فرغ جبرائیل من قراءته. قال ابن عبّاس: فکان النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد ذاک إذا نزل علیه جبرائیل علیه السّلام أطرق، فإذا ذهب قرأ.

نعم، حکی الشّیخ الأجلّ الطّبرسیّ فی مجمع البیان عن قتادة و الضّحّاک أیضا أنّ معناه اعمل بما فیه من الحلال و الحرام، و حکی عن البلخیّ أیضا أنّه قال: الّذی أختاره أنّه لم یرد القرآن، و إنّما أراد قراءة العباد لکتبهم یوم القیامة، یدلّ علی ذلک ما قبله و ما بعده، و لیس فیه شیء یدلّ علی أنّه القرآن و لا شیء من أحکام الدّنیا، و فی ذلک تقریع للعبد و توبیخ له حین لا ینفعه العمل. یقول: لا تحرّک لسانک بما تقرأه من صحیفتک الّتی فیها أعمالک یعنی کتابک و لا تعجل، فإنّ هذا الّذی هو علی نفسه بصیرة إذا رأی شیئا ضجر و استعجل، فیقال له توبیخا: لا تعجل و تثبت لتعلم الحجّة علیک، فإنّا نجمعها لک، فإذا جمعناه فاتّبع ما جمع علیک بالانقیاد لحکمه و الاستسلام المتبعة فیه، فإنّه لا یمکنک إنکاره. هذا و لکنّ الزّمخشریّ قد صرّح فی الکشّاف بأنّ القرآن اسم جنس یقع علی کلّه و علی بعضه «۱» و علیه یکون إطلاقه علی البعض إطلاقا حقیقیّا، و هو ینافی ما تقدّم عن نهایة ابن أثیر من أنّه قد یطلق علی الصّلاة؛ لأنّ فیها قراءة تسمیته للشّیء ببعضه «۲». و لو سلّمنا ما قاله الزّمخشریّ فلا شکّ فی أنّ المراد به هنا الکلّ لوجهین؛

الأوّل: أنّه تعالی أشار إلیه بالضّمیر و لم یسبق له ذکر، فقال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۳»، و هذا یقتضی أن یکون الضّمیر إشارة إلی کلّه، و لیس کقوله تعالی مشیرا إلی آیات سورة یوسف: تِلْکَ آیاتُ الْکِتابِ الْمُبِینِ إِنَّا أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا «۴» مع أنّه یمکن أن یکون هذا الضّمیر أیضا إشارة إلی تمام الکتاب لا خصوص تلک الآیات، لکن علی وجه توقّع نزول البقیّة.

الثّانی: أنّ فضیلة لیلة القدر تستدعی أن یکون القرآن نازلا فیها بأسره، و یأتی هذا

(۱)- الکشّاف ۱: ۴۶۰.

(۲)- قال اللّه تعالی: أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوکِ الشَّمْسِ إِلی غَسَقِ اللَّیْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً الإسراء/ ۷۸، و المراد به صلاة الفجر؛ لأنّ فیها القراءة: و معناه إنّ صلاة الفجر تشهدها ملائکة اللّیل و ملائکة النّهار، کما فی الحدیث.

(۳)- القدر/ ۱.

(۴)- یوسف/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۱۷

الوجه فی قوله تعالی: حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۱»، مع وجه آخر، و هو أنّه سبحانه أقسم فیه بالکتاب، فینبغی أن یکون المراد به الکلّ. و أمّا القول الثّانی فصحّته تتوقّف علی إثبات کون ابتداء نزول القرآن علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی لیلة القدر، و هو عندی ممنوع، و یتّضح دلیل المنع بالبحث عن البعثة أو بدء نزول القرآن.

و هاهنا شبهتان

[الشّبهة الأولی]: ما أورده الشّیخ أبو عبد اللّه المفید فی کتابه «تصحیح الاعتقاد»، و من أجلها جزم ببطلان هذا الاعتقاد، و اعترض علی

شيخه أبى جعفر الصّدوق بما يأتى، مع ما يلوح فى الجواب عنه و عن أصل الشّبهة.

و أوردها أيضا الشّيخ أبو جعفر الطّوسىّ فى «التّبيان»، و أجاب عنها بما يأتى.

و أوردها أيضا العلّامة المجلسىّ فى البحار نقلا عن المفيد، و أجاب عنها، و لكنّه خلط بين الجواب عن الشّبهة فى نزوله جملة واحدة إلى سماء الدّنيا و بين الجواب عن الشّبهة فى نزوله كذلك على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، فنفى استبعاد نزوله جملة واحدة عليه صلّى اللّه عليه و آله، و هو خارج عن محلّ الكلام، و غير محتمل فى نفسه، لمنافاته مع قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ «۲»، أى أنزلناه كذلك، يعنى مفرّقا لنثبّت به فؤادك.

قال المجلسىّ: فلا استبعاد فى أن ينزل اللّه هذا الكتاب جملة على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و يأمره أن لا يقرأ على الأمّة شيئا منه إلّا بعد أن ينزل كلّ جزء منه فى وقت معيّن يناسب تبليغه و فى واقعة تتعلّق بها «۳»

و هذا الكلام مع ما فيه من التّناقض الظّاهر بين صدره و ذيله أجنبىّ عن موضوع البحث و مورد الشّبهة؛ لأنّ موضوع البحث هو نزول القرآن جملة واحدة إلى سماء الدّنيا لا على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و لو كانت الشّبهة فى نزوله جملة على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لكانت أصعب دفعا.

---

(۱)- الدّخان/ ۱- ۳.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

(۳)- بحار الأنوار ۶: ۳۵۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۱۸

و قال شيخ الطّائفة بعد أن أخرج حديث نزول القرآن جملة فى ليلة القدر: فإن قيل ...

[و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:] و حاصل كلامه قدّس سرّه: إنّ هذه الشّبهة لا تخصّ ورودا بنزول القرآن جملة فى ليلة القدر، بل ترد على نزوله منجّما على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى قوله تعالى:

وَ نادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ «۱» و أمثاله الكثيرة.

و أجاب عن هذه الشّبهة بأنّه إذا كان يوم القيامة نادى أصحاب الجنّة هذا، و لكن ترد هذه الشّبهة على خصوص الخطابات القرآنيّة بنحو آخر لا يندفع بهذا الجواب، فهذا الجواب لا يفى بدفع الشّبهة بحذافيرها، و سيأتى تفصيل هذا الإجمال. [و ذكر قول الشّيخ المفيد فى الرّدّ على الشّيخ الصّدوق كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

أقول: أظنّ أنّه قدّس سرّه فهم ممّا ذهب إليه الشّيخ الصّدوق، و جاء به الحديث من نزول القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر أنّ المقصود نزوله كذلك فيها على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و لهذا قال فى قصّة المجادلة فى الظّهار، و هذه قصّة كانت بالمدينة، فكيف ينزّل اللّه الوحى بها بمكّة قبل الهجرة، فيخبر بها أنّها كانت و لم تكن؟ و قال: و قد يجوز فى الخبر الوارد بنزول القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر أنّه نزل منه جملة فى ليلة القدر، ثمّ تلا ما نزل منه إلى وفاة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

مع أنّ الصّدوق قد صرّح بنزوله كذلك إلى البيت المعمور، و كذلك غيره ممّن تقدّمت أقوالهم.

و هذا هو الّذى جاءت به الأحاديث المتقدّمة، منها حديث الكافى بسنده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: «نزل القرآن جملة واحدة فى شهر رمضان إلى بيت المعمور، ثمّ نزل فى طول عشرين سنة».

و منها ما أورده الشّيخ فى «التّبيان» و الطّبرسىّ فى «مجمع البيان» عن ابن عبّاس و سعيد ... [و ذكر كما تقدّم عنهما ثمّ قال:].

و كان اللّازم فى نفى احتمال نزوله على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله التّمسّك بقوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ

---

(۱)- الأعراف/ ۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۱۹

کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۱» لا التّمسّک بقوله: وَ قالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ «۲».

و قوله: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها «۳»، بأنّ هذا خبر عن ماض، فلا یجوز أن یتقدّم مخبره، أو بأنّ الظّاهر قصّة کانت بالمدینة، فکیف ینزّل اللّه الوحی بها بمکّة قبل الهجرة، بأنّها کانت و لم تکن، فإنّ الإخبار عن شیء بأنّها کانت و لم تکن لا مانع منه أصلا حتّی حین نزول الآیة علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و أمثاله فی القرآن کثیرة، بل فیه الإخبار بلفظ ماض عن أشیاء لم تقع إلی الآن، و لا تقع إلّا فی یوم القیامة، و هذا أصعب من قوله تعالی:

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها، الّذی وقع بعد برهة من الزّمان، علی القول بنزوله فی لیلة القدر إلی سماء الدّنیا، أو علی القول بکونه فی لوح محفوظ قبل نزوله بکلّ معناه، علی ما جاءت به الأحادیث، و أشار إلیه الکتاب فی قوله: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۴». و الجواب عن الجمیع من وجهین؛

الأوّل: ما تقدّم عن شیخ الطّائفة قدّس سرّه بقوله: إذا کان وقت کذا نزل لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ کَثِیرَةٍ «۵»، و إذا کان یوم القیامة نادی أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ «۶».

الثّانی: أنّ علم اللّه الأزلیّ بالأشیاء لیس زمنیّا کعلم أحدنا ببعض الحوادث المختصّ بأحد الأزمنة، بل هو فوق الزّمان و محیط به، و غیر محتاج فی وجوده إلیه، و غیر مختصّ بجزء منه، فلا یتّصف الزّمان بالنّسبة إلی علمه بالماضی و المستقبل و الحال، بل نسبته إلیه نسبة واحدة، کما أنّ ذاته الأحدیّة لمّا لم یکن مکانیّا کان نسبتها إلی جمیع الأمکنة کذلک، فلا یتّصف المکان بالنّسبة إلی ذاته بالقرب و البعد، فهو تعالی عالم أزلا بجمیع الموجودات و الحوادث و خصوصیّاتها و أحکامها و أزمنتها و أمکنتها کلّ فی وقته، لا من حیث تقیّده

---

(۱)- الفرقان/ ۳۱- ۳۲.

(۲)- الزّخرف/ ۲۰.

(۳)- المجادلة/ ۱.

(۴)- البروج/ ۲۱.

(۵)- التّوبة/ ۲۵.

(۶)- الأعراف/ ۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۲۰

بالزّمان و اختصاصه بجزء منه، بل یعلمها علما متعالیا عن وصف الماضی و المستقبل و الحال.

فإنّ هذه الأوصاف إنّما یعرض للزّمان إذا قیس إلی زمانیّ یکون فی أمده، و یختصّ بجزء منه دون ما لا یدخل تحت سلسلته، کعلم اللّه الأزلیّ و ذاته الأزلیّة الأحدیّة؛ و إذ قد ثبت أنّ الأشیاء و الحوادث الجزئیّة المتأخّرة حتّی إلی فناء الدّنیا و قیام السّاعة حاضرة لدیه معلومة له سبحانه، لا استحالة فی أن یخبر عنها بلفظ ماض، و یثبته فی لوح محفوظ و کتاب مکنون، ثمّ ینزّله منه إلی سماء الدّنیا جملة لحکمة اقتضته، ثمّ ینزله منه علی رسوله نجوما عند الحاجة إلیه.

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ* وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِیمٌ* إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ «۱».

قال ابن عبّاس: أقسم بنزول القرآن، فإنّه نزل متفرّقا قطعا نجوما.

و قال فی تفسیر کِتابٍ مَکْنُونٍ: أی مستور عند اللّه عن خلقه، و هو اللّوح المحفوظ، أثبت اللّه فیه القرآن «۲».

هذا، و لکنّ الجوابین لا یفیان بدفع الشّبهة عن خطابات القرآن التّکلیفیّة، بناء علی القول بنزوله جملة فی لیلة القدر إلی سماء الدّنیا، أو علی القول بثبوته فی لوح محفوظ قبل نزوله بکلّ معناه، و ترد هذه الشّبهة حینئذ علی الخطابات القرآنیّة تارة، من ناحیة عدم صحّة خطاب الغائب و المعدوم حقیقة، و أخری من ناحیة عدم صحّة تکلیفهما عقلا بالبعث و الزّجر.

و الجواب: أنّ الخطابات القرآنیّة قبل وصولها أینما فرضناها، أ کانت فی لوح محفوظ، أو فی بیت المعمور من سماء الدّنیا لا بدّ أن تکون کلّها خطابات إنشائیّة محضة، و ذلک لأنّه لمّا لم یکن هناک مخاطب موجود، بحیث صحّ أن یتوجّه إلیه الخطاب حقیقة، بأن یکون یسمعه و یلتفت إلیه، وجب أن تکون الخطابات إنشائیّة إیقاعیّة، و إن قلنا: بأنّ

---

(۱)- الواقعة/ ۷۵- ۷۸.

(۲)- مجمع البیان ۵: ۲۲۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۲۱

أدوات الخطاب موضوعة للخطاب الحقیقیّ.

و هذا إنّما یکون لقصور فی الخطاب و المخاطب (بالفتح)، فإحاطته سبحانه علما بالغائب و المعدوم لا یوجد فیها صلاحیّة توجه الخطابات إلیهما حقیقة، و کذا الحال فیما إذا أنزلت الآیات علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و لم یصدع بعد بها.

فاللّه سبحانه أنشأ الخطابات التّکلیفیّة و غیرها لتصیر فعلیّة عند وجود المخاطب و صلوحه؛ لتوجیهها إلیه بلا حاجة إلی إنشاء جدید، فلا تکلیف قبل ذلک حقیقة، و لا خطاب کذلک، و إنّما هو إنشاء محض و إظهار توجیه فحسب.

و أمّا إذا وصلت الخطابات إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و صدع بها، و خرجت عن شفتیه مخاطبا بها الأمّة فحینئذ یقع الکلام فی أنّ تلک الخطابات الشّفهیّة تختصّ بالحاضرین لمجلس الخطاب، أو یعمّ الغائب و المعدوم أیضا. و هذا بحث أصولیّ لا ربط له بما نحن فیه، و هو مع ذلک بحث بلا- ثمرة عملیّة کما حقّق فی الأصول، فلا نخوض فیه، و لکن نشیر إلیه إشارة عابرة فنقول: ربّما یقال: إنّ البحث فیه عقلیّ، بمعنی أنّ البحث إنّما هو فی إمکان المخاطبة مع الغائب و المعدوم و عدمه، و ربّما یقال: إنّ البحث فیه لفظیّ، بمعنی عموم أدوات الخطاب لهما بحسب الوضع و عدمه. و المحقّق صاحب کفایة الأصول جعل البحث و النّزاع فیه عقلیّا من وجه، و المحقّق النّائینیّ جعل النّزاع فیه عقلیّا من جهة، و لفظیّا من جهة.

و أمّا أستاذنا المحقّق آیة اللّه السّید الخوئیّ فإنّه استظهر فی تحریر محلّ النّزاع أنّه منحصر فی اللّفظیّ، أی فی عموم أدوات الخطاب بحسب الوضع و عدم عمومها، ثمّ اختار العموم بدعوی وضعها للخطاب الإنشائیّ، و إظهار توجیه الکلام بداع من الدّواعی، فیشمل الغائب و المعدوم.

و لنعطف عنان القلم إلی تحریر الجواب عمّا أورده الشّیخ المفید قدّس سرّه علی حدیث نزول القرآن جملة واحدة فی لیلة القدر، أو جوّزه فی مدلوله.

أمّا قوله: ما أشبه ما جاء به الحدیث بمذهب المشبّهة الّذین زعموا أنّ اللّه سبحانه لم یزل متکلّما بالقرآن، و مخبرا عمّا یکون بلفظ کان.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۲۲

فجوابه: أنّ مجرّد المشابهة لا یکون قدحا فی الحدیث، و لا یوجب ضعفه إذا صحّ سنده، و لم یکن فی متنه ما یدلّ علی قدم القرآن و أزلیّته.

هذا مع أنّه لا مشابهة بین ما جاء به الحدیث و بین مذهب من سمّاهم المشبّهة، و لعلّهم الحنابلة و الکرامیّة الّذین قالوا بقدم القرآن و

أزليّته، على اختلافهم فى التّعبير عنه بما مرّ بيانه فى بحث التّكلّم من صفات الحقّ جلّ و علا.

و ليس ما جاء به الحديث بأعجب ممّا جاءت به أحاديث أخرى أيضا من ثبوت القرآن فى لوح محفوظ قبل نزوله منه إلى سماء الدّنيا فى ليلة القدر، و لا أقرب منه إلى ما أوردوه على القول بقدمه و أزليّته من لزوم الأمر بلا مأمور، و النّهى بلا منهىّ، و النّداء بلا سامع، و الإخبار بلا مخبر به.

و الجواب ما ذكرنا، فليس اعتقادنا بحدوث القرآن لأجل هذا الّذى أوردوه على القول بقدمه، بل لأجل القياس الّذى تقدّم فى بحث التّكلّم من صفاته سبحانه. و هو أنّ كلامه مركّب من الحروف المسموعة، و كلّما هو كذلك فهو حادث، فكلامه حادث. و قد قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «إنّما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه»، و قد ثبت بحكم الضّرورة أنّ القرآن كلام اللّه.

و أمّا قوله: يجوز فى الخبر الوارد بنزول القرآن جملة فى ليلة القدر أنّه نزل جملة منه فى ليلة القدر، ثمّ تلاه ما نزل منه إلى وفاة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فجوابه من وجهين؛

الأوّل: أنّه مبنىّ على أن يكون المراد من نزوله كذلك نزوله على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هو ممنوع، و الحديث على خلافه، و قد مرّ بيانه.

الثّانى: أنّه مبنىّ على كون ابتداء نزول القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى ليلة القدر، و هو ممنوع أيضا، و تقدّم تفصيله.

و أمّا قوله: فأمّا أن يكون نزل بأسره و جميعه فى ليلة القدر، فهو بعيد ممّا يقتضيه ظاهر القرآن و المتواتر من الأخبار و إجماع العلماء.

فجوابه أن يقال: أمّا القرآن فظاهر قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و قوله:

---

(۱)- القدر/ ۱.

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۱»، إنّه نزل فيها بأسره و جميعه، و قد بيّنّا وجه الظّهور فيما تقدّم.

و أمّا الأخبار فالمتواتر منها فى هذا الباب غير موجود، و الموجود منها غير متواتر، و هى مع ذلك صريحة فى نزوله فى ليلة القدر بأسره و جميعه، فإنّ فيها نزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر، و وضع فى بيت العزّة أو فى بيت المعمور، أو إلى سماء الدّنيا، على اختلافها فى التّعبير، ثمّ كان جبرائيل ينزل به نجوما على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله.

و أمّا الإجماع فلا معنى لبعد المسألة عنه، إلّا أنّه انعقد على خلافها. و دعوى انعقاد الإجماع هنا على الخلاف، أى على عدم نزول القرآن بأسره و جميعه فى ليلة القدر، مع تصريح من تقدّمت أسماؤهم من المفسّرين و غيرهم بنزوله جملة واحدة فى ليلة القدر، غير مسموعة، كدعوى الإجماع على الوفاق المحكىّ فى «الإتقان» عن ابن كثير أنّه قال:

حكى الإجماع على أنّه نزل القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا. [ثمّ ذكر قول الصّدوق كما تقدّم عنه فقال:]

أقول: لم يثبت بدليل أنّ اللّه تعالى أعطى نبيّه العلم بالقرآن جملة، و لو كان أعطاه العلم به كذلك لكان القرآن فى صدره، فما معناه أنّه نزل فى بيت المعمور خاصّة، أو ما معناه أنّه نزل عليه بعد ذلك نجوما حسب الحاجة إليه، و قد كان صلّى اللّه عليه و آله يتوقّع نزول الوحى إليه حول كلّ حادثة، و جوابا عمّا كان يسأل عنه. و قد مضى ذكر حديث سؤالهم إيّاه عن فتية ذهبوا فى الدّهر الأوّل، و رجل طوّاف بلغ شرق الأرض و غربها، و عن الرّوح، فقال:

أخبركم بما سألتم عنه غدا، فمكث خمسة عشر ليلة لا يحدث اللّه إليه فى ذلك وحيا، حتّى أرجف أهل مكّة و تكلّموا فيه، ثمّ جاء جبرائيل عن اللّه بسورة الكهف، و أنزل عليه یَسْئَلُونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّی «۲».

و أمّا النّهى عن التّعجيل بالقرآن ففيه وجهان؛ أحدهما: أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يتسرّع إلى تأويل ما ينزل عليه من القرآن فنهاه

اللّه تعالى عنه، و المعنى على هذا لا تعجل بتأويل

(۱)- الدّخان/ ۱.

(۲)- الإسراء/ ۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۲۴

القرآن من قبل أن يقضى إليك وحى التّأويل، و يدلّ عليه قوله: وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۱».

الثّانى: أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يتوقّع نزول الوحى عليه يوميّا حول كلّ حادثة تأمينا لقلوب المؤمنين و مزيدا لعلمه، فنهاه اللّه عن ذلك، و قال: لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ، أى بإنزاله مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى، أى يتحتّم بحسب المصلحة إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۲»، و استزادة العلم من اللّه محبوب له، و قد تكون سببا لحدوث المصلحة فى تعجيل إنزال القرآن عليه فعلّمه الحكيم تعالى طريق الوصول إلى التّعجيل بالنّزول، و هذا طرف من أسرار علم القرآن.

و أمّا النّهى عن تحريك لسانه بالقرآن فكان على ما حكاه الطّبرسىّ عن قتادة و ابن عبّاس أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يحرّك لسانه بتلاوة الآية مع جبرائيل حرفا حرفا؛ لشدّة حرصه بضبطه مخافة أن ينساها، أو يقدّم شيئا و يؤخّر شيئا، فنهاه اللّه عن ذلك، و وعد أن يجمعه فى صدره بقوله: إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ «۳» فى صدرك.

فالآيتان على هذا تدلّان على خلاف ما قال به الشّيخ أبو جعفر الصّدوق، من أنّ اللّه تعالى أعطى نبيّه العلم جملة، ثمّ قال: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «۴»، و قال: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. «۵»

و للآية الثّانية تفسير آخر تفرّد به البلخىّ ظاهرا؛ قال: الّذى أختاره أنّه لم يرد القرآن، و إنّما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة، إلى آخر ما تقدّم عنه نقلا عن مجمع البيان.

الشّبهة الثّانية: ما أوردها أبو شامة قال: فإن قلت: .. [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:].

أقول: التّوقّف فى صحة العبارة على هذا إنّما يكون لجهتين؛

الجهة الأولى: أنّ قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۶» إخبار عن ماض، و هو لم

(۱)- طه/ ۱۱۴.

(۲)- طه/ ۱۱۴.

(۳)- القيامة/ ۱۷.

(۴)- طه/ ۱۴۴.

(۵)- القيامة/ ۱۶.

(۶)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۲۵

يقع، لأنّ الإنزال كان بعد حدوث هذا القول و صدوره، فكان ينبغى أن يقول: إنّا ننزّله فى ليلة القدر.

و الشّبهة على هذا هى الشّبهة الأولى بعينها، غير أنّ المستشكل خصّها بهذا الخبر من أخبار القرآن، و لم يلتفت إلى بقيّة أخباره بلفظ ماض عمّا لم يقع حتّى حين النّزول على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، بل لا يكون إلّا فى يوم القيامة.

الجهة الثّانية: هى أنّ قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ يحكى عن نزول القرآن فى ليلة القدر، فلو كان هو أيضا من المنزل فى ليلة القدر لزم اتّحاد الدّالّ و المدلول، أو تركّب القضيّة من جزءين، لأنّه إن اعتبر دلالته على نزول نفسه فى ليلة القدر أيضا لزم اتّحاد الدّالّ و

المدلول، و إلّا لزم ترکّب القضیّة من جزءین، لأنّ القضیّة علی هذا إنّما تحکی عن المحمول و النّسبة دون الموضوع، فتکون القضیّة المحکیّة بها إذن مرکّبة من جزءین:

المحمول و النّسبة. مع امتناع ترکّبها إلّا من ثلاثة أجزاء؛ لأنّ النّسبة لا تقوم إلّا بالمنتسبین، بل تمتنع حکایة القضیّة عن النّسبة إذا لم تحک عن الموضوع؛ لأنّ النّسبة لا تقوم بطرف واحد.

و الجواب: إنّا نختار الشّقّ الأوّل و نجیب عن إشکال لزوم اتّحاد الدّالّ و المدلول بأنّه یکفی تعدّدهما اعتبارا، و إن اتّحدا ذاتا، ثمّ نختار الشّقّ الثّانی و نجیب عن إشکال ترکّب القضیّة من جزءین بأنّه إنّما یلزم لو لم یکن الموضوع فی القضیّة المحکیّة نفس هذا القول، و إلّا کان أجزاؤها الثّلاثة تامّة، و کان المحمول منتسبا إلیه، و هو نفس الموضوع لا الحاکی عنه. و هذا ممکن، غیر أنّه لیس من باب استعمال اللّفظ فی المعنی، و إنّما هو من باب إیجاد الموضوع و إحضاره فی ذهن المخاطب خارجا. فالقضیّة اللّفظیّة مؤلفة من وجود الموضوع و اللّفظ المحمول فتکون القضیّة المحکیّة المعنویّة أجزاؤها الثّلاثة تامّة.

هذا، مع أنّ دلالة الآیة علی نزول نفسها فی لیلة القدر دلالة ضمنیّة، أی أنّها تدلّ علی نزول نفسها ضمن دلالتها علی نزول القرآن فی لیلة القدر، و هذه لا یأتی فیها ما یأتی فیما إذا أطلق اللّفظ و أرید به نفسه من لزوم اتّحاد الدّالّ و المدلول، أو ترکّب القضیّة من جزءین، کما فی «الفصول» و «کفایة الأصول». (ص: ۱۴۷- ۱۷۳)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۲۶

الفصل الرّابع و السّتّون نصّ الدّکتور أبی شهبة فی «المدخل لدراسة القرآن»

نزول القرآن الکریم

اشارة

هذا المبحث من المباحث المهمّة؛ إذ به یعرف تنزّلات «القرآن الکریم»، و متی نزل؟

و کیف نزل؟ و علی من نزل؟ و کیف کان یتلقّاه جبریل علیه السّلام من اللّه تبارک و تعالی؟ و علی أیّ حال کان یتلقّاه الرّسول صلّی اللّه علیه و آله من جبریل؟ و لا شکّ أنّ العلم بذلک یتوقّف علیه کمال الإیمان بأنّ القرآن من عند اللّه، و أنّه المعجزة العظمی للنّبیّ، کما أنّ کثیرا من المباحثات الّتی تذکر فی هذا الفنّ یتوقّف علی العلم بنزوله، فهو کالأصل بالنّسبة لغیره، و العلم بالأصل مقدّم علی الفرع، فأقول- و من اللّه أستمدّ العون و التّوفیق:

معنی النّزول:

النّزول لغة یطلق و یراد الحلول؛ یقال: نزل فلان بالمدینة: حلّ بها، و بالقول: حلّ بینهم، و المتعدّی منه معناه الإحلال؛ یقال: أنزلته بین القوم، أی أحللته بینهم «۱»، و منه قوله

---

(۱)- فی القاموس مادّة «نزل»: النّزول: الحلول، نزلهم و بهم و علیهم ینزل نزولا و منزلا: حلّ، و نزّله تنزیلا، و إنزالا و منزلا کمجمل، و استنزله بمعنی، و تنزّل نزل فی مهلة، و فی المصباح المنیر: نزل من علوّ إلی أسفل ینزل نزولا، و یتعدّی بالحرف و الهمزة و التّضعیف؛ فیقال: نزلت به، و أنزلته، و نزّلته، و استنزلته بمعنی أنزلته، و المنزل: موضع النّزول، و المنزلة مثله، و هی أیضا المکانة، و نزّلت هذا

مكان هذا: أقمته مقامه؛ قال ابن فارس: التّنزيل: ترتيب الشّىء.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۲۷

تعالى: رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبارَكاً وَ أَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ «۱» و يطلق أيضا على تحرّك الشّىء من علوّ إلى سفل؛ يقال: نزل فلان من الجبل، و المتعدّى منه معناه التّحريك من علوّ إلى سفل، و منه قوله تعالى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً ... «۲».

و كلا المعنيين اللّغويّين لا يليقان بنزول القرآن على وجه الحقيقة لاقتضائهما الجسميّة و المكانيّة و الانتقال، سواء أردنا بالقرآن المعنى القديم القائم بذاته تعالى أو الكلمات الحكميّة الأزليّة أو اللّفظ العربىّ المبين الّذى هو صورة و مظهر للكلمات الحكميّة القديمة؛ لما علمت من تنزّه الصّفة القديمة و متعلّقها، و هو الكلمات الغيبيّة الأزليّة عن الموادّ مطلقا، و لأنّ الألفاظ أعراض سيّالة تنتهى بمجرّد النّطق بها، و لا يتأتّى منها نزول و لا إنزال.

و على هذا يكون المراد بالنّزول المعنى المجازىّ، و المجاز فى اللّغة العربيّة باب واسع، فإن أردنا بالقرآن الصّفة القديمة أو متعلّقها، فالمراد بالإنزال الإعلام به بواسطة إثبات الألفاظ و الحروف الدّالّة عليه، من قبيل إطلاق الملزوم و إرادة اللّازم. و إن أردنا اللّفظ العربىّ الدّالّ على الصّفة القديمة يكون المراد نزول حامله به، سواء أردنا بالنّزول نزوله إلى سماء الدّنيا، أو على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و يكون الكلام من قبيل المجاز بالحذف، و هذا هو ما يتبادر إلى الأذهان عند إطلاق لفظ النّزول.

و للقرآن الكريم وجودات ثلاثة:

۱- وجوده فى اللّوح المحفوظ.

۲- وجوده فى السّماء الدّنيا. نصوص فى علوم القرآن ۵۲۷ معنى النزول: ..... ص : ۵۲۶

وجوده فى الأرض بنزوله على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و لم يقترن لفظ «النّزول» إلّا بالوجود الثّانى و الثّالث، أمّا الوجود الأوّل، فلم يرد لفظ «النّزول» مقترنا به قطّ، و على هذا فلا ينبغى أن نسمّيه نزولا أو تنزّلا.

---

(۱)- المؤمنون/ ۲۹.

(۲)- الرّعد/ ۱۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۲۸

أين كان القرآن قبل النّزول؟

يقول اللّه تعالى: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ* فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۱» فقد دلّت الآية على أنّ القرآن كان قبل نزوله ثابتا و موجودا فى اللّوح المحفوظ، و هذا اللّوح المحفوظ هو الكتاب المكنون الّذى ذكره اللّه تعالى فى قوله: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ «۲» فالظّاهر و الّذى عليه جمهور المفسّرين أنّ الكتاب المكنون هو اللّوح المحفوظ، و معنى مَحْفُوظٍ أنّه عن استراق الشّياطين، و محفوظ عن التّغيير و التّبديل، و معنى مَكْنُونٍ مصون محفوظ عن الباطل، و المعنيان متقاربان.

و اللّوح المحفوظ هو السّجل العامّ الّذى كتب اللّه فيه فى الأزل كلّ ما كان و كلّ ما يكون. و الواجب علينا أن نؤمن به و أنّه موجود ثابت، أمّا البحث فيما وراء ذلك، كالبحث فى حقيقته و ماهيّته، و على أىّ حالة يكون؟ و كيف دوّنت فيه الكائنات؟ و بأىّ قلم كتب؟

فلا يجب الإيمان علينا به؟ إذ لم يرد عن المعصوم عليه السّلام فى ذلك حديث صحيح، و كلّما ورد إنّما هى آثار عن بعض الصّحابة و التّابعين لا تطمئنّ إليها النّفس «۳».

و حكمة وجود القرآن فى اللّوح المحفوظ ترجع إلى الحكمة العامّة من وجود اللّوح المحفوظ نفسه، و إقامته سجلّا جامعا لكلّ ما كان و ما يكون من عوالم الإيجاد و التّكوين، فهو شاهد ناطق، و مظهر من أروع المظاهر الدّالة على عظمة اللّه و علمه و إرادته، و

واسع سلطانه و قدرته. و لا شکّ أنّ الإیمان به یقوّی إیمان العبد بربّه من هذه النّواحی، و بعث الطّمأنینة إلی نفسه، و الثّقة بکلّ ما یظهر اللّه لخلقه من ألوان هدایته و شرائعه و کتبه و سائر أقضیته، کما یحمل النّاس علی السّکون و الرّضا تحت سلطان القدر و القضاء، و من هنا تهون علیهم الحیاة بضرّائها و سرّائها کما قال جلّ شأنه: ما أَصابَ مِنْ مُصِیبَةٍ فِی الْأَرْضِ وَ لا فِی أَنْفُسِکُمْ إِلَّا فِی کِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِکَ عَلَی اللّهِ یَسِیرٌ* لِکَیْلا تَأْسَوْا عَلی

---

(۱)- البروج/ ۲۱- ۲۲.

(۲)- الواقعة/ ۷۷- ۸۰.

(۳)- انظر تفسیر «القرطبیّ» و «ابن کثیر» و «الآلوسیّ» فی تفسیر آیة البروج.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۲۹

ما فاتَکُمْ وَ لا تَفْرَحُوا بِما آتاکُمْ وَ اللّهُ لا یُحِبُّ کُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ «۱».

و للإیمان باللّوح و الکتابة أثر صالح فی استقامة المؤمن علی الجهاد، و تفانیه فی طاعة اللّه و مراضیه، و بعده عن مساخطه و معاصیه؛ لاعتقاده أنّها مسطورة عند اللّه فی لوحه، مسجّلة لدیه فی کتابه «۲»، کما قال جلّ شأنه: وَ کُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی الزُّبُرِ* وَ کُلُّ صَغِیرٍ وَ کَبِیرٍ مُسْتَطَرٌ «۳».

للقرآن الکریم نزولان؛ الأوّل: نزول من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا. الثّانی: نزوله من السّماء الدّنیا علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و هذا کلام مجمل یحتاج إلی تفصیل و توضیح، و إلیک البیان.

النّزول الأوّل

نزول القرآن الکریم من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا جملة واحدة، و هذا النّزول أ کان بعد نبوّته صلّی اللّه علیه و سلم أم کان قبل ذلک؟ رأیان للعلماء، أرجحهما الأوّل، و هو الّذی تدلّ علیه الآثار الآتیة، و کان هذا النّزول فی رمضان لیلة القدر. و الدّلیل علی هذا النّزول ما یأتی:

۱- قوله تعالی فی مفتتح سورة القدر: إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، و قال فی مفتتح سورة الدّخان: حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنّا کُنّا مُنْذِرِینَ و قال فی سورة البقرة: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۴».

و الإنزال أکثر ما یرد فی لسان العرب فیما نزل جملة واحدة «۵»، بخلاف التّنزیل، فإنّه

---

(۱)- الحدید/ ۲۲- ۲۳.

(۲)- مناهل العرفان ۱: ۳۵، ط أوّل.

(۳)- القمر: ۵۲- ۵۳، و معنی مستطر مکتوب فی السّطور.

(۴)- البقرة/ ۱۸۵.

(۵)- الغالب فی التّعبیر القرآنیّ عمّا نزل دفعة واحدة بلفظ الإنزال، و ما نزل مفرّقا التّنزیل. و لهذا لمّا جمع اللّه بین القرآن و التّوراة و الإنجیل عبّر فی جانب نزول القرآن علی النّبیّ بالتّنزیل، و فی جانب التّوراة و الإنجیل بالإنزال؛ لأنّهما نزلا دفعة واحدة، و هذا ما لا خلاف فیه، قال تعالی فی سورة آل عمران: نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ-

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۰

یعبّر به فی جانب ما نزل مفرّقا. فدلّت الآیات علی أنّ القرآن نزل جملة واحدة فی لیلة القدر أخذا من سورة القدر، و هی اللّیلة المبارکة أخذا من آیة الدّخان، و هی من لیلة شهر رمضان أخذا من آیة البقرة.

و أیضا فمن البدیهیّ أنّ القرآن نزل علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی سنین لا فی لیلة واحدة، و أنّه نزل فی غیر رمضان کما نزل فی رمضان، فدلّ هذا علی أنّ النّزول الّذی نوّهت بشأنه الآیات غیر النّزول علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم مفرّقا فی بضع و عشرین سنة، و أنّ المراد به هو النّزول جملة واحدة.

۲- قد جاءت الآثار الصّحیحة مبیّنة لهذا النّزول و شاهدة علیه .. [ثمّ ذکر روایات ابن عبّاس نقلا عن النّسائیّ و الحاکم و البیهقیّ، کما تقدّم عن السّیوطیّ و الطّبریّ، فقال:] و معلوم أنّ هذا لا یقوله ابن عبّاس بمحض الرّأی، فهو محمول علی سماعه من النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم أو ممّن سمعه من النّبیّ من الصّحابة. و مثل هذا له حکم المرفوع؛ لأنّ القاعدة عند أئمّة الحدیث أنّ قول الصّحابیّ الّذی لم یأخذ عن الإسرائیلیّات فیما لا مجال للرّأی فیه له حکم الرّفع، و بذلک ثبتت حجّیّة هذه الآثار «۱» و قد ذکر السّیوطیّ فی الإتقان «۲» عن القرطبیّ:

أنّه حکی الإجماع علی أنّ القرآن نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا.

و هناک قول ثان، و هو أنّ القرآن نزل إلی السّماء الدّنیا فی عشرین لیلة قدر، أو ثلاث و عشرین، أو خمس و عشرین «۳» ینزل اللّه فی کلّ لیلة منها ما یقدّر إنزاله فی کلّ السّنة، ثمّ ینزل به جبریل بعد ذلک عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی جمیع السّنة، و به قال «مقاتل بن حیّان»

و هناک قول ثالث، هو أنّ المراد بالآیات السّابقة ابتداء إنزاله فی لیلة القدر، ثمّ نزل

- التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ. و التّفریق بین الإنزال و التّنزیل أمر غالب، و لیس قاعدة مطّردة، و لذا عبّرت بلفظ «أکثر» بدلیل قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... الفرقان/ ۳۲، فقد استعملوا التّنزیل و أرادوا الإنزال.

(۱)- نزهة النّظر شرح نخبة الفکر: ۴۳.

(۲)- الإتقان ۱: ۴۰.

(۳)- هذا مبنیّ علی الخلاف فی مدّة إقامته صلّی اللّه علیه و سلم بمکّة بعد النّبوّة، أ هی عشر سنوات أم ثلاث عشرة أم خمس عشرة، و أصحّها أوسطها.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۱

بعد ذلک منجّما فی أوقات مختلفة علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، و به قال الشّعبیّ، و کان صاحب هذا القول ینفی النّزول جملة واحدة إلی السّماء الدّنیا.

و قد ذهب إلی هذا الرّأی من المتأخّرین الأستاذ الإمام الشّیخ محمّد عبده فی تفسیر جزء «عمّ»، فقد نقل کلام الشّعبیّ و قوّاه. و قال: إنّ ما جاء من الآثار الدّالّة علی نزوله جملة واحدة إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، ممّا لا یصحّ الاعتماد علیه؛ لعدم تواتر خبره عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، و أنّه لا یجوز الأخذ بالظّنّ فی عقیدة مثل هذه، و إلّا کان اتّباعا للظّنّ «۱»

و أعقّب علی قول الإمام فأقول: إنّ مسألة نزول القرآن جملة واحدة إلی سماء الدّنیا لیست من العقائد الّتی یتحتّم تواتر الأخبار بها، و الّتی لا بدّ فیها من العلم القطعیّ الیقینیّ، مثل وجود اللّه و صفاته، و نحو ذلک من العقائد، و إنّما یکفی فیها الأخبار الصّحیحة الّتی تفید غلبة الظّنّ و رجحان العلم، ثمّ إنّ من قال: إنّ مثل هذه الحقیقة الغیبیّة لا بدّ فیها من تواتر الأخبار عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، إنّ کثیرا من السّمعیّات یکتفی فیها بالأخبار الصّحیحة الّتی تفید رجحان العلم بما دلّت علیه، و علی هذا جری العلماء سلفا و خلفا. ثمّ إنّ تأویل الآیات بأنّ المراد ابتداء الإنزال صرف للآیات عن ظواهرها، و قد بیّنت أنّ ظاهر الآیات یشهد للنّزول جملة واحدة، و الظّواهر

لا یعدل عنها إلّا بصارف، و أنّی هو؟

و بعد، فالقول الأوّل هو الرّاجح و الصّحیح الّذی تشهد له الآیات و الآثار. حکمة هذا النّزول: و الحکمة فی هذا النّزول أمران؛

۱- تفخیم شأن القرآن و شأن من نزل علیه و شأن من سینزل إلیهم، بإعلام سکّان السّماوات من الملائکة، بأنّ هذا آخر الکتب المنزلة علی خاتم الرّسل لأشرف الأمم، و هی الأمّة الإسلامیّة، و فی هذا تنویه بشأن المنزل و المنزل علیه و المنزل إلیهم.

۲- تفضیل القرآن الکریم علی غیره من الکتب السّماویّة، بأن جمع اللّه له النّزولین:

النّزول جملة واحدة، و النّزول مفرّقا. و بذلک شارک الکتب السّماویّة فی الأولی، و انفرد فی الفضل علیها بالثّانیة، و هذا یعود بالتّفضیل لنبیّنا محمّد علی سائر إخوانه من الأنبیاء ذوی الکتب المنزلة، و أنّ اللّه جمع له الخصائص ما لغیره و زاد علیها.

---

(۱)- تفسیر جزء «عمّ»: ۱۲۲ ط بولاق.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۲

النّزول الثّانی

اشارة

قلنا فیما سبق: إنّ القرآن الکریم نزل جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا فی لیلة القدر، و هذا هو النّزول الأوّل، و کان النّازل به جبریل علیه السّلام، فألقاه علی السّفرة الکرام البررة، فقیّدوه فی صحفهم المکرّمة، کما قال تعالی: کَلَّا إِنَّها تَذْکِرَةٌ* فَمَنْ شاءَ ذَکَرَهُ* فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ* بِأَیْدِی سَفَرَةٍ* کِرامٍ بَرَرَةٍ «۱»، و هم الملائکة المختصّون بذلک.

و قد بقی القرآن محفوظا فی هذه الصّحف المرفوعة المطهّرة بأیدی هؤلاء الملائکة الکرام البررة، حتّی أذن اللّه لهذا النّور الإلهیّ أن یسطع فی أرجاء الأرض، و لهدایته الرّبّانیّة أن تتدارک النّاس، و تخرجهم من ظلمات الشّرک و الجهالة و الضّلال إلی نور الإیمان و الهدی و العرفان، علی ید مخلّص البشریّة، و منقذ الإنسانیّة سیّدنا و نبیّنا محمّد بن عبد اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، فأنزل علیه القرآن هادیا و مبشّرا و نذیرا للخلق أجمعین؛ لیکون آیته الکبری، و معجزته الباقیة علی وجه الدّهر شاهدة له بالصّدق، و أنّه یوحی إلیه من ربّه، و هذا هو النّزول الثّانی للقرآن.

و شواهد هذا النّزول أکثر من أن تحصی؛ قال تعالی شأنه: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ «۲» لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ* بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ «۳» و قال تعالی: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ «۴» مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ «۵»، و قال تعالی: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِی أَنْزَلَ عَلی عَبْدِهِ الْکِتابَ وَ لَمْ یَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً* قَیِّماً لِیُنْذِرَ بَأْساً شَدِیداً مِنْ لَدُنْهُ وَ یُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِینَ الَّذِینَ یَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً* ماکِثِینَ فِیهِ أَبَداً* وَ یُنْذِرَ الَّذِینَ قالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً «۶»، و قال: تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ

---

(۱)- عبس/ ۱۱- ۱۶.

(۲)- عبّر به للدّلالة علی أنّ القلب قد وعاه بعد أن وعته الآذان.

(۳)- الشّعراء/ ۱۹۲- ۱۹۵.

(۴)- هو جبریل الأمین علی الوحی.

(۵)- النّحل/ ۱۰۲.

(۶)- الکهف/ ۱- ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۳۳

الْفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً «۱»، و قال تعالى: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ «۲».

و الّذى نزل به على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم هو أمين الوحى جبريل عليه السّلام، و هو المقصود بالرّوح الأمين فى آية الشّعراء، و بروح القدس فى سورة النّحل، و هو الرّسول الكريم ذو القوّة المتين الأمين فى قوله تعالى: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ* وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ «۳» و القول كما ينسب لقائله الأوّل، ينسب لمبلّغه و حامله إلى المرسل إليه. و هو شديد القوى، ذو المرّة فى قوله تعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوى* وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلى «۴» و قد جاء النّص على أنّ النّازل بالقرآن هو جبريل فى قوله سبحانه: قُلْ مَنْ كانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدىً وَ بُشْرى لِلْمُؤْمِنِينَ* مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ «۵»، و المراد بهم اليهود.

كيف كان هذا النّزول و مدّته:

و قد نزل جبريل عليه السّلام على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم منجّما مفرّقا على حسب الوقائع و الحوادث و حاجات النّاس و مراعاة للظّروف و الملابسات.

و قد اختلف العلماء فى مدّة هذا النّزول؛ فقيل: عشرون سنة، و قيل: ثلاث و عشرون سنة، و قيل: خمس و عشرون سنة. و منشأ هذا الاختلاف إنّما هو اختلاف فى مدّة مقامه صلّى اللّه عليه و سلم بمكّة؛ فقيل: عشر سنين، و قيل: ثلاث عشرة، و قيل: خمس عشرة. و أقربها إلى الحقّ و الصّواب هو أوسطها، و هو ثلاث و عشرون سنة، و هذا على سبيل التّقريب، و أبعدها هو آخرها. و لو راعينا التّدقيق و التّحقيق تكون مدّة نزول القرآن اثنين و عشرين سنة

---

(۱)- الفرقان/ ۱.

(۲)- البقرة/ ۲۳.

(۳)- التّكوير/ ۹- ۲۲.

(۴)- النّجم/ ۴- ۷، و معنى ذُو مِرَّةٍ ذو هيئة حسنة، و قيل: ذو حصانة فى العقل، و إحكام فى الرّأى.

(۵)- البقرة/ ۹۷- ۹۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۳۴

و خمسة أشهر «۱» و نصف شهر تقريبا، و بيان ذلك أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم نبئ على رأس الأربعين من ميلاده الشّريف، و ذلك فى شهر ربيع الأوّل الثّانى عشر منه، و قد بدئ الوحى إليه بالرّؤيا الصّادقة، و مكث على ذلك إلى السّابع عشر من رمضان، و هو اليوم الّذى نزل عليه فيه صدر سورة اقْرَأْ أوّل ما نزل من القرآن، و جملة ذلك ستّة أشهر و خمسة أيّام. و آخر آية نزلت من القرآن هى قوله تعالى وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ «۲»، و قد روى أنّ ذلك قبل وفاة النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بتسعة أيّام، و قيل:

بأحد عشر يوما، و قيل: بواحد و عشرين يوما. فلو أخذنا بالمتوسّط تكون جملة المدّة الّتى لم ينزل فيها القرآن ستّة أشهر و ستّة عشر يوما.

و جملة عمره صلّى اللّه عليه و سلم ثلاثة و ستّون عاما؛ لأنّه توفّى فى الثّانى عشر من ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من الهجرة كما عليه الجمهور فتكون مدّة نبوّته ثلاثا و عشرين سنة، فإذا أنقصنا منها ستّة أشهر و ستّة عشر يوما، يكون الباقى اثنتين و عشرين سنة و خمسة

أشهر و أربعة عشر يوما، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانا لِهذا وَ ما كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْ لا أَنْ هَدانَا اللَّهُ «۳»
و قد ذكر بعض الكاتبين فى تاريخ التّشريع غير هذا، و قد بنى حسابه على أنّ آخر آية نزلت الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، و هو خطأ مشهور، و سنبيّن الحقّ فى «آخر ما نزل» فيما يأتى إن شاء اللّه.

الدّليل على نزول القرآن منجّما

المعروف الثّابت أنّ القرآن الكريم نزل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا، و يدلّ على هذا القرآن و السّنّة الصّحيحة.
أمّا القرآن فقوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ

---

(۱)- راعيت فى هذا التّحديد ما ذهب إليه الجمهور، من أنّه صلّى اللّه عليه و سلم ولد فى الثّانى عشر ربيع الأوّل عام الفيل، و توفّى فى الثّانى عشر أيضا من ربيع الأوّل عام إحدى عشرة من الهجرة.

(۲)- البقرة/ ۲۸۱.

(۳)- الأعراف/ ۴۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۳۵

تَنْزِيلًا «۱»
و قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا* وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۲»، فقد روى أنّ المشركين أو اليهود عابوا على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم نزول القرآن مفرّقا، و قالوا: هلّا نزل جملة واحدة، كما نزلت التّوراة على موسى؟ فأنزل اللّه سبحانه هذه الآية، حاكية لأقوالهم، و رادّة عليهم ببيان الحكمة فى إنزاله مفرّقا، أى أنزلناه مفرّقا؛ لنثبّت به فؤادك، و لنرتّله ترتيلا فى خاصّة نفسك، و على أصحابك.
أمّا السّنن الصّحيحة فقد ورد فيها ما يدلّ على نزول القرآن منجّما مفرّقا ففى الصّحيحين و غيرهما عن عائشة: أنّ أوّل ما نزل صدر سورة اقْرَأْ ... إلى قوله تعالى ما لَمْ يَعْلَمْ «۳». و فى الصّحيحين- أيضا- عن جابر: أنّ أوّل ما نزل بعد فترة الوحى سورة «المدّثّر» إلى وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ «۴». و كذلك روى عن ابن عبّاس و غيره من الصّحابة القول فى تقدّم نزول بعض السّور و الآيات على بعض، و بترتيب السّور على حسب النّزول «۵»، إلى غير ذلك من الآثار الّتى لا تدع مجالا للشّكّ فى نزول القرآن الكريم على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا، و هذه الأحاديث و الآثار و إن كانت آحادية إلّا أنّها بمجموعها تفيد التّواتر المعنوىّ المفيد للقطع و اليقين فى هذا.

نزول الكتب السّماويّة السّابقة

أمّا الكتب السّماويّة السّابقة فالمشهور بين العلماء: أنّ ذلك كان جملة واحدة، حتّى كاد يكون هذا الرّأى إجماعا كما قال السّيوطىّ.
و الدّليل على ذلك آية الفرقان وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ...

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

(۳)- العلق/ ۵.

(۴)- المدّثّر/ ۵.

(۵)- الإتقان ۱: ۹- ۱۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۶

الآیهٔ، و وجه الدّلالهٔ أنّ اللّه سبحانه لم یکذّبهم فی دعواهم نزول الکتب السّماویّهٔ جملهٔ، بل بیّن لهم الحکمهٔ فی نزوله مفرّقا، و لو کانت الکتب السّماویّهٔ نزلت مفرّقهٔ، لکان کافیا فی الرّدّ علیهم أن یقول لهم: إنّ التّنجیم سنّهٔ اللّه فی الکتب السّماویّهٔ الّتی أنزلت علی الرّسل، کما أجاب بمثل ذلک قولهم: وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعامَ وَ یَمْشِی فِی الْأَسْواقِ .. «۱»، فقال فی الرّدّ علیهم: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ مِنَ الْمُرْسَلِینَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَیَأْکُلُونَ الطَّعامَ وَ یَمْشُونَ فِی الْأَسْواقِ «۲» فبیّن لهم أنّ ذلک سنن الأنبیاء و المرسلین، و کذلک لمّا قالوا: هَلْ هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ «۳»، فردّ علیهم بأنّ سنّته ألّا یرسل رسلا من البشر، فقال:

وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَکَ إِلَّا رِجالًا نُوحِی إِلَیْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّکْرِ إِنْ کُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ «۴»، و لمّا قالوا: کیف یکون رسولا و لا هم له إلّا النّساء؟ ردّ علیهم فقال: وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِکَ وَ جَعَلْنا لَهُمْ أَزْواجاً وَ ذُرِّیَّهً «۵»، إلی غیر ذلک.

و یدلّ علی ذلک أیضا قوله تعالی فی إنزاله التّوراهٔ علی موسی علیه السّلام یوم الصّعقهٔ:

فَخُذْ ما آتَیْتُکَ وَ کُنْ مِنَ الشَّاکِرِینَ* وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَهً وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ فَخُذْها بِقُوَّهٍ «۶»، و قوله: وَ لَمَّا سَکَتَ عَنْ مُوسَی الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْواحَ وَ فِی نُسْخَتِها هُدیً وَ رَحْمَهٌ لِلَّذِینَ هُمْ لِرَبِّهِمْ یَرْهَبُونَ «۷»، و قال تعالی: وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ کَأَنَّهُ ظُلَّهٌ وَ ظَنُّوا أَنَّهُ واقِعٌ بِهِمْ خُذُوا ما آتَیْناکُمْ بِقُوَّهٍ وَ اذْکُرُوا ما فِیهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ «۸»، و المراد بالألواح الّتی کتبت فیها التّوراهٔ.

---

(۱)- الفرقان/ ۷.

(۲)- الفرقان/ ۲۰.

(۳)- الأنبیاء/ ۳.

(۴)- الأنبیاء/ ۷.

(۵)- الرّعد/ ۳۸.

(۶)- الأعراف/ ۱۴۴- ۱۴۵.

(۷)- الأعراف/ ۱۵۴.

(۸)- الأعراف/ ۱۷۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۷

فهذه الآیات دالّهٔ علی إنزاله سبحانه التّوراهٔ علی موسی جملهٔ. و هناک آثار «۱» صحیحهٔ عن ابن عبّاس تفید نزول التّوراهٔ جملهٔ، منها ما أخرجه النّسائی و غیره عن ابن عبّاس فی حدیث النّتوق: قال: أخذ موسی الألواح بعد ما سکن عنه الغضب، فأمرهم بالّذی أمر اللّه أن یبلّغهم من الوظائف، فثقلت علیهم، و أبوا أن یقرّوا بها حتّی نتق اللّه علیهم الجبل کأنّه ظلّهٔ، و دنا منهم حتّی خافوا أن یقع علیهم فأقرّوا بها.

و إذا کانت التّوراهٔ، و هی أعظم الکتب السّماویّهٔ السّابقهٔ، و أکثرها أحکاما و هدایهٔ، و قد ثبت نزولها جملهٔ واحدهٔ، فأحری بغیرها من الکتب السّماویّهٔ- کالإنجیل و الزّبور و صحف إبراهیم- أن تکون قد نزلت جملهٔ واحدهٔ، و آیهٔ الفرقان- کما ذکرنا- تدلّ علی هذا التّعمیم و تؤیّده ...

حکم نزول القرآن منجّما مفرّقا

اشارهٔ

لنزول القرآن الکریم علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم مفرّقا حکم کثیرة و أسرار عدیدة، نجملها فیما یأتی:

الحکمة الأولی

تثبیت فؤاد النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم و تطمین قلبه و خاطره، و هی ما أشار إلیها الحقّ- تبارک و تعالی- فی ردّه علی المشرکین أو الیهود؛ حیث قال: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲»، و هذه الحکمة من أجلّ الحکم و أعظمها، و لذا ذکرها اللّه أوّل ما ذکر فی الرّدّ علی هؤلاء، و یتدرّج تحت هذه الحکمة:

۱- تثبیت فؤاد النّبیّ و تقویة قلبه و إلهاب حماسه و تسلیته، و ذلک بسبب تکرّر نزول الوحی و توالی آیاته، و ما اشتملت علیه الآیات من أنّ رسالته حقّ لا شکّ فیها، و أنّ العاقبة للمتّقین، و النّصر إنّما هو للأنبیاء و أتباعهم، و أنّ اللّه مؤیّده و ناصره. و کان النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم

---

(۱)- الإتقان (۱: ۴۲).

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۸

کثیرا ما یتحسّر و یحزن؛ لعدم إیمان قومه، کما قال تعالی: فَلَعَلَّکَ باخِعٌ نَفْسَکَ عَلی آثارِهِمْ إِنْ لَمْ یُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِیثِ أَسَفاً «۱».

فکانت تنزّل علیه الآیات مسلّیة له، فتارة تنهاه أن یذهب نفسه علیهم حسرات، کما قال تعالی: فَلا تَذْهَبْ نَفْسُکَ عَلَیْهِمْ حَسَراتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ بِما یَصْنَعُونَ «۲».

و تارة یبیّن له أنّ هدایتهم إنّما هی علی اللّه، و إنّما علیک البلاغ کما قال تعالی: لَیْسَ عَلَیْکَ هُداهُمْ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ «۳»، إِنَّکَ لا تَهْدِی مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لکِنَّ اللَّهَ یَهْدِی مَنْ یَشاءُ «۴»، و قال: فَإِنَّما عَلَیْکَ الْبَلاغُ وَ عَلَیْنَا الْحِسابُ «۵».

و کان کلّما آذاه قومه و نالوا منه و سفهوا علیه، نزلت الآیات داعیة له إلی التّحمّل و الصّبر و الثّبات علیه، و أنّ العاقبة للصّابرین، کما قال تعالی: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۶»، وَ اصْبِرْ وَ ما صَبْرُکَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لا تَحْزَنْ عَلَیْهِمْ وَ لا تَکُ فِی ضَیْقٍ مِمَّا یَمْکُرُونَ «۷» و قال: وَ اصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا یُضِیعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِینَ «۸».

و تارة تنزّل الآیات قاصّة علی النّبیّ أخبار الأنبیاء مع أممهم، و ما لاقوه منهم من عنت و مشقّة، و کیف کان تحمّلهم من أقوامهم، و ما آل إلیه أمرهم من الفوز و النّصر علی الأعداء و المکذّبین، و ذلک مثل قصص نوح و إبراهیم و لوط و هود و صالح و موسی، و ما لاقاه من بنی إسرائیل، و قد ذکر اللّه هذا فی قوله: وَ کُلًّا نَقُصُّ عَلَیْکَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَکَ «۹».

---

(۱)- (باخع نفسک): قاتلها غمّا و حزنا، الکهف/ ۶.

(۲)- فاطر/ ۸.

(۳)- البقرة/ ۲۷۲.

(۴)- القصص/ ۵۶.

(۵)- الرّعد/ ۴۰.

(۶)- الأحقاف/ ۳۵.

(۷)- النّحل/ ۱۲۷.

(۸)- هود/ ۱۱۵.

(۹)- هود/ ۱۲۰

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۳۹

و حینا آخر تنزّل الآیات بوعید المکذّبین للأنبیاء و المناهضین لدعوتهم کما قال تعالی: أ فَأَمِنَ أَهْلُ الْقُری أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنا بَیاتاً وَ هُمْ نائِمُونَ* أَ وَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُری أَنْ یَأْتِیَهُمْ بَأْسُنا ضُحًی وَ هُمْ یَلْعَبُونَ «۱»، و قال: فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُکُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَ ثَمُودَ «۲»، قُلْ لِلَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ یَنْتَهُوا یُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَفَ وَ إِنْ یَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِینَ «۳».

و آونة کانت تنزّل الآیات بالحجج و البراهین مبطلة لعقائدهم الزّائفة، و رادّة علیهم ما یتمسّکون به من شبه واهیة، کالآیات الواردة فی إثبات اللّه و صفاته و توحیده، و استحقاقه للعبادة، و إثبات البعث و الحشر، و أحوال الیوم الآخر، و إثبات رسالة الرّسل و حاجة البشر إلیهم. و کان من ثمرة هذا التّثبیت أن أبدی النّبیّ غایة الثّبات و الشّجاعة، و الوثوق باللّه تعالی فی أحرج المواقف و أشدّها هولا، أ لا تری إلی قوله للصّدّیق فی الغار: لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنا، و إلی ثباته یوم أحد و حنین یدعو إلی اللّه و قد فرّ عنه الکثیرون، فما زاده ذلک إلّا إیمانا و ثباتا.

۲- تیسیر حفظه و فهمه علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم، فقد کان النّبیّ حریصا علی ذلک غایة الحرص، و لقد بلغ من حرصه أنّه کان لا ینتظر حتّی یفرغ جبریل من قراءته، بل کان یتعجّل القراءة، فأنزل اللّه علیه: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً، و قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ «۴»، فضمن اللّه لنبیّه الحفظ و الفهم. و طبیعیّ أنّ نزول القرآن مفرّقا أدعی إلی سهولة حفظه و فهمه، و أیسر و أوفق بالفطرة البشریّة.

و هذا المعنی الّذی أراده الحقّ سبحانه- فما أراد من حکم لنزول القرآن منجّما و مفرّقا قطعا قطعا- هو غایة ما وصل إلیه أهل التّربیة فی حفظ النّصوص الطّویلة،

---

(۱)- الأعراف/ ۹۷- ۹۸.

(۲)- فصّلت/ ۱۳.

(۳)- الأنفال/ ۳۸.

(۴)- القیامة/ ۱۶- ۱۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۴۰

و تسهیل فهمها. و هذا المعنی التّربویّ ما کان یجول بخاطر بشر فی هذا العصر و فی هذه البیئة البدویّة. ممّا یدلّ علی أنّ منزل القرآن علی هذه الطّریقة البدیعة هو اللّه العالم بالطّبائع البشریّة و النّفوس و أسرارها.

الحکمة الثّانیة

التّدرّج فی تربیة الأمّة دینیّا و خلقیّا و اجتماعیّا و علما و عملا، و هذه الحکمة هی الّتی أشار إلیها الحقّ- تبارک و تعالی- بقوله: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱»، و یندرج تحت هذه الحکمة ما یأتی:

۱- التّدرّج فی انتزاع العقائد الفاسدة و العادات الضّارّة و المنکرات الماحقة، فقد بعث النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم إلی قوم یعبدون الأصنام، و یشرکون باللّه غیره، و یسفکون الدّماء، و یشربون الخمر، و یزنون، و یغتصبون الأموال، و یئدون البنات خشیة العار، و یقتلون الأولاد خشیة الفقر، و یظلمون النّساء، و یتزوّجون نساء الآباء، و یجمعون بین الأختین، کما کانوا یتظالمون، و تقع بینهم الحروب لأوهی الأسباب، کناقة رعت من حمی، أو سبق فرس، أو نحو ذلک. و کانت الحروب تدوم بینهم عشرات الأعوام حتّی تأکل الأخضر و الیابس، و کان التّکافل و التّعاون بینهم یکاد یکون معدوما، فلا تراحم بین الأغنیاء و الفقراء و لا بین السّادة و العبید، و لا بین الأقویاء و الضّعفاء.

و معلوم أنّ النّفس يشقّ عليها ترک ما تعوّدته مرّة واحدة، و شديد عادة منتزعة، و الإقلاع عمّا اعتقدته بمجرّد النّهى عنه؛ لأنّ للعقائد- حتّى و لو كانت باطلة، و للعادات و لو كانت مستهجنة- سلطانا على النّفوس، و النّاس أسراء ما ألفوا و نشئوا عليه، فلو أنّ القرآن نزل جملة واحدة، و طالبهم بالتّخلّى عمّا هم منغمسون فى حمأته من كفر و جهل و منكرات مرّة واحدة، لما استجاب إليه أحد، و لما وفّق الرّسول فى أداء مهمّته، و لعاد ذلک بالنّقض على الشّريعة الجديدة.

لذلک اقتضت حكمة اللّه سبحانه- و للّه الحكمة البالغة- أن يتدرّج معهم فى انتزاع هذه العقائد و المنكرات، فينهاهم عن عبادة غير اللّه، فإذا ما أقلعوا عنه، أخذ فى النّهى عن

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۴۱

منكر غيره و هكذا.

و كذلک كان القرآن يتدرّج معهم فى انتزاع المنكر الواحد، كما حدث فى تحريم الخمر، فقد نزل فيها أوّل ما نزل: يَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ «۱»، فشربها قوم و تركها آخرون ... فمن ثمّ اقتضت الحكمة نزول القرآن مفرّقا.

۲- التّدرّج فى تثبيت العقائد الصّحيحة، و الأحكام التّعبديّة و العمليّة و الآداب و الأخلاق الفاضلة، فأمرهم أوّلا بالإيمان باللّه و صفاته و عبادته وحده، حتّى إذا ما آمنوا باللّه دعاهم إلى الإيمان باليوم الآخر، ثمّ بالإيمان بالرّسل و الملائكة. حتّى إذا ما اطمأنّت قلوبهم بالإيمان و أشربوا حبّه، سهل عليهم بعد ذلک تقبل الأوامر و التّشريعات التّفصيليّة، و الأحكام العمليّة و الفضائل و الآداب العالية، فأمروا بالصّلاة و الصّدق و العفاف، ثمّ أمروا بالزّكاة ثمّ بالصّوم ثمّ بالحجّ. و بيّن لهم أحكام النّكاح و الطّلاق و الرّجعة و المعاملات من بيع و شراء و تجارة و زراعة و دين و رهن إلى غير ذلک من المعاملات الصّحيحة منها و غير الصّحيحة.

و لذلک كان مدار الآيات فى القسم المكّىّ على إثبات العقائد و الفضائل الّتى لا تختلف باختلاف الشّرائع، بخلاف القسم المدنىّ، فكان مدار التّشريعات فيه على الأحكام العمليّة و تفصيل ما أجمل قبل ذلک.

[ثمّ ذكر رواية عائشة نقلا عن البخارىّ كما تقدّم عن السّيوطىّ، فقال:]

و لا شكّ أنّ من طبيعة التّدرّج نزول آيات القرآن و سوره بعضها فى إثر بعض، و قد دلّ القرآن بهذه السّياسة الرّشيدة فى إصلاح الشّعوب و تهذيبها على أنّه معجز و أنّه من عند اللّه، فما كان لبشر- مهما كان ذكيا- أن يتوصّل إلى هذه الطّرق الحكيمة فى ذلک الوقت الّذى بعث فيه النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و إنّما ذلک من صنع الحكيم العليم الخبير.

۳- تيسير حفظه و فهمه على الأمّة، فقد أوجب اللّه على المسلمين حفظ ألفاظه كما أوجب عليهم فهم معانيه؛ قال تعالى: كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْکَ مُبارَکٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ

---

(۱)- البقرة/ ۲۱۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۴۲

أُولُوا الْأَلْبابِ «۱»، أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها «۲».

و قد ابتلى المسلمون فى مكّة بالمشركين، كما ابتلوا فى المدينة باليهود و المنافقين، هذا إلى اشتغالهم بأمور معايشهم، و بإقامة الدّين، و نشر الإسلام و الدّفاع عن دعوته، فلو نزل القرآن مرّة واحدة لما أمكنهم حفظه و لا فهمه مع وجود هذه الملابسات و الظّروف المحيطة بهم.

لذلک اقتضت حكمته أن ينزل القرآن مفرّقا، حتّى إذا ما نزلت قطعة منه أمكنهم أن يحفظوها و يجيدوا فهمها.

۴- تثبيت قلوب المؤمنين، و تعويدهم على الصّبر و التّحمل بذكر قصص الأنبياء و السّابقين الفينة بعد الفينة، و تذكيرهم بأنّ النّصر مع الثّبات و الصّبر، و أنّ العاقبة للمتّقين، و الخذلان و الخسران للكافرين، اقرأ- إن شئت- قوله تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ «۳». فقد ذكر عطاء أنّ المسلمين لمّا هاجروا إلى المدينة، و تركوا الأهل و الوطن و المال، و آثروا رضاء اللّه و رسوله، و تعرّضوا لألوان من الإيذاء و الجهد و الفقر و المرض، و معاداة اليهود و المنافقين لهم، شقّ ذلك على نفوسهم، فأنزل اللّه هذه الآية.

و قال تعالى: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمَ الصَّابِرِينَ «۴»، و قال تعالى: الم* أَ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ «۵».

بل اقرأ هذا الوعد الّذى يستحثّ الهمم، و يقوّى العزائم: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ

---

(۱)- ص/ ۲۹.

(۲)- محمّد/ ۲۴.

(۳)- البقرة/ ۲۱۴.

(۴)- آل عمران/ ۱۴۲.

(۵)- العنكبوت/ ۲- ۳.

دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً «۱».

و طبيعىّ أنّ دواعى هذا التّذكير و الإرشاد و التّوجيه لم تكن فى وقت واحد، بل كانت فى أزمنة متعدّدة متفاوتة، فاقتضى ذلك نزول القرآن مفرّقا على حسب ذلك.

الحكمة الثّالثة

مجاراة الحوادث و النّوازل و الأحوال و الملابسات فى تفرّقها و تجدّدها، و هذه الحكمة هى الّتى أشارت إليها الآية الكريمة فى قوله تعالى: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۲». و يندرج تحت هذه الحكمة ما يأتى:

۱- بيان حكم اللّه سبحانه و تعالى فى الأقضية و الوقائع الّتى تحدث بين المسلمين، فقد اقتضت رحمة اللّه بعباده أنّه كلّما وقعت واقعة لم يكن حكمها معروفا عند المسلمين أن تنزّل الآية أو الآيات عقبها مبيّنة حكم اللّه فيها، و مثال ذلك حادثة الإفك، و هى قوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جاؤُ بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ إلى قوله: وَ لَوْ لا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ «۳».

و مثل حادثة خولة بنت ثعلبة الّتى ظاهر منها زوجها أوس بن الصّامت، أى قال لها:

أنت علىّ كظهر أمّى، فجاءت تشتكى إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم و تقول: إنّ أوسا أخذنى و أنا شابّة مرغوب فىّ، حتّى كبر سنّى و نثرت «۴» له بطنى ظاهر منّى، و أنّ لى أولادا إن ضممتهم إلىّ جاعوا، و إن ضممتهم إليه ضاعوا فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم: «ما أراك إلّا قد حرمت عليه، و لم أومر فى شأنك بشىء». فجعلت تجادل رسول اللّه و تحاوره، رغبة منها أن يجد لها مخرجا فى عشرة زوجها، فأنزل اللّه سبحانه أوّل سورة المجادلة ببيان حكم الظّهار فى الإسلام:

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحاوُرَكُما إِنَ

---

(۱)- النّور/ ۵۵.

(۲)- الفرقان/ ۳۳.

(۳)- النّور/ ۱۱- ۲۰.

(۴)- أى أنجبت له أولادا، و هو من الكنايات البديعة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۴۴

اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، إلى قوله تعالى: وَ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ لِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ «۱»، و غير ذينك كثير. و طبيعىّ، أنّ الحوادث لم تكن تقع فى وقت واحد، فنزل القرآن فى هذه الحوادث مفرّقا لذلك.

۲- إجابات السّائلين على أسئلتهم الّتى كانوا يوجّهونها إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، سواء أ كانت هذه الأسئلة لغرض التّثبّت و للتّأكّد من رسالته، أم كانت للاسترشاد و المعرفة.

و من النّوع الأوّل قوله تعالى: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَ ما أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا «۲»، و قوله: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً ... الآيات «۳».

و من الثّانى: قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِ «۴»، و قوله: يَسْئَلُونَكَ ما ذا يُنْفِقُونَ قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ ... الآية «۵».

و قوله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ ... الآية «۶».

و طبيعىّ أنّ هذه الأسئلة لم تكن فى وقت واحد، بل كانت تحدث متفرّقة، فكان نزول القرآن مفرّقا لذلك.

۳- تنبيه المسلمين من وقت لآخر إلى أخطائهم و أغلاطهم، و تحذيرهم من معاودتها و الوقوع فيها، و ذلك مثل ما حدث فى أحد، فقد خالف الرّماة نصيحة رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم متأوّلين، فكانت النّتيجة أن أتى المسلمون من جهتهم، و أن شاعت الهزيمة بينهم، و شجّ وجه النّبىّ، و كسرت رباعيّته، و استشهد منهم عدد كثير، فأنزل اللّه فى ذلك آيات عدّة، مسجّلة الإغلاظ، و محذّرة لهم من المخالفة و الفرار عند اللّقاء. اقرأ- إن شئت- قوله تعالى: وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَ تَنازَعْتُمْ فِى

---

(۱)- المجادلة/ ۱- ۴.

(۲)- الإسراء/ ۸۵.

(۳)- الكهف/ ۸۳ و ما بعدها.

(۴)- البقرة/ ۱۸۹.

(۵)- البقرة/ ۲۱۵.

(۶)- البقرة/ ۲۱۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۴۵

الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ما أَراكُمْ ما تُحِبُّونَ ... الآيات «۱».

و مثل ما حدث فى حنين، فقد اغترّ المسلمون بكثرتهم، حتّى قال قائل فى هذا اليوم:

لن نهزم من قلّة. و لم يعتمدوا على اللّه حقّ الاعتماد فى طلب النّصر، فكانوا أن منوا بالهزيمة أوّلا، و لو لا تدارك اللّه تعالى لهم برحمته:، و ثبات النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم و حوله فئة قليلة من أبطال أصحابه، و إنزال الملائكة مثبتة لقلوبهم و مقوّية لروحهم لكانت الهزيمة. اقرأ معى قول اللّه سبحانه: لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَواطِنَ كَثِيرَةٍ وَ يَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً، إلى قوله: وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ «۲»

و قد کانت حنین درسا، تعلّم منه المسلمون أنّ النّصر لیس بالعدد و العدّة فحسب، و إنّما هو من عند اللّه، و أنّ الاغترار لیس من خلق المسلم، و أنّ الأسباب العادیة لا ینبغی أن تشغل المسلم عن اللّجوء إلی اللّه: وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ «۳» و مثل ما حدث من حاطب بن أبی بلتعة قبیل الفتح، فقد کان رسول اللّه حریصا علی أن تتمّ غزوة الفتح فی سرّیّة تامّة، و لکنّ حاطبا کان له أهل فی مکّة و کانوا ضعفاء، فأحبّ أن تکون لهم ید علی قریش؛ کی یکرموا أهله، فأرسل إلی قریش رسالة فی السّرّ بخبر الغزوة، و لکنّ الوحی نزل مخبرا لرسول اللّه، فأرسل من أحضر الرّسالة، و قد حاول بعض الصّحابة قتله زاعما أنّه بعمله صار منافقا، و لکنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم لمّا استمع إلی وجهة نظره و علم صدقه عفا عنه، فأنزل اللّه فی ذلک آیات و هو قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّی وَ عَدُوَّکُمْ أَوْلِیاءَ تُلْقُونَ إِلَیْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ... الآیات «۴».

و معلوم أنّ هذه الأغلاط لم تقع فی وقت واحد، فکان نزول القرآن مفرّقا لذلک.

۴- تحذیر المسلمین من المنافقین، و الکشف عن خبیئة نفوسهم، فقد کانوا بحکم تظاهرهم بالإسلام یختلطون بالمسلمین، و یطّلعون علی أسرارهم و أحوالهم فینقلونها إلی

---

(۱)- آل عمران: ۱۵۲ و ما بعدها.

(۲)- التّوبة/ ۲۵- ۲۷.

(۳)- آل عمران/ ۱۲۶.

(۴)- الممتحنة/ ۱ و ما بعدها.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۴۶

الأعداء، أو یرجفون بها فی المدینة، فکان ضرر هؤلاء المخالطین المداجین علی المسلمین أشدّ من ضرر الأعداء المکاشفین، فلا عجب أن کشف اللّه أستارهم، و شنّع علیهم أشدّ التّشنیع فی کثیر من الآیات، فقد کان لهم بالمرصاد، فکلّما بیّتوا أمرا أطلع اللّه علیه رسوله و المؤمنین، أو کادوا مکیدة ردّها اللّه فی نحورهم، أو أخفوا قولا أظهره اللّه.

و طبیعیّ أنّ هذه الأمور المبیّتة، و المکاید المدبّرة، و الأقوال السّیّئة الّتی کانت تصدر عنهم لم تکن فی وقت واحد، بل کانت فی أزمنة متفرّقة، فمن ثمّ جاء القرآن مفرّقا.

و إن شئت أمثلة لما کان یفعله المنافقون و یقولونه، و إظهار اللّه لحالهم، فاقرأ معی قول اللّه سبحانه: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ یَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْیَوْمِ الْآخِرِ وَ ما هُمْ بِمُؤْمِنِینَ، إلی قوله:

إِنَّ اللَّهَ عَلی کُلِّ شَیْءٍ قَدِیرٌ «۱»، و قوله: إِنَّ الْمُنافِقِینَ یُخادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خادِعُهُمْ وَ إِذا قامُوا إِلَی الصَّلاةِ قامُوا کُسالی ... الآیتین «۲».

و قد أنزل اللّه فی شأنهم سورة بتمامها، و هی سورة المنافقین کما ذکر الکثیر من أحوالهم فی سورة التّوبة. و ما زال اللّه سبحانه یقول فی هذه السّورة؛ و منهم ...

و منهم ... حتّی فضحهم أشدّ فضیحة، و جعلهم مثلا لسوء الطّباع و الأخلاق و النّذالة و الدّسّ و الوقیعة فی الأوّلین و الآخرین.

الحکمة الرّابعة

بیان إعجاز القرآن الکریم علی أبلغ وجه و آکده؛ لأنّ القرآن لو نزل جملة واحدة لقالوا: شیء جاءنا مرّة واحدة، فلا نستطیع أن نعارضه، و لو أنّه جاءنا قطعا قطعا لعارضناه، فأراد ربّک أن یقطع علیهم دابر المعذرة و التّعلّل، فأنزله مفرّقا.

و کأنّ اللّه سبحانه یقول لهم بعد نزول قطعة منه: إن کنتم ترتابون فی أنّ هذا المنزل علی هذا الموضع من عند اللّه، فأتوا أنتم بقطعة مشابهة له.

و قد ذکرنا سابقا أنّ اللّه تحدّی النّاس کافّة بالقرآن علی مراتب متعدّدة؛ کی تقوم علیهم الحجّة تلو الحجّة، و لو أنّ القرآن نزل جملة

واحدة لما أمكن تكرّر التّحدّى فى

(۱)- البقرة/ ۸- ۲۰.

(۲)- النّساء/ ۱۴۲- ۱۴۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۴۷

المرّة بعد المرّة، و ثبوت عجزهم المرّة تلو المرّة.

و هكذا يتبيّن لنا أنّ القرآن بنزوله منجّما قد أعطاهم بعد كلّ نجم فرصة يعارضون فيها، فإذا ما عجزوا كان ذلك أدلّ على الإعجاز، و أقطع للمعذرة.

و أيضا فالقرآن على نزوله مفرّقا، و تباعد ما بين أزمان النّزول يكون سلسلة ذهبيّة مترابطة الحلقات، متآخية الفقرات، منسجمة الشّكل، لا تنبو كلمة عن كلمة، و لا تنفر آية من آية، بل كلّه فى غاية الفصاحة و البلاغة و الإحكام، و لا يسمو بأسلوبه فى بعض الآيات، و ينزل فى البعض الآخر، و لا تنبل الغاية و المقصد فى بعض الآيات، و تسفّ فى البعض الآخر، ممّا يدلّ أعظم الدّلالة على أنّه ليس من عند بشر.

و لو أنّك نظرت فى مؤلّفات أديب من الأدباء مهما بلغ، فإنّك لا شكّ واجد تفاوتا بيّنا بين ما ألّفه فى أوّل حياته، و ما ألّفه فى آخر حياته، سواء أ كان فى لفظه و معانيه، أم فى أغراضه و مراميه، أم فى أسلوبه و تفكيره.

و إذا كان القرآن لم يأت على غرار ما يصنع البشر، فقد تعيّن أن يكون من عند اللّه خالق القوى و القدر.

هذا و ليست هذه نهاية الحكم، فهناك لمن أحكم النّظر، و أجال البصر حكم و حكم.

تتمّة

الّذى استقرئ من الأحاديث الصّحيحة و غيرها، أنّ القرآن كان ينزل به جبريل على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم بحسب الحاجة: خمس آيات، و عشر آيات، و أكثر أو أقلّ.

و قد صحّ نزول العشر الآيات فى قصّة الإفك جملة، و صحّ نزول عشر آيات من أوّل سورة المؤمنون جملة، و صحّ نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وحدها فى قوله تعالى: لا يَسْتَوِي الْقاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ الْمُجاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ «۱» و كذلك قوله: وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «۲»، نزل بعد أن نزل أوّل الآية، كما حرّره الإمام السّيوطىّ فى «أسباب

(۱)- النّساء/ ۹۵.

(۲)- التّوبة/ ۲۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۴۸

النّزول»، و قد ورد فى بعض الآثار نزول بعض السّور جملة واحدة كسورة الإخلاص و الكوثر و المرسلات.

[ثمّ ذكر رواية البيهقىّ بسنده عن عمر، و رواية ابن عساكر من طريق أبى نضرة، كما تقدّم عن السّيوطىّ، فقال:] فإنّ المراد- إن صحّ- إلقاؤه إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم هذا القدر حتّى يحفظه، ثمّ يلقى إليه الباقى، لا إنزاله بهذا القدر خاصّة.

و يشهد لهذا التّفسير ما أخرجه البيهقىّ عن أبى العالية، قال: تعلّموا القرآن خمس آيات، فإنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم كان يأخذ من جبريل خمسا خمسا. و يصحّ أن يراد به أنّ ذلك هو الغالب الكثير، فلا ينافى حصول الوحى بأكثر أو أقلّ.

و ما کان لنا- و قد تکلّمنا عن إنزال القرآن- أن نغفل الکلام عن الوحی، إذ الإنزال متوقّف علی معرفة معنی الوحی و کیفیّته، و إمکانه و وقوعه. (ص: ۴۶- ۸۳)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۴۹

الفصل الخامس و السّتّون نصّ الدّکتور خلیفة فی کتابه: «مع نزول القرآن»

کیفیّة إنزاله

أنزل اللّه القرآن علی نبیّه محمّد صلّی اللّه علیه و سلم مفرّقا؛ لیثبّت به فؤاده و یقوّیه، و یحفظه و یعیه؛ لأنّه کان أمّیا، و تنزیله منجّما ییسّر علی النّاس تلقّی ما جاء فیه من أحکام و فرائض و أوامر و نواه علی أزمان مختلفة، حتّی لا تضیق قلوبهم به، أو ینفروا من فرائضه إذا جاءتهم جملة؛ قال تعالی یحکی موقف الکفّار من نزوله منجّما و یتولّی الرّدّ علیهم فقال:

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ «۱»، أی أنزلناه کذلک لنثبّت به فؤادک، و فسّر بعضهم تثبیت الفؤاد بالحفظ. أمّا التّوراة فقد أنزلها اللّه جملة واحدة یوم الصّعقة، و ذلک ما قصّه اللّه فی القرآن بقوله: وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ «۲»

و فی کیفیّة إنزال القرآن ثلاثة أقوال

أوّلها: أنّه نزل إلی السّماء الدّنیا لیلة القدر جملة واحدة، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الأعراف/ ۱۴۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵۰

عشرین أو ثلاث و عشرین أو خمس و عشرین سنة، و ذلک حسب الخلاف فی المدّة الّتی قضاها الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم بمکّة بعد بعثته، و قد روی ذلک عن الحاکم و البیهقیّ، و انتهی إلی ابن عبّاس، حیث قال: أنزل القرآن فی لیلة القدر جملة واحدة إلی السّماء الدّنیا، و کان اللّه ینزله علی رسوله بعضه فی إثر بعض.

و یؤیّد ذلک من القرآن ظاهر الآیات فی قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱» إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲» و إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۳» و هذا القول أشهر الأقوال.

ثانیها: أنّه نزل إلی سماء الدّنیا فی عشرین لیلة قدر أو ثلاث و عشرین أو خمس و عشرین لیلة قدر، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی کلّ السّنة، أی أنّ اللّه أنزل فی أوّل لیلة قدر إلی السّماء الدّنیا ما قدّر أن ینزله فی تلک السّنة، ثمّ ینزل ما قدّر نزوله فی تلک السّنة موزّعا علی السّنة، حسب الأسئلة أو الوقائع الّتی قدّر لها أن تکون فی تلک السّنة، ثمّ فی لیلة القدر من العام الثّانی ما قدّر له أن ینزّله، ثمّ ینزّله موزّعا، و هکذا حتّی تمّ إنزاله فی السّنوات الّتی بیّنّاها.

ثالثها: أنّه ابتدئ إنزاله فی لیلة القدر أوّل ما ابتدئ، ثمّ نزل بعد ذلک منجّما فی أوقات مختلفة من سائر السّنوات الّتی نزل فیها. و إنزاله منجّما فی مدّة بعثته صلّی اللّه علیه و سلم لیس موضع خلاف؛ لأنّه یمثّل الواقع و یؤیّده أنّ الرّسول کلّما نزلت علیه آیة أملاها علی کتّاب وحیه، و قال لهم: «ضعوها بعد آیة کذا، فی سورة کذا»، و هذا دلیل علی تنجیم القرآن حسب الوقائع و الأسئلة و غیرهما. أمّا کونه نزل من عند اللّه جملة فذلک موضع الخلاف، فرأی یری أنّه نزل جملة إلی السّماء الدّنیا فی لیلة واحدة، و رأی یری أنّه نزل إلی

السّماء الدّنیا منجما فی عشرین أو ثلاث و عشرین أو خمس و عشرین لیلة قدر، و رأی یری أنّه ابتدئ نزوله فی لیلة القدر، ثمّ توالی نزوله منجّما فی مدّة بعثته و ذلک الرّأی یری أنّه نزل

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الدّخان/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵۱

مفرّقا فلم ینزل جملة واحدة کما فی الرّأی الأوّل و الرّأی الثّانی أنّه نزل مفرّقا فی عشرین مرّة أو ثلاث و عشرین أو خمس و عشرین، ثمّ کان تنجیمه خلال تلک السّنوات.

و الأمر المتّفق علیه أنّ النّزول کان فی رمضان بنصّ القرآن شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، و بظاهر الآیة أخذ أصحاب الرّأی الأوّل فی نزوله جملة، و فسّر أصحاب الرّأی الثّانی الآیة بأنّه فی کلّ شهر رمضان نزل القرآن الّذی سینزّله اللّه منجّما خلال العام، و فسّر أصحاب الرّأی الثّالث شهر رمضان الّذی ابتدئ فیه نزول القرآن.

و لیس القرآن وحده الّذی نزل فی رمضان، بل الکتب السّماویّة نزلت فی رمضان، و قد روی عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم أنّه قال: «أنزلت التّوراة لستّ مضین من رمضان ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ و غیره]. (۱۲- ۲۴)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵۲

الفصل السّادس و السّتّون نصّ القطّان فی کتابه: «مباحث فی علوم القرآن»

نزول القرآن

أنزل اللّه القرآن علی رسولنا محمّد صلّی اللّه علیه و سلم لهدایة البشریّة، فکان نزوله حدثا جللا یؤذن بمکانته لدی أهل السّماء و أهل الأرض، فإنزاله الأوّل- فی لیلة القدر- أشعر العالم العلویّ من ملائکة اللّه بشرف الأمّة المحمّدیّة الّتی أکرمها اللّه بهذه الرّسالة الجدیدة؛ لتکون خیر أمّة أخرجت للنّاس، و تنزیله الثّانی- مفرّقا علی خلاف المعهود فی إنزال الکتب السّماویة قبله- أثار الدّهشة الّتی حملت القوم علی الممارأة فیه، حتّی أسفر لهم صبح الحقیقة فیما وراء ذلک من أسرار الحکمة الإلهیّة، فلم یکن الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم لیتلقّی الرّسالة العظمی جملة واحدة، و یقنع بها القوم مع ما هم علیه من صلف و عناد، فکان الوحی یتنزّل علیه تباعا تثبیتا لقلبه و تسلیة له، و تدرّجا مع الأحداث و الوقائع، حتّی أکمل اللّه الدّین و أتمّ النّعمة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵۳

نزول القرآن جملة

یقول اللّه تعالی فی کتابه العزیز: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۱»، و یقول: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲»، و یقول: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «۳».

و لا تعارض بین هذه الآیات الثّلاث، فاللّیلة المبارکة هی لیلة القدر من شهر رمضان، إنّما یتعارض ظاهرها مع الواقع العملیّ فی حیاة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم؛ حیث نزل القرآن علیه فی ثلاث و عشرین سنة، و للعلماء فی هذا مذهبان أساسیّان:

۱- المذهب الأوّل: و هو الّذی قال به ابن عبّاس و جماعة و علیه جمهور العلماء، أنّ المراد بنزول القرآن فی تلک الآیات الثّلاث نزوله

جملة واحدة إلى بيت العزّة من السّماء الدّنيا تعظيما لشأنه عند ملائكته، ثمّ نزل بعد ذلك منجّما على رسولنا محمّد صلّى اللّه عليه و سلم فى ثلاث و عشرين سنة «۴»، حسب الوقائع و الأحداث منذ بعثته إلى أن توفّى صلوات اللّه و سلامه عليه حيث أقام فى مكّة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة، و بالمدينة بعد الهجرة عشر سنوات، فعن ابن عبّاس قال: بعث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لأربعين سنة، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثمّ أمر بالهجرة عشر سنين، و مات و هو ابن ثلاث و ستّين «۵».

و هذا المذهب هو الّذى جاءت به الأخبار الصّحيحة عن ابن عبّاس فى عدّة روايات.

[ثمّ ذكر أربع روايات عنه، نقلا عن الحاكم و البيهقىّ و الطّبرانىّ، كما تقدّم عن الطّبرىّ و أبى شامة و السّيوطىّ].

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الدّخان/ ۳.

(۴)- و قدر بعض العلماء مدّة نزول القرآن بعشرين سنة، و بعضهم بخمس و عشرين سنة؛ لاختلافهم فى مدّة إقامته صلّى اللّه عليه و سلم بعد البعثة بمكّة، أ كانت ثلاث عشرة سنة، أم عشر سنين أم خمس عشرة سنة؟ مع اتّفاقهم على أنّ إقامته بالمدينة بعد الهجرة عشر سنوات، و الصّواب الأوّل، انظر الإتقان ۱: ۳۹.

(۵)- رواه البخارىّ.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۵۴

۲- المذهب الثّانى: و هو الّذى روى عن الشّعبىّ، أنّ المراد بنزول القرآن فى الآيات الثّلاث ابتداء نزوله على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، فقد ابتدأ نزوله فى ليلة القدر من شهر رمضان، و هى اللّيلة المباركة، ثمّ تتابع نزوله بعد ذلك متدرّجا مع الوقائع و الأحداث فى قرابة ثلاث و عشرين سنة، فليس للقرآن سوى نزول واحد هو نزوله منجّما على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم؛ لأنّ هذا هو الّذى جاء به القرآن، وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۱»، و حاول فيه المشركون الّذين نقل إليهم نزول الكتب السّماوية السّابقة جملة واحدة، وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا* وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۲». و لا يظهر للبشر مزيّة لشهر رمضان و ليلة القدر الّتى هى ليلة المباركة، إلّا إذا كان المراد بالآيات الثّلاث نزول القرآن على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و هذا يوافق ما جاء فى قوله تعالى بغزوة بدر: وَ ما أَنْزَلْنا عَلى عَبْدِنا يَوْمَ الْفُرْقانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعانِ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْ‌ءٍ قَدِيرٌ «۳»، و قد كانت غزوة بدر فى رمضان. و يؤيّد هذا ما عليه المحقّقون فى حديث بدء الوحى، عن عائشة قالت:

أوّل ما بدئ به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم عن الوحى ... [و ذكر كما تقدّم عن البخارىّ].

فإنّ المحقّقين من الشّرّاح على أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم نبىء أوّلا بالرّؤيا فى شهر مولده شهر ربيع الأوّل، ثمّ كانت مدّتها ستّة أشهر ثمّ أوحى إليه يقظة فى شهر رمضان ب اقْرَأْ، و بهذا تتآزر النّصوص على معنى واحد.

۳- و هناك مذهب ثالث: يرى أنّ القرآن أنزل إلى السّماء الدّنيا فى ثلاث و عشرين ليلة قدر، فى كلّ ليلة منها ما يقدّر اللّه إنزاله فى كلّ السّنة، و هذا القدر الّذى ينزل فى ليلة القدر إلى السّماء الدّنيا لسنة كاملة، ينزل بعد ذلك منجّما على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى جميع السّنة. و هذا المذهب اجتهاد من بعض المفسّرين، و لا دليل عليه.

أمّا المذهب الثّانى الّذى روى عن الشّعبىّ فأدلّته- مع صحّتها و التّسليم بها-

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

(۳)- الأنفال/ ۴۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵۵

لا تتعارض مع المذهب الأوّل الّذی روی عن ابن عبّاس. فالرّاجح أنّ القرآن الکریم له تنزّلان:

الأوّل: نزوله جملة واحدة فی لیلة القدر إلی بیت العزّة من السّماء الدّنیا.

و الثّانی: نزوله من السّماء الدّنیا إلی الأرض مفرّقا فی ثلاث و عشرین سنة.

و قد نقل القرطبیّ عن مقاتل بن حیّان حکایة الإجماع علی نزول القرآن جملة واحدة من اللّوح المحفوظ إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا. و نفی ابن عبّاس التّعارض بین الآیات الثّلاث فی نزول القرآن و الواقع العلمیّ فی حیاة الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم بنزول القرآن فی ثلاث و عشرین سنة بغیر شهر رمضان، عن ابن عبّاس أنّه سأله عطیّة بن الأسود فقال ...

[و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ، ثمّ ذکر قول السّیوطیّ فی سرّ إنزال القرآن و قول السّخاویّ کما تقدّم عن أبی شامة].

نزول القرآن منجّما

یقول تعالی فی التّنزیل: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ* بِلِسانٍ عَرَبِیٍّ مُبِینٍ «۱».

و یقول: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ «۲».

و یقول: تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ «۳».

و یقول: وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ «۴».

و یقول: قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۲- ۱۹۵.

(۲)- النّحل/ ۱۰۲.

(۳)- الجاثیة/ ۲.

(۴)- البقرة/ ۲۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۵۶

یَدَیْهِ وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ «۱».

فهذه الآیات ناطقة بأنّ القرآن الکریم کلام اللّه بألفاظه العربیّة، و أنّ جبریل نزل به علی قلب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم، و أنّ هذا النّزول غیر النّزول الأوّل إلی سماء الدّنیا، فالمراد به نزوله منجّما، و یدلّ التّعبیر بلفظ التّنزیل دون الإنزال علی أنّ المقصود النّزول علی سبیل التّدرّج و التّنجیم، فإنّ علماء اللّغة یفرّقون بین الإنزال و التّنزیل، فالتّنزیل لما نزل مفرّقا، و الإنزال أعمّ «۲».

و قد نزل القرآن منجّما فی ثلاث و عشرین سنة، منها ثلاث عشرة بمکّة علی الرّأی الرّاجح، و عشر بالمدینة، و جاء التّصریح بنزوله مفرّقا فی قوله تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۳»، أی جعلنا نزوله مفرّقا کی تقرأه علی النّاس علی مهل و تثبت، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا بحسب الوقائع و الأحداث.

أمّا الکتب السّماویّة الأخری- کالتّوراة و الإنجیل و الزّبور- فکان نزولها جملة، و لم تنزل مفرّقة، یدلّ علی هذا قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۴» فهذه الآیة دلیل علی أنّ الکتب السّماویّة السّابقة نزلت جملة، و هو ما علیه جمهور العلماء، و لو کان نزولها مفرّقا لما کان هناک ما یدعو الکفّار إلی التّعجّب من نزول القرآن

منجّما، فمعنى قولهم: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، هلّا أنزل عليه القرآن دفعة واحدة كسائر الكتب؟ و ما له أنزل على التّنجيم؟ و لم أنزل مفرّقا؟ و لم يرد اللّه عليهم بأنّ هذه سنته فى إنزال الكتب السّماويّة كلّها، كما ردّ عليهم فى قولهم: وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْواقِ «۵» بقوله: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعامَ وَ يَمْشُونَ فِي الْأَسْواقِ «۶»

---

(۱)– البقرة/ ۹۷.

(۲)– مفردات الرّاغب.

(۳)– الإسراء/ ۱۰۶.

(۴)– الفرقان/ ۳۲.

(۵)– الفرقان/ ۷.

(۶)– الفرقان/ ۲۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۵۷

و كما ردّ عليهم فى قولهم: أَ بَعَثَ اللَّهُ بَشَراً رَسُولًا بقوله: قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولًا «۱» و قوله: وَ ما أَرْسَلْنا قَبْلَكَ إِلَّا رِجالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ «۲» بل أجابهم اللّه تعالى ببيان وجه الحكمة فى تنزيل القرآن منجّما بقوله: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ، أى كذلك أنزل مفرّقا لحكمة هى تقوية قلب رسول اللّه.

وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا، أى قدّرناه آية بعد آية بعضه إثر بعض، أو بيّنّاه تبيينا، فإنّ إنزاله مفرّقا حسب الحوادث أقرب إلى الحفظ و الفهم، و ذلك من أعظم أسباب التّثبيت.

و الّذى استقرئ من الأحاديث الصّحيحة أنّ القرآن كان ينزل بحسب الحاجة خمس آيات و عشر آيات و أكثر و أقلّ، و قد صحّ نزول العشر آيات فى قصّة الإفك جملة، و صحّ نزول عشر آيات فى أوّل المؤمنين جملة، و صحّ نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وحدها، و هى بعض آية «۳».

حكمة نزول القرآن منجّما

اشارة

نستطيع أن نستخلص حكمة نزول القرآن الكريم منجّما من النّصوص الواردة فى ذلك، و نجملها فيما يأتى:

۱– الحكمة الأولى: تثبيت فؤاد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم:

لقد وجّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم دعوته إلى النّاس، فوجد منهم نفورا و قسوة، و تصدّى له قوم غلاظ الأكباد فطروا على الجفوة، و جبلوا على العناد، يتعرّضون له بصنوف الأذى و العنت، مع رغبته الصّادقة فى إبلاغهم الخير الّذى يحمله إليهم، حتّى قال اللّه فيه:

فَلَعَلَّكَ باخِعٌ نَفْسَكَ عَلى آثارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً «۴»، فكان الوحى يتنزّل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فترة بعد فترة، بما يثبّت قلبه على الحقّ، و يشحذ عزمه للمضىّ قدما فى طريق دعوته، لا يبالى بظلمات الجهالة الّتى يواجهها من قومه، فإنّها

سحابة صيف عمّا

---

(۱)- الإسراء/ ۹۵.

(۲)- الأنبياء/ ۷.

(۳)- الإتقان/ ۱: ۴۲.

(۴)- الكهف/ ۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۵۸

قريب تقشّع.

يبيّن اللّه له سنّته فى الأنبياء السّابقين الّذين كذّبوا و أوذوا فصبروا حتّى جاءهم نصر اللّه، و أنّ قومه لم يكذّبوه إلّا علوّا و استكبارا، فيجد عليه صلّى اللّه عليه و سلم فى ذلك السّنّة الإلهيّة فى موكب النّبوّة عبر التّاريخ الّتى يتأسّى بها تسلية له إزاء أذى قومه، و تكذيبهم له، و إعراضهم عنه، قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَ لكِنَّ الظّالِمِينَ بِآياتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ* وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتّى أَتاهُمْ نَصْرُنا «۱»، فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جاؤُ بِالْبَيِّناتِ وَ الزُّبُرِ وَ الْكِتابِ الْمُنِيرِ «۲».

و يأمره القرآن بالصّبر كما صبر الرّسل من قبله: فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۳».

و يطمئنّ نفسه بما تكفّل اللّه به من كفايته أمر المكذّبين: وَ اصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلًا* وَ ذَرْنِى وَ الْمُكَذِّبِينَ أُولِى النَّعْمَةِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِيلًا «۴».

و هذا هو ما جاء فى حكمة قصص الأنبياء بالقرآن: وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ «۵».

و كلّما اشتدّ ألم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لتكذيب قومه، و داخله الحزن لأذاهم نزل القرآن دعما و تسلية له، يهدّد المكذّبين بأنّ اللّه يعلم أحوالهم، و سيجازيهم على ما كان منهم: فَلا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنّا نَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ «۶». وَ لا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ «۷»

---

(۱)- الأنعام/ ۳۳- ۳۴.

(۲)- آل عمران/ ۱۸۴.

(۳)- الأحقاف/ ۳۵.

(۴)- المزّمل/ ۱۰- ۱۱.

(۵)- هود/ ۱۲۰.

(۶)- يونس/ ۷۵.

(۷)- يونس/ ۶۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۵۹

كما يبشّره اللّه تعالى بآيات المنعة و الغلبة و النّصر: وَ اللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ «۱»، وَ يَنْصُرَكَ اللّهُ نَصْراً عَزِيزاً «۲»، كَتَبَ اللّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَ رُسُلِى إِنَّ اللّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ «۳».

و هكذا كانت آيات القرآن تتنزّل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تباعا تسلية له بعد تسلية، و عزاء بعد عزاء، حتّى لا يأخذ منه الحزن مأخذه، و لا يستبدّ به الأسى، و لا يجد اليأس إلى نفسه سبيلا، فله فى قصص الأنبياء أسوة، و فى مصير المكذّبين سلوى، و فى

العدّة بالنّصر بشرى، و كلّما عرض له شىء من الحزن بمقتضى الطّبع البشرىّ تكرّرت التّسلية، فثبت قلبه على دعوته، و اطمأنّ إلى النّصر.

و هذه الحكمة هى الّتى ردّ اللّه بها على اعتراض الكفّار فى تنجيم القرآن بقوله تعالى:

كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۴». [ثمّ ذكر قول أبى شامة فى سرّ نزول القرآن منجّما، كما تقدّم عنه].

۲- الحكمة الثّانية: التّحدّى و الإعجاز

فالمشركون تمادوا فى غيّهم، و بالغوا فى عتوّهم، و كانوا يسألون أسئلة تعجيز و تحدّ يمتحنون بها رسول اللّه فى نبوّته، و يسوقون له من ذلك كلّ عجيب من باطلهم، كعلم السّاعة: يَسْئَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ «۵»، و معرفة الرّوح: وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ «۶»، و استعجال العذاب: وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذابِ «۷»، فيتنزّل القرآن بما يبيّن وجه الحقّ لهم، و بما هو أوضح معنى فى مؤدّى أسئلتهم، كما قال تعالى: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۸»، أى و لا يأتونك بسؤال عجيب من أسئلتهم الباطلة إلّا أتيناك

---

(۱)- المائدة/ ۶۷.

(۲)- الفتح/ ۳.

(۳)- المجادلة/ ۲۱.

(۴)- الفرقان/ ۳۲.

(۵)- الأعراف/ ۱۸۷.

(۶)- الإسراء/ ۸۵.

(۷)- الحجّ/ ۴۷.

(۸)- الفرقان/ ۳۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۶۰

نحن بالجواب الحقّ، و بما هو أحسن معنى من تلك الأسئلة الّتى هى مثل فى البطلان.

و حيث عجبوا من نزول القرآن منجّما بيّن اللّه لهم الحقّ فى ذلك، فإنّ تحدّيهم به مفرّقا مع عجزهم عن الإتيان بمثله أدخل فى الإعجاز، و أبلغ فى الحجّة من أن ينزّل جملة و يقال لهم: جيئوا بمثله، و لهذا جاءت الآية عقب اعتراضهم: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، أى لا- يأتونك بصفة عجيبة يطلبونها كنزول القرآن جملة إلّا أعطيناك من الأحوال ما يحقّ لك فى حكمتنا، و بما هو أبين معنى فى إعجازهم، و ذلك بنزوله مفرّقا، و يشير إلى هذه الحكمة ما جاء ببعض الرّوايات فى حديث ابن عبّاس عن نزول القرآن: فكان المشركون إذا أحدثوا شيئا أحدث اللّه لهم جوابا.

۳- الحكمة الثّالثة: تيسير حفظه و فهمه

لقد نزل القرآن الكريم على أمّة أمّيّة لا تعرف القراءة و الكتابة، سجلّها ذاكرة حافظة، ليس لها دراية بالكتابة و التّدوين حتّى تكتب و تدوّن، ثمّ تحفظ و تفهم: هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ ... «۱»، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ «۲»، فما كان للأمّة الأمّيّة أن تحفظ القرآن كلّه بيسر لو نزل جملة واحدة، و أن تفهم معانيه و تتدبّر آياته، فكان نزوله مفرّقا خير عون

لها على حفظه فى صدورها و فهم آياته، كلّما نزلت الآية أو الآيات حفظها الصّحابة، و تدبّروا معانيها، و وقفوا عند أحكامها، و استمرّ هذا منهجا للتّعليم فى حياة التّابعين. [ثمّ ذكر رواية ابن عساكر عن أبى نضرة و رواية خالد بن دينار عن أبى العالية و رواية البيهقىّ عن عمر، كما تقدّم عن السّيوطىّ].

۴- الحكمة الرّابعة: مسايرة الحوادث و التّدرّج فى التّشريع

فما كان النّاس ليسلس قيادهم طفرة للدّين الجديد لو لا أنّ القرآن عالجهم بحكمة، و أعطاهم من دوائه النّاجع جرعات يستطبّون بها من الفساد و الرّذيلة، و كلّما حدثت حادثة بينهم نزل الحكم فيها يجلى لهم صبحها و يرشدهم إلى الهدى، و يضع لهم أصول

---

(۱)- الجمعة/ ۲.

(۲)- الأعراف/ ۱۵۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۶۱

التّشريع حسب المقتضيات أصلا بعد آخر.

لقد كان القرآن الكريم بادئ ذى بدء يتناول أصول الإيمان باللّه تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر، و ما فيه من بعث و حساب و جزاء و جنّة و نار، و يقيم على ذلك الحجج و البراهين، حتّى يستأصل من نفوس المشركين العقائد الوثنيّة، و يغرس فيها عقيدة الإسلام.

و كان يأمر بمحاسن الأخلاق الّتى تزكو بها النّفس، و يستقيم عوجها، و ينهى عن الفحشاء و المنكر، ليقتلع جذور الفساد و الشّرّ. و يبيّن قواعد الحلال و الحرام الّتى يقوم عليها صرح الدّين، و ترسو دعائمه فى المطاعم و المشارب و الأموال و الأعراض و الدّماء.

ثمّ تدرّج التّشريع بالأمّة فى علاج ما تأصل فى النّفوس من أمراض اجتماعيّة، بعد أن شرع لهم من فرائض الدّين و أركان الإسلام ما يجعل قلوبهم عامرة بالإيمان، خالصة للّه، تعبده وحده لا شريك له.

كما كان القرآن يتنزّل وفق الحوادث الّتى تمرّ بالمسلمين فى جهادهم الطّويل لإعلاء كلمة اللّه.

و لهذا كلّه أدلّته من نصوص القرآن الكريم إذا تتبعنا مكّيه و مدنيّه و قواعد تشريعه.

ففى مكّة شرّعت الصّلاة، و شرّع الأصل العامّ للزّكاة مقارنا بالرّبا: فَآتِ ذَا الْقُرْبى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ... «۱».

و نزلت سورة الأنعام- و هى مكّية- تبيّن أصول الإيمان، و أدلّة التّوحيد، و تندّد بالشّرك و المشركين، و توضّح ما يحلّ و ما يحرم من المطاعم، و تدعو إلى صيانة حرمات الأموال و الدّماء و الأعراض: قُلْ تَعالَوْا أَتْلُ ما حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً ... الآيتين، «۲»، ثمّ نزل بعد ذلك تفصيل هذه الأحكام.

فأصول المعاملات المدنيّة نزلت بمكّة، و لكن تفصيل أحكامها نزل بالمدينة، كآية المداينة و آيات تحريم الرّبا.

---

(۱)- الرّوم/ ۳۸- ۳۹.

(۲)- الأنعام/ ۱۵۱- ۱۵۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۶۲

و أسس العلاقات الأسريّة نزلت بمكّة، أمّا بيان حقوق كلّ من الزّوجين، و واجبات الحياة الزّوجيّة، و ما يترتّب على ذلك من استمرار العشرة أو انفصامها بالطّلاق، أو انتهائها بالموت ثمّ الإرث، فقد جاء فى التّشريع المدنىّ.

و أصل الزّنی حرّم بمکّة: وَ لا تَقْرَبُوا الزِّنی إِنَّهُ کانَ فاحِشَةً وَ ساءَ سَبِیلًا «۱» و لکنّ العقوبات المترتّبة علیه نزلت بالمدینة.

و أصل حرمة الدّماء نزل بمکّة: وَ لا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِی حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِ «۲»، و لکن تفصیل عقوباتها فی الاعتداء علی النّفس و الأطراف نزل بالمدینة.

و أوضح مثال لذلک التدرّج فی التّشریع تحریم الخمر، فقد نزل قوله تعالی: وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِیلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَکَراً وَ رِزْقاً حَسَناً إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیَةً لِقَوْمٍ یَعْقِلُونَ «۳»، فی مقام الامتنان بنعمه سبحانه، و إذا کان المراد بالسّکر ما یسکر من الخمر، و بالرّزق ما یؤکل من هاتین الشّجرتین کالتّمر و الزّبیب- و هذا ما علیه جمهور المفسّرین- فإنّ وصف الرّزق بأنّه حسن دون وصف السّکر یشعر بمدح الرّزق و الثّناء علیه وحده دون السّکر.

ثمّ نزل قوله تعالی: یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَیْسِرِ قُلْ فِیهِما إِثْمٌ کَبِیرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَکْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما «۴»، فقارنت الآیة بین منافع الخمر فیهما یصدر عن شربها من طرب و نشوة، أو یترتّب علی الاتّجار بها من ربح، و مضارّها فی إثم تعاطیها، و ما ینشأ عنه من ضرر فی الجسم، و فساد فی العقل، و ضیاع للمال و إثارة لبواعث الفجور و العصیان، و نفّرت الآیة منها بترجیح المضارّ علی المنافع.

ثمّ نزل قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُکاری «۵»، فاقتضی هذا الامتناع عن شرب الخمر فی الأوقات الّتی یستمرّ تأثیرها إلی وقت الصّلاة؛

---

(۱)- الإسراء/ ۳۲.

(۲)- الإسراء/ ۳۳.

(۳)- النّحل/ ۶۷.

(۴)- البقرة/ ۲۱۹.

(۵)- النّساء/ ۴۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶۳

حیث جاء النّهی عن قربان الصّلاة فی حال السّکر حتّی یزول عنهم أثره، و یعلموا ما یقولونه فی صلاتهم.

ثمّ نزل قوله تعالی: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَیْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّیْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ ... الآیتین «۱». فکان هذا تحریما قاطعا للخمر فی الأوقات کلّها.

و یوضّح هذه الحکمة ما روی عن عائشة رضی اللّه عنها قالت: إنّما نزل أوّل ما نزل منه سورة من المفصّل ... [و ذکر کما تقدّم عن السّیوطیّ، ثمّ قال:]

و هکذا کان التّدرّج فی تربیة الأمّة وفق ما یمرّ بها من أحداث، فقد استشار رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم صحابته فی أسری بدر، فقال عمر: اضرب أعناقهم، و قال أبو بکر: نری أن تعفو عنهم و أن تقبل منهم الفداء، و أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم برأی أبی بکر، فنزل قوله تعالی:

ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ إلی قوله: عَذابٌ عَظِیمٌ «۲».

و أعجب المسلمون بکثرتهم یوم حنین حتّی قال رجل: لن نغلب من قلّة، فتلقّوا درسا قاسیا فی ذلک، و نزل قوله تعالی: لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللَّهُ فِی مَواطِنَ کَثِیرَةٍ وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ إلی قوله: وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِیمٌ «۳».

و لمّا توفّی عبد اللّه بن أبیّ- رأس المنافقین- دعی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم للصّلاة علیه، فقام علیه، فلمّا وقف قال عمر: أعلی عدوّ اللّه عبد اللّه بن أبیّ القائل کذا و کذا، و القائل کذا و کذا؟

یعدد أیّامه. و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یبتسم، ثمّ قال له: «إنّی قد خیرت، قد قیل لی: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ

لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ «۴». فلو أعلم أنّى إن زدت على السّبعين غفر له لزدت عليها». ثمّ صلّى عليه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و مشى معه حتّى قام على قبره حتّى فرغ منه، قال عمر: فعجبت لى و لجرأتى على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم، و اللّه و رسوله أعلم، فو الله

---

(۱)- المائدة/ ۹۰- ۹۱.

(۲)- من حديث أخرجه أحمد عن أنس. (الأنفال/ ۶۷- ۶۸).

(۳)- أخرجه البيهقىّ فى الدّلائل. (التوبة/ ۲۵)

(۴)- التّوبة/ ۸۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۶۴

ما كان إلّا يسيرا حتّى نزلت هاتان الآيتان: وَ لا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَ لا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ ... «۱»، فما صلّى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم على منافق بعد حتّى قبضه اللّه عزّ و جلّ «۲».

و حين تخلّف نفر من المؤمنين الصّادقين فى غزوة تبوك، و أقاموا بالمدينة، و لم يجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم لديهم عذرا هجرهم و قاطعهم حتّى ضاقوا ذرعا بالحياة، ثمّ نزل القرآن لقبول توبتهم: لَقَدْ تابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ الْعُسْرَةِ إلى قوله: هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ «۳».

و يشير إلى هذا ما روى عن ابن عبّاس فى نزول القرآن: و نزّله جبريل بجواب كلام العباد و أعمالهم «۴».

۵- الحكمة الخامسة

الدّلالة القاطعة على أنّ القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد: إنّ هذا القرآن الّذى نزل منجّما على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم فى أكثر من عشرين عاما تنزل الآية أو الآيات على فترات من الزّمن، يقرأه الإنسان و يتلو سوره فيجده محكم النّسج، دقيق السّبك، مترابط المعانى، رصين الأسلوب، متناسق الآيات و السّور، كأنّه عقد فريد نظمت حبّاته بما لم يعهد له مثيل فى كلام البشر: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۵». و لو كان هذا القرآن من كلام البشر قيل فى مناسبات متعدّدة، و وقائع متتالية، و أحداث متعاقبة، لوقع فيه التّفكّك و الانفصام، و استعصى أن يكون بينه التّوافق و الانسجام: وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً «۶».

فأحاديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم- و هى فى ذروة الفصاحة و البلاغة بعد القرآن الكريم-

---

(۱)- التّوبة/ ۸۴- ۸۵.

(۲)- أخرجه البخارىّ و أحمد و النّسائىّ و التّرمذىّ و ابن ماجة و غيرهم.

(۳)- من حديث طويل أخرجه البخارىّ و مسلم و غيرهما، و الثّلاثة هم: كعب بن مالك، و هلال بن أميّة، و مرارة بن الرّبيع، و كلّهم من الأنصار. التّوبة/ ۱۱۷- ۱۱۸.

(۴)- أخرجه الطّبرانىّ و البزّاز عن ابن عبّاس، و أخرجه ابن أبى حاتم من وجه آخر.

(۵)- هود/ ۱.

(۶)- النّساء/ ۸۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶۵

لا تنتظم حبّاتها فی كتاب واحد سلس العبارة، يأخذ بعضه برقاب بعض، فی وحدة و ترابط بمثل ما عليه القرآن الكريم أو ما يدانيه اتّساقا و انسجاما. فكيف بكلام سائر البشر و أحاديثهم: قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً «۱».

الاستفادة من نزول القرآن منجّما فی التّربية و التّعليم

تعتمد العمليّة التّعليميّة على أمرين أساسيّين: مراعاة المستوى الذّهنی للطّلّاب، و تنمية قدراتهم العقليّة و النّفسيّة و الجسميّة بما يوجّهها وجهة سديدة إلى الخير و الرّشاد.

و نحن نلحظ فی حكمة نزول القرآن منجّما ما يفيدنا فی مراعاة هذين الأمرين على النّحو الّذی ذكرناه آنفا، فإنّ نزول القرآن الكريم تدرّج فی تربية الأمّة الإسلاميّة تدرّجا فطريّا لإصلاح النّفس البشريّة، و استقامة سلوكها، و بناء شخصيّتها، و تكامل كيانها، حتّى استوت على سوقها، و آتت أكلها الطّيّب بإذن ربّها لخير الإنسانيّة كافّة.

و كان تنجيم القرآن خير عون لها على حفظه و فهمه و مدارسته و تدبّر معانيه، و العمل بما فيه.

و بين نزول القرآن فی مطلع الوحی بالقراءة و التّعليم بأداة الكتابة: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۲»، و نزول آيات الرّبا و المواريث فی نظام المال، أو نزول آيات القتال فی المفاصلة التّامّة بين الإسلام و الشّرك، و بين ذاك و هذا مراحل تربويّة كثيرة لها أساليبها الّتی تلائم مستوى المجتمع الإسلامیّ فی تدرّجه من الضّعف إلى القوّة، و من القوّة إلى شدّة البأس.

و المنهج الدّراسیّ الّذی لا يراعی فيه المستوى الذّهنیّ للطّلّاب فی كلّ مرحلة من مراحل التّعليم، و بناء جزئيّات العلوم على كلّيّاتها و الانتقال من الإجمال إلى التّفصيل، أو لا يراعی تنمية جوانب الشّخصيّة العقليّة و النّفسيّة و الجسميّة منهج فاشل، لا تجنی منه

---

(۱)- انظر هذه الحكمة فی مناهل العرفان للزّرقانیّ: ۵۴. الإسراء/ ۸۸.

(۲)- العلق/ ۱- ۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶۶

الأمّة ثمرة علميّة سوى الجمود و التّخلّف.

و المدرّس الّذی لا يعطی طلّابه القدر المناسب من المادّة العلميّة، فيثقل كاهلهم و يحمّلهم ما لا يطيقون حفظا أو فهما، أو يحدّثهم بما لا يدركون، أو لا يراعی حالهم فی علاج ما يعرض لهم من شذوذ خلقیّ، أو يفشو من عادات سيّئة، فيقسو و يتعسّف، و يأخذ الأمر دون أناة و رويّة، و تدرّج و حكمة، المدرّس الّذی يفعل ذلك مدرّس فاشل، كذلك يحول العمليّة التّعليميّة إلى متاهات موحشة، و يجعل غرف الدّراسة قاعات منفّرة.

و قس على هذا الكتاب المدرسیّ، فالكتاب الّذی لا تنتظم موضوعاته و فصوله، و لا تندرج معلوماته من السّهل إلى الصّعب، و لا تترتّب جزئيّاته ترتيبا محكما منسقا، و لا يكون أسلوبه واضحا فی أداء المعنى المقصود، كتاب ينفر الطّالب من قراءته، و يحرمه من الاستفادة منه.

و الهدى الإلهیّ فی حكمة نزول القرآن منجّما هو الأسوة الحسنة فی صياغة مناهج التّعليم، و الأخذ بأمثل الطّرق فی الأساليب التّربويّة بقاعة الدّرس، و تأليف الكتاب المدرسیّ. (ص: ۸۵- ۱۰۲)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶۷

الفصل السّابع و السّتون نصّ الدّکتور حجّتی فی «مختصر تاریخ القرآن»

نزول القرآن الکریم

بدء نزول القرآن

أشرنا فیما سبق إلی هذا الموضوع، و نضیف هنا أنّ العلماء المسلمین اختلفوا فی تاریخ بدء نزول القرآن، کما اختلفوا فی تاریخ البعثة النّبویّة المبارکة «۱».

أمّا بشأن بدء نزول القرآن فمن المفسّرین من قال: إنّه کان فی النّصف من شعبان، و یذهبون إلی أنّ اللّیلة المبارکة الّتی تشیر إلیها الآیة الکریمة: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ* فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ «۲»، هی لیلة النّصف من شعبان «۳».

و اتّفق المحدّثون و المفسّرون علی أنّ بدء القرآن کان فی شهر رمضان «۴»، مع اختلاف

---

(۱)- قیل: إنّ المبعث النّبویّ کان یوم السّبت الثّامن أو الثّانی من ربیع الأوّل (تاریخ الیعقوبیّ ۲: ۱۷)، و قیل: فی السّابع و العشرین من شهر رجب (تاریخ الخمیس، ۱: ۲۸۰، ۲۸۱)، و قیل أیضا: فی السّابع عشر من شهر رمضان (تاریخ أبی الفداء، ۱: ۱۱۵).

(۲)- الدّخان: ۳- ۴.

(۳)- مجمع البیان للطّبرسیّ ۹: ۶۱.

(۴)- راجع تاریخ الطّبریّ ۲: ۳۰۰ و سیرة ابن هشام ۱: ۲۳۶ و تاریخ أبی الفداء ۱: ۱۱۵ و تاریخ الیعقوبیّ ۱: ۷ و مجمع البیان ۹: ۶۶ و التّبیان للشّیخ الطّوسیّ ۹: ۲۲۴ و جامع البیان ۵: ۱۰۷ و ۱۰۸ و مقدّمتان: ۲۳۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶۸

بینهم فی یوم النّزول.

لقد نصّ کتاب اللّه العزیز علی أنّ القرآن نزل فی لیلة القدر: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱». و هناک آراء مختلفة فی تعیین موقع هذه اللّیلة «۲». و قال معظم العلماء بأنّ هذه اللّیلة فی شهر رمضان لقوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۳».

و لم یتّفقوا علی تعیین هذه اللّیلة من بین لیالی شهر رمضان المبارک، فمنهم من قال:

إنّها لیلة السّابع عشر من شهر رمضان؛ لأنّ یَوْمَ الْفُرْقانِ فی قوله تعالی: إِنْ کُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ ما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ یَوْمَ الْتَقَی الْجَمْعانِ «۴». هو یوم السّابع عشر من شهر رمضان، و هو یوم بدء المواجهة فی معرکة بدر «۵».

و الطّبریّ یذکر أنّ القرآن نزل لثمانی عشرة خلون من شهر رمضان «۶»، فتکون لیلة نزول القرآن- إذن- لیلة التّاسع عشر من شهر رمضان.

أکثر روایات مدرسة أهل البیت تشیر إلی أنّ لیلة القدر هی إحدی لیالی العقد الأخیر من شهر رمضان المبارک، و ثمّة قرائن تقوّی الظّنّ بأنّها فی لیلة الثّالث و العشرین من هذا الشّهر.

فی هذه اللّیلة أنزل القرآن إلی السّماء الدّنیا، ثمّ أنزل یوم الرّابع و العشرین من شهر

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- قیل فی لیلة القدر: إنّها لیلة النّصف من شعبان، و قیل: إنّها لیلة الأوّل أو لیلة السّابع عشر، أو لیلة التّاسع عشر، أو لیلة الحادی و العشرین، أو لیلة الثّالث و العشرین، أو لیلة الرّابع و العشرین، أو لیلة الخامس و العشرین، أو لیلة السّابع و العشرین من شهر رمضان.

(راجع مجمع البیان ۱۰: ۵۱۸- ۵۲۰). و روی عن ابن عبّاس قوله: إنّ لیلة القدر تکرّرت فی سورة القدر ثلاث مرّات، و مجموع حروف لیلة القدر تسعة، و حاصل ضرب الثّلاثة فی التّسعة سبع و عشرون لذلک فإنّ لیلة القدر هی لیلة السّابع و العشرین من شهر رمضان (راجع کشکول الشّیخ البهائیّ)، و هذا رأی ذوقیّ لا یمکن قبوله علمیّا أو تاریخیّا أو روائیّا.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

(۴)- الأنفال/ ۴۱.

(۵)- سیرة ابن هشام ۱: ۲۳۹، ۲۴۰.

(۶)- تاریخ الطّبریّ ۲: ۳۰۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۶۹

رمضان إلی الأرض، و بدایته الآیة الکریمة: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ ... «۱».

و أمّا بالنّسبة لما روی بشأن بعثة النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم فی شهر ربیع الأوّل، فیمکن الجمع بینه و بین نزول القرآن فی شهر رمضان کما یلی: بعث رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم فی شهر ربیع الأوّل- و هو شهر ولادته أیضا- عن طریق الرّؤیا فی المنام، و بعد مرور ستّة أشهر علی هذه الواقعة نزل علیه الوحی فی عالم الیقظة «۲».

طریقة نزول القرآن الکریم

ثمّة قرائن قرآنیّة و أدلّة أخری تؤکّد أنّ الکتب السّماویة السّابقة نزلت دفعة واحدة علی الأنبیاء. و قد تکون هذه الظّاهرة هی الّتی دفعت بأصحاب الأدیان السّابقة لأن یعترضوا علی النّبیّ الخاتم بعدم نزول القرآن جملة واحدة: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۳».

أمّا القرآن فنزل بالتّدریج علی امتداد ثلاث و عشرین سنة تقریبا، و کانت تنزّل الآیة الواحدة أو أکثر حسب ما تقتضیه الظّروف و المقتضیات.

و یبقی السّؤال عن النّزول الدّفعیّ للقرآن المذکور فی الآیة الکریمة: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۴»، و کیف یمکن أن ینسجم هذا النّزول مع النّزول التّدریجیّ؟ ثمّة أربعة أجوبة علی ذلک:

[ثمّ ذکر أربع روایات عن ابن عبّاس و مقاتل و الشّعبیّ و الضّحّاک، کما تقدّم عن الطّبرسیّ و السّیوطیّ، فقال:] و یبدو أنّ الجواب الأوّل مسند بأدلّة و روایات أکثر من الباقی.

---

(۱)- العلق/ ۱.

(۲)- الإتقان ۱: ۷۰- ۷۱.

(۳)- الفرقان/ ۳۲.

(۴)- القدر/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۷۰

حکمة التّدرّج فی نزول القرآن

ذکر العلماء أوجها لحکمة التّدرّج فی نزول القرآن نستعرض بعضها:

أ- كثير من الآيات يرتبط بحوادث وقعت فى عصر الرّسالة، و توالى هذه الحوادث يستلزم توالى نزول الآيات. و بعبارة أخرى هناك ظروف و ملابسات تكون أرضيّة لنزول كثير من الآيات، و هى ما نسمّيها بأسباب النّزول. و لمّا كانت هذه الظّروف و الوقائع لا تحدث دفعة واحدة، بل بالتّدريج، لذلك كان لا بدّ من نزول القرآن تدريجيّا.

ب- لتثبيت قلب النّبىّ على طريق الدّعوة، و لاستمرار الدّفع نحو أداء الرّسالة، و هذا ما تشير إليه الآية الكريمة: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۱».

ج- النّزول التّدريجىّ يوفّر الفرصة للنّبىّ الأمّىّ و لقومه الأمّيّين أن يحفظوا القرآن، كما يوفّر الفرصة لكتابته بالتّدريج، و هذا ما تشير إليه الآية: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۲».

د- مراعاة الطّبيعة الإنسانيّة و النّفس البشريّة فى فرض التّكاليف، فتكاليف الإسلام لو نزلت دفعة واحدة لما شقّت طريقها نحو التّنفيذ فى المجتمع، من هنا تدرّجت بعض الأحكام فى النّزول حتّى اتّخذت صيغتها النّهائيّة، كما هو الملاحظ فى تحريم الخمر.

ه- النّزول التّدريجىّ يوفّر الفرصة للتّأمّل و التّدبّر و التّعمّق فى مضامين الآيات، خاصّة لأولئك الأمّيّين الفاقدين لقدرة الاستيعاب السّريع «۳». (ص: ۲۳- ۲۸)

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۳)- جلاء الأذهان ۱۰: ۴۰۸، و منهج الصّادقين ۳: ۳۸۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۱

الفصل الثّامن و السّتّون نصّ الشّيخ محمّد الغزالىّ فى كتابه: «نظرات فى القرآن»

كيف نزل؟ و لما ذا خلد؟

لكى نفهم القرآن فهما صحيحا لا بدّ أن نفهم الأحداث الّتى عاصرته، و أن نعى الأحوال الّتى قارنت نزوله.

فإنّ آيات القرآن وثيقة الارتباط بالظّروف الّتى جاءت فيها، و فقه هذه الظّروف جزء من فقه الهدايات السّماويّة الّتى تعلّقت بها و تعرّضت لها.

لو أنّ القرآن نزل دفعة واحدة لا يمكن لدارسه أن يفصل بين معانيه و بين الملابسات العديدة المتشعّبة الّتى أحاطت بها، أو لحار فى وضع كلّ حكم بإزاء الحالة الدّقيقة الّتى تناسبه. أمّا و القرآن نزل مفرّقا على بضع و عشرين سنة حفلت بالحوادث الجسام، و تتابعت عليها أطوار شتّى، و كان نزوله على هذا النّحو يمتّ بأوثق الصّلات؛ لتغاير الحوادث و تجدّد الأطوار، لذلك لا بدّ فى فقه القرآن من فقه الحياة نفسها الّتى أحاطت ببداية أمره و نهايته، و لا بدّ من استيعاب التّاريخ المفصّل لهذه الفترة الخطيرة.

و من الظّلم الفادح للقرآن الكريم أن يحاول أحد تفسيره و هو ذاهل عن الجوّ الّذى اكتنف نزول الآيات، فإنّ تاريخ النّزول و سببه جزءان لا يمكن تجاهلهما فى تكوين المعنى و إيضاح القصد، بل لا يمكن تجاهلهما فى تربية النّاس بالقرآن و أخذهم بآدابه.

و قد علّمنا اللّه عزّ و جلّ طرفا من هذه الحقيقة فى هذه الآيات من القرآن:

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۲

وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۱».

أى أنّ اللّه نزّله مفرّقا كذلك لحكمة مرادة له، و ما كان يعجز عن إبرازه للنّاس مرّة واحدة، لكن ذلك- لو حدث- يفوّت الآثار

العظيمة المقصودة من إرسال الكلام فى مواضعه الّتى يجود فيها.

إنّ الكلمة فى مناسبتها الدّقيقة تجىء كالعون المسعف عند الحاجة الماسّة، أو كالحلو البارد على شدّة الظّمأ.

و الرّسول و هو يحمل عبء البلاغ عن ربّه، و يشقّ طريقه وسط التّكذيب و العناد، و القسوة و الهزء، و يمضى بأتباعه القلائل فى معركة موصولة اللّيالى و الأيّام، هذا الرّسول الجادّ المصابر بحاجة إلى مدد بعد مدد من عناية اللّه الّذى يبلغ عنه، بحاجة إلى تثبيت الوحى نفسه فى مجال لا تفلح فيه قوى البشر وحدها.

إنّ أصحاب الرّسالات الإنسانيّة إن لم تواتهم حظوظ طيّبة، أو تساعدهم أقدار حسنة فشلوا حتما.

و الرّسالات الإنسانيّة أعمال محدودة القيمة و الهدف، فكيف بمن يحملون رسالات السّماء؟ و هى أجل و أنبل و أثقل ما عرف العالم من توجيه و جهد.

إنّ تثبيت أفئدتهم بالوحى الّذى هو أساس لظهورهم أمر لا عجب فيه، و تفريق هذا الوحى حسب ما يلقون من متاعب و صعوبات أمر لا عجب فيه كذلك.

هذا فيما يتّصل بالنّاحية النّفسيّة للرّسول، و ثمّ أمر يتّصل بطبيعة الوحى المنزل، فإنّ اللّه يقول فيه: وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا، أى بيّناه فى ترسّل و تثبت، و التّبيين على هذه الصّورة معناه سوق الآيات على مهل، مفرّقة تفريقا يسكب الوضوح و اليقين على كلّ جزء فيها، قد يكون فى الإجمال و السّرعة نوع من الإغماض و التّجوّز. أمّا التّفصيل المتأنّى فهو دائما قرين الصّدق و الدّقة، و قد فصّلت آيات القرآن من ناحية الأسلوب، فجاءت وقفة بعد وقفة، و فصّلت من ناحية الموضوع، فجاءت على قريب من ربع قرن، كأنّ الزّمن قد جعل جزءا من شرحها، أو عونا على ترديد صداها، و إتاحة التّأمّل المستغرق فيها.

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۳

و تنكشف هذه الحكمة كلّها فى قوله بعد: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً، أى أنّ النّاس سوف يتلقّون مطالع الرّسالة بصنوف من الاعتراض و التّساؤل، و سيؤلّفون لها ردودا، و يثيرون حولها شبها. و هنا تبدو الفائدة فى نزول الوحى مجزّأ، فإنّ الشّبه المثارة ستكون فرصة لمزيد من نور الحقّ يكشف ضلالها، و يمحق محالها، و سيتكفّل الوحى بالإجابة على كلّ سؤال، و الإزالة لكلّ خفاء.

و قد تكون تفرقة النّزول ظاهرة النّفع عند الحكم فى القضايا المتجدّدة، أو الإفتاء فى المسائل العارضة.

بيد أنّ ذلك لا يجعلنا نغفل الأصل الّذى أشرنا إليه ابتداء، إنّ ربع قرن فى حياة النّاس ليس شيئا هيّنا، إنّه مرحلة كبيرة فى حياة الشّباب و الشّيوخ و الرّجال و النّساء، و هو مرحلة تتّسع لشئون كثيرة جدّا فى العلاقات الفرديّة و الاجتماعيّة و السّياسيّة، خصوصا إذا تراوحت أيّامه بين الحرب و السّلام، و جمعت حوادثه بين أمم مختلفة.

و قد قام محمّد يدعو إلى اللّه قرابة هذه الفترة، و يواجه العواطف و الأفكار، و الأفراد و الجماعات، و الشّدّة و الرّخاء، و النّصر و الهزيمة، و الهجرة و الاستقرار و أهل الكتاب و عبدة الأصنام، و الدّول المنظّمة، و القبائل السّاذجة. و كان فى هذا الإبّان الحافل يدخل فى صميم الحياة و لا يحيا على هامشها.

كان الوحى ينزل طول هذه الفترة توجيها لما يستقبل أو تعقيبا على ما يستدبر، كان القرآن الكريم طوال ثلاث و عشرين سنة ينزل و فيه حكم اللّه على ما يكون، و فيه تحديد لموقف الإسلام، لا بالأوامر المقتضية فحسب، بل أحيانا بالقصص المفصّلة الّتى يحيا فيها تاريخ قديم، و تسرد فيها أحداث مشابهة.

و لهذا القصص لون خاصّ و اتّجاه معيّن، و من هنا قلت؛ إنّ فهم القرآن لا يتمّ إلّا بفهم معالم المجتمع الّذى نزل فيه، و إلّا بتحرّى

أسباب النّزول و تواريخها، و استقصاء الملابسات الّتى تكتنف الموضوعات كلّها، و بهذا يصحّ أن نكون علماء بالقرآن.

و أحبّ أن أشير هنا إلى خطأ شائع، فكثير من النّاس يظنّ أنّ التّوراة و الإنجيل نزلا جملة واحدة، و يعلّل اقتراح الأعراب نزول القرآن جملة واحدة بالاطّراد مع السّوابق الأولى، و هذا وهم، فمن الّذى قال: إنّ هذه الكتب نزلت كذلك؟ و ما دليله؟ إنّ الواقع من

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۴

مطالعة ما فى يد اليهود و النّصارى الآن ينفى هذا الزّعم، فالأناجيل المتداولة قصص كتبها تلامذة عيسى، و دوّنوا فيها بعض تعاليمه الّتى صدرت عنه حسب الحوادث، و كذلك الرّسائل الأخرى الّتى كتبها «بولس» و غيره.

و العهد القديم- كما نراه الآن- لا يختلف عن العهد الجديد فى الزّمن الّذى تألّف فيه.

و ليس فى القرآن الكريم أنّ اللّه آتى عيسى الإنجيل دفعة واحدة، و لا آتى موسى التّوراة دفعة واحدة. و الألواح الّتى أخذها موسى كانت تحوى الوصايا العشر فقط.

و لا مانع- فعلا- من أن ينزل اللّه على بعض أنبيائه كتبا كاملة، لكنّ هذه الكتب أن تكون أسسا لرسالات بعيدة المدى واسعة الشّرائع. ربّما ضمّت بعض العظات و العبر، و ربّما جمعت بعض الحكم و الأناشيد، ربّما حوت طائفة من الأحكام الفرديّة لمدّة موقوتة. و ذلك شىء غير ما انفرد به القرآن الكريم من خصائص و ميزات، جعلت نزوله يأخذ نسقا مربوطا بأحوال الحياة و شئون النّاس فترة كافية للإحاطة بكلّ دقيق و جليل منها.

نعم، فالسّنوات الثّلاث و العشرون الّتى استغرقت نزول القرآن يمكن حسبانها دورة اجتماعيّة كاملة، تمّ فيها البيان الإلهىّ لسياسة الحياة و الأحياء، و ما تفد به القرون بعد ذلك من أحوال نفسيّة و اجتماعيّة لا يعدو أن يكون صورة مكرّرة لما سبق أن قال القرآن كلمته فيه: وَ نَزَّلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدىً وَ رَحْمَةً وَ بُشْرى لِلْمُسْلِمِينَ «۱».

لقد نزل القرآن منجّما حسب الحوادث، فلنفهم هذه الحوادث، لنفهم حقيقة القضيّة و منحى الحكم جميعا، و هذه الحوادث ليس خصومة نشبت بين أفراد، بل هى سير حياة، و طبيعة بشر، و حال مجتمع، أو هى كما قلنا: مثل يتكرّر على العصور لشئون الحياة و الأحياء، و القرآن النّازل بإزائها هو الإرشاد الإلهىّ الخالد لهذه النّظائر المطّردة.

(ص: ۱۹- ۲۳)

---

(۱)- النّحل/ ۸۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۵

الفصل التّاسع و السّتّون نصّ الشّيخ الزّفزاف فى كتابه: «التّعريف بالقرآن و الحديث»

نزول القرآن

الكلام على نزول القرآن ينتظم القول فى ثلاثة مباحث، و هى:

الأوّل: زمن نزوله.

الثّانى: الأحرف الّتى نزل بها.

الثّالث: مواطن نزوله.

زمن نزوله «۱»

إنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ القرآن نزل على رسولنا محمّد صلّى اللّه عليه و سلم منذ رسالته إلى قبيل وفاته، فكان ينزل منجّما بحسب الحوادث و مقتضيات الأحوال، و يدلّنا على هذا أنّ أوّل ما نزل به جبريل عليه فى بدء رسالته، كما جاء فى كثير من الآثار هو قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۲». و أنّ آخر ما نزل منه قوله تعالى: الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ

---

(۱)- نكتفى هنا بهذا البحث فقط، و أمّا البحثان الآخران فسيذكران فى موضعهما. (م)

(۲)- العلق/ ۱- ۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۶

عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً «۱»، و قد نزلت فى حجّة الوداع الّتى كانت قبل وفاة الرّسول ببضع و ثمانين يوما. و فيما بين ذلك كان ينزل بحسب الحوادث، فقد كانوا يسألونه أحيانا عن الشّىء فينزل حكم اللّه فيه، كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما «۲». و هكذا صار ينزل بالتّوالى تبعا لحاجة المسلمين إلى التّشريع، و بذا يكون قد استمرّ نزوله ثلاثا و عشرين سنة تقريبا.

و الحكمة فى نزوله مفرّقا على هذا النّحو، أن يكون أيسر على أمّة محمّد حفظا و فهما، و أن يكون أدعى إلى قبوله، بخلاف ما لو نزل جملة واحدة؛ لأنّه كان ينفر من قبوله حينئذ كثير من النّاس، لكثرة ما فيه من الأوامر و النّواهى، و إلى هذا يشير ما رواه البخارىّ عن عائشة رضى اللّه عنها أنّها قالت: ... [و ذكر كما تقدّم عن السّيوطىّ، ثمّ قال:]

كما أنّ فى ذلك تثبيتا لقلب الرّسول عليه السّلام؛ لأنّ الوحى إذا كان يتجدّد فى كلّ حادثة يكون أشدّ عناية به، و أكثر تقوية لقلبه.

و هذا مصداق قوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۳»، و قوله ردّا على الكافرين حينما طلبوا منه أن ينزل القرآن جملة واحدة؛ حيث يقول: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۴»، أى أنزلناه منجّما على النّحو الّذى تراه؛ لنثبّت به فؤادك.

و لم يكن نزوله مفرّقا على نسق واحد، بل كان ينزل منه أحيانا الآية، و أحيانا الآيتان، و أحيانا الثّلاثة، و أحيانا أكثر من ذلك على وفق ما تدعو إليه الحاجة.

دفع تعارض ظاهرىّ

أثبتنا فيما تقدّم أنّ القرآن نزّل على الرّسول منجّما، و هذا يقتضى أنّه لم ينزّل جملة

---

(۱)- المائدة/ ۳.

(۲)- البقرة/ ۲۱۹.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۴)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۷

فى وقت خاصّ من أوقات السّنة. و لكن قد ورد فى القرآن ما ظاهره يناقض هذا، و هو قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۱»، و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۲»، و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳».

فإنّ الآية الأولى تنصّ على أنّه نزل فى رمضان، و الثّانية و الثّالثة تدلّان على أنّه نزل فى ليلة واحدة هى ليلة القدر، و هى اللّيلة

المباركة، و من حيث إنّ الثّابت من الأحاديث أنّ ليلة القدر إحدى ليالى رمضان يكون نزوله فى ليلة من ليالى رمضان.

و هنا نقول: إنّ العلماء قد اختلفوا فى طريقة دفع هذا التّعارض الظّاهرىّ، فاختلفوا فى المراد بنزول القرآن فى تلك الآيات الثّلاث الّتى تدلّ على نزوله فى ليلة من رمضان.

فقال بعضهم: إنّ المراد بنزوله، نزوله كلّه دفعة واحدة من اللّوح المحفوظ إلى بيت العزّة فى سماء الدّنيا، و قد روى هذا القول عن ابن عبّاس، فقد روى النّسائىّ و أبو عبيد و الحاكم عن عكرمة عن ابن عبّاس أنزل القرآن جملة ... [إلى أن قال:]

و قد رجّح هذا الرّأى جمع كبير من العلماء، و أيّدوه بما رواه الإمام أحمد و البيهقىّ عن واثلة، ... [و ذكر الرّوايتين كما تقدّم عن الطّبرىّ، ثمّ قال:]

و إذا نظرنا إلى هذا الحديث لا نجد فيه ما يدلّ على مدّعاهم؛ لأنّه لم يرد فيه نصّ على أنّ القرآن نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة فى السّماء الدّنيا، لأنّ قوله: «و القرآن لأربع و عشرين» كما يصدق بأن يكون المراد القرآن كلّه، يصدق بأن يراد بعضه، نظرا إلى أنّ لفظ «القرآن» يصحّ إطلاقه على بعض القرآن، كما يدلّ على ذلك قوله تعالى: تَبارَكَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ لِیَکُونَ لِلْعالَمِینَ نَذِیراً «۴». و معلوم قطعا أنّ هذه الآية لم تنزل بعد نزول القرآن كلّه، بل نزلت فى مكّة، فهى من أواسط الآيات نزولا، و حينئذ يكون لفظ الْفُرْقانَ فيها إنّما أطلق على بعض القرآن، و هو الّذى كان قد نزل إلى حين نزول هذه

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الدّخان/ ۲.

(۴)- الفرقان/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۸

الآية. كما أنّه لم يصرّح فى الحديث بالنّزول إلى بيت العزّة، فكيف يسلّم أنّ هذا يكون دليلا على دعواهم؟ و فضلا عن هذا، فإنّ هذا الحديث معارض بحديث آخر أخرجه ابن أبى شيبة عن أبى قلابة قال: أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع و عشرين من رمضان «۱». فهذا الحديث يدلّ على أنّ الكتب كلّها نزلت ليلة أربع و عشرين، فى حين أنّ الحديث الأوّل وزّع نزولها فى رمضان، و هذا تناقض ظاهر بين الحديثين يسقط الاعتداد بهما. و يقوّى عدم الاطمئنان للحديثين أنّه قد ورد من الأحاديث الصّحيحة ما يدلّ على عدم تعيين ليلة القدر، فقد روى أحمد و البخارىّ و مسلم عن عائشة أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قال: «تحرّوا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان». فهذا يدلّ على أنّ الرّسول عليه السّلام لم يعيّن ليلة القدر، فى حين أنّ الحديثين السّابقين يدلّان على أنّه عيّنها بأنّها فى أربع و عشرين من رمضان.

و بهذا يتبيّن أنّ هذين الحديثين لا يصلحان سندا لأصحاب هذا الرّأى، و لا يقويان على إثبات ما ادّعوه. و ليس معنى هذا أنّنا ننكر قول ابن عبّاس و من معه، و لكنّا نقول: إنّه قول لا يزال يحتاج إلى دليل.

و قال بعض آخر: ليس المراد من نزول القرآن فى الآيات الثّلاث السّابقة نزوله جملة واحدة، بل المراد ابتداء نزوله، و حينئذ يكون معنى نزوله فى رمضان ابتداء نزوله على سيّدنا محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، لا نزوله جملة إلى بيت العزّة. و ذلك لأنّ الّذى يتبادر إلى الذّهن من معنى نزول القرآن هو نزوله على الرّسول؛ لأنّ ذلك هو الّذى يتعلّق به مصلحة النّاس، و هى هدايتهم ببيان أحكام اللّه لهم. و هو الّذى يليق أن تجعل ليلة حصوله من ليالى القدر و الشّرف و العظمة، تبعا لما يتوفّر به من الهداية. أمّا نزوله إلى بيت العزّة قبل أن يصل إلى النّاس فلا يتحقّق به شىء من هذا. و متى كان هذا هو المتبادر فلا يصحّ صرف الكلام عنه حتّى يقوم دليل يقتضى ذلك. و ليس لدينا دليل من الكتاب أو السّنّة يقتضينا صرف الكلام عن هذا المتبادر. و على هذا يجب أن نفسّر نزول القرآن فى شهر رمضان

أو فى ليلة القدر بابتداء نزوله؛ لأنّ الواقع و الأحاديث المتعدّدة دلّت على أنّه نزل على الرّسول منجّما

---

(۱)- أنظر الأتقان ۱: ۵۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۷۹

لا دفعة واحدة.

و ليس بغريب أن يؤرّخ العمل العظيم بالوقت الّذى ابتدأ فيه، فإنّهم يقولون: إنّ الأهرام بنيت سنة كذا قبل الميلاد، و يريدون ابتداء بنائها، ضرورة العلم بأنّها لم تبن فى سنة واحدة، و القرآن الّذى أحدث انقلابا خطيرا فى المجتمع الإنسانىّ من أعظم الأمور التّاريخيّة، فيصحّ أن ينسب نزوله إلى الوقت الّذى ابتدأ نزوله فيه، و إلى هذا نظر الإمام فخر الدّين الرّازىّ؛ حيث قال فى تفسيره بصدد الكلام على آية شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱» ما نصّه: و ذلك لأنّ مبادئ الملل و الدّول هى الّتى يؤرّخ بها؛ لكونها أشرف الأوقات، و لأنّها أيضا أوقات مضبوطة معلومة «۲»، و هذا كلام واضح بيّن الرّجحان.

و بهذا التّأويل تتّفق آيات القرآن، و الأحاديث الثّابتة، و الواقع المادّى على أنّ المراد من نزول القرآن فى الآيات كلّها نزوله على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، و أنّه نزل عليه منجّما لا دفعة واحدة. أمّا نزوله إلى بيت العزّة دفعة واحدة، ثمّ نزوله بعد ذلك منجّما على محمّد صلّى اللّه عليه و سلم، فهو من الأمور الغيبيّة الّتى لا يصحّ اعتقادها إلّا إذا ثبتت بدليل قاطع، فإذا وجد سلّمنا و آمنّا به، و إلى أن يوجد لا نستطيع أن نؤوّل الآيات على غير الوجه الّذى تقدّم رجحانه.

(ص: ۳۲- ۳۶) نصوص فى علوم القرآن ۵۷۹ دفع تعارض ظاهرى ..... ص : ۵۷۶

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- أنظر تفسير الفخر الرّازىّ ۲: ۱۸۲ الطّبعة الأميريّة.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۸۰

الفصل السّبعون نصّ السّبحانىّ فى «مجلّة رسالة القرآن»

بعثته و نزول الوحى إليه و ما حولهما من الرّوايات

بعث اللّه سبحانه نبيّه الأكرم على حين فترة من الرّسل، و طول هجعة من الأمم، و اعتزام من الفتن، و انتشار من الأمور، و تلظّ من الحروب، و الدّنيا كاسفة النّور، ظاهرة الغرور، على حين اصفرار من ورقها، و إياس من ثمرها، و اغورار من مائها، قد درست منار الهدى، و ظهرت أعلام الرّدى، فهى متجهّمة لأهلها، عابسة فى وجه طالبها، ثمرها الفتنة، و طعامها الجيفة، و شعارها الخوف، و دثارها السّيف «۱».

بعث على رأس الأربعين من عمره، و بشّر بالنّبوّة و الرّسالة. و أمّا الشّهر الّذى بعث فيه ففيه أقوال و آراء، فالشّيعة الإماميّة تبعا لأئمّة أهل البيت: على أنّه صلّى اللّه عليه و سلم بعث فى سبع و عشرين من رجب ... [ثمّ ذكر ثلاث روايات، عن الإمام الصّادق و الكاظم عليهما السّلام، كما تقدّم عن العلّامة المجلسىّ، فقال:]

و أمّا غيرهم فمن قائل بأنّه بعث فى سبع عشر من شهر رمضان، أو ثمانى عشر، أو أربع و عشرين من هذا الشّهر، أو فى الثّانى عشر من ربيع الأوّل.

و بما أنّ أهل البيت أدرى بما فى البيت، كيف و هم نجوم الهدى، و مصابيح الدّجى،

(۱)- اقتباس من کلام الإمام أمیر المؤمنین فی نهج البلاغة من الخطبة ۸۵ طبعة عبده.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۸۱

و أحد الثّقلین الّذین ترکهما رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم بعده، فیجب علینا الوقوف دون نظرهم و لا نجتازه. نعم، دلّ الذّکر الحکیم علی أنّ القرآن نزل فی شهر رمضان؛ قال سبحانه: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... «۱»، و قال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۲»، و قال سبحانه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ «۳». إلی غیر ذلک من الآیات الدّالّة علی نزوله فی شهر رمضان.

و الاستدلال بهذه الآیات علی أنّه صلّی اللّه علیه و سلم بعث فی شهر رمضان مبنیّ علی [وجوه:

الأوّل:] اقتران البشارة بالنّبوّة بنزول القرآن و هو بعد غیر ثابت، فلو قلنا بالتّفکیک، و أنّه بعث فی شهر رجب، و بشّر بالنّبوّة فیه، و نزل القرآن فی شهر رمضان، لما کان هناک منافاة بین بعثته فی رجب و نزول القرآن فی شهر رمضان.

و یؤیّد ذلک، أی عدم اقتران النّبوّة بنزول القرآن ما نقله غیر واحد عن عائشة: أنّ أوّل ما بدئ به رسول اللّه من النّبوّة حین أراد اللّه کرامته. الرّؤیا الصّادقة. فکان لا یری رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم رؤیا فی نومه إلّا جاءت کفلق الصّبح. قالت: و حبّب اللّه تعالی إلیه الخلوة، فلم یکن شیء أحبّ إلیه من أن یخلو وحده «۴».

لکنّ الظّاهر من ذیل ما روته عائشة أنّ النّبوّة کانت مقترنة بنزول الوحی و القرآن الکریم، و لنذکر نصّ الحدیث بتمامه، ثمّ تذییله ببیان بعض الملاحظات حوله.

روی البخاریّ: کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلم یخلو بغار حراء، فیتحنّث فیه، و هو التّعبّد فی اللّیالی ... [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:] و فی هذه الرّوایة تأمّلات واضحة:

۱- ما هو المبرّر لجبرئیل أن یروّع النّبیّ الأعظم، و أنّ یؤذیه بالعصر إلی حدّ أنّه یظنّ أنّه الموت؟ یفعل به ذلک و هو یراه عاجزا عن القیام بما یأمره به، و لا یرحمه و لا یلین معه.

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الدّخان/ ۳.

(۴)- صحیح البخاریّ ۱: ۳، السّیرة النّبویّة ۱: ۳۳۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۸۲

۲- لما ذا یفعل ذلک ثلاث مرّات لا أکثر و لا أقلّ؟

۳- لما ذا صدّقه فی الثّالثة، لا فی المرّة الأولی و لا الثّانیة، مع أنّه یعلم أنّ النّبیّ لا یکذب؟

۴- هل السّند الّذی روی به البخاریّ قابل للاحتجاج، مع أنّ فیه الزّهریّ و عروة؟

أمّا الزّهریّ فهو الّذی عرف بعمالته للحکّام، و ارتزاقه من موائدهم، و کان کاتبا لهشام بن عبد الملک و معلّما لأولاده، و جلس هو و عروة فی مسجد المدینة، فنالا من علیّ، فبلغ ذلک السّجّاد علیه السّلام حتّی وقف علیهما فقال: أمّا أنت یا عروة فإنّ أبی حاکم أباک، فحکم لأبی علی أبیک، و أمّا أنت یا زهریّ فلو کنت أنا و أنت بمکّة لأریتک کنّ أبیک «۱».

أمّا عروة بن الزّبیر الّذی حکم علیه ابن عمر بالنّفاق، و عدّه «الإسکافیّ» من التّابعین الّذین یضعون أخبارا قبیحة فی علیّ علیه السّلام «۲».

نعم، رواه ابن هشام و الطّبریّ فی تفسیره و تاریخه «۳» بسند آخر ینتهی إلی أشخاص یستبعد سماعهم الحدیث عن نفس الرّسول

الأکرم، و دونک أسماؤهم:

۱- عبید بن عمیر، ترجمه ابن الأثیر؛ قال: ذکر البخاریّ أنّه رأی النّبیّ، و ذکر مسلم أنّه ولد علی عهد النّبیّ و هو معدود من کبار التّابعین، یروی عن عمر و غیره «۴».

۲- عبد اللّه بن شدّاد، ترجمه ابن الأثیر، و قال: ولد علی عهد النّبیّ، روی عن أبیه و عن عمر و علیّ «۵».

۳- عائشة، زوجة النّبیّ؛ حیث تفرّدت بنقل هذا الحدیث، و من المستبعد جدّا أن لا یحدّث النّبیّ هذا الحدیث غیرها، مع تلهّف غیرها إلی سماع أمثال هذا الحدیث.

نعم، ورد مضمون الحدیث فی تفسیر الإمام العسکریّ علیه السّلام «۶»، و نقله من أعلام الطّائفة

---

(۱)- أی بیت أبیک.

(۲)- الصّحیح من سیرة النّبیّ الأعظم: ۲۲۳.

(۳)- السّیرة النّبویّة ۱: ۲۳۵- تفسیر الطّبریّ ۳۰: ۱۶۲ و تاریخه ۳: ۳۵۳.

(۴)- أسد الغابة ۳: ۳۵۳.

(۵)- أسد الغابة ۳: ۳۵۳.

(۶)- بحار الأنوار ۱۸: ۱۹۶.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۸۳

ابن شهرآشوب فی مناقبه «۱»، و المجلسیّ فی بحاره «۲».

لکنّ الکلام فی صحّة نسبة التّفسیر الموجودة إلی الإمام العسکریّ علیه السّلام. و أمّا المناقب فأنّه یورد الأحادیث و التّواریخ مرسلة لا مسندة، و المجلسیّ اعتمد علی هذه المصادر الّتی عرفت حالها.

و قال تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۳»، فلو کان التّنزیل هو النّزول التّدریجیّ، فلما ذا وصفه بقوله: جُمْلَةً واحِدَةً ....

الثّانی: أنّ القرآن نزل دفعة واحدة إلی البیت المعمور، حسبما نطقت به الرّوایات الکثیرة، ثمّ صار ینزّل تدریجا علی الرّسول الأعظم.

[ثمّ ذکر روایة حفص بن غیاث عن الإمام الصّادق علیه السّلام کما تقدّم عن الکلینیّ، فقال:]

و لو صحّت الرّوایة یجب التّعبد بها، و إلّا فما معنی نزول القرآن الّذی هو هدی للنّاس إلی البیت المعمور؟ و أیّ صلة لهذا النّزول بهدایة النّاس الّذی یتکلّم عنه القرآن و یقول:

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۴». قال الشّیخ المفید: الّذی ذهب إلیه أبو جعفر ... [و ذکر کما تقدّم عنه].

الثّالث: أنّ القرآن یطلق علی الکلّ و الجزء، فمن الممکن أن یکون المراد بنزول القرآن فی شهر رمضان هو شروع نزوله فی لیلة مبارکة و هی لیلة القدر، فکما یصحّ نسبة النّزول إلیه فی شهر رمضان، إذا نزل جملة واحدة، تصحّ نسبته إلیه إذا نزل أوّل جزء منه فی شهر رمضان، و استمرّ نزوله فی الأشهر القادمة طیلة حیاة النّبیّ. فیقال: نزل القرآن فی شهر رمضان، أی بدأ نزوله فی هذا الشّهر، و له نظائر فی العرف، فلو بدأ فیضان الماء فی المسیل یقال: جری السّیل فی یوم کذا، و إن استمرّ جریانه و فیضانه عدّة أیّام.

---

(۱)- مناقب آل أبی طالب ۱: ۴۰.

(۲)- بحار الأنوار ۱۸: ۱۹۶

(۳)- الفرقان/ ۳۲.

(۴)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۸۴

و هذا هو الظّاهر من صاحب «المنار»؛ حیث یقول: و أمّا معنى إنزال القرآن فی رمضان ... [و ذکر کما تقدّم عنه].

الرّابع: أنّ جملة القرآن و إن لم تنزل فی تلک اللّیلة، لکن لمّا نزلت سورة الحمد بها، و هی تشتمل على جلّ معارف القرآن، فکأنّ القرآن أنزل فیه جمیعا، فصحّ أن یقال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ.

یلاحظ علیه أن لو کانت سورة الحمد أوّل سورة نزلت على رسول اللّه لکان حقّ الکلام أن یقال: قل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ، أو یقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ، قل: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ «۱». و هذا یعرب عن أنّ سورة الحمد لیست أوّل سورة نزلت على النّبیّ. هذه هی الوجوه الّتی ذکرها المفسّرون المحقّقون، و الثّالث هو الأقوى. (العدد: ۴: ۱۴۲، عام ۱۴۱۱ ه)

---

(۱)- المیزان ۲: ۲۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۸۵

الفصل الحادی و السّبعون نصّ الشّیخ الأراکیّ فی «مجلّة رسالة القرآن»

کیف نزل القرآن؟

لا شکّ أنّ القرآن نزل نجوما و على التّدریج، و أنّ آیاته تتابعت طبق المناسبات و الظّروف الّتی کانت تمرّ بها رسالة اللّه فی مسیرها الجهادیّ الظّافر تحت قیادة الرّسول الکریم صلّى اللّه علیه و سلم، و قد لمّحت إلى هذا النّزول التّدریجیّ للقرآن الآیة الکریمة: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱»، و قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا* وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً «۲».

و مع ذلک فإنّ هناک نصوصا قرآنیّة تشیر إلى دفعیّة النّزول القرآنیّ، على ما یفهم من ظاهرها، و ذلک کما فی الآیات المبارکة التّالیة:

قال تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۳»، و قال تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ «۴»، و قال تعالى

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

(۴)- الدّخان/ ۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۸۶

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱».

و قد اختلف الباحثون الإسلامیّون فی وجه الجمع بین الأمرین، و قد ذکروا فی ذلک آراء و نظریّات، نعرض فیما یلی لأهمّها؛

النّظریّة الأولی

و هی الّتی تعتبر للقرآن نزولین: النّزول الأوّل إلی البیت المعمور، أو بیت العزّة- حسب بعض التّعابیر- و هذا هو النّزول الدّفعیّ الّذی أشارت إلیه بعض الآیات السّابقة، و النّزول الثّانی علی النّبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله بالتّدریج، و طیلة المدّة الّتی کان یمارس فیها مهمّته القیادیّة فی المجتمع الإسلامیّ.

[ثمّ ذکر روایة عن الإمام الصّادق علیه السّلام فی قول تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ ... کما تقدّم عن الکلینیّ، فقال:]

و قد نقل ما یقارب هذا عن ابن عبّاس أیضا، فقد روی عنه أنّه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلی سماء الدّنیا لیلة القدر، ثمّ أنزل بعد ذلک بعشرین سنة «۲».

و قد خالف المحقّقون من علماء القرآن هذا الرّأی، و رفضوا النّصوص الّتی وردت فیها، و رموها بالضّعف و الوهن، و أقاموا شواهد علی بطلانه؛ یقول الشّیخ المفید؛ تعقیبا علی هذه النّظریّة الّتی أخذ بها أبو جعفر بن بابویه الصّدوق: ... [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:] ثمّ یستشهد؛ ببعض الشّواهد القرآنیّة الأخری الّتی تؤکّد النّزول التّدریجیّ للقرآن، و تقوم قرینة علی بطلان النّزول الدّفعیّ له.

و یناقش صاحب المنار هذه النّظریّة أیضا و یرفضها قائلا: ... [و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:] إذن فأهمّ ما یرد علی هذه النّظریّة یتلخّص فی شیئین:

۱- ورود الآیات القرآنیّة فی بعض المناسبات الخاصّة؛ بحیث لا یعقل التّکلّم بتلک

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الإتقان ۱: ۴۰.

الآیة قبل تلک المناسبة المعیّنة.

۲- عدم تعقّل فائدة النّزول الأوّل للقرآن من حیث هدایة البشر، فلا وجه لهذه العنایة به فی القرآن و الاهتمام به: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ.

النّظریّة الثّانیة

إنّ المراد من إنزاله فی شهر رمضان، و فی لیلة ابتداء القدر منه ابتداء إنزاله فی ذلک الوقت. ثمّ استمرّ نزوله بعد ذلک علی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله بالتّدریج و وفقا للمناسبات و المقتضیات.

[ثمّ ذکر قول رشید رضا، فی معنی إنزال القرآن، و قول الشّیخ المفید، کما تقدّم عنهما، فقال:]

و یبدو أنّ هذا الرّأی هو الّذی استقطب أنظار الأغلبیّة من محقّقی علوم القرآن و التّفسیر، نظرا إلی کونه أقرب الآراء إلی طبیعة الأمور، و أوفقها مع القرائن و ظواهر النّصوص القرآنیّة، فإنّ القرآن یطلق علی القرآن کلّه کما یطلق علی جزء منه، و لذلک کان للقلیل من القرآن نفس الحرمة و الشّرف الثّابتین للکثیر منه، فنزول جزء من القرآن- استهلّ به الوحی الإلهیّ فی لیلة القدر من شهر رمضان- یصدق معه نزول القرآن فی لیلة القدر و فی شهر رمضان.

و تأییدا لهذه الفکرة، فإنّنا نحاول الاستفادة من التّعابیر الجاریة بین عامّة النّاس حین یقولون مثلا: سافرنا إلی الحجّ فی التّاریخ الفلانیّ، و هم لا یریدون بذلک إلّا مبدأ السّفر. أو نزل المطر فی السّاعة الفلانیّة، و یقصد به ابتداء نزوله، فإنّه قد یستمرّ إلی ساعات، و مع ذلک یصحّ ذلک التّعبیر.

و بعبارة أخرى إنّنا نلاحظ صحّة هذا النّوع من الاستعمال فى الأسماء الّتى تطلق على قليل المعنى و كثيره على السّواء، كالمطر و السّفر و أمثالهما، بخلاف ما لا يطلق إلّا على المعنى بكامله، كالبيت مثلا، فإنّه لا يصحّ فى العادة أن يعبّر عن الشّروع ببنائه بعبارة بنينا البيت فى الزّمان الفلانىّ، و كلمة «القرآن» كما أشرنا سابقا تطلق على كلام اللّه مطلقا قليله و كثيره، فمن الطّبيعىّ- إذن- التّعبير عن ابتداء نزوله ب إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۸۸

و ما شاكل ذلك من التّعابير.

و لا بدّ أن نضيف على هذا الرّأى إضافة توضيحيّة، هى أنّ المقصود من كون ابتداء النّزول القرآنىّ فى ليلة القدر من شهر رمضان ليس ابتداء الوحى على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، فإنّ افتتاحة الوحى المحمّدىّ كانت لسبع و عشرين خلون من رجب- على الرّأى المشهور- و كانت الآيات الّتى شعّت من نافذة الوحى على قلب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله لأوّل مرّة هى اقْرَأْ بِاسْمِ ... إلخ، كما سيأتى الحديث عن ذلك فى فصله، ثمّ انقطع الوحى عنه لمدّة طويلة، ثمّ ابتدأه الوحى من جديد فى ليلة القدر من شهر رمضان، و هذا الّذى تشير إليه الآية المباركة، و استمرّ الوحى عليه صلّى اللّه عليه و آله حتّى وفاته. و بما أنّ هذا كان بداية استمرار النّزول القرآنىّ فقد صحّ اعتباره بداية لنزول القرآن.

النّظريّة الثّالثة

و هى النّظريّة الّتى اختصّ بها العلّامة الطّباطبائىّ، تعرّض لها باختصار مع توضيح، و هى تمثّل لونا جديدا من ألوان الفكر التّفسيرىّ انطبعت بها مدرسة السّيد الطّباطبائىّ فى التّفسير. و هذه النّظريّة تعتمد على مقدّمات ثلاث تتلخّص فيما يلى:

أ- هناك فرق بين (الإنزال) و (التّنزيل)، و الإنزال إنّما يستعمل فيما إذا كان المنزل أمرا وحدانيّا نزل بدفعة واحدة، و التّنزيل إنّما يستعمل فيما إذا كان المنزل أمرا تدريجيّا، و قد ورد كلا التّعبيرين حول نزول القرآن: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ، وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا.

و التّعبير ب (الإنزال) إنّما هو فى الآيات الّتى يشار فيها إلى نزول القرآن فى ليلة القدر، أو شهر رمضان بخلاف الآيات الأخرى الّتى يعبر فيها ب (التّنزيل).

ب- هناك آيات يستشعر منها أنّ القرآن كان على هيئة وحدانيّة، لا أجزاء فيها و لا أبعاض، ثمّ طرأ عليه التّفصيل و التّجزئة، فجعل فصلا فصلا و قطعة قطعة؛ قال تعالى:

كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۱».

فهذه الآية ظاهرة فى أنّ القرآن حقيقة محكمة، ثمّ طرأ عليها التّفصيل و التّفريق

---

(۱)- هود/ ۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۸۹

بمشيئة اللّه تعالى، و الإحكام الّذى يقابل التّفصيل هو وحدانيّة الشّىء و عدم تركّبه و تجزّئه.

ج- هناك آيات قرآنيّة تشير إلى وجود حقيقة معنويّة للقرآن غير هذه الحقيقة الخارجيّة اللّقيطة، و قد عبّر عنها فى القرآن ب (التّأويل) فى غير واحدة من الآيات؛ قال تعالى: أَمْ يَقُولُونَ افْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ* بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الظَّالِمِينَ «۱»، و قال تعالى: وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِ «۲».

فالتّأویل علی ضوء الاستعمال القرآنیّ هو الوجود الحقیقیّ و المعنویّ للقرآن، و سوف یواجه المنکرون للتّنزیل الإلهیّ تأویله و حقیقته المعنویّة یوم القیامة.

و استنتاجا من هـذه المقدّمات الثّلاث، فللقرآن إذن حقیقة معنویّة وحدانیّة لیست من عالمنا هذا العالم المتغیّر المتبدّل، و إنّما هی من عالم أسمی من هذا العالم، لا ینفذ إلیه التّغیّر و لا یطرؤه التّبدیل. و تلک الحقیقة هو الوجود القرآنیّ المحکم الّذی طرأ علیه التّفصیل بإرادة من اللّه جلّت قدرته، کما أنّه هو التّأویل القرآنیّ الّذی تلمح إلیه آیات الکتاب العزیز.

و إذا آمنّا بهـذه الحقیقـة فلاـ مشـکلة إطلاقا فی الآیات الّتی تتضـمّن نزول القرآن نزولا دفعیّا فی لیلـة القـدر و فی شـهر رمضان، فإنّ المقصود بذلک الإنزال هو هبوط الحقیقة المعنویّة للوجود القرآنیّ علی قلب رسول اللّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله، و انکشاف ذلک الوجود التّأویلیّ الحقیقیّ للقرآن أمام البصیرة الشّفّافة النّبویّة، فإنّ هذا الوجود المعنویّ هو الّذی یناسبه الإنزال الدّفعیّ، کما أنّ الوجود اللّفظیّ التّفصیلیّ للقرآن هو الّذی یناسبه التّنزیل التّدریجیّ.

---

(۱)- یونس/ ۳۸- ۳۹.

(۲)- الأعراف/ ۵۲- ۵۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۹۰

و لیس المقصود ممّا ورد من روایـات عن أهـل البیت حول النّزول الأوّل للقرآن فی البیت المعمور إلّا نزوله علی قلب النّبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله، فإنّه هو البیت المعمور الّذی تطوف حوله الملائکة، و قد رمز إلیها الحدیث بهذا التّعبیر الکنائیّ.

و هذه النّظریّة مع ما تتّصف به من جمال معنویّ لا نجد داعیا یدعونا إلی تکلّفها، کما لا نری داعیا یدعونا إلی محاولة نقضه و تکلّف ردّه، فلیست النّظریّـة هذه تتضـمّن أمرا محالا، کما لا لزوم فی الأخذ بها بعد أن وجدنا لحلّ المشـکلة ما هو أیسـر هضـما و أقرب إلی الذّهن. (العدد ۱: ۸ عام ۱۴۱۱ ه)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۵۹۱

الفصل الثّانی و السّبعون نصّ السّیّد مرتضی العاملیّ فی «حقائق هامّة»

التّرتیب و النّزول

و تبقی هنا بعض الأسئلة، الّتی یحسن بنا التّعرّض لها، و إن لم تکن من صلب موضوعنا، و لکن ممّا لا شکّ فیه: أنّها لا بدّ و إن تدور بخلد القارئ، و یتطلّب لها الإجابة.

و لا نرید هنا استقصاء الکلام فیها، و إنّما ما نتوخّاه هو مجرّد إثارتها، و التّلویح بالأجوبة، الّتی تحتاج إلی المزید من البحث، و التّوسّع، و التّتبع. فإن ما لا یدرک کلّه، لا یترک کلّه ... فإلی ما یلی من صفحات.

نزول القرآن نجوما، سورة سورة

قال تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱».

فهذه الآیة قد دلّت: علی أنّ القرآن قد نزل مفرّقا، و أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قد قرأه علی النّاس، فی مدّة زمان متطاولة.

نعم، و هذا هو الثّابت تاریخیّا أیضا؛ فإنّه کان ینزّل علیه الشّیء بعد الشّیء، کلّما لزم الأمر، و اقتضته المناسبة.

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۲

لكن يبقى علينا أن نعرف: هل إنّه نزل مفرّقا بصورة عشوائيّة، ثمّ جمع ما نزل بصورة عشوائيّة أيضا، حتّى دخلت هذه الآية، أو الآيات المدنيّة فى تلك السّورة المكّيّة، و بالعكس؟! أى أنّه قد دخل المتقدّم فى المتأخّر، و المتأخّر فى المتقدّم ... قليله و كثيره إلخ ...

أم أنّه نزل تدريجا على شكل سور، بأن نزلت كلّ سورة على حدة؟.

أو أنّه نزل تدريجا، و دوّن تدريجا كذلك؟!

أم ما ذا؟

الجواب: أنّ الّذى نراه: هو أنّ معظم القرآن قد نزل سورة سورة، حتّى بعض السّور الطّوال أيضا، كسورة الأنعام و المائدة، و التّوبة، مثلا.

نعم، سورة البقرة، و ربّما غيرها من السّور الطّوال، قد نزلت تدريجا؛ بمعنى أنّه ابتدأ نزولها، فنزل منها قسم فى يوم، ثمّ لحقه قسم آخر فى يوم آخر، و هكذا إلى أن نزلت بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، فعلم انتهاء السّورة السّابقة، و ابتداء سورة جديدة، حسبما صرّحت به بعض الرّوايات، الواردة عن عثمان، و عن ابن عبّاس، و سعيد بن جبير «۱». و عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أيضا ... «۲»

---

(۱)- راجع: الدرّ المنثور ۱: ۷ و ۳: ۲۰۸ عن أبى داود، و البزّار، و الدّار قطنى فى الافراد، و الطّبرانى، و البيهقىّ فى المعرفة.

و فى شعب الإيمان، و فى السّنن الكبرى، و عن أبى عبيد، و فتح البارىّ ۹: ۳۹ و تفسير القرآن العظيم ۱: ۱۶ و نيل الأوطار ۲: ۲۲۸ و مستدرك الحاكم ۱: ۲۳۱ و ۲۳۲ و صحّحه على شرط الشّيخين، و تلخيص المستدرك للذّهبىّ، بهامشه، و أسباب النّزول للواحدىّ: ۹ و ۱۰ و السّنن الكبرى ۲: ۴۲ و ۴۳ و محاضرات الأدباء المجلّد الثّانى، الجزء ۴: ۴۳۳ و الإتقان ۱: ۷۸ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه: ۵۶ و ۵۷ و راجع: ۵۵ عن بعض من تقدّم، و الجامع لأحكام القرآن ۱: ۹۵ و عمدة القارى ۵: ۲۹۲ و نصب الرّاية ۱: ۳۲۷ و المستصفى ۱: ۱۰۳ و فواتح الرّحموت بهامشه ۲: ۱۴ و تاريخ اليعقوبىّ ۲: ۳۴ و التّفسير الكبير ۱: ۲۰۸ و غرائب القرآن، بهامش الطّبرىّ ۱: ۷۷ و المصنّف للصّنعانىّ ۲: ۹۲ و مجمع الزّوائد ۶: ۳۱۰، عن أبى داود و البزّار و كنز العمّال ۲: ۳۶۸ عن الدّارقطنىّ فى الافراد، و التّمهيد فى علوم القرآن ۱: ۲۱۲ عن الحاكم و اليعقوبىّ، و سنن أبى داود ۱: ۲۰۹ و المنتقى ۱: ۳۸۰ و تبيين الحقائق ۱: ۱۱۳ و كشف الأستار ۳: ۴۰ و مشكل الآثار ۲: ۱۵۳.

(۲)- تفسير العيّاشىّ ۱: ۱۹ و عنه فى التّمهيد فى علوم القرآن ۱: ۲۱۲ و بحوث فى تاريخ القرآن و علومه: ۵۶ و مصباح الفقيه (كتاب الصّلاة): ۲۷۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۳

و نسب القرطبىّ إلى الصّحابة «۱»: إنّهم كانوا يعلمون انتهاء السّورة، و ابتداء غيرها، بنزول بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ. فيكون نزول السّورة مستمرّا إلى أن تنزّل البسملة.

و بذلك يعلم عدم صحّة رواية الشّعبىّ، الّتى تقول: إنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يكتب أوّلا: باسمك اللّهم- كأهل الجاهليّة-، فلمّا نزل: بِسْمِ اللَّهِ مَجْراها وَ مُرْساها «۲»، كتب: بسم اللّه. ثمّ نزل: ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ «۳»؛ فكتب: بسم اللّه الرّحمن، فلمّا نزل: إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمانَ وَ إِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ «۴»، فكتبها «۵».

أضف إلى ذلك كلّه. أنّنا لا نتعقّل أن يبدأ نزول سورة، فتنزّل منها آيات، ثمّ يتوقّف عنها، فتنزّل عشرات السّور غيرها، ثمّ يعود بعد سنوات إلى السّورة الأولى، فيكمّلها!!

كما أنّنا لا نتعقّل أن تنزّل آية، أو آيات اليوم، فيتركها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله على حدة، إلى أن تمضى سنوات، و تنزّل سور

کثیرة، ثمّ یجعلها فی سور أنزلت حدیثا.

نعم یمکن أن تنزّل علیه آیة أو آیات فعلا، فیأمر بوضعها، ضمن سورة سبق نزولها، لکن هذا: لا دلیل علیه إلّا بعض ما ورد فی مورد أو موردین من هذا القبیل ...

و لعلّ ترتیب علیّ علیه السّلام لمصحفه، حسب النّزول، یلقی ظلالا من الشّک علی صحّة حتّی هذا المورد. فضلا عن أن یکون ذلک من عادته و دیدنه صلّی اللّه علیه و آله إذ لو کان صلّی اللّه علیه و آله یأمر بذلک لم یکن معنی لترتیبه صلّی اللّه علیه و آله القرآن حسب النّزول و لا کان من حقّه ذلک أیضا.

و لعلّه یمکن الاستدلال علی ما نذهب إلیه أیضا بقوله تعالی: سُورَةٌ أَنْزَلْناها

---

(۱)- الجامع لأحکام القرآن ۱: ۶۵.

(۲)- هود/ ۴۱.

(۳)- الإسراء/ ۱۱۰.

(۴)- النّمل/ ۳۰.

(۵)- التّفسیر الکبیر ۱: ۲۰۰، و الجامع لأحکام القرآن ۱: ۹۲، و أحکام القرآن للجصّاص ۱: ۸ و راجع: السّیرة الحلبیّة ۳: ۲۰ و ۱: ۲۴۹، و الوزراء و الکتّاب: ۱۴، و التّنبیه و الأشراف: ۲۲۵، و عمدة القاری ۵: ۲۹۱، و العقد الفرید ۴: ۱۵۸، و طبقات ابن سعد ۱: قسم ۲، و بحوث فی تاریخ القرآن و علومه: ۵۳، و أکذوبة تحریف القرآن: ۳۵ عن بعض من تقدّم، و عن کنز العمّال ۵: ۲۴۴، و عن روح المعانی ۱: ۲۷.

وَ فَرَضْناها «۱».

و قوله تعالی: ... وَ إِذا ما أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ أَیُّکُمْ زادَتْهُ هذِهِ إِیماناً «۲».

و عبارة إذا ما أنزلت سورة قد وردت فی عدّة آیات.

و قد یؤیّد ذلک قوله تعالی أیضا: فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ... «۳» و غیر ذلک من آیات.

و لکن یمکن أن یردّ علی هذا: بأنّه تعالی إنّما یخبر عن حالهم حین إنزال السّورة، و أمّا أنّ هذا الإنزال کان دفعة أو تدریجا، فلیس فی الآیة ما یدلّ علی ذلک ... و کذا الحال بالنّسبة لآیة سورة النّور أیضا.

و لکنّنا لا نری هذه المناقشة سلیمة، و لا تامّة، فإنّ الّذین یقولون هذا القول، إنّما یقولونه بالنّسبة لما ینزل أمام أعینهم، و لا ینتظرون إلی تمام نزول السّورة فی أوقات متباعدة.

إلّا أن یکون قد أطلق لفظ سورة، و أراد بها حتّی ما یعمّ الآیة و لکنّه احتمال بعید، و یحتاج إلی إثبات.

ترتیب القرآن حسب النّزول

و لکن لا یخفی أنّ الّذی کان قرآنه مرتّبا علی حسب النّزول، هو أمیر المؤمنین علیه السّلام.

و قول عکرمة- الّذی کان یری رأی الخوارج-: أنّه لو اجتمعت الإنس و الجنّ، لیرتّبوه حسب النّزول لما استطاعوا «۴».

لا مبرّر له فإنّ ذلک ممکن، و مقدور، و سهل و میسور، لمن عاصر النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و اطّلع علی نزول الآیات تدریجا، و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله- کما سیأتی إن شاء اللّه تعالی- یملیه علی علیّ علیه السّلام أوّلا بأوّل، و یکتبه بخطّ یده، و ما کتب آیة إلّا و قد علّمه صلّی اللّه علیه و آله تأویلها،

(۱)- النّور/ ۱.

(۲)- التّوبة/ ۱۲۴.

(۳)- البقرة/ ۲۳.

(۴)- راجع: الإتقان ۱: ۵۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۵

و تفسيرها، و ناسخها، و منسوخها ..

و لعلّ عكرمة قد أراد بذلك تبرير عمل أولئك الّذين جمعوا قرآنا لهم، حذفوا منه، التّفسير، و التّأويل، و شأن النّزول و لم يستطيعوا أن يرتّبوه حسب النّزول، أو لعلّهم لم يريدوا أن يفعلوا ذلك، لسبب أو لآخر.

ترتيب سور المصحف الموجود فعلا

هذا، و لا شكّ فى أنّ المصحف الموجود فعلا، و هو الّذى جمع عثمان النّاس على قراءة واحدة فيه، هو القرآن الّذى أنزله اللّه على رسوله، لم ينقص منه، و لم يزد فيه شيء.

و أنّ سوره هى تلك السّور الّتى نزلت، إمّا دفعة واحدة، أو تدريجا، يعلم معه انتهاء السّورة، و ابتداء غيرها، بنزول: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

و لكن قد نجد فيما بأيدينا من نصوص ما يؤيّد: أن يكون ترتيب السّور فيما بينها، إنّما كان من قبل الصّحابة أنفسهم، و ذلك مثل، ما روى من الاختلاف فى ترتيب سور المصاحف المنسوبة لبعض الصّحابة- اختلافها- فيما بينها، و مع هذا المصحف الموجود فعلا أيضا.

و يدلّ على ذلك أيضا ما [سيأتى] فى فصل: جمع القرآن فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من سؤال ابن عبّاس لعثمان: عن سبب وضع الأنفال و براءة فى موضعها الفعلىّ من القرآن، فأجابه عثمان عن ذلك، بما يدلّ على أنّه اجتهاد منه، لمناسبة رآها فيما بينهما «۱».

ترتيب آيات المصحف الفعلىّ

أمّا بالنّسبة إلى ترتيب الآيات الموجودة فى السّور؛ فإنّنا نميل إلى الاعتقاد: بأنّها قد بقيت على نفس الوضع الّذى كانت عليه فى زمن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله.

و لعلّ ممّا يشهد لذلك- و لو جزئيّا-: أنّ عددا كبيرا من السّور إن لم يكن معظمها،

(۱)- راجع المصادر، الّتى تقدمت لقول عثمان: إنّه كان صلّى اللّه عليه و آله إذا نزلت عليه سورة، قال: ضعوها فى الموضع، الّذى يذكر فيه كذا و كذا ..

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۶

حتّى السّور الطّوال، قد تمّت، و أصبح لها شكلها الخاصّ بها، و عرفت و شاعت فى عهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه، و أصبح يعبّر عنها باسمها الموضوع لها، و يترتّب عليها بعض الآثار فى الصّلاة و غيرها، و تصدر بشأنها بعض الأوامر «۱».

بل لقد ورد التّعبير ب «السّبع الطّوال، و المئين و المفصّل» الّتى هى تعبيرات عن طوائف من سور القرآن، فى بعض الرّوايات الواردة عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «۲».

و أمّا ما روى من أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يأمر فى بعض الموارد، بوضع بعض الآيات الّتى نزلت عليه، فى موضع معيّن، من سورة بخصوصها، فهو لا ينافى ما قلناه، بل يؤكّده.

و أمّا ما روى: من أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام، قد رتّب قرآنه على حسب النّزول، فهو أيضا لا ينافى ذلك، فلعلّ التّقديم و التّأخير، قد حصل فى نفس السّور، لا فى آياتها.

كما أنّ ترتيب القرآن حسب النّزول، لا ينافى: أن يأمر النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى مورد، أو أكثر بوضع آية ما، فى موضع ما فقد يكون عليه السّلام قد رتّبه حسب نزوله، باستثناء هذا المورد، أو ذاك.

و أمّا بالنّسبة لوضع آيات الرّبا- الّتى يقال: إنّها آخر ما نزل «۳»- فى سورة نزلت فى أوّل الهجرة، و هى سورة البقرة، فهو أيضا، لا ينافى ما قلناه، إذ لعلّ هذا المورد بخصوصه، ممّا تصرّف فيه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و أمر بوضعه فى هذا الموضع.

هذا كلّه على تقدير صحّة الرّواية القائلة بأنّ آيات الرّبا هى آخر ما نزل.

ما ذا عن تصرّف الصّحابة فى تأليف القرآن؟

و يمكن أن يقال: إنّ الصّحابة قد تصرّفوا فى تأليف القرآن، و فى آياته و ذلك بدليل ما يدّعونه فى حديث جمع القرآن، من العسب، و اللّخاف، و صدور الرّجال، من أنّهم وجدوا آيتين عند البعض؛ فألحقوهما بسورة التّوبة.

---

(۱)- راجع بعض الأحاديث و النّصوص فى كتاب: بحوث فى تاريخ القرآن و علومه: ۹۷ و ۹۵ و ۱۰۱.

(۲)- راجع على سبيل المثال مشكل الآثار ۲: ۱۵۴.

(۳)- راجع: الإتقان ۱: ۲۶ و ۲۷ عن العديد من المصادر و تاريخ الإسلام للذّهبىّ ۲: ۲۸۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۷

بل جاء فى بعض الرّوايات، قول عمر بن الخطّاب: «لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن، فألحقوهما فى آخرها ..» «۱».

و معنى ذلك؛ هو أنّ الصّحابة، قد اعملوا سلائقهم و ذوقهم، فى ترتيب آيات القرآن، فضلا عن سوره.

و لعلّ ممّا يدلّ على ذلك؛ أنّهم يقولون أيضا: إنّ بعض الآيات المنسوخة، قد تأخّرت فيه على النّاسخة، مع أنّ الأمر بحسب النّزول، لا بدّ و أن يكون على العكس؛ فراجع ما ذكروه فى آية تربّص المرأة المتوفّى عنها زوجها إلى الحول، أو إلى أربعة أشهر و عشرا. «۲»

و لعلّ هذا يفسّر ما ورد، من أنّ من الأمور، الّتى يقوم بها الإمام المهدىّ، هو أنّه يعلّم النّاس القرآن، وفق ترتيب النّزول.

فعن الإمام الباقر عليه السّلام: «إذا قام القائم من آل محمّد، ضرب فساطيط لمن يعلّم النّاس القرآن، على ما أنزله اللّه عزّ و جلّ؛ فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم؛ لأنّه يخالف فيه التّأليف» «۳».

و نقول: إنّ الشّواهد الآنفة الذّكر، لا تدلّ على تصرّف الصّحابة فى آيات القرآن؛ إذ قد يكون النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله هو الّذى ألّفه على هذا النّحو، لكنّ المصلحة تقتضى؛ أن يعلّم الإمام المهدىّ النّاس القرآن، على حسب ترتيب النّزول.

كما أنّ تقدّم الآية النّاسخة فى الذّكر فى القرآن، لا يدلّ على التّصرّف فيه من قبل الصّحابة، فلعلّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله نفسه، هو الّذى أمرهم بوضعها فى هذا المورد، لمصلحة و لمناسبة رآها، و إنّما يجب عدم تقدّمها على المنسوخة فى النّزول، لا فى الكتابة فى المصحف.

و أمّا بالنّسبة للرّواية عن عمر بن الخطّاب حول الآيات الثّلاث، و سائر ما يروى فيما يرتبط بجمع القرآن بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقد عرفنا ما فيه، و أنّ الجمع و التّأليف قد كان فى

---

(۱)- راجع: فتح البارىّ ۹: ۱۲ و ۱۳ و تفسير الميزان ۱۲: ۲۰ عن أبى داود فى المصاحف.

(۲)- راجع: بحوث فى تاريخ القرآن و علومه: ۲۳۷ و راجع أيضا: الإتقان ۱: ۲۴.

(۳)- روضة الواعظين: ۲۶۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۸

زمن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله نفسه، لا بعده.

هذا بالاضافة إلى أنّه قد روى: أنّ سورة التّوبة، قد نزلت بتمامها دفعة واحدة.

فعن عائشة، عنه صلّى اللّه عليه و آله قال: ما نزل علىّ القرآن إلّا آية، آية، و حرفا حرفا، خلا سورة البراءة، و قل هو اللّه أحد؛ فإنّهما نزلتا علىّ، و معهما سبعون ألف صفّ من الملائكة، كلّ يقول: استوص بنسبة اللّه خيرا «۱».

لكن يرد على هذه الرّواية أنّها تقول: إنّ ما عدا سورة الإخلاص، و براءة، كلّه قد نزل مفرّقا مع أنّ الأمر على عكس ذلك، فهناك نصوص فى نزول سورة الأنعام و المائدة، و المرسلات و كثير غيرها- نزوله- دفعة واحدة أيضا.

إلّا أن يكون المراد: أنّ الفرق بين سورتى التّوبة، و الإخلاص، و بين غيرهما من سور القرآن، هو فى نزول سبعين ألف صفّ من الملائكة، لا غير. و لكن ظاهر الرّواية لا يتلائم مع هذا التّوجيه أيضا.

و كلمة أخيرة نقولها هنا

و هى: أنّه حتّى مع وجود بعض الرّوايات الدّالة على أنّ بعض الآيات الّتى تأخّر نزولها، قد وضعت فى سور تقدّم نزولها؛ فإنّها لا توجب القطع بأنّ ذلك قد حصل بالفعل، و لربّما يوصلنا التّحقيق فى هذه الرّوايات إلى أنّها غير صحيحة، بحيث يثبت أنّها إنّما نزلت فى زمان نزول تلك السّورة.

كما أنّ ما يذكر من آيات مكّية فى سورة مدنيّة، أو العكس، يحتاج هو الآخر إلى تحقيق، و تأمّل أيضا.

فلقد تعوّدنا وجود الكثير من الرّوايات المكذوبة، أو الّتى تفتقر إلى الدّقّة فى هذا المجال، هذا كلّه بالإضافة إلى أنّ ذلك ربّما يكون بأمر من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى خصوص هذا المورد، أو ذاك.

و هكذا فإنّنا نخرج بنتيجة مفادها، أنّ دعوى وضع بعض الآيات فى سور تقدّم

---

(۱)- مجمع البيان ۵: ۱ عن الثّعلبىّ.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۵۹۹

نزولها، تصبح موضع شكّ و ريب، و أنّ روايات نزول بعض السّور دفعة واحدة، و نزول بعض السّور تدريجا، حتّى تنزل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، فيعلم حينئذ ابتداء السّورة، و انتهاء غيرها- إنّ هذه الرّوايات- تبقى هى الأساس المعتمد، و لا يعدل عنها إلّا فى المورد الخاصّ، الّذى يثبت قطعا، بعد التّحقيق و التّدقيق فيه، أنّه ليس كذلك.

(ص: ۱۴۱- ۱۵۰)

و نصّه أيضا فى «الصّحيح من سيرة النّبىّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله

البعثهٔ فی رجب أو فی شهر رمضان، و کیفیّهٔ نزول القرآن

المرویّ عن أهل البیت- و أهل البیت أدری بما فیه، و أقرب إلی معرفهٔ شئون النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله الخاصّهٔ- أنّ بعثهٔ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله کانت فی السّابع و العشرین من شهر رجب، و هذا هو المشهور، بل ادّعی المجلسیّ الإجماع علیه عند الشّیعهٔ، و روی عن غیرهم أیضا «۱».

و قیل: إنّه صلّی اللّه علیه و آله بعث فی شهر رمضان المبارک، و اختلفوا فی أیّ یوم منه «۲»، و قیل: بعث فی شهر ربیع الأوّل، و اختلف أیضا فی أیّ یوم منه «۳».

و استدلّ القائلون: بأنّه صلّی اللّه علیه و آله قد بعث فی شهر رمضان المبارک و لیس فی، رجب بأنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله إنّما بعث بالقرآن، و القرآن قد أنزل فی شهر رمضان؛ قال تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیلَهِ الْقَدْرِ «۴»، و قال: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۵».

---

(۱)- راجع السّیرهٔ الحلبیّهٔ ۱: ۲۳۸ عن أبی هریرهٔ، و سیرهٔ مغلطای: ۱۴ عن کتاب العتقیّ عن الحسین، و منتخب کنز العمّال هامش مسند أحمد ۳: ۳۶۲، و مناقب ابن شهرآشوب ۱: ۱۷۳ و البحار ۱۸: ۲۰۴ و ۱۹۰.

(۲)- راجع تاریخ الطّبریّ ۲: ۴۴، و سیرهٔ ابن هشام ۱: ۲۵۶، و تاریخ الیعقوبیّ ۲: ۲۲ و ۲۳، و البدایهٔ و النّهایهٔ ۳: ۶.

(۳)- المواهب اللّدنیّهٔ ۱: ۳۹، و سیرهٔ مغلطای: ۱۴، و تاریخ الیعقوبیّ ۲: ۲۲، و التّنبیه و الأشراف: ۱۹۸، و مروج الذّهب ۲: ۲۸۷، و السّیرهٔ الحلبیّهٔ ۱: ۲۳۸.

(۴)- القدر/ ۱.

(۵)- البقرهٔ/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۰

ثمّ إنّ هنا إشکال لا بدّ من الإشارهٔ إلیه، و حاصله أنّ الآیتین المتقدّمتین، و إن کانتا تدلّان علی نزول القرآن دفعهٔ واحدهٔ، علی أحد الاحتمالین فی معنی الآیتین، إلّا أنّ قوله تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱»، یدلّ علی نزول القرآن متفرّقا؛ لأنّه عبّر فیها ب «نزّل» الدّالّ علی النّزول التّدریجیّ، و فیما تقدّم عبّر ب «أنزل» الدّالّ علی النّزول الدّفعیّ، بالإضافهٔ إلی أنّه یقول فیها: فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ، و بالإضافهٔ إلی قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیهِ الْقُرْآنُ جُمْلَهً واحِدَهً «۲».

و أیضا یجب أن لا ننسی هنا أنّ بعض الآیات مرتبط بحوادث آنیّهٔ مقیّدهٔ بالزّمان، کقوله تعالی: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها «۳»، و کاعتراض الکفّار الآنف، و غیر ذلک.

هذا کلّه عدا عن أنّ التّاریخ المتواتر یشهد بأنّ نزول القرآن کان تدریجا، فی مدّهٔ ثلاث و عشرین سنهٔ، هی مدّهٔ الدّعوهٔ.

و قد أجیب عن إشکال التّنافی بین ما دلّ علی النّزول الدّفعیّ و النّزول التّدریجیّ بأنّ النّزول الدّفعیّ کان إلی البیت المعمور، حسبما نطقت به الرّوایات الکثیرهٔ، ثمّ صار ینزل تدریجا علی الرّسول الأعظم صلّی اللّه علیه و آله «۴».

و إذن فلیکن نزوله التّدریجیّ قد بدأ فی السّابع و العشرین من رجب، و لا یبقی ثمّهٔ منافاهٔ.

و جواب آخر یعتمد علی القول بأنّ القرآن قد نزل أوّلا دفعهٔ واحدهٔ علی قلب النّبیّ الأعظم صلّی اللّه علیه و آله لکنّه لم یؤمر بتبلیغه، ثمّ صار ینزل تدریجا بحسب المناسبات. و ربّما یستأنس لهذا الرّأی ببعض الشّواهد الّتی لا مجال لها «۵».

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

(۳)- المجادلة/ ۱.

(۴)- راجع تفسير الميزان ۲: ۱۵.

(۵)- راجع: تفسير الميزان ۲: ۱۸، و تفسير الصّافى ۱ المقدّمة التّاسعة، و تاريخ القرآن للزّنجانىّ: ۱۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۰۱

و رأى ثالث يقول: إنّ بدء نزول القرآن كان بعد البعثة بثلاث سنوات، أى بعد انتهاء الفترة السّرّية للدّعوة، كما ورد فى عدد من الرّوايات، و نصّ عليه بعضهم «۱»، و على هذا فلا يبقى تناف بين بعثته صلّى اللّه عليه و آله فى شهر رجب، و بين نزول القرآن فى شهر رمضان المبارك «۲».

أمّا نحن، فنقول أوّلا: إنّ تتبع الآيات القرآنيّة يعطى عدم ثبوت الفرق المذكور بين «الإنزال» و «التّنزيل»، فمثلا قد ورد فى القرآن قوله تعالى: وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ «۳». كما و يلاحظ أنّه يستعمل كلمة «نزّل» تارة، و كلمة «انزل» مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً «۴». و مثل ذلك كثير، لا مجال لنا لتتبّعه فعلا، و كلّ ذلك يدلّ على عدم صحّة هذا الفرق بين هاتين الصّيغتين، و قد أشار إلى هذا الجواب بعض المحقّقين و قال: و لو صحّ هذا الفرق بين الإنزال و التّنزيل لكان قوله تعالى: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۵» غلطا؛ إذ لا يمكن الجمع بين التّنزيل التّدريجىّ و بين جملة واحدة.

ثانيا: قولهم: إنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد بعث بالقرآن، غير مسلّم، و لتكن الرّوايات الواردة عن أهل البيت و القائلة بأنّه صلّى اللّه عليه و آله قد بعث فى شهر رجب موجبة لوهن قولهم هذا.

ثالثا: روايات نزول القرآن إلى البيت المعمور لا مجال لإثباتها من طرق أهل البيت عليهم السّلام و لا إلى الاطمينان إلى صحّتها، كما ذكره الشّيخ المفيد «۶». و أمّا نزول القرآن أوّلا دفعة واحدة على قلبه صلّى اللّه عليه و آله فإنّ إثباته مشكل، و لا يمكن المصير إليه إلّا بحجّة.

رابعا: حديث نزول القرآن بعد البعثة بثلاث سنوات، استنادا إلى ما ورد من أنّ القرآن

---

(۱)- راجع التّمهيد فى علوم القرآن ۱: ۸۲ و ۸۳ عن الكافى ۲: ۴۶۰، و تفسير العيّاشىّ ۱: ۸۰، و الاعتقادات للصّدوق: ۱۰۱، و البحار ۱۸: ۲۵۳، و مستدرك الحاكم ۲: ۶۱۰، و الإتقان ۱: ۳۹ و تفسير شبّر: ۳۵۰، و البداية و النّهاية ۳: ۴، و اليعقوبىّ ۲: ۳۴.

(۲)- التّمهيد ۱: ۸۱ و ۸۳.

(۳)- الإسراء/ ۹۳.

(۴)- الفرقان/ ۴۸.

(۵)- الفرقان/ ۳۲.

(۶)- تصحيح الاعتقاد: ۵۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۰۲

قد نزل خلال عشرين سنة، لا يمكن الاطمينان إليه؛ إذ يمكن أن يكون ذلك قد جاء على نحو التّقريب و التّسامح، و لم يرد فى مقام التّحديد الدّقيق، و من عادة النّاس أن يلقوا الزّائد القليل، أو أن يضيفوه فى إخباراتهم، و ليس فى ذلك إخبار بخلاف الواقع؛ لأنّ المقصود هو الإخبار بما هو قريب من الحدّ، لا بالحدّ نفسه، مع إدراك السّامع لذلك و التفاته إليه.

و النّتيجة هى أنّه لا مانع من أن يكون قد بعث صلّى اللّه عليه و آله و صار نبيّا فى شهر رجب، كما أخبر به أهل البيت عليهم السّلام و هيّئ ليتلقّى الوحى القرآنىّ: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا «۱»، ثمّ بدأ نزول القرآن عليه تدريجا فى شهر رمضان المبارك. و لربّما يؤيّد

ذلک ما ورد من أنّ الملک کان یتراءی له صلّی اللّه علیه و آله قبل أن ینزل علیه القرآن «۲».

و یری المحقّق البحّاثة السّید مهدیّ الرّوحانیّ حفظه اللّه أنّه یمکن الجمع بین الآیات، بأن یقال: إنّ شروع نزول القرآن کان فی لیلة مبارکة، هی لیلة القدر من شهر رمضان: إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۳»، إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَةٍ مُبٰارَکَةٍ «۴»، شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۵». و کان أوّل ما نزل حسب روایات أهل البیت علیهم السّلام بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ ... «۶».

و الاستدلال بهذه الآیات علی أنّ القرآن نزل أوّلا دفعة إلی البیت المعمور أو علی قلب النّبیّ، ثمّ صار ینزل تدریجا فی مدّة عشرین، أو ثلاث و عشرین سنة، و ذلک اعتمادا علی قرینة الحال؛ حیث إنّ المسلمین یرون نزوله تدریجا غیر صحیح؛ لأنّ من الممکن أن یکون المراد بالإنزال و التّنزیل واحد، و هو بدء النّزول، فإنّه إذا شرع نزول المطر فی

---

(۱)- المزّمّل/ ۵.

(۲)- التّمهید فی علوم القرآن ۱: ۸۳ و یحتمل أیضا أن یکون القرآن قد نزل فی شهر رمضان فی لیلة القدر دفعة، لکنّه لم یؤمر بتبلیغه، ثمّ صار ینزل علیه تدریجا لأجل التّبلیغ فی المناسبات المقتضیة لذلک.

(۳)- القدر/ ۱.

(۴)- الدّخان/ ۲.

(۵)- البقرة/ ۱۸۵.

(۶)- العلق/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۳

الیوم الفلانیّ، و استمرّ لعدّة أیّام، فیصحّ أن یقال مثلا: سافرت یوم أمطرت السّماء، أی فی الیوم الأوّل من بدء نزوله. و کذلک الحال بالنّسبة للقرآن، فإنّه إذا بدأ نزوله فی شهر رمضان، فی لیلة القدر، فیصحّ أن یقال: نزل القرآن فی شهر رمضان، و یکون المراد أنّه قد بدأ نزوله التّدریجیّ. و قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ محتف بقرینة حالیّة یعلمها کلّ أحد، و هو نزول خصوص أوّل سورة اقْرَأْ، و استمرّ ینزل تدریجا بعد ذلک. و هذا کما صحّ أن یقال: کَمٰاءٍ أَنْزَلْنٰاهُ مِنَ السَّمٰاءِ، مع أنّ المطر ینزل تدریجا، و ما ذلک إلّا لأهمّیّة ذلک الیوم و خطره، و کلّ حادث خطیر له امتداد زمنیّ، إنّما یسجّل یوم شروعه، فإذا قیل مثلا: متی کانت دولة العبّاسیّین، فسیکون الجواب بذکر سنة التّأسیس.

و أمّا حدیث البخاریّ فی بدء الوحی و الدّالّ علی اقتران نزول القرآن بالنّبوّة فسیأتی أنّه باطل لا یصحّ.

و نزید نحن أنّه قد یمکن تقریب ذلک بأنّ قوله تعالی: أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، إنّما هو حکایة عن أمر سابق، و لا یشمل هذا الکلام الحاکی له إلّا بضرب من العنایة و التّجوّز، و لا الّذی یأتی بعده، و إلّا لجاء التّعبیر بصیغة المضارع أو الوصف، فإنّه یکون حینئذ هو الأوفق «۱».

و لعلّ ابن شهرآشوب کان ینظر إلی هذا حین قال فی متشابهات القرآن: و الصّحیح أنّ القرآن فی هذا الوضع لا یفید العموم، و إنّما یفید الجنس، فأیّ شیء نزل فیه فقد طابق الظّاهر «۲». (۱: ۱۹۲- ۱۹۷)

---

(۱)- التّمهید فی علوم القرآن ۱: ۸۴.

(۲)- التّمهید فی علوم القرآن ۱: ۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۴

الفصل الثّالث و السّبعون نصّ الملکیّ فی «تفسیر مناهج البیان»

لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ ... القیامة/ ۱۶- ۱۸

[ذکر فی بدء الکلام قول الکشّاف و روایة ابن عبّاس عن الطّوسیّ، کما تقدّم عنهما، ثمّ قال:]

أقول: هل المراد أنّه صلّی اللّه علیه و آله تبادر علی زعمهم بابتداء القراءة قبل أن یتمّها بأسرها جبریل علیه السّلام؟ أو أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یتّبع قراءة جبریل حرفا بعد حرف، و کلمة بعد کلمة، و لم یصبر حتّی یفرغ جبریل عن قراءته؟ و نظیره الآیة قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۱». [ثمّ ذکر قول الطّبرسیّ کما تقدّم عنه، فقال:]

أقول: لا ظهور و لا دلالة فی الآیة الکریمة، و لا فی قوله تعالی: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ... علی أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یستعجل بالقراءة، و ینازع جبریل فی قراءته. و إنّما اعتمدوا فی ذلک علی مرسلات تاریخیّة واهیة لا یجوز الاستناد و الاتّکاء علیها و علی نظائرها فی باب التّفسیر و باب الإفتاء بالحلال و الحرام.

و لیس النّهی فی الآیة نهیا تشریعیّا مولویّا کی یدلّ علی کراهة المسارعة أو

---

(۱)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۵

تحریمها. و لا دلیل علی أنّ النّهی کان بعد ارتکاب المنهیّ. فإنّ أقصی ما یدلّ علیه النّهی فی باب النّهی التّشریعیّ، الزّجر و المنع عن الطّبیعة المنهیّة. بل الظّاهر أنّ الآیة الکریمة تذکرة و إرشاد إلی حسن التّثبت و التّأنّی فی شئون الرّسالة، و ترسیم لأهمّ وظیفة من وظائفه صلّی اللّه علیه و آله و تأدیب إلهیّ فی شأن خطیر من شئون الرّسالة و النّبوّة فی کیفیّة أخذ الرّسالة و تلقّی النّبوّة.

و ما ذکره الزّمخشریّ من أنّه کان مسارعة إلی الحفظ و خوفا من أن یتفلّت منه، لا محصّل له. فإنّه صلّی اللّه علیه و آله ما کان یتخوّف علی نفسه النّسیان و ذهاب الوحی و القرآن عن ذکره و حفظه؛ و قد أنزل تعالی علیه سورة الأعلی فی مکّة فی أوائل أمره، و فیها قوله:

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی* إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ إِنَّهُ یَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما یَخْفی* وَ نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْری «۱».

فهو صلّی اللّه علیه و آله کان یقرأ بإقرائه تعالی، و یستحیل منه النّسیان. و یجب علی الزّمخشریّ و أمثاله أن یعرفوا أنّ سورة الأعلی قد نزلت قبل هذه السّورة المبارکة و قبل سورة طه، فلا مجال أن یقال إنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یتخوّف أن یتفلّت القرآن منه. و لا یجوز التّشبث بالاستثناء فی قوله: إِلَّا ما شاءَ اللَّهُ. فالظّاهر أنّ قوله تعالی: سَنُقْرِئُکَ- إلی قوله- نُیَسِّرُکَ لِلْیُسْری مسوق فی مقام الامتنان و إبراز العطف و الحنان علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فلیس معنی الآیة أنّه تعالی إن شاء یقرئه و لم ینسه، و إن لم یشأ لم یقرئه فینسه؛ فیخرج الآیة عن سیاق الامتنان، و یبطل الغرض المسوق له الکلام، فینزل الغرض فی الآیة منزلة الأمور العادیة. فالعنایة فی الاستثناء التّحفظ علی التّوحید، و التّحفظ علی إطلاق قدرته تعالی، و أنّه- سبحانه- لیس مغلول الید، و أنّ کرامته تعالی علی رسوله سواء کانت قبل مرتبة فعلیّته العطاء أو فی مرتبة فعلیّة لیست علی نحو الإیجاب، بل إکرامه إیّاه و تفضّله علیه بمشیّته و عمده و اختیاره تعالی.

و قوله تعالی: سَنُقْرِئُکَ ... ففیه وجوه ثلاثة:

الأوّل: أنّه إخبار عمّا یفعله لرسوله من کرامة الإقراء و عدم النّسیان فی المستقبل.

و الثّانی: أنّه میعاد من اللّه- سبحانه- بما یعطیه من کرامة الإقراء.

---

(۱)- الأعلی/ ۶- ۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۶

و الثّالث: أنّه بیان لسنّته الفاضلة و عادته الکریمة فی حقّ رسوله و صفیّه صلّی اللّه علیه و آله کما فی قولنا: فلان یقری الضّیف، و یکرم الجوار؛ أی: إنّ هذا من دأبه و عادته.

فالظّاهر هو الثّالث؛ إذ فیه بروز الامتنان و التّجلّی بالعطف و الحنان. و إذا دخلت علی الفعل المضارع السّین یفید تأکّد تلک السّنّة المستمرّة الإلهیّة بالنّسبة إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لا تأکّد وقوعها فی الاستقبال و تمحّضه و تخلّصه للاستقبال.

و استعمال السّین فی الاستمرار- و لو فی غیر مورد الامتنان- غیر عزیز فی کلامه تعالی، سواء کان بحسب الوضع؛ کما ذکره ابن هشام عن بعض النّحویّین- خلافا للمشهور- أو قلنا إنّه بسبب القرائن المقامیّة؛ کما فی قوله تعالی:

سَتَجِدُونَ آخَرِینَ یُرِیدُونَ أَنْ یَأْمَنُوکُمْ وَ یَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ کُلَّما رُدُّوا إِلَی الْفِتْنَةِ أُرْکِسُوا فِیها فَإِنْ لَمْ یَعْتَزِلُوکُمْ وَ یُلْقُوا إِلَیْکُمُ السَّلَمَ وَ یَکُفُّوا أَیْدِیَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَ اقْتُلُوهُمْ «۱».

و قد تبیّن من جمیع ما ذکرنا أنّ قوله تعالی: فَلا تَنْسی کاف و شاف فی عصمته صلّی اللّه علیه و آله عن النّسیان، و أنّ قوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ «۲»، بمعزل عن إفادة تخوّفه عن النّسیان. و قد أورد الرّازیّ فی تفسیره ۳۰: ۲۲۲ ستّة أقوال لا جدوی فی إیرادها.

أقول: و السّرّ فیما وقع فیه القوم، إنّهم قد غفلوا أنّ نزول الملک علی الإنسان، و مشاهدة الإنسان إیّاه و مکالمته مشافهة، و نزول القرآن و الوحی علیه بواسطة الملک، من باب الإعجاز، و من الأمور الخارقة للعادة. و کذلک أخذ الوحی و الرّسالة و النّبأ الغیبیّ من الأشخاص المستورة تحت حجب الغیوب، مع أنّ الرّسول بشر مثلنا، من باب الاطّلاع و الإشراف علی الغیب المحجوب. و هو من أعظم معجزاته صلّی اللّه علیه و آله و لیس أمرا عادیّا کی تجری فیه أحکام العادة و لوازمها من الخطأ و النّسیان.

و صفوة القول فی ذلک بالبیان الإجمالیّ: أنّه لا یخفی عند الفقیه العارف بمقام الرّسالة و النّبوّة و الإمامة أنّه- سبحانه- ما أرسل ملکا رسولا إلی أحد من البشر، و ما جعل أحدا نبیّا إلّا مقارنة بإفاضة روح القدس علیه؛ و هو العلم الحقیقیّ و العیان الصّریح

---

(۱)- النّساء/ ۹۱.

(۲)- القیامة/ ۷۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۷

المصون و المعصوم بالذّات. فبهذا الرّوح القدسیّ یعرف الملک بشخصه. و بهذا العیان الصّریح یأخذ القرآن و الوحی، و یحمله و یحفظه و یقرؤه و یبلّغه، و یعرف أنّ ذلک وحی لا ریب فیه؛ تنزیل من حکیم حمید. و هو الحجّة البیّنة الصّادقة بینه و بین ربّه، علی رسالته و نبوّته و إمامته. و هو خاصّ بالأنبیاء و الرّسل و الأوصیاء الصّدیقین. و یستحیل الاختلاف بینهم من أوّل الدّنیا إلی انقضائها. فکلّ سابق یبشّر باللّاحق و یصدّقه. و اللّاحق منهم یؤمن بالسّابق و یصدّق ما تقدّم من الرّسل و الکتب. و کذلک الأوصیاء الصّدّیقون بما أودعوا من العلوم و الشّرائع، و أمروا بتبلیغه و نشره. و لا یتجاوز عن الأنبیاء و الأوصیاء إلی غیرهم.

و أمّا غیرهم، فلیس عندهم إلّا أشیاء مظلمة مغموسة مثار الاختلاف و معرکة للآراء؛ یسمّونها عندهم مکاشفة أو قطعا برهانیّا، و یکفّر بعضهم بعضا، و یجهّل بعضهم بعضا.

و للرّوح إطلاقات أخری.

قال تعالی: وَ آتَیْنا عِیسَی ابْنَ مَرْیَمَ الْبَیِّناتِ وَ أَیَّدْناهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ «۱»

وَ کَذلِکَ أَوْحَیْنا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما کُنْتَ تَدْرِی مَا الْکِتابُ وَ لَا الْإِیمانُ وَ لکِنْ جَعَلْناهُ نُوراً ... «۲».

و فی البحار ۲۵: ۵۸، عن البصائر بإسناده عن المفضّل بن عمر قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام سألته عن علم الإمام بما فی أقطار الأرض، و هو فی بیته مرخی علیه ستره فقال:

«یـا مفضّـل، إنّ اللّه تبارک و تعالی جعل للنّبیّ خمسـهٔ أرواح ... و روح القـدس فبه حمل النّبوّة. فإذا قبض النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله انتقل فصار فی الإمام. و روح القدس لا ینام و لا یغفل و لا یلهو و لا یسهو.» و الرّوایات فی هذا الباب کثیرهٔ فی جوامع الحدیث.

أقول: و أمّا التّابعون للکتاب و السّنّهٔ بالشّرائط المقرّرهٔ فی الشّریعهٔ، فهم فی نور و فی فسحهٔ و نجاهٔ عن هذه المزالق و المزلّات.

---

(۱)- البقرهٔ/ ۸۷.

(۲)- الشّوری/ ۵۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۸

قوله تعـالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱». الظّاهر من السّـیاق أنّ هـذا بشارهٔ و تأیید و وعد لرسوله صـلّی اللّه علیه و آله بجمعه القرآن و قراءته إیّاه علیه. فإنّ الظّاهر من الضّمیر فی قوله:

جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ أنّ المراد هو القرآن لا أبعاضه و أجزاؤه. و المعنی: إنّ علی عهـدتنا و ما جری به قضاؤنا الحکیم، أن نجمع هـذا القرآن الّذی أنزلناه علیک متفرّقا، و ما ننزّله بعد ذلک، إلی تمامه و کماله. و کذلک علینا قرآنه علیک مجموعا.

و القرآن مصـدر من قرأ یقرأ علی فعلان، بمعنی القراءهٔ و التّلاوهٔ. و سـمّی الکتاب الکریم المنزل علی رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله قرآنـا، باعتبار أنّه مقروّ و متلوّ و من جنس ما یقرأ و ما یتلی. و هـذا من باب إطلاق الکتاب علی المکتوب. و توهّم بعضـهم أنّه مأخوذ من قرأ بمعنی جمع- مثل: قرأت الماء فی الحوض- و سمّی قرآنا باعتبار کونه مجموعا «۲».

و التّحقیق ما ذکرناه.

فمعنی قوله تعالی: وَ قُرْآنَهُ أی: قراءته. قال الرّازیّ فی تفسیره ۳۰: ۲۲۴: معناه:

علینا جمعه فی صدرک و حفظک.

أقول: یرد علیه أنّ اللّه سـبحانه قـد جمع مـا أنزل من القرآن متفرّقـا و تـدریجا فی صـدره و حفظه، فلا یصـلح أن یکون موردا لوعـده تعالی؛ لأنّه تحصـیل للحاصل. و توجیه ذلک بأن نجمعه فی صدرک و حفظک و نثبّته علی لسانک، غیر وجیه. لأنّه لا یدفع الإشکال، مضافا إلی أنّه یکون إقراء لا قراءهٔ.

إن قلت: أیّ مانع أن یقال أنّ مورد وعده تعالی، هو ما بقی من القرآن بعد هذه السّورهٔ المبارکهٔ؟

قلت: لا مانع منه بحسب الفرض، إلّا أنّ الآیـهٔ الکریمـهٔ و إطلاقها لا یلائم التّبعیض؛ بل الظّاهر أنّ مورد هـذا الوعد الجمیل الصّادق هو مجموع القرآن.

و فی التّبیان ۱۰: ۱۹۶، عن ابن عبّاس و الضّحّاک: معناه: إنّ علینا جمعه فی صدرک و قراءته علیک حتّی یمکنک تلاوته.

---

(۱)- القیامهٔ/ ۱۷.

(۲)- مجمع البیان ج/ ۱: ۱۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۰۹

أقول: یرد علیه أیضا أنّ اللّه سـبحانه قـد جمع القرآن عنـد رسول اللّه صـلّی اللّه علیه و آله و قد کان حافظا إیّاه متمکّنا من تلاوته. فلا یبقی مورد لهذا الوعد، حین أکرم اللّه رسوله بمفاد قوله:

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی. و أمّا قوله: «و قراءته علیک» فهو موافق لظاهر الآیهٔ، فیجب الالتزام به، علی ما سیجیء توضیحه عن قریب، إن شاء اللّه.

إن قلت: أ لیس ظاهر قوله تعالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فی مرحلهٔ التّعلیل لقوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ؟

قلت: نعم؛ إلّا أنّا أوضحنا فيما تقدّم حقيقة هذا النّهى، و ذكرنا أنّ النّهى لا دلالة فيه على ارتكاب المنهىّ عنه، و لا الارتكاب من جملة شرائط النّهى. فلا دلالة فى النّهى على تحقّق العجلة. و لا دلالة فى العجلة- على فرض تحقّقه- على أنّه كان خوفا من النّسيان؛ بل يجوز أن تكون لعناية أكيدة و اهتمام خاصّ لشأن الوحى و أخذه، حبّا إيّاه و شوقا إليه، و غير ذلك. فالمتحصّل فى المقام وجهان:

أحدهما أن يقال: إنّ مورد وعده تعالى بجمع القرآن، جمع ما بقى منه بعد هذه السّورة المباركة، و قراءته عليه بقراءة جبريل.

و ثانيهما: يجوز أن يقال: إنّ اللّه سبحانه كما جمع القرآن كلّه عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لا يبعد أنّه قد جمعه عند جبريل عليه السّلام فيقرأ تعالى القرآن على رسوله بقراءة جبريل. و هذا هو الظّاهر، فإنّ القارئ و المملى كان هو جبريل، و كان عالما به و حافظا إيّاه. فقوله تعالى: قُرْآنَهُ أى: قراءتنا عليك بقراءة جبريل مرّة ثانية.

فى البحار ۲۲: ۴۶۶، عن إعلام الورى و الإرشاد: «... فلمّا أحسّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بالمرض الّذى عراه، أخذ بيد علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و اتّبعه جماعة من النّاس، و توجّه إلى البقيع.

فقال للّذى اتّبعه: إنّنى قد أمرت بالاستغفار لأهل البقيع.

فانطلقوا معه؛ حتّى وقف بين أظهرهم و قال: السّلام عليكم يا أهل القبور! ليهنّئكم ما أصبحتم فيه ممّا فيه النّاس، أقبلت الفتن كقطع اللّيل المظلم، يتبع آخرها أوّلها.

ثمّ استغفر لأهل البقيع طويلا، و أقبل على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: إنّ جبريل عليه السّلام كان يعرض علىّ القرآن فى كلّ سنة مرّة. و قد عرضه علىّ العام مرّتين. و لا أراه إلّا لحضور

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۱۰

أجلى.» و فيه أيضا: ۴۷۳ عن أسباب النّزول للواحدىّ نحوه.

قوله تعالى: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ «۱».

لا يبعد أن يقال: إنّ الآية الكريمة تفريع ممّا تقدّم من مفاد الآيتين؛ أى بيان وظيفته صلّى اللّه عليه و آله فى أخذ القرآن و تلقّى الوحى، و وعده تعالى الوعد الجميل الصّادق فى قوله:

إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ. أى: فإذا قرأنا عليك هذا القرآن بقراءة جبريل عند نزول القرآن متفرّقا و بعد نزوله مجموعا، فاتّبع قرآنه. و لا يخفى أنّ الأمر فى قوله: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ أمر إرشادىّ و تذكير إلى وجوب اتّباع القراءة و الوحى كمّا و كيفا، و تذكرة أيضا بوجوب اتّباع مفاد ما يقرأ و يتلو، لوضوح أنّ وجوب اتباع القراءة وجوب طريقىّ، و لا يمكن تجريد القراءة عن الطّريقيّة فى مرحلة وجوب اتّباع القراءة على الإطلاق. و عليه يتّضح أنّ معنى وجوب اتّباع القراءة، وجوب اتّباع مفادها و محتواها من الحقائق و الأحكام، بما أنّه وحى و شريعة إلهيّة، لا وجوب اتّباع ألفاظ جبريل عليه السّلام عقيب قراءته و تلاوته.

و ممّا ذكرنا يظهر سقوط ما ذكروه فى تفسير المقام:

منها: ما ذكره فى الكشّاف ۴: ۱۹۱ قال: فكن مقفّيا له فيه، و لا تراسله، و طأمن نفسك أنّه لا يبقى غير محفوظ، فنحن فى ضمان تحفيظه.

و منها: ما تقدّم نقله عن الكشّاف أيضا فى تفسير قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ قال: فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه و سمعه، حتّى يقضى إليه وحيه؛ ثمّ يقفّيه بالدّراسة إلى أن يرسخ فيه.

و منها: ما فى تفسير الرّازىّ ۳۰: ۲۲۵، عن بعض المفسّرين ما خلاصته: إذا أتممنا عليك قراءته، فاتّبع قراءته بعد تمامها.

أقول: و أنت بعد التّأمّل فيما ذكرنا، تعرف أنّ الضّمير فى قوله تعالى: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ راجع إلى القرآن لا إلى القارئ. و منشأ هذه الأقاويل ليس إلّا ما ذكروه أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يستعجل لتلقّى الوحى خوفا من النّسيان. فأمر بأن يستنصت حتّى يتمّ الوحى، ثمّ يتّبع قراءة القارئ.

(۱)- القيامة/ ۱۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۱۱

و قوله تعالى: فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ و إن كان خطابا شخصيّا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لكن حيث إنّ وجوب اتّباع القراءة حكم عقلىّ، فلا محالة يكون وجوب الاتّباع الشّامل لمن عقل و عرف، من محكمات القرآن و من المستقلّات العقليّة فيه. (۲۹: ۲۵۲- ۲۵۹)

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ القدر/ ۱

تنقيح البحث فى المقام يحتاج إلى تحرير أمور:

الأوّل: إنّ الآية المباركة فى صدر السّورة، لتعظيم موقع ليلة القدر و أهميّتها من بين ليالى السّنة، لوقوع عظائم الأمور فيها من نزول القرآن و الملائكة و الرّوح بما يجرى و يقع من الأمور و الحوادث الّتى تقدّر فى هذه اللّيلة بتقدير العليم الحكيم. و نظير الآية قوله تعالى: حم* وَ الْكِتابِ الْمُبِينِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ* فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ* أَمْراً مِنْ عِنْدِنا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ «۱». شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَ الْفُرْقانِ «۲».

و الظّاهر من الآيتين فى أوّل القدر و الدّخان أنّ فيهما دلالة على أنّ القرآن بتمامه نزل فى ليلة القدر. و احتمال نزول القرآن بنزول أبعاضه احتمال ضعيف جدّا. و أمّا الآية الأخيرة، فهى كالنّصّ فى نزول القرآن بمجموعه فى شهر رمضان.

و استشكل على ذلك بأنّ ضرورة التّاريخ قاضية بنزول القرآن من أوّل رسالته صلّى اللّه عليه و آله تدريجا إلى آخر وفاته فى المدينة.

و أجيب عنه: بأنّ القرآن نزل بمجموعه إلى البيت المعمور، ثمّ نزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تدريجا فى عرض ثلاث و عشرين سنة.

[ثمّ ذكر رواية حفص بن غياث عن الإمام الصّادق عليه السّلام كما تقدّم عن الكلينىّ، فقال:]

بيان: الظّاهر أنّ قوله عليه السّلام. «إلى البيت المعمور»؛ أى: إلى من كان من أمناء الوحى و خزّان العلوم. قال سيّد العابدين عليه السّلام فى دعائه لحملة العرش و ملائكة اللّه المقرّبين: «...

(۱)- الدّخان/ ۱- ۵.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۱۲

و الطّائفين بالبيت المعمور ...».

أقول: حديث حفص بن غياث، و إن كان خبرا واحدا لا يمكن الأخذ به على نحو الجزم، إلّا أنّه لا يجوز ردّه أيضا، لعدم استحالة مفاده عقلا بحسب الواقع؛ و هو كاف فى دفع التّنازع القطعىّ بين نزول القرآن فى عرض ثلاث و عشرين سنة و بين نزول مجموعه فى شهر رمضان فى ليلة القدر. أى يصير التّعارض احتماليّا لا قطعيّا.

الثّانى: قال بعض المفسّرين فى رفع الإشكال ما خلاصته: إنّه يحتمل أن يكون المراد من نزول القرآن فى ليلة القدر، نزوله فى مرتبة جملته و كلّيّته و فى مرتبة تجرّده. و قد نزل على قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله دفعة واحدة، ثمّ برز إلى عالم التّفصيل و التّفريق نجوما و فصلا.

و اعتمد فى ذلك على وجوه:

الوجه الأوّل: إنّ لفظ «أنزل» ظاهر و مستعمل فى النّزول الدّفعىّ. ثمّ استدلّ على لفظ الكتاب الحاكى- على زعمه- عن مرتبة الكلّيّة و

التّجرّد.

و فیه أوّلاـ أنّ الفرق بین «أنزل» و «نزّل» بالمعنی الّذی ذکره، لا شاهد و لا دلیل علیه، لا بحسب المادّة و لا بحسب الهیئة. و ثانیا: أنّ استعمال «أنزل» فی النّزول التّدریجیّ و «نزّل» فی النّزول الدّفعیّ غیر عزیز فی القرآن الکریم. قال تعالی: طه* ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی «۱». وَ کَذلِکَ أَنْزَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا وَ صَرَّفْنا فِیهِ مِنَ الْوَعِیدِ لَعَلَّهُمْ یَتَّقُونَ أَوْ یُحْدِثُ لَهُمْ ذِکْراً «۲». وَ لَقَدْ أَنْزَلْنا إِلَیْکَ آیاتٍ بَیِّناتٍ وَ ما یَکْفُرُ بِها إِلَّا الْفاسِقُونَ «۳».

و التّوجیه الّذی ذکره فی قوله: وَ أَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً «۴» و إرجاع «أنزل» إلی النّزول الدّفعیّ، لا شاهد علیه و لا یجوز الأخذ به. و قد استعمل «نزّل» فی مورد الکتاب أیضا. قال تعالی:

---

(۱)- طه/ ۱- ۲.

(۲)- طه/ ۱۱۳.

(۳)- البقرة/ ۹۹.

(۴)- لقمان/ ۱۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۳

ذلِکَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّ الَّذِینَ اخْتَلَفُوا فِی الْکِتابِ لَفِی شِقاقٍ بَعِیدٍ «۱».

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ «۲».

وَ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ تِبْیاناً لِکُلِّ شَیْءٍ وَ هُدیً وَ رَحْمَةً «۳».

إِنَّ وَلِیِّیَ اللَّهُ الَّذِی نَزَّلَ الْکِتابَ وَ هُوَ یَتَوَلَّی الصَّالِحِینَ «۴».

الوجه الثّانی: استشهد بقوله تعالی: کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ «۵». فإنّ هذا الإحکام مقابل التّفصیل ... [و ذکر کما تقدّم عن العلّامة الطّباطبائیّ، ثمّ قال:]

و فیه أنّ المراد من معنی الإحکام ما هو فی مقابل التّشابه؛ کما فی قوله تعالی:

هُوَ الَّذِی أَنْزَلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ مِنْهُ آیاتٌ مُحْکَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْکِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ ... «۶».

و هو من نعوت الدّلالة فی الکلام و الألفاظ، لا من نعوت الوجود العینیّ بما هو موجود مجرّد عینیّ أو موجود عینیّ. و بعبارة أخری: معنی الإحکام فی الألفاظ و الکلام ما ذکرناه. و التّفصیل فی مقابل الإجمال و الإبهام. أی: مبیّن و مشروح. فکلامه تعالی محکم لا تشابه فیه و لا تناقض و لا خلل و لا نقص، و مفصّل لا إجمال فیه و لا إبهام.

قال فی الجوامع: ۲: ۱۳۴ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ نظما محکما لا نقص فیه و لا خلل کالبناء المحکم ... ثُمَّ فُصِّلَتْ کما تفصّل القلائد بدلائل التّوحید و المواعظ و الأحکام ...

و معنی «ثمّ» التّراخی فی الحال لا فی الوقت. کما تقول: هی محکمة أحسن الإحکام، ثمّ مفصّلة أحسن التّفصیل. و الکتاب خبر مبتدأ محذوف مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ أحکمها و خَبِیرٍ عالم فصّلها؛ أی: بیّنها و شرحها.

---

(۱)- البقرة/ ۱۷۶.

(۲)- آل عمران/ ۳.

(۳)- النّحل/ ۸۹.

(۴)- الأعراف/ ۱۹۶.

(۵)- هود/ ۱.

(۶)- آل عمران/ ۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۴

الوجه الثّالث: قال قدّس سرّه بعد عدّة آیات أوردها فی هذا المقام ما ملخّصه: قال تعالی:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ* فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ* لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ «۱». وجه الاستدلال: إنّ الضّمیر راجع إلی القرآن المعلوم بحسب السّیاق. قوله تعالی: کَرِیمٌ نعت و تجلیل للقرآن المحمود عند اللّه سبحانه لما فیه من الحقائق و المعارف و الأحکام. قوله تعالی: فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ نعت ثان للقرآن؛ أی: محفوظ و مصون عن التّغییر و التّبدیل. و هو اللّوح المحفوظ. کما قال تعالی: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِیدٌ* فِی لَوْحٍ مَحْفُوظٍ «۲». قوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ صفة للکتاب المکنون.

و یمکن أن یکون وصفا ثالثا للقرآن. و مآل الوجهین علی تقدیر کون «لا» نافیة واحدا.

و المعنی: لا یمسّ الکتاب المکنون الّذی فیه القرآن إلّا المطهّرون. أو لا یمسّ القرآن الّذی فی الکتاب إلّا المطهّرون. و المطهّرون اسم مفعول من التّطهیر، و هم الّذین طهّر اللّه سبحانه نفوسهم من أرجاس المعاصی و قذارات الذّنوب، أو ممّا هو غیر المناسب للمسّ الّذی هو العلم دون الطّهارة من الخبث أو الحدث کما هو ظاهر.

أقول: القرآن مصدر بمعنی المفعول؛ أی: المقروء و من جنس ما یقرأ و یتلی. قوله تعالی: کَرِیمٌ نعت و تمجید للقرآن المبین؛ أی: ذو کرامة و مکانة عند اللّه سبحانه لاشتماله علی أصول العلم و أمّهات الشّرائع و المعارف و الحقائق الأصیلة. قوله تعالی:

فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ نعت ثان للقرآن الکریم. و لمّا یعلم ما المراد من الکتاب المکنون و اللّوح المحفوظ و نظائرهما. فیحتمل قویّا أن یکون المراد فی المقام صحیفة نوریّة؛ أی العلم المفاض علی عدّة من أولیائه الکرام من الملائکة المقرّبین و الأنبیاء و الرّسل و الصّدیقین.

و معنی کون القرآن فی هذا الکتاب المکنون فی مرتبة کونه مقروءا و متلوّا، کونه معلوما بهذا العلم عند حملته، لا کون القرآن المقروء و المتلوّ بنحو من الثّبوت و التّجرّد فی هذا الکتاب و فی هذا اللّوح. فهؤلاء الحملة الکرام یعلمون القرآن و یحصونه بحقیقة العلم

---

(۱)- الواقعة/ ۷۷- ۸۰.

(۲)- البروج/ ۲۱- ۲۲.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۵

و الإحصاء و یشهدون أنّه حقّ مبین لا ریب فیه. کما فی قوله تعالی: وَ کُلَّ شَیْءٍ أَحْصَیْناهُ فِی إِمامٍ مُبِینٍ «۱».

و قوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. هذا نعت ثالث للقرآن. و المراد من المسّ هو المسّ الظّاهریّ بین الأجسام. و لیس فی محاورات القرآن الکریم استعمال المسّ و اللّمس بمعنی الإدراک سیّما إدراک الحقائق الغیبیّة النّوریّة. و استعمال لفظ المسّ و اللّمس فی القرآن الکریم، إنّما هو فی إلصاق الأجسام. قال تعالی: وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ «۲»، أَنَّی یَکُونُ لِی غُلامٌ وَ لَمْ یَمْسَسْنِی بَشَرٌ «۳»

و أقصی ما یمکن أن یقال فی المقام مسّ العذاب و الإحراق و البأساء و الضّراء مثل قوله تعالی:

ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ «۴».

وَ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِیضٍ «۵».

وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لَاسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ وَ ما مَسَّنِیَ السُّوءُ «۶».

و استعمال المسّ و اللّمس فی الإدراک- کما اشتهر فی زماننا فی الخطابات و المحاورات العادیة- أجنبیّ عن محاورات الکتاب و السّنّة و لا یصغی إلیه. فتحصّل فی المقام أنّ قوله تعالی: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ جملة خبریّة منفیّة أرید بها الإنشاء. فإنّه أبلغ و أوفی فی إفادة المنع و التّحریم. و المراد من المسّ هو المسّ الظّاهریّ. فالآیة الکریمة تفید المنع و النّهی عن مسّ الکتاب الکریم إلّا عمّن کان متطهّرا من الأحداث و الخبائث.

فی نور الثّقلین ۵: ۲۲۱، عن الاستبصار بإسناده عن إبراهیم بن عبد الحمید، عن أبی

---

(۱)- یس/ ۱۲.

(۲)- البقرة/ ۲۳۷.

(۳)- مریم/ ۲۰.

(۴)- القمر/ ۴۸.

(۵)- فصّلت/ ۵۱.

(۶)- الأعراف/ ۱۸۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۶

الحسن علیه السّلام قال: المصحف لا تمسّه علی غیر طهر و لا جنبا و لا تمسّ خطّه و لا تعلّقه. إنّ اللّه تعالی یقول: لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.

قال فی المجمع ۹: ۲۲۶: و قیل: المطهّرون من الأحداث و الجنابات. و قالوا: لا یجوز للجنب و الحائض و المحدث مسّ المصحف. عن محمّد بن علیّ الباقر علیه السّلام.

قوله تعالی: تَنْزِیلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِینَ. هذا نعت رابع للقرآن المذکور فی صدر الآیات الکریمة. فقد أقسم تعالی بمواقع النّجوم فی إبطال مقالات المشرکین و ارتیابهم فی شأن القرآن الکریم الّذی بین أظهرنا- مؤکّدا بإنّ و لام التّأکید- أنّ هذا القرآن لیس بشعر و لا سحر، بل هو قرآن ذو کرامة و جلالة عند اللّه- سبحانه- محرّم مسّ خطوطه إلّا علی من کان طاهرا من الأحداث و الجنابات و الخبائث. و حیث إنّ تنزیل هذا القرآن عین فعله- سبحانه- و هو تعالی أصدق شاهد أنّه منزّل من عنده- جلّ شأنه- لا یرتاب فیه إلّا المبطلون المعاندون. فهذه النّعوت الأربعة للقرآن، کلّها فی عرض واحد.

و المستفاد من قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... «۱» أنّ الغرض المسوق له الکلام تعظیم الشّهر و ترفیع شأنه من حیث إنّه أنزل فیه القرآن. (۳۰: ۵۹۳- ۵۹۹)

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۷

الفصل الرّابع و السّبعون نصّ السّید الحکیم فی «علوم القرآن»

نزول القرآن علی النّبیّ مرّتین

فی رأی عدد من العلماء أنّ القرآن الکریم نزل علی النّبیّ مرّتین:

إحداهما: نزل فیها مرّة واحدة علی سبیل الإجمال، و المرّة الأخری نزل فیها تدریجا علی سبیل التّفصیل، خلال المدّة الّتی قضاها النّبیّ

فی أمّته منذ بعثته إلی وفاته.

و معنی نزوله علی سبیل الإجمال هو نزول المعارف الإلهیّة الّتی یشتمل علیها القرآن و أسراره الکبری علی قلب النّبیّ؛ لکی تمتلئ روح النّبیّ بنور المعرفة القرآنیّة. و معنی نزوله علی سبیل التّفصیل هو نزوله بألفاظه المحدّدة و آیاته المتعاقبة. و کان إنزاله علی سبیل الإجمال مرّة واحدة؛ لأنّ الهدف منه تنویر النّبیّ، و تثقیف اللّه له بالرّسالة الّتی أعدّه لحملها. و کان إنزاله علی سبیل التّفصیل تدریجیّا؛ لأنّه یستهدف تربیة الأمّة و تنویرها، و ترویضها علی الرّسالة الجدیدة، و هذا یحتاج إلی التّدرّج.

و علی ضوء هذه النّظریة فی تعدّد نزول القرآن یمکّننا أن نفهم الآیات الکریمة الدّالّة علی نزول القرآن فی شهر رمضان، أو إنزاله فی لیلة القدر بصورة خاصّة، نحو قوله تعالی:

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۱»، و قوله:

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۸

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «۱»، و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ «۲». فإنّ الإنزال الّذی تتحدّث عنه هذه الآیات لیس هو التّنزیل التّدریجیّ الّذی طال أکثر من عقدین، و إنّما هو الإنزال مرّة واحدة علی سبیل الإجمال.

کما أنّ فکرة تعدّد الإنزال بالصّورة الّتی شرحناها تفسّر لنا أیضا المرحلتین اللّتین أشار إلیهما القرآن الکریم فی قوله: کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ خَبِیرٍ «۳». فإنّ هذا القول یشیر إلی مرحلتین فی وجود القرآن؛ أولاهما: إحکام الآیات، و المرحلة الثّانیة: تفصیلها، و هو ینسجم مع فکرة تعدّد الإنزال فیکون الإنزال مرّة واحدة علی سبیل الإجمال، هی مرحلة الإحکام، و الإنزال علی سبیل التّفصیل تدریجا هی المرحلة الثّانیة، أی مرحلة التّفصیل.

التّدرّج فی التّنزیل

استمرّ التّنزیل التّدریجیّ للقرآن الکریم طیلة ثلاث و عشرین سنة، و هی المدّة الّتی قضاها النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فی أمّته منذ بعثته إلی وفاته، فقد بعث صلّی اللّه علیه و آله لأربعین سنة، و مکث بمکّة ثلاث عشرة سنة یوحی إلیه، ثمّ هاجر إلی المدینة و ظلّ فیها عشر سنین، و القرآن یتعاقب و یتواتر علیه حتّی مات و هو فی الثّالثة و السّتّین من عمره الشّریف.

و قد امتاز القرآن عن الکتب السّماویّة السّابقة علیه بإنزاله تدریجا، و کان لهذا التّدرّج فی إنزاله أثر کبیر فی تحقیق أهدافه، و إنجاح الدّعوة و بناء الأمّة، کما أنّه کان آیة من آیات الإعجاز فی القرآن الکریم، و یتّضح کلّ ذلک فی النّقاط التّالیة:

۱- مرّت علی النّبیّ و الدّعوة حالات مختلفة جدّا خلال ثلاث و عشرین سنة، تبعا لما مرّت به الدّعوة من محن، و قاسته من شدائد، و ما أحرزته من انتصار، و سجّلته من تقدّم. و هی حالات یتفاعل معها الإنسان الاعتیادیّ، و تنعکس علی روحه و أقواله

---

(۱)- القدر/ ۱.

(۲)- الدّخان/ ۲.

(۳)- هود/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۱۹

و أفعاله، و یتأثّر بأسبابها و ظروفها و العوامل المؤثّرة فیها. و لکنّ القرآن الّذی واکب تلک السّنین بمختلف حالاتها، فی الضّعف و القوّة، فی العسر و الیسر، فی لحظات الهزیمة و لحظات الانتصار، و التّنزیل تدریجا خلال تلک الأعوام، کان یسیر دائما علی خطّه

الرّفع، لم ینعکس علیه أیّ لون من ألوان الانفعال البشریّ الّذی تثیره تلک الحالات. و هذا من مظاهر الإعجاز فی القرآن الّتی تبرهن علی تنزیله من لدن علیّ حکیم، و لم یکن القرآن لیحصل علی هذا البرهان لو لا إنزاله تدریجا فی ظروف مختلفة و أحوال متعدّدة.

۲- إنّ القرآن بتنزیله تدریجا کان إمدادا معنویّا مستمرّا للنبیّ صلّی اللّه علیه و آله، کما قال اللّه تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۱»، فإنّ الوحی إذا کان یتجدّد فی کلّ حادثة کان أقوی للقلب، و أشدّ عنایة بالمرسل إلیه، و یستلزم ذلک نزول الملک إلیه، و تجدّد العهد به، و تقویة أمله فی النّصر، و استهانته بما یستجدّ، و یتعاقب من محن و مشاکل. و لهذا نجد أنّ القرآن ینزل مسلّیا للنّبیّ مرّة بعد مرّة مهوّنا علیه الشّدائد، کما وقع فی محنة یأمره تارة بالصّبر أمرا صریحا، فیقول:

وَ اصْبِرْ عَلی ما یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلًا «۲»، و ینهاه تارة أخری عن الحزن، کما فی قوله: وَ لا یَحْزُنْکَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِیعاً «۳». و یذکّره بسیرة الأنبیاء الّذین تقدّموه من أولی العزم فیقول: فَاصْبِرْ کَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۴»، و یخفّف عنه أحیانا، و یعلّمه أنّ الکافرین لا یجرحون شخصه، و لا یتّهمونه بالکذب لذاته، و إنّما یعاندون الحقّ بغیا، کما هو شأن الجاحدین فی کلّ عصر، کما فی قوله: قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَیَحْزُنُکَ الَّذِی یَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا یُکَذِّبُونَکَ وَ لکِنَّ الظّالِمِینَ بِآیاتِ اللّهِ یَجْحَدُونَ «۵».

۳- إنّ القرآن الکریم لیس کتابا کسائر الکتب الّتی تؤلّف للتّعلیم و البحث العلمیّ، و إنّما هو عملیّة تغییر الإنسان تغییرا شاملا کاملا فی عقله و روحه و إرادته، و صنع أمّة،

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- المزّمّل/ ۱۰.

(۳)- یوسف/ ۶۵.

(۴)- الأحقاف/ ۳۵.

(۵)- الأنعام/ ۳۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۲۰

و بناء حضارة، و هذا العمل لا- یمکن أن یوجد مرّة واحدة، و إنّما هو عمل تدریجیّ بطبیعته، و لهذا کان من الضّروریّ أن ینزل القرآن الکریم تدریجا؛ لیحکم علیه البناء، و ینشئ أساسا بعد أساس، و یجتذّ جذور الجاهلیّة. رواسبها بأناة و حکمة.

و علی أساس هذه الأناة و الحکمة فی عملیّة التّغییر و البناء، نجد أنّ الإسلام تدرّج فی علاج القضایا العمیقة بجذورها فی نفس الفرد أو نفس المجتمع، و قاوم بعضها علی مراحل حتّی استطاع أن یستأصلها، و یجتذّ جذورها. و قصّة تحریم الخمر، و تدرّج القرآن فی الإعلان عنها من أمثلة ذلک، فلو أنّ القرآن نزل جملة واحدة بکلّ أحکامه و معطیاته الجدیدة لنفر النّاس منه، و لما استطاع أن یحقّق الانقلاب العظیم الّذی أنجزه فی التّاریخ.

(ص: ۳۴- ۳۷)

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۲۱

الفصل الخامس و السّبعون نصّ الدّکتور البوطیّ فی کتابه: «من روائع القرآن»

نزول القرآن منجّما و الحکمة فی ذلک

یقول اللّه تعالی فی کتابه: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱». و یقول أیضا: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ

عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، كَذلِكَ، لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۲».

نعلم من دلالة هاتين الآيتين، و ممّا ثبت ثبوتا قاطعا فی السّنّة و التّاريخ عن طريق السّند الصّحيح، أنّ القرآن لم ينزل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم جملة واحدة كما نزلت التّوراة على سيّدنا موسى، بل كان نزوله متدرّجا، فتارة تنزل عليه الآية أو الآيتان أو ثلاث آيات، و تارة تنزل عليه سورة بجملتها، كالفاتحة، و المدّثّر، و هذا معنى أنّه كان ينزّل منجّما، و قد ظلت آيات هذا الكتاب المبين تتتابع على مهل و تدرّج، حتّى نزلت آخر آية منها قبل وفاته صلّى اللّه عليه و سلم بتسع ليال. و هو قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ «۳».

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

(۳)- البقرة/ ۲۸۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۲۲

و ذلك على ما رجحه كثير من العلماء.

حكمة نزول القرآن منجّما:

هنالك حكم هامّة و كثيرة تتعلّق بنزول القرآن منجّما، نذكر منها ما يلی:

أوّلا: لقد قضت سنّة اللّه تعالى فی عباده أن يلاقی النّبیّ صلّى اللّه عليه و سلم أذى كبيرا من قومه من أجل نهوضه بينهم بتبليغ رسالة ربّه، و قد لاقى من ذلك أنواع الشّدائد الّتی جعلته بينهم مدّة طويلة غريبا لا ناصر له.

و لقد كان لاتّصال الوحی به إذ ذاك و تتابع نزول الآيات عليه تشدّ من أزره، و تحمّله على الصّبر و المصابرة، و تعده بالنّصر و التّأييد فی النّهاية كان لذلك أبلغ الأثر فی مواساته و تخفيف تلك الشّدّة عنه و إزاحة معانی الغربة و الضّعف عن نفسه. فمن هذه الآيات مثلا قوله تعالى: فَاصْبِرْ عَلى ما يَقُولُونَ، وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ الْغُرُوبِ، وَ مِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَ أَدْبارَ السُّجُودِ «۱». و من ذلك قوله تعالى: فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ... الآيات «۲».

فلو أنّ القرآن نزل كلّه عليه جملة واحدة، لكان لانقطاع الوحی عنه بعد ذلك أثر كبير فی استشعاره الوحشة و الغربة. و مهما يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم قد أوتی من العزيمة و الصّبر، فإنّ لبشريّته أيضا أثرا بيّنا فی حياته ما دام أنّه بشر.

و قد كان لديه صلّى اللّه عليه و سلم من قوّة الإيمان باللّه ما يكفی لأن يحمله على تبليغ دعوة ربّه و الجهاد فی سبيلها؛ و لكنّه على ذلك لم يكن به غناء عن المواساة و المعونة و التّصبير إذ يأتيه كلّ ذلك من ربّه المرّة تلو المرّة يعيده إلى الأمن و الانشراح و الأنس و الرّضى.

و هذا المعنى هو ما عبّر عنه القرآن بالتّثبيت فی قوله تعالى: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ.

ثانيا: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم أمّيّا لا يقرأ و لا يكتب، فليس لديه من الوسائل الكسبيّة ما يضبط و يحفظ به كلّ ما ينزل عليه إلّا وسيلة التّكرار و الحفظ. فكان لا بدّ من نزول الآيات

---

(۱)- ق/ ۳۹- ۴۰.

(۲)- الحجر/ ۹۴- ۹۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۲۳

بتـدرّج و خلال فترات متقطّعة من الزّمن حتّى يكون السّبيل إلى حفظه و وعيه أيسـر. و على الرّغم من ذلك فقد كان من عادته صلّى اللّه عليه و سلم إذا نزلت عليه الآية من القرآن أن يأخذ فى تكرارها و يستعجل فى محاولة حفظها و يظلّ يحرّك لسانه بها خشية أن تتفلّت من حفظه إلى أن نزل عليه قوله تعالى: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱».

ثالثا: احتوى القرآن على متن الفقه الإسلامىّ كلّه، أى على عامّة أحكامه فى الجملة سواء ما يتعلّق بالعبادات أو المعاملات المدنيّة أو الأحوال الشّخصيّة أو العقوبات أو النّظم الدّستوريّة و الماليّة.

و كان العرب قبل الإسلام متفلّتين عن كلّ قيد، لا يخضعون لقانون و لا يرتبطون بأىّ تنظيم، فكان من العسير عليهم أن ينتقلوا من تلك الحالة فى طرفة مفاجأة، إلى التّقيّد بعامّة أحكام الإسلام و نظمه و قوانينه.

فمن أجل ذلك أخذهم القرآن فى ذلك بالوسيلة التّربويّة الّتى لا بدّ منها، و هى وسيلة التّدرج فى نقلهم من حياة الفوضى و التّفلّت، إلى حياة النّظام و التّقيّد بالمعايير الّتى لا بدّ منها فى المجتمع الصّالح. فنزلت أوّلا الآيات المتعلّقة بالعقيدة و دلائلها، حتّى إذا آمن النّاس و ثابوا إلى عقيدة التّوحيد، نزلت آيات الحلال و الحرام و عامّة الأحكام فى مهل و تدرّج. [ثمّ ذكر رواية عائشة عن البخارىّ كما سيجىء عنه فى أوّل ما نزل].

رابعا: اقتضت حكمة اللّه تعالى أن تكون عامّة أحكامه الّتى تضمّنها كتابه المبين، جوابا عن أسئلة أو حلّا لمشكلات واقعة، حتّى تكون أوقع فى النّفس و ألصق بالحياة.

و تلك وسيلة تربويّة ظاهرة لا تحتاج إلى مزيد بيان لها. و إنّما سبيل ذلك أن تتدرّج هذه الأحكام و آياتها فى النّزول تنتظر مناسباتها و ظروفها.

و لذلك نجد أنّ الكثير من آى القرآن إنّما نزل جوابا عن سؤال أو حلّا لإشكال، فمن الأوّل قوله تعالى:

وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتامى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَ إِنْ تُخالِطُوهُمْ فَإِخْوانُكُمْ ... «۲»

---

(۱)- القيامة/ ۱۶.

(۲)- البقرة/ ۲۲۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۲۴

و قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً فَاعْتَزِلُوا النِّساءَ فِي الْمَحِيضِ ... «۱»

و قوله جلّ جلاله: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفالِ قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَ الرَّسُولِ ... «۲»

و من الثّانى قوله تعالى: وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَ لَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ «۳».

و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِما أَراكَ اللَّهُ وَ لا تَكُنْ لِلْخائِنِينَ خَصِيماً «۴».

فقد نزل كلّ منها حلّا لمشكلة حدثت، و يطول بنا الحديث لو سردنا لك قصّة كلّ منها.

خامسا- اقتضى التّدرّج بالنّاس فى التّشريع أن يوجد ثمّة ناسخ و منسوخ، إذ ربّ حكم كانت المصلحة و الرّحمة بالنّاس تقتضى أخذهم به على مراحل، كتحريم الخمر مثلا، فقد اكتفى القرآن فى أوّل الأمر ببيان أنّ إضراره أكثر من فائدته؛ و ذلك فى قوله تعالى: يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ، قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما «۵»، حتّى إذا استقرّ فى النّفوس ذلك، نزلت آية تنهى النّاس عن السّكر فى أوقات الصّلاة، و ذلك فى قوله: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ ... «۶» و هو كما ترى تحريم جزئىّ فى فترات متقطّعة من الزّمن. فلمّا أخذ النّاس أنفسهم بذلك و اعتادوا الامتناع عن الخمر فى تلك الأوقات، نزلت آية قاطعة تحرمه تحريما كلّيّا. و ذلك هو قوله تعالى: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ

---

(۱)- البقرة/ ۲۲۲.

(۲)- الأنفال/ ۱.

(۳)- البقرة/ ۲۲۱.

(۴)- النّساء/ ۱۰۵.

(۵)- البقرة/ ۲۱۹.

(۶)- النّساء/ ۴۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۲۵

عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ «۱».

و أنت خبير أنّ كلّ مرحلة من هذه المراحل السّابقة إنّما هى نسخ لما قبلها، و تصعيد بالنّاس إلى طور جديد نحو تكامل التّشريع و استقراره. و هذا لا يتمّ- كما تعلم- إلّا بنزول القرآن منجّما على فترة طويلة من الزّمن.

و ثمّة حكم أخرى جليلة لهذه الظّاهرة فى نزول القرآن، نمسك عن سردها و الإطناب فيها، استغناء بما ذكرنا، و اكتفاء بالنّماذج عن الاستقصاء. (ص: ۳۲- ۳۶)

---

(۱)- المائدة/ ۹۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۲۶

الفصل السّادس و السّبعون نصّ الدّوزدوزانىّ فى «دروس حول نزول القرآن»

[نزول القرآن تدريجا أو جملة]

إنّ من العلوم هو نزول القرآن تدريجا فى مدّة ثلاث و عشرين سنة، يدلّ عليه صريحا قوله تعالى: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ ... «۱».

و حينئذ يشكل الأمر فى التّوفيق بينه و بين قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲»، و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳»، و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۴». و قيل فى التّوفيق بين الآيات وجوه:

الأوّل: ما أفاده العلّامة: فى «ميزانه» و تبعه من تبعه، و حيث كان هذا الوجه مقبولا بين العلماء مدّة تقرب خمسين سنة؛ لنقلهم مختاره فى كتبهم و محاوراتهم بلا إيراد و نقد عليه على ما رأيت، قصدت نقل كلامه بتمامه، ثمّ بيانه و نقده جزءا فجزءا حتّى لا يبقى لأحد محلّ إبهام فى مورد من كلامه.

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الدّخان/ ۲.

(۴)- القدر/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۲۷

و أقول و عليه التّكلان: قال فى «الميزان» بعد ردّ جملة من الأقوال: و الّذى يعطيه التّدبّر فى آيات الكتاب أمر آخر، فإنّ الآيات النّاطقة

بنزول القرآن فى شهر رمضان أو فى ليلة القدر منه إنّما عبّرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدّال على الدّفعة دون التّنزيل، كقوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، و قوله تعالى: حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ «١». و قوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ «٢».

و اعتبار الدّفعة إمّا بملاحظة اعتبار المجموع فى الكتاب أو البعض النّازل منه، كقوله تعالى: کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ «٣» ... [إلى أن ذكر قوله: (و إنّ تلك الحقيقة أنزلت على النّبىّ إنزالا فعلّمه اللّه بذلك حقيقة ما عناه بكتابه) كما بيّنّا عنه فى ذيل آية شَهْرُ رَمَضانَ ... ثمّ قال:] و مجمل كلامه من بدايته إلى نهايته هو أنّ للقرآن حقيقة غير هذا الّذى نزل مفرّقا، و هذا القرآن ليس بقرآن حقيقة، بل مثاله و لباسه و عكسه و ظلاله.

و هذه الحقيقة الّتى يسمّيه بها هى أصل القرآن، و ليس فيه فصل و تفريق و آية و سورة، إنّما هو على إحكامه و إتقانه بلا تجزئة أو تفريق، أو وجود أىّ لفظ- عربيّا كان أو غيره- نزلت جملة على الرّسول صلّى اللّه عليه و آله فى شهر رمضان. و استدلّ عليه بسبعة آيات كما مرّ منه مع توضيحه و بيانه.

و جعل مبنى ذلك كلّه فى رفع الإشكال من التّعارض بين الآيات، الفرق بين الإنزال الدّال على الإنزال الدّفعىّ، و بين التّنزيل الدّال على النّزول التّدريجىّ.

و حيث كان هذا الفرق كالأصل لمدّعاه كان من اللّازم بيان موارد استعمال هذين اللّفظين فى الكتاب العزيز و اللّغة، و بيان نقض مدّعاه، و عدم مساعدة القرآن و اللّغة عليه.

[الفرق بين الإنزال و التّنزيل]

فنقول: الفرق بين الإنزال و التّنزيل بما ذكره ليس من المسلّم به بين أهل اللّغة؛ قال

---

(١)- الدّخان/ ١- ٣.

(٢)- القدر/ ١.

(٣)- يونس/ ٢۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۲۸

الفيّومىّ: نزلت به و أنزلته و نزّلته بمعنى. و فى القاموس: نزّله تنزيلا و أنزله إنزالا و منزّلا ...

و استنزلته بمعنى.

و فى أسئلة القرآن المجيد و أجوبتها لأبى بكر الرّازىّ فى أوّل سورة آل عمران:

و الّذى وقع لى فيه فى الفرق بين الإنزال و التّنزيل و اللّه أعلم أنّ التّضعيف فى (نزّل) و الهمزة فى (أنزل) كلاهما للتّعدية؛ لأنّ نزل فعل لازم فى نفسه، و إذا كانا للتّعدية لا يكونان بمعنى آخر و هو التّكثير أو نحوه؛ لأنّه لا نظير له، و إنّما جمع بينهما و المعنى واحد- و هو التّعدية- جريا على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام، و تصرّفهم فيه على وجوه شتّى «١».

و علم ممّا ذكرنا أنّ الفرق بين الإنزال و التّنزيل بما ذكره العلّامة، ليس له دليل يعتمد عليه فى كتب اللّغة.

و لعلّ أوّل من فرّق بينهما فى كتب التّفسير هو صاحب الكشّاف، و تبعه من تبعه من المفسّرين بلا تحقيق.

و أمّا ما أفاده الرّاغب: و الفرق بين الإنزال و التّنزيل فى وصف القرآن و الملائكة، أنّ التّنزيل يختصّ بالموضع الّذى يشير إليه إنزاله مفرّقا و مرّة بعد أخرى، و الإنزال عامّ.

فشىء غير ما ذكروه؛ لأنّ الرّاغب لم يقل بالدّفعة فى الإنزال، بل قال: عامّ.

و منه یعلم أنّ من نسب الفرق المذکور إلیه غیر صحیح، مضافا إلی أنّه لم یعلم وجه تقییده بالقرآن و الملائکة، مع أنّ الاستعمالات القرآنیّة لا تؤیّده کما سیأتی. هذا ما تقتضیه کتب اللّغة، و هو عدم الفرق.

و أمّا الاستعمالات القرآنیّة فهی أیضا لا تساعد الفرق المذکور، فنشیر إلی بعض الموارد الّتی استعمل فیها التّنزیل فی الدّفعیّ؛

المورد الأوّل: قوله تعالی: کُلُّ الطَّعامِ کانَ حِلًّا لِبَنِی إِسْرائِیلَ إِلَّا ما حَرَّمَ إِسْرائِیلُ عَلی نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْراةُ «۲».

فالآیة کما تری استعمل لفظ التّنزیل فیها فی مقام الدّفعیّ؛ لأنّ من المسلّم أنّ التّوراة

---

(۱)- أسئلة القرآن و أجوبتها: ۲۶.

(۲)- آل عمران/ ۹۳.

أنزلت دفعة.

و قد أشیر إلی ذلک فی أوّل سورة آل عمران ذیل تفسیر الآیة نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ «۱».

حیث قال العلّامة: و یقال: إنّه استعمل التّنزیل فی القرآن و الإنزال فی التّوراة و الإنجیل؛ لنزولهما دفعة و القرآن تدریجا. [ثمّ ذکر قول صاحب الکشّاف، کما تقدّم عنه، فقال:] و الحال أنّها بمرأی منه؛ لأنّ الآیتین فی سورة واحدة.

و هذا النّقض کاف فی ردّ کلامه، بلا حاجة إلی ذکر موارد استعماله فی القرآن، إلّا أنّه نذکر موارد أخر لزیادة البصیرة.

المورد الثّانی: قُلْ لَوْ کانَ فِی الْأَرْضِ مَلائِکَةٌ یَمْشُونَ مُطْمَئِنِّینَ لَنَزَّلْنا عَلَیْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَکاً رَسُولًا «۲». الملائکة: جمع لملک، و فی الآیة استعملت الملائکة فی الجمع، و لذا أتت صفتها بلفظ الجمع یَمْشُونَ مُطْمَئِنِّینَ. و استعمل الملک فی المفرد لمکان قوله: رَسُولًا. فإذا تقرّر ذلک، و قد ظهر أنّه استعمل التّنزیل فی الملک و هو غیر قابل للتّدریج؛ لأنّه لا معنی للتّدریج فی الملک الواحد، فعلم أنّ الإنزال و التّنزیل بمعنی.

فلذا نری أنّه استعمل فی القرآن فی الملک مرّة بالتّنزیل کهذه الآیة، و أخری بالإنزال و التّنزیل کقوله تعالی: لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَیْهِ مَلَکٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنا مَلَکاً لَقُضِیَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا یُنْظَرُونَ «۳».

فعلم ان هذا إلّا تفنّنا فی العبارة.

المورد الثّالث: قوله تعالی فی قصّة إبراهیم علیه السّلام: وَ کَیْفَ أَخافُ ما أَشْرَکْتُمْ وَ لا تَخافُونَ أَنَّکُمْ أَشْرَکْتُمْ بِاللَّهِ ما لَمْ یُنَزِّلْ بِهِ عَلَیْکُمْ سُلْطاناً «۴»، فقوله تعالی فی الآیة: ما لَمْ یُنَزِّلْ استعمل فی غیر التّدریج؛ لأنّ المراد من «سلطان» الحجّة و البرهان، فحینئذ لا یناسب أن یقال: ما دام لم ینزل تدریجا حجّة و برهانا؛ إذ لیس فی المورد نظر إلی

---

(۱)- آل عمران/ ۳.

(۲)- الإسراء/ ۹۵.

(۳)- الأنعام/ ۸ و ۸۱.

(۴)- الأنعام/ ۸۱.

التّدریجیّ، فاستعمال التّدریج یکون بلا وجه، سیّما أنّ المقام من باب السّالبة بانتفاء الموضوع؛ لأنّه لیس فی الواقع دلیل علی الشّرکة حتّی ینزل.

المورد الرّابع: قوله تعالی: يَسْئَلُکَ أَهْلُ الْکِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ کِتاباً مِنَ السَّماءِ ... «۱»، و قوله تعالی: لَوْ نَزَّلْنا عَلَيْکَ کِتاباً فِی قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقالَ الَّذِينَ کَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ «۲»، و قوله تعالی: وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَيْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ «۳».

ففی الآيات الثّلاث استعمل التّنزيل فی الدّفعیّ؛ لأنّ الظّاهر أنّهم طلبوا منه صلّی اللّه عليه و آله الکتاب مجموعا لا مفرّقا. فلذا قال العلّامة؛ فی ذيل الآية الأولی: «الآيات تذکر سؤال أهل الکتاب رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله تنزيل کتاب من السّماء عليهم؛ حيث لم يقنعوا بنزول القرآن بوحی الرّوح الأمين نجوما».

و کما قال فی الکشّاف: «روی أنّ کعب بن الأشرف و فنحاص بن عازوراء و غيرهما قالوا لرسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: إن کنت نبيّا صادقا، فأتنا بکتاب من السّماء جملة کما أتی به موسی عليه السّلام، فنزلت الآية».

و الحاصل أنّ التّنزيل استعمل فی هذه الموارد الثّلاثة فی الدّفعیّ، مع أنّها غير قابلة للتّأويل و التّوجيه.

المورد الخامس: قوله تعالی: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ... «۴». الآية تدلّ علی أنّهم اقترحوا منه صلّی اللّه عليه و آله نزول آية من ربّه، و معلوم أنّهم ما اقترحوا آية تدريجيّة، بل طلبوا آية دفعيّة. و لذا قال فی الکشّاف: نزّل بمعنی أنزل «۵». نصوص فی علوم القرآن ۶۳۰

[الفرق بين الإنزال و التنزيل] ..... ص : ۶۲۷

قد سألوا منه صلّی اللّه عليه و آله آيات متعدّدة، کلّها غير تدريجیّ وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی

---

(۱)- النّساء/ ۱۵۳.

(۲)- الأنعام/ ۷.

(۳)- الإسراء/ ۹۳.

(۴)- الأنعام/ ۳۷.

(۵)- الکشّاف ۱: ۵۰۳.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۳۱

تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ عِنَبٍ ... «۱».

و لا معنی لسؤالهم تفجير الينبوع أو تحقّق الجنّة تدريجا، بل طلبوا منه صلّی اللّه عليه و آله آية و معجزة، فهی لا تکون إلّا دفعة و آنا.

و إن أبيت عن ذلک فنقول: إنّ الآية لا نظر فيها إلی التّدريج قطعا، سيّما بالنّظر إلی قوله تعالی: قُلْ إِنَّ اللَّهَ قادِرٌ عَلی أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً ... «۲»؛ لأنّ قدرته مطلقة يناسب عدم تقييده بالتّدريج.

و من هنا يعلم أنّ ما أفاده العلّامة فی توجيه الآية، و فی قوله تعالی: نُزِّلَ و يُنَزِّلَ مشدّدين من التّفعيل، دلالة علی أنّهم اقترحوا آية تدريجيّة، أو آيات کثيرة تنزّل واحدة بعد واحدة، کما يدلّ عليه ما حکی من اقتراحهم فی موضع آخر من کلامه تعالی:

وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَکَ حَتَّی تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً أَوْ تَکُونَ لَکَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ إلی أن قال: أَوْ تَرْقی فِی السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتَّی تُنَزِّلَ عَلَيْنا کِتاباً نَقْرَؤُهُ «۳».

إلی أن قال: و روی عن ابن کثير أنّه قرأ بالتّخفيف، غير صحيح؛ لأنّ الآيات المقترحة من عندهم الإتيان باللّه عزّ و جلّ، و نزول الملک، و تفجير الينبوع، و وجود الجنّة، و إسقاط السّماء کسفا، و کون البيت من الذّهب و الفضّة، و نزول القرآن، کلّها أو جلّها دفعیّ و غير قابل للتّدريج.

و أمّا قوله: «أو آيات کثيرة تنزّل واحدة بعد واحدة» فهو فی غاية الضّعف؛ لأنّ الآيات ذکرت ب (أو) الدّالة علی أنّهم طلبوا واحدة منها لا کلّها، و کأنّه توجّه لضعف کلامه، و أشار فی ذيله إلی وجه آخر بقوله: و روی عن ابن کثير أنّه قرأ بالتّخفيف. و هو و إن کان صحيحا فی نفسه إلّا أنّه قراءة شاذّة.

المورد السّادس: قوله تعالى: قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً ... «۴»، فمن

(۱)- الإسراء/ ۹۱- ۹۲.

(۲)- الأنعام/ ۳۷.

(۳)- الإسراء/ ۹۳.

(۴)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۲

المعلوم أنّ الكفّار حيث أنكروا نزول القرآن عليه تدريجا، فقالوا فى مقام الاعتراض:

لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً .... و معنى جُمْلَةً واحِدَةً أن يكون مكتوبا مثل التّوراة المكتوبة فى الألواح.

و يؤيّده- بل يدلّ عليه- قوله تعالى: يَسْئَلُكَ أَهْلُ الْكِتابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتاباً مِنَ السَّماءِ «۱».

و قد تقدّم منّا نقل خبر عن الكشّاف أنّهم قالوا تأتينا بكتاب من السّماء جملة كما أتى به موسى عليه السّلام.

فتحصّل أنّ استعمال التّنزيل فى المقام إنّما يصحّ على عدم الفرق؛ لأنّه لو فرض أنّ التّنزيل للتّدريج، لا معنى لأن يقال: لو لا نزّل عليه القرآن جملة واحدة فى كتاب.

و لو فرض فرضا بعيدا أنّ نزول القرآن جملة واحدة قابل للتّدريج، بأن ينزّل جبرائيل عليه السّلام من أوّل القرآن إلى آخره فى مجلس واحد- حيث أنّ هذا عين التّدريج كما فرضه العلّامة فى المقام- لا يستقيم أن يقال: إنّ التّنزيل بمعنى التّدريج؛ لأنّ نزول القرآن تدريجا معناه هو ما وقع فى الخارج من نزول القرآن قريب عشرين سنة.

فإذا فرض أن ينزّل فى مجلس واحد فهو دفعىّ، فيناسب الإنزال على مبناه، مع أنّ حمل جُمْلَةً واحِدَةً على نزوله فى زمان ممتدّ على ما أفاده، مشكل جدّا.

المورد السّابع: قوله تعالى: إِذْ قالَ الْحَوارِيُّونَ يا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ قالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... قالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنا أَنْزِلْ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ تَكُونُ لَنا عِيداً لِأَوَّلِنا وَ آخِرِنا ... قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ «۲».

فالمائدة- على ما هو الظّاهر- هو الطّبق الّذى عليه الطّعام كما فى المفردات، ففى الآيات المتواصلة جىء فى ثلاثة موارد، الإنزال و التّنزيل فى طلب المائدة. فالشّيء الواحد- و هو الطّبق من الطّعام- لا يصحّ التّعبير عنه بالإنزال مرّة بمعنى الدّفعىّ،

(۱)- النّساء/ ۱۵۳.

(۲)- المائدة/ ۱۱۲- ۱۱۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۳

و بالتّنزيل أخرى بمعنى التّدريجىّ، فعلم أنّ الفرق المذكور لا أساس له.

هذا مع أنّ كلام العلّامة فى ذيل الآية يدلّ على عدوله عن فرقه الّذى بنى عليه فى حلّ المسألة، نزول القرآن فى شهر رمضان، و اعتقاده أنّ للقرآن نزولين؛ حيث قال فى ذيل قوله تعالى: قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ ...: قرأ أهل المدينة و الشّام و عاصم مُنَزِّلُها بالتّشديد، و الباقون «منزلها» بالتخفيف على ما فى المجمع، و التّخفيف أوفق؛ لأنّ الإنزال هو الدّال على النّزول الدّفعىّ، و كذلك نزلت المائدة. فأمّا التّنزيل فاستعماله الشّائع إنّما هو فى النّزول التّدريجىّ كما تقدّم مرارا، انتهى كلامه.

و أنت ترى صراحة كلامه فى شيوع استعمال التّنزيل فى التّدريج لا أنّ معناه ذلك، مع أنّه قال فى ذيل قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ: إنّ معنى التّنزيل هو التّدريج فقط.

و لو تخلّص عن المخمصة بقوله: و التّخفيف أوفق، فما يقول فى قوله تعالى: هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنا مائِدَةً مِنَ السَّماءِ «۱»، بالتّشديد، و لم ينقل من أحد قراءته بالتخفيف، فعلم أنّ الإنزال و التّنزيل بمعنى واحد.

و من هنا قال فى المجمع ذيل الآية: و الوجه فى التّشديد أنّ «نزّل» و «أنزل» بمعنى واحد، يعنى أنّ عدم موافقة جوابه تعالى بعيسى عليه السّلام لا يضرّ؛ لأنّ «أنزل» و «نزّل» واحد.

هذا تمام الكلام من ناحية التّنزيل، و أمّا الإنزال فإثبات استعماله فى مقام التّدريج أمر مشكل بملاحظة توجيه العلّامة الآيات الّتى استعملت التّنزيل فى التّدريج؛ لأنّ كلّ مورد قلنا: إنّه استعمل فى مقام التّدريج، يقول: إنّه باعتبار المجموع، كما أفاد فى بيان الآيات الواردة فى الغيث و أمثاله، مع أنّه ادّعاء صرف، لا وجه له.

نعم، لو كان الفرق المذكور فرقا أساسيّا لا بدّ من المصير إلى هذا التّوجيه، إلّا أنّ دون إثباته خرط القتاد.

و مع هذا جاءت فى القرآن موارد استعمل الإنزال فى مقام التّدريج، و نشير إلى

---

(۱)- المائدة/ ۱۱۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۴

بعضها: منها قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً «۱»، و الثّجّاج كما فى مجمع البيان، أى صبّابا دفّاعا فى الصّبابة و قيل: مدرارا، عن مجاهد، و قيل: متتابعا يتلو بعضه بعضا، عن قتادة. و فى تفسير القمّىّ: ماء ثجّاجا، قال صبّا على صبّ. و أنت ترى أنّ المعانى كلّها تفيد التّكثير لا الدّفعىّ، و لو كان للفرق أساس كان المناسب أن يقول تعالى:

وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً. فاستعمال الإنزال الّذى يفيد الدّفعىّ على اعتقاد العلّامة فى الآية يدلّ على أنّه لا فرق بينهما.

و منها قوله تعالى: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ «۲».

أقول: الإنزال لم يستعمل فى المقام بمعنى الدّفعة؛ لأنّ الإنزال لو دلّ على الدّفعة يكون المعنى لو أنزلنا هذا القرآن دفعة على جبل لرأيته خاشعا متصدّعا من خشية اللّه.

فحينئذ يمكن أن يقال: إنّ هذا أثر للدّفعة، فلو أنزل القرآن لنا دفعة فيؤثّر فينا أيضا.

فعلم أنّه لا أساس للدّفعىّ فى الإنزال، و إلّا يلزم اختلاف المثال مع الممثّل، و هذا لا يصحّ. فالمعنى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل بنحو ما أنزلنا عليكم لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً ....

هذا مع أنّ ادّعاء إنّ الإنزال للدّفعىّ لا وجه له أصلا؛ لأنّ ما قيل فى التّفعيل من التّدريج لا يجوز فى الإفعال، لأنّه ليس للدّفعىّ فى باب الإفعال عين و لا أثر، و لم يقل به أحد، و ما رأيته فى واحد من كتب اللّغة.

و الخلاصة أنّ الفرق بين الإنزال و التّنزيل لا أساس له لغة و استعمالا، هذا تمام الكلام فى الإنزال و التّنزيل.

و أمّا أصل المدّعى للعلّامة أنّ للقرآن حقيقة غير ما بأيدينا، و غير ما يفهمه النّاس، فقد تكلّم فيه فى ذيل الآية: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۳». و تكلّم أيضا فى ذيل قوله تعالى: الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ

---

(۱)- النّبأ/ ۱۵.

(۲)- الحشر/ ۲۱.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۵

تَأْوِيلِهِ ... «۱»؛ قال: إنّ للقرآن حقيقة غير ما نفهمه، و هو المتّصف بالإحكام، و هذا القرآن النّازل تدريجا هو المتّصف بالتّفصيل، و أنّ

المراد من تأويل القرآن أيضا هو هذه الحقيقة.

و لا بدّ لتحقيق مدّعاه من المرور إلى الآيات الّتى استدلّ بها على ذلك فنقول:

الآية الأولى: قوله تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۲».

قال فى الميزان: و هذا الاحتمال الثّانى (كون القرآن ذا حقيقة أخرى) هو اللّائح من الآيات الكريمة، كقوله تعالى: كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ «۳»، فإنّ هذا الإحكام مقابل التّفصيل، و التّفصيل هو جعله فصلا فصلا و قطعة قطعة.

فالإحكام كونه بحيث لا ينفصل فيه جزء عن جزء، و لا يتميّز بعض عن بعض؛ لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء فيه و لا فصول.

و الآية ناطقة بأنّ هذا التّفصيل المشاهد فى القرآن إنّما طرأ عليه بعد كونه محكما غير مفصّل «۴»، انتهى كلامه.

قلت: و من المعلوم أنّ «الكتاب» مرفوع خبر لمبتدإ محذوف، و التّقدير هو أو هذا كتاب، و المشار إليه هو هذا القرآن المعهود، و إلّا لا يجوز حذف المبتدأ؛ لعدم القرينة.

فالمعنى هذا القرآن كتاب أحكمت آياته ثمّ فصلّت، و المحكم هو فى اللّغة المضبوط المتقن «۵». و فى المجمع: المحكم مأخوذ من قولك: أحكمت الشّىء، إذا أتقنته «۶».

و التّفصيل معناه التّبيين- كما يأتى بيانه- فالمعنى هذا القرآن كتاب متّصف بأنّه محكم بلا تزلزل، و مبيّن بلا إبهام، و ثمّ للتّرتيب اللّفظى.

فعلم ممّا ذكرنا أنّ ما أفاده العلّامة فى المقام غير صحيح، و لا معنى لجعل التّفصيل

---

(۱)- آل عمران/ ۶.

(۲)- هود/ ۲.

(۳)- هود/ ۲.

(۴)- الميزان ۲: ۱۴.

(۵)- مجمع البحرين- (مادّة حكم).

(۶)- ۲: ۴۰۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۶

صفة له باعتبار لفظه، فلذا أتى فى تفسير سورة هود ما يوافق ما ذكرنا؛ حيث قال:

فإنّما يتّصف بهما من جهة ما يشتمل عليه من المعنى و المضمون لا من جهة ألفاظه، إلى أن نقل ما اختاره فى سورة البقرة و ردّه بأشدّ ردّ؛ حيث قال: كقول بعضهم؛ إنّ المراد أحكمت آياته جملة ثمّ فرّقت فى الإنزال آية بعد آية؛ ليكون المكلّف متمكّنا من النّظر و التّأمّل «۱».

و قال فيه: إنّ الأحرى بهذا الوجه أن يذكر فى مثل قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۲». و قوله تعالى: قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۳».

و هذا القول الّذى نقله عن البعض و ردّه هو القول نفسه الّذى كتبه فى سورة البقرة كما مرّ آنفا.

و الحاصل أنّ التّدبّر فى الآية يعطينا أنّ الكتاب الّذى بأيدينا متّصف بوصفين:

الإحكام و التّفصيل، دون ما فى اللّوح و حقيقة القرآن- كما ادّعى؛ لأنّ الإحكام و التّفصيل متعلّق بالآيات؛ حيث قال: أُحْكِمَتْ آياتُهُ، فلو فرض كونه هو ممثّل القرآن و حقيقته، فليس له هناك آية، فعلى هذا ليس الإحكام صفة للكتاب الّذى هو الممثّل و الحقيقة فى العالم العلوىّ.

و علم منه أيضا أنّه ليس المراد من التّفصيل كونه قطعة قطعة، و آية آية، بل المراد أنّ آياته مع كونه محكما متقنا مفصّل، و تفصيله إمّا باعتبار أنّه يذكر القصص و الإحكام و العقائد بلا انحصار فى شىء منها، و إمّا باعتبار بيانه؛ لأنّ المحكم كأنّه يلوح منه أنّ مطالبه مجملة مندمجة، و الحال أنّه فصلّت و أوضحت آياته، كما قال فى المفردات:

كِتابٌ أُحْكِمَتْ آياتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ إشارة إلى ما قال: تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ.

و التّدبّر فى ذيل الآية مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ يؤيّد ما ذكرناه؛ حيث أنّ قوله:

حَكِيمٍ يناسب إتقان الآيات، فكأنّه يقول: إنّما أتقن لأنّه حكيم له الإتقان. و قوله:

خَبِيرٍ يناسب تبيين الآيات؛ لأنّه عالم بالأمور و الخفايا.

---

(۱)- الميزان ۱۰: ۱۴۲- ۱۴۳.

(۲)- الدّخان/ ۲.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۷

و إن شئت توضيحه فنقول: التّفصيل هو التّميز و التّبيين، و كلّما اتّصف القرآن و الكتاب به هو هذا المعنى.

و إذا راجعنا نفس القرآن نجده وافيا بالمدّعى، فانظر إلى قوله تعالى: وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ ءَ أَعْجَمِيٌّ وَ عَرَبِيٌّ ... «۱».

هل يحتمل عاقل كون التّفصيل هنا بمعنى التّقطيع؟ فإنّ معناه يكون حينئذ لقالوا:

لو لا قطّعت آياته، بل إنّهم حيث لم يفهموا لسان العجم يحسبونه حينئذ مجملا، فيقولون بلسان الاعتراض: لو لا فصلّت، أى لو لا بيّنت و تميّزت آياته.

و كذا قوله تعالى: تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ «۲»، و قوله تعالى: وَ كُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْناهُ تَفْصِيلًا «۳»، و قوله تعالى: وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ ما حَرَّمَ عَلَيْكُمْ «۴»، و كذا كلّ آية اشتملت على كلمة التّفصيل. إذا تقرّر هذا فقد اتّضح أنّ ما أفاده العلّامة فى معنى الإحكام و التّفصيل لا أساس له.

الآية الثّانية و الثّالثة: قوله تعالى: وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ* هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ «۵». و قوله تعالى: وَ ما كانَ هذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلَ الْكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ... «۶».

و اعتقد العلّامة أنّ الآيتين كالآية السّابقة دالّة على أنّ تفصيل القرآن أمر طارئ على الكتاب، فالكتاب شىء، و التّفصيل الّذى يعرضه شىء آخر، و أنّهم إنّما كذّبوا بالتّفصيل من الكتاب؛ لكونهم ناسين لشىء يؤول إليه هذا التّفصيل و غافلين عنه،

---

(۱)- فصلّت/ ۴۴.

(۲)- الأعراف/ ۱۴۵.

(۳)- الإسراء/ ۱۲.

(۴)- الأنعام/ ۱۱۹.

(۵)- الأعراف/ ۵۲ و ۵۳.

(۶)- يونس/ ۳۹.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۸

و سيظهر لهم يوم القيامة و ينظرون إلى علمه و لا ينفعهم النّدم. و قال: و فيها إشعار بأنّ أصل الكتاب تأويل تفصيل الكتاب.

قلت: أمّا كلامه فى مورد التّفصيل، فقد مرّ بنا بيانه فى الآية الأولى بأنّ تفصيل القرآن هو بيانه.

و بناء على ما قلنا يكون معنى قوله تعالى: بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ بيّنّاه على علم، و التّعليق على العلم باعتبار أنّ البيان و الإيضاح محتاج إلى العلم، و لا يناسب الجملة أن يكون المعنى قطّعناه و جعلناه آية آية على علم، مضافا إلى ما مرّ بنا آنفا أنّ استعمال التّفصيل فى القرآن إنّما هو بمعنى التّبيين.

و أمّا قول العلّامة رحمه اللّه إنّ أصل الكتاب تأويل تفصيل الكتاب، فليس المقام مقام بحثه و تحقيقه. و مع ذلك نشير إليه إجمالا، فنقول: الّذى يظهر من كلامه فى موارد متعدّدة من كتابه أنّ التّأويل هو حقيقة القرآن، و يدّعى أنه ليس فيه أىّ لفظ، و ليس قابلا للفهم، إلّا أنّه قيّده اللّه تعالى بالألفاظ ليقرّبها إلى الأذهان.

قال فى تفسير سورة آل عمران: و تأويل القرآن هو المأخذ الّذى يؤخذ منه معارفه.

و قال فى صفحة (۲۵): بل هو من الأمور الخارجيّة العينيّة. و قال فى صفحة (۴۹): إذا عرفت هذا، إنّ الحقّ فى تفسير التّأويل أنّه الحقيقة الواقعيّة الّتى تستند إليها الآيات القرآنيّة من حكم أو موعظة أو حكمة، و أنّه موجود لجميع الآيات القرآنيّة محكما و متشابها، و أنّه ليس من المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هى من الأمور العينيّة المتعالية من أن يحيط بها مشبّكات الألفاظ، و إنّما قيّده اللّه سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا، فهى كالأمثال تضرب ليقرّب بها المقاصد. و كذا فى صفحة (۵۵) و صفحة (۶۵) و صفحة (۵۴) من سورة آل عمران.

و قال فى سورة البقرة ذيل بيان قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ... و فيها إشعار بأنّ أصل الكتاب تأويل تفصيل الكتاب.

فظهر من تمام ما ذكره أنّ التّأويل هو حقيقة القرآن الّذى ليس فيه أىّ لفظ و آية، و هو الّذى نزل إلى قلب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى شهر رمضان جملة، و هذا المعنى هو الّذى لا يفهمه

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۳۹

البشر العادى.

قلت: الحقّ عندنا أنّ التّأويل هو ما يستند إليه الكلام من الإخبار و الإنشاء، فكلّ واحد منهما تأويل بحسبه، ففى الإخبار أنّ التّأويل هو ما مضى و يأتى من مطابق الإخبار، كما يظهر من بعض، أو المصلحة و المفسدة.

و فى الإنشاءات هو الحكمة و المصلحة المقتضية للأمر و النّهى و التّهديد و نحوها.

و يؤيّده بل يدلّ عليه الاستعمالات القرآنيّة، كقوله تعالى: يا أَبَتِ هذا تَأْوِيلُ رُءْيايَ «۱»، أى مطابقة، فتدلّ أنّ مطابق الخبر هو التّأويل.

و نظيره قوله تعالى: نَبِّئْنا بِتَأْوِيلِهِ «۲»، و قوله تعالى: إِلَّا نَبَّأْتُكُما بِتَأْوِيلِهِ «۳».

و أمّا قوله تعالى: ذلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً «۴»، فقد استعمل التّأويل فى المصلحة و الحكمة. و كذا قوله تعالى: سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ما لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً «۵».

و ممّا ذكرنا يعلم تفسير قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ «۶». فمعنى قوله: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ، أى مجىء مطابقه، و هو تحقّق يوم الجزاء، يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، أى مطابقه، و هو يوم الجزاء، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ، أى نسوا تأويله، مِنْ قَبْلُ، أى فى الدّنيا، قَدْ جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بِالْحَقِّ، فحينئذ أقرّوا بأنّ ما جاءت و أخبرت به الرّسل عن يوم الجزاء كان حقّا باعتبار ثبوت ذلك اليوم بالمعاينة.

و كذا قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِما لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَ لَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ «۷»، أى مطابقه يوم القيمة، و حيث لم يدركوا مطابقه أنكروه كما أنكر من قبلهم، كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ.

---

(۱)- یوسف/ ۱۰۰.

(۲)- یوسف/ ۳۶ و ۳۷.

(۳)- یوسف/ ۳۶ و ۳۷.

(۴)- الکهف/ ۸۲.

(۵)- الکهف/ ۷۸.

(۶)- الأعراف/ ۵۳.

(۷)- یونس/ ۳۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۴۰

و اعلم أنّ العلّامة حیث فسّر التّأویل بالحقیقة الّتی ادّعاها فاضطرّ هنا أن یلتزم وجود التّأویل و الحقیقة لکلمات الأنبیاء السّلف؛ حیث قال فی تفسیر الآیة: فلما جاء به سائر الأنبیاء من أجزاء الدّعوة الدّینیّة من معارف و أحکام تأویل. کما أنّ لمعارف القرآن و أحکامه تأویلا- من غیر أن یکون من قبیل المفاهیم. و لا یخفی ما فیه من البعد؛ لأنّ التّأویل علی ما ادّعاه کان أمرا مخصوصا للقرآن، و أنّ له ممثّلا و حقیقة غیر قابلة للفهم.

اللّهمّ إلّا أن یقال: إنّ مراده من التّأویل شیء آخر غیر ما استظهرناه؛ حیث أنّ کلماته فی بیان مراده متشتّتة و مختلفة.

و یظهر من بعض موارده أنّ التّأویل شیء آخر، و هو الحکمة و المصلحة، کما یظهر فی تفسیر سورة آل عمران «۱» و فی موارد أخر یجده المتتبع لکلامه.

فعلیه لا نتحاشی أن یکون لکلماتهم: تأویلا، بل کلّ کلام له تأویل بهذا المعنی، و هو حینئذ یکون قریبا ممّا ذکرنا، إلّا أنّه بهذا المعنی لا- یصحّ قوله: لکونه قرآنا فی اللّوح المحفوظ، و أنّه کان هناک علی إحکام و اندماج بلا أیّ لفظ من مشتبکات الألفاظ، و أنّه هو النّازل علیه صلّی اللّه علیه و آله فی شهر الصّیام، و ثمّ فصّلت و قطّعت آیة آیة و سورة سورة، و إنّه هو الّذی کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عالما به علی ما ادّعاه؛ بحیث کان یقرأ قبل جبرائیل علیه السّلام، حتّی نهی اللّه عنه بقوله: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ، مع قوله: إنّ أصل الکتاب تأویله و تفصیله.

و علی أیّ حال لیس المقام محلّا لنقض کلامه و إبرامه؛ لأنّه بحث طویل الذّیل، لعلّ اللّه عزّ و جلّ یوفّقنا للبحث فیه بصورة کامله.

الآیة الرّابعة: قوله تعالی: حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِیًّا لَعَلَّکُمْ تَعْقِلُونَ* وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ «۲».

قال العلّامة فی مقام الاستدلال بها: فإنّه ظاهر فی أنّ هناک کتابا عرض علیه جعله مقروء عربیّا، و إنّما ألبس لباس القراءة و العربیّة لیعقله النّاس، و إلّا فإنّه فی أمّ الکتاب

---

(۱)- المیزان ۳: ۵۳.

(۲)- الزّخرف/ ۱- ۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۴۱

عند اللّه لَعَلِیٌّ: لا تصعد إلیه العقول، حَکِیمٌ: لا یوجد فیه فصل و فصل. و فی الآیة تعریف للکتاب المبین، و أنّه أصل القرآن العربیّ المبین.

أقول: ظاهر کلامه أنّ المراد من الکتاب فی الموردین هو ما فی اللّوح المحفوظ، و المبین صفته، و أنّه جعله مقروء عربیّا لیعقله النّاس، و إلّا فإنّه فی أمّ الکتاب لا تناله العقول. و هو غیر صحیح لوجهین؛

الأوّل: توصیفه بلفظ المبین؛ لأنّ الإبانة بمعنی الإظهار و التّبیان، و هذا لا یناسب الکتاب الموجود فی اللّوح المحفوظ؛ لعدم الإبانة فیه،

بل على ما اعتقده أنّ القرآن هناك على وجه الاندماج و الإحكام.

الثّانى: أنّ لازم كلامه أنّ ما فى اللّوح المحفوظ فى اللّوح المحفوظ؛ لأنّه قال فى المقام: الضّمير يرجع إلى الكتاب، و قال: إنّ هناك كتابا عرض عليه جعله مقروءا، فيكون المراد من الكتاب هو ما فى اللّوح المحفوظ، و مراده من أمّ الكتاب هو اللّوح المحفوظ كما أقرّ نفسه «۱».

فيكون المعنى أنّ الكتاب المبين الّذى فى اللّوح المحفوظ هو فى اللّوح المحفوظ، و لا يخفى عدم صحّته، و لعلّه لم يتوجّه بأنّ نتيجة بيانه ذلك.

فالتّفسير الصّحيح هو أن يقال: إنّ الكتاب المبين هو القرآن الموجود بأيدينا. و المراد من جعله عربيّا إيجاده قرآنا بلفظ عربىّ، و إنّما جعل كذلك لعلّكم تعقلون، كما قال تعالى:

وَ لَوْ جَعَلْناهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقالُوا لَوْ لا فُصِّلَتْ آياتُهُ «۲».

و ممّا ذكرنا يعلم أنّ ما أفاده فى تفسير الآية ... إِنَّا جَعَلْناهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا ... «۳»، غير صحيح، بل فيه نوع من التّهافت، و الوجه فى ذلك يظهر بالتّأمل فى بيانه.

و أمّا أمّ الكتاب، و أنّه ما ذا؟ فأقول فيه ما قاله الخليل: كلّ شىء ضمّ إليه سائر ما يليه يسمّى أمّا؛ قال تعالى: وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتابِ، أى اللّوح المحفوظ، و ذلك لكون العلوم

---

(۱)- الميزان ۱۸: ۸۶.

(۲)- فصّلت/ ۴۴.

(۳)- الزّخرف/ ۱- ۴.

كلّها منسوبة إليه متولّدة منه «۱».

فحينئذ يكون المراد من الكتاب، الكتاب الجامع لكلّ شىء من التّوراة و الإنجيل و القرآن و غيرها، و هذا الكتاب الموجود بأيدينا متّخذ منه، و هو أمّ الكتاب، و هو عند اللّه محفوظ، لَعَلِيٌّ؛ لعلوّ مكانته، و حَكِيمٌ، أى ذو إحكام أو ذو حكمة، و هو أمر صحيح نقول به، إلّا أنّه لا يدلّ على شىء من معتقده، و هو دلالة الآية على كون القرآن فى اللّوح المحفوظ على وجه الإحكام و الاندماج، ثمّ فصّلت آية آية، و ألبس لباس القراءة و العربيّة؛ لأنّه خلاف ظاهر الآية، لعدم تلائم صدر الآية مع ذيلها كما مرّ.

و لو سلّمنا بصحّة تمام كلامه من أوّله إلى آخره، فلا يدلّ على أنّه نزل جملة على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و أنّه هو النّازل فى شهر رمضان، بل هو حدس صرف بلا دليل.

الآية الخامسة: قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ* لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ «۲».

قال العلّامة: فإنّه ظاهر فى أنّ للقرآن موقعا هو فى الكتاب المكنون لا يمسّه هناك أحد إلّا المطهّرون من عباد اللّه، و أنّ التّنزيل بعده، و أمّا قبل التّنزيل فله موقع فى كتاب مكنون عن الأغيار، و هو الّذى عبّر عنه فى آيات الزّخرف بأمّ الكتاب، و فى سور البروج باللّوح المحفوظ .. الخ.

قلت: التّدبّر فى الآيات يعطينا أنّ اللّه أتى بالقرآن فى المقام بصفات عديدة؛

الأولى: ال كَرِيمٌ.

الثّانية: فِى كِتابٍ مَكْنُونٍ.

الثّالثة: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ.

الرّابعة: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمِينَ.

فعليه يكون ظاهر قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ: أنّ هـذا القرآن الموجود بأيـدينا لا يمسّه إلّا المطهّرون، لا ما استفاده العلّامة من إرجاع الضّمير إلى كتاب مكنون؛

---

(۱)- مفردات الرّاغب مادّة «أمّ».

(۲)- الواقعة/ ۷۷- ۸۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۴۳

ليكون المعنى أنّ هـذا القرآن فى العالم الأعلى مكنون و محفوظ، بحيث لا يمسّه إلّا المطهّرون، و هم الأئمّة عليهم السّلام مثلا. و لا يخفى بعده؛ لأنه تكون الجملة حينئذ كالمعترضة، فيكون قوله: تَنْزِيلٌ صفة ثالثة للقرآن.

هذا إجمال المطلب، و إن شئت التّفصيل فنقول: إنّ غرض السّورة تقسيم النّاس فى يوم القيامة، و يشعر فى ضمنه إلى حال المكذّبين للقيامة و القرآن، و من هنا يقول تعالى:

إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، و الضّمير للقرآن المعلوم من السّياق.

و المعنى ما بيّنت لكم لقرآن كريم نافع للنّاس؛ لاحتوائه المعارف الّتى فيها السّعادة للبشر، و هذا القرآن المحتوى للسّعادة فى كتاب مكنون، و الكتاب المكنون هو ما فى اللّوح المحفوظ، أثبت اللّه فيه القرآن، و هذا هو المعروف بينهم فى تفسير كتاب مكنون.

و قد يقال: إنّه المصحف الموجود بأيدينا، و هو المنقول عن مجاهد و غيره، و يؤيّده قوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ «۱». لأنّ المراد حفظ ما فى المصحف الموجود عن التّحريف. و هذا ظاهر كلام السّيد فى «الدّرر» نقلا عن ابن الأنبارىّ «۲».

فعلى أىّ حال- سواء كان المراد أنّ هـذا القرآن فى اللّوح محفوظ، أو أنّ هذا القرآن الّذى بأيدينا محفوظ لا تصله يد التّحريف- أنّ مقتضى نظم الكلام حينئذ هو أن يكون قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ صفة ثالثة للقرآن الموجود بأيدينا.

و المعروف بينهم أنّ المراد من المسّ هو اللّمس بالبدن، فيكون معنى لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، أى لا بدّ من الطّهارة حين المسّ. فحينئذ يشير إلى حكم شرعىّ، فهو إخبار فى مقام الإنشاء.

و قد يقال: إنّ المسّ بمعنى الدّرك كما فى المفردات «۳»: لا يَمَسُّهُ، أى لا يعلمه، فحينئذ يكون المعنى أنّ هـذا القرآن الموجود لا يدركه إلّا الأفراد المطهّرون.

و أمّا العلّامة فحمل المسّ بالمعنى الثّانى؛ حيث قال فى سورة الواقعة: فمسّه هو العلم

---

(۱)- الحجر/ ۹.

(۲)- الدّرر ۲/ ۴۲۷ ذيل مجلس الثّانى و الثّلاثون.

(۳)- مفردات القرآن: مادّة «طهر».

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۴۴

به، و جعل الجملة صفة للكتاب المكنون الّذى فيه القرآن، و هو اللّوح المحفوظ، و قال: إنّ للقرآن موقعا هو فى الكتاب المكنون لا يمسّه هناك إلّا المطهّرون، و أنتج أنّ حقيقة القرآن و أصله الّذى هو خال عن التّفصيل و العربيّة هو النّازل عليه صلّى اللّه عليه و آله فى شهر رمضان جملة.

و عليه يكون قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ كالجملة المعترضة بين أوصاف القرآن. و ما اختاره بعيد من وجوه؛

الأوّل: أنّه ليس غرض الآيات بيان أنّ أصل القرآن شىء لا يفهمه أحد، و المقام لا يناسب لبيانه، بل المقام فى بيان حال القرآن و

أوصافه، و أنّه نافع لكرامته، و أنّه فى كتاب مكنون محفوظ، لا يمكن التّصرّف فيه و التّحريف، و أنّ هذا القرآن لكرامته و عظمته لا يجوز مسّه بلا طهارة، و فى المرتبة الرّابعة أنّه تنزيل من ربّ العالمين، و ليس كلام عادىّ و لا سحر و نحوه أ فَبِهذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ «۱».

الثّانى: أنّ حمل المسّ على اللّمس المعنوىّ لعلّه لا شاهد له فى لغة العرب، كما يفهم من لسان العرب و المفردات، و فسّر الأخير المسّ باللّمس «۲».

و فى المصباح المنير: مسسته، ... أفضيت إليه بيدى من غير حائل.

و أنكر المجلسىّ الأوّل رحمه اللّه استعمال المسّ فى الفهم؛ قال: و إن كان لفظ المسّ ظاهرا فى المعنى الأوّل (مسّ الورق)؛ لأنّ استعمال المسّ بمعنى الفهم فى العرف الجديد، و الظّاهر أنّه لم يكن فى كلام العرب، و لا فى عرفهم ذلك، «۳» و قال مثله فى شرحه الفارسىّ على «من لا يحضره الفقيه».

الثّالث: أنّ الأخبار الواردة عنهم عليهم السّلام يخالف هذا الوجه؛ لأنّ الكاظم و الباقر عليهما السّلام فسّرا لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ بالمصحف الموجود و مسّه؛ عن أبى الحسن عليه السّلام قال:

«المصحف لا تمسّه على غير طهر، و لا تمسّ خطوطه و لا تعلّقه، إنّ اللّه يقول: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ،

---

(۱)- الواقعة/ ۸۱.

(۲)- مفردات القرآن: مادّة «مسّ».

(۳)- روضة المتّقين ۱: ۲۳۹.

و نظيره عن الباقر عليه السّلام «۱».

و فى الصّافى: و فى الاحتجاج: لمّا استخلف عمر سأل عليّا عليه السّلام أن يدفع إليهم القرآن فيحرّفوه فيما بينهم، فقال: يا أبا الحسن إن جئت بالقرآن الّذى جئت به إلى أبى بكر حتّى نجتمع عليه. فقال عليه السّلام: «هيهات ليس إلى ذلك سبيل، إنّما جئت إلى أبى بكر لتقوم الحجّة عليكم، و لا تقولوا يوم القيامة: إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ، أو تقولوا: ما جئتنا به، فإنّ القرآن الّذى عندى لا يمسّه إلّا المطهّرون و الأوصياء من ولدى».

و الحديث كما ترى يدلّ على أنّ الآية صفة لهذا القرآن دون ما فى اللّوح المحفوظ.

فتحصّل أنّ قوله تعالى: لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ صفة للقرآن الموجود بأيدينا، و لو تنازلنا عن ذلك و قلنا: إنّ الجملة لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ صفة لكتاب مكنون، و المراد به ما فى اللّوح المحفوظ، فنقول: بناء عليه الآية لا تدلّ على أنّ ما فى اللّوح المحفوظ هو ممثّل القرآن و حقيقته.

بل لنا أن نقول: إنّ ما فى اللّوح المحفوظ هو ما بأيدينا بعينه، فيكون المعنى لا يمسّ القرآن الّذى فى اللّوح المحفوظ إلّا المطهّرون، فمن المسلّم أنّ القرآن هناك لا يمسّه إلّا المطهّرون.

و لو تنازلنا عن ذلك أيضا و قلنا: إنّ ما فى اللّوح المحفوظ هو ممثّل القرآن و حقيقته على وجه الإحكام، لا دليل لنا على أنّه هو النّازل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فى شهر رمضان.

و مجرّد ادّعاء الفرق بين الإنزال و التّنزيل لا يثبت ذلك، مع أنّه مرّ بنا عدم صحّة الفرق المذكور فراجع.

الآية السّادسة و السّابعة: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ «۲»، و قوله: لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ... «۳».

قال العلّامة فى تقريب مدّعاه: و هذا هو الّذى يلوح من نحو قوله تعالى:

(۱)- وسائل الشّیعة ۱: باب ۱۲ من أبواب الوضوء.

(۲)- طه/ ۱۱۴.

(۳)- القیامة/ ۱۶- ۱۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۴۶

لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ، و قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ، فإنّ الآیات ظاهرة فی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله کان له علم بما سینزل علیه، فنهی عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحی و سیأتی توضیحه فی المقام المناسب به، انتهی کلامه.

قلت: ترد علیه أمور؛

الأمر الأوّل: أنّ الّذی استظهره من الآیتین من علم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله بالقرآن قبل نزوله، بحیث کان یقرأ قبل انقضاء الوحی، فشیء خلاف معتقده؛ لأنّه اعتقد أنّ الّذی کان فی اللّوح المحفوظ- علی إحکام لیس فیه أیّ فصل و آیة و لفظ سواء کان لفظا عربیّا أو غیره- نزل علیه جملة. و نهایة ما فی اللّوح المحفوظ هو حقیقة القرآن بلا لباس، و هو الّذی نزل علی قلب الرّسول جملة، و هذا شیء لا یمسّه إلّا المطهّرون؛ لأنّه لیس قابلا للفهم للبشر العادیّ. فعلیه من أین علم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ألفاظ القرآن حتّی کان یقرأ قبل قراءة جبریل؟

نعم، هذا موافق لما صار إلیه بعضهم من نزول نفس القرآن- الّذی نزل فی مدّة ثلاث و عشرین سنة- فی لیلة مبارکة، إلّا أنّه لا یقول به.

الأمر الثّانی: أنّ الآیات تدلّ علی أنّه لم یکن عالما بمضامین القرآن و هی کثیرة، منها قوله تعالی: طه ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی «۱». و منها: یا أَیُّهَا النَّبِیُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحَلَّ اللَّهُ لَکَ «۲».

و نحوهما سائر عتابات النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، لأنّ من المسلّم به من تفسیر الآیة الأولی هو أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعد نزول القرآن کان یکثر من العبادة، بحیث تتورّم قدماه، فنزل طه.

فحینئذ نقول: إذا کان القرآن نزل جملة فی شهر رمضان علی قلبه صلّی اللّه علیه و آله، و کانت هذه الآیة فی ضمنه نازلة، فمع نزوله قبلا علیه صلّی اللّه علیه و آله و علمه بمحتواه کیف لم یعمل وفقه، و لم یتّبع بعلمه، و تورّمت قدماه؟ حتّی نزل مرّة أخری فی مرحلة التّدریج کما سیأتی تفصیله.

إن قلت: کما قیل: إنّ فی النّزول الأوّل لم یکن مأمورا بالعمل طبقه، فلذا احتاج إلی

(۱)- طه/ ۱.

(۲)- التّحریم/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۴۷

النّزول التّدریجیّ.

قلت: أوّلا- فما فائدة النّزول حینئذ جملة إذا لم یجب العمل به حتّی بالنّسبة إلی نفسه؟

و ثانیا: أنّه لا معنی أصلا بعدم کونه مأمورا للعمل؛ لأنّه بعد حصول العلم أنّه مکروه أو محبوب لا یجوز الارتکاب فی الأوّل و التّرک فی الثّانی، و لو سلّمنا فهل کان مأمورا بالعمل علی خلافه حتّی تتورّم قدماه؟ فمنه یظهر حال الآیة الثّانیة.

فالنّتیجة إنّ الالتزام بأنّه کان عالما بتمام القرآن بنزوله جملة لا تساعده الآیات القرآنیّة.

و ثالثا: أنّ تفسير الآيتين بما ذكره و بيّنه غير مستقيم كما لا يخفى على من نظر بعين الإنصاف.

بل عندنا أنّ الآيتين تدلّان أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان مشفقا لحفظه أو أخذه، و كان يعجل بذلك حتّى لا ينساه أو يأخذه، و بذلك قرائن من نفس الآيتين كما سنبيّن، و من خارجهما كقوله تعالى: سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسى «۱». هذا إجمال الكلام، و أمّا تفصيل المطلب فنقول:

أمّا الآية الأولى لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً «۲»، ذكر المفسّرون فيها وجوها، فإليك نصّ الشّيخ فى التّبيان: أى لا تسأل إنزاله قبل أن يأتيك وحيه، و قيل: معناه لا تلقه إلى النّاس قبل أن يأتيك بيان تأويله، و قيل: و لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبريل من أدائه إليك، انتهى كلامه.

و قبل بيان المختار نقول: إنّ حمل الآيتين بمعنى واحد بعيد بل لا يصحّ، و إن فسّرهما بمعنى واحد العلّامة و غيره؛ لأنّ التّكرار فى النّهى عنه صلّى اللّه عليه و آله لا- معنى له، لأنّ النّبىّ بالنّهى الأوّل. كان ينتهى، فلا وجه لنزوله ثانية بعد مدّة. كما ذكر فى ترتيب النّزول أنّ القيامة نزلت قبل طه بأكثر من عشرة سور، فلا بدّ أن تحمل الآيتان بمعنى يغاير إحداهما الأخرى.

---

(۱)- الأعلى/ ۶.

(۲)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۴۸

فحينئذ نقول: إنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله كان يعجّل بالقرآن، و كان يسأل منه تعالى نزوله، فنهى اللّه تعالى عن العجلة و سؤاله نزول القرآن قبل وقته؛ لأنّ لنزول الآيات مصالح تقتضيه، فقبل هذا لا معنى لنزوله.

و يؤيّده بل يدلّ عليه أمور؛

الأمر الأوّل: النّهى عن القرآن لا عن القراءة، و ليس فى البين قرينة على حذفها حتّى يقال: لا تعجل عن قراءة القرآن، فالعجلة بالقرآن إنّما هى سؤاله صلّى اللّه عليه و آله عنه تعالى نزوله.

إن قلت: إنّه على هذا أيضا يلزم تقدير نزول القرآن و طلبه.

قلت: نعم، هذا معنى العجلة بالقرآن و تفسيره لا تقديره، فإنّه إذا قيل: لا تعجل بكذا، يراد به لا تعجل على أخذه بدون حذف و عناية، و ليس كذلك ما لو قيل: لا تعجل بالقرآن، يراد به تلاوته؛ لأنّ إرادة الكيفيّة يحتاج إلى عناية خاصّة.

و الأمر الثّانى: قوله تعالى: إِلَيْكَ فإنّ التّعدية بإلى يفيد ذلك كما فى المنجد؛ قال:

قضى الأمر إليه: بلغه. و حينئذ يكون المعنى لا تعجل بالقرآن فى أخذه قبل بلوغ الوحى.

و الظّاهر عدم استعمال «قضى» متعدّيا بإلى فى المعنى الّذى ذكره بقوله: قبل قضاء الوحى، أى تمامه.

و الأمر الثّالث: قوله تعالى: رَبِّ زِدْنِي عِلْماً، فسؤال ازدياد علمه إنّما يناسب هذا المعنى. أعنى العجلة بنزول القرآن و إلّا التّعجيل فى الحفظ أو القراءة قبل النّزول لا يناسب قوله تعالى: رَبِّ زِدْنِي عِلْماً.

و إنّى بعد كتابة هذا صادفت كلام السّيّد فى «الدّرر» يعجبنى الإشارة إليه إجمالا، فإنّه قال فى أوّل كلامه: قلنا: قد ذكر المفسّرون فى هذه الآية وجهين نحن نذكرهما و نوضّح عنهما، ثمّ نتلوهما بما خطر لنا زائدا على السّطور. إلى أن قال: فأمّا الجواب الثّالث الزّائد على ما ذكر فهو أنّه غير ممتنع أن يريد لا- تعجل بأن تستدعى من القرآن ما لم يوح إليك به، فإنّ اللّه إذا علم مصلحة فى إنزال القرآن عليك، أمر بإنزاله و لم يؤخّر عنك «۱».

و أمّا حمل الآية بأنّه صلّى اللّه عليه و آله كان يقرأ قبل إتمام الوحى ما لم يوح إليه كما احتمله

---

(۱)- و إن شئت تمام کلامه فراجع الدّرر ۲: ۳۵۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۴۹

العلّامة؛ حیث قال بعد مقدّمة: و یؤول المعنی إلی أنّک تعجل بقراءة ما لم ینزّل بعد؛ لأنّ عندک علما به فی الجملة، لکن لا تکتف به .. الخ. فشیء منکر؛ لأنّ الدّخول فی کلام المتکلّم العادی، و تکلّم المخاطب وسط کلامه قبل تمام کلام المتکلّم قبیح، لا یرتکب به فرد متعارف، فکیف یرضی المسلم العارف بمقام الرّسالة- مع أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان عارفا بمقامه تعالی، و أنّ الملک إنّما یقرأ کلامه تعالی، و أنّ الوظیفة إذا قرئ القرآن لا بدّ من الإنصات و الاستماع- أن یقول: إنّه صلّی اللّه علیه و آله دخل علی کلامه تعالی، و قرأ ما لم ینزل و لم ینصت و لم یسمع کلامه تعالی. مع عدم أیّ فائدة فی عجلته هذه، إلّا أن یشعر الملک مثلا أنا عارف بالقرآن قبل وحیک و قراءتک، و هذا شیء لا یمکن احتماله فی حقّه صلّی اللّه علیه و آله.

هذا کلّه مع أنّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله کان ینتظر کثیرا لنزول القرآن من ربّه، و کان مشتاقا.

و لعلّ هذا واضح عند کلّ من له اطّلاع بحالاته صلّی اللّه علیه و آله، فعلیه لا معنی للعجلة بالمعنی الّذی ذکره.

و أمّا قول العلّامة: لأنّ عندک علما به فی الجملة، لکن لا تکتف به، ففیه أوّلا: أنّ أصل القرآن و حقیقته لیس بعض القرآن حتّی یقال فی الجملة، بل هو عینه کما صرّح به مرارا.

و ثانیا: العلم الإجمالیّ یوجب السّکوت لا العجلة کما لا یخفی.

و أمّا الآیة الثّانیة قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱». فظاهر الآیة أنّه صلّی اللّه علیه و آله کان یحرّک لسانه عند نزول الوحی، و یستعجل بقراءة القرآن قبل تمام الوحی، فنهاه تعالی عن ذلک، و أشار إلی سبب تعجیله، و أنّه کان یخاف من تلفه و نسیانه، فقال: إنّ علینا جمعه لک فی صدرک و قراءته علیک، فإذا قرأناه علیک تماما فاتّبع قراءته و اقرأ.

و هذا المعنی وردت فیه روایات عدیدة عن ابن عبّاس و غیره، و لعلّه یأتی منّا الإشارة إلی بعضها، و هو الّذی ذکره أوّل مفسّری الشّیعة، أعنی الشّیخ فی تبیانه، و علیه دلیل من نفس الآیة، فإنّ قوله تعالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ فی مقام التّعلیل لقوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ، و هذا التّعلیل یناسب ما ذکرناه؛ لأنّ المعنی حینئذ لا تقرأ

---

(۱)- القیامة/ ۱۶- ۱۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۵۰

القرآن قبل تمام الوحی، و لا تخف نسیانه؛ لأنّه علینا أن نجمعه من التّلف، بحیث لا تنسی منه شیئا کما وعد اللّه تعالی به فی قوله: سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی. و من هنا تعلم أنّ ما أفاده العلّامة فی بیان التّعلیل علیل؛ لأنّه بعد تفسیره قوله تعالی: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ.

[ثمّ ذکر قول العلّامة الطّباطبائیّ فی ذیل آیة لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ کما تقدّم عنه، فقال:] و أنت تعلم أنّ العجلة لنزول القرآن، و أنّه کان یستعجل به، بحیث کان یقرأ قبل قراءة جبریل، لا تناسب قوله: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ «۱».

فقول العلّامة: إنّ علینا أن نجمع ما نوحیه إلیک بضمّ بعضه إلی بعض و قراءته علیک، یناسب ما فسّرنا من خوف النّسیان. و منه یعلم أنّ ذیل کلامه: فلا یفوتنا شیء حتّی یحتاج إلی أن تسبقنا إلی قراءة ما لم نوحیه بعد، غیر صحیح؛ لأنّ السّبقة علی قراءة ما لم ینزل لا یلائم الجمع و ضمّ بعضه إلی بعض، و لیس بینهما مناسبة حتّی یحمل کلامه تعالی علیه، کما لا یخفی علی العارف و بالأسلوب هذا، و یشهد علی صحّة ما ادّعیناه جملة من الرّوایات.

[ثمّ ذکر روایة ابن عبّاس و سعید بن جبیر و ابن المنذر عن قتادة، کما تقدّم عن الطّبرسیّ و السّیوطیّ فی ذیل آیة لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ فقال:]

و أنت تری صراحة الرّوایات کلّها فی ما قلناه. و مع ذلک قال العلّامة فی بحثه الرّوائیّ بعد نقله فی «الدّرّ المنثور»: أقول: و روی فی

معنی صدر الحدیث فی المجمع عن ابن جبیر و فی معناه غیر واحد من الرّوایات، و قد تقدّم أنّ فی انطباق هذا المعنی علی الآیات خفاء.

قلت: إنّه ظهر ممّا ذکرنا فی تفسیر الآیة أنّه لیس فی انطباق هذا المعنی علی الآیة خفاء، بل لیس معناها إلّا ما فی الرّوایات، فالعدول عمّا ذکرنا إلی ما ذکره بلا دلیل معتبر لا وجه له.

و لیس علی مدّعاه خبر و لا شاهد، لا من نفس الآیة و لا من خارجها، مع أنّه علی ما ادّعیناه شاهد من نفس الآیة و من خارجها من الکتاب و السّنّة، و قد مرّ آنفا الإشارة إلیهما.

---

(۱)- القیامة/ ۱۶- ۱۷.

و النّتیجة من تمام ما ذکرنا إلی هنا أمور:

۱- عدم الفرق بین الإنزال و التّنزیل.

۲- عدم صحّة أن یکون للقرآن أصل و هذا لباسه.

۳- عدم صحّة نزول أصل القرآن فی شهر رمضان للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله.

۴- عدم صحّة تفسیر الآیات السّبع علی مدّعی العلّامة.

و حینئذ نقول: إنّ ما أفاده- فی الجمع بین قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ ... «۱». و بین قوله تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ ... «۲»، بقوله:

من أنّ تمام القرآن و أصله و حقیقته بلا- أیّ لفظ و تقطیع إنّما أنزل فی شهر رمضان، و القرآن الموجود بأیدینا نزل قطعة و مفصّلا، مدّة ثلاث و عشرین سنة فی المواطن المخصوصة بحسب الحاجة- لیس بصحیح کما مرّ تفصیله.

الوجه الثّانی: فی الجمع بین الآیات ما ذهب إلیه الصّدوق، و قال فی اعتقاداته: ...

[و ذکر کما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و استدلّ علیه بروایات، و هی علی ما تفحّصناه ثلاث روایات نقلها فی «تفسیر البرهان»، و هی و إن کان ظاهرا ثلاث روایات إلّا أنّها ترجع إلی روایة واحدة.

فنورد أوّلا متن الرّوایات، ثمّ نتکلّم فی سندها و دلالتها، الأولی: ... [ثمّ ذکر روایة حفص بن غیاث عن الإمام الصّادق علیه السّلام کما تقدّم عن الکلینیّ، فقال:]

قلت: ففی سند الحدیث ما لا- یخفی، فإنّ حفص عامّیّ بلا- ریب، و لم یثبت توثیقه، و فی قاموس الرّجال: قال فی «الوجیزة» إنّه ضعیف، أو موثّق بشهادة الشّیخ فی «العدّة» بعمل الأصحاب بخبره. قلت: هو غلط، فإنّ «العدّة» إنّما قال: إنّ الإمامیّة إنّما یعملون بأخبار العامّة مثل حفص بن غیاث إذا لم یکن له معارض من خبر إمامیّ و لا إعراض ..

الخ «۳».

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۳)- قاموس الرّجال ۳: ۳۶۵.

و أمّا سليمان بن داود، فالظّاهر أنّه المنقرىّ، و لم يثبت توثيقه، بل نقل عن الغضائرىّ أنّه ضعيف جدّا لا يلتفت إليه، يوضع كثيرا على المهمّات «۱»، و هو عامّىّ نسبت إليه بعض الأعمال الرّذيلة نعوذ باللّه. إن شئت فراجع.

و أمّا قاسم بن محمّد، فالظّاهر أنّه قاسم بن محمّد كاسولا؛ لروايته عن سليمان بن داود، و الرّجل لم يوثّق، بل عن الغضائرىّ ضعيف فى حديثه، يعرّف تارة و ينكّر أخرى، و يجوز أن يخرج شاهدا. فعلم ممّا ذكرنا أنّ السّند غير معتبر.

و الثّانية: الحديث العاشر من «البرهان»، فهو كأنّه هذا الحديث بعينه، إلّا أنّه حذف فيه السّند؛ لأنّه نقل علىّ بن إبراهيم الحديث عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، و هو غير ممكن كما لا يخفى؛ لعدم ثبوت رواية له عن المعصومين.

و الثّالثة: ما رواه عن علىّ بن إبراهيم فى ذيل سورة القدر؛ قال: فهو القرآن أنزل إلى البيت المعمور جملة فى ليلة القدر.

و الظّاهر أنّه لم ينقل فيه حديثا، بل هو تفسير منه و بيان، فيرجع الأحاديث الثّلاثة فى الباب إلى حديث واحد. إذا تقرّر ذلك أقول: يرد على هذا الجمع أمور:

الأوّل: إنّ سند هذا القول حديث واحد لا يوجب علما و لا عملا، كما صرّح به المفيد رحمه اللّه؛ قال فى تصحيح الاعتقادات: الّذى ذهب عليه أبو جعفر؛ ... [و ذكر كما تقدّم عنه، ثمّ قال:]

و الثّانى: إنّ هذا الجمع لا يناسب قوله تعالى: هُدىً لِلنَّاسِ حيث أنّه فى البيت المعمور ليس فيه أىّ هداية، و لا يقاس القرآن على القوانين المنشأة فى الدّول حتّى يقال:

إنّه هاد شأنا.

و ذلك لأنّ القرآن ينزل بحسب ما تدعو إليه الحاجة، فقبل الحين لا يناسب مثل قوله تعالى: قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجادِلُكَ فِي زَوْجِها ... «۲»، و قوله تعالى: طه ما أَنْزَلْنا

---

(۱)- قاموس الرّجال ۴: ۴۷۱.

(۲)- المجادلة/ ۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۵۳

عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقى «۱»، و قوله تعالى: عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ «۲»، لأنّه لا معنى لنزول هذه قبل تحقّق الموضوع إلّا تكلّفا. و سيأتى منّا فى الجمع الثّالث بيانه تفصيلا.

و الثّالث: أنّه لا يعلم أىّ حكمة فى نزوله إلى البيت المعمور؛ قال الشّعرانىّ فى «حاشية تفسير أبى الفتوح»: أمّا وجه نزوله إلى السّماء الدّنيا أوّلا، و عدم نزوله إليه صلّى اللّه عليه و آله من اللّوح ابتداء لم يعلم لنا وجهه. نعم، لو كان فى البين دليل متقن نلتزم به، و أنّى لنا هذا الدّليل؟.

الوجه الثّالث: أنّ نفس القرآن نزل فى شهر رمضان على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، ثمّ نزل تدريجا، لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ، و كأنّه صلّى اللّه عليه و آله لم يكن مأذونا فى تلاوته و نشره أوّلا.

و يقرب منه ما اختاره الفيض فى المقدّمة التّاسعة فى تفسيره الصّافى؛ حيث قال:

كأنّه أريد به البيت المعمور نزول معناه على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و هو ظاهر بعض الرّوايات، كخبر مفضّل بن عمر فى حديث طويل عن الإمام الصّادق عليه السّلام أنّه قال: ... [و ذكر كما تقدّم عن المجلسىّ، ثمّ قال:]

أقول: فى فقه الحديث ما لا يخفى، فإنّه و إن كان ذيل الحديث يدلّ على مدّعاه، و أمّا صدره فمبهم، و ما أدرى أىّ شىء فهم المفضّل من الآيات الأربعة المتعارضة حتّى قال: يا مولاى فهذا تنزيله الّذى ذكره اللّه فى كتابه؟ هذا و يرد على هذا الوجه أمور؛

الأوّل: أنّ الخبر، خبر واحد لا یفید علما و لا عملا، و لا یمکن التّمسّک به مع تعارضه بأخبار أخر، و من هذه الأخبار ما یدلّ علی نزوله جملة علی البیت المعمور، و أمّا المقصود بالبیت المعمور هو قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله کما قال الفیض، فلیس له دلیل.

الثّانی: أنّ القرآن ظاهر فی عدم نزوله جملة له صلّی اللّه علیه و آله لمکان قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ «۳»؛ لأنّ قوله: کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ دلیل علی عدم نزوله جملة، بقوله تعالی کَذلِکَ، أی التّدریج، و إنّ فی هذا

---

(۱)- طه/ ۲.

(۲)- التّوبة/ ۴۳.

(۳)- الفرقان/ ۳۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۵۴

لحکمة، و هو تثبیت فؤاده صلّی اللّه علیه و آله، و لو کان القرآن نزل جملة واحدة لکان اللّازم فی الجواب أن یشعر به.

الثّالث: أنّه لو قیل بنزول القرآن جملة علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله یشکل الأمر فی کثیر من الآیات، منها إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا «۱»؛ حیث أنّها ظاهرة فی نزول القول الثّقیل بعدها، فلا یناسب نزوله جملة.

منها: أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ* وَ وَضَعْنا عَنْکَ وِزْرَکَ* الَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ* وَ رَفَعْنا لَکَ ذِکْرَکَ «۲»، ظاهر الآیة أنّه قبل نزول السّورة شرح اللّه صدره، و وضع وزره، و رفع ذکره، و هذا لا یناسب نزول القرآن جملة فی لیلة القدر.

منها طه ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لِتَشْقی «۳»، ظاهر الآیة یعطینا أنّه صلّی اللّه علیه و آله بعد نزول جملة من القرآن شقّت نفسه حتّی تورّم قدماه، فنزل نهی عن ذلک (طه ...). و لو نزل القرآن علیه جملة لم یکن لقوله تعالی: طه ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ معنی قبل التّورّم، و هذا واضح.

منها عَفَا اللَّهُ عَنْکَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ «۴»، الآیة صریحة فی أنّه صلّی اللّه علیه و آله أذن لهم سابقا فی ترکهم القتال و قعودهم فی المدینة، فنزلت الآیة، و هذا المعنی یناسب النّزول التّدریجیّ لا الدّفعیّ.

منها وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْری «۵»، الآیة تحکی رؤیته صلّی اللّه علیه و آله ملک الوحی فی المعراج، و هذا المعنی لا یصحّ إلّا بعد المعراج، فقبل المعراج لا معنی له.

منها قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِی تُجادِلُکَ فِی زَوْجِها وَ تَشْتَکِی إِلَی اللَّهِ وَ اللَّهُ یَسْمَعُ تَحاوُرَکُما ... «۶»، الآیة تدلّ علی سماع اللّه تعالی قول المرأة و محاورتها مع النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فهو

---

(۱)- المزمّل/ ۵.

(۲)- الانشراح/ ۱- ۴.

(۳)- طه/ ۱.

(۴)- التّوبة/ ۴۹.

(۵)- النّجم/ ۵.

(۶)- المجادلة/ ۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۵۵

یلائم مع التّدریج لا الدّفعیّ.

منها قوله: فَلَمَّا قَضى زَيْدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها ... «۱». فتزويج اللّه تعالى زينب رسوله بعد طلاق زيد لا يصحّ إلّا بمجىء زمانه، فكيف يصحّ نزول القرآن جملة فى مكّة مع عدم مجىء حينه؛ بل مع عدم تحقّق موضوعه لا يصحّ قوله تعالى: زَوَّجْناكَها.

منها قوله تعالى: قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها «۲».

و هذه الآية تنادى بأعلى صوتها أنّه تعالى يقول لنبيّه: قد نرى فعلا تقلّب وجهك فى السّماء، و كأنّه كان ينتظر الأمر بتردّد وجهه. فحينئذ تقلّب وجهه موضوع لنزول الآية، فلا يصحّ أنّ تنزل قبل هذا، لعدم تحقّق موضوعه، و هذا واضح لمن له أدنى تأمّل، إلى غير ذلك من الآيات.

الرّابع: أنّ الرّوايات دالّة على أنّه لم يكن عالما بالقرآن قبلا، بل أخبره اللّه تعالى بإنزال القرآن عليه تدريجا و نجوما، و هى كثيرة، منها ما ورد فى ذيل قوله تعالى: وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَ كُفْراً وَ تَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ... لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى ... «۳».

و فى المجمع: قال المفسّرون: إنّ بنى عمرو بن عوف اتّخذوا مسجد قبا، و بعثوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أن يأتيهم، فأتاهم و صلّى فيه، فحسدهم جماعة من المنافقين من بنى غنم بن عوف، فقالوا نبنى مسجدا فنصلّى فيه، و لا نحضر جماعة محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و كانوا اثنى عشر رجلا، و قيل: خمسة عشر رجلا، فبنوا مسجدا جنب مسجد قبا.

فلمّا فرغوا منه أتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول اللّه، إنّا قد بنينا مسجدا لذى العلّة و الحاجة و للّيلة المطيرة و الشّاتية، و إنّا نحبّ أن تأتينا فتصلّى فيه لنا و تدعو بالبركة، فقال صلّى اللّه عليه و آله: «إنّى على جناح السّفر، و لو قدمنا أتيناكم إن شاء اللّه فصلّينا لكم». فلمّا انصرف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من تبوك نزلت عليه الآية فى شأن المسجد.

---

(۱)- الأحزاب/ ۳۷.

(۲)- البقرة/ ۱۴۴.

(۳)- التوبة/ ۱۰۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۵۶

و هذه الرّواية دالّة على أنّ القرآن نزل تدريجا لا جملة، و لو كان القرآن نزل جملة قبلا لكان عالما بمقاصدهم.

و منها: ما روى فى البحار عن علىّ عليه السّلام فى قصّة أصحاب الكهف، فقالوا: يا محمّد، أخبرنا عن فئة كانوا فى الزّمان الأوّل، ثمّ غابوا، ثمّ ناموا. فقالوا لهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «إنّى لا أخبركم بشىء إلّا من عند ربّى، إنّما انتظر الوحى يجىء، ثمّ أخبركم بهذا غدا»، و لم يستثن «إن شاء اللّه»، فاحتبس الوحى عنه أربعين يوما، حتّى شكّ جماعة من أصحابه، فاغتمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و فرحت قريش بذلك، و أكثر المشركون القول، فلمّا كان بعد أربعين صباحا نزل عليه بسورة الكهف «۱».

هذه القصّة تعطينا أنّه صلّى اللّه عليه و آله لم يكن عالما بما سألوا و كان ينتظر الوحى. و أمّا احتمال أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان عالما و لم يكن مجازا فى النّقل فشىء غير معقول بل خلاف ظاهر الرّواية.

و أمثال هذه الرّوايات فى المقام كثيرة، بحيث يمكن ادّعاء استفاضتها لو لم ندّع التّواتر.

الخامس: أنّ تعدّد النّزول- بمعنى أنّه نزل جملة، ثمّ نزل تدريجا- فشىء لا نفهمه، و إن شئت فقس نزول القرآن بنزول الغيث.

فهل يمكن تصوّر نزوله مرّة أخرى بعد نزوله أوّلا؟ فحينئذ لا يكون الثّانى بوحى منزل، بل إجازة على القراءة على النّاس، كما هو ظاهر الخبر المتقدّم (خبر المفضل بن عمر)؛ حيث قال صلّى اللّه عليه و آله: «نعم يا مفضّل، أعطاه القرآن فى شهر رمضان، و كان لا يبلّغه إلّا وقت استحقاق الخطاب» .. الخ.

و هذا- أى كون المرّة الثّانية إجازة- خلاف الفرض، بل خلاف الواقع؛ لأنّ من المسلّم به نزول القرآن و تحقّق الوحى إنّما كان

متحقّقا تدريجا، و يدلّ عليه تغيير حاله صلّى اللّه عليه و آله حين نزوله، و لم يكن مثل تطبيق القرآن مع جبرائيل عليه السّلام فى كلّ سنة على ما روى.

إن قلت: أما تقولون: إنّ الفاتحة يقال لها: السّبع المثانى، و قيل فى وجهه: إنّ السّورة

---

(۱)- بحار الأنوار ۹۳: ۸۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۵۷

نزلت مرّتين، فلذا قيل: السّبع المثانى؟

قلت: أوّلا- أنّ هذا غير مسلّم به، كما يأتى بيانه فى محلّه إنشاء اللّه.

و ثانيا: على فرض تسلّمه هو دليل على أنّ القرآن لم يكن نازلا- مرّتين، و إلّا لا- يكون من خصوصيّات الفاتحة. و الحاصل أنّ من إثبات نزولين للفاتحة يثبت عدم نزول القرآن مرّتين، و هذا مسلّم به.

و قد اكتفينا فى ردّ هذا القول نزول القرآن جملة على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بهذه الوجوه الخمسة مخافة الملل، كما اكتفينا فى نقل الأقوال المتعرّضة لحلّ المسألة و توجيهها على ثلاثة أقوال؛ لئلّا يكون البحث فيها نقلا و نقصا من باب التّطويل بلا طائل، لأنّ أكثرا أبحاثها قد علم ممّا ذكرنا.

فإذا أحطت خبرا بما حرّرناه فقد حان بيان المختار فى المقام، فنقول: لا بدّ لبيانه من تقديم أمور؛

الأوّل: فى كيفيّة استعمال لفظ القرآن، فقد يظهر من كلام بعض المفسّرين أو أكثرهم أنّ إطلاق القرآن على القرآن الموجود بأيدينا من سورة الفاتحة إلى آخره هو على الحقيقة، و أنّ استعماله فى سورة أو آية أو بعض القرآن على المجاز يحتاج إلى العناية، و لكنّ الحقّ خلافه؛ لأنّ استعمال القرآن مثل استعمال الماء فى القليل و الكثير على الحقيقة و تشهد عليه اللّغة، بل صرّح عليه بعض الأصوليّين و غيرهم؛ قال أبو البقاء فى كلّيّاته: و فى التّلويح: هو (القرآن) فى العرف العامّ اسم لهذا المجموع، و عند الأصوليّة وضع تارة للمجموع و تارة لما يعمّ الكلّ و البعض. فيكون القرآن حقيقة فيهما باعتبار وضع واحد «۱».

و لصاحب المعالم هاهنا تحقيق رشيق فى بحث الحقيقة اللّغويّة، و إليك نصّه؛ قال:

و الضّمير فى إِنَّا أَنْزَلْناهُ للسّورة لا للقرآن، و قد يطلق القرآن على السّورة و على الآية، فإن قيل: يصدق على كلّ سورة و آية أنّها بعض القرآن، و بعض الشّىء لا يصدق عليه أنّه نفس ذلك الشّىء.

---

(۱)- كلّيّات أبى البقاء: ۵۲۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۵۸

قلنا: هذا إنّما يكون فيما لا يشارك البعض الكلّ فى مفهوم الاسم، كالعشرة فإنّها اسم لمجموع الآحاد المخصوصة، فلا يصدق على البعض، بخلاف نحو الماء، فإنّه اسم للجسم البسيط البارد الرّطب بالطّبع، فيصدق على الكلّ و على أىّ بعض فرض منه، فيقال: هذا البحر ماء، و يراد منه مفهومه الكلّىّ، و يقال: إنّه بعض الماء، و يراد منه مجموع المياه الّذى هو أحد جزئيات ذلك المفهوم.

و القرآن من هذا القبيل، فيصدق على السّورة أنّها قرآن، و بعض من القرآن بالاعتبارين. على أنّا نقول: إنّ القرآن قد وضع بحسب الاشتراك للمجموع الشّخصىّ وضعا آخر، فيصحّ بهذا الاعتبار أن يقال: السّورة بعض القرآن، انتهى كلامه.

و هذا هو الّذى ذكره السّيد فى «درره»؛ حيث قال: و الجواب الصّحيح أنّ قوله تعالى:

الْقُرْآنُ فى هذا الموضع لا يفيد العموم و الاستغراق، و إنّما يفيد الجنس من غير معنى الاستغراق «۱»، انتهى ما رمنا من كلامه، و إن شئت فراجع تمامه.

و الاستعمالات القرآنيّة و العرف، و استعمالات الأئمّة عليهم السّلام يؤيّد ذلك: وَ إِذا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ «۲»، وَ إِذا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجاباً مَسْتُوراً «۳»، فَقالُوا إِنَّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ «۴».

و كقولهم: أخاف أن ينزل فىّ القرآن، و نحوه. و كذا قولهم: تستحبّ قراءة القرآن أو تكره، و أمثال ذلك فى الرّوايات كثيرة، فلا حاجة إلى نقلها، و أنت ترى أنّ لفظ القرآن استعمل فى كلامه تعالى و الأئمّة: و العرف فى بعض القرآن بلا عناية.

الأمر الثّانى فى كيفيّة شروع الوحى، و إثبات أنّه كان تدريجا. اعلم أنّه يظهر من بعضهم أنّه تحقّق الوحى و النّبوّة بنزول جبرائيل بالقرآن، إلّا أنّ الظّاهر خلافه. و هذا هو الّذى يظهر من الأخبار، و أنّه كان يرى أوّلا فى النّوم رؤيا صادقة، ثمّ كان يسمع صوت

---

(۱)- الدّرر ۲: ۲۵۳.

(۲)- الاعراف/ ۲۰۳.

(۳)- الإسراء/ ۴۵.

(۴)- الجنّ/ ۱- ۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۵۹

جبرائيل ثمّ يراه بعينه، ثمّ كان نبيّا ثلاث سنين، ثمّ كان رسولا. بل يظهر من بعض الأخبار عن الأئمّة عليهم السّلام أنّه صلّى اللّه عليه و آله كان له ملك يسدّده من أيّام طفولته، إلّا أنّه ليس مورد بحثنا، بل أنّ مورد البحث هو أوّل النّبوّة و نزول الوحى. و نشير إذا إلى بعض ما ورد فى الرّوايات:

الأولى: فى البحار من «المناقب»: أرسله اللّه تعالى بعد أربعين سنة من عمره، حين تكامل بها و اشتدّت قواه؛ ليكون متهيّئا و متأهّبا لما أنذر به، و لبعثته درجات،

أوّلها الرّؤيا الصّادقة.

[ثمّ ذكر روايات فى الثّانية عن الشّعبىّ، و فى الثّالثة عن علىّ بن إبراهيم القمّىّ، و فى الرّابعة عن الاختصاص كما تقدّم جميعها عن المجلسىّ، فقال:] إلى غير ذلك من الرّوايات الواردة، كلّها تشير إلى أنّ أمر النّبوّة إنّما حصل تدريجا.

الأمر الثّالث: فى زمان تحقّق النّبوّة، اختلفوا فى أوّل النّبوّة على خمسة أقوال:

و المشهور بين العامّة أنّه صلّى اللّه عليه و آله بعث فى شهر رمضان. و أمّا المشهور بين الخاصّة فإنّه صلّى اللّه عليه و آله بعث فى يوم سبع و عشرين من رجب، و أرسلوه إرسال المسلّمات.

و قال الأردبيلىّ فى «جامع الرّواة»: و بعث يوم السّابع و العشرين من رجب و له أربعون. و نقل فى البحار عن «الكافى» و أمالى المفيد؛ أربعة أخبار كلّها تدلّ على ذلك «۱».

و لعلّ هذا هو المشهور بينهم، بل ادّعى بعضهم الإجماع على ذلك.

و فى زماننا يعدّ البحث فيه بين أبناء الزّمان بحثا انحرافيّا، و مع هذا لا مانع عن البحث إجمالا حوله. فأقول: المشهور بينهم و إن كان ذلك إلّا أنّه قد ورد فى بعض الأخبار ما يخالف المشهور، فعن «عيون أخبار الرّضا» عليه السّلام قال: فإن قال: ... [و ذكر كما تقدّم عن المجلسىّ، ثمّ قال:]

و الخبر كما ترى صريح فى أنّه بعث فى شهر رمضان، و قد يظهر من بعض العلماء وجود القول بكونه مبعوثا فى شهر رمضان، و لفظ المشهور فى كلماتهم دليل عليه. [ثمّ ذكر قول الشّيخ المفيد حول البعثة، كما تقدّم عن المجلسىّ، فقال:]

و ظاهر كلامه أنّه ذهب منّا إلى بعثته فى شهر رمضان ذاهب، و إن لم يذكر شخصه.

---

(۱)- بحار الأنوار ۱۸: ۱۸۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۶۰

و کلام «تاج الموالید» صریح فیه، و یأتی نقله: ۷۶. و یظهر من کلام الشّعرانیّ فی ذیل سورة إِنَّا أَنْزَلْناهُ فی «تفسیر مجمع البیان» أمران:

۱- عدم کون المبعث فی رجب مشهورا.

۲- میله إلی أنّه فی شهر رمضان؛ حیث قال: فإن قیل: إن کان ابتدأ نزول القرآن فی شهر رمضان، فما وجه الجمع بینه و بین ما ذکره بعضهم أنّ المبعث فی رجب؟

قلنا: إن صحّ ذلک و لک یشتبه علی الرّاوی المبعث بالمعراج أمکن حمله. فقوله: إن صحّ ذلک، إشارة إلی عدم اعتقاده أنّه صلّی اللّه علیه و آله بعث فی رجب، و قوله: و بین ما ذکره بعضهم، إشارة إلی أنّه لیس بمشهور.

الأمر الرّابع: فی بیان عدم الملازمة بین النّبوّة و نزول القرآن، و الّذی یظهر من کلمات بعضهم أنّ النّبوّة إنّما تحقّقت بنزول القرآن، کما یظهر ذلک من بعض الأخبار الواردة فی شأن نزول سورة اقرأ.

قال فی مجمع البیان: إنّ هذه السّورة أوّل ما نزل من القرآن ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبرسیّ، ثمّ قال:]

أقول: أمّا مقام الثّبوت، فکما یکن أن یقترن بوحی القرآن، کذلک یمکن أن تتحقّق النّبوّة قبل الوحی القرآنیّ بنزول جبرائیل أو إسرافیل علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و إتیانه بالنّبوّة.

و هذا کما فی موسی علیه السّلام و غیره من الأنبیاء؛ حیث أنّ موسی علیه السّلام کانت نبوّته قبل نزول التّوراة بسنین، کما هو واضح بلا ریب هذا فی مقام الثّبوت.

و أمّا فی مقام الإثبات فلیس لنا دلیل یدلّ علی الملازمة أو المقارنة، بل یظهر من بعض الأخبار أنّه صلّی اللّه علیه و آله تنبّأ قبل نزول القرآن إلیه.

و قد مرّت بنا الإشارة إلیه؛ حیث فی خبر الاختصاص صرّح بأنّه قرن إسرافیل برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثلاث سنین، یسمع الصّوت و لا یری شیئا. ثمّ قرن به جبرائیل عشرین سنة، و ذلک حیث أوحی إلیه «۱»، و الخبر کالصّریح فی عدم نزول القرآن فی ثلاث سنین؛ لمکان قوله: ثمّ قرن جبرائیل عشرین سنة و ذلک حیث أوحی إلیه؛ لأنّه من المسلّم به أنّ

---

(۱)- بحار الأنوار ۱۸: ۱۹۰

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۶۱

ملک الوحی القرآنیّ هو جبرائیل، و هکذا غیره من الأخبار.

إن قلت: کیف یمکن أن یکون مدّة شهرین تقریبا نبیّا و لم ینزل علیه القرآن؟

قلت: فمع عدم الملازمة إثباتا و ثبوتا لا معنی للتّشکیک فیه.

و قد وقع نحوه فی الأنبیاء السّلف، کما فی موسی علیه السّلام کان نبیّا سنین و لم تنزل علیه التّوراة، فبعد مدّة مدیدة أنزل اللّه الألواح، کما صرّح به القرآن. فإنّه بعد نجاة قومه و حضوره المیقات، قال: یا مُوسی إِنِّی اصْطَفَیْتُکَ عَلَی النَّاسِ بِرِسالاتِی وَ بِکَلامِی فَخُذْ ما آتَیْتُکَ ... «۱». و قوله تعالی: وَ کَتَبْنا لَهُ فِی الْأَلْواحِ مِنْ کُلِّ شَیْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِیلًا لِکُلِّ شَیْءٍ فَخُذْها بِقُوَّةٍ ... «۲».

و اعتقده بعض منّا، کما فی «تاج الموالید» للطّبرسیّ: بعث صلّی اللّه علیه و آله بمکّة یوم الجمعة السّابع و العشرین من رجب و هو ابن أربعین سنة، و أنزل علیه القرآن یوم الاثنین لإحدی عشرة لیلة بقیت من شهر رمضان.

الأمر الخامس: عدم الفرق بین الإنزال و التّنزیل، و حیث تکلّمنا إثباته حول کلام العلّامة فلا نعید هنا.

فالنّتیجة مقتضی الأمر الأوّل صحّة صدق القرآن علی الآیة و السّورة.

و مقتضى الأمر الثّانى تحقّق النّبوّة تدريجا.

و مقتضى الأمر الثّالث أنّ المشهور أنّ النّبوّة اليوم السّابع و العشرين من رجب، و شهر رمضان على قول و رواية.

و مقتضى الأمر الرّابع عدم الملازمة بين النّبوّة و نزول القرآن.

و مقتضى الأمر الخامس عدم الفرق بين الإنزال و التّنزيل.

---

(۱)- الأعراف/ ۱۴۵.

(۲)- الأعراف/ ۱۴۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۶۲

و إذا تحرّر ذلك فاعلم أنّ القرآن يدلّ صريحا على نزوله فى شهر رمضان؛ لمكان قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱». و ليس فى قباله دليل يدلّ على نزوله فى شهر رجب. و كذا ليس لنا دليل متقن يدلّ على نزوله أو معناه جملة على قلب الرّسول صلّى اللّه عليه و آله أو البيت المعمور. و كذا ليس لنا دليل يدلّ على الفرق بين الإنزال و التّنزيل.

فحينئذ نقول: معنى شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ أنّ نزول القرآن الّذى هو بركة و هداية تحقّق فى شهر رمضان، و النّبوّة فى شهر رجب، و لا ملازمة بينهما كما مرّ.

إن قلت: إنّ ظاهر الآية أنّ القرآن نزل جملة بتمامه فى شهر رمضان.

قلت: فما وجه الظّهور؟ و مرّ منّا أنّ القرآن كما يستعمل فى الآية و السّورة، يستعمل فى تمام القرآن، و منه يظهر ضعف قولهم: إنّ المراد حينئذ ابتداء نزول القرآن. و وجه الضّعف أنّه ليس الأمر كذلك، و ليس نزول القرآن إلّا مثل الوحى و النّبوّة، فكما يصحّ أن يقال: إنّه نزل و تحقّق الوحى و النّبوّة فى رجب و يوم كذا، يصحّ أن يقال: إنّه نزل القرآن فى شهر رمضان، بلا حاجة إلى التّفسير بنزول القرآن بابتداء النّبوّة. و إن شئت توضيح ذلك فى العرفيّات فراجع قولهم، فإنّهم يقولون: نزل الغيث أو السّيل فى ساعة كذا، فليس معناه ابتداء نزول الغيث أو السّيل فى ساعة كذا، مع أنّ ابتداءهما حقيقة فى ساعة كذا لا كلّهما، و ليس هذا إلّا من باب أنّ الغيث و السّيل يصدق فى الآن الأوّل أنّه غيث أو سيل، و أنّه نزل فى ساعة كذا، هذا كلّه واضح و عدم القبول مكابرة.

فتحصّل من تمام ذلك أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله تحقّقت نبوّته فى سبع و عشرين من رجب بإخبار جبرائيل أو إسرافيل، و كان يتردّد عليه بمجرّد الوحى بينه و بين نزول القرآن بما يقرب شهرين أو أكثر.

و احتمل المجلسىّ الأوّل عدم نزول القرآن عليه بعد المبعث ثلاث سنين؛ حيث قال فى شرحه الفارسىّ ما نصّه: «ممكن است از اوّل بعثت تا زمان وفات كه بيست و سه سال بود در سه سال متوالى يا متفرّق، قرآن نيامده باشد» .. الخ. «۲» و اعتقد ما اخترناه من كون

---

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- كتاب الصّوم از شرح فارسى من لا يحضره الفقيه ۲: ۱۴۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۶۳

نزول القرآن بعد شهرين بعض منّا، منهم صاحب «تاج المواليد»؛ حيث قال: بعث صلّى اللّه عليه و آله بمكّة يوم الجمعة السّابع و العشرين من رجب، و هو ابن أربعين سنة، و أنزل عليه القرآن يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان.

و المجلسىّ؛ فى أربعينه جعله أوّل الاحتمالات؛ حيث قال: السّابع: معنى نزول القرآن فى ليلة القدر، و قد نزل ثلاث و عشرين سنة منجّما كما ذكره المفسّرون، فقيل:

المراد ابتداء نزوله، هذا هو احتماله الأوّل «۱».

فتحصّل من تمام ذلک أنّ ظاهر القرآن هو نزوله بنزول سورة اقرأ فی شهر رمضان فی لیلة القدر و لیلة مبارکة إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، لا کلّ القرآن.

و بعد کتابة هذا رأیت کلام بعض الأعاظم یوافق ما ذکرنا، و إلیک نصّه: و الحاصل من مجموع تلک الآیات أنّ القرآن نزل فی شهر رمضان فی لیلة مبارکة، هی لیلة القدر، و حکمة الصّوم فی هذا الشّهر المعظّم و العبادة فیه و التّعظیم له هو نزول القرآن فیه.

و ذکر کثیر: أنّ ابتداء نزول القرآن کان فی لیلة القدر، و لزم منه أن یکون المبعث فی شهر رمضان إن قلنا أوّل المبعث أوّل نزول القرآن، و إن لم نجعل أوّل المبعث وقت نزول القرآن، أمکن کونه فی شهر رجب، کما هو معروف بیننا. إلی أن قال: و لا منافاة فی أن یکون المبعث فی رجب، و بدء نزول القرآن فی شهر رمضان «۲».

هذا کلّه بالنّظر إلی نفس القرآن و التّأمّل فیه، و أمّا بالنّظر إلی الأخبار فقد یظهر منها وجه آخر، و إجماله أن یقال: إنّ القرآن نزل تدریجا فی مدّة ثلاث و عشرین سنة، و فی شهر رمضان (لیلة القدر) ینزل تفسیر القرآن و بیانه، و ما سیکون فی تمام السّنة علی إمام عصره علیه السّلام من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و الأئمّة الاثنی عشر.

و هذا هو الظّاهر من الأخبار الواردة فی ذیل سورة القدر و لعلّه إلیه أشار بقوله تعالی:

ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ. فعلی أیّ حال تدلّ علیه أخبار کثیرة، منها: الحدیث السّابع من «تفسیر البرهان» ذیل سورة إِنَّا أَنْزَلْناهُ قال: إنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لمّا أسری به، و لم یهبط

---

(۱)- أربعین المجلسیّ ۳۷: ۱۷۲.

(۲)- حاشیة کتاب الوافی ۲: ۵۸- ۵۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۶۴

حتّی أعلمه اللّه (جلّ ذکره) علم ما قد کان و ما سیکون. و کان کثیر من علم ذلک جملة یأتی تفسیره فی لیلة القدر.

و کذلک کان علیّ بن أبی طالب علیه السّلام قد علم جملة العلم، و یأتی تفسیره فی لیالی القدر، و هذا المعنی هو الّذی اختاره الفیض فی آخر المقدّمة التّاسعة؛ حیث قال: و بالجملة تتمیم إنزاله بحیث یکون هدی للنّاس و بیّنات من الهدی و الفرقان، کما قال سبحانه:

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ «۱»- یعنی فی لیلة القدر منه- هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ إلی أن قال: و قد قال اللّه تعالی: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، أی حین أنزلناه نجوما، فإذا قرأنا علیک حینئذ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ، أی جملته: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ فی لیلة القدر، بإنزال الملائکة و الرّوح فیها علیک و علی أهل بیتک من بعدک، بتفریق المحکم من المتشابه، و بتقدیر الأشیاء، و تبیین أحکام خصوص الوقائع الّتی تصیب الخلق فی تلک السّنة إلی لیلة القدر الآتیة.

قال فی «الفقیه» تکامل نزول القرآن لیلة القدر، و کأنّه أراد به ما قلناه. و بهذا التّحقیق حصل التّوفیق بین نزوله تدریجا و دفعة، و استرحنا من تکلّف المفسّرین، انتهی کلامه.

و هکذا اختار فی «الوافی» کتاب الحجّة، و إن شئت فراجع.

و الإنصاف أنّه کلام جیّد بالنّسبة إلی الأخبار، و لعلّه من بطن القرآن الّذی کشفته الأخبار، فمع قطع النّظر عن الأخبار و کشفها، الحقّ الحقیق الّذی لا معدل عنه هو ما قلناه من نزول القرآن فی لیلة القدر من شهر رمضان بنزول خمس آیات من أوّل سورة اقرأ، و أنّ النّبوّة تحقّقت فی رجب، و لا ملازمة بینهما، و لیس فیه أیّ تکلّف، فالوجهان وجیهان مقبولان عندنا.

و هذا ما تیسّر لنا عاجلا، و اللّه العالم بحقائق الأمور، و الهادی إلی الصّواب و الرّشاد.

(۱: ۱۲- ۸۶)

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۶۵

الفصل السّابع و السّبعون نصّ السّید میر محمّدیّ فی کتابه: «بحوث فی تاریخ القرآن»

کیف نزل القرآن؟

لقد قرّر القرآن الکریم لتکلیم اللّه عباده ثلاث طرق؛ «۱»

الأولی: أن یکلّمه اللّه وحیا، أی إلهاما و إلقاء فی القلب.

الثّانیة: أن یکلّمه من وراء حجاب.

الثّالثة: أن یکلّمه بواسطة ملک، و ذلک بأن یرسل رسولا فیوحی بإذنه.

و الّذی نرید أن نبحث فیه هنا هو کیفیّة نزول القرآن، و إیصاله إلی النّبیّ محمّد صلّی اللّه علیه و آله و بأیّ من الطّرق المتقدّمة کان ذلک؟

الوجوه و الاحتمالات بملاحظة الطّرق الثّلاث الآنفة الذّکر کثیرة، لکن الّذی نختاره هو أنّ جمیع القرآن قد أنزل علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله بواسطة رسول ألقاه إلیه، و هو جبریل. و یدلّ علی ذلک آیات:

منها قوله تعالی: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ* نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ «۲».

(۱)- الشّوری/ ۵۱.

(۲)- الشّعراء/ ۱۹۲- ۱۹۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۶۶

و منها قوله تعالی: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ بِالْحَقِّ لِیُثَبِّتَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُسْلِمِینَ* وَ لَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ یَقُولُونَ إِنَّما یُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسانُ الَّذِی یُلْحِدُونَ إِلَیْهِ أَعْجَمِیٌّ وَ هذا لِسانٌ عَرَبِیٌّ مُبِینٌ «۱».

و منها قوله تعالی: قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَ هُدیً وَ بُشْری لِلْمُؤْمِنِینَ «۲». و قبل بیان ما نحن بصدده لا بأس بالإشارة إلی نقطتین:

الأولی: أنّ من الواضح أنّ المراد بالرّوح الأمین فی الآیات الأوّل لیس هو اللّه عزّ و جلّ، و ذلک بقرینة الآیة الثّانیة الّتی تقول: نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّکَ ...؛ حیث إنّها تدلّ علی أنّ روح القدس و الرّوح الأمین هو الواسطة بین الرّبّ و بین عبده الرّسول صلّی اللّه علیه و آله، فلا یعقل أن یکون هو نفس اللّه عزّ و جلّ.

الثّانیة: أنّ الرّوح الأمین، أو روح القدس فی الآیات الأوّل یراد به جبریل، و ذلک بقرینة الآیة الأخیرة الّتی تقول: قُلْ مَنْ کانَ عَدُوًّا لِجِبْرِیلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلی قَلْبِکَ ...، فإنّها صریحة فی أنّ منزّل القرآن من اللّه تعالی علی قلب محمّد صلّی اللّه علیه و آله هو جبریل، فلو کان المراد بالرّوح الأمین، أو الرّوح القدس غیر جبریل لوقعت المنافاة بین الآیات.

جبریل نزل بجمیع القرآن

إذا تمهّد هذا قلنا: إنّه یظهر من هذه الآیات المذکورة أنّ جبریل قد نزّل جمیع القرآن علی قلب محمّد صلّی اللّه علیه و آله لا بعضه، و ذلک لأنّ الضّمائر الواردة فی قوله تعالی: وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ، و نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ، و نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ، هذه الضّمائر لا

يرتاب أحد فى ظهورها فى القرآن الشّريف الكائن بين الدّفّتين، و الكتاب الّذى هو معجزة محمّد صلّى اللّه عليه و آله الخالدة.

و ممّا يشهد و يؤيّد هذا الظّهور المشار إليه هو تلك الآيات الكثيرة التّالية لقوله تعالى:

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ، و هذه الآيات هى: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ

---

(۱)- النّحل/ ۱۰۲- ۱۰۳.

(۲)- البقرة/ ۹۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۶۷

* وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ* أَ وَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إِسْرائِيلَ* وَ لَوْ نَزَّلْناهُ عَلى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ* فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ ما كانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ* كَذلِكَ سَلَكْناهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ* لا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذابَ الْأَلِيمَ إلى قوله: وَ ما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطِينُ* وَ ما يَنْبَغِي لَهُمْ وَ ما يَسْتَطِيعُونَ* إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ «۱».

فإنّ من تأمّل فى هذه الآيات يقطع بأنّها تتحدّث عن القرآن كلّه، و هو ما بين الدّفّتين، و إنّ الضّمائر الموجودة فيها يراد بها الدّلالة عليه كلّه لا على بعضه.

الآيات الدّالّة على وساطة جبريل:

و من الآيات الدّالّة على ما نحن بصدده أيضا قوله تعالى: وَ الصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ* وَ ما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ «۲».

أى أنّ القرآن الّذى يقرؤه عليكم محمّد صلّى اللّه عليه و آله ليس هو من عند نفسه، و إنّما هو قول رسول كريم، و هو جبريل، و قد تلقّاه محمّد منه.

المراد بالرّسول الكريم:

و يدلّنا على أنّ المراد بالرّسول الكريم فى الآية الشّريفة هو جبريل، ما عن علىّ بن إبراهيم، بسند صحيح، عن هشام بن سالم، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث الإسراء بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و فيه: «... فقلت لجبرئيل- و هو بالمكان الّذى وصفه اللّه مطاع ثمّ أمين- أ لا تأمره أن يرينى النّار؟ فقال له: يا مالك، أر محمّدا النّار، فكشف عنها غطاءها، و فتح بابا منها ...» إلى آخر الحديث.

إذ يستفاد من هذا الحديث أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قد قرّر أنّ كلمة مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ الواردة فى هذه الآية، إنّما هى وصف من اللّه تعالى لجبرئيل، و قد تجلّت أمانة جبريل عليه السّلام فى أنّه كان هو المؤتمن على القرآن، و إيصاله إلى محمّد، كما و ظهر أنّه مطاع، من حيث أنّه أمر مالكا فامتثل.

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۳- ۲۰۱.

(۲)- التّكوير/ ۱۸- ۲۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۶۸

و ممّا يؤيّد ذلك أيضا ما ورد فى أدعية زين العابدين علىّ بن الحسين عليه السّلام على ما فى الصّحيفة السّجاديّة، عند صلواته على كلّ ملك مقرّب: «و جبريل الأمين على وحيك المطاع فى أهل سماواتك، المكين لديك المقرّب عندك» .. الخ.

كما أنّ الآيات الواردة فى أوّل سورة النّجم، و هى قوله تعالى: وَ النَّجْمِ إِذا هَوى* ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَ ما غَوى* وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوى «۱».

هذه الآيات شاهد آخر، على أنّ المراد بقوله تعالى: ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ هو جبريل عليه السّلام. قال فى مجمع البيان- و هو يفسّر آيات سورة النّجم: يعنى جبريل القوىّ فى نفسه و خلقته، عن ابن عبّاس و الرّبيع و قتادة. و عن الكلبىّ أنّه قال: و من قوّته أنّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود، فرفعها إلى السّماء، ثمّ قلبها، و من شدّته صيحته لقوم ثمود حتّى هلكوا.

بل إنّ هذه الآيات- أعنى آيات سورة النّجم- ليس فقط تصلح دليلا على أنّ المراد بالرّسول ذى القوّة المكين هو جبريل، بل هى أيضا دليل آخر على ما نحن فيه؛ إذ أنّها تدلّ على أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لا يتكلّم بشىء، قرآنا كان أو غيره ممّا ترتبط برسالته، إلّا و يكون ذلک الشّىء وحيا، علّمه إيّاه شديد القوى، الّذى هو جبريل، و هذا هو نفس ما نحن بصدد إثباته.

الأقوال

هذا و يتّضح بعد كلّ ما تقدّم أنّ القرآن كلّه قد نزل على محمّد صلّى اللّه عليه و آله بوساطة جبريل عليه السّلام و يبدو أنّ أهل السّنّة لا يمانعون فى ذلک؛ فقد رووا ذلک عن ابن عبّاس بأسانيد صرّحوا بصحّتها؛ قال السّيوطىّ فى الإتقان: و عن الحاكم، و ابن شيبة من طريق حسّان بن حريث ... [و ذكر كما تقدّم عنه].

توهّم و دفع و أخيرا فلعلّنا لا نرى مبرّرا لتوهّم أن يكون ما قدّمناه يخالف و ينافى قوله تعالى:

---

(١)- النّجم/ ١- ۵.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۶۹

وَ نَزَّلْنا عَلَيْکَ الْکِتابَ، و نحو ذلک من الآيات الّتى نسب فيها التّنزيل إلى اللّه لا إلى جبريل.

و ذلک لأنّ الفعل كما يصحّ إسناده إلى المباشر المختار، كذلک يصحّ نسبته و إسناده إلى السّبب، فالوجه فى إسناد الفعل إلى اللّه تعالى هو أنه سبب، و إلى جبريل هو أنّه المباشر المختار ...

و إلّا فإنّ وساطة جبريل فى الجملة ممّا لا ريب فيه، فإسناد تنزيل جميع القرآن إلى اللّه تعالى لا تصحّ على إطلاقها أيضا.

و من ذلک يعلم أنّ الوجه فى نسبة تنزيل القرآن تارة إلى اللّه تعالى، و أخرى إلى جبريل عليه السّلام هو ما ذكرنا.

مناقشة

هذا و لا بدّ هنا من الإشارة إلى ما ربّما يقال: من أنّه لم لا يلتزم بالتّبعيض، بمعنى وساطة جبريل فى بعض آيات القرآن لا فى جميعها؟ و لكنّ ذلک لا يمكن الالتزام به؛ حيث أنّه لا دليل عليه و لا شاهد له، سوى ما يتوهّم من الأخبار الدّالّة على أنّ نزول الوحى كان على نحوين:

أحدهما: ما كان جبريل واسطة فيه بين النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و بين اللّه تعالى. و الآخر: ما كان بلا واسطة شىء أصلا.

فمن هذه الأخبار ما رواه فى البحار عن المحاسن بسند صحيح، عن هشام بن سالم؛ قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إذا أتاه الوحى من اللّه، و بينهما جبريل، يقول:

هو ذا جبريل، و قال لى جبريل، و إذا أتاه الوحى و ليس بينهما جبريل تصيبه تلک السّبتة، و يغشاه لثقل الوحى عليه من اللّه عزّ اسمه «١».

و لكنّ هذا الحديث لا يكفى لإثبات ما يراد إثباته هنا، و ذلک لأنّه فى صدد بيان أنّ الوحى كان على نحوين، أحدهما: بواسطة جبريل، و الآخر: بدونه، و ليس فى صدد بيان

(۱)- البحار ۱۸: ۲۷۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۰

أنّ الوحى القرآنىّ من أىّ من هذين النّحوين هو، أو من كليهما، و لا دلالة له على شىء من ذلك، و حينئذ فيحتمل أن يكون الوحى القرآنىّ ممّا توسّط به جبريل. و أمّا ما لم يتوسّط فيه جبريل، فهو الوحى الّذى جاءه صلّى اللّه عليه و آله فى الموضوعات أو فى غير القرآن المجيد، ممّا يعبّر عنه ب «الأحاديث القدسيّة».

و هذا الاحتمال بعد أن عضده الدّليل، و أيّدته الشّواهد يكون هو المتعيّن، و يخرج عن كونه احتمالا إلى كونه من الأمور المعتبرة و الثّابتة.

و لا بدّ لنا أخيرا من الإشارة إلى أنّه قد روى فى البحار بعد هذا الحديث مباشرة حديث آخر يرتبط فيما نحن فيه، و هو عن العيّاشىّ، عن عيسى بن عبد اللّه، عن جدّه، عن علىّ عليه السّلام؛ قال: كان القرآن ينسخ بعضه بعضا ... [و ذكر كما تقدّم عن البحرانىّ ثمّ قال:] و رواه أيضا الأمين الطّبرسىّ فى تفسير سورة المائدة عن العيّاشىّ مع اختلاف يسير.

و لكنّ هذا الحديث لا يدلّ بنفسه على أنّ جبريل ليس متوسّطا بين اللّه و النّبىّ حين نزول سورة المائدة؛ إذ لعلّها قد نزلت بواسطة جبريل أيضا.

اللّهم إلّا أن نستظهر عدم وساطة جبريل فيها بمعونة غيرها من الرّوايات، كأن نستظهر ذلك من عروض ما يشبه الإغماء العارض للنّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و الثّقل؛ حيث أنّ الأخبار الّتى سبق بعضها تدلّ على أنّ الوحى إذا نزل بواسطة جبريل لم يحصل له ثقل و لا ما يشبه الإغماء، و إذا كان بدونه تصيبه صلّى اللّه عليه و آله تلك السّبتة.

هذا بالنّسبة إلى الدّلالة فى هذه الرّواية مع الإغماض عن أمور أخرى يطول بذكرها المقام.

و أمّا بالنّسبة إلى سندها فليس من القوّة بحيث يثبت هذا المطلب المخالف لظاهر آيات كثيرة تقدّمت، فإنّ الرّواة الّذين هم بين العيّاشىّ و عيسى بن عبد اللّه لم يصرّح بأسمائهم، حتّى نعرف أنّهم واجدون لشرائط اعتبار أقوالهم أم لا، و هذا يكفى وحده و هنا فى هذه الرّواية، و إسقاطها عن درجة الاعتبار.

و هكذا فإنّ النّتيجة تكون أنّ جبريل كان واسطة فى نزول تمام القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله الطّيبين الطّاهرين. (ص: ۹- ۱۷)

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۱

الفصل الثّامن و السّبعون نصّ الصّابونىّ فى كتابه: «التّبيان فى علوم القرآن»

نزول القرآن الكريم

شرّف اللّه هذه الأمّة المحمّديّة، فأنزل عليها كتابه المعجز- خاتمة الكتب السّماويّة- ليكون دستورا لحياتها، و علاجا لمشاكلها، و بلسما شافيا لعللها و أمراضها، و آية مجد و فخار على اصطفاء هذه الأمّة، و اختيارها لحمل أقدس الرّسالات السّماويّة؛ حيث أكرمها اللّه بإنزال أشرف كتاب. و خصّها بالانتساب إلى أشرف مخلوق محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و سلم. و بنزول هذا القرآن اكتمل عقد الرّسالات السّماويّة، فشعّ النّور على العالم، و سطع الضّياء على الكون، و وصلت هداية اللّه إلى الخلق، و كان هذا النّزول بواسطة أمين السّماء جبريل عليه السّلام، يهبط به على قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم ليبلّغه وحى اللّه، و فى ذلك يقول اللّه جلّ ثناؤه: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ* بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ «۱».

كيف نزل القرآن الكريم؟

للقرآن الکریم تنزّلان:

الأوّل: من اللّوح المحفوظ إلی السّماء الدّنیا جملة واحدة فی لیلة القدر.

---

(۱)- الشّعراء/ ۱۹۳- ۱۹۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۷۲

الثّانی: من السّماء الدّنیا إلی الأرض مفرّقا فی مدّة ثلاث و عشرین سنة.

التنزّل الأوّل

فقد کان فی لیلة مبارکة من لیالی الدّهر هی لیلة القدر، أنزل فیه القرآن کاملا إلی بیت العزّة فی السّماء الدّنیا، و یدلّ علیه عدّة نصوص، و هی:

أ- قوله تعالی: حم* وَ الْکِتابِ الْمُبِینِ* إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ إِنَّا کُنَّا مُنْذِرِینَ «۱».

ب- و قوله تعالی: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ* وَ ما أَدْراکَ ما لَیْلَةُ الْقَدْرِ «۲».

ج- و قوله تعالی: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ هُدیً لِلنَّاسِ وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ «۳».

فقد دلّت هذه الآیات الثّلاث علی أنّ القرآن أنزل فی لیلة واحدة، توصف بأنّها مبارکة، و تسمّی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، و هی من لیالی شهر رمضان، و یتعیّن أن یکون هذا النّزول هو النّزول الأوّل إلی بیت العزّة فی السّماء؛ لأنّه لو أرید به النّزول الثّانی علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم لما صحّ أن یکون فی لیلة واحدة، و فی شهر واحد هو (شهر رمضان)؛ لأنّ القرآن إنّما نزل فی مدّة طویلة هی مدّة البعثة (۲۳) سنة، و نزل فی غیر رمضان فی جمیع الأشهر، فتعیّن أن یکون المراد به النّزول الأوّل، و قد جاءت الأخبار الصّحیحة تؤیّد ذلک، منها: [ثمّ نقل روایة ابن عبّاس عن السّیوطیّ کما تقدّم عنه].

قال السّیوطیّ: و لو لا أنّ الحکمة الإلهیّة ... [و ذکر کما تقدّم عن أبی شامة]

التنزّل الثّانی

و أمّا التّنزّل الثّانی فقد کان من السّماء الدّنیا علی قلب النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم منجّما، أی مفرّقا فی

---

(۱)- الدّخان/ ۱- ۳.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۷۳

مدّة ثلاث و عشرین سنة، و هی من حین البعثة إلی حین وفاته صلّی اللّه علیه و سلم. و الدّلیل علی هذا النّزول و أنّه نزل منجّما قول اللّه تعالی فی سورة الإسراء. وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱».

و قوله تعالی فی سورة الفرقان: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۲».

روی أنّ الیهود و المشرکین عابوا علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم نزول القرآن مفرّقا، و اقترحوا علیه أن ینزل جملة واحدة، حتّی قال الیهود له: یا أبا القاسم لو لا أنزل هذا القرآن جملة واحدة کما أنزلت التّوراة علی موسی، فأنزل اللّه هاتین الآیتین ردّا علیهم. و هذا

الرّد- كما يقول الزّرقانىّ- يدلّ على أمرين:

أحدهما: أنّ القرآن نزل مفرّقا على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

و الثّانى: أنّ الكتب السّماويّة قبله نزلت جملة ... [و ذكر كما تقدّم عنه].

حكمة نزول القرآن منجّما

لنزول القرآن الكريم منجّما- أى مفرّقا- حكم جليلة، و أسرار عديدة عرفها العالمون. و غفل عنها الجاهلون. و نستطيع أن نجملها فيما يأتى، و هى:

أوّلا: تثبيت قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم أمام أذى المشركين.

ثانيا: التّلطّف بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم عند نزول الوحى.

ثالثا: التّدرّج فى تشريع الأحكام السّماويّة.

رابعا: تسهيل حفظ القرآن و فهمه على المسلمين.

خامسا: مسايرة الحوادث و الوقائع، و التّنبيه عليها فى حينها.

سادسا: الإرشاد إلى مصدر القرآن، و أنّه تنزيل الحكيم الحميد.

و لنبدأ بشىء من التّفصيل عن هذه الحكم العديدة الّتى أجملناها فيما سبق، فنقول

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۴

و من اللّه نستمدّ العون:

أمّا الحكمة الأولى: و هى تثبيت قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم فقد ذكرتها الآية الكريمة فى معرض الرّدّ على المشركين، حين اقترحوا أن ينزل القرآن جملة واحدة كما نزلت الكتب السّماويّة السّابقة، فردّ اللّه عليهم بقوله: كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا و تثبيت قلب النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم إنّما هو رعاية من اللّه، و تأييد لرسوله أمام تكذيب خصومه له، و إيذائهم الشّديد له و لأتباعه، فقد كانت الآيات الكريمة تنزّل على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم تسلية له و شحذا لهمّته؛ للمضىّ فى طريق الدّعوة مهما اعترضته المصاعب و الشّدائد، و تقوية لقلبه الشّريف، فقد تعهّده اللّه سبحانه و تعالى بما يخفّف عنه الشّدائد و الآلام، فكان إذا اشتدّ الأذى عليه نزلت الآيات تسلية له و تخفيفا عمّا يلقاه، و كانت التّسلية تارة عن طريق قصص الأنبياء و المرسلين؛ ليقتدى بهم فى صبرهم و جهادهم، كما قال تعالى: وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلى ما كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتاهُمْ نَصْرُنا ... «۱» الآية، و قوله تعالى: فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ «۲»، و قوله: وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا «۳».

و قد أوضح البارى جلّت عظمته الحكمة من ذكر قصص الأنبياء، فقال و هو أصدق القائلين: وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ وَ جاءَكَ فِي هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ «۴»، و تارة كانت التّسلية عن طريق الوعد بالنّصر و التّأييد للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، كقوله تعالى: وَ يَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً «۵»، و كقوله: وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنا لِعِبادِنَا الْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ* وَ إِنَّ جُنْدَنا لَهُمُ الْغالِبُونَ «۶».

و أخرى تكون التّسلية عن طريق إخبار الرّسول باندحار أعدائه و انهزامهم، كما فى

---

(۱)– الأنعام/ ۳۴.

(۲)– الأحقاف/ ۳۵.

(۳)– الطّور/ ۴۸.

(۴)– هود/ ۱۲۰.

(۵)– الفتح/ ۳.

(۶)– الصّافات/ ۱۷۱– ۱۷۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۵

قوله تعالى: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَ يُوَلُّونَ الدُّبُرَ «۱»، و قوله: قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهادُ «۲». إلى آخر ما هنالك من ألوان فى التّخفيف عن قلب الرّسول، و تطييب نفسه و فؤاده.

و لا شكّ أنّ فى تجدّد نزول الوحى، و تكرّر هبوط الأمين جبريل بالآيات البيّنات الّتى فيها تسلية للنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم، و فيها الوعد بالنّصر و الحفظ و التّأييد، كان لها أعظم الأثر فى تثبيت قلب الرّسول لمتابعة الدّعوة، و المضىّ فى تبليغ الرّسالة الإلهيّة؛ لأنّ اللّه معه، و هل يشعر بالخذلان و الفتور من كانت عناية اللّه تحوطه و عينه ترعاه؟

أمّا الحكمة الثّانية: و هى التّلطّف بالنّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم عند نزول الوحى، فقد كانت بسبب روعة القرآن و هيبته، كما قال تعالى: إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا «۳»، فالقرآن– كما هو مقطوع به– كلام اللّه المعجز الّذى له جلال و وقار، و هيبة و روعة، و هو الكتاب الّذى لو نزل على جبل لتفتّت و تصدّع من هيبته و جلاله، كما قال تعالى: لَوْ أَنْزَلْنا هذَا الْقُرْآنَ عَلى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... «۴» فكيف إذا بقلب النّبىّ الرّقيق؟ هل يستطيع أن يتلقّى جميع القرآن دون أن يتأثّر و يضطرب و يشعر بروعة القرآن و جلاله؟ و لقد أوضحت السّيدة عائشة حالة الرّسول حين ينزل عليه القرآن، و ما يلاقيه من شدّة و هول من أثر التّنزيل فقالت: كما رواه البخارىّ و لقد رأيته حين ينزل عليه الوحى فى اليوم الشّديد البرد، فيفصم عنه (أى ينفصل)، و إنّ جبينه ليتفصّد عرقا. يتفصّد، أى يتصبّب عرقا، و ذلك من شدّة الوحى و وطأته على النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم.

و أمّا الحكمة الثّالثة: و هى التّدرّج فى تشريع الأحكام فقد كانت جليّة واضحة؛ حيث سلك القرآن الكريم مع البشريّة– و خاصّة منهم العرب– طريق الحكمة، ففطمهم عن الشّرك، و أحيا قلوبهم بنور الإيمان، و غرس فى نفوسهم حبّ اللّه و رسوله، و الإيمان

---

(۱)– القمر/ ۴۵.

(۲)– آل عمران/ ۱۲. نصوص فى علوم القرآن ۶۷۵ حكمة نزول القرآن منجما ..... ص : ۶۷۳

(۳)– المزمّل/ ۵.

(۴)– الحشر/ ۲۱.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۶

بالبعث و الجزاء، ثمّ انتقل بهم بعد هذه المرحلة– مرحلة تثبيت دعائم الإيمان– إلى العبادات، فبدأهم بالصّلاة قبل الهجرة، ثمّ ثنّى بالصّوم و بالزّكاة فى السّنة الثّانية من الهجرة، ثمّ ختم بالحجّ فى السّنة السّادسة منها، و كذلك فعل فى العادات المتوارثة. زجرهم أوّلا عن الكبائر، ثمّ نهاهم عن الصّغائر فى شىء من الرّفق، و تدرّج بهم فى تحريم ما كان مستأصلا فى نفوسهم كالخمر و الرّبا و الميسر، تدرّجا حكيما، استطاع بذلك أن يقتلع الشّرّ و الفساد من جذوره اقتلاعا كاملا. و لنأخذ بعض الأمثلة على ذلك التّشريع الحكيم الّذى نجح فى انتهاجه القرآن، فى معالجة الأمراض الاجتماعيّة، تحريم الخمر الّذى كان داء مستشريا عند العرب، كيف استطاع أن يمحوه و يقضى عليه الإسلام؟ لقد انتهج القرآن فى تحريمه أربعة مراحل، كما هو الشّأن فى تحريم الرّبا، فلم يحرّمه دفعة واحدة؛ لأنّهم كانوا

يتعاطون شرب الخمر كما يشرب الواحد منّا الماء الزّلال، فلم يكن من الحكمة أن يحرّمه عليهم دفعة واحدة، و إنّما حرّمه بالتّدريج.

المرحلة الأولى: فبدأ أوّلا- بالتّنفير منه بطريق غير مباشر، فنزل قوله تعالى: وَ مِنْ ثَمَراتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَراً وَ رِزْقاً حَسَناً ... «۱» الآية، فقد أخبر تعالى أنّه قد أنعم على النّاس بهاتين الشّجرتين: النّخيل و الأعناب، يستخرجون منهما السّكر، أى الخمر الّذى يسكر، و الرّزق الحسن الّذى ينتفع منه النّاس من مأكول و مشروب، فمدح الثّانى و وصفه بأنّه رزق حسن، و أخبر عن الأوّل بأنّه سكر، أى شىء يسكر و يذهب بعقل الإنسان. و بهذه المباينة فى الوصف يتّضح لكلّ عاقل الفارق الكبير بين الأمرين المذكورين.

المرحلة الثّانية: جاء التّنفير المباشر عن طريق المقارنة العمليّة بين شيئين: شىء فيه نفع مادّى ضئيل، و شىء فيه ضرر جسمىّ و صحّىّ و عقلىّ جسيم، و فيه كذلك زيادة على الإضرار العظيمة مهلكة للإنسان عن طريق وقوعه فى الإثم الكبير، استمع إلى قوله تعالى:

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِما إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ

---

(۱)- النّحل/ ۶۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۷

نَفْعِهِما ... «۱» الآية. و المراد بالمنافع هنا المنافع المادّية الّتى كانوا يستفيدونها من وراء التّجارة و البيع للخمر؛ حيث يربحون منها، كما يربحون من وراء الميسر، و قد جمع القرآن بين الخمر و الميسر فى الآية الكريمة، و لا شكّ أنّ النّفع فى الميسر مادّىّ بحت؛ حيث يربح بعض المقامرين فكذلك فى الخمر.

قال العلّامة القرطبىّ فى تفسيره عند تفسير هذه الآية قوله تعالى: وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ أمّا فى الخمر فربح التّجارة، فإنّهم كانوا يجلبونها من الشّام برخص، فيبيعونها فى الحجاز بربح، هذا أصحّ ما قيل فى منتفعها. و بالمقارنة بين هذين الشّيئين تبيّن أنّ الإسلام نفّر من الخمر عن طريق بيان أضرارها الجسميّة و لكنّه لم يحرّمها، و قد روى فى سبب نزول هذه الآية أنّ جماعة من المسلمين فيهم عمر بن الخطّاب جاءوا إلى الرّسول الكريم، فقالوا: يا رسول اللّه، أخبرنا عن الخمر، فإنّها مذهبة للعقل، مضيّعة للمال، منهكة للجسم، فأنزل اللّه عزّ و جلّ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ ... الآية.

و فى المرحلة الثّالثة: كان التّحريم للخمر، و لكنّه كان تحريما جزئيّا؛ حيث نزل قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَ أَنْتُمْ سُكارى حَتَّى تَعْلَمُوا ما تَقُولُونَ ... «۲»

الآية. فقد حرّم اللّه عليهم الخمر وقت الصّلاة فقط حتّى يصحوا من سكرهم، فكان المسلمون يشربونها ليلا و فى غير أوقات الصّلاة.

و فى المرحلة الرّابعة: و هى المرحلة الأخيرة كان التّحريم الكلّىّ، القاطع المانع، حيث نزل قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ، وَ الْأَزْلامُ، رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ ... «۳» ...

و هكذا تمّ تحريم الخمر تحريما بالتّدرّج، فكان فى ذلك أعظم حكمة جليلة سلكها الإسلام فى معالجة الأمراض الاجتماعيّة. و قد جاء فى كتاب «مناهل العرفان» للزّرقانىّ ما نصّه: و تدرّج الإسلام بهم فى تحريم ما كان مستأصلا ... [و ذكر كما تقدّم عنه].

---

(۱)- البقرة/ ۲۱۹.

(۲)- النّساء/ ۴۳.

(۳)- المائدة/ ۹۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۷۸

أمّا الحكمة الرّابعة: فهى تسهيل حفظ القرآن على المسلمين، و فهمهم و تدبّرهم له، فمن المعلوم أنّ العرب كانوا أمّيّين، أى لا يقرءون و لا يكتبون و قد سجّل القرآن الكريم عليهم ذلك فى قوله تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ ...

«۱» الآیة، کما کان صلّی اللّه علیه و سلم أمیّا کذلک: الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الْأُمِّیَ «۲». فاقتضت حکمة اللّه أن ینزل کتابه المجید منجّما؛ لیسهل حفظه علی المسلمین، لأنّهم کانوا یعتمدون علی ذاکرتهم، فکانت صدورهم أنا جیلهم، کما ورد فی وصف أمّة محمّد صلّی اللّه علیه و سلم و أدوات الکتابة لم تکن میسورة لدی الکاتبین منهم علی ندرتهم، فلو نزل القرآن جملة واحدة لعجزوا عن حفظه، و عجزوا بالتّالی عن تدبّره و فهمه.

أمّا الحکمة الخامسة: فهی مسایرة الحوادث و الوقائع فی حینها، و التّنبیه علی الأخطاء فی وقتها، فإنّ ذلک أوقع فی النّفس و أدعی إلی أخذ العظة و العبرة منها عن طریق الدّرس العملیّ، فکلّما جدّ منهم جدید نزل من القرآن ما یناسبه، و کلّما حصل منهم خطأ أو انحراف نزل القرآن بتعریفهم و تنبیههم إلی ما ینبغی اجتنابه و لطلب عمله. و نبّههم إلی مواطن الخطأ فی ذلک الوقت و الحین، خذ مثلا علی ذلک غزوة حنین، فقد دخل الغرور إلی نفوس المسلمین، و قالوا قولة الإعجاب و الاغترار، لمّا رأوا عددهم یزید علی عدد المشرکین أضعافا مضاعفة، حینذاک داخلهم العجب فقالوا: لن نغلب الیوم من قلّة. و کانت النّتیجة انکسارهم و انهزامهم و تولّیهم الأدبار، و فی ذلک یقول القرآن الکریم: وَ یَوْمَ حُنَیْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیْئاً وَ ضاقَتْ عَلَیْکُمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرِینَ «۳». و لو أنّ القرآن نزل جملة واحدة لما أمکن التّنبیه علی الخطأ فی حینه، إذ کیف یتصوّر أن تنزل الآیات فی شأن المؤمنین و اغترارهم و لم تحدث بعد تلک الواقعة أو الغزوة؟ و کذلک الحال فی أخذ الفداء من الأسری فی بدر؛ حیث نزل التّوجیه السّماویّ

---

(۱)- الجمعة/ ۲.

(۲)- الأعراف/ ۱۵۷.

(۳)- التّوبة/ ۲۵.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۷۹

الرّائع: ما کانَ لِنَبِیٍّ أَنْ یَکُونَ لَهُ أَسْری حَتَّی یُثْخِنَ فِی الْأَرْضِ ... «۱» الآیة.

أمّا الحکمة السّادسة: فهی الإرشاد إلی مصدر القرآن الکریم، و أنّه تنزیل الحکیم الحمید. و فی هذه الحکمة الجلیلة یجدر بنا أن ننقل نصّ ما کتبه العالم الفاضل الشّیخ محمّد عبد العظیم الزّرقانیّ فی کتابه: ... [و ذکر کما تقدّم عنه].

کیف تلقی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم القرآن؟

تلقّی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم القرآن بواسطة أمین الوحی جبریل علیه السّلام، و جبریل تلقّاه عن ربّ العزّة جلّ جلاله، و لیس لجبریل الأمین سوی تبلیغ کلام اللّه و إیحائه للرّسول صلّی اللّه علیه و سلم. فاللّه جلّت حکمته قد أنزل کتابه المقدّس علی خاتم أنبیائه بواسطة أمین الوحی جبریل، و علّمه جبریل للرّسول، و بلّغه الرّسول لأمّته، و قد وصف اللّه جبریل علیه السّلام بأنّه أمین علی الوحی، یبلّغه کما سمعه عن اللّه تعالی: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ* ذِی قُوَّةٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ* مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ «۲»، و قال تعالی فی وصفه أیضا: نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ لِتَکُونَ مِنَ الْمُنْذِرِینَ «۳». أمّا حقیقة الکلام و حقیقة المنزل فإنّما هو کلام اللّه، و تنزیل ربّ العالمین، کما قال تعالی: وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ «۴». و قد کان صلّی اللّه علیه و سلم یعانی عند نزول القرآن شدّة، و کان یحاول أن یجهد نفسه من أجل حفظ القرآن، فیکرّر القراءة مع جبریل حین یتلو علیه القرآن؛ خشیة أن ینساه أو یضیع علیه شیء منه، فأمره اللّه تعالی بالإنصات و السّکوت عند قراءة جبریل علیه، و طمأنه بأنّه تعالی سیجعل هذا القرآن محفوظا فی صدره، فلا یتعجّل فی أمره، و لا یجهد نفسه فی تلقّیه: وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ یُقْضی إِلَیْکَ وَحْیُهُ وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِی عِلْماً «۵». و أمّا تکفّل اللّه تعالی له بالحفظ فقد جاء فی قوله سبحانه: لا تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ* فَإِذا

(۱)- الأنفال/ ۶۷.

(۲)- التّكوير/ ۱۹- ۲۱.

(۳)- الشّعراء/ ۱۹۳- ۱۹۴.

(۴)- النّمل/ ۶.

(۵)- طه/ ۱۱۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۰

قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ «۱». و قد كان جبريل يدارس النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلم القرآن فى رمضان، فينزل جبريل على رسول اللّه و يستمع له القرآن، فيقرأ الرّسول بين يديه، و جبريل يستمع، و يقرأ جبريل و النّبىّ يستمع، و هكذا يدارسه فى كلّ رمضان ما نزل من القرآن مرّة واحدة، و قبل وفاته صلّى اللّه عليه و سلم نزل عليه جبريل مرّتين فى رمضان، فدارسه القرآن، حتّى لقد شعر صلّى اللّه عليه و سلم من نزول جبريل مرّتين عليه بدنوّ أجله، و قال لعائشة: «إنّ جبريل كان ينزل علىّ فيدارسنى القرآن مرّة واحدة فى رمضان، و قد نزل علىّ هذا العام مرّتين، و ما أرانى إلّا قد اقترب أجلى».

و قد كان الأمر كذلك، فقد انتقل فى ذلك العام إلى جوار ربّه صلّى اللّه عليه و سلم، و انقطع بوفاته نزول الوحى.

أمّا كيف تلقّى جبريل القرآن عن اللّه عزّ و جلّ، فقد تقدّم معنا أنّه كان سماعا؛ حيث سمع من اللّه عزّ و جلّ هذه الآيات، فنزل بها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلم [ثمّ حكى قول البيهقىّ و الزّرقانىّ كما تقدّم عنهما].

هل السّنة النّبويّة بوحى من اللّه؟

تقدّم معنا أنّ القرآن الكريم كلام اللّه، و معنى ذلك أنّ اللّفظ و المعنى هو من عند اللّه، و لا دخل لجبريل أو لمحمّد فيه سوى التّبليغ عن اللّه عزّ و جلّ، أمّا السّنّة النّبويّة فإنّها بوحى كذلك من اللّه، و لكنّ اللّفظ للرّسول و المعنى من عند اللّه؛ لأنّ اللّه تعالى يقول: وَ ما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوى* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى «۲». [ثمّ ذكر كلام الجوينىّ نقلا عن السّيوطىّ، كما تقدّم عنه]. (ص: ۳۷- ۵۲)

(۱)- القيامة/ ۱۶- ۱۹.

(۲)- النّجم/ ۳- ۴.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۱

الفصل التّاسع و السّبعون نصّ الأبيارىّ فى «الموسوعة القرآنيّة» «۱»

الحكمة فى نزول القرآن منجّما

و فيما بين السّابع عشر من رمضان من السّنة الحادية و الأربعين من ميلاد الرّسول، و كان بدء نزول الوحى، و إلى ما قبل موته صلّى اللّه عليه و سلم بأيّام لا- تجاوز الواحد و الثّمانين و لا- تنقص عن العشرة، و كان آخر ما نزل من الوحى، أى فى نحو من إحدى و عشرين سنة، أو على الأصحّ فى نحو من ثمانى عشرة سنة، بإسقاط المدّة الّتى فتر فيها الوحى و الّتى بلغت ثلاث سنين، نزل هذا القرآن منجّما يشرّع للنّاس، و يتابع الأحداث، و يجيب و يبيّن: وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً «۲»، وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا «۳».

و ما كانت حكمة السّماء تقضى إلّا بهذا، مع أمّة يراد لها أوّلا التّحوّل من عقائد إلى عقيدة، و الخروج من و ثنيّة إلى دين، و من أوهام و ظنون إلى منطق و حقّ، و من لا إيمان إلى إيمان.

---

(۱)- و ذكر مثله أيضا فى كتابه الموسوم ب «تاريخ القرآن».

(۲)- الفرقان/ ۳۳.

(۳)- الإسراء/ ۱۰۶.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۲

تلك خطوة أولى كان من الحكمة أن تبدأ بها الدّعوة و تفرغ لها، حتّى إذا ما ضمّت النّاس على الطّريق أخذتهم بما تحمى إيمانهم به، فحاطتهم بعبادات و ألزمتهم بواجبات، و النّاس لا يمضون فيما جدّ عليهم خرسا لا ينطقون، و عميا لا ينظرون، و غفلا لا يتدبّرون.

فهم مع هذا كلّه سائلون يتبيّنون، و الوحى يتابعهم فى كلّ ما عنه يستفسرون؛ إذ به تمام الرّسالة.

ثمّ إنّ هذه الدّعوة السّماويّة بدأت جهادا و عاشت جهادا، أملته الأيّام و تمخّضت عنه الأعوام، و هو و إن كان فى علم السّماء قبل أن يقع، لكنّه كان على علم النّاس جديدا لم يقع، و كان لا بدّ أن يلقّنوه مع زمانه و أوانه.

ثمّ ما أكثر ما أخذ النّاس و أعطوا فى ظلّ الدّعوة؛ لتثبت أركانها فى نفوسهم، و هذا و إن كان فى علم السّماء قبل أن يقع، لكنّه كان على حياة النّاس جديدا لم يقع، و كان لا بدّ أن يلقّنوا بيانه مع زمانه و أوانه.

و هكذا لم تكن الرّسالة كلمة ساعتها، و إنّما كانت كلمات أعوام ثمانية عشر، و كانت هذه الكلمات كلّها فى علم السّماء و فى اللّوح المحفوظ، و لكنّها نزلت إلى علم النّاس مع زمانها و أوانها.

لهذا نزل القرآن منجّما، و لقد خال المشركون أنّ دعوة الرّسول إليهم كلمة، و أنّ صفحته معهم صفحة، وفاتهم أنّ الدّعوة معها خطوات، و أنّ هذه الخطوات معها جديد على علمهم لا على علم السّماء، و ما أحوجهم مع كلّ جديد إلى مزيد، و من أجل هذا الّذى فاتهم استنكروا أن ينزّل القرآن منجّما، و قالوا: لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱» و كان جواب السّماء عليهم. كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا «۲»، أى جعلناه بعضه فى إثر بعض، منه ما نزل ابتداء، و منه ما نزل فى عقب واقعة أو سؤال؛ ليكون فى تتابعه مع الأحداث، و ما تثيره من شكوك، ما يردّ النّفوس إلى طمأنينة، و الأفئدة إلى ثبات.

و إنّك لو تتبعت أسباب النّزول فى القرآن و مواقع الآيات لتبيّنت أنّ رسالة الرّسول لم

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- الفرقان/ ۳۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۳

تكن جملة واحدة، ليكون القرآن جملة واحدة، بل كانت أحداثا متلاحقة تقتضى كلمات متلاحقة.

فلقد نزلت آية الظّهار فى سلمة بن صخر، و نزلت آية اللّعان فى شأن هلال بن أميّة، و نزلت آية حدّ القذف فى رماة عائشة، و نزلت آية القبلة بعد الهجرة، و بعد أن استقبل المسلمون بيت المقدس بضعة عشر شهرا، و نزلت آية اتّخاذ مقام إبراهيم مصلّى حين سأل عمر الرّسول فى ذلك. كذلك كانت الحال فى الحجاب، و أسرى بدر، و غير ذلك كثير، فكان القرآن ينزّل بحسب الحاجة خمس آيات و عشر آيات، و أكثر و أقلّ، و قد صحّ نزول عشر آيات فى قصّة الإفك جملة، كما صحّ نزول عشر آيات من أوّل «المؤمنين» جملة، و صحّ نزول غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ «۱» وحدها، و هى بعض آية، و كذا وَ إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً «۲» إلى آخر الآية، و هى بعض آية، و نزلت بعد نزول أوّل الآية. (۱: ۳۴۵- ۳۴۸)

(۱)- النّساء/ ۹۵

(۲)- التّوبة/ ۲۸.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۴

الفصل الثّمانون نصّ الشّرقاوىّ فى «[تاريخ] القرآن المجيد»

نزول القرآن

نزل القرآن مفرّقا و فى أوقات متباعدة، و تاريخه هو تاريخ الرّسالة المحمّديّة، و مدّته هى مدّتها أو قريبا من ذلك.

و قد صرّح القرآن بأنّ نزوله كان فى رمضان، و فى ليلة القدر منه على الخصوص، كما قال تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۱»، و قال: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۲».

و أكّد ذلك بالنّسبة إلى اللّيلة المذكورة قوله فى الآية الأخرى: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳». و رمضان مختصّ بإنزال الكتب السّماويّة السّابقة، فقد جاء فى مسند الإمام أحمد من حديث واثلة ... [و ذكر كما تقدّم عن الطّبرىّ].

و معنى إنزاله لأربع و عشرين خلت، أنّه نزل بعد تمام أربع و عشرين ليلة، فيكون إنزاله فى ليلة خمس و عشرين.

و هذه الكتب المنزلة ما عدا القرآن نزل كلّ منها على الرّسول الّذى نزل عليه جملة

(۱)- البقرة/ ۱۸۵.

(۲)- القدر/ ۱.

(۳)- الدّخان/ ۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۵

واحدة.

و أمّا القرآن المجيد فمعلوم أنّه نزل على محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا من حين رسالته إلى قرب وفاته، بيد أنّ ظاهر هذه الآيات يدلّ على أنّه نزل كلّه جملة واحدة فى ليلة من ليالى شهر رمضان، و هو أيضا ظاهر حديث واثلة السّابق.

و هذا يثير فى النّفس تساؤلا: كيف يتسنّى القول بنزول القرآن كلّه جملة واحدة، مع ما هو معلوم يقينا من أنّه نزل على محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و سلم مفرّقا فى اثنتين و عشرين سنة و خمسة أشهر تقريبا؟ حتّى أنّ الكافرين قالوا كما حكى اللّه تعالى عنهم: وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً «۱».

و قد يجيب بعض النّاس عن هذا التّساؤل فيقول: إنّ الّذى أنزل فى ليلة القدر إنّما هو أوّل القرآن نزولا، و هو قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِى خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَكْرَمُ* الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ «۲». فيكون قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِى أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۳»، معناه شهر رمضان الّذى ابتدئ فيه إنزال القرآن.

و قوله: إِنَّا أَنْزَلْناهُ، معناه إنّا ابتدأنا إنزاله.

و هذا الجواب ليس بسديد؛ لأنّ فيه حمل الآيات على غير ظاهرها. و الجواب السّديد هو ما أجاب به ابن عبّاس فى آثار صحيحة مرويّة عنه، نكتفى منها بما يلى:

أوّلا: أخرج الحاكم عن ابن عبّاس رضى اللّه عنه أنّه قال: فصل القرآن من الذّكر، فوضع فى بيت العزّة من السّماء الدّنيا، فجعل جبريل

ینزل به علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم «۴». و معنی قوله: فصل القرآن من الذّکر، أنّ الملائکة کتبوا القرآن الکریم نقلا من اللّوح المحفوظ، ثمّ أنزلوا ما کتبوه إلی مکان فی السّماء الدّنیا یسمّی بیت العزّة؟

ثانیا: أخرج النّسائیّ و الحاکم و البیهقیّ عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه أنّه قال: أنزل القرآن

---

(۱)- الفرقان/ ۳۲.

(۲)- العلق/ ۱- ۵.

(۳)- البقرة/ ۱۸۵.

(۴)- البرهان ۱: ۲۲۹.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۸۶

جملة واحدة إلی السّماء الدّنیا لیلة القدر، ثمّ أنزل بعد فی عشرین سنة. و قوله: فی عشرین سنة، فیه إیجاز بالاقتصار علی ذکر العقدین الکاملین، و حذف الکسر، و هو سنتان و خمسة أشهر تقریبا.

ثالثا: أخرج ابن مردویه و البیهقیّ و ابن أبی حاتم عن ابن عبّاس رضی اللّه عنه أنّه سأله عطیّة بن الأسود، فقال: وقع فی قلبی الشّکّ ... [و ذکر کما تقدّم عن الطّبریّ ثمّ قال:].

و قوله: وقع فی قلبی الشّکّ، لا یقصد به حقیقة الشّکّ، فإنّ القرآن لا یشکّ فیه مسلم، و إنّما مقصوده أنّ هذا التّعارض الّذی یبدو لأوّل وهلة یثیر فی النّفس حیرة فی الفهم، مع إیمان بأنّ القرآن حقّ لا ریب فیه.

و قوله: أنزل علی مواقع النّجوم، معناه أنّه أنزل مفرّقا علی مثل مساقط النّجوم، فإنّ النّجوم تسقط أمام الأنظار فی أوقات مختلفة یتبع بعضها بعضا. و قوله: رسلا- بکسر الرّاء- معناه تؤدة، أی فی زمن طویل.

و لا شکّ أنّ نزول القرآن من اللّوح المحفوظ إلی موضع مخصوص فی السّماء الدّنیا یسمّی بیت العزّة لا یقوله ابن عبّاس رضی اللّه عنه اجتهادا و لا تخمینا، فإنّه من علم الغیب الّذی لا یطّلع اللّه علیه إلّا رسوله صلّی اللّه علیه و سلم.

و هذا النّزول الغیبیّ إن کان ممّا یحمل علی القول به، هو إبقاء الآیات الواردة فی نزول القرآن علی ظاهرها من نزوله جملة واحدة، فإنّه لا یعارض نزوله الحسّیّ فی التّاریخ المذکور، أی ابتداء نزوله علی الرّسول صلّی اللّه علیه و سلم مفرّقا، بل إنّ الرّوایة نفسها تشیر إلی ذلک و تبیّن المراد به، فهما إذن نزولان؛ غیبیّ و حسّیّ، و تاریخهما واحد «۱».

و یتساءل العلّامة الزّرکشیّ «۲» عن السّرّ فی هذا النّزول، و یجیب عن ذلک بقوله: فإن قیل: ... [و ذکر کما تقدّم عن أبی شامة، ثمّ قال:]

و قد بیّن اللّه تعالی حکمة نزول القرآن مفرّقا لا جملة واحدة فی موضعین فی الکتاب العزیز؛

---

(۱)- عبد اللّه کنون (ذکری نزول القرآن): ۷.

(۲)- البرهان ۱: ۲۳۰، الإتقان ۱: ۵۰.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۸۷

الموضع الأوّل: قوله تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱».

الموضع الثّانی: قوله تعالی: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا* وَ لا یَأْتُونَکَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناکَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِیراً «۲».

و صدر آیة الإسراء: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ، یرشد إلی حکمة من حکم التّفرقة، و هی أن یتیسّر علی النّاس حفظه

و فهمه، و تخلّيهم عن عقائدهم و أعمالهم الفاسدة بالتّدريج، و تحلّيهم بالعقائد و الأعمال الصّالحة بالتّدريج أيضا.

و آخرها وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِيلًا، يرشد إلى حكمة أخرى من حكم التّفرقة، و هى الدّلالة على أنّ القرآن منزل من اللّه تعالى و ليس من قول البشر، فإنّه مع نزوله مفرّقا حسب الحوادث و إعجازه بهذا التّرتيب الزّمنىّ كان الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم يأمر الكتبة كلّما نزلت آية أن يضعوها بأمر اللّه تعالى بعد آية كذا من سورة كذا، فكان ترتيبه فى التّلاوة غير ترتيبه فى النّزول، و كان مع ذلك متناسبا أعظم التّناسب، بل معجزا للخلق جميعا أن يأتوا بمثله، فهذا إعجاز متكرّر مرّتين؛

أولاهما: بترتيبه النّزولىّ الزّمنىّ المنسّق مع الوقائع.

و ثانيتهما: بترتيبه فى التّلاوة آيات و سورا طوالا و قصارا و أوساطا.

و الآية الأولى من آيتى الفرقان: ۳۱ وَ قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا، ترشد إلى حكمة ثالثة، و هى تثبيت قلب الرّسول صلّى اللّه عليه و سلم بتجدّد الوحى و نزول الملك، و هو أمر يدعو إلى طمأنينة القلب و انشراح الصّدر، مع ما فى ذلك من تيسّر الحفظ و تكرار انتصاره على الأعداء، بتكرار عجزهم عن الإتيان بمثله كلّما تحدّاهم.

و الآية الكريمة الثّانية من آيتى الفرقان: ۳۲ وَ لا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْناكَ بِالْحَقِ

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الفرقان/ ۳۲- ۳۳.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۸

وَ أَحْسَنَ تَفْسِيراً، ترشد إلى حكمة رابعة، و هى مسايرة الحوادث بإجابة السّائلين، و بيان حكم اللّه تعالى فى الوقائع المتجدّدة، و توجيه أنظار المسلمين إلى ما يقعون فيه من أخطاء أوّلا فأوّل، و هتك أستار المنافقين و المشكّكين، كلّما همّوا بأمر فيه كيد للإسلام و المسلمين «۱».

و كان أوّل ما نزل هو قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، كما تفيده السّنّة الصّحيحة، ففى البخارىّ عن عائشة قالت: أوّل ما بدئ به رسول اللّه ... [و ذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

لكن جاء فى صحيح مسلم عن جابر: أوّل ما نزل من القرآن سورة المدّثّر «۲»، و هذا محمول عند العلماء على ما بعد فترة الوحى الّتى تلت النّزول الأوّل «۳».

و الرّوايات المختلفة الألفاظ للحديث عند البخارىّ و عند مسلم نفسه تؤيّد ذلك، و نورد هنا رواية البخارىّ؛ لوضوحها و اختصارها، و هى عندهما معا من طريق ابن شهاب الزّهرىّ عن أبى سلمة عن جابر ... [و ذكر كما تقدّم عنه، فقال:]

فبان بهذا أنّ الأوّليّة الحقيقيّة هى الّتى فى حديث عائشة، و أنّ الّتى فى حديث جابر إنّما هى أوّليّة إضافيّة؛ لأنّ الحديث عن فترة الوحى لا يكون إلّا بعد وحى سابق زيادة على أنّ مضمون الآيات المفتتح بها سورة المدّثّر و افتتاحها هذا، ممّا يؤذن بسبق خطاب اقْرَأْ على خطاب يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ.

و إذا كانت أوّل ما نزل هو قوله تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ، كما ثبت لدينا بالدّليل القاطع، فإنّ آخر ما نزل على الرّاجح و المعتمد هو قوله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ الآية «۴»، أخرجه النّسائىّ و ابن مردويه و الطّبرىّ عن ابن عبّاس «۵» ... (۲۵- ۳۳)

---

(۱)- الإتقان: ۵۳، شهر القرآن، للشّيخ على البولاقىّ- الوعى الإسلامىّ، العدد ۵۷.

(۲)- البخارىّ ۱: ۶۶.

(۳)- البرهان ۱: ۲۰۶.

(۴)- البقرة/ ۲۸۱.

(۵)- الإتقان ۱: ۲۷.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۸۹

الفصل الحادى و الثّمانون نصّ الدّكتور على الصّغير فى «دراسات قرآنيّة»

نزول القرآن

نزل القرآن بأرقى صور الوحى، و تأريخ نزوله يمثّل تأريخ القرآن فى حياة النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و هو تأريخ يستغرق ثلاثة و عشرين عاما «۱».

هذه الحقبة الذّهبيّة هى تأريخ الرّسالة المحمّديّة فى عصر صاحب الرّسالة، و العناية بها منبثقة عن عناية الوحى بصاحبها، و بتواجده معه يحمّله العبء حينا، و يلقى له بالمسئوليّة حينا آخر، و يتناوب عليه بآيات اللّه بين هذا و ذلك.

و كان نزول القرآن مدرّجا، و تفريقه منجّما، ممّا أجمعت عليه الأمّة، و صحّت به الآثار الاستقرائيّة، استجابة للضّرورة الملحّة، و اقتضاء للحكمة الفذّة فى تعاقب التّعليمات الإلهيّة، يسرا و مرونة و استيعابا.

و الّذى يهمّنا فى هذه المرحلة عطاؤها الإنسانىّ فى ضبط النّصّ القرآنىّ، و دقّة

---

(۱)- هنالك عدّة أقوال فى مدّة نزول القرآن؛ فقيل: عشرون، أو ثلاث و عشرون، أو خمس و عشرون سنة. و هو مبنىّ على الخلاف فى مدّة إقامته صلّى اللّه عليه و آله بمكّة بعد النّبوّة؛ فقيل عشر سنوات، و قيل: ثلاث عشرة، و قيل: خمس عشرة سنة. و لم يختلف فى مدّة إقامته بالمدينة أنّها عشر. (البرهان: ۱/ ۲۳۲). فإذا علمنا أنّه صلّى اللّه عليه و آله أوحى إليه و هو ابن أربعين سنة، و توفّى و عمره ثلاث و ستّون سنة، ترجّح أن تكون مدّة الوحى ثلاثة و عشرين عاما.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۹۰

أصوله و وصوله من ينابيعه الأولى، و هو موضوع البحث.

يكاد أن يتوافر لنا اقتناع نطمئنّ إليه بأنّ أوائل سورة العلق هو أوّل ما نزل من القرآن.

و منشأ هذا الاقتناع تأريخىّ و عقلىّ، أمّا التّأريخىّ فمصدره إجماع المفسّرين تقريبا، و رواة الأثر، و أساطين علوم القرآن «۱». و أمّا العقلىّ فالقرآن أنزل على أمّىّ لا عهد له بالقراءة؛ ليبلّغه إلى أمّيّين لا عهد لهم بالتّعلّم، فكان أوّل طوق يجب أن يكسر، و أوّل حاجز يجب أن يتجاوز، هو الجمود الفكرىّ و التّقوقع على الأوهام، و ما سبيل ذلك إلّا الافتتاح، بما يتناسب مع هذه الثّورة، و قد كان ذلك بداية للرّسالة بهذه الآيات بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* اقْرَأْ بِاسْمِ ... إلى ما لَمْ يَعْلَمْ «۲».

إنّها الدّعوة الفطريّة إلى العلم و الإيمان بوقت واحد، و البداية الطّبيعيّة لملهم هذا العلم، و رائد وسيلة التّعلّم، فهو إرهاص بإيمان سيشعّ، و إشعار بإفاضات ستنتشر، مصدرها الخالق، و أداتها القلم؛ لارتياد المجهول، و اكتشاف المكنون، و القرآن كتاب هداية و علم.

فلا ضير أن تكون أوائل العلق أوّل ما نزل، و سياقها القرآنىّ لا يمنع من نزولها دفعة واحدة، لا سيّما إذا وجدنا نصّا فى أثر، أو رواية من ثقة.

و أمّا ما حكاه ابن النّقيب فى مقدّمة تفسيره، و أخرجه الواحدىّ عن عكرمة و الحسن، و الضّحّاك عن ابن عبّاس من أوّل ما نزل من القرآن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ «۳» فلا ريب فيه، و لا غبار عليه: فإنّه من ضرورة نزول السّورة نزول البسملة معها، فهى أوّل آية نزلت

على الإطلاق «۴».

و بدأت مسيرة الوحى تلقى بثقلها على عاتق الرّسول الأعظم صلّى اللّه عليه و آله، و فتح محمّد للنّداء السّماوىّ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا «۵» ذراعا و قلبا و تأريخا. و هذا القول ثقيل

(۱)- الصّحيح ۱: ۵، الباقلّانىّ- نكت الانتصار: ۸۸، مجمع البيان ۵: ۱۴، البرهان ۱: ۲۰۶، الإتقان ۱: ۶۸ و ما بعدها.

(۲)- العلق/ ۱- ۵.

(۳)- الإتقان ۱: ۷۱.

(۴)- المصدر نفسه ۱: ۷۱.

(۵)- المزّمّل/ ۴.

بمبناه و معناه، فهبوطه من سماء العزّة، و ساحة الكبرياء و العظمة يوحى بثقله فى الميزان، و تسييره للحياة العامّة بشئونها المتعدّدة يوحى بكونه عبأ ثقيلا فى التّشريع و التّنفيذ و إدارة الكون و العالم.

إنّ تلقّى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لهذا القول يعنى النّهوض بما تتطلّبه الرّسالة من جهد و عناء و صبر، و نهوضه بذلك يعنى تحمّله لهذا الثّقل فى الإلقاء و الإنزال و التّبليغ و الإعداد.

و نزل القرآن منجّما؛ الآية و الآيتين و الثّلاث و الأربع، و ورد نزول الآيات خمسا و عشرا و أكثر من ذلك و أقلّ، كما صحّ نزول سور كاملة «۱».

و نزل القرآن فى شهر رمضان المبارك: شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ «۲»، و فى ليلة مباركة فيه: إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةٍ مُبارَكَةٍ «۳»، و حملت اللّيلة المباركة على ليلة القدر:

إِنَّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ «۴»، هكذا صرّح القرآن.

و اختلف فى هذا الإنزال كلّا أو جزء، جملة أو نجوما، دفعة أو دفعات، إلى السّماء الدّنيا تارة، و على قلب النّبىّ تارة أخرى «۵».

و أورد الطّبرسىّ جملة الأقوال فى ذلك:

أ- إنّ اللّه أنزل جميع القرآن فى ليلة القدر إلى السّماء الدّنيا، ثمّ أنزل على النّبىّ بعد ذلك نجوما، و هو رأى ابن عبّاس.

ب- إنّه ابتدأ إنزاله فى ليلة القدر، ثمّ نزل بعد ذلك منجّما فى أوقات مختلفة، و به قال الشّعبىّ «۶».

ج- إنّه كان ينزل إلى السّماء الدّنيا فى ليلة القدر ما يحتاج إليه فى تلك السّنة جملة

(۱)- الإتقان ۱: ۱۲۴ و ما بعدها.

(۲)- البقرة/ ۱۸۵.

(۳)- الدّخان/ ۳.

(۴)- القدر/ ۱.

(۵)- تفصيل هذه الآراء و الرّوايات الكثيفة فى المرشد الوجيز: ۱۱ و ما بعدها، البرهان ۱: ۲۳۰ و ما بعدها؛ الإتقان ۱: ۱۱۸، و الأسماء و الصّفات: ۲۳۶.

(۶)- الإتقان ۱: ۱۱۸.

واحدة، ثمّ ینزل علی مواقع النّجوم إرسالا فی الشّهور و الأیّام، و هو رأی ابن عبّاس «۱».

إلّا أنّ ظاهر الآیات أنزل القرآن جملة، و یؤیّده التّعبیر بالإنزال الظّاهر فی اعتبار الدّفعة، دون التّنزیل الظّاهر فی التّدرّج، فمدلول الآیات أنّ للقرآن نزولا جملیّا علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله غیر نزوله التّدریجیّ الّذی تمّ فی ثلاث و عشرین سنة «۲».

لقد أکّد هذا المعنی من ذی قبل ابن عبّاس بقوله: إنّه أنزل فی رمضان، و فی لیلة القدر، و فی لیلة مبارکة جملة واحدة، ثمّ أنزل بعد ذلک علی مواقع النّجوم رسلا فی الشّهور و الأیّام «۳».

و مهما یکن من أمر، فلا ریب بنزوله مفرّقا و منجّما؛ لیثبت إعجازه فی کلّ اللّحظات، و لینضح بتعلیماته بشتّی الظّروف، فی حین یعترض فیه الکفرة علی هذا النّزول: وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ وَ رَتَّلْناهُ تَرْتِیلًا «۴».

و لکنّ الرّد کان حاسما؛ لأنّ الوحی إذا تجدّد فی کلّ حادثة، کان أقوی للعزم، و أثبت للفؤاد، و أدعی للحفظ و الاستظهار، و أشدّ عنایة بالمرسل إلیه، فلا یغیب عنه إلّا و یهبط علیه، و لا یودعه حتّی یستقبله، و ذلک یستلزم کثرة نزول الملک علیه و تجدید العهد به، و بما معه من الرّسالة، و هو مضافا إلی العطاء الرّوحیّ، ذو عطاء نفسیّ تهذیبیّ بالنّسبة للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله: و لهذا کان أجود ما یکون فی رمضان لکثرة نزول جبریل علیه السّلام علیه فیه «۵».

و ناهیک فی أسرار تعدّد النّزول حکمة و یقینا و استمرارا لجدّة القرآن، و حضوره فی زخمة الأحداث، و تجدّد الوقائع، و طبیعة الرّسالة المتدرّجة فی تعالیمها من الأسهل إلی السّهل، و من السّهل إلی الصّعب، و من الکلّیّات العامّة إلی التّفصیلات الجزئیّة.

و الوحی ینظر إلی النّاس باعتبارهم الهدف الرّئیسیّ من تنزیل القرآن قصد هدایتهم، و رجاء إثابتهم إلی الحقّ، فاهتمّ بهذا العنصر فی سبب النّزول مفرّقا، و صرّح بذلک سبحانه

---

(۱)- مجمع البیان ۱: ۲۷۶.

(۲)- المیزان ۲۰: ۳۳۰.

(۳)- الأسماء و الصّفات: ۲۳۶.

(۴)- الفرقان/ ۳۲.

(۵)- المرشد الوجیز: ۲۸.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۹۳

و تعالی: وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ وَ نَزَّلْناهُ تَنْزِیلًا «۱».

۱- و قد أفاض القدامی من العلماء و المفسّرین فی أسرار التّنجیم فی النّزول، استفادوا قسما منها من القرآن، و اجتهدوا فی القسم الآخر، فمن الأوّل تیسیر حفظ القرآن، و تثبیت فؤاد النّبیّ، و معرفة النّاسخ من المنسوخ، و الإجابة عن أسئلة السّائلین «۲».

و من الثّانی کون القرآن أنزل و هو غیر مکتوب علی نبیّ أمّیّ، کما حکی ذلک عن أبی بکر بن فورک (ت: ۴۰۶ ه) «۳».

و قد لاحظ باحث معاصر أنّ القدامی قد أدرکوا حکمتین فی ذلک، هما: تجاوب الوحی مع الرّسول، و تجاوبه مع المؤمنین «۴».

۲- و إذا کان ما فهمه القدامی- کما یدّعی- یقف عند هذا الحدّ، فلا ینبغی عند الباحثین المحدثین أن یقف عند حدود معیّنة، و علیهم الإمعان و الإیغال فی الاستنتاج.

و إن کان کلّ ما تقدّم هو الصّحیح، و لکن لا مانع أن یضاف إلیه بأنّ القرآن الکریم- کما یبدو من منهجیته الاستقرائیّة- یرید کتابة التّأریخ الإنسانیّ، بکلّ ما فی هذا التّأریخ من مفارقات و أحداث و نوازع و تطوّرات، و التّأریخ إنّما یکتب فی جزئیّاته، و من ضمّ هذه الجزئیات بعضها لبعض یتکوّن التّأریخ بمظاهره الماضیة و تطلّعاته الحالیة؛ لإنارة المستقبل و إضاءة درب السّالکین، و التّأریخ لا یتألّف جملة واحدة، و إنّما ینجّم موضوعات و صورا و مشاهد، و من مجموعها یتشکّل الأثر البارز لسمة من السّمات، و القرآن إنّما

يعنى بتأريخ الأمم و الإيمان، و الشعوب و الهداية، فهما رمزان متلازمان، تنحصر عليه ذكر أحدهما بالآخر، حصرا عضويّا ترى فيه الكون و قضيّة التّوحيد يشكلان خطوطا رئيسيّة تنبثق منها حيثيّات فرعيّة فى النّبوّة و الرّسالة و عوالم الحياة.

۳- و الرّسالة المحمّديّة إحدى سنن الكون البنائيّة، و كما تقتضى سنن الكون

---

(۱)- الإسراء/ ۱۰۶.

(۲)- الإتقان ۱: ۸۵- ۱۲۱، المرشد الوجيز: ۲۸.

(۳)- البرهان ۱: ۲۳۱.

(۴)- صبحى الصّالح، مباحث فى علوم القرآن ۵۲.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۹۴

التّدرّج، فهى تقتضى التّدرّج كما اقتضتها، ابتداء بخلق السّماوات و الأرض و الأفلاك و ما فيهن و ما بينهنّ، و انتهاء بخلق الإنسان و حياته و أطواره و نشوئه و مماته و تلاشيه و إعادته حيّا، و إثابته أو عقابه.

و السّنن الطّبعيّة فى الحياة تلتقى بالسّنن الرّوحيّة فى القرآن، فمصدرهما واحد، و هو تلك القوّة الخلّاقة المبدعة المدبّرة، و هى كما تستطيع أن تحكم الأمر فجأة كلمح البصر وَ ما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ «۱»، فهى كذلك تستمهل و تتدرّج وفقا لمصالح الكون، و تنظر لشئون الحياة، و كان التّدرّج فى نزول القرآن من هذا الباب.

۴- و ما التّدرّج فى نزول القرآن إلّا دليل من أدلّة إعجازه البيانيّة، فما نزل منه لم يكن بادئ الأمر إلّا سورا قصيرة، و آيات متناثرة تناثر النّجوم، و هو بهذا القدر الضّئيل ينادى بالتّحدّى، فدلّ على إعجازه فى ذاته مع محاولة تقليده و مضاهاته، سواء أ كان جزء أم كلّا. فقليله معجز، و كثيره معجز، و لقد وقع هذا التّحدّى فى مكّة على هذا القليل فما نالوه، و وقع فى المدينة و هو متكامل بنفس المنظور، و بناء على هذا التّأسيس فقد كان التّدرّج فى النّزول مصاحبا لعمليّة الإعجاز، و دليلا من أدلّتها النّاطقة، و هو بعد مشعل هداية فى السّعى و العمل و المثابرة.

۵- و هنالك ملحظ جدير بالأهميّة فى هذا النّزول التّدريجىّ، هو إحكام الأمر و إبرام العقد، و هذا الإحكام و ذلك الإبرام يتمثّل بعمليّة صياغة النّفوس فى إطار جديد، فهى على قرب عهد من الجاهليّة بأعرافها و مفاهيمها و أخطائها، و النّقلة الفوريّة ليست خطوة عمليّة فى التّغيير الاجتماعىّ الّذى أرادته رسالة القرآن، فمن عزم الأمور- إذن- أن تستجيب النّفوس لهذا التّغيير الجذرىّ، و لكن لا على أساس المفاجئة الخطرة، الّتى قد تولّد ردّة فعل مضادّة تطوح بكلّ شىء، بل تقليص القيم القديمة شيئا فشيئا، و تضييعها جزء فجزء، لتتلاشى فى نهاية المطاف، و تختفى عن صرح الاجتماع. و خير دليل على ذلك مسألة تحريم الخمرة؛ إذ ارتبطت بالعرب أدبيّا و اجتماعيّا و نفسيّا و اقتصاديّا، و هى جوانب متعدّدة، أباحت هذا الإدمان المستحكم عند العرب، فلو حرّمت دفعة واحدة لكفر

---

(۱)- القمر/ ۵۰.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۹۵

بهذا التّحريم، و لضاعت فرصة التّغيير الاجتماعىّ، و لكنّ الوحى تلبّث و ترصّد و تأنّى، فجاء بالأمر فى خطوات متعاقبة شملت بيان المنافع و المضارّ و المآثم، و تدرّجت إلى النّهى عن اقتراب الصّلاة وَ أَنْتُمْ سُكارى، و انتهت إلى التّحريم النّهائىّ: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصابُ وَ الْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ ... «۱».

۶- و لنقف بهذا الجانب الحسّاس و المؤثّر على صلب الموضوع من بدايته قبل النّظر فى التّطبيق.

كانت الجزيرة العربيّة بعامّة، و مكّة المكرّمة بخاصّة، تتجاذبهما عقائد شتّى، فالصّابئة لها طقوسها المختلطة من ابتداعات و شعائر ترتبط

بالكواكب و تأثيرها على الأحداث الأرضيّة «۲». و ما امتزج من عاداتهم فى مذاهب قريش فى الوثنيّة و عبادة الملائكة، و مراسم الحجّ.

و المسيحيّة و ما صاحب مبادئها من تحريف مزدوج، و تغيير مفاجئ، فبدل التّسامح الدّينىّ الّذى اشتهرت به تعاليم السيّد المسيح، و الزّهد فى الحياة بكلّ مظاهرها، استخدم المسيحيّون فى إرضاء شهواتهم كلّ وسائل العبث و التّرف و القسوة، فمن عزلة مصطنعة إلى تزمّت مفتعل، و من تثليث لا- يستقيم إلى وثنيّة مستهجنة، و من تمسّك باللّاهوت إلى ابتزاز للحرّيّة، كلّ ذلك يتراصف نماؤه بين أوهام موروثة و خرافات مستجدة.

و اليهوديّة بما كان يكتنفها من غموض فى ستر العلم و تحريف للكلم عن مواضعه، و استيعاب لاستحصال المال، و جمع الثّروة عن طريق الخيانة و الرّبا و الاحتكار.

و الحنفيّة و هى أسلم الأديان آنذاك عن الدّسّ و التّحريف الكبيرين، فقد أدخل عليها مع ذلك تزييف فى بعض الوقائع، و مغالطة فى طقوس الحجّ و متابعة الوثنيّة، و ارتباط قسم من العرب بها على أساس من التّعصّب للأخطاء الموروثة فى تألية الملائكة و تأنيثها، و عبادة الأصنام و تقديسها، و رؤية الشّمس و القمر و الكواكب بمنظار الأرباب.

---

(۱)- المائدة/ ۹۰.

(۲)- أنظر جزء من عقائد الصّابئة- محمّد عبد اللّه دراز- مدخل إلى القرآن الكريم (۱۳۲) و ما بعدها.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۶۹۶

و الجاهليّة و أرجاسها فى الوأد و البغاء و الرّبا و الزّنى، و قتل الأولاد خشية الفقر، و أكل التّراث و حبّ المال، و وراثة النّساء كرها بما صرّح به القرآن فى آيات عديدة، و مواضع كثيرة من سوره «۱».

ألا يتناسب مع هذا الخليط العجيب من الدّيانات المحرّفة و تعدّد الآلهة، أن يبدأ الوحى بنداء التّوحيد لأوّل مرّة، و قد كان ذلك كذلك، فاستنقذ النّاس من عبوديّة الفكر و استرقاق النّفوس، و اتّجه بها إلى عبادة اللّه الواحد القهّار، و هى عبادة تجمع إلى راحة الضّمير صدق العبوديّة دون إذلال، و صحّة الاعتقاد دون انحراف، ابتعادا عن الخرافات و الأساطير و المتاهات.

و كان من الجدير بعد هذه الاستجابة أن يتمّ تشريع الصّلاة؛ لأنّها تتضمّن التّوحيد و العبادة بوقت واحد.

و حينما اتّجهت القلوب للّه بدأ تطهير النّفوس بالخلق و الأدب و الصّفاء الرّوحى و الإيثار، و كان كذلك منطلق الوحى بتعليماته الواحدة تلو الأخرى.

۷- و اشتدّ الأذى بالمسلمين، فكانت قصص الغابرين إيذانا بحرب نفسيّة، فما هم عنها ببعيد: وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عاداً الْأُولى* وَ ثَمُودَ فَما أَبْقى «۲».

و كانت أحاديث الأنبياء مع أممهم، و استقراء أحوالهم فى العذاب نذيرا بما قد يصيب العرب نتيجة التّكذيب، و الأمور تقاس بأضرابها: كَذَّبَتْ عادٌ فَكَيْفَ كانَ عَذابِي وَ نُذُرِ* إِنَّا أَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ* تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ «۳».

و هكذا الحال فى كلّ من قوله تعالى: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ، كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ، وَ لَقَدْ جاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ «۴».

---

(۱)- أنظر على سبيل المثال العادات الجاهليّة كما يصورّها القرآن: النّساء/ ۱۹، ۲۰، ۲۱، ۲۲، ۲۳، ۳۸، ۱۲۷، الأنعام/ ۱۴۰، النّور/ ۳۳، الفجر/ ۱۷، ۱۸، ۱۹، ۲۰.

(۲)- النّجم/ ۵۰- ۵۱.

(۳)- القمر/ ۱۸- ۲۰.

(۴)- القمر/ ۲۳، ۳۳، ۴۱.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۹۷

و هی مؤشّرات إنذاریة فی آیات من سورة واحدة، فکیف بک فی السّور المکّیّة کافّة؟

و قد ذکّرت قریش بعذاب الاستئصال فی الفترة المکّیّة، و کان ذلک مجالا رحبا من مجالات الوحی فی هذه الحقبة العصیبة، فثاب من ثاب إلی رشد، و تجبّر من تجبّر فی ضلال، و أمثلة عدیدة متوافرة، و من نماذجه قوله تعالی: أَ وَ لَمْ یَهْدِ لَهُمْ کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ یَمْشُونَ فِی مَساکِنِهِمْ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ أَ فَلا یَسْمَعُونَ «۱».

و هکذا الإشارة إلی مجموعة الأمم المکذّبة، و قد مزّقوا کلّ ممزّق، کما فی قوله تعالی: ثمّ ارسلنا رسلنا تتری کلما جاء امّة رسولها کذّبوه فاتبعنا بعضهم بعضا و جعلناهم احادیث فبعدا لقوم لا یؤمنون «۲». و ما قصّة نوح مع قومه، و موسی مع آل فرعون، و صالح و شعیب و هود إلّا مؤشّرات فیما سبق.

۸- و قد تناسق بشکل متقن عجیب استقراء الیوم الآخر، و التّذکیر بأهواله و مظاهره، و التّحذیر من عذابه و کوارثه، و التّصریح بفناء الأعراض و ذهابها، و تلاشی العوالم و نهایتها، و صفة الجنّة و النّار، و حال المؤمنین و الکافرین، و قد مثّل ذلک بسور فضلا عن الآیات، و بمجموعة مکّیّة منها زیادة عن المتفرّقات. و ما سورة الرّحمن و الواقعة و الحاقّة و المعارج و المدّثّر و القیامة و المرسلات و النّبأ و النّازعات و التّکویر و الانفطار و المطفّفین و الانشقاق و الطّارق و الغاشیة و البلد و القارعة و التّکاثر، و غیر ذلک إلّا معالم فی هذا الطّریق مضافا إلی مئات الآیات الأخری المتناثرة نجوما فی معظم السّور المکّیّة.

۹- و زیادة علی التّشریع المناسب فی المدینة المنوّرة، و إقرار الأحکام، و توالی الفروض، و الدّعوة إلی الجهاد، و تصنیف معالم القتال، و تحدید سهام الحقوق، فقد عانت المدینة من ظاهرة النّفاق، متسترّة بالدّین تارة، و متأطّرة بسبیل أهل الکتاب تارة أخری، فقد تعدّد مکرهم بالنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و عظم وقعهم علی المسلمین، فکانوا رأس کلّ فتنة، و أصل

---

(۱)- السّجدة/ ۲۶.

(۲)- المؤمنون/ ۴۴.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۹۸

کلّ سوأة، فالدّسائس تحاک، و الأراجیف تروّج، و الأباطیل تلوکها الألسن، فما کان من القرآن إلّا أن تعقّبهم بالّتی هی أحسن تارة، و بالإنذار تارة أخری، و بالتّقریع و التّوبیخ و غیرهما، فکان الوعید علی أشدّه، و الإغراء بهم علی و شکّ الوقوع، و قد عالج القرآن مشکلتهم، و سلّط الأضواء علی تحرّکاتهم، و تربّصهم الدّوائر بالإسلام، و صوّر حالتهم النّفسیّة و الخلقیّة الجماعیّة و الفردیّة، و أبان واقعهم الدّنیویّ و مآلهم الأخرویّ، و قد جاء ذلک متراصفا فی سور عدیدة؛ لمعالجة کلّ حالة بإزائها، فکانت سورة البقرة و آل عمران و النّساء و المائدة و الأنفال و التّوبة و العنکبوت و الأحزاب و الفتح و الحدید و الحشر و المنافقون و التّحریم، میادین فارهة فی تعقیب ظاهرة النّفاق و حقیقة المنافقین، فکان ذلک سمة لهم لا تبلی.

و لا نرید أن نطیل أکثر فأکثر فی هذا الجانب و سواء، فهو بدیهیّ لاستکمال الرّسالة و ضرورة تطبیقها، و مواکبة الوحی لهذه الأحداث و الأزمات و المؤشّرات دلیل علی أصالة هذا المنهج المتناسب تأریخیّا و زمنیّا مع مرحلیّة الظّروف.

۱۰- و هناک العلاقة الثّنائیّة بین الوحی و النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و هناک التّجاوب المطلق بینهما، و کان تحقّق ذلک فی التّدرّج بالنّزول، و کانت الأزمات- و هی تحاول أن تعصف بالنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله- تضرب فجأة بإرادة الوحی الإلهیّ، فهو إلی جنبه یشدّ عزمه، و یقوّی أسره، و یسلّیه تارة، و یعزّیه تارة أخری، و یصبّره و یؤسّیه فیما یقتصّ له من الأنباء، و ما یورده من الصّبر، و ما

یحدّده من الأحکام، مفرّقا بین الحقّ الثّابت الرّصین، و الباطل المتزعزع الواهن، و فی ذلک تثبیت له علی المثل، و تحریض له علی المثابرة، و إعلام له بالنّصر؛ لأنّها سنّة اللّه مع رسله و أنبیائه.

و هناک أسئلة تتطلّب الإجابة المحدّدة، و حوادث تستدعی القول الفصل، و لا یضمن هذا إلّا الوحی فیما ینزل به، فقد سألوه عن الخمر و المیسر، و سألوه عن المحیض، و سألوه عن القتال فی الأشهر الحرم، و سألوه عن الأهلّة، و سألوه عن السّاعة، و سألوه عن الرّوح، و سألوه عن الأنفال، و سألوه عن الجبال، و سألوه عن ذی القرنین و هکذا، فتصدّر الوحی للإجابة الفاصلة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۶۹۹

و استفتوه فی النّساء، و استفتوه فی الکلالة، فأفتاهم الوحی عن اللّه. و وقع الظّهار و الإیلاء و حادثة الإفک، و غنموا فی الحرب، و حصل الزّنی، و نزلت السّرقة، و بدأ القتل العمد و القتل الخطأ، و هی حوادث متعدّدة فی أزمنة متعدّدة، و قد نزلت أحکامها المتعدّدة، و هکذا.

إنّ الإحصاء الدّقیق لهذه الجزئیّات قد لا ینتهی إلّا بصفحات کبیرة لا یتّسع لها هذا البحث، و فیما أشرنا له غنیّة فی التّمثیل التّطبیقیّ.

۱۱- و هناک ملحظ جدیر بالأهمیّة فی الوحی التّدریجیّ، یعود إلی التّنزیل نفسه؛ لیحکم فیه علی ناحیتین:

الأولی: أنّه لیس من کلام البشر، و إنّما هو من کلام اللّه وحده، و ذلک أنّ هذه المراحل المتعدّدة الّتی مرّ فیها، لم یحصل فیه تفاوت فی الأسلوب البیانیّ، فهو فی الأوّل نفسه فی الوسط و الآخر، و مع کثرة الأحداث و تعدّد المسئولیّات فی بیان الأحکام، و تدارک النّوازل، و استیعاب المشکلات، لم یبد فیه- و لو مرّة واحدة- أیّ اختلاف و تناقض، و لو کان من کلام البشر، لحصل فیه التّفاوت و التّناقض معا، و صدق اللّه تعالی حیث یقول:

وَ لَوْ کانَ مِنْ عِنْدِ غَیْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِیهِ اخْتِلافاً کَثِیراً «۱».

الثّانیة: أنّ قلیل هذا التّنزیل و کثیره هو الدّلیل المتعاقب- مرّة بعد مرّة- علی نبوّة محمّد صلّی اللّه علیه و آله؛ لأنّ مراعاة المناسبة، و العقل فی الأمر الجلل، و التّحدّث عن الغیب المطلق، کلّ ذلک بتحدید قاطع، و حجّة لا تقبل جدلا، لا یمکن أن یکون إلّا من قبل اللّه تعالی؛ لأنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله أمّیّ یفقد أدنی ما یمکن أن یتمتّع به غیره من النّاس الاعتیادیّین فی القراءة و الکتابة، فکیف إذن بمسائل التّشریع، و إخبار الغیب، و قضایا السّاعة، و مختلف الأحکام، و لم یسبق له أن مارس قبل بعثته أیّ نوع من أنواع الثّقافة و المعرفة الّتی تتناسب مع هذا العطاء المتواصل من الوحی، و فی هذه القضیّة الخارجة عن مقدرة النّبیّ تأکید لقوله تعالی: وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَیْنا بَعْضَ الْأَقاوِیلِ* لَأَخَذْنا مِنْهُ بِالْیَمِینِ* ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْهُ الْوَتِینَ* فَما مِنْکُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزِینَ «۲». (ص: ۳۷- ۴۹)

---

(۱)- النّساء/ ۸۲.

(۲)- الحاقّة/ ۴۴- ۴۷.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۰۱

الأعلام و المصادر نبذة مختصرة عن ترجمة أصحاب هذه النّصوص

اشارة

نودّ التّنبیه هنا علی أنّنا نری من الضّروریّ ذکر نبذة موجزة عن ترجمة هؤلاء المؤلّفین الّذین وردت أسماؤهم فی هذه النّصوص مرتّبة بحسب تاریخ وفیاتهم، ملخّصة عن عدّة مصادر، و فی ما یلی أسماؤهم مرتّبة بحسب حروف الهجاء.

ملاحظات:

۱- اکتفینا عند عرض النّصوص بالاسم الّذی اشتهر به المؤلّف و بها اشتهر کتابه، و لهذا ینبغی الرّجوع إلی هذا الفهرس: «فهرس الأعلام و المصادر» لأجل الاطّلاع علی الأسماء الکاملة للمؤلّفین و لکتبهم.

۲- إذا لم یتیسّر لنا الاطّلاع علی سنة ولادة أو وفاة بعض أصحاب هذه النّصوص من المعاصرین، نذکر کلمة (معاصر) أمام اسمه و تاریخ تألیف کتابه أو تاریخ طبعته فی آخر ترجمته.

۳- ذکرنا المصادر و المراجع الّتی استقینا منها النّصوص فی آخر ترجمة کلّ شخص، علما بأنّ بعض الأعلام الواردة أسماؤهم فی هذا الفهرس هم من أصحاب المؤلّفات و المصنّفات الکثیرة، و لکنّا اکتفینا فی الفهرس بما استفدنا منها من کتبهم فی هذه النّصوص دون غیرها.

۴- إذا وقفنا علی مصادر أخری فی سائر الأجزاء نذکرها هناک من دون تکرار ما فی هذا الفهرس.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۰۲

(آ)

الآصفیّ (معاصر)

هو الشّیخ علیّ بن محمّد البروجردیّ الآصفیّ، ولد فی النّجف الأشرف، له «دراسات فی القرآن» [ط: مطبعة النّعمان النّجف- ألّفه عام ۱۳۸۶ ه].

الآلوسیّ (۱۲۱۷- ۱۲۷۰ ه)

هو شهاب الدّین محمود بن عبد اللّه الحسینیّ الآلوسیّ البغدادیّ، کان مفسّرا محقّقا، سلفیّ الاعتقاد، له «روح المعانی فی تفسیر القرآن» [۳۰ ج، ط: دار إحیاء التّراث العربیّ- بیروت- ۱۳۵۳ ه].

(ا)

ابن بادیس (۱۳۰۵- ۱۳۵۹ ه)

هو عبد الحمید بن محمّد المعروف بابن بادیس، قائد الثّورة الإسلامیّة العربیّة ضدّ الاستعمار الفرنسیّ بالجزائر، له تفسیر یسمّی باسمه [۱ ج، ط: دار الفکر- بیروت- ۱۳۹۰ ه].

ابن جزیّ (۶۹۳- ۷۴۱ ه)

هو أبو القاسم محمّد بن أحمد بن جزیّ الکلبیّ، العالم اللّغویّ الفقیه المفسّر من أهل غرناطة، له «التّسهیل لعلوم التّنزیل» [۴ ج، ط، دار الکتب العربیّ- بیروت- ۱۳۹۳ ه].

ابن الجوزیّ (۵۰۸- ۵۹۷ ه)

هو أبو الفرج جمال الدّین عبد الرّحمن بن علیّ، المعروف بابن الجوزیّ الحنبلیّ، محدّث، مفسّر، مولده و وفاته ببغداد، له «زاد المسیر فی علم التّفسیر» [۹ ج، ط: المکتب الإسلامیّ- بیروت ۱۳۸۴ ه].

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۰۳

ابن حجر (۷۷۳- ۸۵۲ ه)

هو أبو الفضل شهاب الدّين أحمد بن علىّ المعروف بابن حجر العسقلانىّ الفلسطينىّ، و هو أعظم نقّاد الحديث و شرّاحه، له «فتح البارى بشرح صحيح البخارىّ» [ط (۲) دار إحياء التّراث العربىّ- بيروت- ۱۴۰۲ ه].

ابن شهرآشوب (...- ۵۸۸)

هو أبو جعفر رشيد الدّين محمّد بن علىّ بن شهرآشوب السّروىّ المازندرانىّ، أصله من سارية (سارى) من بلاد مازندران، له كتب كثيرة منها: «مناقب آل أبى طالب» [۴ ج، ط (۲) دار الأضواء- بيروت- ۱۴۱۲ ه].

ابن طاوس (۵۸۹- ۶۶۴ ه)

هو علىّ بن موسى بن جعفر بن طاوس حفيد بنت الشّيخ الطّوسىّ، فقيه، أديب، و صاحب الكرامات، مولده بالحلّة و مدفنه ببغداد، له «سعد السّعود» [ط: أمير- قم- ۱۳۶۳ ه].

ابن كثير (۷۰۱- ۷۷۴ ه)

هو أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الشّافعىّ، حافظ، فقيه، مؤرّخ، ولد ببصرى الشّام. له تفسير يعرف باسمه [۷ ج، ط (۲) دار الفكر- بيروت- ۱۳۸۹ ه] و «البداية و النّهاية». [۱۴ ج، مكتبة المعارف- بيروت- و مكتبة النّصر- الرّياض- ۱۳۸۸ ه].

ابن النّديم (۴۳۸ ه)

هو أبو الفرج محمّد بن أبى يعقوب النّديم البغدادىّ. له كتاب «الفهرست»، و هو من أقدم كتب التّراجم و أفضلها [ط: دار المعرفة- بيروت- ۱۳۹۸ ه].

أبو حيّان (۶۵۴- ۷۴۵ ه)

هو محمّد بن يوسف بن علىّ بن حيّان الغرناطىّ الأندلسىّ الشّافعىّ، مفسّر، محدّث، لغوىّ، له «تفسير البحر المحيط» [۸ ج، ط: دار الفكر للطّباعة و النّشر- بيروت- ۱۴۰۳ ه].

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۰۴

أبو زهرة (معاصر)

هو الشّيخ محمّد أبو زهرة من الأساتذة الكبار بجامعتى الأزهر و القاهرة، عالم بفقه المذاهب الإسلاميّة، له «المعجزة الكبرى» [ط، ن: دار الفكر العربىّ- بيروت- ألّفه عام ۱۳۹۰ ه] و «الملكيّة و نظرية العقد فى الشّريعة الإسلاميّة» [ط، ن: دار الفكر العربىّ بيروت ألّفه عام ۱۳۹۶ ه].

أبو شامة (۵۹۹- ۶۶۵ ه)

هو أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسماعيل المقدسىّ، محدّث، مفسّر، أصله من القدس، مولده و وفاته فى دمشق، و لقّب بأبى شامة

لشامة كبيرة كانت فوق حاجبيه، له «المرشد الوجيز» [ن:
دار صادر بيروت: ۱۳۹۵ ه].

أبو شهبة (۱۳۳۳– ..)

هو الدّكتور محمّد محمّد أبو شهبة المصرىّ، أستاذ علوم القرآن بجامعة الأزهر، له كتب كثيرة منها: «المدخل لدراسة القرآن الكريم» [ط (۲) دار الكتب– القاهرة– ۱۹۷۳ ه].

أبو الفتوح (...– ۵۳۵ ه) «۱»

هو جمال الدّين حسين بن علىّ الخزاعىّ المعروف بأبى الفتوح الرّازىّ، مفسّر، متكلّم، فقيه، مولده و مدفنه بالرّى، له «تفسير روض الجنان و روح الجنان» [ط: مكتبة آية اللّه العظمى المرعشىّ النّجفىّ– قم– ۱۴۰۴ ه].

الأبيارىّ (معاصر)

هو إبراهيم الأبيارىّ، عالم، محقّق من القاهرة بمصر، له «الموسوعة القرآنيّة» [۱۱ ج، ط، ن: مؤسّسة سجلّ العرب ألّفه عام: ۱۴۰۵ ه].

---

(۱)– ذكر الزّركلىّ فى أعلامه: توفّى عام ۵۸۸ ه، و ما ثبّتناه مأخوذ من كتاب «ريحانة الأدب».
نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۰۵

أحمد خليل (معاصر)

هو الدّكتور السّيد أحمد خليل، له «دراسات فى القرآن» [ط، ن: دار المعارف بمصر– ۱۳۹۲ ه].

الأراكىّ (معاصر)

هو الشّيخ محسن الأراكىّ، محقّق، كاتب، من علماء الحوزة العلميّة فى قم المقدّسة، له مقالات فى مجلّة «رسالة القرآن» [ط، ن: دار القرآن الكريم العدد (۱)– قم– ۱۴۱۱ ه].

الأشيقر (معاصر)

هو محمّد علىّ الأشيقر، الأستاذ بكلّيّة بغداد سابقا، له «لمحات من تاريخ القرآن» [ط: مطبعة النّعمان– النّجف– ۱۳۸۷ ه].

الأصفهانىّ (۱۲۶۶– ۱۳۰۸ ه)

هو الشّيخ محمّد حسين الأصفهانىّ النّجفىّ، محدّث، فقيه، حكيم، له «مجد البيان فى تفسير القرآن» [ط: مؤسّسة البعثة– طهران– ۱۴۰۸ ه].

(ب)

البحرانىّ (...– ۱۱۰۷ ه)

هو السّيد هاشم بن سليمان الحسنىّ البحرانىّ الكتكانىّ، مفسر، محدّث، فقيه، له «البرهان فى تفسير القرآن» [۴ ج، ط (۲): آفتاب- طهران- ۱۳۷۵ ه].

البخارىّ (۱۹۵- ۲۵۶ ه)

هو أبو عبد اللّه محمّد بن إسماعيل البخارىّ، المحدّث المشهور، جمع نحو ستّمائة ألف حديث طويل و اختار فى كتابه «الجامع الصّحيح» ما وثق برواته؟! و هو أوثق الكتب السّتّة المعوّل عليها عند السّنّة. [ط: دار إحياء التّراث العربىّ- بيروت-].

البروجردىّ (۱۲۳۸- ۱۲۷۷ ه)

هو السّيد حسين بن السّيد رضا الحسينىّ البروجردىّ الفاطمىّ، فقيه، مفسّر و من تلامذة صاحب الجواهر، له «تفسير الصّراط المستقيم» [ط: الصّدر- طهران].

البروسوىّ (...- ۱۱۲۷ ه)

هو أبو الفداء إسماعيل حقّى بن مصطفى الإسلامبولىّ الحنفىّ، مفسّر، متصوّف من أتباع الطّريقة الخلوتيّة، له التّفسير الكبير «روح البيان» [۱۰ ج، ط: المطبعة العثمانيّة- إستانبول- ۱۹۲۸ م]

البيضاوىّ (۶۸۵- ۷۹۱ ه)

هو عبد اللّه بن عمر بن محمّد البيضاوىّ، قاض، مفسّر، ولد فى مدينة البيضاء قرب شيراز، له «أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل» [۲ ج، ط (۲) مصطفى البابى- مصر- ۱۳۸۸ ه].

البوطىّ (معاصر)

هو الدّكتور محمّد سعيد رمضان البوطىّ كان سوريّا، له كتب، منها: «من روائع القرآن» [ط (۲) مكتبة الفارابىّ دمشق ۱۳۷۸ ه].

البيهقىّ (۳۸۴- ۴۵۸ ه)

هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علىّ الشّافعىّ البيهقىّ، من أئمّة الحديث، ولد فى خسروجرد «۱». له «السّنن الكبرى» [ط: دار المعرفة- بيروت] و «الأسماء و الصّفات» [ط: مطبعة السّعادة- ۱۳۵۸ ه- ن: دار إحياء التّراث العربىّ].

(ح)

الحاكم (۳۲۱- ۴۰۵ ه)

هو أبو عبد اللّه محمّد بن عبد اللّه بن حمدويه المعروف بالحاكم النّيسابورىّ، من أكابر الحفّاظ و المصنّفين، له «المستدرك على الصّحيحين» [۴ ج، ط: مكتب المطبوعات الإسلاميّة- حلب].

(۱)- من قرى بيهق.

الحجازىّ (۱۳۳۸- ...)

هو الشّيخ محمّد محمود الحجازىّ، من العلماء البارزين و أستاذ التّفسير و أصول الدّين فى الأزهر، له «التّفسير الواضح» [ط (۲): دار الكتب العربىّ بمصر، ۱۳۷۱ ه] و «الوحدة الموضوعيّة» [ط: دار الكتب الحديث- القاهرة- ۱۳۹۰ ه].

حجّتى (معاصر)

هو الدّكتور محمّد باقر حجّتى، أستاذ علوم القرآن فى كلّيّة الإلهيّات بطهران و عضو مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، له «مختصر تاريخ القرآن الكريم» [ط: المستشاريّة الثّقافيّة للجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة بدمشق ۱۴۰۵ ه].

الحكيم (معاصر)

هو السيّد محمّد باقر بن المرجع الشّيعىّ الأكبر المرحوم آية اللّه العظمى السّيّد محسن الحكيم العراقىّ، له «علوم القرآن» [ط: مطبعة الاتّحاد- طهران- ۱۴۰۳ ه].

(خ)

الخازن (۶۷۸- ۷۴۱ ه)

هو علىّ بن محمّد بن إبراهيم، المعروف بالخازن الشّافعىّ، و قيل: الشّيعىّ «۱». عالم بالتّفسير و الحديث، له «لباب التّأويل فى معانى التّنزيل» المعروف بتفسير الخازن [۷ ج، ط: مطبعة الاستقامة- القاهرة- ۱۳۸۱ ه].

الخضرىّ (معاصر)

هو الأستاذ الشّيخ محمّد الخضرىّ بك المصرىّ، كان مفتّشا فى وزارة المعارف، و مدرّسا للتّاريخ الإسلامىّ فى الجامعة المصريّة سابقا، له: «تاريخ التّشريع الإسلامىّ» [ط: دار الكتب العلميّة- بيروت- ۱۳۹۰ ه].

(۱)- معجم مصنّفات القرآن لعلى شواخ، ج ۴: ۲۱۴.

الخطيب (۱۳۳۹- ...)

هو عبد الكريم الخطيب المصرىّ، من كبار المؤلّفين البارزين فى القاهرة، له «التّفسير القرآنىّ للقرآن» [۱۶ ج، ط: مطبعة السّنّة المحمّديّة- القاهرة- ۱۳۸۶ ه] و «إعجاز القرآن» [ط:
دار المعرفة- بيروت- ۱۳۹۵ ه].

خليفة (معاصر)

هو الدّكتور محمّد محمّد خليفه، له «مع نزول القرآن» [ط، ن: مكتبة النّهضة المصريّة- القاهرة- ۱۳۹۱ ه].

خليل ياسين (...- ۱۴۰۵)

هو الشّيخ خليل ياسين العاملىّ اللّبنانىّ، له «أضواء على متشابهات القرآن» يحتوى على ۱۶۰۰ سؤال و جواب [۲ ج، ط: مطبعة الجديدة- لبنان- ۱۳۸۸ ه].

الخمينىّ (...- ۱۳۹۸ ه)

هو الشّهيد السّيّد مصطفى المصطفوىّ، ابن آية اللّه العظمى الإمام الخمينىّ قائد الثّورة الإسلاميّة فى إيران كان عالما مجتهدا، فيلسوفا عارفا، له «تفسير القرآن الكريم» [ط: وزارة الإرشاد الإسلامىّ- طهران- ۱۴۰۴ ه].

(د- ر- ز)

الدّوزدوزانىّ (معاصر)

هو الشّيخ ميرزا يد اللّه بن عبد الحميد الدّوزدوزانىّ، إحدى الشّخصيّات العلميّة و أستاذ فى الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، له «دروس حول نزول القرآن» و هى عبارة عن محاضرات ألقاها على عدد من الطّلاب. [ط: (۱) أمير- قم- ۱۴۱۳ ه].

رشيد رضا (۱۲۸۲- ۱۳۵۴ ه)

هو السّيد محمّد رشيد بن علىّ رضا، بغدادىّ الأصل، عالم بالتّفسير و الأدب، له «تفسير المنار» تقريرا لدرس أستاذه محمّد عبده [۱۱ ج، ط: دار المعرفة- بيروت-].

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۰۹

الزّرقانىّ (معاصر)

هو الأستاذ محمّد عبد العظيم الزّرقانىّ، مدرّس علوم القرآن و علوم الحديث فى جامعة الأزهر سابقا، له «مناهل العرفان فى علوم القرآن» [۲ ج، ط: دار إحياء الكتب العربيّة ۱۳۶۲ ه].

الزّركشىّ (۷۴۵- ۷۹۴ ه)

هو أبو عبد اللّه بدر الدّين محمّد بن عبد اللّه الزّركشىّ الشّافعىّ، مولده و وفاته بمصر، له «البرهان فى علوم القرآن» [۴ ج، ط (۲) دار إحياء الكتب العربيّة ۱۳۹۱ ه].

الزّفزاف (معاصر)

هو محمّد الزّفزاف، أستاذ الشّريعة المساعد بكلّية دار العلوم جامعة القاهرة، له «التّعريف بالقرآن و الحديث» [ط (١) ...؟].

الزّمخشرىّ (۴۶۷– ۵۳۸ ه)

هو أبو القاسم جار اللّه محمود بن عمر الخوارزمىّ الزّمخشرىّ «١» الحنفىّ المعتزلىّ، من أئمّة علوم التّفسير و اللّغة و الأدب، له «الكشّاف عن حقائق التّنزيل» [۴ ج، ط: دار المعرفة- بيروت- ١٣٨٧ ه].

الزّنجانى (۱۳۰۹– ۱۳۶۰ ه)

هو العلّامة الشّيخ أبو عبد اللّه الزّنجانىّ ابن الميرزا نصر اللّه، كان فيلسوفا، مفسّرا، مولده و وفاته بزنجان، له «تاريخ القرآن» [ط: مكتبة الصّدر- طهران- ١٣٨٧ ه].

(س)

السّبحانىّ (معاصر)

هو المحقّق الشّيخ جعفر السّبحانىّ التّبريزىّ، أحد الشّخصيات العلميّة و أستاذ فى الحوزة العلميّة بقم المقدّسة، له كتب و مقالات متعدّدة، منها: مقالات فى مجلّة «رسالة القرآن» [ط، ن: دار.

---

(١)- زمخشر من قرى خوارزم.

نصوص فى علوم القرآن، ص: ٧١٠

القرآن الكريم- قم- ١٤١١ ه].

السّبكىّ (معاصر)

هو الأستاذ عبد اللّطيف محمّد السّبكىّ، الحنبلىّ و من العلماء الكبار بالأزهر عام ١٣٧٢ ه و عضو المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة، له كتب كثيرة منها: «فى رياض القرآن» [ط:

المجلس الأعلى للشّئون الإسلاميّة- القاهرة- ١٣٨٣ ه].

سيّد قطب (...- ۱۳۸۶ ه)

هو من أعوان حسن البنّاء، و قد سجنته الحكومة المصريّة، ثمّ أعدمته، له تفسير «فى ظلال القرآن» [٥ ج، ط (١١) دار الشّروق- بيروت- ١٤٠٥ ه].

السّيوطىّ (۸۴۹– ۹۱۱ ه)

هو أبو بكر جلال الدّين عبد الرّحمن بن الكمال السّيوطىّ الأشعرىّ الشّافعىّ، مفسّر، مؤرّخ أديب، مولده و وفاته فى القاهرة، له «الإتقان فى علوم القرآن» [۴ ج، ط (٢) أمير- قم- ١٤٠٥ ه] و «الدّرّ المنثور فى التّفسير بالمأثور» [۶ ج، ط: الميمنيّة بمصر- ١٣١۴ ه].

(ش)

شبّر (۱۱۸۸- ۱۲۴۲ ه)

هو العلّامة السّيّد عبد اللّه بن محمّد رضا شبّر، ولد فى النّجف الأشرف و عرفت أسرته ب «آل شبّر» و هى من بيوت العلم و الفضل ... أصلهم من الحلّة فى العراق، له كتب كثيرة منها:

«الجوهر الثّمين فى تفسير الكتاب المبين» [۶ ج، ط: مكتبة الألفين، الكويت- ۱۴۰۷- ه].

الشّربينىّ (...- ۹۷۷ ه)

هو شمس الدّين محمّد بن أحمد الخطيب الشّربينىّ الشّافعىّ، من أهل القاهرة، له «السّراج المنير» [۴ ج، ط (۲) دار المعرفة للطّباعة و النّشر- بيروت- ۱۲۸۵ ه].

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۱۱

الشّرقاوىّ (معاصر)

هو محمود الشّرقاوىّ من علماء القاهرة بمصر، له كتاب الموسوم ب «القرآن المجيد» [ط: دار الشّعب بالقاهرة- ۱۳۹۰ ه].

الشّريف الجرجانىّ (۷۴۰- ۸۱۶ ه)

هو علىّ بن محمّد المعروف بالسّيد الشّريف الجرجانىّ، الحنفىّ، و قيل: الإمامىّ، ولد فى تاكو قرب استرآباد، له «حاشية على تفسير الكشّاف» [ط: دار المعرفة- بيروت- ۱۳۸۷ ه].

الشّريف المرتضى (۳۵۵- ۴۳۶ ه)

هو أبو القاسم السّيّد علىّ بن الحسين الموسوىّ علم الهدى، كان جامعا للعلوم العقليّة و النّقليّة و فنون الأدب و العربيّة، مولده و وفاته ببغداد، له «الأمالى فى القرآن» [۲ ج ط (۲) دار الكتب- بيروت- ۱۳۸۷ ه] و «رسائل الشّريف» [۲ ج، ط (۱) سيّد الشّهداء- قم- ۱۴۰۵ ه].

الشّعرانىّ (۱۳۲۰- ۱۳۹۳ ه)

هو العلّامة المحقّق آية اللّه ميرزا أبو الحسن بن الشّيخ محمّد الشّعرانىّ، و هو من أحفاد ملّا فتح اللّه الكاشانىّ، كان مفسّرا، فقيها، فيلسوفا، رياضيّا، ولد بطهران و دفن فيها و له كتب كثيرة منها: «نثر طوبى» [۲ ج، ط (۲) من مطبوعات المكتبة الإسلاميّة- طهران- ۱۳۹۸ ه].

الشّهرستانىّ (۴۷۹- ۵۴۸ ه)

هو أبو الفتح محمّد بن عبد الكريم الشّهرستانىّ الأشعرىّ، مفسّر، متكلّم. ولد فى شهرستان، له «مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار» [۲ ج، خطىّ، ۹۰۰ ه].

شيخ زاده (...- ۹۵۱ ه)

هو محى الدّين محمّد بن مصطفى القوجوىّ، مفسّر من فقهاء الحنفيّة، له «حاشية على تفسير أنوار التّنزيل البيضاوىّ» و هى أعظم الحواشىّ فائدة و أكثرها نفعا [ط: المكتبة الإسلاميّة تركيا].

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۱۲

(ص)

الصّابونىّ (معاصر)

هو محمّد علىّ الصّابونىّ، الأستاذ بكلّيّة الشّريعة و الدّراسات الإسلاميّة بمكّة المكرّمة، له «التّبيان فى علوم القرآن» [ط: دار القلم- بيروت- ۱۳۹۰ ه].

صبحى الصّالح (...- ۱۴۰۷ ه)

هو الدّكتور صبحى الصّالح أستاذ الإسلاميّات و فقه اللّغة فى كلّيّة الآداب بالجامعة اللّبنانيّة، سابقا، له «مباحث فى علوم القرآن» [ط (۵) دار العلم للملايين- بيروت- ۱۳۸۵ ه].

صدر المتألّهين (۹۷۹- ۱۰۵۰ ه)

هو محمّد بن إبراهيم صدر الدّين الشّيرازىّ المشهور بملّا صدرا أو صدر المتألّهين، أحدث تحوّلا فى العلوم العقليّة، إذ كان أوّل من جمع بين الفلسفة المشّائيّة و الإشراقيّة و الكلام، له كتب كثيرة منها «تفسير القرآن الكريم» [۶ ج، ط (۲) أمير- قم- ۱۴۰۶] و «أسرار الآيات» [ط: وزارة الثّقافة و التّعليم العالى- طهران- ۱۴۰۲] و «تفسير سورة الواقعة» [ط: خواندنيها- طهران- ۱۴۰۴ ه].

الصّدوق (...- ۳۸۱ ه)

هو أبو جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين موسى بن بابويه القمّىّ المعروف بالشّيخ الصّدوق، محدّث إمامىّ كبير، و كتابه «من لا يحضره الفقيه» من الكتب الأربعة للشّيعة، له «رسالة فى الاعتقادات» [مخطوطه].

الصّعيدىّ (معاصر)

هو الدّكتور عبد المتعال الصّعيدىّ، أستاذ اللّغة العربيّة بجامعة حلب، له مقالات و بحوث كثيرة، منها: ما نشر فى مجلّة «رسالة الإسلام» الصّادرة عن دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة بالقاهرة [۱۵ ج، ط (۳) مجمع البحوث الإسلاميّة بمشهد المقدّسة- ايران- ۱۴۱۱ ه].

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۱۳

الصّغير (معاصر)

هو الدّكتور الشّيخ محمّد حسين علىّ الصّغير، أستاذ كلّيّة الفقه فى النّجف الأشرف، ولد فى النّجف الأشرف، ينحدر من عائلة آل الخاقانىّ، له كتب منها «دراسات قرآنيّة» [ط: (۲) مكتب الإعلام الإسلامىّ- قم- ۱۴۱۳ ه].

الصّفّار (...- ۲۹۰)

هو أبو جعفر محمّد بن الحسن الصّفّار بن فرّوخ القمّیّ من أعاظم المحدّثین الإمامیّة. کان من أصحاب الإمام العسکریّ علیه السّلام، و له کتب کثیرة، أشهرها: «بصائر الدّرجات» [ط: منشورات مکتبة آیة اللّه العظمی المرعشیّ- قم- ۱۴۰۴ ه].

(ط)

الطّباطبائیّ (۱۳۲۱- ۱۴۰۲ ه)

هو العلّامة السّید محمد حسین القاضی الطّباطبائیّ التّبریزیّ، ولد فی تبریز و توفّی فی قم المقدّسة، و کان له أفکار جدیدة فی العلوم العقلیّة و التّفسیریّة، له «المیزان فی تفسیر القرآن» [۲۰ ج، ط (۳) إسماعیلیان- طهران- ۱۳۹۴ ه] و «القرآن فی الإسلام» [ط: سبهر- طهران- ۱۴۰۴ ه].

الطّبرسیّ (...- ۵۴۸ ه)

هو أبو علیّ الفضل بن الحسن الطّبرسیّ، من أجلّاء الإمامیّة، نسبته إلی «تفرش» من بلاد ایران، مدفنه فی المشهد الرّضویّ، له تفسیر «مجمع البیان لعلوم القرآن» [۵ ج، ط: مطبعة العرفان- صیدا- ۱۳۳۳ ه] و «تفسیر جوامع الجامع» [۳ ج، ط (۳) بهرام- طهران- ۱۴۰۴ ه].

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۱۴

الطّبریّ (۲۲۵- ۳۱۰ ه)

هو أبو جعفر محمّد بن جریر الطّبریّ، مفسّر، مؤرّخ، و کان شافعیّا، ثمّ اختار لنفسه مذهبا مستقلّا. ولد فی آمل من أعمال طبرستان، له «جامع البیان فی تفسیر القرآن» [۱۱ ج، ط (۳) مطبعة مصطفی البابی الحلبیّ- مصر- ۱۳۸۸ ه].

الطّریحیّ (۹۷۹- ۱۰۸۵ ه)

هو الشّیخ فخر الدّین علیّ بن أحمد بن طریح الرّماحیّ، فقیه، مفسّر، لغویّ، ولد فی النّجف الأشرف و دفن فیها، له «مجمع البحرین و مطلع النّیرین» [۶ ج، ط: طراوت- طهران- ۱۳۶۲ ه].

الطّوسیّ (۳۸۵- ۴۶۰ ه)

هو أبو جعفر محمّد بن الحسن الطّوسیّ، من أعاظم فقهاء الشّیعة، جامع المعقول و المنقول، و مؤسّس الحوزة العلمیّة فی النّجف الأشرف، و کتاباه «التّهذیب» و «الاستبصار» من الکتب الأربعة للشّیعة، له «التّبیان فی تفسیر القرآن» [۱۰ ج، ط: المطبعة العلمیّة- النّجف- ۱۳۷۶ ه].

(ع- غ)

عزّة دروزة (۱۳۰۵- ...)

هو محمّد بن عبد الهادى المعروف بعزّة دروزة، ولد فى نابلس بفلسطين، له «التّفسير الحديث» [۱۲ ج، ط: دار إحياء الكتب العربيّة- ۱۳۸۱ ه] و تاريخ «القرآن المجيد» [ط: المطبعة العصريّة- صيدا].

الإمام العسكرىّ (۲۳۲- ۲۶۰)

هو الإمام أبو محمّد الحسن بن علىّ الهاشمىّ، المعروف بالعسكرىّ، الإمام الحادى عشر عند الإماميّة. ولد فى المدينة و قضى شهيدا فى سامرّاء على يد المعتمد من خلفاء بنى العبّاس، و له تفسير منسوب إليه، المعروف بتفسير الإمام

العسكرىّ. [ط (۱) مهر- قم- ۱۴۰۹ ه].

العطّار (...- ۱۴۰۳ه)

هو الدّكتور السّيد داود العطّار، عميد كلّيّة أصول الدّين ببغداد سابقا، توفّى فى ايران، له كتب منها «موجز علوم القرآن» [ط: مؤسّسة الأعلمىّ- بيروت- ۱۳۹۹ ه].

على ددة (...- ۱۰۰۷ ه)

هو الشّيخ على ددة بن مصطفى الموستارىّ الملقّب بشيخ التّربة، ولد فى موستار إحدى مدن البوسنة و الهرسك، له «حل الرّموز و كشف الكنوز فى الأسئلة الحكميّة و الأجوبة العلميّة» [المخطوطة ۱۳۱۴ ه].

عيّاد (معاصر)

هو جمال الدّين عيّاد، ماجستير فى الدّراسات العربيّة و الإسلاميّة من الجامعة الأمريكيّة بالقاهرة، له «البحوث فى تفسير القرآن، سورة العلق» [ط دار الحمّامىّ للطّباعة- القاهرة- ۱۳۸۰ ه].

الغزالىّ (معاصر)

هو الشّيخ محمّد الغزالىّ من علماء الأزهر البارزين المجاهدين و عضو دار التّقريب بين المذاهب الإسلاميّة سابقا، له «نظرات فى القرآن» [ط ...؟].

(ف)

الفخر الرّازىّ (۵۴۴- ۶۰۶ه)

هو أبو عبد اللّه محمّد بن عمر التّيمىّ البكرىّ الفخر الرّازىّ، المفسّر الكبير و المتكلّم الشّهير، أصله من طبرستان، مولده فى الرّى، له «مفاتيح الغيب» المعروف «بالتّفسير الكبير» [۳۲ ج، ط: البهيّة المصريّة- القاهرة-].

الفيروزآبادىّ (۷۲۹- ۸۱۷ه)

هو محمّد بن يعقوب الشّيرازىّ الفيروزآبادىّ، ولد «بكازرون»، من أئمّة اللّغة و الأدب، له «بصائر ذوى التّمييز فى لطائف الكتاب العزيز» [۶ ج، ط: لجنة إحياء التّراث الإسلامىّ - القاهرة - ۱۳۸۳ ه].

الفيض الكاشانىّ (... - ۱۰۹۱ ه)

هو محمّد محسن بن المرتضى المعروف بالفيض الكاشانىّ، تلميذ صدر المتألّهين و صهره، ولد و نشأ فى قم و توفّى فى كاشان، له «تفسير الصّافىّ» [۵ ج، ط (۱) دار إحياء الكتب العربيّة بمصر - ۱۳۷۶ ه].

(ق)

القاسمىّ (۱۲۸۳- ۱۳۳۲ ه)

هو جمال الدّين محمّد بن سعيد بن قاسم، مولده و وفاته بدمشق، و كان سلفىّ العقيدة، له «محاسن التّأويل» المعروف «بتفسير القاسمىّ» [۱۷ ج، ط (۱) دار إحياء الكتب العربيّة - مصر - ۱۳۷۶ ه].

القرطبىّ (... - ۶۷۱ ه)

هو أبو عبد اللّه أحمد بن أبى بكر الأنصارىّ الخزرجىّ الأندلسىّ، من أهل قرطبة، توفّى فى أسيوط مصر، له «الجامع لأحكام القرآن» المعروف «بتفسير القرطبىّ» [۲۰ ج، ط (۲) دار إحياء التّراث العربىّ - بيروت - ۱۳۷۲ ه].

القطّان (معاصر)

هو منّاع خليل القطّان، أستاذ التّفسير بكلّيّة الشّريعة، و محاضر بالمعهد العالى للقضاء فى «الرّياض»، له «مباحث فى علوم القرآن» [ط (۲) منشورات الحديث - الرّياض - ۱۳۹۱ ه].

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۱۷

القمّىّ (۳۲۸ ه)

هو المحدّث، الثّقة الجليل أبو الحسن علىّ بن إبراهيم بن هاشم القمّىّ، عاش فى عصر الإمام العسكرىّ عليه السّلام، و له كتب منها: التّفسير المسمّى باسمه [۲ ج، ط (۱) دار الكتابة للطّباعة و النّشر - قم - ۱۴۰۳ ه] و كتاب الأنبياء [مخطوط].

(ک)

الكاشانىّ (... - ۹۸۸ ه)

هو مولى فتح اللّه بن مولى شكر اللّه الكاشانىّ، فقيه، مفسّر، متكلّم إمامىّ، له «منهج الصّادقين» [۱۰ ج، ط: أفست المطبعة الإسلاميّة - طهران - ۱۳۸۸ ه].

الكلينىّ (... - ۳۲۹ ه)

هو أبو جعفر محمّد بن يعقوب المعروف بثقة الإسلام الكلينىّ، رئيس المحدّثين للشّيعة الإماميّة، مولده فى كلين بالرّى، و مدفنه

بغداد، له «الكافى» فى الأصول و الفروع و الرّوضة (من الكتب الأربعة للشّيعة) [۸ ج، ط: دار الكتب الإسلاميّة- طهران- ۱۳۸۸ ه].

(م)

مالک بن نبیّ (۱۳۲۳- ۱۳۹۳ ه)

ولد فى مدينة قسطنطينة فى الجزائر، كان مهندسا كهربائيّا، له «الظّاهرة القرآنيّة» [ط: دار الفكر- دمشق- ساحة الحجاز ۱۴۰۲ ه].

مؤلّف المبانىّ (...؟ ...)

هو صاحب كتاب «المبانى فى نظم المعانى» اسمه مجهول، لأنّ الصّفحة الأولى من النّسخة الوحيدة قد فقدت، لكنّه يذكر فى الصّفحة الثّانية من المخطوطة أنّه بدأ فى تأليفه عام (۴۲۵ ه).

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۱۸

المجلسىّ (۱۰۲۷- ۱۱۱۱ ه)

هو محمّد باقر بن محمّد تقى المعروف بالمجلسىّ الأصفهانىّ، محدّث، فقيه، متكلّم. له ثلاثمائة مصنّف، أعظمها و أشهرها «بحار الأنوار ...» [۱۱۰ ج، ط (۳) دار إحياء التّراث العربىّ- بيروت- ۱۴۰۳ ه].

المراغىّ (معاصر)

هو أحمد بن مصطفى المراغىّ، أستاذ الشّريعة الإسلاميّة بكلّيّة دار العلوم فى القاهرة سابقا، له تفسير يعرف باسمه. ألّفه عام (۱۳۶۵ ه) [۱۰ ج، ط (۳) إحياء التّراث العربىّ- بيروت- ۱۳۹۴ ه].

مرتضى العاملىّ (۱۳۶۴- ...)

هو السّيد جعفر مرتضى العاملىّ، الأستاذ و المؤرّخ الإسلامىّ، ولد فى جبل عامل بلبنان، له كتب كثيرة منها: «حقائق هامّة حول القرآن الكريم» [ط (۱) مؤسّسة النّشر الإسلامىّ قم المقدّسة ۱۴۰۷ ه] و «الصّحيح من سيرة النّبىّ الأعظم صلّى اللّه عليه و آله» [۶ ج، ط: قم المقدّسة- ۱۴۰۳ ه].

المسعودىّ (...- ۳۴۶ ه)

هو أبو الحسين علىّ بن الحسين المسعودىّ المعتزلىّ، و قيل:

الإمامىّ، من ذريّة عبد اللّه بن مسعود، مؤرّخ مشهور، ولد ببغداد و نشأ فيها، ثمّ شدّ الرّحال إلى بعض الأقطار الإسلاميّة، له كتب منها: مروج الذّهب [۴ ج، ط (۲) دار الهجرة- قم- ۱۴۰۴ ه].

مسلم (۲۰۶- ۲۶۱ه)

هو أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيرىّ النّيسابورىّ، مولده و وفاته بنيسابور. أشهر كتبه: «صحيح مسلم» و هو أحد كتب الصّحاح المعوّل عليها عند أهل السّنّة [ط: دار إحياء التّراث العربىّ- بيروت- ۱۳۷۳ ه].

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۱۹

المصطفوىّ (۱۳۳۴- ...)

هو الأستاذ المحقّق الميرزا حسن المصطفوىّ التّبريزىّ، سكن بطهران، و له كتب كثيرة منها: «التّحقيق فى كلمات القرآن الكريم» [۱۴ ج، ط (۱) وزارة الثّقافة و الإرشاد الإسلامىّ- طهران- ۱۴۱۲ ه].

مطهّرىّ (...- ۱۳۹۹ ه)

هو الشّهيد المحقّق آية اللّه مرتضى المطهّرىّ، مولده فى فريمان بخراسان، مفسّر، فيلسوف من تلامذة الإمام الخمينىّ و العلّامة الطّباطبائىّ رضوان اللّه تعالى عليهما، له مصنّفات كثيرة و محاضرات مسجّلة، أخرجت فى كتب متعدّدة منها: «معرفة القرآن» [ط: مؤسّسة القرآن الكريم- طهران- ۱۴۰۲ ه]، و منها: «تفسير سورة الفجر و القيامة» بالفارسيّة [ن: الحزب الجمهورىّ الإسلامىّ، قم ۱۴۰۲ ه].

معرفت (۱۳۵۶- ...)

هو الشّيخ محمّد هادى معرفت، ولد بكر بلاء، و درس فى النّجف الأشرف، فأصبح أستاذا و محقّقا فى قم المقدّسة، له «التّمهيد فى علوم القرآن» [۵ ج، ط: مهر- قم- ۱۳۹۶ ه].

المفيد (۳۳۶- ۴۱۳ ه)

هو أبو عبد اللّه محمّد بن محمّد بن النّعمان المعروف بالشّيخ المفيد و بابن المعلّم، الفقيه، و المتكلّم الإمامىّ المشهور، ولد فى عكبرا بغداد، و له «تصحيح الاعتقاد» [ط: أمير- قم- ۱۳۶۳ ه].

الملكىّ (ت: ۱۳۲۴- ...)

هو الشّيخ العالم الفاضل المتّقى محمّد باقر الملكىّ، ولد فى ميانة من توابع آذربايجان بإيران، و سكن فى قم المقدّسة، له كتب كثيرة منها: «تفسير مناهج البيان» [۲ ج، ط: وزارة الثّقافة و الإرشاد الإسلامىّ- طهران- ۱۴۱۴ ه ق].

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۲۰

مولى صالح المازندرانىّ (...- ۱۰۸۵ ه)

هو العلّامة حسام الدّين محمّد بن ملّا أحمد سروىّ، المعروف بملّا صالح المازندرانىّ، كان تلميذ الشّيخ البهائىّ و المجلسىّ الأوّل و صهره، له «شرح أصول الكافىّ» [۱۲ ج، ط: مكتبة الإسلاميّة- طهران- ۱۳۸۲ ه].

الميبدىّ (...- ۵۳۰ ه)

هو رشيد الدّين أبو الفضل بن أبى سعيد أحمد الميبدىّ اليزدىّ، له «كشف الأسرار و عدّة الأبرار» و قد ذكر فيه كثيرا من أقوال «خواجه عبد اللّه الأنصارىّ» و لهذا عرف باسمه [۱۰ ج، ط (۲) سبهر- طهران- ۱۳۹۹ ه].

میر محمّدیّ (معاصر)

هو السّيّد أبو الفضل مير محمّدىّ، أستاذ علوم القرآن فى جامعة الإلهيّات بطهران، له «بحوث فى تاريخ القرآن و علومه» [ط: مؤسّسة البيادر للطّباعة- بيروت- ۱۴۰۰ ه].

(ن)

النّسائىّ (۲۱۵- ۳۰۳)

هو أحمد بن علىّ بن شعيب، القاضى الحافظ، أصله من نساء (من قرى سرخس بخراسان). استوطن مصر، فمات بالرّملة ببيت المقدس و قيل: بمكّة و هو الأرجح. و له كتب كثيرة منها:

«السّنن بشرح جلال الدّين السّيوطىّ» و هو أحد كتب الصّحاح السّتّة عند أهل السّنّة [۸ ج، ط: دار الفكر للطّباعة و النّشر- بيروت- ۱۳۴۸ ه].

النّهاوندىّ (...- ۱۳۶۹)

هو الشّيخ على أكبر بن ملّا محمّد حسين، أصله من نهاوند من توابع بروجرد نشأ فى النّجف الأشرف و رجع إلى المشهد الرّضوىّ عام ۱۳۲۸ ه، و توفىّ فيه، له كتب منها: «خزينة الجواهر من الأصول و الفروع و الأخلاق» [ط (۵) المطبعة

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۲۱

الإسلاميّة- طهران- ۱۳۹۰ ه].

النّهاوندىّ (...- ۱۳۷۱ ه)

هو الشّيخ محمّد بن المحقّق آية اللّه الميرزا عبد الرّحيم، كان مولده فى الغرىّ «۱» و موطنه فى المشهد الرّضوىّ، له «نفحات الرّحمن فى تفسير القرآن» [۴ ج، ط: مطبعة العلمىّ- طهران ۱۳۵۷ ه].

النّيسابورىّ (...- ۷۲۸ ه)

هو الحسن بن محمّد القمّىّ النّيسابورىّ، كان مفسّرا، رياضيّا، حكيما، مولده فى قم، و موطنه فى نيسابور، له «غرائب القرآن» المعروف بتفسير النّيسابورىّ [۱۰ ج، ط: مطبعة البابى بمصر ۱۳۸۱ ه].

(و- ى)

الواحدىّ (...- ۴۶۸ ه)

هو أبو الحسن علىّ بن أحمد الواحدىّ، مفسّر، النّحوىّ، الإمامىّ «۲»، أصله من ساوة من بلاد ايران، مولده و وفاته بنيسابور، له «أسباب النّزول» [ط: دار الكتب العلميّة بيروت- استنساخ انتشارات الرّضىّ- قم- ۱۴۰۳ ه].

الوشنوىّ (۱۳۲۹- ...)

هو العالم المحدّث المتتبع الشّیخ محمّد قوام بن حبیب اللّه القمیّ، ولد فی وشنوة من توابع قم، له کتب منها: «حیاة النّبیّ و سیرته» [ط: الخیّام- قم- ۱۴۱۲ ه].

(۱)- هو الإسم السّابق الّذی کان یطلق علی المنطقة الّتی شیّدت علیها مدینة النّجف الأشرف.

(۲)- ذکره صاحب الذّریعة بأنّه من مصنّفی الشّیعة.

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۲۲

الیعقوبیّ (...- ۲۸۴ ه) «۱»

هو أحمد بن إسحاق بن واضح الیعقوبیّ، مؤرّخ جغرافیّ شیعیّ «۲» من أهل بغداد، أصله من أصفهان. له کتاب فی التّأریخ یسمّی باسمه [ط: دار صادر بیروت ...].

(۱)- فی تاریخ وفاته خلاف، و المثبت أعلاه اخترناه من؟ کتاب «ریحانة الأدب».

(۲)- تشیّعه ظاهر من خلال کتابیه (التّأریخ و البلدان).

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۲۳

مصادر الأعلام

۱- الأعلام [۹ ج] خیر الدّین الزّرکلیّ
۲- أعیان الشّیعة [۱۰ ج] السّید محسن الأمین
۳- الذّریعة إلی تصانیف الشّیعة [۲۵ ج] محمّد محسن الشّیخ آغا بزرک الطّهرانیّ
۴- ریحانة الأدب [۸ ج] الشّیخ میرزا محمّد علیّ مدرّس
۵- طبقات أعلام الشّیعة [۲ ج] محمّد محسن الشّیخ آغا بزرک الطّهرانیّ
۶- الکنی و الألقاب [۳ ج] الشّیخ عبّاس القمّی
۷- معجم الدّراسات القرآنیّة عند الشّیعة عامر الحلو
۸- معجم مصنّفات القرآن [۴ ج] الدّکتور علی شواخ إسحاق
۹- المنجد فی الأعلام لویس معلوف
۱۰- وفیات الأعیان [۸ ج] أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن أبی بکر بن خلّکان
۱۱- التّراجم الموجودة فی مقدّمة کتبهم
۱۲- الشّخصیّات المعاصرة للمترجم له.

فهرس الموضوعات

اشارة

تصدیر بقلم العلّامة آیة اللّه واعظزاده، ۹

أقسام علوم القرآن، ۱۰

البحث حول هذا الکتاب، ۱۷

تصدیر بقلم المؤلّف، ۲۱

المدخل فی أقسام الکتاب، ۲۱

طریقة العمل، ۲۳

شکر و تقدیر، ۲۵

الآیات و تفاسیرها

وَ إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلی عَبْدِنا ...، ۹۱،

۱۰۹، ۲۲۷، ۲۳۸

شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ، ۳۴، ۵۷، ۷۳، ۷۹، ۸۶، ۹۷، ۱۰۶، ۱۰۹، ۱۴۹، ۱۶۱، ۱۷۰، ۱۷۹، ۱۹۷، ۲۱۹، ۲۲۴، ۲۶۴، ۲۸۳،

۳۱۰، ۳۲۷، ۳۶۲، ۳۷۴، ۴۱۹

نَزَّلَ عَلَیْکَ الْکِتابَ بِالْحَقِّ ...، ۲۷۴، ۳۱۱، ۴۰۰،

۴۹۰

وَ أَنْزَلَ التَّوْراةَ وَ الْإِنْجِیلَ* مِنْ قَبْلُ ...، ۱۷۱

وَ لَقَدْ جِئْناهُمْ بِکِتابٍ فَصَّلْناهُ ...، ۶۳۷ نصوص فی علوم القرآن ۷۲۳ الآیات و تفاسیرها ..... ص : ۷۲۳

وَ ما أَنْزَلْنا عَلی عَبْدِنا یَوْمَ الْفُرْقانِ، ۸۰

کِتابٌ أُحْکِمَتْ آیاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ ...، ۳۹۷، ۶۳۵

وَ إِذا بَدَّلْنا آیَةً مَکانَ آیَةٍ، ۹۲

وَ بِالْحَقِّ أَنْزَلْناهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلَ وَ ما أَرْسَلْناکَ إِلَّا مُبَشِّراً وَ نَذِیراً، ۴۰۱

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۲۴

وَ قُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَی النَّاسِ عَلی مُکْثٍ ...، ۳۶،

۷۴، ۷۷، ۹۸، ۱۱۲، ۱۵۰، ۱۶۲، ۱۷۱، ۱۹۸، ۲۲۴، ۲۸۶، ۴۸۱

وَ ما نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّکَ ...، ۱۵۸

وَ لا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ ...، ۳۹، ۵۹، ۸۰، ۸۷، ۹۸، ۱۰۴،

۱۰۷، ۱۱۳، ۱۵۰، ۲۰۰، ۲۲۷، ۲۶۵، ۲۸۳، ۳۲۸، ۴۰۳، ۶۴۵

تَبارَکَ الَّذِی نَزَّلَ الْفُرْقانَ عَلی عَبْدِهِ ...، ۲۶۶

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِنْ هَذا إِلَّا إِفْکٌ ...، ۳۷۵

وَ قالَ الَّذِینَ کَفَرُوا لَوْ لا نُزِّلَ عَلَیْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً، ۴۰، ۷۴، ۸۷، ۹۲، ۹۸، ۱۰۴، ۱۱۴، ۱۵۱، ۱۵۹، ۱۶۲، ۱۶۶، ۱۷۳، ۱۸۰، ۲۰۰،

۲۲۵، ۲۷۵، ۲۸۳، ۲۸۷، ۳۲۸، ۳۳۰، ۳۶۰، ۳۷۳، ۳۷۶، ۴۰۴، ۴۴۵، ۴۸۳.

کَذلِکَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَکَ ...، ۴۸۵

وَ إِنَّهُ لَتَنْزِیلُ رَبِّ الْعالَمِینَ، ۸۱، ۱۰۵، ۱۵۹، ۱۷۴

نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِینُ* عَلی قَلْبِکَ، ۲۲۸، ۲۷۵، ۲۸۹

لِلّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ، ۶۶

إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةٍ مُبارَکَةٍ، ۴۱، ۷۵، ۸۲، ۸۸، ۹۳، ۹۹، ۱۰۷، ۱۱۶، ۱۵۲، ۱۶۰، ۱۶۴، ۱۶۷، ۱۷۴، ۲۰۱، ۲۲۰، ۲۵۸، ۲۷۶، ۲۸۴، ۲۹۶، ۳۳۳، ۴۴۶، ۴۷۷.

وَ النَّجْمِ إِذا هَوی، ۲۶۰

فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ ...، ۴۲، ۱۰۱، ۱۰۷، ۱۵۳، ۱۸۱، ۲۰۲، ۲۹۶

لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ، ۲۴۱، ۶۴۲

لاـ تُحَرِّکْ بِهِ لِسانَکَ لِتَعْجَلَ بِهِ، ۴۳، ۷۵، ۸۸، ۹۵، ۱۰۰، ۱۰۸، ۱۲۰، ۱۵۴، ۱۶۷، ۱۷۵، ۱۸۱، ۱۹۳، ۲۰۳، ۲۷۷، ۳۳۴، ۳۷۳، ۴۱۵، ۴۲۲، ۶۰۴.

إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ، ۱۲۲

إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلًا، ۸۹، ۲۲۵

فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَةٍ* مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ، ۸۳، ۱۰۲، ۱۲۵، ۱۷۷، ۲۹۷

سَنُقْرِئُکَ فَلا تَنْسی، ۴۸، ۸۳، ۹۴، ۱۰۳، ۱۲۶، ۱۵۵، ۱۶۸، ۲۰۴، ۲۲۰، ۲۲۹، ۲۶۶، ۲۸۴، ۳۳۶

إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَةِ الْقَدْرِ، ۴۹، ۸۵، ۹۵، ۱۰۴، ۱۳۱، ۱۵۷، ۱۶۰، ۱۶۴، ۱۶۹، ۱۷۷، ۲۲۳، ۲۶۰، ۲۶۶، ۲۸۰، ۲۹۸، ۳۳۱، ۳۳۷، ۳۵۹، ۴۱۷، ۴۴۶، ۶۱۱.

التّنزول و مراتبه

کیفیّة نزول القرآن، ۳۱، ۶۲، ۱۳۶، ۱۸۶، ۱۸۹، ۲۰۵، ۴۲۴، ۵۴۹، ۵۶۹، ۵۹۹، ۶۸۹، ۶۸۴.

و فی کیفیّة نزول القرآن ثلاثة اقوال، ۵۴۹

و فی کیفیّة نزول القرآن فی لیلة القدر، ۲۷۲

کیف نزل و لما ذا خلّد؟، ۷۱

معنی نزول القرآن فی لیلة القدر، ۲۷۲، ۵۱۳

جبرئیل نزل بجمیع القرآن، ۶۶۶

کیف تلقّی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله القرآن، ۶۷۹

الآیات الدّالّة علی وساطة جبرئیل، ۶۶۷

حقیقة إنزال القرآن، ۲۵۵

هل نزل القرآن بلفظه و معناه، ۴۶۳

إنزال القرآن علی قسمین، ۴۲۱، ۵۲۹

نزول القرآن علی النّبیّ مرّتین، ۶۱۷

الفرق بین الإنزال و التّنزیل، ۲۱۷، ۳۰۲، ۴۱۱، ۶۲۷.

إنزال القرآن و تنزیله، ۴۲۷، ۴۹۲

ترتیل القرآن ترتیلا، ۴۸۷

للقرآن الکریم وجودات ثلاثة [أو] تنزّلات ثلاثة، ۳۴۱، ۴۶۰، ۵۲۷

مراتب وجود القرآن فی النّزول و الصّعود، ۳۰۶، ۳۰۸

نزول القرآن جملة، ۵۵۲

نزول القرآن جملة و تدریجا، ۶۲۶

المنازل الأربعة عشر للقرآن الکریم، ۳۲۰

روایات نزول القرآن جملة واحدة و أثرها، ۳۶۳

روایات نزول القرآن بالمعنی و أثرها، ۳۶۷

تعلیق علی روایات نزول القرآن جملة واحدة، ۳۵۹

نصوص فی علوم القرآن، ص: ۷۲۵

تعلیق علی تحدّی الکفّار بإنزال القرآن جملة واحدة، ۳۶۰

الحکمة فی إنزال القرآن جملة واحدة، ۲۳۱

سرّ نزول القرآن جملة إلی البیت المعمور فی لیلة القدر، ۳۲۳

الحکمة فی وضع القرآن بالسّماء الدّنیا، ۲۳۲

الرّدّ علی ما اعترضه المفید علی قول الصّدوق، ۲۷۱

النزول منجما

نزول القرآن نجوما، سورة سورة، ۵۹۱

التّدرّج فی تنزیل القرآن، ۴۹۵، ۶۱۸

نزول القرآن منجّما، ۵۵۵، ۶۲۱

تنجیم الوحی، ۳۷۸

کیف کان هذا النّزول، ۵۳۳

الحکمة [أو] أسرار نزول القرآن منجما، مفرّقا، حکم تدرّج تنزیل القرآن، حکمة النّزول التّدریجی و ...، ۲۳۲، ۳۲۵، ۳۱۴، ۴۴۸، ۳۴۹، ۳۸۴، ۴۶۶،

۵۳۴، ۵۳۷، ۵۵۷، ۵۷۰، ۶۲۲، ۶۷۳، ۶۸۱.

حظّنا من العمل بهذه الحکمة، ۳۱۵

مواجهة الأحداث، ۴۹۰

أثر تدرّج تنزیل القرآن فی نشرة الدّعوة الإسلامیّة، ۴۹۵

الاستفادة من نزول القرآن منجّما فی التّربیة و التّعلیم، ۵۶۷

حکم تدرّج تنزیل القرآن، ۴۹۸، ۵۳۷

النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و القرآن

حکم تخصّ الرّسول صلّی اللّه علیه و آله، ۴۹۸

حکم تخصّ القرآن، ۵۰۰

حکم تخصّ النّاس، ۵۰۲

باب ما كان يعرض القرآن على النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، ۳۲

أين كان القرآن قبل النّزول؟

تهافت النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله على نزول القرآن و على تلقيه حين الوحى، ۴۳۹

ما الحكمة فى إنزال القرآن على النّبىّ و هو ابن اربعين سنة؟، ۲۳۴

القرآن و الملائكة

ما الحكمة عند نزول الوحى فى تقدّم صوت الملك؟، ۲۳۳

ما الحكمة فى أنّ الملائكة بأسرها صعقت ليلة نزول القرآن؟، ۲۳۷

ما الحكمة فى تعدّد مواطن نزول القرآن، ۲۷۴

ترتيب النّزول

ترتيب القرآن حسب النّزول، ۵۹۴

ترتيب آيات المصحف الفعلىّ، ۵۹۵

ترتيب سور المصحف الموجود فعلا، ۵۹۵

ما ذا عن تصرّف الصّحابة فى تأليف القرآن؟، ۵۹۶

لما ذا لم يذكر الموضوع الواحد تامّا فى سورة واحدة؟، ۴۷۱

البعثة و تاريخ النّزول

البعثة فى رجب أوفى شهر رمضان؟، ۵۹۹

تاريخ البعثة، ۱۸۲، ۲۶۸، ۵۰۲

بعثته و نزول الوحى إليه و ما حولهما من الرّوايات، ۵۸۰

ابتداء نزول القرآن، ۳۲۸، ۵۶۷

تاريخ زمان نزول القرآن و تحقيق ذلك، ۲۶۲، ۳۰۵، ۴۴۱، ۵۷۵

كلام اللّه تعالى

فترة ثلاث سنوات، ۵۰۶

قاعدة: فى تحقيق كلامه تعالى، ۲۵۳

جبرائيل و القرآن

كيفيّة أخذ جبريل للقرآن و عمّن أخذ؟، ۳۴۴

ما الّذى نزل به جبريل؟، ۳۴۵

نصوص فى علوم القرآن، ص: ۷۲۶

الوحی القرآنی و السّنّة

ما هی تلک العجلة فی أثناء الوحی، ۴۲۳

الخصائص الظّاهریّة للوحی، ۳۷۸

هل السّنّة النّبویّة بوحی من اللّه تعالی، ۶۸۰

الفرق بین إنزال کلام اللّه علی قلب النّبیّ و بین إنزال الکتب السّماویة إلی سایر الأنبیاء، ۲۵۰

کیفیّة نزول الکتب السّماویّة السّالفة، ۵۳۵

إنّ النّازل علی أکثر الأنبیاء هو الکتاب دون کلام اللّه، ۲۴۹

مکاشفات و تنبیهات

مکاشفات سرّیّة و نفثات روعیة، ۲۳۸

تنبیهات، ۲۰۷

شبهات، ۴۲۹، ۵۱۷

تذنیب، ۲۰۸

آراء و تأویلات، ۵۰۸

توهّم و دفع، ۶۶۸

مناقشة، ۶۶۹

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنا... یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ کَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلاّمة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشَّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج/۱ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَعَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لَم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.
مرکز "القائمیّة" للتحرّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت

–علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدة، على أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ– فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم - مِن جهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی " القائمیّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمرات، و تنفیذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَة

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنَّها لا تُوافِی الحجم المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّى هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّى بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فَرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.

مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹